آية الله العظمى مكارم الشيرازي

نفحات الولاية

شرح عصري جامع لنهج البلاغة

الجزء التاسع

بسم الله الرحمن الرحیم

نفحات الولايه: شرح عصرى جامع لنهج البلاغه

كاتب:

ناصرمكارم شيرازى

نشرت فى الطباعة:

مدرسه الامام على بن ابى طالب (عليه السلام)

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

نفحات الولاية المجلد ٩

اشارة

عنوان و نام پديدآور : نفحات الولايه: شـرح عصـرى جامع لنهج‌البلاغه/ ناصـرمكارم شـيرازى، بمساعده مجموعه من‌الفضـلاء؛ اعداد عبدالرحيم الحمدانى.

مشخصات نشر : قم : مدرسه‌الامام على‌ابن‌ابى‌طالب (ع) ، ١۴٢۶ق.-= ١٣٨۴.

مشخصات ظاهرى : ج.

شابک : ٣٠٠٠٠ ريال : دوره ٩۶۴-٨١٣-٩۵٨-X: ؛ ج. ١ ٩۶۴-٨١٣-٩٠٧-۵ : ؛ ج. ٢ ٩۶۴-٨١٣-٩٠٨-٣ : ؛ ج. ٣ ٩۶۴-٨١٣-٩١٧-٢ : ؛ ج. ۴ ٩۶۴-٨١٣-٩١٨-٠ : ؛ ج.۵ : ٩۶۴-٨١٣-٩۴١-۵ ؛ ٧٠٠٠٠ ريال: ج. ۶٩٧٨-٩۶۴-۵٣٣-١٢٠-۵ : ؛ ٧٠٠٠٠ ريال: ج. ٧٩٧٨-٩۶۴-۵٣٣-١٢١-٢ : ؛ ٧٠٠٠٠ ريال: ج. ٨٩٧٨-٩۶۴-۵٣٣-١٢٢-٩ : ؛ ٧٠٠٠٠ ريال: ج. ٩٩٧٨-٩۶۴-۵٣٣-١٢٣-۶ : ؛ ٧٠٠٠٠ ريال: ج. ١٠٩٧٨-٩۶۴-۵٣٣-١٢۴-٣ :

يادداشت : عربى.

يادداشت : ج ١- ۵ (چاپ دوم: ١٣٨۴).

يادداشت : ج. ۶- ١٠ (چاپ اول: ١۴٣٢ ق.= ١٣٩٠).

يادداشت : كتابنامه.

مندرجات : .- ج. ۶. من خطبة ١۵١ الى ١٨٠.- ج. ٧. من خطبة ١٨١ الى ٢٠٠.- ج. ٨. من خطبة ٢٠١ الى ٢۴١.- ج. ٩. من رسالة ١ الى ٣١.- ج. ١٠. من رسالة ٣٢ الى ۵٣

موضوع : على‌بن ابى‌طالب (ع)، امام اول، ٢٣ قبل از هجرت - ۴٠ق -- خطبه‌ها

موضوع : على‌بن ابى‌طالب (ع)، امام اول، ٢٣ قبل از هجرت - ۴٠ق. -- كلمات قصار

موضوع : على‌بن ابى‌طالب (ع)، امام اول، ٢٣ قبل از هجرت - ۴٠ق. -- نامه‌ها

موضوع : على‌بن ابى‌طالب (ع)، امام اول، ٢٣ قبل از هجرت - ۴٠ق . نهج‌البلاغه -- نقد و تفسير

شناسه افزوده : حمرانى، عبدالرحيم

شناسه افزوده : على‌بن ابى‌طالب (ع)، امام اول، ٢٣ قبل از هجرت - ۴٠ق . نهج‌البلاغه. شرح

شناسه افزوده : مدرسة الامام على بن ابى طالب (ع)

رده بندى كنگره : BP٣٨/٠٢ /م٧ ١٣٨۴

رده بندى ديويى : ٢٩٧/٩۵١۵

شماره كتابشناسى ملى : م٨۴-۴٠٣۴٧

مقدّمة

القسم الثانی من نهج‌البلاغة

القسم الثانی والمهمّ من نهج‌البلاغة يتضمّن رسائل وكتب الإمام أميرالمؤمنين إلى الأولياء، الأعداء، الامراء، قادة الجيش وبعض أبنائه، والتی تختزن فی مضـمونها مسائل فی غاية الأهمية عن بناء الذات، التقوی، إدارة البلاد، النصيحة للأعداء وفتح المجال لهم للعودة إلی أحضان الحق، ومسائل مهمة أخری من هذا القبيل.

ومحتوى هذه الرسائل بدرجة من الحيوية والحركة، كأنّها صدرت من الإمام فى هذا العصر ومن أجل المخاطبين فى زماننا هذا.
وهـذه الرسائـل، الـتى بإمكانهـا أن تكـون درسـاً لمختلـف شـرائح المجتمع وينتفع بهـا جميع الأـفراد، تعتـبر من الكنوز الغاليـة للـتراث الإسـلامى ولسـيرة أميرالمؤمنين الإمـام علىّ عليه السـلام، وليت جميع السياسـيين فى العالم يلتفتوا إلى أهميتها ويعملوا على اسـتثمارها لإصلاح الوضع العالمى والمجتمع البشرى، وليت أنّ هذه الرسائل قد وصلت إلينا كلّها.
وممّا يجدر ذكره أنّ عهد الإمام لمالك الأشتر الوارد فى نهج‌البلاغة «وهو الدسـتور العملى الذى أرسـله الإمام علىّ عليه السـلام لواليه على مصر مالك الأشتر وورد فى
نفحات الولاية، ج۹، ص: ۶
نهج‌البلاغة برقم (۵۳) من رسائل الإمام» قـد ترجم إلى بعض اللغات الأجنبيّة وقد تمّ وضـعه فى هيئة الامم المتحدة كسـند تاريخى، و وقع مورد إعجاب وثناء لنواب وممثلى الدول المختلفة فى الامم المتحدة.
وهناك الكثير من أمثال هـذه الرسالـة التاريخية فى نهج‌البلاغة من بين ۷۹ رسالة وكتاب للإمام على عليه السـلام، رغم أنّ كلّ واحدة منها تهدف لغرض خاص.
ومن الرسائل المهمّـة فى هـذا الصـدد وصـية الإمام عليه السـلام لابنه الإمام الحسن المجتبى عليه السـلام التى تتضـمن مسائل عرفانيـة، أخلاقيـة، وتعاليم لتهـذيب النفس، وكـذلك رسالة الإمام عليه السـلام المعروفة لعثمان بن حنيف التى يعترض فيها الإمام عليه السـلام على واليه لحضورة وليمةً لطبقة الأغنياء والأشـراف، ورسالة الإمام عليه السلام المعروفة لشريح القاضى، ورسالة الإمام عليه السلام إلى «حارث الهمدانى»، ورسالة الإمام عليه السلام لأهل مصر التى أرسلها مع مالك الأشتر، وهناك رسائل متعددة كتبها الإمام عليه السلام لمعاوية بن أبى‌سـفيان وحذّره من العواقب الوخيمة لأعماله الشنيعة، وجميع هذه الرسائل تعتبر من الوثائق التاريخية التى قلّ نظيرها فى تراثنا الإسلامى.
***

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۹

الرسالة ۱

اشارة

إلى أهلِ الْكُوفَةِ، عِنْدَ مَسيرِهِ مِنَ الْمَدينَةِ إلَى الْبَصْرَةِ[۱]

نظرة إلى الرسالة

الحقيقة أنّ الغرض من كتابة هذه الرسالة يتمثّل فى ثلاثة أمور:
۱. إنّ الإمام علىّ عليه السـلام أراد فى كتابه هـذا أن يبيّن أنّ طلحـة والزبير وعائشـة الـذين اتخـذوا من قتل عثمان ذريعـة لإثارة الناس ضدّه عليه السـلام وتحركوا لتهيئة مقدّمات حرب الجمل مع عائشة، أنّهم شركاء فى قتل عثمان، فى حين أنّ الإمام عليه السلام كان قد دافع عنه بالمقدار الممكن.
نفحات الولاية، ج۹، ص: ۱۰

۲. إنّ جميع الناس قد بايعوا الإمام عليه السلام طواعية ورغبة وبدون أىّ شكل من أشكال الجبر والإكراه وإنّ المسلمين قد قبلوا بخلافته على الامّة الإسلاميّة.

۳. نظراً لما وقع من فتنة طلحة والزبير وعائشة، فإنّهم يتوجّب على أهل الكوفة أن يهبّوا لنصرة الإمام وإطفاء نار الفتنة من خلال الالتحاق بجيش الإمام.

***

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۱۱

القسم الأول

اشارة

مِنْ عَبْدِاللَّهِ عَلِيٍّ أَمِيرِالْمُؤْمِنِينَ إِلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ، جَبْهَةِ الْأَنْصَارِ وَسَنَامِ الْعَرَبِ. أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أُخْبِرُكُمْ عَنْ أَمْرِ عُثْمَانَ حَتَّى يَكُونَ سَمْعُهُ كَعِيَانِهِ. إِنَّ النَّاسَ طَعَنُوا عَلَيْهِ، فَكُنْتُ رَجُلًا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ أُكْثِرُ اسْتِعْتَابَهُ، وَأُقِلُّ عِتَابَهُ، وَكَانَ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ أَهْوَنُ سَيْرِهِمَا فِيهِ الْوَجِيفُ، وَأَرْفَقُ حِدَائِهِمَا الْعَنِيفُ.

وَكَانَ مِنْ عَائِشَةَ فِيهِ فَلْتَةُ غَضَبٍ، فَأُتِيحَ لَهُ قَوْمٌ فَقَتَلُوهُ، وَبَايَعَنِي النَّاسُ غَيْرَ مُسْتَكْرَهِينَ وَلَا مُجْبَرِينَ، بَلْ طَائِعِينَ مُخَيَّرِينَ.

الشرح والتفسير: حقيقة ما وقع فى حادثة قتل عثمان

بدأ الإمام علىّ عليه السلام فى هذه الرسالة، وطبقاً لما كان متداولًا فى ذلك العصر، بالتعريف بكاتب الرسالة والمخاطبين له، حيث قال: «مِنْ عَبْدِاللَّهِ عَلِيٍّ أَمِيرِالْمُؤْمِنِينَ إِلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ، جَبْهَةِ الْأَنْصَارِ[۲] وَسَنَامِ الْعَرَبِ».

ومن البيّن أنّ مراده من كلمة الأنصار هنا ليس أنصار النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله فى المدينة الذين يقعون فى مقابل المهاجرين، لأنّه لم يكن هناك فى الكوفة جبهة للأنصار وأخرى للمهاجرين، بل المراد من الأنصار هنا أنصار الإمام علىّ عليه السلام والتعبير ب «جبهة» إشارة إلى شرفهم وعلو مكانتهم، لأنّ الجبهة تعتبر من أشرف

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۱۲

أعضاء الإنسان.

كلمة «سنام» رغم أنّها فى الأصل بمعنى أعلى مكان فى ظهر الجمل، إلّاأنّها تطلق على كلّ شىء متميز وكلّ شخص ذى مكانة عالية فى المجتمع.

ثم إنّ الإمام عليه السلام قال فى رسالته: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أُخْبِرُكُمْ عَنْ أَمْرِ عُثْمَانَ حَتَّى يَكُونَ سَمْعُهُ كَعِيَانِهِ».

هنا يثار هذا السؤال: لماذا اهتمّ الإمام عليه السلام فى هذه الرسالة قبل كلّ شىء بالبحث عن جذور حادثة مقتل عثمان؟

من المعلوم أنّ الإمام عليه السلام قد كتب هذه الرسالة إلى أهل الكوفة فى زمن إرهاصات معركة الجمل، ونعلم أنّ مسألة الطلب بثأر عثمان كانت ذريعة استخدمها المخالفون وقوى التمرّد «طلحة، الزبير، عائشة، وأنصارهم» وعندما يبيّن الإمام عليه السلام تفاصيل هذه المسألة بشكلّ واضح فإنّ ذلك من شأنه أن يدفع بأهل الكوفة للاشتراك مع الإمام من موقع الوضوح فى الرؤية.

ثم أضاف الإمام عليه السلام: «إِنَّ النَّاسَ طَعَنُوا عَلَيْهِ».

وقد ذكر جميع المؤرخين وعامّة المحقّقين تقريباً أنّ اعتراض الناس على عثمان يعود إلى أمرين: التقسيم غير العادل لبيت المال،

والعطايا والمواهب الجزيلة لأقربائه وأرحامه، والآخر وضع المقاليد الحساسة للحكومة الإسلاميّة بيد أشخاص غير كفوئين من أقربائه وأتباعه.

ثم أضاف الإمام عليه السلام: «فَكُنْتُ رَجُلًا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ أُكْثِرُ اسْتِعْتَابَهُ ۳]، وَأُقِلُّ عِتَابَهُ، وَكَانَ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ أَهْوَنُ سَيْرِهِمَا فِيهِ الْوَجِيفُ ۴]، وَأَرْفَقُ حِدَائِهِمَا الْعَنِيفُ ۵]. وَكَانَ

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۱۳

مِنْ عَائِشَةَ فِيهِ فَلْتَةُ[۶] غَضَبٍ، فَأُتِيحَ ۷] لَهُ قَوْمٌ فَقَتَلُوهُ».

ويحتمل أيضاً فى تفسير عبارة «اكثر استعتابه»[۸] أننى كنت أطلب من عثمان دائماً أن يهتمّ بكسب رضا الناس.

ثم أضاف عليه السلام: «وَبَايَعَنِي النَّاسُ غَيْرَ مُسْتَكْرَهِينَ وَلَا مُجْبَرِينَ، بَلْ طَائِعِينَ مُخَيَّرِينَ».

وفى الحقيقة أنّ الإمام عليه السلام بهذه العبارة الوجيزة والعميقة المعنى أشار إلى ثلاث نقاط ليتيح للناس الحكم على المتمردين بوضوح:

۱. إنّ الإمام عليه السلام كان من المدافعين عن عثمان وكان يريد له الصلاح والسير فى الطريق القويم واطفاء نار الفتنة.

۲. إنّ طلحة والزبير هما اللذان أشعلا نار الفتنة، وبالرغم من أنّ الانتفاضة ضد عثمان كانت عامّة وشاملة، ولكنّ طلحة والزبير كانا ينفخان فى هذه النار ويمدّونها بالوقود، وكذلك الحال مع عائشة التى أثارت المهاجرين والأنصار فى مسجد النبيّ على عثمان بجملة قصيرة عندما رفعت بيدها قميص النبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله ونعله كما ورد فى الرواية: «ولمّا بَلَغَ عائِشَةَ ما صَنَعَ عُثْمانُ بِعَمّارٍ فَغَضِبَتْ وأَخْرَجَتْ شَعْراً مِنْ شَعْرِ رَسولِ اللَّهِ صلى الله عليه و آله وَنَعْلًا مِنْ نِعَالِهِ وَثَوْباً مِنْ ثِيابِهِ، وقَالَتْ: مَا أَسْرَعَ مَا تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ، وَهذا ثَوْبُهُ وشَعْرُهُ وَنَعْلُهُ لَمْ يَبْلَ بَعْدُ»[۹].

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۱۴

۳. إنّ البيعة التى بايعنى فيها المسلمون «وخلافاً للبيعة مع الخليفة الأول والثانى والثالث» بيعة عامّة وشاملة ولم يجبر أحد على بيعتى.

ومن هذا المنطلق بيّن الإمام عليه السلام معالم الحقيقة ليعلم الناس أنّه على الحق وأنّ المتمرّدين والمناوئين له فى معركة الجمل، على باطل.

تأمّلان

۱. حكاية أبى موسى وتعبئة أهل الكوفة لنصرة الإمام عليه السلام

سبق وأنّ تعرّضنا فى الأقسام السالفة وبشكل وافٍ إلى وقائع خلافة عثمان والأخطاء الكبيرة التى ارتكبها فى مجال إدارة الحكومة الإسلاميّة والتى أدّت بالتالى إلى ثورة الناس عليه وانتهت بقتله، وكذلك تقدّم الكلام عن نقض طلحة والزبير لبيعتهم للإمام عليّ عليه السلام وتمرّدهم على خلافته، وكذلك واقعة بيعة الناس العامّة لأميرالمؤمنين عليه السلام ۱۰].

أمّا قصة كتابة رسالة إلى أهل الكوفة من قِبل الإمام عليه السلام فهى ذات تفاصيل متشعبة وقد أشار ابن أبى‌الحديد فى شرح نهج‌البلاغة بشكل موجز إلى هذه الحكاية، ويمكن الإشارة إلى خلاصة ما ورد فى كلامه:

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۱۵

ينقل ابن أبى‌الحديد عن محمد بن إسحاق أنّ الإمام عليّ عليه السلام أرسل محمد بن جعفر ومحمد بن أبى بكر إلى الكوفة، ولمّا قدما الكوفة استنفرا الناس، فدخل جماعة منهم على أبى موسى الأشعرى- وكان والياً على الكوفة فى زمن خلافة عثمان، وبعد مقتل عثمان أبقاه الإمام فى منصبه- ليلًا فقالوا له: أشِر علينا برأيك فى الخروج مع هذين الرجلين إلى عليّ عليه السلام، فقال أبوموسى

الأشعري- والذي كان رجلًا خبيثاً في سريرته وقد تجلى خبثه في هذا الموقع-: «أمّا سبيل الآخرة فالزموا بيوتكم، وأمّا سبيل الدنيا فاشخصوا معهما» فمنع بذلك أهل الكوفة من الخروج لنصرة الإمام عليه السلام.

وبلغ المحمَّدَين ذلك فأغلظا لأبي موسى الأشعري، فقال أبوموسى: «واللَّه إنّ بيعة عثمان لفي عنق عليّ وعنقي وعنقكما، ولو أردنا قتالًا ما كنّا لنبدأ بأحدٍ قبل قتلة عثمان»، فخرجا من عنده فلحقا بعليّ عليه السلام فأخبراه الخبر، فكتب الإمام عليه السلام رسالة لأبي موسى الأشعري، ولكنّ أبا موسى هدّد رسول الإمام بالقتل، وكتب الإمام رسالة أخرى لأبي موسى وأرسلها مع عبداللَّه بن عباس ومحمد بن أبي بكر وعزله من منصبه.

ولكنّ أبا موسى الأشعريّ استمرّ في مخالفته لأوامر الإمام عليه السلام، ثم إنّ الإمام عليّ عليه السلام أرسل مالك الأشتر، فشخص الأشتر نحو الكوفة، فأقبل حتى دخلها والناس في المسجد الأعظم، فجعل لا يمرّ بقبيلة إلّادعاهم وقال: اتبعوني إلى القصر، حتى وصل القصر، فاقتحمه وأبوموسى يومئذٍ يخطب الناس على المنبر ويثبّطهم، وعمّار يخاطبه، والحسن عليه السلام يقول: اعتزل عملنا وتنحّ عن منبرنا، لا امّ لك! فصاح به الأشتر: «أُخْرُجْ مِنْ قَصْرِنا لا امَّ لَكَ أخْرَجَ اللَّهُ نَفْسَكَ فَوَاللَّهِ إنَّكَ لَمِنَ الْمُنافِقِينَ قَدِيماً».

فلمّا رأى أبو موسى الأشعري ضعف موقعه واهتزاز مكانته قال: أجّلني العشيّة، قال: لقد أجّلتك ولا تبيتنّ في القصر.

نفحات الولاية، ج٩، ص: ١۶

وفي هذه الواقعة استطاع رُسل الإمام عليه السلام من تعبئة اثنى عشر ألف رجل من أهل الكوفة لنصرة الإمام عليه السلام وتوجّهوا إلى البصرة[١١].

٢. عند الإمتحان يكرم المرء أو يهان

من المعلوم أنّ غالبية أهل السنّة يذهبون إلى تنزيه الصحابة، يعني أنّ جميع الصحابة بدون استثناء هم أشخاص مؤمنون وعادلون وسيرتهم نقيّة، وقد أفرط البعض في هذا الأمر وسلك سبيل المبالغة إلى درجة أنّه ذهب إلى أنّ المخالف لأحد الصحابة هو زنديق وكافر، ومن هؤلاء ما ذكره «ابن حجر العسقلاني» في كتابه «الإصابة» نقلًا عن أبي زرعة الرازي قال: «إذا رأيت الرجل ينتقص أحد أصحاب رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فاعلم أنّه زنديق وذلك أنّ الرسول حقّ والقرآن حقّ وما جاء به حقّ، وإنّما أدّى إلينا ذلك كلّه الصحابة وهؤلاء يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنّة، والجرح بهم أولى، وهم زنادقة»[١٢].

عندما يواجه هؤلاء المؤرّخون الحوادث التاريخية المسلّمة من قبيل واقعة الجمل وأنّ طلحة والزبير وعائشة قد أشعلوا نار الحرب أمام خليفة المسلمين الذي بايعه المسلمون من المهاجرين والأنصار وقتل في تلك الواقعة أكثر من عشرة آلاف رجل وعلى رواية قتل سبعة عشر ألف فسوف يصاب بالحيرة والتردّد في الجواب لتبرير هذا العمل، وكذلك عندما يرى أنّ معاوية بن أبي سفيان وقف بوجه خليفة المسلمين الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام وما ترّتب على ذلك من حرب صفّين وتداعياتها المؤلمة ومقتل عشرات الاولوف من المسلمين وحتّى قتل بعض الصحابة، كعمّار بن ياسر على يد أتباع معاوية، فسوف يجد نفسه في ورطة ومتاهة عجيبة.

نفحات الولاية، ج٩، ص: ١٧

هؤلاء لا يستطيعون إنكار الحقائق التاريخية المسلّمة من جهة، ومن جهة أخرى لا يستطيعون التخلّي عن مقولة تنزيه الصحابة، ولذلك يتمسّكون بمنطق غريب.

فتارة يقولون: إنّنا لا ينبغي لنا أن نتحدّث عن الصحابة لأنّه «تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ»[١٣] بهذه الطريقة يوصدون نوافذ الفهم والإدراك على عقولهم، فهل يستطيع أيّ إنسان عاقل أن يغضّ بصره أمام الحقائق التاريخية التي تتضمّن بيان الكثير من المسائل التي نحتاجها في عالمنا المعاصر؟

وتارة أخرى يقولون: إنّ الصحابة مجتهدون كلّهم، وإنّ كلّ فرد منهم قد عمل باجتهاده، فالإمام عليّ عليه السلام عمل باجتهاده

وطلحة والزبیر وعائشة ومعاویة عملوا أیضاً باجتهادهم ولذلک هم معذورون أمام اللّه تعالی.

هؤلاء غفلوا عن أنّ الاجتهاد یتعلق بالمسائل النظریة التی تقع مورد الشک والتردد، وأمّا المسائل البدیهیة والمسلّمة فلا مجال للإجتهاد فیها، فهل یستطیع الشخص أن یقلب باجتهاده اللیل إلی نهار أو النهار إلی لیل؟ إنّ مسألة حرب الجمل أو صفّین والتی تعتبر ثورة ضدّ الحکومة الإسلامیّة المقبولة لدی المسلمین، وسفک دماء المسلمین بدوافع دنیویة ونوازع نفسانیة وحبّ المقام والمنصب، لا مجال للشک والتردد فی حرمته، فلا یقال حینئذٍ أنّ مثل هذا الشخص مجتهد فی ارتکاب هذا الفعل الشنیع، وإن أخطأ فی اجتهاده فهو معذور ومغفور!

لماذا لا یتخلّی هؤلاء الإخوة عن التعصّب ویعترفوا بأنّ صحابة النبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله حالهم حال سائر الناس من وجود الصالح والطالح فیهم؟

لقد تحدّث القرآن الکریم فی سورة البقرة، التوبة، الأحزاب، المنافقین وفی موارد عدیدة، عن المنافقین وذمّهم، فمن هؤلاء المنافقون؟ إنّ تعریف الصحابة المذکور ینطبق علیهم بشکل کامل، فلماذا یقول الإنسان شعراً یعجز عن الإتیان بالقافیة کما یقول المثل؟

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۱۸

ألیس من الأفضل القول بوجود جماعة فی زمان النبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله من المنحرفین والفاسقین، وجماعة أخری من الصالحین، والصالحون بدورهم علی قسمین:

فجماعة منهم استقاموا فی خط الصلاح والخیر والإیمان حتی بعد رحلة النبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله، وجماعة منهم انحرفوا عن جادّة الصواب والحقّ بسبب الأطماع الذاتیة، وقد اصیب العالم الإسلامی من جرّاء ذلک بمصائب کبیرة، أجل هؤلاء لم ینجحوا فی الامتحان الإلهّی بعد النبیّ الأکرم علیه السلام وسقطوا فی متاهات الضلالة وحبّ الدنیا.

وهکذا قیل: عند الامتحان یکرم المرء أو یهان ۱۴].

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۱۹

القسم الثانی

اشارة

وَاعْلَمُوا أَنَّ دَارَ الْهِجْرَةِ قَدْ قَلَعَتْ بِأَهْلِهَا وَقَلَعُوا بِهَا، وَجَاشَتْ جَیْشَ الْمِرْجَلِ، وَقَامَتِ الْفِتْنَةُ عَلَی الْقُطْبِ، فَأَسْرِعُوا إِلَی أَمِیرِکُمْ، وَبَادِرُوا جِهَادَ عَدُوِّکُمْ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ.

الشرح والتفسیر

یستطرد الإمام فی هذا القسم من الخطبة فی بیان ماهیة المتمرّدین فی البصرة والموقدین لنار الفتنة ویطلب من أهل الکوفة أن یستعدّوا لنصرة الإمام ومواجهة هذا العدوان وإطفاء نار الفتنة، ولذلک ومن أجل تحریضهم وإیجاد حافز لهم یقول:

«وَاعْلَمُوا أَنَّ دَارَ الْهِجْرَةِ قَدْ قَلَعَتْ بِأَهْلِهَا وَقَلَعُوا بِهَا، وَجَاشَتْ ۱۵] جَیْشَ الْمِرْجَلِ ۱۶]، وَقَامَتِ الْفِتْنَةُ عَلَی الْقُطْبِ ۱۷]».

والإمام علیه السلام یشیر هنا إلی اعتراضه علی جلوسهم غیر مکترثین بما یدور فی عاصمة الإسلام المدینة المنوّرة التی عاشت الغلیان والتقلّبات الکبیرة وقد تحرّک المؤمنون فی المدینة معی لإطفاء نار الفتنة التی أوقدها المناوئون فی البصرة.

ثم یضیف الإمام علیه السلام: «فَأَسْرِعُوا إِلَی أَمِیرِکُمْ، وَبَادِرُوا جِهَادَ عَدُوِّکُمْ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ».

نفحات الولايهٔ، ج۹، ص: ۲۰

وكما أسلفنا قبل قليل أنّ المراد من «دار الهجرهٔ» المدينهٔ المنورهٔ التى كانت معروفهٔ بهذا الاسم، وقد عاشت أكبر هجرهٔ فى تاريخ الإسلام وهى هجرهٔ المسلمين والنبىّ من مكهٔ إلى المدينهٔ، وأمّا ما ذكره بعضهم من احتمال أن يكون المراد الكوفهٔ أو كلّ بلاد الإسلام فهو احتمال بعيد جدّاً.

أمّا تشبيه المدينهٔ بالقدر الموضوع على المرجل وفى حال الغليان فهو بسبب ما عاشته المدينهٔ فى تلك الظروف من حوادث عصيبهٔ وتداعيات خطيرهٔ فى أواخر خلافهٔ عثمان وبعد مقتله.

والتعبير بكلمهٔ «قامت الفتنهٔ على القطب» إشارهٔ إلى فتنهٔ طلحهٔ والزبير وعائشهٔ، الذين خططوا لعزل الإمام علىّ عليه السلام عن مركز الخلافهٔ أو تجزئهٔ بلاد الإسلام بحيث تكون المدينهٔ والحجاز بيد الإمام علىّ عليه السلام، ويكون العراق والكوفهٔ والبصرهٔ بيد طلحهٔ والزبير وعائشهٔ، والشام من حصهٔ معاويهٔ، وهذه هى الفتنهٔ العظيمهٔ التى حذّر منها الإمام علىّ عليه السلام فى هذه الرسالهٔ.

إنّ هذه الرسالهٔ القصيرهٔ الغزيرهٔ المعنى أثّرت أثرها فى أهل الكوفهٔ فخرج منها أكثر من اثنىعشر ألف رجل لنصرهٔ الإمام عليه السلام فى معركهٔ الجمل وتوجّهوا إلى البصرهٔ، وكان لذلك دور مؤثر فى انتصار جيش الحقّ على المنافقين والناكثين فى معركهٔ الجمل.

واللافت أنّ الطبرى ينقل فى تاريخه عن أحد الرواهٔ ويدعى أبوالطفيل قال: قال علىّ عليه السلام: «يأتيكم من الكوفهٔ اثنا عشر ألف رجل ورجل، فقعدت على نجفهٔ ذىقار وأحصيتهم فما زادوا رجلًا ولا نقصوا رجلًا»[١٨].

تأمّل: مصير الناكثين

إنّ كلّ مؤرخ ومحقّق، بل كلّ إنسان عارف بوقائع معركهٔ الجمل، يعلم أنّ الإمام

نفحات الولايهٔ، ج۹، ص: ۲۱

علىّ عليه السلام مضافاً إلى كونه منصوباً للخلافهٔ بأمر النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله، فإنّ جماهير المسلمين بايعوه للخلافهٔ وقد استلم زمام الأمور ومقاليد الحكومهٔ الإسلاميّهٔ برصيد شعبى أقوى من الخلفاء السابقين، ولكن الطامعين بالثروهٔ والمقام انتفضوا عليه وسفكوا فى سبيل تحقيق نوازعهم الذاتيهٔ دماء كثيرهٔ، ومعلوم أنّ جميع هؤلاء المتمرّدين على الإمام من العصاهٔ والمذنبين ولا يقبل لهم أىّ عذر فى محكمهٔ العدل الإلهى.

ولكن الملفت للنظر أنّ ابن أبىالحديد فى «شرح نهجالبلاغهٔ» يتحدّث فى هذا المجال ويقول: «اختلف المتكلّمون فى حالها، أى عائشهٔ، وحال من حضر واقعهٔ الجمل، فقالت الإماميّهٔ: كفر أصحاب الجمل كلّهم الرؤساء والأتباع، وقال قوم من الحشويهٔ والعامهٔ: إجتهدوا فلا إثم عليهم ولا نحكم بخطئهم ولا خطأ علىّ عليه السلام وأصحابه.

وقال قوم من هؤلاء: بل نقول: «أصحاب الجمل أخطأوا ولكنّه خطأ مغفور، وكخطأ المجتهد فى بعض مسائل الفروع عند مَن قال بالأشبه، وإلى هذا القول يذهب أكثر الأشعريهٔ»[١٩].

وقال أصحاب المعتزلهٔ «وابن أبىالحديد منهم»: «كلّ أهل الجمل هالكون إلّامن ثبتت توبته منهم، قالوا: وعائشهٔ ممّن ثبتت توبتها، وكذلك طلحهٔ والزبير، أمّا عائشهٔ فإنّها اعترفت لعلىّ عليه السلام يوم الجمل بالخطأ، وسألت العفو، وقد تواترت الروايهٔ عنها بإظهار الندم، وأنّها كانت تقول: ليته كان لى من رسول اللّه صلى الله عليه و آله بنون عشرهٔ كلّهم مثل عبدالرحمن بن الحارث بن هشام، وثكلّتهم، ولم يكن يوم الجمل! وأنّها كانت تقول:

ليتنى متّ قبل يوم الجمل، وأنّها كانت إذا ذكرت ذلك اليوم تبكى حتى تبلّ خمارها.

وأمّا الزبير فرجع عن الحرب معترفاً بالخطأ، لمّا ذكّره على عليه السلام بما ذكّره، وأمّا طلحهٔ فحاله أيضاً حال الزبير ...»[٢٠].

نفحات الولايهٔ، ج۹، ص: ۲۲

وهنا يطرح هذا السؤال على ابن أبي‌الحديد وأمثاله، وهو أنّه إذا صدر عمل معيّن من شخص وأدّى إلى سفك دماء جماعة المسلمين، فهل يكفي إظهار الندم والتوبة أمام حقّ الناس العظيم أو ينبغي جبران هذا الحقّ؟

***

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۲۳

الرسالة ۲

اشارة

إلَيْهِمْ، بَعْدَ فَتْحِ الْبَصْرَةِ[۲۱]

نظرة إلى الرسالة

تقدّم آنفاً في بحث سند هذه الرسالة أنّها تمثّل مقطعاً صغيراً من رسالة مطوّلة كتبها الإمام عليّ عليه السلام بعد معركة الجمل، وتتضمّن تقدير أتعابهم وما بذلوه للإسلام وأهل بيت النبيّ صلى الله عليه و آله في قبولهم دعوة الإمام واشتراكهم معه في قمع المتمرّدين من أصحاب الجمل والثناء عليهم من موقفهم واستقامتهم في هذا السبيل.

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۲۵

وَجَزَاكُمُ اللَّهُ مِنْ أَهْلِ مِصْرٍ عَنْ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ أَحْسَنَ مَا يَجْزِي الْعَامِلِينَ بِطَاعَتِهِ، وَالشَّاكِرِينَ لِنِعْمَتِهِ، فَقَدْ سَمِعْتُمْ وَأَطَعْتُمْ، وَدُعِيتُمْ فَأَجَبْتُمْ.

الشرح والتفسير: إظهار الإمام عليه السلام رضاه عن أهل الكوفة

يتبيّن من هذه العبارة أنّ الإمام يدعو بها لأهل الكوفة ويشكر قيامهم وأتعابهم ويثني على مواقفهم ويصفهم بعدّة أوصاف مهمّة ويقول: «وَجَزَاكُمُ اللَّهُ مِنْ أَهْلِ مِصْرٍ عَنْ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ أَحْسَنَ مَا يَجْزِي الْعَامِلِينَ بِطَاعَتِهِ، وَالشَّاكِرِينَ لِنِعْمَتِهِ، فَقَدْ سَمِعْتُمْ وَأَطَعْتُمْ، وَدُعِيتُمْ فَأَجَبْتُمْ».

وبديهيّ أنّ المخاطب في الرسالة هم أهل الكوفة كما ذكر ذلك المرحوم السيد الرضيّ في عنوان هذه الخطبة وتؤيّد ذلك القرائن الحالية أيضاً، فإنّ أهل البصرة انضمّوا في غالبيتهم إلى جيش طلحة والزبير وقد ذمّهم الإمام عليه السلام في خطب أخرى في نهج‌البلاغة[۲۲]، ولكن أهل الكوفة هم الذين استجابوا لدعوة الإمام عليه السلام ونصروه في هذه المعركة الحاسمة وبذلك استحقّوا الشكر والثناء.

أضف إلى ذلك أنّ المستوحى من مجموع الرسائل، كما سيأتي في بحث الملاحظات نقلًا عن بعض مصادر أخرى، أنّ المخاطبين بهذه الرسالة هم أهل الكوفة.

وعبارة: «عَنْ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ» إشارة إلى أنّ قيامكم هذا لا يعتبر نصرة للإسلام والقرآن فحسب، بل نصرة لأهل‌البيت عليهم السلام أيضاً، وهذا يستوجب الثواب المضاعف لكم.

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۲۶

ويصف الإمام عليه السلام أهل الكوفة في هذه الرسالة بخمس صفات استحقّوا على أثرها دعاء الإمام لهم:

الأولى: العمل بطاعة اللّه عزّ وجلّ.

الثانية: أداء شكر نعمائه.

والثالثة: الاستماع لأوامره.

والرابعة: إطاعة أمره.

والخامسة: إجابة دعوته، وهذه كلّها في الحقيقة تعبيرات مختلفة عن حقيقة واحدة.

تأمّل: النصّ الكامل لرسالة الإمام عليه السلام لأهل الكوفة

لقد أورد المرحوم السيّد الرضي، وطبقاً لمنهجه الانتقائي الذي اتّبعه في «نهج‌البلاغة»، مقطعاً صغيراً جدّاًمن رسالة الإمام عليه السلام إلى أهل الكوفة، في حين أنّ هذه الرسالة غزيرة المحتوى وعميقة المضمون، ومن الجدير أن يستعرضها كلّها في هذه الفقرة، لأنّها تتضمّن فنوناً من البلاغة إضافة إلى نكات حساسة ومصيرية للمسلمين.

وقد أورد المرحوم العلّامة المجلسيّ في «بحار الأنوار» نصّ هذه الرسالة نقلًا عن كتاب «الكافية في ابطال توبة الخاطئة» (للشيخ المفيد) نقلًا عن أبي مخنف: ورد كتاب أميرالمؤمنين عليه السلام مع عمر بن سلمة الأرجيّ (الأرحبيّ) إلى أهل الكوفة، فكبّر الناس تكبيرة سمعها عامة الناس واجتمعوا لها في المسجد، ونودي بالصلاة جامعة فلم يتخلفّ أحدٌ وقرأ الكتاب و فيه:

«بِسْمِ‌اللَّهِ الرَّحمنِ الرَّحِيم مِنْ عَبْدِاللَّهِ أمِيرِالمُؤمِنينَ إلى قُرْظَةَ بْنِ كَعْبٍ (والى الكوفَةِ) وَمَنْ قِبَلَهُ مِنَ الْمُسْلِمينَ، سَلامٌ عَلَيْكُمْ، فَإنِّي أحْمَدُ إلَيْكُمُ اللَّهَ الّذي لَا إلهَ إلَّاهُوَ.

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۲۷

أمّا بَعْدُ، فَإنّا لَقِينا القَوْمَ النّاكِثِينَ لِبَيْعَتِنا وَالمُفارِقِينَ لِجَماعَتِنا، البَاغِينَ عَلَيْنا فِي امَّتِنا، فَحَجَجْناهُمْ فَحاكَمْنَاهُم إلى اللَّهِ فأدَالَنا عَلَيْهِم، فَقُتِلَ طَلْحةُ والزُّبَيْرُ وقَد تَقَدَّمْتُ إلَيْهِما بالمَعْذِرَةِ وأقْبَلْتُ إلَيْهِما بالنَّصِيحَةِ واسْتَشْهَدْتُ عَلَيْهِما صُلَحاءَ الامَّةِ فَما أطاعا المُرْشِدِين وَلا أجابا النّاصِحِينَ.

وَلاذَ أهْلُ البَغْيِ بِعَائِشَةَ فَقُتِلَ حَوْلَها مِنْ أهْلِ البَصْرَةِ عَالَمٌ جَسِيمٌ وَضَرَبَ اللَّهُ وَجْهَ بَقِيَّتِهِم فأدْبَروا فَما كانَتْ نَاقَةُ الحَجَرِ بأشْأَمَ عَلَيْهِم مِنْها على أهلِ ذلِكَ المِصْر مع ما جَاءَتْ بِه مِنَ الحَوْبِ الكَبِيرِ فِي مَعْصِيَتِها رَبَّها ونَبِيَّها واغتِرارَها في تَفْرِيقِ الْمُسْلِمينَ وسَفْكِ دِماءِ المُؤمِنِينَ بِلا بَيِّنَةٍ وَلا مَعْذِرَةٍ وَلا حُجَّةٍ ظاهِرَةٍ.

فَلَمّا هَزَمَهُمُ اللَّهُ أمَرْتُ أنْ لا يُتْبَعَ مُدْبِرٌ وَلا يُجازَ (وَلا يُجَهَّزَ) على جَرِيْحٍ وَلا يُكْشَفَ عَوْرَةٌ وَلا يُهْتَكَ سِتْرٌ ولا يُدْخَلَ دارٌ إلّابِإذْنٍ وآمَنْتُ النّاسَ.

وقَدِ اسْتُشْهِدَ مِنّا رِجالٌ صَالِحونَ ضاعَفَ اللَّهُ حَسَناتِهِم ورَفَع دَرَجاتِهِم وأثابَهُم ثَوابَ الصّادِقِينَ الصّابِرِينَ.

وجَزاكُمُ اللَّهُ مِن أهْلِ مِصْرٍ عَنْ أهْلِ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ أحْسَنَ جَزاءِ العَامِلِينَ بِطَاعَتِهِوالشّاكِرِينَ لِنِعْمَتِهِ فَقَدْ سَمِعْتُم وَأطَعْتُمْ وَأجَبْتُمْ إذا دُعِيتُم فَنِعْمَ الإخْوانِ والأعْوانِ على الحَقِ أنْتُمْ والسَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكاتُهُ»[۲۳].

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۲۹

الرسالة ۳

اشارة

لشـريح بن الحارث قاضيه ۲۴] وَرُوِیَ أَنَّ شُرَيْحَ بْنَ الْحَارِثِ قَاضِیَ أَمِيرِالْمُؤْمِنِينَ عليه السلام، اشْتَرَى عَلَى عَهْدِهِ دَاراً بِثَمَانِينَ دِينَاراً، فَبَلَغَهُ ذَلِکَ، فَاسْتَدْعَى شُرَيْحاً، وَقَالَ لَهُ:

نظرة إلى الرسالة

تعتبر هـذه الرسالـة فريدة فی حدّ ذاتها، وتبيّن موقف الإمام علیّ عليه السـلام من أحد قضاته المعروفين حين اشترى له داراً غالية الثمن نسبيّاً، ومضـمون الرسالة أنّ الإمام عليه السـلام بعد أن يوبّخ شـريح على شرائه لهذه الدار، يكتب له سنداً ووثيقة لها، ولكنّ هذا السند ليس كالأسـناد المتداولة للدور والعقارات، بل سند زاخر بالعبر والدروس ويتضمّن تغيّر الدنيا وعدم الوثوق بها، ويشير إلى غفلة الناس عن هذا الأمر واغترارهم بزخارفها وأنّهم بعيدون عن حقيقة الأمر، ولو أنّ شريح القاضی

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۳۰

اطّلع على هذا السند الأخلاقیّ قبل شرائه الدار كما يقول الإمام عليه السلام فسوف يصرف النظر عن شرائها.

والسؤال الـذی يفرض نفسه: لماذا اتّخـذ الإمام عليه السـلام هذا الموقف المتشدّد من شـريح القاضـی؟ هل أنّ شـريح قد اشترى تلك الدار من مال الحرام ومن الرشاوی؟

نستبعد هـذا الاحتمال فی حين أنّ الإمام عليه السـلام قد جعله قاضـی الكوفة وهو بهذا الحال، أو يقال: إنّ الإمام علیّ عليه السـلام فی هـذه الرسالة يريد أن يقول أنّ الشـخص إذا تولّى منصب القضاء بما فيه من ولاية على نفوس وأموال وأعراض الناس، فلابدّ أن يعيش بعيداً عن زخارف الدنيا والتكالب على مطامعها، ويكون قدوة للناس فی هذا المجال.

***

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۳۱

القسم الأوّل

اشارة

بَلَغَنِی أَنَّکَ ابْتَعْتَ دَاراً بِثَمَانِينَ دِينَاراً، وَكَتَبْتَ لَهَا كِتَاباً، وَأَشْهَدْتَ فِيهِ شُهُوداً.

فَقَالَ لَهُ شُرَيْحٌ: قَدْ كَانَ ذَلِکَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. قَالَ: فَنَظَرَ إِلَيْهِ نَظَرَ الْمُغْضَبِ ثُمَّ قَالَ لَهُ:

يَا شُرَيْحُ، أَمَا إِنَّهُ سَيَأْتِيکَ مَنْ لَايَنْظُرُ فِی كِتَابِکَ، وَلَا يَسْأَلُکَ عَنْ بَيِّنَتِکَ، حَتَّى يُخْرِجَکَ مِنْهَا شَاخِصاً، وَيُسْلِمَکَ إِلَى قَبْرِکَ خَالِصاً. فَانْظُرْ يَا شُرَيْحُ لَا تَكُونُ ابْتَعْتَ هَذِهِ الدَّارَ مِنْ غَيْرِ مَالِکَ، أَوْ نَقَدْتَ الثَّمَنَ مِنْ غَيْرِ حَلَالِکَ! فَإِذَا أَنْتَ قَدْ خَسِرْتَ دَارَ الدُّنْيَا وَدَارَ الْآخِرَةِ! أَمَا إِنَّکَ لَوْ كُنْتَ أَتَيْتَنِی عِنْدَ شِرَائِکَ مَا اشْتَرَيْتَ لَكَتَبْتُ لَکَ كِتَاباً عَلَى هَذِهِ النُّسْخَةِ، فَلَمْ تَرْغَبْ فِی شِرَاءِ هَذِهِ الدَّارِ بِدِرْهَمٍ فَمَا فَوْقُ.

الشرح والتفسير: من أين لک هذه الدار؟!

بعد أن استدعى الإمام عليه السلام شريح القاضی قال له: «بَلَغَنِی أَنَّکَ ابْتَعْتَ دَاراً بِثَمَانِينَ دِينَاراً، وَكَتَبْتَ لَهَا كِتَاباً، أَشْهَدْتَ فِيهِ شُهُوداً».

فَقَالَ لَهُ شُرَيْحٌ: «قَدْ كَانَ ذَلِکَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ».

قَالَ (الراوی): فَنَظَرَ إِلَيْهِ نَظَرَ الْمُغْضَبِ ثُمَّ قَالَ لَهُ:.

«يَا شُرَيْحُ، أَمَا إِنَّهُ سَيَأْتِيكَ مَنْ لَايَنْظُرُ فِى كِتَابِكَ، وَلَا يَسْأَلُكَ عَنْ بَيِّنَتِكَ، حَتَّى يُخْرِجَكَ مِنْهَا شَاخِصاً، وَيُسْلِمَكَ إِلَى قَبْرِكَ خَالِصاً».

نفحات الولايهٔ، ج۹، ص: ۳۲

وفى الحقيقهٔ أنّ الإمام عليه السلام يريد أن يقول- فى كلامه هذا- لشريح: إنّك وإن دعيت لتثبيت هذه الدار باسمك ومن خلال السند والوثيقهٔ لئلا يزاحمك عليها شخص آخر، ولكن عندما يأتى إليك ملك الموت فإنّه لا يعتنى بهذه الوثائق، بل يأخذك رغماً عنك ويخرجك من هذه الدار، لأنّ هذه الأسناد والمستمسكات إنّما تنفعك فى أمور الدنيا لا فى أمر الآخرهٔ، فلا تنفع الإنسان عندما يحين أجله ويتوجه إلى العالم الآخر.

وعبارهٔ «شاخص» من الشخوص، بمعنى المسافر، ومفهوم الجملهٔ هو: أنّك سوف تخرج من الدنيا إلى العالم الآخر كالمسافر.

واحتمل البعض أنّ كلمهٔ «شاخص» تعنى الشىء البيّن والظاهر للعيان، والإنسان عندما يرحل من هذا الدنيا يُحمل على الأكّف بشكل ظاهر للناس حيث يساق إلى قبره، ويحتمل أيضاً أنّ أحد معانى هذه الكلمهٔ هو الشخوص وتركّز البصر على شىء معيّن، وهذا يشير إلى أنّ الكثير من الناس عندما يحين أجلهم تشخص أبصارهم وتبقى مفتوحهٔ بدون حركهٔ وكأنّه ينظر إلى نقطهٔ معينهٔ، ولكنّ المعنى الأوّل أنسب من الجميع.

وجملهٔ: «وَيُسْلِمَكَ إِلَى قَبْرِكَ خَالِصاً» إشارهٔ إلى هذه الحقيقهٔ وهى أنّ الإنسان لا يحمل من أمواله ودنياه إلى القبر سوى الكفن.

وطبعاً هذا كلّه فى حال أنّه قد اشترى الدار من ماله الحلال والطيب والطاهر، ولكن إذا كان قد اشتراها من مال حرام ومشبوه، فإنّ المصيبهٔ أعظم، ولذلك يشير الإمام علىّ عليه السلام فى كلامه إلى هذه النقطهٔ ويقول: «فَانْظُرْ يَا شُرَيْحُ لَاتَكُونُ ابْتَعْتَ هَذِهِ الدَّارَ مِنْ غَيْرِ مَالِكَ ۲۵]، أَوْ نَقَدْتَ الثَّمَنَ مِنْ غَيْرِ حَلَالِكَ! فَإِذَا أَنْتَ قَدْ خَسِرْتَ دَارَ الدُّنْيَا وَ دَارَ الْآخِرَةِ».

نفحات الولايهٔ، ج۹، ص: ۳۳

وفى مقام الفرق بين جملهٔ «مِنْ غَيْرِ مَالِكَ وجملهٔ «مِنْ غَيْرِ حَلَالِكَ مع أنّهما متّحدان فى المعنى والمضمون ظاهراً، إلّاأنّه يمكن القول أنّ الجملهٔ الاولى إشارهٔ إلى المال الذى لا يعتبر من أموال الشخص ظاهراً، مثلًا يكون شريح قد اشترى هذه الدار ودفع ثمنها من بيت المال، وهذا المال ليس ماله ظاهراً وواقعاً، أمّا جملهٔ: «مِنْ غَيْرِ حَلَالِكَ فهى إشارهٔ إلى الأموال التى تعتبر من ماله ظاهراً وتحت تصرّفه، ولكنّه قد اكتسبها من طريق الرشوهٔ وغيرها من الطرق المشبوههٔ والمحرمهٔ.

وجملهٔ: «قَدْ خَسِرْتَ دَارَ الدُّنْيَا» ربّما تشير إلى أنّ المال الحرام يترتّب عليه آثار وضعيّهٔ خطيرهٔ ويؤدّى إلى شقاء الإنسان وايقاعه فى المهالك، كما ورد هذا المعنى فى الكلمات القصار لأميرالمؤمنين عليه السلام حيث يقول: «الْحَجَرُ الْغَصْبُ فِى الدَّارِ رَهْنٌ عَلى خَرابِها»[۲۶] أو أنّه إشارهٔ إلى أنّك ياشريح لو اشتريت هذه الدار من المال الحرام فإنّك عمّا قريب سوف تفتضح وتخسر الدنيا مضافاً إلى خسرانك الآخرهٔ.

ثم إنّ الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام يشير إلى نقطهٔ مركزيهٔ فى هذا المقام ويقول:

«أَمَا إِنَّكَ لَوْ كُنْتَ أَتَيْتَنِى عِنْدَ شِرَائِكَ مَا اشْتَرَيْتَ لَكَتَبْتُ لَكَ كِتَاباً عَلَى هَذِهِ النُّسْخَةِ، فَلَمْ تَرْغَبْ فِى شِرَاءِ هَذِهِ الدَّارِ بِدِرْهَمٍ فَمَا فَوْقُ».

وجملهٔ: «بِدِرْهَمٍ فَما فَوْقُ» يمكن أن يقصد بها أنّ الثمن درهم أو أكثر منه فى القلّهٔ كما ورد فى تفسير الآيهٔ الشريفهٔ: «إِنَّ اللَّهَ لَايَسْتَحْيِى أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا»[۲۷]. فهنا يقصد من هذا المثال الموجودات الصغيرهٔ ظاهراً كالبعوض وما هو أصغر منها.

نفحات الولايهٔ، ج۹، ص: ۳۵

القسم الثانى

اشارهٔ

وَالنُّسْخَةُ هَذِهِ:

«هَـذَا مَا اشْتَرَى عَبْدٌ ذَلِيلٌ، مِنْ مَيِّتٍ قَدْ أُزْعِجَ لِلرَّحِيلِ، اشْتَرَى مِنْهُ دَاراً مِنْ دَارِ الْغُرُورِ، مِنْ جَانِبِ الْفَانِينَ، وَخِطَّةِ الْهَالِكِينَ. وَتَجْمَعُ هَذِهِ الـدَّارَ حُـدُودٌ أَرْبَعَـةٌ: الْحَدُّ الْأَوَّلُ يَنْتَهِي إِلَى دَوَاعِي الْآفَاتِ، وَالْحَدُّ الثَّانِي يَنْتَهِي إِلَى دَوَاعِي الْمُصِيبَاتِ، وَالْحَدُّ الثَّالِثُ يَنْتَهِي إِلَى الْهَوَى الْمُرْدِي، وَالْحَـدُّ الرَّابِعُ يَنْتَهِي إِلَى الشَّيْطَانِ الْمُغْوِي، وَفِيهِ يُشْـرَعُ بَابُ هَـذِهِ الدَّارِ. اشْتَرَى هَذَا الْمُغْتَرُّ بِالْأَمَلِ، مِنْ هَذَا الْمُزْعَجِ بِالْأَجَلِ، هَذِهِ الـدَّارَ بِـالْخُرُوجِ مِنْ عِزِّ الْقَنَاعَـةِ، وَالـدُّخُولِ فِي ذُلِّ الطَّلَبِ وَالضَّرَاعَـةِ، فَمَـا أَدْرَكَ هَـذَا الْمُشْـتَرِي فِيمَـا اشْتَرَى مِنْهُ مِنْ دَرَكٍ فَعَلَى مُبَلْبِلِ أَجْسَـامِ الْمُلُوكِ، وَسَالِبِ نُفُوسِ الْجَبَابِرَةِ، وَمُزِيلِ مُلْكِ الْفَرَاعِنَةِ، مِثْلِ كِسْـرَى وَقَيْصَـرَ، وَتُبَّعٍ وَحِمْيَرَ، وَمَنْ جَمَعَ الْمَالَ عَلَى الْمَالِ فَأَكْثَرَ، وَمَنْ بَنَى وَشَيَّدَ، وَزَخْرَفَ وَنَجَّدَ، وَادَّخَرَ وَاعْتَقَدَ، وَنَظَرَ بِزَعْمِهِ لِلْوَلَـدِ، إِشْخَاصُـهُمْ جَمِيعاً إِلَى مَوْقِفِ الْعَرْضِ وَالْحِسَابِ، وَمَوْضِعِ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ: إِذَا وَقَعَ الْأَمْرُ بِفَصْلِ الْقَضَاءِ «وَخَسِرَ هُنالِكَ الْمُبْطِلُونَ» شَهِدَ عَلَى ذَلِكَ الْعَقْلُ إِذَا خَرَجَ مِنْ أَسْرِ الْهَوى وَسَلِمَ مِنْ عَلَائِقِ الدُّنْيَا».

الشرح والتفسير: وثيقة عديمة النظير

في سياق ما ورد في القسم الأول من هـذه الرسالة، وطبقاً لبعض الروايات فإنّ شـريح القاضـي طلب من الإمام عليه السـلام وثيقة هذه الدار فأوصاه الإمام عليه السلام بأن يكتب

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۳۶

هـذه الوثيقة بهذه العبارة: «هَذَا مَا اشْتَرَى عَبْدٌ ذَلِيلٌ، مِنْ مَيِّتٍ قَدْ أُزْعِجَ ۲۸] لِلرَّحِيـلِ، اشْتَرَى مِنْهُ دَاراً مِنْ دَارِ الْغُرُورِ، مِنْ جَانِبِ الْفَانِينَ، وَخِطَّةِ[۲۹] الْهَالِكِينَ».

والجدير بالذكر أنّ المتداول في تنظيم الأسناد والمستمسكات لزوم رعاية ستّ جهات:

۱. اسم البائع والمشتري.

۲. عنوان الدار أو العقار مورد المعاملة.

۳. الحدود الأربعة لها وموقع الباب الرئيسي.

۴. الثمن والقيمة.

۵. تعيين المسؤول في حالة انكشاف الغشّ والخلل.

۶. الشهود.

هنا نرى أنّ الإمام عليّ عليه السلام في هذه الوثيقة التي كتبها لشريح يبدأ بذكر صفات المشتري والبائع ثم يشير إلى عنوان محلّ الدار كما ذكر في العبارة أعلاه.

ثم إنّ الإمام عليه السلام أشار إلى الجهة الثالثة: يعني تعيين حدود الدار الأربعة وقال:

«وَتَجْمَعُ هَـذِهِ الـدَّارَ حُدُودٌ أَرْبَعَةٌ: الْحَدُّ الْأَوَّلُ يَنْتَهِي إِلَى دَوَاعِي ۳۰] الْآفَاتِ، وَالْحَـدُّ الثَّانِي يَنْتَهِي إِلَى دَوَاعِي الْمُصِيبَاتِ، وَالْحَدُّ الثَّالِثُ يَنْتَهِي إِلَى الْهَوَى الْمُرْدِي، وَالْحَدُّ الرَّابِعُ يَنْتَهِي إِلَى الشَّيْطَانِ الْمُغْوِي ۳۱]، وَفِيهِ يُشْرَعُ ۳۲] بَابُ هَذِهِ الدَّارِ».

وبما أنّ الإنسان يعيش في هـذه الـدنيا محاطاً بأربعة عوامل خطيرة: أحدها: ما يصـيب الإنسان من آفات وبلايا، ومن السـيل والأمراض والحروب التي تفرض على

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۳۷

الإنسان نفسـها، والآخر: المصائب التي يبتلى بها الإنسان في داخله، من قبيل فقدان بعض أعضاء البدن أو موت الأعزّة والأقرباء وأمثال ذلك من مصائب الدنيا، ومن جهة ثالثة ورابعة، ما يواجهه الإنسان من إفرازات الأهواء والشـهوات التي تضـغط على الإنسان من داخله وتقوده إلى مهاوي الرذيلة، والشيطان الذي يوسوس للإنسان من خارجه كما يقول الإمام عليه السلام عنه: «الشَّيْطَانِ الْمُغْوِي».

هـذه العوامـل الأربعـة تحيـط بالإنسـان من كـلّ الجهـات، ويسـتطيع الإنسان من خلال تهـذيب النفس والسيطرة على الأهواء والنوازع النفسانيـة وكبـح جمـاح الشـهوات وبالتصـدّى بحزم لوسـاوس الشـيطان أن يخلّص نفسه من هـذين العـاملين الآـخرين، ولكنّ الآفـات والمصائب التى تصـيب جميع الناس بلا استثناء غير قابلة للاجتناب، ولذلك يقول الإمام عليه السلام فى مورد آخر عن الدنيا أنّها: «دارٌ بِالْبَلاءِ مَحْفُوفَةٌ وَبِالْغَدْرِ مَعْرُوفَةٌ»[۳۳].

والتعبير ب «دَوَاعِى فيما يخّص الآفات والمصائب، إشارة إلى الأسباب التى تحيط بالإنسان وتنغّص معيشته.

والتعبير ب «الْهَوَى الْمُرْدِى إشـارة إلى الأـهواء والشـهوات التى تقود الإنسان فى خطّ الضـلالة والهلكـة المادّيـة والمعنويّـة، لأنّ «ردى بمعنى الهلكة أو الأهواء والنوازع النفسانية التى تسوق الإنسان نحو هاوية السـقوط، لأنّ اتباع هوى النفس يؤدّى إلى أن يهوى الإنسان من مقام الإنسانية السامى ويسقط فى أعماق جهنّم.

وجملـة: «وَفِيهِ يُشْـرَعُ بَابُ هَـذِهِ الـدَّارِ» إشـارة إلى أنّ طريق نفوذ الشـيطان يكمن فى بـاب هـذه الـدار الخطيرة، رغم أنّ سائر العوامل الأخرى تؤثّر بدورها فى زعزعة استقرار الإنسان وسوقه فى خطّ الرذيلة والسقوط المعنوىّ.

وفى سـياق هذا الكلام يبيّن الإمام عليه السـلام القسم الرابع من هذه الوثيقة ويقرّر أنّ المشترى لهذه الدار مَن يتّصف بالصفات التالية: «اشْتَرَى هَذَا الْمُغْتَرُّ بِالْأَمَلِ، مِنْ هَذَا

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۳۸

الْمُزْعَجِ بِالْأَجَلِ، هَذِهِ الدَّارَ بِالْخُرُوجِ مِنْ عِزِّ الْقَنَاعَةِ، وَالدُّخُولِ فِى ذُلِّ الطَّلَبِ وَالضَّرَاعَةِ[۳۴]».

أى أنّ ثمن الدار هو أن يخرج الإنسان من عزّ القناعة ويرتدى لباس الذّل والحرص وحبّ الدنيا.

إنّ عبارات الإمام عليه السـلام فى هذا المقطع من الرسالة وأشكال التجانس والتضادّ الموجود فى هذه الجمل مثيرة للإنتباه: «خروج» و «دخول»، «عزّة» و «ذلّة»، «قناعة» و «حرص».

وفى العبارات أعلاه نشاهد كلمات من الجناس المطلوب مثل: «آفات» و «مصيبات» و «مردى» و «مغوى».

ثم إنّ الإمام عليه السلام يشرع فى بيان النقطة الخامسة المتعلّقة بسند ملكيّة هذه الدار وتعيين المسؤول فى مقابل كشف الخلل والضرر والخسارة الناشئة منها ويقول: «فَمَا أَدْرَكَ هَذَا الْمُشْتَرِى فِيمَا اشْتَرَى مِنْهُ مِنْ دَرَك فَعَلَى مُبَلْبِلِ أَجْسَامِ الْمُلُوكِ، وَسَالِبِ نُفُوسِ الْجَبَابِرَةِ، وَمُزِيـلِ مُلْـكِ الْفَرَاعِنَـةِ، مِثْـلِ كِسْـرَى وَقَيْصَـرَ، وَتُبَّعٍ وَحِمْيَرَ، وَمَنْ جَمَعَ الْمَـالَ عَلَى الْمَالِ فَأَكْثَرَ، وَمَنْ بَنَى وَشَـيَّدَ، زَخْرَفَ وَنَجَّدَ، وَادَّخَرَ وَاعْتَقَدَ، وَنَظَرَ بِزَعْمِهِ لِلْوَلَدِ».

إنّ روح كلاـم الإمـام عليه السـلام فى هـذا المقطع من الرسالـة يقرر أنّه إذا اكتشف الإنسـان غشّـاً وفسـاداً أو عيباً ونقصاً فى المعاملـة، فينبغى أن يكون أحـدهم مسؤولًا عن هـذا الضـرر والعيب، وكـذلك إذا تبيّن أنّ المتاع أو البضاعـة مغصوبة ومن أملاك الغير، فيجب العمـل طبقاً للعقـد المكتوب فى المعاملـة، وهنا يقول الإمام عليه السـلام: ينبغى التوجّه بالمسؤوليـة وجبران هـذه النقائص إلى عزرائيل ملك الموت الذى بيده قبض أرواح الملوك وهدم الحكومات، والمزيل لملك الفراعنة والقياصرة وأمثالهم من الجبابرة الذين قصروا همّتهم على جمع الأموال وبناء القصور وتشييد المنازل الفخمة

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۳۹

والإكثار من استملاك الضياع والعقار، فهؤلاء كلّهم محكومون بالفناء والزوال من واقع الحياة.

«مبلبـل من مـادة «بلبلـة» على وزن «مزرعـة» ولهـا معانٍ متعـدّدة، فأحياناً تأتى بمعنى التشويش والاضـطراب، وأحياناً أخرى تأتى بمعنى الفرقـة والتشـرذم، و «ثالثـة» بمعنىالفسـاد، وفى هـذه العبـارة الأـنسب هوالمعنى الأـخير وهو الفسـاد والمرض الـذى يترتّب على سـلب النفوس من جراء زوال الملك الوارد فى العبارة أعلاه.

وينبغى الالتفات إلى أنّ مفردة «كسـرى» الواردة فى كلام الإمام عليه السـلام هى فى الأصل من «خسرو»، ولها مفهوم عامّ يشمل جميع

ملوک الفرس کما أنّ مفردة «قیصر» تستعمل لجمیع ملوک الروم، أمّا «تبع» فتستعمل لملوک الیمن وحِمیر (وکذلک لبعض الملوک فی الیمن) وکلّها تأتی بمعنی الملک والسلطان رغم تنوّع التعبیر لکلّ قوم من الأقوام.

وجملة: «مَنْ بَنَى وَشَیَّدَ» یحتمل فیه معنیان نظراً لوجود کلمة «تشیید» التی تأتی معنی تقویة البناء وکذلک علوّه وارتفاعه، ولا مانع من الجمع بینهما، أی الأشخاص الذین یشیدون الأبنیة والعمارات المرتفعة والقویّة.

وعبارة: «زَخْرَفَ وَنَجَّدَ» کل واحدة منها تشیر إلی نوع من أشکال الزینة، «زخرف» إشارة إلی تزیین البناء والعمارة، و «نجّد» إشارة إلی تزیین الوسائل والأدوات من قبیل الفرش والأثاث والستائر وأمثال ذلک.

جملة: «اعتقد» التثبت والترکیز والاهتمام بدقّة فی حفظ وتنظیم الأسناد والمدارک حیث یسعی طلّاب الدنیا بوسواس کبیر فی حفظ ذخائرهم وأموالهم من خلال هذه الأسناد وحفظها من عدوان الآخرین وإبعادهم عن ممتلکاتهم وهم یظنون أنّها باقیة لأبنائهم من بعدهم.

ثم إنّ الإمام علیه السلام فی سیاق هذه الوثیقة یقول: «إِشْخَاصُهُمْ [۳۵] جَمِیعاً إِلَى مَوْقِفِ

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۴۰

الْعَرْضِ وَالْحِسَابِ، وَمَوْضِعِ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ: إِذَا وَقَعَ الْأَمْرُ بِفَصْلِ الْقَضَاءِ «وَخَسِرَ هُنالِکَ الْمُبْطِلُونَ»[۳۶]».

وکلمة: «إشخاصهم» طبقاً للتفسیر أعلاه یقع مبتدأ، و «إِلَى مَوْقِفِ الْعَرْضِ» بمنزلة الخبر[۳۷] ولکن جمع من مفسّری «نهج‌البلاغة» ذهبوا إلی أنّ (إشخاص) مبتدأ مؤخّر، وجملة: «فَعَلى مُبَلْبِلِ أَجْسامِ الْمُلُوکِ ...» خبر مقدّم، وعلی ضوء ذلک یکون مفهوم الجملة: إنّ ملائکة الموت التی تزلزل أجساد الملوک والسلاطین وتقبض أرواحهم وتزیل سلطانهم هم المسؤولون عن کشف الخلل والفساد فی الأملاک الدنیویة یوم القیامة وعند موقف العرض والمیزان الأعمال.

أجل، إنّ جمیع أشکال القدرة والهیمنة معرّضة للزوال، وجمیع الثروات والأموال ستبقی بعد رحیل الإنسان من هذه الدنیا، «کُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَکُمْ یَوْمَ الْقِیَامَةِ ...»[۳۸] ویحضرون إلی‌الحساب وینالون جزاءهم من‌الثواب والعقاب.

وفی ختام هذه الوثیقة یشیر الإمام علیه السلام، کما فی الأسناد والمدارک الدنیویة، إلی الشهود لهذه المعاملة المعنویة، ویقول: «شَهِدَ عَلَى ذَلِکَ الْعَقْلُ إِذَا خَرَجَ مِنْ أَسْرِ الْهَوَى وَسَلِمَ مِنْ عَلَائِقِ الدُّنْیَا».

وبما أنّ الشاهد یجب أن یکون عادلًا وثقة فإنّ الإمام علیه السلام یقول فی هذا الصدد:

إنّ العقل یمکنه أن یکون شاهداً علی هذا الأمر إذا خرج عن أسر الأهواء النفسانیة وتخلّص من العلائق المادیة والدنیویة التی من شأنها تکبیل العقل وحجبه عن درک الحقیقة.

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۴۱

وعلی هذه الأساس یبیّن الإمام علیّ علیه السلام بأجمل صورة وأبلغ بیان، الأرکان السّتة لهذه السند المعنویّ.

تأمّلان

۱. الباعث لکتابة السند

هذا السند العجیب الذین کتبه الإمام علیّ علیه السلام لأحد قضاته یستحقّ الدراسة والتمعّن من عدّة جهات:

الأولی: إنّ ثمانین دیناراً لهذه الدار لم یکن بالثمن الباهض للدار، ولکن بما أنّ المشتری لهذه الدار أحد القضاة، ومعلوم أنّ القاضی یقع دائماً فی دائرة الاتّهام والوساوس النفسانیة، فمن هذه الجهة لم یرتضِ الإمام علیه السلام لشریح دفع هذا الثمن من المال للدار.

أضف إلی ذلک فنحن نعلم أنّ عصر حکومة وخلافة الإمام علیه السلام جاءت بعد سنوات مریرة وخطیرة من خلافة عثمان التی

اقترنت بمظاهر الإسراف والتبذير بشكل واسع لبيت المال، وتوجّه بعض رموز المجتمع الإسلاميّ للحياة المرفّهة، والتوغّل فی التجمّل والثراء، ومن أجل أن يتصدّى الإمام لهذه الظاهرة الخطيرة ويوقف هذا التيار عند حدّه، كان يكثر فی خطبه وكتبه الواردة فی «نهجالبلاغة» من التحذير من زخارف الدنيا وبريقها الخادع واتّخذ لنفسه أيضاً حياة الزهد والتقشّف، وفی حين أنّه يقف على رأس الحكومة الإسلاميّة لم يكن مستعدّاً أبداً أن يعطی لأخيه عقيل شيئاً- ولو قليلًا- من بيت المال، وعندما أُخبر بأنّ واليه على البصرة (عثمان بن حنيف) استجاب لدعوة أحد أثرياء تلك المدينة وجلس على مائدة يستطاب فيها أنواع الأطعمة وقد دعى معه طبقة من الأشراف والأغنياء ولم يدعَ إليها الفقراء، اغتمّ لذلك بشدّة وكتب إليه رسالة شديدة اللهجة يوبّخه فيها على عمله واستجابته لدعوة الأغنياء.

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۴۲

كلّ ذلك من أجل أن يغيّر الإمام علیّ عليه السلام تلك الثقافة الخاطئة والمنافية للتعاليم الإسلاميّة، ويعيد المسلمين إلى ثقافة الإسلام الأصيلة التی عاشوها فی عصر النبیّ الأكرم صلى الله عليه و آله، ومعلوم أنّ شراء القصورالفخمة والبيوت المجلّلةالباهضة الثمن و التّی ربّما تكون أغلى بكثير من دار شريح، كان متداولًا بين الطبقة المترفة من المسلمين، ولكن هذه الرسالة كانت بمثابة إنذار للجميع أن يأخذوا حذرهم ويحسبوا حسابهم وخاصة من المنتسبين للحكومة الإسلاميّة ليكونوا على فاق تامّ مع توجّهات الحكومة الإسلاميّة.

ومعلوم أيضاً أنّ هذه الرسالة قد انتشرت فی ذلك الوقت بين الناس من يد لأخرى وقد اطّلع الكثير على مضمونها وأنّ الإمام عليه السلام كتب رسالة بهذه المضمون إلى شريح القاضی، وبالتالی انتبه البعض إلى تطّلعات الإمام عليه السلام وربّما أدّى بالبعض الآخر أن يوفّق مسيرته وسلوكياته مع تعاليم الإمام عليه السلام خوفاً من اعتراض الناس.

هذه الرسالة لا تخّص ذلك العصر والزمان، بل تمتدّ بمضمونها وفحواها إلى عصرنا هذا والمستقبل، وتصدّق على جميع الأجيال والعصور ولا تختصّ بطائفة معيّنة أو شريحة خاصّة من الناس.

نحن اليوم نرى بعض الأشخاص يبذلون الكثير من الأموال لبناء الدور الفخمة ويتعبون أنفسهم فی تشييدها بأغلى الزينة ويشترون لها الكثير من الأثاث وغير الأثاث واللوازم غير الضرورية ويجلبون لها من التحف والزخارف والأمور النفيسة من شتّى بقاع العالم وأحياناً ينفقون عمرهم لبناء هذه الدار وربّما ينتهی عمرهم دون أن ينتهی البناء، وغنیّ عن البيان أنّ مثل هذه النفقات الباهضة لا يمكن للإنسان توفيرها من طريق مشروع، وبالتالی يكون وزرها وإثمها على عاتقه، بينما يستفيد منها الآخرون.

۲. من هو شريح؟

شريح بن الحارث، أبواميّة من قبيلة «بنی كندة» وما ذكره البعض من كونه شريح

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۴۳

بن هانی فهو خطأ، ولكن هناك بحث بين المؤرّخين هل أنّ شريح من الصحابة أم لا؟ فقد ورد فی كتاب «اسد الغابة»: أنّ شريح أدرك عصر رسول اللَّه صلى الله عليه و آله ولكنّه لم يحضَ بلقائه، وقال بعضهم: إنّه لقی النبیّ الأكرم صلى الله عليه و آله وأسلم على يده وقال شريح:

يارسول اللَّه! أنا من اسرة كثيرة العدد فی اليمن، فقال النبیّ الأكرم صلى الله عليه و آله: فإتِ بهم.

ولكنّه عندما أتی باسرته إلى المدينة كان النبیّ قد رحل من هذه الدنيا.

يقول ابن الأثير فی «اسدالغابة»: كان عمر بن الخطّاب قد نصبه قاضياً للكوفة وبقی على هذا المنصب إلى زمان أميرالمؤمنين علیّ بن أبی طالب عليه السلام، وقد أبقاه الإمام فی منصبه لسابقته فی هذا العمل، ولكن طبقاً للرواية المعتبرة الواردة فی كتاب «وسائل الشيعة»: أنّ الإمام عليه السلام اشترط عليه أن لا- يصدر حكماً دون اطّلاعه وإعلامه: «لَمّا ولّی أميرُالْمُؤْمِنينَ شُرَيْحاً القَضاءَ اشْتَرَطَ عَلَيْه أنْ لا

يُنْفِذَ الْقَضاءَ حَتّى يَعْرِضَهُ عَلَيْهِ»[۳۹].

وبقى شريح فى هذه المنصب إلى زمان الحجّاج.

وذهب جماعة من المؤرّخين أنّ شريحاً كان ذكياً وبارعاً، ولكنّ هذا لا يعنى أنّه لم يتركب بعض الأخطاء الفاحشة فى أمر القضاء والتى وردت موارد منها فى كتب الحديث ۴۰].

كتب الدميرى صاحب كتاب «حياة الحيوان»: قيل للشعبىّ (وهو من التابعين) يقال فى المثل «إنَّ شُرَيْحاً كانَ أدْهى مِنَ الثَّعْلَب وأحْيَل»، فما هذا؟

فقال: خرج شريح أيّام الطاعون إلى النجف، فكان إذا قام يصلّى يجىء ثعلب فيقف تجاهه ويحاكيه ويخيّل بين يديه ويشغله عن صلاته، فلما طال ذلك عليه نزع قميصه فجعله على قصبة وأخرج كميّه وجعل قلنسوته عليها، فأقبل الثعلب فوقف بين يديه على عادته فأتاه شريح من خلفه وأخذه بغتة فلذلك يقال: «إنَّ شُرَيْحاً كانَ

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۴۴

أدْهى مِنَ الثَّعْلَب وأحْيَل»[۴۱].

ويرى ابن خلكان أنّ شريحاً كان من التابعين رغم أنّه أدرك عصر الجاهلية وقال ابن خلكان: إنّ شريحاً جلس على كرسى القضاء خمس وستين عاماً وفى طيلة هذه المدة لم يترك القضاء سوى ثلاث سنوات فى زمن فتنة عبداللّه بن الزبير، وقد استقال من منصبه فى زمان الحجّاج ولم يمارس القضاء إلى آخر عمره.

وذكر المؤرخون أنّه كان أمرداً.

أمّا فيما يخصّ عمره فهناك خلاف، حيث ذهب بعض إلى أنّه بلغ من العمر مائة وعشرين سنة، وذهب آخرون إلى عمره مائة وعشر سنوات، بينما ذكر آخرون أقلّ من هذا وأكثر.

ولا شكّ أنّ شريحاً قد اصيب فى خاتمة عمره بسوء العاقبة، وأحد الشواهد على ذلك القصّة التى يذكرها الطبرى فى تاريخه عن أبى مخنف، يقول: حدّثنى الصقعب ابن زهير عن عبدالرحمن بن شريح قال: سمعته يحدّث إسماعيل بن طلحة، قال:

دخلت على هانى بن عروة (فى زمن إمارة ابن زياد على الكوفة) فلمّا رآنى قال: يا للّه، يا للمسلمين أهلكت عشيرتى فأين أهل الدين وأين أهل المصر، إيّاى يخلّون وعدوّهم وابن عدوّهم، والدماء تسيل على لحيته، إذ سمع الرجّة على باب القصر، وخرجت واتبعنى فقال: يا شريح إنّى لأظنّها أصوات مذحج وشيعتى من المسلمين، إن دخل علىَّ عشرة نفر أنقذونى، قال: فخرجت إليهم ومعى حميد بن بكر الأحمرىّ- أرسله معى ابن زياد- وكان من شرطته وممّن يقوم على رأسه، وأيم اللّه لولا مكانه معى لكنت أبلغت أصحابه ما أمرنى به، فلمّا خرجت إليهم قلت: إنّ الأمير لمّا بلغه مكانكم ومقالتكم فى صاحبكم أمرنى بالدخول إليه، فأتيته ونظرت إليه فأمرنى أن ألقاكم وأن اعلمكم أنه حىّ وأنّ الذى بلغكم من قتله كان باطلًا، فقال عمرو وأصحابه: فأمّا إذ لم يقتل فالحمد اللّه، ثم انصرفوا[۴۲].

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۴۵

فلمّا انصرف الناس أقدم ابن زياد على قتل هانى، وفى الحقيقة أنّ شريحاً كان يعلم أنّ هانى فى خطر، فلماذا أمر أصحابه وأنصار بالعودة والانصراف وقدّم رضا ابن زياد على رضا اللّه عزّ وجلّ؟! إنّ المواقف غير المسؤولة أو السكوت المشبوه فى مقابل استشهاد الإمام الحسين عليه السلام وأسر ذرّيته وأهل بيته والمجىء بهم إلى الكوفة، كلّها شواهد أخرى على خبث طبعه وضعف نفسه واهتزاز إيمانه، فلو أنّ شريحاً لم يأمر قبيلة بنى مذحج بالعودة عندما أحاطوا بدار الإمارة، فإنّه من الممكن أن تتغيّر أوضاع الكوفة وتنقلب الموازين ضدّ قوى الكفر والانحراف ويكون مصير ثورة الإمام الحسين عليه السلام بشكل آخر[۴۳].

يستفاد من رواية أبى مخنف فى كتابه (مقتل الحسين) أنّ المختار عندما ولى أمر الكوفة عزل شريحاً من منصبه بسبب تقصيره فى أمر

نصرة الإمام الحسين عليه السلام ۴۴].

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۴۷

الرسالة ۴

اشارة

إلى بَعْضِ أُمَراءِ جَيْشِهِ ۴۵]

نظرة إلى الرسالة

إنّ مضمون هذه الرسالة بيّن وجليّ، فالإمام عليّ عليه السلام يأمر فيها أحد قادة جيشه الذى كان يواجه فئة من المنحرفين والعصاة أن يأخذهم بالنصيحة والعودة إلى خطّ الطاعة والإيمان، فإن لم يقبلوا فيجب عليه استخدام القوّة فى سبيل إسكات هذا التمرد وإطفاء نار الفتنة.

وكما سنشير لاحقاً أنّ المخاطب لهذه الرسالة هو عثمان بن حنف والى البصرة والذى كان فى ذلك الوقت قائداً لجيش الإمام عليه السلام فى تلك المنطقة، ومن هنا عبّر السيّد الرضيّ فى عنوان هذه الرسالة أنّها: «إلى بَعْضِ أُمَراءِ جَيْشِهِ».

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۴۹

فَإِنْ عَادُوا إِلَى ظِلِّ الطَّاعَةِ فَذَاكَ الَّذِى نُحِبُّ، وَإِنْ تَوَافَتِ الْأُمُورُ بِالْقَوْمِ إِلَى الشِّقَاقِ وَالْعِصْيَانِ فَانْهَدْ بِمَنْ أَطَاعَكَ إِلَى مَنْ عَصَاكَ، وَاسْتَغْنِ بِمَنِ انْقَادَ مَعَكَ عَمَّنْ تَقَاعَسَ عَنْكَ، فَإِنَّ الْمُتَكَارِهَ مَغِيبُهُ خَيْرٌ مِنْ مَشْهَدِهِ، وَقُعُودُهُ أَغْنَى مِنْ نُهُوضِهِ.

الشرح والتفسير: يجب إقالة الضعفاء

قبل البحث فى تفسير هذه الرسالة لابدّ من الالتفات إلى شأن صدورها، فقد ذكر المرحوم الشيخ المفيد فى كتاب الجَمَل:

«لمّا ثمّ أمر البيعة لأميرالمؤمنين علىّ بن أبى طالب عليه السلام واتّفق على طاعته عامّة بنى هاشم و وجوه المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان، وأيس طلحة والزبير ممّا كانا يرجو انه بقتل عثمان من بيعة الناس لأحدهما بالإمامة، وتحقّقت عائشة بنت أبى بكر تمام الأمر لأميرالمؤمنين عليه السلام واجتماع الناس عليه وعدو لهم عن طلحة والزبير و كانت تعلم أن كثيراً من الناس يميل لها لمكانها عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله وأنها من أمّهات المسلمين، و ....

ولمّا عرف طلحة والزبير من حالها وحال القوم، عملا على اللحاق بها والتعاضد على شقاق أميرالمؤمنين عليه السلام وسارا إلى مكّة خالِعَيْنِ الطاعة ومفارِقَين الجماعة، فلما وردا إليها فيمن تبعهما من أولادهما وخاصتهما، طافا بالبيت طواف العمرة وسعيا بين الصفا والمروة، وبعثا إلى عائشة عبداللّه بن الزبير وقالا له: إمضِ إلى خالتك فاهدِ

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۵۰

إليها السلام منّا وقل لها: إنّ طلحة والزبير يقرء انك السلام ويقولان لك: إنّ أميرالمؤمنين عثمان قتل مظلوماً، وأنّ على بن أبى طالب ابتزّ الناس أمرهم وغلبهم عليه بالسفهاء الذين تولّوا قتل عثمان ونحن نخاف انتشار الأمر به، فإن رأيتِ أن تسيرى معنا، لعل اللّه يرتق بك فتق هذه الامّة ويشعب بك صدعهم ويلمّ بك شعثهم ويصلح بك امورهم، فأتاها عبداللّه فبلّغها ما أرسلاه به، فأظهرت الامتناع من إجابتهما إلى الخروج عن مكة وقالت: يا بنى لم آمر بالخروج لكنى رجعت إلى مكة لأعلم الناس ما فعل بعثمان إمامِهم ....

فقال لها عبداللّه: فإذا كان هذا قولك فى علىّ يا امّه، ورأيك فى قاتلى عثمان فما الذى يقعدك عن المساعدة على جهاد علىّ وقد حضرك من المسلمين من فيه غنىً وكفاية فيما تريدين! فقالت: يا بنىّ افكّر فيما قلتَ وتعود إلىّ ... ولما كان الغد أجابت إلى الخروج ....

إن عائشة وطلحة والزبير لما ساروا من مكة إلى البصرة أغذّوا السير مع من اتبعهم من بنى‌اميّة وعمال عثمان وغيرهم من قريش حتى صاروا إلى البصرة فنزلوا حفر أبى‌موسى فبلغ عثمان بن‌حنيف وهو عامل البصرة يومئذٍ وخليفة أميرالمؤمنين عليه السلام».

فكتب عثمان بن حنيف كتاباً لأميرالمؤمنين عليه السلام يعلمه فيه بدخول عائشة وطلحة والزبير البصرة ويطلعه على مجريات الأمور فيها، فكانت هذه الرسالة- مورد البحث- جواباً على رسالة عامله عثمان بن حنيف، يأمره فيها والمخلصين له من أهل البصرة بالوقوف بوجه المتمردين وقتالهم [۴۶].

والآن نأتى إلى شرح هذه الرسالة، فالإمام يقول فيها: «فَإِنْ عَادُوا- أى المتمرّدين الذين لم يمتثلوا الأوامر فى جيش طلحة والزبير، فعليكم بتقديم النصحية لهم- إِلَى ظِلِّ الطَّاعَةِ فَذَاكَ الَّذِى نُحِبُّ، وَإِنْ تَوَافَتِ [۴۷] الْأُمُورُ بِالْقَوْمِ إِلَى

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۵۱

الشِّقَاقِ والْعِصْيَانِ فَانْهَدْ[۴۸] بِمَنْ أَطَاعَکَ إِلَى مَنْ عَصَاکَ وَاسْتَغْنِ بِمَنِ انْقَادَ مَعَکَ عَمَّنْ تَقَاعَسَ [۴۹] عَنْکَ .

والتعبير ب «ظِلِّ الطَّاعَةِ» تعبير لطيف ويشير إلى أنّ العصيان والتمرّد ومخالفة أوامر الحاكم الإسلامىّ حالها حال الشمس المحرقة، بينما الطاعة والسكينة وامتثال أوامر القادة العدول بمثابة الظلّ الوارف الذى يعمّ خيره المجتمع الإسلامىّ.

والفرق بين الشقاق والعصيان، أنّ الشقاق بمعنى الفرقة والانفصال، وأمّا العصيان والتمرّد فشىء أعلى وأشدّ من مجرّد الافتراق عن جماعة المسلمين.

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام يشير فى ختام هذه الرسالة إلى الدليل على أمره هذا ويقول:

«فَإِنَّ الْمُتَكَارِهَ [۵۰] مَغِيبُهُ [۵۱] خَيْرٌ مِنْ مَشْهَدِهِ، وَقُعُودُهُ أَغْنَى مِنْ نُهُوضِهِ».

وهذا هو ما ذكر القرآن الكريم عن بعض المنافقين فى سورة التوبة وقال: «لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ»[۵۲].

فالعناصر الضعيفة التى تخاف من النزول إلى ساحة القتال وتكره مواجهة الأعداء لا تزيد الجيش الإسلامىّ إلّاضعفاً، وبالتالى فإنّ غيابهم وعدم حضورهم أفضل من مشاركتهم فى المواجهة الحاسمة.

تأمّلان

۱. جرائم الناكثين فى معركة الجمل

يستفاد من تاريخ الطبرى وبعض الكتب الأخرى وكذلك فى خطبة ۱۷۲ التى

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۵۲

سبق وأن شرحناها بالتفصيل أنّ عثمان بن حنيف بعد ورود طلحة والزبير وجيشهما إلى البصرة جاء إلى هذه المدينة ومعه أمر من الإمام علىّ عليه السلام بمواجهة المتمرّدين وعناصر الشغب فى البصرة إلى أن يأتى إليها الإمام عليه السلام بنفسه، ولكنّ أهل البصرة انقسموا إلى فئتين: فئة تقول بوجوب نصرة الإمام علىّ عليه السلام ضد مناوئيه، وفئة أخرى تؤيّد المخالفين والمتمرّدين وتقول بوجوب نصرة عائشة زوجة النبىّ وأنصارها، وكانت هناك بعض المناوشات بين هاتين الفئتين، والجدير بالذكر أنّ (جارية بن قدامة) وهو أحد رؤساء قبائل البصرة جاء إلى عائشة فقال: ياامّ المؤمنين، واللّه فإنّ قتل عثمان بن عفّان أهون من خروجكِ من بيتكِ على

هـذا الجمل الملعون عرضـة للسـلاح، إنّه قـد كان لک من اللّه ستر وحرمـة فهتكتى ستركِ وأبحتى حرمتكِ، إنّه من رأى قتالک فإنّه يرى قتلكِ، إن كنتِ أتيتنا طائعة فارجعى إلى منزلكِ وإن كنتِ أتيتنا مستكرهة فاستعينى بالناس.

وعلى أيّة حال، فإنّ طلحة والزبير وأتباعهم كانوا قد لبسوا الدروع تحت لباسـهم وجاؤوا إلى المسـجد عند الفجر لإقامة صـلاة الصبح، وجاء عثمان بن حنيف إلى المسـجد وهو لا يعلم بمجريات الأمور ليصـلّى بالناس أيضاً، فجاءه أنصار طلحـة والزبير وسـحبوه من ردائه وقدّموا الزبير للصـلاة، وكانت طائفة من حراس بيت المال يدعون «السـبابجة» أخرجوا الزبير من المسجد ووضعوا عثمان مكانه، ولكنّ أنصار الزبير هجموا عليهم ودفعوا عثمان بن حنيف وأتباعه من موقعهم، واسـتمرّ هذا التدافع والمناوشات إلى طلوع الشـمس، فصاحت جماعة: ياأصحاب محمّد اتّقوا اللّه فإنّ الشمس قد أوشكت على الطلوع فكيف الصلاة؟ وأخيراً تغلّب الزبير وأنصاره وأقام الزبير صلاة الصـبح بالناس، وبعد الصـلاة هجم الزبير مع أنصاره المسلّحين على عثمان بن حنيف وأتباعه وقبضوا عليه وضربوه حتى كاد أن يموت ونتفوا شعر رأسه ولحيته وأهدابه، وعذّبوا جماعة من أنصاره وقتلوهم.

وقد أشار الإمام علىّ عليه السلام فى الخطبة ۱۷۲ إلى هذه القضيّة وقال: «فَوَاللَّهِ لَوْ لَمْ

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۵۳

يُصِيبُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا رَجُلًا وَاحِداً مُعْتَمِدِينَ لِقَتْلِهِ، بِلَا جُرْمٍ جَرَّهُ، لَحَلَّ لِى قَتْلُ ذلِکَ الْجَيْشِ، كُلِّهِ»[۵۳].

وطبعاً فإنّ هـذه المناوشات غير ما حـدث من تنازع واختلاف بين طلحـة والزبير على مسألـة إمامـة الصـلاة، حيث كان كلّ منهما يريد إمامة الجماعة فتوسّطت عائشة بينهما وتقرّر أن يصلّى بالناس عبداللّه بن الزبير.

وقـد ارتكب أتباع طلحة والزبير وعائشة فى هذة المدّة جرائم عجيبة، منها أنّهم قتلوا «السـبابجة» الذين كان عددهم سـبعين رجلًا وقيل: أربعـة نفر، وقطعوا رؤوسـهم بأمر من عائشـة، وقد اسـتمرّت هذه الأوضاع الدامية إلى أن جاء الإمام علىّ عليه السـلام وجيشه وسـحقوا المتمرّدين والناكثين فى معركـة الجمل وقتل طلحـة والزبير وأرسل الإمام عليه السـلام عائشـة مع جماعـة من الحرس إلىالمدينة، وعاد الهدوء والأمن إلى البصرة[۵۴].

۲. على مَن يمكن الاعتماد؟

وقـد أشار الإمام علىّ عليه السـلام فى هـذه الرسالـة إلى نقطـة مهمّة جديرة بتدبّر واهتمام جميع القادة والعسـكريين، وهى أنّه لا ينبغى الاعتماد على العناصـر المهزوزة وضـعيفة الإرادة فى حسابات المعركة، ولا ينبغى تحشيدهم لمجرّد تكثير السواد فى ميدان القتال، لأنّ ضررهم وخطرهم أكثر من نفعهم، فعـدم حضور هؤلاـء المزيّفين، فى ميـدان القتال يوجب السـكينة والطمأنينـة فى قلوب المجاهـدين وبالعكس فإنّ حضورهم ومشاركتهم تؤدّى إلى اهتزاز الموقف وتشويش النوايا واضطراب الدوافع.

وقـد ورد فى القرآن الكريم ما يشـبه هذا المعنى كما أسـلفنا فى معركة تبوک (وكذلک معركة احد) وفى المورد الأول يقول القرآن الكريم: «لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ ما

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۵۴

زادُوكُمْ إِلَّا خَبالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ»[۵۵]. والفتنة هنا العمل على إيجاد الفرقة والنفاق وتمزيق الصف.

وبالنسـبة لغزوة أُحـد تقـول الآيـة الشـريفة بعـدها: «لَقَـدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَـةَ مِنْ قَبْـلُ وَقَلَّبُـوا لَـکَ الْأُمُورَ حَـتَّى جـاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كارِهُونَ»[۵۶] أى أنّ هؤلاء كان قد سبق أن طلبوا الفتنة وتشويش الأمور فى معركة احد.

وخلاصـة الكلام، أنّ الآيات الشـريفة أعلاه تبيّن لجميع المسـلمين درساً مهمّاً وهو أنّه لا ينبغى لهم الاهتمام بزيادة عدد الجيش وكثرة الجنود، بل ينبغى الاهتمام بكسب واختيار الأشخاص الذين يتمتّعون بروح الإيمان والإخلاص مهما كان عددهم قليلًا، كما يظهر ذلک من الآيات الشريفة التى تتحدّث عن قصّة بنى اسرائيل وطالوت وجالوت: «كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ»[۵۷].

نفحات الولايهٔ، ج۹، ص: ۵۵

الرسالهٔ ۵

اشارهٔ

إلى الأشْعَثِ بْنِ قَيْسٍ عامِلِ أذَرْبيجان [۵۸]

نظرهٔ إلى الرسالهٔ

هذه الرسالهٔ تشير فى الأساس إلى نقطهٔ واحدهٔ، وهى أنّ المقامات والمناصب فى الحكومهٔ الإسلاميّهٔ ليست وسيلهٔ للوصول إلى المال والثروهٔ وما إلى ذلك، بل هى أمانات إلهيّهٔ يجب مراعاتها بدقهٔ والالتزام بلوازمها من موقع الوعى والإيمان، ولهذا السبب لا ينبغى استخدام وسائل الإكراه ومنهج الاستبداد فى إدارهٔ الامور وكذلك لزوم الاحتياط التام فى التعامل مع بيت المال.

نفحات الولايهٔ، ج۹، ص: ۵۷

وَإِنَّ عَمَلَکَ لَيسَ لَکَ بِطُعْمَـةٍ وَلكِنَّهُ فِى عُنُقِکَ أَمَانَةٌ، وَأَنْتَ مُسْتَرْعًى لِمَنْ فَوْقَکَ. لَيسَ لَکَ أنْ تَفْتَاتَ فِى رَعِيَّةٍ، وَلَا تُخَاطِرَ إِلَّا بِوَثِيقَةٍ، وَفِى يَدَيْکَ مَالٌ مِنْ مَالِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَنْتَ مِنْ خُزَّانِهِ حَتَّى تُسَلِّمَهُ إِلَىَّ، وَلَعَلِّى أَلَّا أَکُونَ شَرَّ وُلَاتِکَ لَکَ، وَالسَّلَامُ

الشرح والتفسير: المناصب الحكوميّهٔ فى الإسلام أمانهٔ إلهيّهٔ

كما أشرنا آنفاً أنّ السيد الرضى الذى أورد هذه الرسالهٔ نقل مقطعاً من رسالهٔ مفصلهٔ وردت فى كتاب وقعهٔ صفين، ويستفاد من هذه الرسالهٔ أنّ الأشعث بن قيس وبسبب السوابقه السيئهٔ كان يشعر بالقلق على موقعه بعد استلام الإمام علىّ عليه السلام مقاليد الخلافهٔ فربّما عزله الإمام عليه السلام عن إمارهٔ آذربايجان وبذلک اتّخذ من معركهٔ الجمل وقتل عثمان ذريعهٔ للتمرّد على حكومهٔ الإمام عليه السلام، ومن أجل ذلک والحيلولهٔ دون وقوع الفتنهٔ، كتب له الإمام عليه السلام هذه الرسالهٔ ليتدارک أمره وقد ذكر فى بدايتها:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحيم مِنْ عَبْدِاللَّهِ عَلِيٍّ أَميرِ الْمُؤْمِنينَ إِلَى الأَشْعَثِ بْنِ قَيْسٍ أَمَّا بَعْدُ، فَلَوْ لَاهَنَاتٌ وَهَنَاتٌ كُنَّ مِنْکَ لَكُنْتَ الْمُقَدَّمُ فى هذَا الأَمْرِ قَبْلَ النَّاسِ وَلَعَلَّ آخِرَ أَمْرِکَ يَحْمَدُ أَوَّلَهُ، وَيَحْمِلُ بَعْضُهُ بَعْضاً، إن اتَّقَيْتَ اللَّهَ- عَزَّ وَجَلَّ».

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام، فى سياق هذه الرسالهٔ، أشار إلى قتل عثمان وبيعهٔ الناس له وتمرّد طلحهٔ والزبير ونقضهم البيعهٔ له وأضاف: أنّهما أخرجا عائشهٔ من بيتها إلى البصرهٔ وأنّى قد سرت إليهم مع ثلّهٔ من المهاجرين والأنصار حتى اصطفّ الجيشان

نفحات الولايهٔ، ج۹، ص: ۵۸

وتقابل جيش الحقّ مع زمرهٔ المتمرّدين والمخالفين وطلبت منهم الكفّ عن التمرّد والعناد والعودهٔ إلى البيعهٔ والوفاء بالعهود، وقد أتممت عليهم الحجّهٔ ولكنّهم لم يقبلوا إلّا بالقتال، وما كان من أمر المعركهٔ ما كان ودارت عليهم الدائرهٔ وجرح بعضهم وفرّ الآخرون، وقد أمرت أن لا- يجهز على المجروحين ولا- يتمّ تعقيب الهاربين وكل من ألقى سلاحه على الأرض ورجع إلى داره وأغلق بابه عليه فهو آمن [۵۹].

ثم إنّ الإمام عليه السلام فى هذه المقطع من الرسالهٔ الذى ينقله السيّد الرضىّ يقول محذّراً بجملتين ذات معنى عميق: «وَإِنَّ عَمَلَکَ لَيْسَ لَکَ بِطُعْمَةٍ [۶۰] وَلكِنَّهُ فِى عُنُقِکَ أَمَانَةٌ، وَأَنْتَ مُسْتَرْعًى لِمَنْ فَوْقَکَ».

التعبير أعلاه يبيّن رؤيهٔ الإسلام للمناصب الحكوميهٔ والمسؤوليات التى تقع على عاتق أصحاب الشأن السياسى، ومن وجهة نظر الإسلام

أنّ رئيس الحكومـة، الوزراء، الامراء، والولاة، ليسوا سوى امناء يتولّون إدارة أمور المجتمع الإسـلامىّ ويتحمّلون الأمانة الإلهيّة فى هذا الشأن، فلا ينبغى اسـتخدام هـذه المناصب وسـيلة لاحراز التفوق وتغليب المصالـح الشخصـية والتوصّل إلى المآرب الذاتية والفئوية بل ينبغى مراعاة هذه المسؤولية كالشخص الأمين الذى يجب عليه إعادة الأمانة سالمة إلى أهلها.

وقـد ورد هـذا المعنى فى روايات عديدة فى تفسـير الآية الشـريفة: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا»[۶۱]، فإنّ هذه الأمانة هى الولاية وحكومة الأولياء الصالحين ۶۲].

وطبعاً أنّ تفسير هذه الآية لا يعنى أنّ مفهوم الآية ينحصر فى أمر الحكومة

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۵۹

والإمامة، بل هى من المصاديق البارزة والمهمّة لهذا المفهوم الأخلاقى الواسع.

ثم إنّ الإمام عليه السـلام بعد أن يتقدّم للأشـعث بهذا الإنذار يبيّن ثلاث وظائف له بوصفه والياً، فيقول أوّلًا: «لَيْسَ لَکَ أَنْ تَفْتَاتَ ۶۳] فِى رَعِيَّةٍ[۶۴]».

بـل يجب عليـك العمـل وفق الموازين الإلهيّـة وما ورد فى تعاليم الإسـلام عن حقوق اللّه، لا أن تتصـرّف كما يحلو لك، وتتعامل مع الرّعية كما يتعامل السيّد مع عبيده.

ثم إنّ الإمام عليه السـلام يقرّر الأمر الثانى ويقول: «وَلَا تُخَاطِرَ إِلَّا بِوَثِيقَةٍ». أى أنّه لا ينبغى لك فى الأعمال المهمّة والخطيرة أن تتسـرّع وتقدم عليها بدون اطمئنان من النتائج.

ومع الالتفات إلى أنّ جملـة «وَلَا تُخَاطِرَ» من مادة خطر، وأنّ كلمة خطير تسـتخدم للأمور المهمّة بسـبب الأخطار المترتبة عليها، فيكون مراد الإمام عليه السـلام من هذه العبارة هو اجتناب الإقدام على أىّ عمل مصيرىّ للناس والمجتمع إلّابعد التأمل والدقّة والمشورة، وإذا لزم الأـمر يجب الاستئـذان من الإمام والقائـد الأعلى، لأنّه من أجل حفظ الأمانات المهمّـة لابـدّ من الامتناع من أى عمل خطير، وعلى ضوء ذلك فإنّ مفردة «وثيقة» تستوعب فى مضمونها التفكر والتأمل وكذلك المشورة والاستئذان من الإمام عند اللزوم.

وفى الأمر الثالث الذى أكّد عليه الإمام عليه السلام فيما يتّصل بحفظ الأموال وبيت‌المال،

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۶۰

قال عليه السلام: «وَفِى يَدَيْکَ مَالٌ مِنْ مَالِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَنْتَ مِنْ خُزَّانِهِ حَتَّى تُسَلِّمَهُ إِلَىَّ».

وفى نهايـة هـذه الرسالـة يثير الإمام علىّ عليه السـلام فى نفس واليه الطمأنينـة بأنّه إذا سار فى الخطّ السـليم وحفظ هـذه الأمانة الإلهيّة ورعى شؤون هذه المسؤولية فالإمام عليه السـلام لا يتعرّض له بأىّ مكروه وسيكون فى أمان من المؤاخذة، يقول: «وَلَعَلِّى أَلَّا أَكُونَ شَرَّ وُلَاتِکَ لَکَ وَالسَّلَامُ».

وبديهىّ أنّ هذا التعبير زاخر بالتواضع ومفعم بالابوّة.

تأمّلات

۱. دستور كامل

اللافت أنّ الإمام عليه السلام فى هذا المقطع القصير من الرسالة بيّن جميع ما ينبغى عمله لمسؤول سياسىّ فى الحكومة الإسلاميّة، ففى البداية بيّن حقيقة منصبه وماهيّة هذه المقام ليعيش الوالى الوعى الكامل بمقتضـيات هذا المقام وأنّه ليس سوى أمين لا حاكم متسلّط على رقاب الناس.

ثمّ يلفت الإمام عليه السلام النظر إلى أوّل شىء يصيب الولاة فى عمليّة الحكم وهو مسألة الاستبداد بالرأى وترجيح الرغبات الشخصية

والرؤى الذاتية على منافع الناس ومصالح الامّة، وخاصّة أنّ الإمام عليه السلام استخدم فى هذه العبارة مفردة «الرعيّة» التى توحى بمفهوم ضرورة مراعاة هذه الطبقة ولزوم النظر فى مصالحهم وتقديم النفع الجمعى فى سلّم الأوليات.

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام يأمر واليه بأن لا يحسب الأمور الاجتماعية المهمّة كالأمور الشخصيّة، فلا ينبغى أن يتسرّع فى اتّخاذ التدابير الخطيرة بدون النظر إلى أبعادها وآثارها فى المجتمع، وأن لايتصرّف من دون الاطمئنان والنظر إلى عواقبها وتداعياتها.

وأخيراً أشار الإمام عليه السلام إلى أحد العوامل التى تؤدّى إلى فساد وانهيار الحكومات وهى مسألة الأموال والثروات العامّة واعتبر هذه الأموال «مال اللّه» وهذا هو التعبير

نفحات الولاية، ج ٩، ص: ٦١

الذى ورد فى القرآن الكريم عندما تحدّث عن العبيد الذين تحرّروا من ربقة الرّق والأمر الشرعى بإعطائهم المال الكافى لمزاولة العمل والكسب وأداء ديونهم فقال تعالى: «وَآتُوهُمْ مِنْ مالِ اللَّهِ الَّذِى آتاكُم»[٦٥].

ثم إنّ الإمام عليه السلام يأمر واليه بوصفه أميناً وخازناً لمال اللّه ويأمره بالمحافظة على هذا المال إلى أن يصل بيد الإمام ويتمّ توزيعه على مستحقيّه.

وفى ختام الرسالة يثير الإمام عليه السلام الاطمئنان فى نفس واليه أنّه لو لم ينحرف عن جادّة الصواب ومسير الحق فإنّه سيكون فى أمان من المؤاخذة والعقوبة، ولكنّ الإمام عليه السلام فى ذات الوقت يحذّر من مغبّة عدم العمل بالنصائح الثلاث المذكورة لهذه الرسالة وأنّه ينبغى للأشعث أن ينتظر العواقب السّيئة من جرّاء عدم امتثال الأوامر.

وممّا يجدر ذكره أنّ نصر بن مزاحم يذكر فى كتاب «صفّين»: «لمّا كتب عليه السلام إلى الأشعث مع ماضيه الأسود، قال الأشعث لأصحابه: قد أوحشنى وهو آخذنى بمال آذربايجان، وأنا لاحق بمعاوية، فقالوا: الموت خير لك من ذلك، أتدع مصرك وجماعة قومك وتكون ذَنَباً لأهل الشام، فسار حتّى قدم عليه عليه السلام». فانتبه الأشعث إلى خطئه وجاء أخيراً إلى الإمام عليه السلام وسكن فى الكوفة»[٦٦].

٢. من هو الأشعث بن قيس؟

تقدّم فى الجزء الأول من هذه الدورة وفى ذيل الخطبة ١٩ أنّ الإمام علىّ عليه السلام كتب رسالة شديدة اللهجة للأشعث بن قيس، وكتبنا شرحاً وافياً عن حال الأشعث واسمه الحقيقى، معدى كرب وبسبب شعره الجعد سمّى بالأشعث بحيث غلب على اسمه الأصلىّ وبقى هذا الاسم الثانى متداولًا ومعروفاً بين الناس.

وللأشعث ماضٍ أسود وسوابق سيئة كثيرة، فقد ارتكب الكثير من الجرائم فى

نفحات الولاية، ج ٩، ص: ٦٢

عصر الجاهلية وتمّ أسره من قِبل أعداء قومه واضطرّ قومه إلى دفع مبلغ كبير كفدية لتحريره من الأسر.

أمّا تاريخه المظلم فيشير إلى أنّه كان من المنافقين، وكان فى زمان حكومة الإمام علىّ عليه السلام- كما يذكر ذلك بعض المؤرّخين- الأساس والأصل لجميع المفاسد والخلل فى المجتمع الإسلامىّ، وقد عمل مع عمرو بن العاص فى حرب صفّين لإيجاد النفاق والبلبلة فى صفوف جيش الإمام عليه السلام.

وقد نُصّب الأشعث بن قيس والياً على آذربايجان، وبعد ذلك أبقاه الإمام عليه السلام فى منصبه- طبقاً لرواية- مداراة له لئلّا يتوجّه إلى الشام ويلتحق بمعاوية.

واللافت أنّ أبابكر زوّج اخته ام فروة للأشعث ليأمن خطره، ولدت له هذه المرأة ثلاثة أبناء أحدهم محمّد الذى كان أحد قادة جيش ابن زياد فى كربلاء لمواجهة الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه، وكانت للأشعث بنت تسمى جعدة، ونعلم جميعاً أنّها زوجة الإمام

الحسن علیه السلام وقد أقدمت على قتل الإمام الحسن المجتبى علیه السلام بالسّم، ومعلوم أنّ الأشعث أیضاً کان من الأشخاص الذین اشترکوا فی قتل أمیرالمؤمنین الإمام علیّ علیه السلام ۶۷].

ونختم هذا الکلام بحدیث عن أمیرالمؤمنین علیّ علیه السلام حول الأشعث حیث قال علیه السلام مخاطباً الناس: «أَیُّهَا النَّاسُ إِنَّ الْأَشْعَثَ لَایَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَهٍ وَإِنَّهُ أَقَلُّ فِی دِینِ اللَّهِ مِنْ عَفْطَهِ عَنْز»[۶۸].

والجدیر بالذکر أنّ الأشعث أصبح والیاً على آذربایجان فی عهد خلافهٔ عمر ابن الخطاب وبقی فی هذا المنصب فی عهد عثمان وکذلک بقی فیه لمدّهٔ معینهٔ من خلافهٔ الإمام علیّ علیه السلام.

نفحات الولایهٔ، ج۹، ص: ۶۳

۳. آذربایجان فی خارطهٔ البلاد الإسلامیّهٔ سابقاً

یستفاد من کتاب «فتوح البلدان» للبلاذری و «تاریخ الطبری» و «معجم البلدان» للحموی بشکل إجمالیّ أنّ منطقهٔ آذربایجان تمّ فتحها فی عام ۲۰ للهجرهٔ تقریباً ودخلت فی دائرهٔ البلاد الإسلامیّهٔ، ولکن لم تمض فترهٔ وجیزهٔ حتّى قامت جماعهٔ من الأقوام المعادیهٔ واستولت على تلک المنطقهٔ، فبعث الخلیفهٔ الثانی الأشعثَ بن قیس واستطاع فتحها مرّهٔ ثانیهٔ وبقی الأشعث والیاً على تلک المنطقهٔ.

أمّا حدود آذربایجان فی ذلک الوقت فکانت أوسع من آذربایجان الحالیهٔ حیث کانت تضمّ مضافاً إلى مدینهٔ تبریز، خویی سلمان وارومیهٔ وأردبیل ومناطق من کیلان ومازندران أیضاً وکانت تمتد من جهۀ الغرب إلى الحدود الرسمیهٔ الحالیهٔ، یقول الحموی: «تعتبر هذه المنطقهٔ مملکهٔ عظیمهٔ وتتمتع ببرکات کثیرهٔ وهی منطقهٔ خضراء وفیرهٔ المیاه وفیها عیون کثیرهٔ» ویقول الیعقوبی فی تاریخه: «إنّ معاویهٔ کان یستلم فی کلّ عام ثلاثین ألف ألف درهم من خراج آذربایجان، وهذا یشیر إلى وسع تلک المنطقهٔ ووفرهٔ خیراتها»[۶۹].

نفحات الولایهٔ، ج۹، ص: ۶۵

الرسالهٔ ۶

اشارهٔ

إلى مُعاوِیَهَ[۷۰]

نظرهٔ إلى الرسالهٔ

کان الإمام علیّ علیه السلام یهدف من خلال هذه الرسالهٔ إلى إتمام الحجّهٔ على معاویهٔ من خلال عدّهٔ أمور:

الأول: إنّ بیعته من قِبل المهاجرین والأنصار حالها حال بیعهٔ الناس للخلفاء السابقین (بل أفضل منها من جهات معیّنهٔ) وعلى هذا الأساس لا یحقّ لأیّشخص مخالفهٔ هذه الحکومهٔ الشرعیهٔ ویجب على الجمیع الامتثال والطاعهٔ والعمل على التنسیق معها لإدارهٔ الأمور.

الثانی: إنّ الأشخاص الذین یقطنون فی المناطق البعیدهٔ من منطقهٔ البیعهٔ یجب علیهم حال وصول خبر بیعهٔ المهاجرین والأنصار لشخص معیّن أن یبایعوا بدورهم

نفحات الولایهٔ، ج۹، ص: ۶۶

کما بایعوا فی الماضی.

الثالث: إنّ کلّ شخص إذا أراد الخروج من دائرهٔ هذه البیعهٔ یجب إعادته إلى الطاعهٔ، فإن امتنع وقاوم وتمرّد على الحکومهٔ الشرعیهٔ

فيجب على المسلمين التصدى له ومقاتلته.

الرابع: إنّ جعل قتل عثمان ذريعة للتمرّد وعدم البيعة أمر غير صحيح وغير معقول، لأنّ الإمام علىّ عليه السلام لم يتدخّل إطلاقاً فى قتل عثمان.

وفى الختام وطبقاً لما ورد فى كتاب نهج‌البلاغة، يدعو الإمام علىّ عليه السلام معاوية أن يبايع رسوله ووكيله جريربن عبداللّه ويعمل على إطفاء نار الحرب والفتنة بهذا العمل.

***

إِنَّهُ بَايَعَنِى الْقَوْمُ الَّذِينَ بَايَعُوا أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ عَلَى مَا بَايَعُوهُمْ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَكُنْ لِلشَّاهِدِ أَنْ يَخْتَارَ، وَلَا لِلْغَائِبِ أَنْ يَرُدَّ، وَإِنَّمَا الشُّورَى لِلْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، فَإِنِ اجْتَمَعُوا عَلَى رَجُلٍ وَسَمَّوْهُ إِمَاماً كَانَ ذلِكَ لِلَّهِ رِضًا، فَإِنْ خَرَجَ عَنْ أَمْرِهِمْ خَارِجٌ بِطَعْنٍ أَوْ بِدْعَةٍ رَدُّوهُ إِلَى مَا خَرَجَ مِنْهُ، فَإِنْ أَبَى قَاتَلُوهُ عَلَى اتِّبَاعِهِ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ، وَوَلَّاهُ اللَّهُ مَا تَوَلَّى وَلَعَمْرِى، يَا مُعَاوِيَةُ، لَئِنْ نَظَرْتَ بِعَقْلِكَ دُونَ هَوَاكَ لَتَجِدَنِّى أَبْرَأَ النَّاسِ مِنْ دَمِ عُثْمَانَ، وَلَتَعْلَمَنَّ أَنِّى كُنْتُ فِى عُزْلَةٍ عَنْهُ إِلَّا أَنْ تَتَجَنَّى فَتَجَنَّ مَا بَدَا لَكَ! وَالسَّلَامُ.

الشرح والتفسير

تقدّم فى بيان سند هذه الرسالة أنّ ما أورده السيّد الرضىّ من هذه الرسالة يمثّل مقطعاً من رسالة مطولة أرسلها الإمام علىّ عليه السلام بعد واقعة الجمل إلى معاوية بيد جرير بن عبداللّه البجلى وهو من مشاهير الصحابة.

وفى بداية هذه الرسالة كما أوردها صاحب نهج‌البلاغة الكامل رقم الكتاب ۲۹ ولم ينقله السيّد الرضىّ، جاء فيه أنّ الإمام بعد الحمد والثناء قال: «إِنَّهُ بَايَعَنِى الْقَوْمُ الَّذِينَ بَايَعُوا أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ عَلَى مَا بَايَعُوهُمْ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَكُنْ لِلشَّاهِدِ أَنْ يَخْتَارَ، وَلَا لِلْغَائِبِ أَنْ يَرُدَّ».

واللافت أنّ الإمام عليه السلام لم يشر فى هذا المورد لا إلى مسألة الغدير ولا إلى وصيّة النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله فى حقّه والروايات الكثيرة الواردة فى إمامته وولايته على المسلمين، لأنّ معاوية يستطيع، إنكار كلّ هذه النصوص الجليّة، ولكنّ مسألة خلافة

الخلفاء السابقين لم تكن مسألة قابلة للانكار، وفى الحقيقة أنّ استدلال الإمام عليه السلام استدلال جدلىّ كما فى الاصطلاح، حيث يتّخذ المتكلّم مسلّمات ومقبولات الطرف المقابل ويستدلّ بها ضدّه، ومن هذا المنطلق بما أنّ معاوية كان يرى نفسه من ولاة الخلفاء السابقين أبوبكر، عمر، وعثمان، فإنّه لا يستطيع إنكار مشروعية خلافتهم وكيفية وصولهم إلى سدّة الحكم والخلافة، وهذا الأمر هو ما وقع أيضاً للإمام علىّ عليه السلام فى خلافته بصورة أكمل وأتمّ، فإنّ عموم المهاجرين والأنصار بايعوا الإمام علىّ حتى طلحة والزبير اللذين نكثا البيعة بعد ذلك كانا من أوائل المبايعين للإمام فى أمر الخلافة، وكانت السنّة جارية فى ذلك العصر أنّ المهاجرين والأنصار فى المدينة إذا اختاروا شخصاً للخلافة فيجب على الغائبين والبعيدين عن المدينة أن يتّبعوا المهاجرين والأنصار فى مركز الخلافة، وعلى هذا الأساس لا يمكن لمعاوية أن يعترض على استدلال الإمام عليه السلام فى هذا الأمر.

ومن هنا فإنّ الإمام علىّ عليه السلام يقول فى هذا السياق: «وَإِنَّمَا الشُّورَى لِلْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، فَإِنِ اجْتَمَعُوا عَلَى رَجُلٍ وَسَمَّوْهُ إِمَاماً كَانَ ذلِكَ لِلَّهِ رِضاً».

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام يستنتج من ذلك ويقول: «فَإِنْ خَرَجَ عَنْ أَمْرِهِمْ خَارِجٌ بِطَعْنٍ أَوْ بِدْعَةٍ رَدُّوهُ إِلَى مَا خَرَجَ مِنْهُ، فَإِنْ أَبَى قَاتَلُوهُ عَلَى اتِّبَاعِهِ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ، وَوَلَّاهُ اللَّهُ مَا تَوَلَّى .

وكما أسلفنا أنّ هذا الاستدلال يتّسم بالمنهج الجدلىّ والاستفادة من مسلّمات الطرف المقابل فى دحض حجّته، فلا ينبغى استنباط هذا

المفهوم وهو أنّ الإمام علیه السلام ترک مسألة الإمامة المنصوبة وذهب إلی أنّ الإمامة هی من اختیار الناس لا من شؤون الباری تعالی ولیست بوسیلة التنصیب الإلهیّ کما تصوّر ذلک بعض شرّاح نهج‌البلاغة، بل إنّ الطریق الوحید للاستدلال فی مقابل معاویة لا یمکن بغیر هذا المنهج الجدلی، ونری کثیراً من قبیل هذا النحو من الاستدلال فی القرآن الکریم فیما یخصّ المجادلة مع المشرکین.

وفی مقطع آخر من هذه الرسالة یذکر الإمام علیه السلام مسألة قتل عثمان التی جعلها

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۶۹

معاویة ذریعة للتمرّد فی مقابل الإمام علیه السلام کما سبقه بذلک طلحة والزبیر أیضاً، یقول الإمام علیه السلام: «وَلَعَمْرِی، یَا مُعَاوِیَةُ، لَئِنْ نَظَرْتَ بِعَقْلِکَ دُونَ هَوَاکَ لَتَجِدَنِّی أَبْرَأَ النَّاسِ مِنْ دَمِ عُثْمَانَ، وَلَتَعْلَمَنَّ أَنِّی کُنْتُ فِی عُزْلَةٍ عَنْهُ إِلَّا أَنْ تَتَجَنَّی ۷۱]، فَتَجَنَّ ۷۲] مَا بَدَالَکَ، وَالسَّلَامُ».

إنّ من القضایا العجیبة فی تاریخ صدر الإسلام أنّ جماعة کانوا فی زمن خلافة عثمان قد رفعوا لواء المخالفة الشدیدة له، وحتی کان لهم دور مباشر أو غیر مباشر فی قتله، ولکن بعد مقتل عثمان تغیّر مسارهم فجأة وأخذوا یطالبون بدمه وبالثأر له ویذرفون علیه وعلی مظلومیته دموع التماسیح، ومثل هذا التغییر فی المسار لا یعدّ أمراً عجیباً فی أمر السیاسة، ولکن کیف یمکن تبریر مثل هذه السلوکیات عندما تصدر ممّن یدّعون الإسلام ویعتبرون أنفسهم من قادة المسلمین؟

إنّ حادثة قتل عثمان والعوامل التی أدت إلی إثارة الناس ضدّه وکذلک الحوادث التی وقعت فی هذه القضیة التاریخیة، وکذلک مسألة إجبار الثوّار عثمان علی التوبة واعتزال الخلافة وقبول عثمان للتوبة وعدم قبوله الاعتزال عن مقامه وکذلک دفاع أمیرالمؤمنین علیه السلام عنه ومنع الثوّار من قتله لئلّا تتّسع دائرة الفتنة وتعمّ جمیع مناطق البلاد الإسلامیّة، وأیضاً کیفیة قتل عثمان والحوادث التی وقعت بعد مقتله کلّها تعدّ من المسائل المهمّة فی تاریخ الإسلام، التی تستدعی الدقّة والتمعّن لاکتشاف الحقائق الکامنة فی طیّات التاریخ لهذه الواقعة.

وقد أسلفنا فی البحوث السابقة بعض الأمور عن حقیقة ما جری فی هذه الواقعة فی الجزء الأول من هذه المجموعة فی شرح الخطبة الشقشقیة وکذلک الجزء الثانی ذیل الخطبة الثلاثین، وکذلک ذیل الخطبة ۴۳ أیضاً.

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۷۰

تأمّل: لماذا استدلّ الإمام علیه السلام بالشوری والبیعة؟

نعلم أنّ المسلمین قد اختلفوا فی مسألة الإمامة والخلافة بعد النبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله علی رؤیتین: فطبقاً لعقیدة الشیعة فإنّ الإمامة والخلافة بالنصّ، أی أنّ تعیین الإمام والخلیفة بعد النبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله یکون بالنصّ الإلهیّ من خلال بیان النبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله، وهناک آیات قرآنیة تؤیّد هذه الرؤیة وکذلک الأحادیث الشریفة الواردة فی هذه المجال من قبیل حدیث الغدیر، المنزلة، حدیث الثقلین، مضافاً إلی أنّ الشیعة یقیمون أدلّة عقلیّة علی هذه المسألة لیس هنا مجال لاستعراضها[۷۳].

ولکن أهل السنّة ذهبوا إلی مقولة الشوری حیث یعتقدون بأنّ النبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله ترک تعیین الخلیفة بعده للُامة وقد تمّ تعیین الخلیفة بعد النبیّ صلی الله علیه و آله من خلال شوری المهاجرین والأنصار وبیعة المسلمین وقد اتّخذ أبوبکر لهذا المقام فی سقیفة بنی ساعدة بحضور ثلّة قلیلة من المهاجرین والأنصار، وأمّا عمر بن الخطاب فقد أصبح خلیفة بتعیین من أبی بکر وانتخب عثمان بالخلافة بأربعة آراء من أعضاء الشوری الستّة الذین اختارهم عمر لهذا الغرض، وأمّا الإمام علیّ علیه السلام فقد بویع بعد مقتل عثمان من قِبل المهاجرین والأنصار وجمهور المسلمین عامة.

أمّا أنصار مدرسة الشوری فإنّهم عندما یصلون إلی الخطبة الشقشقیة التی تثیر علامات استفهام علی خلافة الخلفاء الثلاثة الأوائل، فإنّهم یعترضون تارة علی سند الروایة وأخری علی دلالتها، ولکن عندما یصلون إلی الرسالة السادسة المذکورة أعلاه، یشرحون

صـدرهم لها ويسـتقبلون ما ورد فيها ويعتبرونه دليلًا على حقّانيـة مـذهبهم ورأيهم فى مسألـة الخلافـة فى حين أنّ كلّاً من هـذه الرسالة وتلك الخطبة للإمام علىّ عليه السلام.

والنقطة المهمّة هنا هى أنّه لابدّ من الأخذ بنظر الاعتبار المخاطب للكلام

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۷۱

والنصّ، لأنّ عقائد المخاطب وأفكاره وتوجّهاته مؤثّرة كثيراً فى كيفية بيان المتكلّم، ففى الخطبة الشقشقية نرى أنّ المخاطب لها عموم الناس، ولكن المخاطب لهذه الرسالة هو معاوية نفسه.

كيف يمكن للإمام عليه السـلام أن يستدلّ فى هذه الرسالة على حقّانيته فى مقابل معاوية بالنصّ، وهذا هو الشىء الذى يخالفه معاوية من الأساس، لابـدّ من الاسـتفادة من دليل يعجز من إنكاره، ويجـد نفسه مضـطرّاً للتسـليم أمامه، وليس ذلك سوى مسألة الشورى، أى الشورى التى انتخب على أساسها الخلفاء السابقون الذين نصبوا معاوية فى زمن خلافتهم على الشام.

وهذا هو الشىء الذى يعبّر عنه فى علم المنطق بفنّ الجدل، وهو بأن يتمسّك المسـتدلّ بمسـلّمات الخصم ويستدلّ بها ضدّه وإن كان لايعتقد بها أو ليست مسلّمة لديه.

وهـذا من قبيل أن نسـتدّل بالتوراة والإنجيل الحاليين فى مقابل اليهود والنصارى، وأنّه طبقاً لما ورد فى الآية الفلانية فى السـفر الفلانى من كتـابكم المقـدّس فإنّ العقيـدة التى تعتقـدون بها فى هـذا الشأن باطلـة، مثلًا نقول: أنتم أيها المسـيحيون تعتقـدون بأنّ عيسـى عليه السـلام صـلب ومات ودفن، وبعد عدّة أيّام بعث من قبره ورفع إلى السـماء، وطبقاً لهذه العقيدة يجب القبول بمسألة رجعة الإنسان إلى هذه الحياة الدنيا رغم أننا لا نعتقد بمقتل المسيح عليه السلام.

وقـد ورد فى القرآن الكريم مثـل هـذا النمـط من الاسـتدلال، من قبيل ما ورد فى قصـة إبراهيم عنـدما وقف أمام عبـدة النجوم والقمر والشـمس وقال لهم: «هذا رَبّى» أو «هذا رَبِّى هذا أَكْبر»[۷۴]، فقـد وافقهم ظاهراً على ما يعتقدونه وما هو من المسـلّمات لديهم، ولكن عنـدما أفلت هـذه الكواكب اسـتدلّ إبراهيم عليه السـلام من افولها وغروبها على أنّها حادثة ومخلوقة، وبذلك أبطل حجّتهم وأجهض مزاعمهم.

ومن العجيب أنّ ابن أبى‌الحديد بالرغم من أنّه سلك مسلك الاعتدل فى الكثير

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۷۲

من المسائل، عنـدما يصل إلى هـذه الرسالـة يقول: «إعلم أنّ هذا الفصل دالّ بصـريح العبارة على كون الاختيار طريقاً إلى الإمامة كما يـذكره أصـحابى المتكلّمون (أهل السـنّة ...) فأمّا الإماميّة فتحمل هذا الكتاب منه عليه السـلام على التقيّة وتقول: إنّه ما كان يمكنه أن يصـرّح لمعاويـة فى مكتوبه ببـاطن الحـال ويقول له: أنا منصوص علىّ من رسول اللّه صـلى الله عليه و آله، ومعهود على المسـلمين أن أكون خليفة فيهم بلا فاصلة، فيكون فى ذلك طعن على الأئمّة المتقدّمين ....»[۷۵].

إنّ خطأ ابن أبى‌الحديد هو أنّه أوّلًا: لم يلتفت إلى مخاطب هذه الرسالة أبداً، وهو معاوية.

وثانياً: أنّه خلط بين مسألـة الجـدل ومسألـة التقيّـة، فالشـيعة لا يقولون إنّ أميرالمؤمنين عليه السـلام قـد سـلك مسـلك التقيّة فى مقابل معاوية، بل يقولون: إنّه استدلّ بما لا يمكن لمعاوية إنكاره ومخالفته، أى أنّ الإمام استدلّ بالأمور المسلّمة لدى معاوية ضدّه، وقد ورد فى نهج‌البلاغة عبارات أخرى شبيهة أيضاً بما ذكر أعلاه، ويتبيّن جواب الجميع ممّا قلنا آنفاً ولا حاجة للتكرار.

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۷۳

الرسالة ۷

اشارة

إِلَيْهِ أَيْضاً[۷۶]

نظرة إلى الرسالة

تقدمّ في بيان مدرك هذه الرسالة أنّها وقعت جواباً على رسالة كتبها معاوية للإمام عليه السلام في أواخر معركة صفين وكانت رسالة معاوية تتضمن الوقاحة وعدم رعاية الأدب وتشير إلى نقاط مختلفة أهمها عدم الاعتراف ببيعة المسلمين للإمام عليه السلام بذريعة أنّ أهل الشام لم يحضروا هذه البيعة ولم يوافقوا عليها، وقد أجاب الإمام جواباً حاسماً على كلّ هذه التقوّلات والكلمات اللامسؤولة[۷۷].

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۷۵

أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ أَتَتْنِي مِنْكَ مَوْعِظَةٌ مُوَصَّلَةٌ، وَرِسَالَةٌ مُحَبَّرَةٌ، نَمَّقْتَهَا بِضَلَالِكَ، وَأَمْضَيْتَهَا بِسُوءِ رَأْيِكَ، وَكِتَابُ امْرِئٍ لَيْسَ لَهُ بَصَرٌ يَهْدِيهِ، وَلَا قَائِدٌ يُرْشِدُهُ، قَدْ دَعَاهُ الْهَوَى فَأَجَابَهُ، وَقَادَهُ الضَّلَالُ فَاتَّبَعَهُ، فَهَجَرَ لَاغِطاً، وَضَلَّ خَابِطاً.

وَمِنْهُ: لِأَنَّهَا بَيْعَةٌ وَاحِدَةٌ لَايُثَنَّى فِيهَا النَّظَرُ، وَلَا يُسْتَأْنَفُ فِيهَا الْخِيَارُ.

الْخَارِجُ مِنْهَا طَاعِنٌ، وَالْمُرَوِّي فِيهَا مُدَاهِنٌ.

الشرح والتفسير: موعظة الضالّين!

بما أنّ معاوية قد تمسّك في رسالته للإمام عليه السلام ببعض الآيات القرآنية ليعض الإمام عليه السلام بالتقوى والورع!! منها قوله تعالى: «وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخاسِرِينَ»[۷۸] وهذه الآية كما هو معلوم ليس لها أيّ إرتباط بادّعاءات معاوية الباطلة، ولذلك يقول الإمام عليه السلام في مطلع رسالته له:

«أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ أَتَتْنِي مِنْكَ مَوْعِظَةٌ مُوَصَّلَةٌ[۷۹]، وَرِسَالَةٌ مُحَبَّرَةٌ[۸۰]، نَمَّقْتَهَا[۸۱] بِضَلَالِكَ،

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۷۶

وَأَمْضَيْتَهَا[۸۲] بِسُوءِ رَأْيِكَ».

والتعبير ب (مُوَصَّلَةٌ) إشارة إلى عدم التجانس المشهود في رسالة معاوية حيث يتمسّك ببعض الآيات القرآنية التي ليس لها أيّ علاقة بالمقصود، ومن جهة أخرى يتهمّ الإمام عليه السلام بشقّ عصا المسلمين وإيجاد الاختلاف بين الامّة، في حين أنّ كلماته وعباراته تعتبر مصداقاً بارزاً لإثارة الخلاف وإيجاد الفتنة في المجتمع الإسلامي.

وعبارة (رِسَالَةٌ مُحَبَّرَةٌ) (مع الالتفات إلى أنّ «محبّرة» تعني التزيين والتنميق) إشارة إلى أنّ معاوية كان يسعى بأيّ وسيلة ممكنة إلى إظهار أنّ الحقّ بجانبه، فأحياناً يتحدّث عن يوم القيامة والعذاب الإلهيّ، وأخرى عن مصالح المسلمين، وثالثة يتمسّك بالآيات القرآنية للدفاع عن مواقفه المتهرّئة.

وجملة: (نَمَّقْتَهَا بِضَلَالِكَ إشارة إلى أنّ العبارات الجميلة في الظاهر هي ذاتها العبارات والكلمات التي كان يتوصّل بها المنافقون الضالّون لإظهار إيمانهم في مقابل النبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله، وجملة (أَمْضَيْتَهَا بِسُوءِ رَأْيِكَ إمّا أن يكون المقصود بها أنّ إمضاء مثل هذه الرسالة لا يصدر إلّامن الإنسان المنحرف والسائر في خطّ الضلالة والجهالة، أو يكون المعنى فيما لو أخذنا الإمضاء بمعنى الإرسال فيكون مفهومها أنّ فكرك المنحرف والباطل أجاز لك كتابة هذه الرسالة الوقحة للإمام وقائد المسلمين.

وفي سياق كلام الإمام عليه السلام في رسالته، يبيّن الإمام مضمون رسالة معاوية وشخصيته الانتهازيّة في عبارات قصيرة وزاخرة بالمعنى ويقول: «وَكِتَابُ امْرِئٍ لَيْسَ لَهُ بَصَرٌ يَهْدِيهِ، وَلَا قَائِدٌ يُرْشِدُهُ، قَدْ دَعَاهُ الْهَوَى فَأَجَابَهُ، وَقَادَهُ الضَّلَالُ فَاتَّبَعَهُ، فَهَجَرَ[۸۳] لَاغِطاً[۸۴]، وَضَلَّ خَابِطاً[۸۵]».

نفحات الولاية، ج ٩، ص: ٧٧

والملفت للنظر أنّ الإمام عليه السلام فى هذه الجمل الثلاث استفاد من التجانس بين الثنائيات بشكل لازم وملزوم، فيقول فى الجملة الاولى: (لَيْسَ لَهُ بَصِيرٌ يَهْدِيهِ، وَلَا قَائِدٌ يُرْشِدُهُ) وقال فى الجملة الثانية التى تعتبر نتيجة لما سبق: «قَدْ دَعَاهُ الْهَوَى فَأَجَابَهُ، وَقَادَهُ الضَّلَالُ فَاتَّبَعَهُ» وفى الجملة الثالثة التى تعتبر نتيجة للجملة الثانية يقول: «فَهَجَرَ لَاغِطاً، وَضَلَّ خَابِطاً»، أى يتحدّث فى خبط وهذيان بسبب الضلالة والسير فى متاهة الحيرة، والحقيقة كذلك، لأنّ نور الهداية إمّا أن ينبع من باطن الإنسان أو يحصل عليه الإنسان من خارجه من خلال التمسّك بالقادة الإلهيين والمرشدين الصالحين، وفى غير هذه الصورة فإنّ الإنسان يعيش الظلمات الباطنية والضلالة الخارجية التى تنشأ بسبب مشورة الأشخاص المنحرفين والانتهازيين، وهكذا ينحدر الإنسان فى هوّة الضلالة ومنزلقات الجهالة، فلا يملك حينئذٍ كلاماً منطقيّاً ولا تسير أعماله وفق التخطيط العقلانى المدروس.

ثم إنّ الإمام عليه السلام يشير فى رسالته الجوابية إلى أحد اشتباهات معاوية الكبيرة التى ذكرها فى رسالته، فقد كتب معاوية فى رسالته أنّ بيعة المسلمين للإمام عليه السلام لم تكن صحيحة، لأنّ أهل الشام لم يقبلوا بها، فيقول الإمام فى مقام الجواب: «لِأَنَّهَا بَيْعَةٌ وَاحِدَةٌ لَايُثَنَّى فِيهَا النَّظَرُ[٨٦]، وَلَا يُسْتَأْنَفُ فِيهَا الْخِيَارُ. الْخَارِجُ مِنْهَا طَاعِنٌ، وَالْمُرَوِّى ٨٧] فِيهَا مُدَاهِنٌ ٨٨]»، يعنى أنّ بيعة الخلافة لا تقع سوى مرّة واحدة غير قابلة للتعديل ولا للتجديد.

وفى الحقيقة أنّ الإمام عليه السلام استدلّ فى هذا المقطع بإحدى المسلّمات فى مسألة الخلافة عند معاوية، لأنّه يعتقد بأنّ خلافة الخلفاء السابقين قامت على أساس آراء

نفحات الولاية، ج ٩، ص: ٧٨

المهاجرين والأنصار وأنّ الأشخاص الذين كانوا يعيشون بعيداً عن المدينة يجب عليهم احترام آراء المهاجرين والأنصار فى المدينة وإتّباعهم والقبول بمن اختاروه لهذه المقام، هكذا كانت سنّة الخلفاء السابقين، والإمام عليه السلام يقول: كيف تقبل برأى المهاجرين والأنصار وأهل الحلّ والعقد بالنسبة لما يتّصل بالخلفاء السابقين، ولكنّك تشكّك فى بيعتهم الآن مع أنّها أوسع وأشمل وأكثر امتداداً فى الوسط الجماهيرى من بيعة الخلفاء السابقين؟ أمّا عدم قبول أهل الشام فهذا يشير إلى أحد أمرين: إمّا أنّك ترى بطلان منهج الخلفاء السابقين، أو حالك حال المنافقين الذين يقبلون أحياناً بشىء وينكرونه أحياناً أخرى حسب المصالح وما تمليه عليهم مطامعهم الشخصية بعيداً عن واقع الإيمان وتعاليم الرسالة.

فلو وجب انتخاب جميع المسلمين فى مختلف مناطق البلاد الإسلاميّة لقبول حكومة الإمام علىّ عليه السلام وتحقّق مشروعيتها فيلزمك أن تعتقد ببطلان حكومة الخلفاء السابقين وبالتالى فإنّ حكومتك تقتبس مشروعيتها منهم فستكون باطلة أيضاً.

وأشار الإمام عليه السلام فى جملة «لِأَنَّهَا بَيْعَةٌ وَاحِدَةٌ ...» إلى حقيقة حاسمة ومسلّمة فى التاريخ الإسلامى وهى أنّ البيعة كالبيع اللازم لا خيار فيه للفسخ ولا التكرار، فإذا وقعت البيعة فإنّها تقع مرّة واحدة وللأبد.

تأمّل: رسالة معاوية لأميرالمؤمنين الإمام علىّ عليه السلام

مع الالتفات إلى أنّ رسالة الإمام عليه السلام المذكورة آنفاً ناظرة لرسالة سابقة أرسلها معاوية للإمام عليه السلام، ومن هنا لزم نقل نصّ رسالة معاوية المذكورة فى كتب التاريخ رغم أنّها وقحة جدّاً وخالية من الأدب، ولذلك نعتذر قبل ذلك للقرّاء الكرام وخاصّة من الإمام أميرالمؤمنين علىّ عليه السلام على إيراد مثل هذه الرسالة والكلمات اللامسؤولة فيها:

نفحات الولاية، ج ٩، ص: ٧٩

«مِنْ عَبْدِاللَّهِ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِى سُفْيَانَ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِى طَالِبٍ:

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ فِى مُحْكَمِ كِتَابِهِ «وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ

الْخاسِرِینَ» إِنِّی أَحَذِّرُکَ اللَّهَ أَنْ تُحْبِطَ عَمَلَکَ وَسَابِقَتَکَ بِشَقِّ عَصَا هَذِهِ الْأُمَّةِ وَتَفْرِیقِ جَمَاعَتِهَا فَاتَّقِ اللَّهَ وَاذْکُرْ مَوْقِفَ الْقِیَامَةِ وَاقْلَعْ عَمَّا أَسْرَفْتَ فِیهِ مِنَ الْخَوْضِ فِی دِمَاءِ الْمُسْلِمِینَ وَإِنِّی سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ یَقُولُ: «لَوْ تَمَالَأَ أَهْلُ صَنْعَاءَ وَعَدَنٍ عَلَی قَتْلِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنَ الْمُسْلِمِینَ لَأَکَبَّهُمُ اللَّهُ عَلَی مَنَاخِرِهِمْ فِی النَّارِ» فَکَیْفَ یَکُونُ حَالُ مَنْ قَتَلَ أَعْلَامَ الْمُسْلِمِینَ وسَادَاتِ الْمُهَاجِرِینَ بَلْهَ مَا طَحَنَتْ رَحَی حَرْبِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرْآنِ وَذَوِی الْعِبَادَةِ وَالْإِیمَانِ مِنْ شَیْخٍ کَبِیرٍ وَشَابٍّ غَرِیرٍ کُلُّهُمْ بِاللَّهِ تَعَالَی مُؤْمِنٌ وَلَهُ مُخْلِصٌ بِرَسُولِهِ مُقِرٌّ عَارِفٌ فَإِنْ کُنْتَ أَبَا حَسَنٍ إِنَّمَا تُحَارِبُ عَلَی الْإِمْرَةِ وَالْخِلَافَةِ فَلَعَمْرِی لَوْ صَحَّتْ خِلَافَتُکَ لَکُنْتَ قَرِیباً مِنْ أَنْ تُعْذَرَ فِی حَرْبِ الْمُسْلِمِینَ وَلَکِنَّهَا ما تَصِحَّ لَکَ أَنَّی بِصِحَّتِهَا وَأَهْلُ الشَّامِ لَمْ یَدْخُلُوا فِیهَا فَقَدْ وَاللَّهِ أَکَلَتْهُمُ الْحَرْبُ فَلَمْ یَبْقَ مِنْهُمْ إِلَّا کَالثَّمَدِ فِی قَرَارَةِ الْغَدِیرِ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ»[۸۹].

هذه الرسالة المسیئة وغیر المؤدّبة من جهة، والسخیفة من جهة أخری، تبیّن سوء طویّة معاویة وبطلان رأیه لأنّها أوّلًا: تتمسّک بآیة حبط الأعمال بسبب الشرک، فی حین أنّه لا یوجد فی الموضوع أدنی کلام عن الشرک، وبالنسبة لشقّ عصا المسلمین وإیجاد الفرقة بینهم علی فرض أن یکون صحیحاً لا یرتبط بمسألة الشرک، وهذا هو ما وصفه الإمام علیه السلام بأنّه: «مَوْعِظَةٌ مُوَصَّلَةٌ» أی أنّه کلام متشتّت وغیر متجانس فی مضامینه وعباراته.

ثانیاً: إنّ الإمام علیه السلام فی جوابه علی هذه الرسالة والذی لم یذکره السید الرضی فی نهج‌البلاغة یقول: إنّک أمرتنی بالتقوی وأنا أرجو أن أکون من أهل التقوی ولکننی

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۸۰

أعوذ باللَّه أن أکون ممّن یأمر الناس بالتقوی وفی ذات الوقت یجرّهم إلی المعصیة وطلب الدنیا (وأنت من هؤلاء).

ثالثاً: یقول الإمام علیه السلام فی مقام الجواب عن مسألة حبط الأعمال وسابقته فی الإسلام: إذا کنت قد خرجت مع ا لخارجین علی عثمان فجدیر بک هذا التحذیر لی، ولکنّی أری اللَّه تعالی یقول: «فَقَاتِلُوا الَّتِی تَبْغِی حَتَّی تَفِیءَ إِلَی أَمْرِ اللَّهِ»[۹۰]. فیجب علیک النظر بعقلک دون هواک لتعرف من هم أهل البغی هل نحن أم أنتم؟ وبدیهیّ أنّ أهل البغی هم أنت وجماعتک، لأنّ بیعتی وقعت فی المدینة من قِبل المهاجرین والأنصار وهی ملزمة لکم فی الشام، کما أنّ بیعة عثمان فی المدینة کانت ملزمة لکم أیضاً، فی حین أنّک کنت والیاً علی الشام من قِبل عمر بن الخطاب، وکما أنّها- بیعة عمر- کانت ملزمة لأخیک یزید فی حین أنّه کان والیاً علی الشام من قِبل أبی بکر.

ثمّ إنّ الإمام علیه السلام یجیب عن هذه النقطة التی ذکرها معاویة، وهی مَن هو المسؤول عن شقّ عصا المسلمین؟ ویقول: یجب أن احذّرک وأنهاک عن هذا العمل، فقد أمرنی رسول اللَّه صلی الله علیه و آله بجهاد أهل البغی وخاطب أصحابه قائلًا: إنّ منکم من یجاهد علی تأویل القرآن کما جاهد علی تنزیله، وأشار إلیّ فی کلامه هذا وکنت أوّل شخص أطاع رسول اللَّه صلی الله علیه و آله فی هذا الأمر.

ثمّ إنّ الإمام علیه السلام یستعرض الجواب عمّا تبقّی من الرسالة وهو المقطع الذی ذکره السیّد الرضیّ فی «نهج‌البلاغة» وسبق أن شرحناه.

وعلی ضوء ذلک یتبیّن صدق الإمام علیه السلام وصراحته فی موقفه من معاویة وکذلک، تتبیّن وقاحة وحمق معاویة من جهة أخری. وقد تمسّک الطغاة علی امتداد التاریخ بهذا المنطق المتلوّن، وقد أورد القرآن الکریم بیان جلیّ ذلک فی قصة موسی علیه السلام وفرعون وذلک عندما دعا موسی علیه السلام الفراعنة للتوحید وترک الظلم والجور وقال فرعون: «إِنِّی أَخافُ أَنْ یُبَدِّلَ دِینَکُمْ أَوْ أَنْ

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۸۱

یُظْهِرَ فِی الْأَرْضِ الْفَسادَ»[۹۱]، فی حین أنّ المفسد الحقیقیّ فی الأرض هو فرعون نفسه الذی کان یقتل حتّی الأطفال الأبریاء ویشقّ بطون الحوامل.

وفی ختام البحث یفرض علینا هذا السؤال نفسه، وهو أنّ معاویة مع علمه بکذبه فی محتوی رسالته، وأنّه هو الذی شقّ عصا المسلمین

وأثار الغبار حول إجماع المسلمين على البيعة، وهو الذى سلك طريق الانحراف والتمرّد والطغيان على الحكومة الإسلاميّة، وإن كان له عمل صالح فى الماضى فقد أحبطه بما ارتكبه من حرب طاحنة ضد أميرالمؤمنين عليه السلام، وأنّه هو وأصحابه شركاء فى قتل عثمان لا الإمام علىّ عليه السلام، إذن فلماذا يتّخذ لنفسه شخصيّة محقّة ويكتب للإمام تلك الرسالة الزاخرة بالأكاذيب والدجل؟

ويتبيّن الجواب عن كلّ هذه الاستفهامات إذا عرفنا هذه الحقيقة، وهى أنّ معاوية لم يكتب فى الواقع هذا الكتاب للإمام علىّ عليه السلام بل كتبه لاستغفال أهل الشام وخلط الأوراق، وبذلك يريد أن يقول لهم إنّنى إنسان صالح وأرفع لواء الصلح والعدالة، ولكن علىّ بن أبى طالب عليه السلام لا يستمع لكلامى ولا يرضخ لواقع العدل والحقّ، وفى الحقيقة أنّ عمله هذا يشبه ما قام به من رفع المصاحف على الرماح فى معركة صفّين، ولم يكن معاوية وأصحابه يريدون تحكيم القرآن قطعاً، بل كانوا يريدون أن يخدعوا أهل الشام من جهة، ومن جهة أخرى العمل على إيجاد الفرقة والنفاق فى جيش الإمام علىّ عليه السلام.

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۸۳

الرسالة ۸

اشارة

إلى جَريرِ بْنِ عَبْدِاللَّهِ الْبَجَلىّ لَمّا أرْسَلَهُ إلى مُعاوِيَة[۹۲]

نظرة إلى الرسالة

إنّ مضمون هذه الرسالة بيّنٌ وجلىّ تماماً، فالإمام عليه السلام يريد من رسوله جرير أن يتمّ الحجّة على معاوية وأخذ البيعة منه، إذا أراد البيعة للإمام عليه السلام، وإن لم يكن مستعدّاً للبيعة، فعليه أن يكون مستعدّاً لقتاله.

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۸۵

أَمَّا بَعْدُ، فَإِذَا أَتَاکَ کِتَابِی فَاحْمِلْ مُعَاوِيَةَ عَلَى الْفَصْلِ، وَخُذْهُ بِالْأَمْرِ الْجَزْمِ، ثُمَّ خَيِّرْهُ بَيْنَ حَرْبٍ مُجْلِيَةٍ، أَوْ سِلْمٍ مُخْزِيَةٍ، فَإِنِ اخْتَارَ الْحَرْبَ فَانْبِذْ إِلَيْهِ، وَإِنِ اخْتَارَ السِّلْمَ فَخُذْ بَيْعَتَهُ، وَالسَّلَامُ.

الشرح والتفسير: حلّ المشكل بآليات الصلح

جاء فى المصادر التاريخية أنّ أميرالمؤمنين علىّ بن أبى طالب عليه السلام أرسل جرير إلى معاوية لأخذ البيعة منه بهذا الكتاب، وقد أوصل جرير هذا الكتاب لمعاوية، أخذ معاوية يسوّف بالأمر ويتباطأ فى الجواب إلى أن ظنّ أصحاب أميرالمؤمنين عليه السلام به سوءً واتّهموه بالتعاطف والتعاون مع معاوية، حتّى قال الإمام عليه السلام عنه: إنّ جريراً لبث عند معاوية طيلة هذه المدّة فإمّا أن يكون مذنباً أو مخدوعاً.

ومن هنا كتب الإمام عليه السلام هذه الرسالة لجرير حتّى لا يطيل المسألة ويوصد بذلك باب المماطلة على معاوية وطلب منه أن يلزم معاوية بأحد أمرين: فإمّا البيعة أو الحرب، فالإمام يقول فى هذه الرسالة:

«أَمَّا بَعْدُ- بعد الحمد والثّناء الإلهىّ- فَإِذَا أَتَاکَ کِتَابِی فَاحْمِلْ مُعَاوِيَةَ عَلَى الْفَصْلِ ۹۳]، وَخُذْهُ بِالْأَمْرِ الْجَزْمِ، ثُمَّ خَيِّرْهُ بَيْنَ حَرْبٍ مُجْلِيَةٍ[۹۴]، أَوْ سِلْمٍ

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۸۶

مُخْزِيَةٍ[۹۵]، فَإِنِ اخْتَارَ الْحَرْبَ فَانْبِذْ[۹۶] إِلَيْهِ، وَإِن اخْتَارَ السِّلْمَ فَخُذْ بَيْعَتَهُ، وَالسَّلَامُ».
وعندما وصلت هذه الرسالة لجرير في الشام سلّمها بيد معاوية ونهض من مكانه وخطب بالناس وذكّرهم بقضية عثمان وأنّ جميع المسلمين بايعوا الإمام عليّ عليه السلام بدون تردّد، يعنى أننا لو خلّينا ومسألة الخلافة لم نكن نختار غير الإمام عليّ عليه السلام.

تأمّل: من هو جرير بن عبداللّه؟

يعتبر جرير بن عبداللّه من مشاهير الصحابة، ومن قبيلة بجيلة من قبائل اليمن، وبجيلة اسم امرأة معروفة في تلك القبيلة حيث سمّيت قبيلتها باسمها، وتارة يسمّى الشخص بجليّاً لانتمائه إلى هذه القبيلة، وقد جاء جرير في السنة العاشرة للهجرة إلى رسول اللّه صلى الله عليه و آله على رأس جماعة من مائة وخمسين رجلًا من قبيلة بجيلة، وأسلموا على يد النبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله فاستقبله النبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله بكلّ احترام، وعندما مدّ يده للبيعة قال: أقبل بيعتك بشرط أن تشهد بالتوحيد وتؤمن بالنبوّة وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتحب، الخير للمسلمين وتصوم شهر رمضان وتطيع إمام المسلمين.
وسأله النبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله عن أوضاع منطقته، فقال جرير: لقد ظهر الإسلام في هذه المنطقة وكسر الناس الأوثان، فقال: وما حال صنم «ذوالخلصة»؟
فقال: هذا صنم كبير بقى لحاله.
نفحات الولاية، ج۹، ص: ۸۷
فأمر النبيّ الأمر بتحطيم هذا الوثن، فتوجّه جرير مع مائتى نفر من قبيلته وبعد عدّة أيّام رجع إلى النبيّ وقال: واللّه لقد حطّمته وأحرقته أمام أعين عابديه.
وقد اشترك جرير مع قبيلته بجيلة في معركة القادسيّة، وكان سهمه كبيراً ومؤثراً في الفتح، وبعد ذلك نصبّه عثمان والياً على منطقة همدان، وبعد قتل عثمان ووصول كتاب أميرالمؤمنين عليه السلام إليه دعا جرير الناس للبيعة للإمام عليّ عليه السلام، وبعد مدّة جاء إلى الكوفة، ولمّا كان يتمتّع بشهرة لدى أهل الشام اختاره الإمام عليه السلام لإيصال رسالته إلى معاوية وبعثه إلى الشام، ولكنّه لم يستطع أداء مهمّته بشكل صحيح وعاد إلى الكوفة فظنّ به أهل العراق سوءً واتّهموه بالتواطؤ مع معاوية، فاستاء جرير من ذلك وعزم على التوجّه إلى جزيرة قرقيسا واختار العزلة هناك وترك النشاط السياسى والاجتماعى.
***

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۸۹

الرسالة ۹

اشارة

إلى مُعاوِيَةِ[۹۷]

نظرة إلى الرسالة

بما أنّ هذه الرسالة بمثابة جواب على رسالة معاوية الوقحة والمهينة والمليئة بالخبث والشيطنة فإنّ رسالة الإمام عليه السلام هذه تجيب

على شيطنة معاوية وخبثه وناظرة إلى الكشف عن زيف مدّعياته وأباطيله.

فى أحد مقاطع هذه الرسالة يشير الإمام عليه السلام إلى هذه النقطة، وهى أنّ النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله عندما قام بالدعوة ونشر الرسالة الإلهيّة همّت جماعة من المشركين من قريش بقتل النبىّ، إلّاأنّ اللّه تعالى أنقذه منهم ومنع عتاة قريش من إجهاض الرسالة،

نفحات الولاية ؛ ج‏٩ ؛ ص٨٩

نفحات الولاية، ج‏٩، ص: ٩٠

وأنّ قريش كانت تتصدّر المتمرّدين والمخالفين لهذه الدعوة الجديدة.

وفى قسم آخر من الرسالة يشير الإمام عليه السلام إلى هذه الحقيقة وهى أنّ الرسول الأكرم عليه السلام كان يجعل أهل بيته فى ميدان القتال فى الخطّ الأول للمواجهة، وبذلك يحفظ أصحابه من الخطر من خلال تضحية وجهاد أهل بيته وأرحامه، والشاهد على ذلك استشهاد حمزة وجعفر وآخرين من بنى هاشم فى ميادين الجهاد ضدّ قوى الكفر والباطل، وهذا الكلام فى الحقيقة جواب على ادّعاء معاوية فى رسالته أنّ غير بنى هاشم كالخليفة الأول والثانى كانوا من أكثر الناس تحرّقاً للدعوة الجديدة واستعداداً للتضحية والفداء فى سبيل الإسلام.

وفى المقطع الثالث من الرسالة يظهر الإمام عجبه الشديد كيف أنّ الدهر جعله فى صفّ معاوية الذى لم يقدّم أىّ خدمة للإسلام ولا يملك أىّ سابقة فى الدين؟

وأخيراً وفى القسم الرابع من الرسالة يتحدّث الإمام عليه السلام عن عدم قبوله لطلب معاوية فيما يخصّ تحويل قتلة عثمان، لأنّه إذا تقرّر محاكمة وإنزال العقوبة بقتلة عثمان، فهذا من شأن الحكومة الإسلاميّة لا من شأن شخص متمرّد على الحكومة.

والجدير بالذكر أنّ لمعاوية فى رسالته وجواب الإمام علىّ عليه السلام عليها حكاية مثيرة ولا بأس من استعراضها من أجل الكشف بشكل أفضل عن مضمون رسالة الإمام عليه السلام لمعاوية، والحكاية كالتالى:

«كان أبو مسلم الخولانى وهو من أهل اليمن قد أدرك عصر الجاهلية ولكنّه لم يؤمن بنبىّ الإسلام أبداً وكان يعيش فى الغالب فى الشام، وقد جاء إلى معاوية مع جماعة من أهل الشام قبل حركة الإمام علىّ عليه السلام باتجاه صفّين وطلب منه أن يجتنب قتال علىّ بن أبى طالب الذى يتمتّع بمقام شامخ ومنزلة كبيرة من جهة قرابته للنبىّ وسابقته فى الإسلام وهجرته، وقال له بأنّك لا تملك مثل هذا الموقع الاجتماعى والدينى الممتاز.

وفى مقام الجواب عن كلامهم توسّل معاوية بهذه الذريعة، وهى أنّ علىّ بن

نفحات الولاية، ج‏٩، ص: ٩١

أبى‌طالب قد أجار قتلة عثمان فلو أنّه دفعهم إليه ليقتصّ منهم فإنّه سيمتنع من قتاله، فطلب أبومسلم وأتباعه أن يكتب هذ الطلب إلى الإمام علىّ عليه السلام فى رسالة ويبعثها إليه، فكتب معاوية رسالة بهذه المضمون وسلّمها إلى أبى مسلم ليوصلها إلى أميرالمؤمنين عليه السلام.

فجاء أبو مسلم بالرسالة إلى الإمام علىّ عليه السلام وسلّمها له بحضور جماعة من أصحابه ثم نهض واقفاً وتوجّه للإمام بالقول: إنّنى لا احبّ أن تكون ولاية امور المسلمين بيد غيرك، ولكنّ عثمان قتل بغير حقّ، فادفع قتلته إلينا، فإن خالفك أحد فنحن سنكون فى اختيارك.

فأجابه الإمام عليه السلام: ائتنى غداً لتستلم جواب الكتاب، فجاء أبو مسلم فى اليوم التالى لاستلام جواب الرسالة، فرأى المسجد حاشداً بالناس وكلّهم ينادى: نحن جميعاً اشتركنا فى قتل عثمان.

واللافت أنّ اجتماع هذا الجمهور الغفير فى المسجد كان بدافع أنّ الناس تصوّروا أن يقوم الإمام عليه السلام بتسليم قتلة عثمان إلى

معاویـة لیزیل أیّة ذریعة یمکن لمعاویة التمسّک بها، ومن هنا اجتمع أنصار الإمام علیه السـلام وأتباعهم فی المسـجد لیؤکّدوا أنّ قاتل عثمـان لا یمثّل شـخصاً واحـد أو عـدّة أشـخاص معـدودین، ومع أنّ الإمام علیه السـلام لم یکن یقصـد أبـداً تسـلیم بعض الأشـخاص لمعاویة، فإنّ مثل هذا العمل لیس بالأمر الممکن عملًا.

وفی هذا الموقع سـلّم الإمام علیه السـلام جواباً مکتوباً لأبی مسـلم لینقله إلی الشام ویسـلّمه إلی معاویة، فقال أبو مسـلم فی نفسه: «الْآنَ طابَ الضِراب»[۹۸] أی حان الأوان للقتال طلباً للثأر بدم عثمان.

وتبیّن من ذلک أنّ أبا مسـلم وأتباعه کأنّهم لم یکونوا قد أدرکوا هذه الحقیقة وهی أوّلًا: أنّ قتل عثمان وقع بعد انتفاضة شـعبیة عارمة ضدّه بسبب أعماله وتصرّفاته

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۹۲

السلبیة فی إدارة الأمور، فلم یکن عمل شخص واحد أو عدد من الأشخاص.

وثانیاً: علی فرض أنّ الحکومـة الإسـلامیّة أرادت محاکمـة قتلـة عثمـان والاقتصـاص منهم، فـإنّ هـذه العمل لا یرتبط بشـخص متمرّد کمعاویة بل هو من شأن رئیس الحکومة الإسلامیّة الذی انتخب من قِبل المهاجرین والأنصار وبایعه الناس.

***

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۹۳

القسم الأوّل

اشارة

فَأَرَادَ قَوْمُنَا قَتْلَ نَبِیِّنَا، وَاجْتِیَاحَ أَصْـلِنَا، وَهَمُّوا بِنَا الْهُمُومَ وَفَعَلُوا بِنَا الْأَفَاعِیلَ، وَمَنَعُونَا الْعَذْبَ، وَأَحْلَسُونَا الْخَوْفَ، وَاضْطَرُّونَا إِلَی جَبَلٍ وَعْرٍ، وَأَوْقَـدُوا لَنَا نَـارَ الْحَرْبِ، فَعَزَمَ اللَّهُ لَنَا عَلَی الـذَّبِّ عَنْ حَوْزَتِهِ، وَالرَّمْیِ مِنْ وَرَاءِ حُرْمَتِهِ، مُؤْمِنُنَا یَبْغِی بِـذَلِکَ الْأَجْرَ، وَکَافِرُنَا یُحَامِی عَنِ الْأَصْلِ، وَمَنْ أَسْلَمَ مِنْ قُرَیْشٍ خِلْوٌ مِمَّا نَحْنُ فِیهِ بِحِلْفٍ یَمْنَعُهُ، أَوْ عَشِیرَةٍ تَقُومُ دُونَهُ، فَهُوَ مِنَ الْقَتْلِ بِمَکَانِ أَمْنٍ.

الشرح والتفسیر: بنو هاشم حماة الإسلام الأوائل

کما تقـدّمت الإشارة إلیه فإنّ هـذه الرسالـة تمثّل جواباً علی رسالـة معاویـة، وبما أنّ معاویـة فی بدایـة رسالته قد ارتدی قناع الصـلاح والإیمان وأخذ یتحدّث عن الإسـلام وعظمة النبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله وأعوانه وأنصاره، وسعی لرفع مکانة الخلفاء الثلاثة زیادة عن الحدّ من جهـة، ومن جهـة أخری فإنّ والـد معاویـة هو أبو سـفیان العدوّ الأول للإسـلام الـذی أشـعل نار الحروب ضـد الإسـلام والمسلمین، فالإمام فی هذا المقطع من الرسالة یقول:

«فَأَرَادَ قَوْمُنَا- قریش- قَتْلَ نَبِیِّنَا، وَاجْتِیَاحَ ۹۹] أَصْلِنَا، وَهَمُّوا بِنَا الْهُمُومَ ۱۰۰] وَفَعَلُوا بِنَا

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۹۴

الْأَفَاعِیلَ ۱۰۱]، مَنَعُونَا الْعَذْبَ ۱۰۲]، وَأَحْلَسُونَا[۱۰۳] الْخَوْفَ، وَاضْطَرُّونَا إِلَی جَبَلٍ وَعْرٍ[۱۰۴]، وَأَوْقَدُوا[۱۰۵] لَنَا نَارَ الْحَرْبِ».

هـذه العبارات إشارة إلی مقطع مهمّ وعظیم من تاریـخ الإسـلام یبیّن فیها الإمام علیه السـلام سـلوک الأعـداء وخاصة قبیلة قریش تجاه النبیّ الأکرم صـلی الله علیه و آله والرسالـة الإلهیّـة، فقـد واجه النبیّ والمسـلمون فی مکة صـنوف الأذی من قریش والقذف بالحجارة والاستهزاء والتعذیب بمختلف الأشکال، وأخیراً عندما شعروا بالخوف من تقدّم الإسلام وامتداده فی القبائل العربیة حوالی مکة، عزموا

على محاصرة المسلمين الذين كانوا ثلّة قليلة، اجتماعياً واقتصادياً وكتبوا ذلك الكتاب المعروف بأن لايتواصل أىّ شخص من قريش وسائر العرب مع المسلمين ولا ـ يبيعونهم شيئاً ولا ـ يشتروا منهم ولا ـ يتزوّجوا منهم ولا يزوّجوهم، وختموا هذا العهد ووضعوه داخل الكعبة تأكيداً منهم على الالتزام بهذا الميثاق، والتجأ المسلمون إلى شعب أبى طالب ۱۰۶] الذى كان وادياً موحشاً ومليئاً بالأحجار وعاشوا هناك ثلاث سنوات من الحرمان الشديد تحت طائلة الحصار الاقتصادى، فكانت تلك الأيّام من أصعب الأيّام التى عاشها المسلمون مع النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله إلى درجة أنّ أصوات بكاء الأطفال والجائعين كانت تسمع من خارج الشعب، وأخيراً عندما أخبرهم النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۹۵

بواسطة أبى طالب أنّ الأرضة قد أكلت وثيقة العهد فى الكعبة سوى كلمة البسملة، فشعر الأعداء بالخوف الشديد واعتنق جماعة منهم الإسلام وطلب جماعة منهم أن يحرّروا المسلمين من هذا الحصار الآثم، وهكذا كسر طوق الحصار المضروب على المسلمين.

وجملة: «وَأَوْقَدُوا لَنَا نَارَ الْحَرْبِ إشارة إلى حياة المسلمين فى المدينة الذين خاضوا حروباً عديدة شنّها كفّار قريش عليهم. وعلى رأس قوى الكفر والشرك كان أبو سفيان والد معاوية، وكان الإمام علىّ عليه السلام فى جميع هذه الحروب يمثّل أبرز المضحّين والمجاهدين الذين دافعوا عن النبىّ والإسلام فى معركة بدر واحد والأحزاب وما إلى ذلك، وفى المقابل كانت اسرة معاوية لها النصيب الوافر فى إشعال نار هذه الحروب ضدّ النبىّ ورسالته السماوية، ومع كلّ ذلك يتحدّث معاوية عن عظمة الإسلام والنبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله وعن أعوانه وأنصاره ويثنى عليهم غاية الثناء ويذكر الإمام علىّ عليه السلام بوصفه حاسداً له ولأمثاله على مواقفهم المخزية.

وفى سياق هذه الرسالة يتقدّم الإمام عليه السلام لإبطال مزاعم معاوية الواهية فى الدفاع عن الإسلام والمسلمين ويأخذ بيده إلى الماضى من تاريخ الإسلام والحوادث الواقعة فيه ويقول له: عندما تحرّك أعداء الإسلام ضدّ النبىّ والرسالة وحشدوا جميع قواهم لإجهاض الدعوة الجديدة، فإنّ اللّه تعالى أراد الدفاع عن رسالته بواسطتنا «فَعَزَمَ اللَّهُ لَنَا عَلَى الذَّبِ ۱۰۷] عَنْ حَوْزَتِهِ، وَالرَّمْيِ مِنْ وَرَاءِ حُرْمَتِهِ». (وفى ذلك الوقت كان بنوهاشم على مجموعتين وطائفتين، فطائفة منهم المؤمنون والأخرى الذين لم يلتحقوا بالإيمان والإسلام، وكلا الطائفتين هبّوا للدفاع عن الدين الحنيف «مُؤْمِنُنَا يَبْغِي بِذَلِكَ الْأَجْرَ، وَكَافِرُنَا يُحَامِي عَنِ الْأَصْلِ» أى يدافع عن عشيرته وعن النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله بخلفيات عشائرية وبدافع الرحم.

وجملة: «وَالرَّمْيِ مِنْ وَرَاءِ حُرْمَتِهِ كناية عن حفظ حريم الإسلام والنبىّ

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۹۶

الأكرم صلى الله عليه و آله، لأنّ الرماة عادة يقفون خلف المتاريس للدفاع عن الجيش وحفظ أفراده، وعلى حدّ تعبير العلّامة المجلسى كلمة «وراء» فى هذا المورد ربّما تشير إلى معنى المقدّم والأمام لأنّ الوراء أحياناً تأتى بهذا المعنى، وربّما تأتى بمعنى الخلف كما أنّ الرماة بحسب اللزوم والموقع الذى يفرضه ميدان المعركة يقبعون أحياناً خلف الجيش وأحياناً أخرى يتقدّمون الجيش.

وجملة «وَكَافِرُنَا يُحَامِي عَنِ الْأَصْلِ ذهب جماعة من مفسرى نهج‌البلاغة أنّ هذه العبارة إشارة إلى بعض رموز بنى هاشم مثل العباس، أبوطالب، وحمزة وأمثالهم الذين اشتهروا بالدفاع عن الإسلام والنبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله حتى قبل اعتناقهم الإسلام بدافع الوفاء للقيم القبلية وعواطف الرحم والقرابة.

والملفت للنظر أنّ بعض المحقّقين ذهب إلى أنّه عندما فرضت قريش الحصار الاقتصادىّ على النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله والمسلمين فى شعب أبى طالب كان بعض الأفراد من بنى هاشم ممّن لم يعتنق الإسلام لحدّ الآن كالعباس، وعقيل بن أبى طالب وأخيه طالب بن أبى طالب ونوفل بن الحارث بن عبدالمطّلب وابنه الحارث وأخيه أبوسفيان بن الحارث بن عبدالمطلب (هو غير أبى سفيان بن حرب) كانوا يعيشون مع المسلمين فى ذلك الشعب فى حين لم يعتنقوا الإسلام بعد[۱۰۸].

وطبعاً ذهب البعض إلى أنّ أبا طالب وحمزة كانوا قد اعتنقوا الإسلام قبل ذلك بمدّة إلّاأنّهما أخفيا إسلامهما لأسباب معيّنة.

هذا كلّه في حين أنّ اسرة معاوية وأبي سفيان ومن لفّ لفّهم وكانوا يتآمرون على الإسلام والمسلمين جهاراً وخفية، وكأنّ معاوية قد نسي أو تناسى كلّ هذه القضايا التاريخية المسلّمة في رسالته وأخذ يتبجّح بالدفاع عن الإسلام والمسلمين ويدّعي بأنّ بعض الأشخاص الذين لم يكونوا في ميدان الجهاد والدفاع أنّهم من زمرة المدافعين عن الإسلام والنبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله.

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۹۷

ولذلك يضيف الإمام عليه السلام: أمّا سائر أفراد قريش من غير بني هاشم، ممّن أسلم فلم يكونوا في دائرة الخطر ولم يواجهوا ما واجهنا نحن من مصاعب لأنّهم كانوا يعيشون في إطار التحالفات والمعاهدات «وَمَنْ أَسْلَمَ مِنْ قُرَيْشٍ خِلْوٌ[۱۰۹] مِمَّا نَحْنُ فِيهِ بِحِلْفٍ يَمْنَعُهُ، أَوْ عَشِيرَةٍ تَقُومُ دُونَهُ، فَهُوَ مِنَ الْقَتْلِ بِمَكَانِ أَمْنٍ».

وعلى هذا الأساس يشير الإمام عليه السلام إلى هذه النقطة المهمّة وهي أنّ حماة الإسلام الحقيقيين هم بنوهاشم الذين آمنوا باللّه ورسوله ودافعوا بأرواحهم ونفوسهم عن الإسلام والنبيّ، وحتّى من لم يسلم منهم كان يذبّ عن النبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله احتراماً لمقامه ودفاعاً عن شرفه، أمّا سائر مكوّنات قريش من القبائل العربية ومنهم الخلفاء الثلاثة، الذين استعرض معاوية خدماتهم وتضحياتهم للإسلام، فلم يكونوا في صفّ المدافعين عن النبيّ والإسلام أبداً.

وطبعاً لم يكن معاوية غافلًا أو جاهلًا بتاريخ الإسلام، بل كان يتغافل عن الوقائع التاريخية لتبرير رؤاه وأفكاره.

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۹۹

القسم الثاني

اشارة

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ- إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ، وَأَحْجَمَ النَّاسُ، قَدَّمَ أَهْلَ بَيْتِهِ فَوَقَى بِهِمْ أَصْحَابَهُ حَرَّ السُّيُوفِ وَالْأَسِنَّةِ، فَقُتِلَ عُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ يَوْمَ بَدْرٍ، وَقُتِلَ حَمْزَةُ يَوْمَ أُحُدٍ، وَقُتِلَ جَعْفَرٌ يَوْمَ مُؤْتَةَ، وَأَرَادَ مَنْ لَوْ شِئْتُ ذَكَرْتُ اسْمَهُ مِثْلَ الَّذِي أَرَادُوا مِنَ الشَّهَادَةِ، وَلَكِنَّ آجَالَهُمْ عُجِّلَتْ، وَمَنِيَّتَهُ أُجِّلَتْ. فَيَا عَجَباً لِلدَّهْرِ! إِذْ صِرْتُ يُقْرَنُ بِي مَنْ لَمْ يَسْعَ بِقَدَمِي، وَلَمْ تَكُنْ لَهُ كَسَابِقَتِي الَّتِي لَايُدْلِي أَحَدٌ بِمِثْلِهَا، إِلَّا أَنْ يَدَّعِيَ مُدَّعٍ مَا لَاأَعْرِفُهُ، وَلَا أَظُنُّ اللَّهَ يَعْرِفُهُ. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ.

الشرح والتفسير: حماة الإسلام الأوائل

يتحدّث الإمام عليه السلام في هذا المقطع من الرسالة بالتفصيل ما أجملَ بيانه سابقاً ويبيّن من هم الأشخاص من بني هاشم الذين بذلوا نفوسهم دفاعاً عن الإسلام وشربوا كأس الشهادة في سبيل التصدّي لقوى الكفر والشرك، في حين أنّ أشخاصاً ممّن ذكرهم معاوية بوصفهم قادة الإسلام ومن روّاد الدفاع عن الرسالة الإلهيّة لم يصلوا إلى هذا المقام، يقول:

«وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه و آله إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ ۱۱۰] وَأَحْجَمَ ۱۱۱] النَّاسُ قَدَّمَ أَهْلَ بَيْتِهِ فَوَقَى بِهِمْ

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۱۰۰

أَصْحَابَهُ حَرَّ السُّيُوفِ الْأَسِنَّةِ[۱۱۲]».

جملة: «احْمَرَّ الْبَأْسُ إشارة إلى اشتعال نار الحرب، وبما أنّ الحرب تشبّه عادة بالنار التي تحمرّ في حال اشتدادها واستعارها، فلذلك استخدمت هذه الكناية، وقيل أيضاً أنّ الإحمرار هنا كناية عن كثرة سفك الدماء عند اشتداد المعركة والقتال.

إنّ العبارات المذكورة تشير إلى أنّ النبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله وخلافاً للقادة العسكريين في عالمنا المعاصر الذين يحتفظون

بأبنائهم وأقربائهم فى الخطوط الخلفيـة عند مواجهة الخطر ويبعثون الغرباء إلى الصـفوف الإماميّة من المعركة، يقدّم النبىّ أعزّ أرحامه وأقربائه إلى الصفّ الأوّل من جبهات الحرب والقتال ليثبت أنّه على يقين من رسالته وأنّه يسلك فى هذا السبيل حالات الانسجام التام بين أهدافه وسيرته ومستعدّ دوماً للتضحية فى سبيل الغايات الإلهيّة التى يصبو إليها ويهدف لتحقيقها فى واقع الحياة والمجتمع.

ثم إنّ الإمام عليه السـلام فى سـياق كلامه يـذكر ثلاثـة أشـخاص من أقربائه وأرحامه الذين شاركوا فى الحروب وتصدّوا لقوى الكفر والانحراف ونالوا درجـة الشـهادة، أولهم «عبيـدة بن الحارث» (وهو ابن عمّ النبىّ الأكرم صـلى الله عليه و آله الذى استشـهد يوم بدر)، والثـانى «حمزة بن عبـدالمطلب» عمّ النبىّ الأكرم صـلى الله عليه و آله الـذى استشـهد يوم احـد، والثالث «جعفر بن أبى طالب» ابن عمّ النبىّ الأكرم صـلى الله عليه و آله أيضاً الذى نال وسام الشـهادة فى معركة مؤتة، يقول الإمام عليه السلام: «فَقُتِلَ عُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ يَوْمَ بَدْرٍ وَقُتِلَ حَمْزَةُ يَوْمَ أُحُدٍ وَقُتِلَ جَعْفَرٌ يَوْمَ مُؤْتَةَ».

«بـدر» اسم بئر تقع بين مكـة والمدينـة وهى أقرب إلى المدينـة، وسـمّيت بهذا الإسم لأنّه اسم الحافر لها، وأمّا قصة استشـهاد عبيدة بن الحارث على يد «عتبة ابن ربيعة» وأحد المشركين فهى:

عندما تقابل جيش المسلمين فى معركة بدر مع جيش الكفر والشرك نزل للبراز

نفحات الولاية، ج٩، ص: ١٠١

ثلاثـة أشـخاص من شـجعان المشـركين، وفقاً لما كان متـداولًا فى ذلك الزمان كمقدّمـة للقتال والحرب، وهم عتبة وأخيه شـيبة وابنه وليد، وطلبوا من المسلمين أن يبرز إليهم من يقاتلهم، فتطوّع لهذه المهمّة بعض الأنصار وتوجهوا إلى الميدان لمقابلة هؤلاء المشركين الثلاثـة، ولكنّ المشـركين قالوا: نحن نريـد أكفاءنا من قريش، فالتفت النبىّ الأكرم صـلى الله عليه و آله إلى حمزة وعبيدة والإمام علىّ عليهم السـلام وقال: اسـتعدّوا وتوجّهوا إلى هؤلاء الأعداء، فبرز عبيدة إلى عتبة وحمزة إلى شـيبة وعلىّ إلى الوليد، أمّا الإمام علىّ عليه السـلام فقد اسـتطاع الإجهاز على الوليد بعد مناوشات قليلة، وأمّا حمزة فقد صـرع شيبة، ولكن عبيدة الذى كان مسنّاً تقريباً بقى يقاتل عتبة، وأخيراً سـقط عبيدة على الأرض وهو بالنزع الأخير وجىء به إلى النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله، فعندما رأى النبىّ قال: هل أنا شهيد، فقال له النبىّ صلى الله عليه و آله: نعم أنت شهيد فى سبيل اللّه.

أمّا حمزة بن عبدالمطلب فقد استشـهد فى معركة احد التى وقعت بعد واقعة بدر فى السنة الثالثة للهجرة، وقتله شخص يدعى «وحشىّ» وهو اسم على مسـمّى وأمّا أسـباب هـذه المعركـة فقـد ذكر المؤرخون: إنّ المشـركين بعـد هزيمتهم فى معركـة بـدر رجعوا إلى مكة وأقسـموا فيمـا بينهم (بقيـادة أبى سـفيان) أن يـبيعوا بعض إبلهم ويجمعوا الأسـلحة والعـدّة للهجوم مرّة أخرى على المسـلمين وكـانت النتيجـة أنّ المشـركين اسـتطاعوا من تحشـيد ثلاثـة آلاف نفر داخل وخارج مكة ومعهم مائتى فرس وثلاثة آلاف بعير وسـبعمائة درع واستعدّوا للتوجّه إلى المدينة لمواجهة جيش الإسلام.

وقصة هذه الحرب فيها تفاصيل كثيرة، وإجمالًا نعلم أنّه بسبب اشتباه بعض المسلمين وتمرّدهم على أوامر النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله انتهت هـذه المعركـة بانكسـار وهزيمـة الجيش الإسـلامى وجرح فيها النبىّ وكسـرت رباعيته بحجر رماه به «عتبـة ابن أبى وقاص» واستشهد حمزة بطل الإسلام وعمّ النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله، وجاءت هند زوجة أبى سفيان وام معاوية ومعها جماعة من النسوة إلى الميدان فى نهاية المعركة

نفحات الولاية، ج٩، ص: ١٠٢

وأخـذت تمثّـل بشـهداء المسـلمين، فكانت تقطع آذان وانوف هؤلاء الشـهداء وتجعل منها عقـداً لها، ثم إنّها جاءت إلى جسـد حمزة وبقرت بطنه وأخرجت كبـده ولاـكته بأسـنانها بقصـد أكله ولكنّهـا لم تتمكّن من ذلـك، فقـذفت به خارجاً، ومن هنا كان المسـلمون يطلقون على هند «آكلة الأكباد» ويسمّون معاوية «ابن آكلة الأكباد».

أمّا «جعفر بن أبى طالب فقـد استشـهد فى غزوة مؤتة، وهذه المعركة وقعت فى منطقة مؤتة على مقربة من الشام (الحدود الشـمالية من

جزيرة العرب) فی السنة الثامنة للهجرة وكانت بداية هذه الحرب أنّ النبیّ الأكرم صلی الله علیه و آله أرسل رسولًا من قِبله يدعی «الحارث بن عميرة» إلی حاكم «بُصری» ودعاه إلی الإسلام، فعندما وصل منطقة مؤتة أمر حاكم بصری بقتله، وهذا العمل يمثّل خرقاً للتقاليد الموجودة والعرف المتداول فی ذلك الوقت بالنسبة للرسل والمبعوثين، وهذه السنّة جارية لحدّ الآن فی الثقافاتالبشرية، وهذهالمصيبة ثقلت علیالمسلمين بحيث أنّ النبیّ الأكرم صلی الله علیه و آله جهّز جيشاً من ثلاثة آلاف رجل بقيادة زيد بن حارثة وأمره بمواجهة أهل الشام.

وقد أمر النبیّ الأكرم صلی الله علیه و آله أنّه إذا استشهد زيد بن حارثة فإنّ جعفر هو الذی يتولی قيادة الجيش ويكون صاحب اللواء، وإذا استشهد جعفر بن أبی طالب، فصاحب اللواء عبداللَّه بن رواحة، وإذا استشهد عبداللَّه بن رواحة فإنّ علی المسلمين أن يختاروا من بينهم رجلًا لقيادة الجيش.

وتحرّك الجيش الإسلامیّ حتّی وصل المحلّ الذی قتل فيه رسول النبیّ الأكرم صلی الله علیه و آله ودعوا اولئك القوم إلی الإسلام، ولكن عندما اطّلع الأعداء علی مجیء جيش الإسلام قاموا بتحشيد جيش عظيم بلغ عدده مائة ألف رجل، ولكن المسلمين لم يتردّدوا أو يجبنوا أمام هذا العدد الكبير من جيش الأعداء الذی لا يقارن مع قلّة عدد المسلمين، وبدأت الحرب، وخاض المسلمون معركة صعبة فی هذه المنطقة، وكما توقّع النبیّ الأكرم صلی الله علیه و آله فقد استشهد زيد بن حارثة وجعفر بن أبیطالب وعبداللَّه بن رواحة واحداً بعد الآخر وقطع الأعداء يدی جعفر، ولذلك

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۱۰۳

عندما أخبروا النبیّ الأكرم صلی الله علیه و آله بالحدث بعد ذلك قال: «إنَّ اللَّهَ قَدْ عَوَّضَهُ جَنَاحَيْنِ يَطِيرُ بِهِما فی الجَنَّةِ» فسمّی جعفر الطيار.

وأخيراً أخذ المسلمون يتداركون الأمر وأظهروا للأعداء أنّ هذا العدد من الجيش الإسلامیّ وهو ثلاثة آلاف رجل ما هو إلّامقدّمة لجيش الإسلام العظيم الذی سيصل عمّا قريب، وعلی ضوء ذلك رأی الأعداء أنّ الانسحاب أفضل وعاد المسلمون بخسائر محدودة إلی المدينة من دون أيّة هزيمة تفرض عليهم من الأعداء، وفی الحقيقة أنّ هذه الحرب انتهت بدون انتصار العدوّ علی المسلمين.

وممّا تقدّم أعلاه يتبيّن بجلاء صدق كلمات الإمام علیه السلام فی رسالته، وكيف أنّ النبیّ الأكرم صلی الله علیه و آله كان يقدّم أهل بيته وأرحامه من بنی هاشم فی المعارك الطاحنة بين قوی الإيمان وقوی الكفر والشرك، بينما كان يعيش الآخرون فی الصفوف المتأخّرة خلافاً لما ذكره معاوية فی رسالته.

ويستمرّ الإمام علیه السلام فی رسالته مستخدماً اسلوب الكناية، والكناية أبلغ من التصريح فی إشارة إلی نفسه المباركة وأنّه أيضاً مشتاق إلی الشهادة فی سبيل الإسلام، ولكنّ اللَّه تعالی لم يشأ له ذلك ولم يحن أجله ويقول: «وَأَرَادَ مَنْ لَوْ شِئْتُ ذَكَرْتُ اسْمَهُ مِثْلَ الَّذِی أَرَادُوا مِنَ الشَّهَادَةِ وَلَكِنَّ آجَالَهُمْ عُجِّلَتْ وَمَنِيَّتَهُ أُجِّلَتْ».

وهذه العبارة تؤكد علی الأمر الذی كثيراً ما ذكره الإمام أميرالمؤمنين علیه السلام وأنّه يشتاق إلی الشهادة كشوق الطفل الرضيع إلی لبن امّه كما قال: «وَ اللَّهِ لَابْنُ أَبی طَالِبٍ آنَسُ بِالْمَوْتِ مِنَ الطِّفْلِ بِثَدْیِ أُمِّهِ»[۱۱۳]. أو ما ورد فی الأحاديث الشريفة بعد انتهاء معركة احد عندما جاء الإمام علیّ علیه السلام للنبیّ الأكرم صلی الله علیه و آله وهو مهموم وقال: لقد استشهد جماعة من المسلمين (ومنهم عمیّ حمزة) ولكنّی حرمت من الشهادة فقال له النبیّ صلی الله علیه و آله: «يا عَلیُّ أبْشِرْ فَإنّ الشَّهادَةَ مِنْ وَرائِكَ»[۱۱۴].

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۱۰۴

وبعد أن بيّن الإمام علیه السلام بأدلّة وشواهد قويّة دفاعه- هو وأهل بيته- المستميت عن الإسلام والنبیّ وأفضليّتهم علی الآخرين، شرع بإظهار التعجّب ممّا أوقعه فيه الدهر، بمعنی أهل الدهر والناس الذين لم يدركوا هذه الحقائق وأنّه هو وأهل بيته مع كلّ هذه الفضائل قد جعلوه فی عرض من ليست له مثل تلك الامتيازات والسوابق فی تاريخ الإسلام، ولم يكن يملك أدنی امتياز فی الشخصية

والإيمان والجهاد: فَيَا عَجَباً لِلدَّهْرِ! إِذْ صِرْتُ يُقْرَنُ بِى مَنْ لَمْ يَسْعَ بِقَدَمِى، وَلَمْ تَكُنْ لَهُ كَسَابِقَتِى الَّتِى لَايُدْلِى ١١٥] أَحَدٌ بِمِثْلِهَا».
وقد تصوّر البعض من هذه العبارة أنّها إشارة إلى أنّ الناس كانوا يقارنون بين الإمام علىّ عليه السلام ومعاوية فى حين أنّ مقصود الإمام عليه السلام يختلف عن هذا المعنى، فمراده فى الحقيقة ناظر إلى رسالة معاوية وما ذكره من أنّ الخلفاء الثلاثة السابقين كانت لهم من الفضائل والسوابق فى الإسلام حيث أخذ معاوية يتبجّح ويتفاخر بفضائل هؤلاء الخلفاء فى مقابل الإمام عليه السلام، والّا فإنّ معاوية لم يشر فى رسالته إلى سوابقه الإسلام، لأنّه أساساً لم يكن يملك أيّة سابقة حسنة فى تاريخ الإسلام وإن كانت له سابقة فهى سابقة سوء فى العداء للإسلام والمسلمين هو وقبيلته وآل بيت أبى سفيان.
وعلى أيّة حال فإنّ الإمام عليه السلام أبدى تعجّبه من أهل زمانه ومنهم معاوية كيف أنّهم يقرنونه مع الخلفاء السابقين عليه، وهذا الكلام فى الحقيقة يتناغم مع ما ورد فى الخطبة الشقشقية حيث يقول: «مَتَى اعْتَرَضَ الرَّيْبُ فِىَّ مَعَ الْأَوَّلِ مِنْهُمْ حَتَّى صِرْتُ أُقْرَنُ إِلَى هَـٰذِهِ النَّظَائِرِ». أى أعضاء شورى عمر بن الخطاب الذين جعلهم عمر بعده لاختيار الخليفة وجعل معهم الإمام علىّ عليه السلام كواحد من الشورى.
ولعلّ الأشخاص، الذين تصوّروا أنّ كلام أميرالمؤمنين عليه السلام هنا ناظر إلى مقارنته
نفحات الولاية، ج۹، ص: ۱۰۵
مع معاوية، كانوا تحت تأثير عبارة أخرى من كلام الإمام عليه السلام وردت فى مورد آخر، ولكن إذا تمعّنوا فى هذه النقطة اللطيفة، وهى أنّ رسالة الإمام عليه السلام فى الواقع جواب على رسالة معاوية له، وفى تلك الرسالة تحدّث معاوية عن أفضليّة الخلفاء السابقين على الإمام عليه السلام، لزال هذا التوهّم، ومن هذا المنطلق يتبيّن أنّ مقصود الإمام عليه السلام هو ما ذكرناه آنفاً.
ثمّ إنّ الإمام عليه السلام يستمرّ فى كلامه بالكناية البليغة أيضاً ويقول: «إِلَّا أَنْ يَدَّعِىَ مُدَّعٍ مَا لَاأَعْرِفُهُ، وَلَا أَظُنُّ اللَّهَ يَعْرِفُهُ»، أى أن يدّعى أحد بعض الفضائل لهؤلاء لا توجد لديهم فى الواقع ولست مطّلعاً عليها ولا أتصوّر أنّ اللَّه تعالى أيضاً مطّلع عليها لأنّها أساساً غير موجودة لديهم.
وهذا يشبه ما ورد فى الآية الشريفة ١٨ من سورة يونس حيث يقول تعالى: «قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَايَعْلَمُ فِى السَّمَوَاتِ وَلَا فِى الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ»، أى أنّ المشركين الذين يعبدون غير اللَّه تعالى، ما لا يضرّهم ولاينفعهم يقولون:
هؤلاء شفعاؤنا عند اللَّه، فيردّ عليهم القرآن الكريم بأنّ اللَّه تعالى لا يعلم أنّ له مثل هؤلاء الشفعاء، لا فى السموات ولا فى الأرض.
ثمّ إنّ الإمام عليه السلام فى خاتمة الرسالة وبعد أن بيّن سوابق أهل البيت ومخالفيهم، يشكر اللَّه تعالى ويقول: «وَالْحَمْدُ للَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ».
وجملة: «فَيَا عَجَباً لِلدَّهْرِ» لا تعنى أنّ الإمام عليه السلام يعلم بمصائر الناس وبأنّ الدهر يملك تأثيراً فى الحوادث الواقعة كما يعتقد الدهريون، بل مراده من الدهر هنا هو أهل الدهر الذين لم يعرفوا ولم يقدّروا مقام الإمام عليه السلام وما يقتضيه ويفرضه عليهم، حيث جعلوه قريناً لأشخاص لم يقدّموا أىّ شىء فى سبيل الإسلام ولم يكن لديهم أىّ امتياز فى تاريخهم، وعلى هذا الأساس كان عتب الإمام عليه السلام ناظر إلى أهل الزمان والدهر وإن كان الكلام متوجّهاً ظاهراً إلى الدهر نفسه.
وبعبارة أخرى أنّ حسن الدهر وقبحه يتمّ تشخيصه من خلال حسن الناس
نفحات الولاية، ج۹، ص: ۱۰۶
وسوء أخلاقهم وسلوكهم كما يقول الشاعر:
يَعيبُ النّاسُ كُلُّهُمُ زَماناًوَما لِزَمانِنا عَيْباً سِوانا
نَعيبُ زَمانَنا وَالْعَيبُ فِيناوَلَوْ نَطَقَ الزَمانُ بِنا هَجانا
ومفهوم جملة: «مَنْ لَمْ يَسْعَ بِقَدَمِى أنّ مثل هؤلاء الأشخاص لم يتقدّموا بخطوة كما تقدّمت أنا فى خطّ الرسالة والإيمان والحقّ، وهذا

كنايـة عن أنّ الآخرين لم يقـدّموا أيّـة خدمة للإسـلام كما قدّمت من تضـحيات فى سبيل الدفاع عن النبىّ الأكرم صـلى الله عليه و آله والرسالة.

***

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۱۰۷

القسم الثالث

اشارة

وَأَمَّا مَا سَأَلْتَ مِنْ دَفْعِ قَتَلَـةِ عُثْمَانَ إِلَيْکَ، فَإِنِّی نَظَرْتُ فِی هَذَا الْأَمْرِ، فَلَمْ أَرَهُ يَسَـعُنِی دَفْعُهُمْ إِلَيْکَ وَلَا إِلَى غَيْرِکَ، وَلَعَمْرِی لَئِنْ لَمْ تَنْزِعْ عَنْ غَيِّکَ وَشِـقَاقِکَ لَتَعْرِفَنَّهُمْ عَنْ قَلِيـلٍ يَطْلُبُونَکَ، لَايُکَلِّفُونَکَ طَلَبَهُمْ فِی بَرٍّ وَلَا بَحْرٍ، وَلَا جَبَلٍ لَا سَـهْلٍ، إِلَّا أَنَّهُ طَلَبٌ يَسُوءُکَ وِجْـدَانُهُ، وَزَوْرٌ لَايَسُرُّکَ لُقْيَانُهُ، وَالسَّلَامُ لِأَهْلِهِ.

الشرح والتفسير: ما أنت وقتلة عثمان؟!

نعلم أنّ معاويـة كان قد طلب فى كتابه من الإمام عليه السـلام أن يسلّم إليه قتلة عثمان، وهذا الطلب غير معقول وبعيد عن المنطق، لأنّه لو تقرّر أن يقدّم شـخص إلى المحاكمة والقصاص بسبب قتله لإنسان برىء فإنّ هذا العمل من شأن إمام المسلمين وخليفتهم الشرعىّ، ويتمّ ذلك بموافقـة أولياء الدم، لا شـخص متمرّد ولا يعتبر من أولياء الدم، هذا فى صورة ما إذا ثبت أنّ المقتول كان بريئاً وأنّ القاتل أو القتلة مذنبون، ولذلك يقول الإمام فى مقابل طلب معاوية هذا: «وَأَمَّا مَا سَأَلْتَ مِنْ دَفْعِ قَتَلَةِ عُثْمَانَ إِلَيْکَ، فَإِنِّی نَظَرْتُ فِی هَذَا الْأَمْرِ، فَلَمْ أَرَهُ يَسَعُنِی ۱۱۶] دَفْعُهُمْ إِلَيْکَ وَلَا إِلَى غَيْرِکَ»، لأنّه لا علاقة لک بهذا الأمر، فلا أنت ولىّ الدم ولا الحاكم الإسـلامىّ ليكون طلباً مشروعاً ومعقولًا.

وبـديهىّ أنّ مسألـة طلب الثار بدم عثمان لم تكن سوى ذريعة لرفع لواء الفرقة والشـقاق ضدّ الإمام عليه السـلام والإمتناع من البيعة له، وهذه المسألة من ناحية تاريخية إلى

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۱۰۸

درجـة من الوضوح بحيث كان يضـرب بها المثل بين الناس عنـدما يريدون أن يقولوا بأنّ فلاناً يتمسّک بشـىء لتبرير سـلوكه أو لدعم وجهة نظره فى مقابل المخالف، فيقال: «إنّ فلان جعل من القضـية كقميص عثمان» ومعلوم أنّ الإمام علىّ عليه السـلام لو سلّم لمعاوية بعض الأشـخاص المتّهمين بقتل عثمان فإنّ معاوية لم يكن يقنع بذلک، بل سيسـتمر بالمطالبة بآخرين ويتذرّع دوماً بمثل هذه الذريعة والحجّة لدعم وتقوية أركان حكومته فى الشام، وهذه الحالة تمثّل منتهى الخسّة والانتهازية فى مقابل إمام المسلمين.

أضف إلى ذلک فهناک الكثير من الأدلّة والشواهـد التى تدلّ على أنّ معاوية ليس له الحقّ بأن يطلب من الإمام عليه السـلام مثل هذا الطلب، والإمام عليه السـلام بـدوره لا ينبغى أن يهتمّ بمثل هذه الطلب، وعلاوة على ذلک أنّ مثل هذا الطلب لا يمكن أن يتحقق على أرض الواقع لأنّ انتفاضـة المسلمين ضـدّ عثمـان كانت انتفاضـة عامـة وشاملـة والشاهـد على هـذا الكلام القصّيـة التى يرويها الشارح البحرانى فى «شرح نهج‌البلاغة» حيث يقول:

«كما روى أنّ أباهريرة وأبالدرداء أتيا معاوية فقالا له: علام تقاتل عليّاً وهو أحقّ بالأمر منک لفضـله وسابقته، فقال معاوية: لست اقاتله لأنّـى أفضـل منه ولكن ليـدفع إلىّ قتلـة عثمـان، فخرجـا من عنـده وأتيـا عليّـاً، فقالاـ له: إنّ معاويـة يزعم أنّ قتلـة عثمـان عنـدک وفى

معسکرک، فادفعهم إلیه فإنّ قاتلک بعدها علمنا أنّه ظالم لک، فقال علیّ علیه السلام: إنّی لم أحضر قتل عثمان یوم قتل ولکن هل تعرفان من قتله؟ فقالا: بلغنا أنّ محمّد بن أبی بکر وعمّار بن یاسر وعدیّ بن حاتم وعمر وبن الحمق وفلاناً وفلاناً ممّن دخل علیه.

فقال علیّ علیه السلام: فامضیا إلیهم فخذوهم.

فأقبلا إلی هؤلاء النفر وقالا لهم: أنتم من قتلة عثمان وقد أمر أمیرالمؤمنین بأخذکم. قال: فوقعت الصیحة فی المعسکر بهذا الخبر فوثب من عسکر علیّ أکثر

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۱۰۹

من عشرة آلاف رجل فی أیدیهم السیوف وهم یقولون: کلّنا قتلته، فبهت أبوهریرة وأبوالدرداء، ثم رجعا إلی معاویة وهما یقولان: لا یتمّ هذا الأمر أبداً، فأخبراه بالخبر، فإذا کان القائلون والمتعصبون لهم بهذه الکثرة فکیف یمکنه علیه السلام تسلیمهم وتمکین أحد منهم؟»[۱۱۷].

عندما یکون قتلة عثمان بهذا العدد من الکثرة فهل یستطیع الإمام علیه السلام أن یسلّمهم جمیعاً أو یسلّم أحدهم إلی معاویة علی فرض أنّ معاویة ولیّ دم عثمان وأنّه یرید إقامة الحقّ والعدالة؟

ولکن بما أنّ معاویة فی ختام رسالته هدّد الإمام علیه السلام بالقتال والحرب، فقد أجابه الإمام علیه السلام علی هذا التهدید بالمثل وکتب فی ختام رسالته عبارة شدیدة اللهجة زاخرة بأنواع الفصاحة والبلاغة وقال: «وَلَعَمْری لَئِنْ لَمْ تَنْزِعْ عَنْ غَیِّکَ ۱۱۸] شِقَاقِکَ ۱۱۹] لَتَعْرِفَنَّهُمْ عَنْ قَلِیلٍ یَطْلُبُونَکَ، لَایُکَلِّفُونَکَ طَلَبَهُمْ فِی بَرٍّ وَلَا بَحْرٍ، لَاجَبَلٍ وَلَا سَهْلٍ، إِلَّا أَنَّهُ طَلَبٌ یَسُوءُکَ وِجْدَانُهُ، وَزَوْرٌ[۱۲۰] لَایَسُرُّکَ لُقْیَانُهُ ۱۲۱]، وَالسَّلَامُ لِأَهْلِهِ».

وهنا یذکّر الإمام علیه السلام بهذه العبارة الحکیمة معاویة بأنّ قتلة عثمان لیس کما تحسب أنّهم نفر قلیل (علی فرض أن یکونوا فی جیشی) بل هم جماعة عظیمة سیأتونک سراعاً فلا تکلّف نفسک جهد البحث عنهم، أجل فعمّا قلیل سیأتونک تباعاً وسیواجهونک فی میدان القتال وستعرف منهم ضربات السیوف والرماح وسوف تدور الدائرة علیک فلا تستطیع أن تتمسّک بعد ذلک بهذه الذریعة الواهیة.

والواقع أثبت صحّة هذا الکلام ولولا بعض السذّج والمخدوعین فی جیش

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۱۱۰

الإمام علیّ علیه السلام الذین انطوت علیهم حیلة عمرو بن العاص فی رفع المصاحف علی الرماح؛ لکان الإمام علیه السلام قد انتهی من معاویة وحکومته فی الشام وأزاح هذه الفتنة من واقع الامّة الإسلامیّة وأراح المسلمین منها.

تأمّل: کلام عن قتلة عثمان

بالرغم من أنّنا بحثنا أکثر من مرّة عن واقعة قتل عثمان والعوامل التی أدّت إلی انتفاضة المسلمین ضدّه، نری من اللازم أیضاً الإشارة إلی نقطة أخری فی هذا المجال بشکل موجز.

إنّ من بین أصحاب الإمام علیّ علیه السلام مَن شهد النبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله لهم بالجنّة، وکانوا ممّن یرون أنّ عثمان یستحقّ القتل بسبب البدع التی اختلقها فی أیّام خلافته.

یقول نصر بن مزاحم فی کتابه (صفین): إنّ عمّار بن یاسر وقف فی أحد الأیّام فی معرکة صفین بین أصحابه وقال: امضوا معی عباد اللَّه إلی قوم یطلبون فیما یزعمون بدم الظالم لنفسه، الحاکم علی عباد اللَّه بغیر ما فی کتاب اللَّه، إنّما قتله الصالحون المنکرون للعدوان، الآمرون بالإحسان، فقال هؤلاء الذین لا یبالون إذا سلمت لهم دنیاهم ولو درس هذا الدین: لم قتلتموه؟ فقلنا: لإحداثه، فقالوا: إنّه ما أحدث شیئاً، وذلک لأنّه مکّنهم من الدنیا، فهم یأکلونها ویرعونها ولا یبالون لو سقطت علیهم الجبال، واللَّه ما أظنهم یطلبون

دمه إنّهم ليعلمون أنّه الظالم، ولكن القوم ذاقوا الدنيا فاستحبّوها واستمرأوها وعلموا لو أنّ صاحب الحقّ لزمهم لحال بينهم وبين ما يأكلون ويرعون فيها، ولم يكن للقوم سابقة فى الإسلام يستحقّون بها الطاعة والولاية، فخدعوا أتباعهم بأن قالوا: قتل إمامنا مظلوماً ليكونوا بذلك جبابرة وملوكاً، وتلك مكيدة قد بلغوا بها ما ترون»[۱۲۲].

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۱۱۱

وعندما يقرّ مثل هذا الرجل العظيم وهو عمّار بن ياسر الذى هو من أهل الجنّة بمشاركته بقتل عثمان ويستدلّ لذلك بما اختلقه عثمان من البدع الخطيرة فى الإسلام، فمن البديهىّ أنّ الإمام عليه السلام لا يسمح لنفسه بتسليم مثل هؤلاء الأشخاص من المهاجرين والأنصار والتابعين، إلى معاوية ليقتلهم.

إنّ الباعث على ثورة الناس ضدّ عثمان يمكن بيانه فى خمسة أمور:

۱. تعطيل الحدود والموازين الإلهيّة فى أيّام خلافة عثمان.

۲. تقسيم بيت المال بين بنى اميّة.

۳. تعيين أفراد من بنى اميّة فى المناصب الحسّاسة فى الحكومة الإسلاميّة.

۴. ضرب وجرح أصحاب النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله كعبداللّه بن مسعود وعمّار بن ياسر.

۵. تبعيد ونفى الشخصيّات الإسلاميّة الكبيرة كأبى‌ذرّ، مالك الأشتر، صعصعة ابن صوحان وأخيه، وعمرو بن الحِمَق الخُزاعى.

إنّ أمواج المخالفة والاعتراض ضدّ عثمان اتّسعت واشتدّت إلى درجة أنّ أفراداً كعبدالرحمن بن عوف الذى كانت له يد الطولى فى نصب عثمان واستلامه الخلافة فى مسألة الشورى الستّة الذين نصبهم عمر بن الخطاب لتعيين الخليفة من بعده، اعترض عليه وأصبح من مناوئيه، وينقل المؤرخون أنّ عبدالرحمن- لهذا الأسباب المتقدّمة- قطع علاقته مع الخليفة الثالث ولم يتحدّث معه إلى نهاية عمره، وحتى عندما جاء عثمان لعيادته وهو فى حال مرضه أعرض بوجهه عن الخليفة ولم يتحدّث معه بكلمة[۱۲۳].

ومن بين هؤلاء المعترضين على عثمان كانت عائشة زوجة النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله تعترض أكثر من الآخرين على أعمال عثمان، وعندما أمر عثمان بضرب عمّار ابن ياسر أخرجت عائشة ثوب النبىّ ونعله وقالت: أيّها الناس! هذا ثوب النبىّ ونعله لم

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۱۱۲

يجفّا بعد وقد نسيتم سنّته.

وقد ذكر المؤرّخون عبارة مشهورة لعائشة فى حقّ عثمان حيث كانت تقول:

«اقْتُلُوا نَعْثَلًا قَتَلَ اللَّهُ نَعْثَلًا»[۱۲۴] وتقصد به عثمان بن عفّان.

ومن جملة المعترضين والمخالفين لعثمان، طلحة والزبير اللذان كانا ينتقدان سياسة عثمان وتصرّفاته كثيراً، ومن العجيب أنّ هذين الرجلين خرجا بعد ذلك ومعهما عائشة للطلب بدم عثمان فى مواجهة الخليفة الحقّ يعنى أميرالمؤمنين علىّ عليه السلام الذى بايعاه قبل ذلك وكان من أمر خروجهما ومعركة الجمل ما كان.

على أيّة حال فإنّ الأشخاص الذين حرّكوا الناس ضدّ عثمان بأقوالهم وبتحريضهم وبذلك مهّدوا الأرضية لقتل عثمان؛ أكثر من أن نحصيهم فى هذا المقال.

إنّ العوامل الخمسة المذكورة أعلاه جعلت الكثير من المسلمين فى المراكز الإسلاميّة كالكوفة والبصرة ومصر يتوجّهون إلى المدينة لأداء وظيفة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، ويجتمعون إلى أنصارهم ومؤيّديهم لبحث الأزمة فى مركز الخلافة ويجبروا الخليفة على التوبة والعودة إلى تعاليم الإسلام أو يعتزل سدّة الحكم ويفوّض أمر الخلافة إلى غيره، وبذلك حاصرت الجماهير بيت الخليفة وطلبوا منه التوبة بإرسالهم رسالة إليه.

وقد سعى عثمان الذى لم يكن يعلم بعمق الاعتراض الجماهيرى والسخط الشعبىّ إلى إنهاء الاضطرابات من خلال تعيين بعض

الأشخاص من ذوى السعة كالمغيرة بن شعبة وعمرو بن العاص فى مركز الخلافة والقرار، ولكنّ الناس لم يقبلوا بهما ورفعوا نداء الاعتراض ضدّهما.

وبعد اشتداد الأزمة بدأ عثمان يتوسّط لدى أميرالمؤمنين عليه السلام لتخفيف وتهدئة الأوضاع المضطربة، وكان الإمام عليه السلام فى كل مرّة يعمل على تهدئة الأوضاع بتدابيره الحكيمة، ولكن للأسف كان عثمان فاقداً للإرادة القوية وكان خاضعاً بشكل تامّ

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۱۱۳

لإرادة عناصر فاسدة فى جهاز الحكومة كمروان بن الحكم حيث كان يستشيره فى كل مرّة ولا يعمل بنصائح أميرالمؤمنين عليه السلام ولا يقيم لسعيه الإصلاحىّ وزناً.

وأخيراً قام المعترضون والثوّار بمحاصرة دار الخليفة ومنعوا عنه الماء فى هذه المرّة، وفى هذه الأثناء قام أميرالمؤمنين عليه السلام وبطلب من الخليفة ومساعدة بنى هاشم بنقل الماء بالقربة إلى دار الخليفة عثمان، حتى أنّ بعض أفراد بنى هاشم فى خضّم هذا الصراع اصيبوا بجراح من قِبل الثوّار والجمهور الذى يحاصر دار عثمان.

وقد كتب عثمان فى أيّام الحصار هذه رسالة إلى معاوية وطلب منه أن يرسل له المدد والعون ولكن معاوية لم يهتمّ لرسالة عثمان ولم يرتّب عليها أثر يذكر وكان يقول: إننى لا- اخالف صحابة النبىّ، ولم يكن هدف المحاصرين بيت الخليفة قتله، بل كانوا يريدون استسلام عثمان وأعوانه ورضوخهم لمطالبهم من خلال منع الماء والطعام عنهم، ولكن سوء تدبير مروان بن الحكم الذى قتل أحد الثّوار أدى إلى تفاقم الأزمة وهجومهم على دار الخليفة.

وكانت شدّة الهجوم إلى درجة بحيث إنّ بنى امية الذين كانوا يحرسون الدار ويدافعون عن الخليفة وأعوانه، فضّلوا الهرب من الميدان، حيث قامت ام حبيبة زوجة النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله وبنت أبى سفيان «وكانت أيضاً من بنى اميّة بإخفائهم فى دارها»، ولكن ثلاثة أشخاص من أعوان الخليفة الذين لم يتمكّنوا من الفرار قتلوا على يد المهاجمين، وأخيراً قتل عثمان أيضاً على أيديهم، وفى هذ المجال كان لبعض الأفراد دور كبير فى هذه النهاية الدامية ومنهم: محمد بن أبى بكر وكنانة ابن بُشر التجيبى وسودان بن حمران المرادى وعمرو بن الحَمِق الخُزاعىّ وعمير ابن الصابى ١٢٥].

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۱۱۵

الرسالة ١٠

اشارة

إلَيْهِ أيضَاً[١٢٦]

نظرة إلى الرسالة

تتألف هذه الرسالة من أربعة أقسام:

القسم الأوّل ينصح الإمام علىّ عليه السلام معاوية ويحذّره من المصير الأليم يوم القيامة والعواقب الوخيمة المترتّبة على تصرّفاته المعادية والمغرضة، رغم أنّ الإمام عليه السلام يعتبره أسير الشيطان وأنّه لا أمل فى هدايته.

والقسم الثانى يشير الإمام عليه السلام إلى هذه النقطة، وهى أنّ معاوية كيف يستطيع إدارة أمور الامّة الإسلاميّة وتولّى شؤونها فى حين أنّه لا يملك أيّة سابقة محمودة فى تاريخ الإسلام ولا ينتمى إلى اسرة شريفة ومؤمنة؟!

وفى القسم الثالث منها يبيّن الإمام عليه السلام هذه الحقيقة وهى أنّه يدعو معاوية إلى

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۱۱۶

ترک الناس وعدم إقحامهم فى الحرب وأن يأتى هو بنفسه إلى الميدان ليواجه الإمام عليه السلام بمفرده ويحسم بذلک مصير الامّة ويعيد إلى الأذهان ما مضى من تاريخ الإسلام حيث كان المسلمون يقاتلون إخوانهم وآباءهم وبنى عمومتهم على الإسلام والإيمان.

وأخيراً فى القسم الرابع من هذه الرسالة يطرح الإمام عليه السلام ذريعة معاوية فى الطلب بدم عثمان ويقول: إنّک تعلم جيداً من هو القاتل لعثمان، فلماذا لا ـ تتوجّه إليه وتترک المسلمين وشأنهم؟ وفى نهاية الرسالة يقول: إننى أرى عمّا قريب صراخک وصراخ جيشک فى ميدان الحرب وسوف تلحق بک الهزيمة بعد الهزيمة وتضطرّ أخيراً إلى اللجوء إلى كتاب اللّه فى حين أنّک لا تؤمن به.

***

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۱۱۷

القسم الأول

اشارة

وَكَيْفَ أَنْتَ صَانِعٌ إِذَا تَكَشَّفَتْ عَنْکَ جَلَابِيبُ مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ دُنْيَا قَدْ تَبَهَّجَتْ بِزِينَتِهَا، وَخَدَعَتْ بِلَذَّتِهَا. دَعَتْکَ فَأَجَبْتَهَا، وَقَادَتْکَ فَاتَّبَعْتَهَا، وَأَمَرَتْکَ فَأَطَعْتَهَا. وَإِنَّهُ يُوشِکُ أَنْ يَقِفَکَ وَاقِفٌ عَلَى مَا لَايُنْجِيکَ مِنْهُ مِجَنٌّ، فَاقْعَسْ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ، وَخُذْ أُهْبَةَ الْحِسَابِ، وَشَمِّرْ لِمَا قَدْ نَزَلَ بِکَ، وَلَا تُمَكِّنِ الْغُوَاةَ مِنْ سَمْعِکَ، وَإِلَّا تَفْعَلْ أُعْلِمْکَ مَا أَغْفَلْتَ مِنْ نَفْسِکَ، فَإِنَّکَ مُتْرَفٌ قَدْ أَخَذَ الشَّيْطَانُ مِنْکَ مَأْخَذَهُ، وَبَلَغَ فِيکَ أَمَلَهُ، وَجَرَى مِنْکَ مَجْرَى الرُّوحِ وَالدَّمِ.

الشرح والتفسير: نظرة إلى الافق الغائم

رأينا آنفاً أنّ هذه الرسالة تبتدىء بكلمات لم يذكرها السيّد الرضىّ فى «نهج‌البلاغة»، فالإمام عليه السلام فى بداية هذا الكتاب بعد الحمد والثناء على اللّه تعالى أشار إلى سرعة انقضاء الدنيا وزوال الحياة وخاطب معاوية بالقول: يا معاوية أنت تدّعى شيئاً لست من أهله، لا فى الماضى ولا فى الحاضر، ولا تملک الدليل على إثبات مدّعاک (جدارتک بالحكومة والخلافة على المسلمين) وليس لديک شاهد من القرآن الكريم أو من الأحاديث النبويّة الشريفة، ثمّ إنّ الإمام عليه السلام أخذ ينبّه معاوية على عواقب التكالب على الدنيا وزخارفها ويحذّره من الوقوف أمام اللّه تعالى يوم القيامة لعلّه ينتبه لخطئه ويرعوى عن سلوكه ويتحرّک فى الصراط المستقيم، يقول الإمام عليه السلام: «وَكَيْفَ أَنْتَ صَانِعٌ إِذَا تَكَشَّفَتْ عَنْکَ جَلَابِيبُ ۱۲۷] مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ دُنْيَا قَدْ

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۱۱۸

تَبَهَّجَتْ ۱۲۸] بِزِينَتِهَا وَخَدَعَتْ بِلَذَّتِهَا».

ثم يضيف الإمام عليه السلام: إنّ هذه الدنيا هى التى‌دعتک وخدعتک إلى بريقها وزخارفها وقد أجبتها وأسرعت إليها وسلّمت إليها قيادک وعقلک: «دَعَتْکَ فَأَجَبْتَهَا، قَادَتْکَ فَاتَّبَعْتَهَا، وَأَمَرَتْکَ فَأَطَعْتَهَا».

والإمام عليه السلام فى هذه العبارات يطرح تشبيهات رائعة للدنيا وبريقها ويشبّهها بالملابس البرّاقة والملوّنة التى يلبسها المرء ويزهو بها أمام الآخرين، أو بمثابة الجلباب الذى يغطّى به الإنسان رأسه، وزخارف الدنيا تخدع الإنسان ولذّتها تجذبه إلى خطّ الهاوية والضلالة، فالأشخاص الذين يتحرّكون فى خطّ الأهواء والشهوات والذين لا يعرفون حقيقة الدنيا سيقعون فى فِخاخِها سريعاً ومن أجل

الاستفادة من زينتها ولذّاتها سيجدون أنفسهم مضطرّين لاتّباع أوامرها والامتثال لمطالبها، وبذلک يبتعدون عن طريق الحقّ والإيمان ويتحرّكون فی متاهات الضلالة ومنزلقات الخطيئة.

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام يشير إلى عاقبة هذا المسار المنحرف ويقول: «وَإِنَّهُ يُوشِکُ [۱۲۹] أَنْ يَقِفَکَ وَاقِفٌ عَلَى مَا لَايُنْجِيکَ مِنْهُ مِجَنٌ [۱۳۰]، فَاقْعَسْ [۱۳۱] عَنْ هَذَا الْأَمْرِ، وَخُذْ أُهْبَةَ[۱۳۲] الْحِسَابِ، وَشَمِّرْ[۱۳۳] لِمَا قَدْ نَزَلَ بِکَ، وَلَا تُمَكِّنِ الْغُوَاةَ[۱۳۴] مِنْ سَمْعِکَ».

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۱۱۹

ويتحدّث الإمام عليه السلام فی هذه العبارات عن جذور الإنحرافات التی وقع فيها معاوية وكذلک يشير إلى طريق الحلّ والعلاج حيث يقول: إنّ أفضل طريق لنجاتک من هذه المتاهة هو أن تعزل حكومة الشام وتأخذ الاهبة للحساب الإلهیّ.

وجملة «شَمِّرْ لِمَا قَدْ نَزَلَ بِکَ إمّا إشارة إلى الحوادث الأليمة والوخيمة التی ستصيب معاوية وأعوانه فی هذه الدنيا، أو إشارة إلى الحوادث والعاقبة الأليمة التی ستلحق بهم فی الآخرة (والاحتمال الثانی أنسب فی المقام) وعلى أية حال بما أنّ هذه الحوادث حتمية الوقوع فإنّ الإمام عليه السلام ذكرها بصيغة الماضی.

ثم إنّ الإمام عليه السلام فی سياق كلامه لمعاوية يستعمل لغة التهديد ببعض الأمور المعنوية ويقول: إنّک إن لم تعمل بما أمرتک به وأرشدتک إليه فذلک لأنّک تعيش الغفلة عن العاقبة الوخيمة التی تنتظرک، وأنّ السبب فی ذلک طغيانک وغرورک بالنعمة «وَإِلَّا تَفْعَلْ أُعْلِمْکَ مَا أَغْفَلْتَ مِنْ نَفْسِکَ، فَإِنَّکَ مُتْرَفٌ [۱۳۵] قَدْ أَخَذَ الشَّيْطَانُ مِنْکَ مَأْخَذَهُ، وَبَلَغَ فِيکَ أَمَلَهُ، جَرَى مِنْکَ مَجْرَى الرُّوحِ وَالدَّمِ».

وقد ذهب بعض المحقّقين إلى أنّ «إِلَّا تَفْعَلْ ...» إشارة إلى أنّ الإمام عليه السلام يهدد معاوية فی هذه العبارة بالحرب، ومراده من إعلامه هو الإعلام العملیّ، ولكن مثل هذا المفهوم لا يستوحى من أیٍّ من العبارات والجمل المذكورة قبل هذه الجملة وبعدها، بل إنّ مجموعة هذه الكلمات والعبارات توحی بالنصيحة وتثير فی المخاطب اليقظة والانتباه.

واللافت أنّ معاوية قد هدّد الإمام عليه السلام فی رسالته بالحرب، ولكن الإمام عليه السلام هدّده بسيطرة الشيطان عليه ووقوعه فی شباكه وحذّره من هذا المصير السیء.

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۱۲۱

القسم الثانی

اشارة

وَمَتَى كُنْتُمْ يَا مُعَاوِيَةُ سَاسَةَ الرَّعِيَّةِ، وَوُلَاةَ أَمْرِ الْأُمَّةِ؟ بِغَيْرِ قَدَمٍ سَابِقٍ، وَلَا شَرَفٍ بَاسِقٍ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ لُزُومِ سَوَابِقِ الشَّقَاءِ. وَأُحَذِّرُکَ أَنْ تَكُونَ مُتَمَادِياً فِی غِرَّةِ الْأُمْنِيِّةِ، مُخْتَلِفَ الْعَلَانِيَةِ وَالسَّرِيرَةِ.

الشرح والتفسير: حذارِ من الغفلة

فی هذا المقطع من الرسالة يشير الإمام عليه السلام إلى حقيقة عدم صلاحيّة معاوية وبنی امية لاستلام أمر الحكومة ومقاليد السلطة على الامّة الإسلاميّة حتى الحكومة على جزء من البلاد الإسلاميّة، لأنّه يعلم أنّ مسألة الطلب بدم عثمان وأمثالها ليست سوى ذريعة بيد معاوية لإيهام الناس واستغفالهم، بينما الغرض الأصلیّ منها أن يفرض حكومته وسيطرته على أهل الشام بوصفه حاكماً إسلاميّاً، يقول الإمام عليه السلام:

«وَمَتَى كُنْتُمْ يَا مُعَاوِيَةُ سَاسَةَ الرَّعِيَّةِ، وَوُلَاةَ أَمْرِ الْأُمَّةِ؟ بِغَيْرِ قَدَمٍ سَابِقٍ، وَلَا شَرَفٍ بَاسِقٍ [۱۳۶]».

صحيح أنّ اسرة بنى امية وأسلافهم كانوا حكّاماً فى ما مضى على قريش، ولكنّ هذا الأمر يتعلّق بزمان الجاهلية وعصر الكفر والشرك، وعبارة «وُلَاةَ أَمرِ الْأُمَّةِ» تبيّن أنّ مقصود الإمام عليه السلام هو عصر ظهور الإسلام، لأننا نعلم أنّ بنى امية وعلى رأسهم أبى سفيان كانوا عند ظهور الإسلام يقفون فى الجبهة المخالفة للرسالة الجديدة وكانوا يدافعون عن الشرك والكفر ويسيرون فى خطّ الضلالة.

نفحات الولاية، ج٩، ص: ١٢٢

وعبارة «سَاسَةَ الرَّعِيَّةِ» و «وُلَاةَ أَمْرِ الْأُمَّةِ» يمكن أن تكون من قبيل العطف والتفسير وأنّ كلا هاتين الجملتين إشارة إلى الحكومة الإسلاميّة، ولكن يحتمل أيضاً أنّ عبارة «سَاسَةَ الرَّعِيَّةِ» تتعلّق بمرحلة ما قبل الإسلام، وعبارة «وُلَاةَ أَمْرِ الْأُمَّةِ» تتعلّق بما بعد ظهور الإسلام فى جزيرة العرب، لأنّ بنى امية قبل الإسلام لم يكونوا سوى ولاة أمر قبيلتهم فقط، فى حين أنّ كلمة الرعيّة توحى بالمعنى الواسع للكلمة، وبعبارة أخرى إنّ أهل مكة كانوا تحت زعامة عبدالمطلب وبعده تحت زعامة أبى‌طالب.

والإمام عليه السلام فى عبارته «بِغَيْرِ قَدَمٍ سَابِقٍ ...» يشير إلى هذه الحقيقة، وهى أنّ الحكومة ومسألة قيادة وزعامة الامّة الإسلاميّة تستلزم توفّر الشروط والضوابط ومنها أن يكون الشخص ذا سابقة فى الإسلام ويكون شريف النسب، فى حين أنّ معاوية هو ابن أبى سفيان الذى كان يقف فى خطّ المواجهة مع النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله إلى آخر لحظة، وقصّة تلوث ام معاوية معروفة ومشهورة فى كتب التاريخ.

ثم إنّ الإمام عليه السلام يحذّر معاوية فى ثلاث جمل ويقول أولًا: «وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ لُزُومِ سَوَابِقِ الشَّقَاءِ».

هذه الجملة يحتمل كونها إشارة إلى أنّ معاوية، وبسبب العوامل الوراثية السلبية الصالحة التى انتقلت إليه من أبيه وامّه، (أبى سفيان وهند آكلة الأكباد) وحركته فى خطّ الباطل والشرك ومواجهة النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله والرسالة الإلهيّة مع أبيه، قد وفّر الأرضية لنفسه للشقاء والانحراف والتوغّل فى خطّ الضلالة، وهذا ما لا يمكن الخلاص منه إلّابتهذيب النفس والسعى الجادّ فى تغير المسار.

ثم إنّ الإمام عليه السلام يذكر فى الجملة الثانية «وَأُحَذِّرُكَ أَنْ تَكُونَ مُتَمَادِياً فِى غِرَّةِ[١٣٧] الْأُمْنِيَّةِ[١٣٨]»، أى أنّ الغفلة الناشئة من الآمال والطموحات الموهومة تقود صاحبها فى

نفحات الولاية، ج٩، ص: ١٢٣

طريق الشيطان والتمرّد على الحقّ.

وهذه الجملة ناظرة إلى ما أشارت إليه الروايات الإسلاميّة مراراً، وهو أنّ الآمال العريضة والطموحات البعيدة من شأنها إبعاد الإنسان عن طريق الحقّ وعن الإيمان باللَّه واليوم الآخر بحيث يغفل الإنسان حتّى عن واقعه وما يصلحه فى هذه الدنيا:

«وَأمّا طَولُ الأمَلِ فَيُنْسِى الْاخِرَةَ»[١٣٩].

وفى الجملة الثالثة يقول الإمام عليه السلام: إنّى احذّرك أن تكون ممّن يختلف ظاهره عن باطنه، وتظهر للناس الإسلام والإيمان، ولكنّك تبطن الشرك وعقائد الجاهلية (مُخْتَلِفَ الْعَلَانِيَةِ وَالسَّرِيرَةِ).

وهذه الجملة إشارة إلى نفاق معاوية الذى يطالب بدم عثمان ويدافع عن مقام الخلافة فى الظاهر ولكنّه فى الباطن ليس له هدف سوى الحكومة على الشام، ونعلم أنّ حالة النفاق والازدواجية فى الشخصيّة لدى المنافقين هى أشدّ خطراً من الشرك، لأنّ المسلمين يعرفون تكليفهم الشرعىّ فى مقابل المشركين وأعداء الإسلام فى حين أنّهم لا يعرفون الموقف الصحيح من المنافقين بسبب تسترّهم بقناع الإسلام والإيمان الظاهرىّ وطعنهم الإسلام من ورائه.

نفحات الولاية، ج٩، ص: ١٢٥

القسم الثالث

اشارة

وَقَدْ دَعَوْتَ إِلَى الْحَرْبِ، فَدَعِ النَّاسَ جَانِباً وَاخْرُجْ إِلَيَّ، وَأَعْفِ الْفَرِيقَيْنِ مِنَ الْقِتَالِ، لِتَعْلَمَ أَيُّنَا الْمَرِينُ عَلَى قَلْبِهِ وَالْمُغَطَّى عَلَى بَصَرِهِ! فَأَنَا أَبُو حَسَنٍ قَاتِلُ جَدِّكَ وَأَخِيكَ وَخَالِكَ شَدْخاً يَوْمَ بَدْرٍ، وَذَلِكَ السَّيْفُ مَعِى، وَبِذَلِكَ الْقَلْبِ أَلْقَى عَدُوِّى، مَا اسْتَبْدَلْتُ دِيناً وَلَا اسْتَحْدَثْتُ نَبِيّاً. وَإِنِّى لَعَلَى الْمِنْهَاجِ الَّذِى تَرَكْتُمُوهُ طَائِعِينَ، وَدَخَلْتُمْ فِيهِ مُكْرَهِينَ.

الشرح والتفسير: أنا أتحرّك دوماً فی خطّ الحقّ والهداية

يبيّن الإمام عليه السلام فی هذا المقطع من الرسالة جواباً آخر على ما ذكره معاوية فی رسالته، حيث هدّد معاوية الإمام عليه السلام بكلمات وقحة وغير مسؤولة بالحرب واتّهم الإمام عليه السلام بأنّه قد غطّى على عينه بحجاب الأنانية وأمّا قلبه قد أصابه الصدأ والرين!! وما يثير العجب أنّ شخصاً من بقايا عصر الجاهلية وابن لأشدّ أعداء الإسلام والمسلمين يتحدّث بهذا الكلام مع من قد ملأ الإيمان قلبه وعاش منذ طفولته إلى نهاية عمره فی خدمة الإسلام والدفاع عن المسلمين ويعدّ أشجع العرب على الإطلاق.

وعلى أية حال، يقول الإمام عليه السلام: «وَقَدْ دَعَوْتَ إِلَى الْحَرْبِ، فَدَعِ النَّاسَ جَانِباً وَاخْرُجْ إِلَيَّ، وَأَعْفِ الْفَرِيقَيْنِ مِنَ الْقِتَالِ، لِتَعْلَمَ أَيُّنَا الْمَرِينُ عَلَى قَلْبِهِ، وَالْمُغَطَّى عَلَى بَصَرِهِ».

وهكذا نرى الإمام عليه السلام فی هذه العبارة بدون أن يخاطب معاوية بمثل العبارات التی خاطبه بها، يجيب على تهديد معاوية جواباً حاسماً وقاطعاً بأنّك إذا كنت

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۱۲۶

صادقاً فی تهديدك بالحرب، فبدلًا من سفك دماء المسلمين من كلا الطرفين ينبغی عليك أن تأتی إلى الميدان بمفردك وتقف أمامی للنزال، ومعلوم أنّ معاوية لا يجد جواباً على مثل هذه الاقتراح، لأنّه لم يكن يوم من الأيّام رجل الميدان ولا يجد فی نفسه الشجاعة الكافية لمواجهة الإمام عليه السلام فی مواقع الخطر.

ويذكر الشيخ مغنية فی كتابه الإمامة والسياسة نقطة ملفتة للنظر، وهی أنّ هذه الرسالة عندما وصلت معاوية قال عمرو بن العاص لمعاوية: هل تخشى على نفسك من مواجهة علیّ بن أبی طالب، فواللّه لأذهب إليه حتّى لو قتلت ألف مرّة، وبذلك برز عمرو بن العاص فی حرب صفّين فی مقابل الإمام عليه السلام فما كان من الإمام إلّاأن ضربه بقناته فسقط على الأرض ولم يجد عمرو بن العاص شيئاً ينقذه من الهلكة المحتومة سوى أن ينزع عنه لباسه ويبدی عورته، لأنّه يعلم أنّ الإمام يستحی من ذلك ويعود من حيث أتى، ويسلم بذلك عمرو من الهلكة.

ولهذا السبب قال معاوية بعد ذلك لعمرو بن العاص: أمران قد أنقذاك من الهلكة، الأول عورتك، والثانی حياء علیّ بن أبی طالب.

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام قال تأييداً لكلامه «فَأَنَا أَبُوحَسَنٍ قَاتِلُ جَدِّكَ وَأَخِيكَ وَخَالِكَ شَدْخاً يَوْمَ بَدْرٍ، وَذَلِكَ السَّيْفُ مَعِی، وَبِذَلِكَ الْقَلْبِ أَلْقَى عَدُوِّی».

ونعلم أنّ «عتبة بن ربيعة» والد هند امّ معاوية قتل فی غزوة بدر فی مقابل «عبيدة بن الحارث» ابن عمّ الإمام علیّ عليه السلام، فقد هبّ الإمام لمساعدة عبيدة فی هذه الواقعة وقتل عتبة، وكان «شيبة بن أبی سفيان» أخو معاوية قد بارز فی هذه المعركة حمزة عمّ النبیّ الأكرم صلى الله عليه و آله وقد أعان الإمام عليه السلام حمزة على قتله، وأمّا خال معاوية «الوليد بن عتبة» فقد بارز الإمام عليه السلام فی هذه الواقعة وقتله الإمام عليه السلام.

ومع الأخذ بنظر الاعتبار أنّ كلمة «شدخ» بمعنى كسر الشیء الأجوف، فتعبير الإمام عليه السلام هذا يبيّن هذه الحقيقة، وهی أنّ جدّ وخال وأخا معاوية قتلوا فی معركة بدر وأنّ جماجمهم كانت فارغة من العقل والتفكير السليم.

نفحات الولايۀ، ج۹، ص: ۱۲۷

وبالرغم من أنّ معاويـۀ اسـتخدم فی رسالته کلمات نابيـۀ وشديدۀ إلّاأنّها کانت خاويۀ وفاقدۀ للمحتوى، بينما اسـتخدم الإمام علیّ عليه السـلام عبارات أکثر انسـجاماً وقوّةً، وعميقـۀ المعانی، وبينما کان معاويـۀ يـدعو إلی الحرب بين طائفتين، کان الإمام علیّ عليه السـلام يدعوه إلی القتال منفردين، أی يطلب المبارزۀ بينه وبين معاويۀ وجهاً لوجه.

ورأينا أنّ معاويۀ يتحدّث فی رسالته عن مدّعيات خاويۀ دون إسـنادها بالمدارک التاريخيۀ، بينما نری أنّ الإمام علیّ عليه السـلام أخذ بيـد معاويـۀ إلی الماضـی من صدر الإسـلام وبيّن له سوابقه التاريخيۀ فی معرکۀ بدر وأنّه هو علیّ بن أبی طالب الذی قتل جدّه وأخاه وخاله وأئمـۀ الکفر والشـرک من قبيلته، وأنّ سـيفه هو ذلک السـيف الذی مرّغ به انوف عتاۀ المشـرکين والمردۀ من قوی الکفر، وأنّ قلبه هو ذلک القلب الشجاع الذی کان يقاتل به المشرکين فی معارک صدر الإسلام.

ثمّ إنّ الإمام عليه السـلام يشـير إلی نقطـۀ أخری وهی ثباته واسـتقامته فی خطّ الإسـلام والإيمان ويقول: لم أبتـدع فی الدين شـيئاً ولا اخترت نبيّاً غير نبیّ الإسـلام صـلی الله عليه و آله فأنا أتحرّک فی الطريق القويم والصـراط المسـتقيم: «مَا اسْتَبْدَلْتُ دِيناً، وَلَا اسْتَحْدَثْتُ نَبِيّاً.

وَإِنِّی لَعَلَی الْمِنْهَاجِ الَّذِی تَرَکْتُمُوهُ طَائِعِينَ، وَدَخَلْتُمْ فِيهِ مُکْرَهِينَ».

وهـذه إشارۀ إلی أنّ أباسـفيان وأذنابه وأعوانه دخلوا الإسـلام مکرهين يوم فتـح مکّۀ والشواهد التاريخيۀ الإسـلاميّۀ تشـير إلی أنّهم لم يعتنقوا الإسلام أبداً، ولم يؤمنوا طواعيۀ، ولذلک بعد استلام بنی اميۀ أزمّۀ الحکم ومقاليد السلطۀ فی زمان الخليفۀ الثالث، سحق الکثير منهم أصـول الإسـلام وسـنّۀ الرسول الأـکرم صـلی الله عليه و آله تحت أقـدامهم ونهبوا بيت مـال المسـلمين واسـتأثروا بفيئهم وحرموا بذلک الطبقۀ المستضعفۀ والمحرومۀ ممّا يستحقونه من هذه الأموال.

وقـد تبيّن ممّـا ذکر آنفـاً أنّ مراد الإمام عليه السـلام من قوله: «الَّذِی تَرَکْتُمُوهُ طَائِعِينَ»، يتعلّق بموقفهم بعـد قبولهم الإسـلام ظاهراً، أی أنّهم فی البدايۀ قبلوا بالإسلام مکرهين، ثمّ عندما استلموا مقاليد السلطۀ نقضوا سنن النبیّ الأکرم صلی الله عليه و آله واحدۀ بعد

نفحات الولايۀ، ج۹، ص: ۱۲۸

الأـخری، والشاهـد علی هـذا الکلام أنّ الإمام عليه السـلام قال: «مَا اسْـتَبْدَلْتُ دِيناً، وَلَا اسْـتَحْدَثْتُ نَبِيّاً» أیّ أنّنی لم أغيّر ولم ابتـدع فی الـدين شـيئاً، وعلی ضوء ذلک فإنّ ما ذهب إليه جمع من شـرّاح نهج بالبلاغۀ فی جملۀ «تَرَکْتُمُوهُ طَائِعِينَ» وأنّها تعود إلی عدم قبولهم للإسـلام قبل فتـح مکـۀ، لا يبدو تفسـيراً صـحيحاً نظراً لما ذکره الإمام عليه السـلام عن نفسه، وخاصّۀ أنّ مفردۀ «ترک» تقال فی مورد يکون الإنسان قد قِبل شيئاً قبل ذلک أو ذهب إلی مکان معيّن وترکه بعد ذلک.

تأمّلان

۱. مقارنۀ شجاعۀ الإمام عليه السلام بالأعداء

من النقاط الملفتـۀ للنظر ما ذکره أصـحاب السير والتواريخ عن مقدار شـجاعۀ معاويۀ وعمرو بن العاص، فالمؤرّخ المعروف «الواقدی» وطبقاً لما نقله ابن أبیالحديد عنه فی شرح نهجالبلاغۀ يقول:

«قال معاويـۀ يوماً- بعـد اسـتقرار الخلافـۀ له- لعمرو بن العاص: ياأباعبـداللّه لا أراک إلّاويغلبنی الضـحک، قال: بماذا؟ قال: أذکر يوم حمـل عليـک أبو تراب فی صـفّين فـأزريت نفسـک فرقـاً من شـبا سـنانه، وکشـفت سوءتـک له. قال عمرو بن العاص: أنا منک أشـدّ ضحکاً، إنّی لأذکر يوم دعاک إلی البراز فانتفخ سـحرک وربا لسانک فی فمک، وغصصت بريقک، وارتعدت فرائصک، وبدا منک ما أکره ذکره لک، فقال معاويۀ: لم يکن هذا کلّه، وکيف يکون ودونی عکّ والأشـعريّون!، قال: إنّک لتعلم أنّ الذی وصفت دون ما

أصابك، وقد نزل ذلك بك ودونك عكّ والأشعريون، وكيف كانت حالك لو جمعكما مأقط الحرب. فقال: ياأبا عبداللَّه خض بنا الهزل إلى الجدّ «إنَّ الجُبنَ وَالفِرارَ مِنْ عَلِيٍّ لا عارَ عَلى أَحَدٍ فِيهِما»[۱۴۰].

نفحات الولايۀ، ج۹، ص: ۱۲۹

۲. هل كان معاويۀ حاضراً فی معركۀ بدر؟

يقول ابن أبیالحديد: سألت النقيب أبا زيد (استاذه) عن معاويۀ، هل شـهد بدراً مع المشـركين؟ قال: نعم، شهدها ثلاثۀ من أولاد أبی سفيان: حنظلـۀ، عمرو ومعاويـۀ، قتل أحدهم واسـر الآخر، وأفلت معاويۀ هارباً علی رجليه وقد انتفخ رجلاه وورمت ساقاه، فعالج نفسه شهرين حتی برىء.

قال النقيب أبوزيـد: ولا خلاف عنـد أحـد أنّ عليّاً عليه السـلام قتل حنظلۀ وأسـر عمراً أخاه ولقد شـهد بدراً وهرب علی رجليه من هو أعظم منهما ومن أخيهما، عمرو ابن عبدودّ فارس يوم الأحزاب، شـهدها ونجا هارباً علی قدميه وهو شـيخ كبير وارتثّ جريحاً، فوصـل إلی مكۀ وهو وقيذ فلم يشهد احداً، فلما برىء شهد الخندق فقتله قاتل الأبطال، والذی فاته يوم بدر استدركه يوم الخندق.

ثم قـال لی النقيب «رحمه اللَّه»: أما سـمعت نادرۀ الأعمش ومناظرته فقلت: ما أعلم ما تريـد؟ فقال: سأل رجل الأعمش وكان قـد ناظر صاحباً له: هل معاويۀ من أهل بدر أم لا؟ فقال له: أصلحك اللَّه، هل شهد معاويۀ بدراً، فقال: نعم من ذلك الجانب.

ويشـير الإمام عليه السـلام أيضاً فی أحـد كتبه إلی قصّـۀ فرار معاويـۀ ويقول: واذكر ما لست له ناسـياً يوم قتلت أخاك حنظلۀ وجررت برجله إلی القليب، وأسـرت أخـاك عمراً وجعلت عنقه بين سـاقيه رباطـاً، وطلبتـک، ففررت ولـک حصـاص فلولا ـ أنّی لا ـ أتبع فـارّاً، لجعلتك ثالثهما[۱۴۱].

نفحات الولايۀ، ج۹، ص: ۱۳۱

القسم الرابع

اشارۀ

وَزَعَمْتَ أَنَّکَ جِئْتَ ثَائِراً بِدَمِ عُثْمَانَ. وَلَقَـدْ عَلِمْتَ حَيْثُ وَقَع دَمُ عُثْمَانَ فَاطْلُبْهُ مِنْ هُنَاکَ إِنْ كُنْتَ طَالِباً، فَكَأَنِّی قَـدْ رَأَيْتُکَ تَضِـجُّ مِنَ الْحَرْبِ إِذَا عَضَّتْکَ ضَـجِيجَ الْجِمَـالِ بِالْأَثْقَـالِ، وَكَأَنِّی بِجَمَاعَتِـکَ تَـدْعُونِی جَزَعـاً مِنَ الضَّرْبِ الْمُتَتَـابِعِ، وَالْقَضَاءِ الْوَاقِعِ، وَمَصَارِعَ بَعْدَ مَصَارِعَ، إِلَی كِتَابِ اللَّهِ، وَهِیَ كَافِرَۀٌ جَاحِدَۀٌ، أَوْ مُبَايِعَۀٌ حَائِدَۀٌ.

الشرح والتفسير: المستقبل المظلم والافق المشؤوم للعدو!

وفی آخر قسم من رسالۀ الإمام عليه السلام لمعاويۀ يتحدّث الإمام عليه السلام مرّۀ أخری عن قصّۀ قتل عثمان التی جعلها معاويۀ ذريعۀ لتمرّده ومخـالفته للإمـام علیّ عليه السـلام وطلب بالثـأر لـدم عثمـان فيقول الإمـام: «وَزَعَمْتَ أَنَّکَ جِئْتَ ثَائِراً[۱۴۲] بِدَمِ عُثْمَانَ. وَلَقَدْ عَلِمْتَ حَيْثُ وَقَعَ دَمُ عُثْمَانَ فَاطْلُبْهُ مِنْ هُنَاکَ إِنْ كُنْتَ طَالِباً».

وهـذا إشارۀ إلی أنّه إذا أردت من شاركك بـدم عثمان فاطلبه من أصـدقائك طلحـۀ والزبير، وإذا كنت تطلب الأشـخاص الذين تركوه وحيـداً ولم يمـدّوا له يـد العون ويغيثوه، فأنت الـذی كتب إليك عثمان يطلب منك ولم تجبه، لم تتقـدّم خطوۀ فی هذا السبيل، وعليه فأنت لست صادقاً بدعواك بطلب الثأر لدم عثمان، وإن كنت صادقاً لزمك أن تسلك غير هذا المسلك.

نفحات الولايۀ، ج۹، ص: ۱۳۲

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام يرسم مستقبل معاوية وأعوانه والحرب ضدّهم ويتنبّأ له بالافق المظلم ويقول: «فَكَأَنِّی قَدْ رَأَیْتُکَ تَضِجُّ مِنَ الْحَرْبِ إِذَا عَضَّتْکَ ۱۴۳] ضَجِیجَ الْجِمَالِ ۱۴۴] بِالْأَثْقَالِ».

وكما هو معلوم فإنّ هذه النبوءة قد تحقّقت على أرض الواقع فی معركة صفّين عندما ضيّق جيش الإمام الخناق على جيش معاوية، ووصل مالك الأشتر على مقربة من سرادق معاوية، ولم يبق إلّاالقليل ليصل إليه ويقتله، وفی ذلك الوقت ارتفع صراخ معاوية وأتباعه طالبين إنهاء القتال برفع المصاحف.

وفی تنبّؤ آخر يقول الإمام عليه السلام: «وَکَأَنِّی بِجَمَاعَتِکَ تَدْعُونِی جَزَعاً مِنَ الضَّرْبِ الْمُتَتَابِعِ، وَالْقَضَاءِ الْوَاقِعِ، وَمَصَارِعَ بَعْدَ مَصَارِعَ، إِلَی کِتَابِ اللَّهِ، وَهِیَ کَافِرَةٌ جَاحِدَةٌ، أَوْ مُبَایِعَةٌ حَائِدَةٌ[۱۴۵]».

وهذا التنبُّؤ وقع أيضاً بشكل كامل عندما رأى جيش الشام أنّهم عاجزون عن مجابهة أنصار الإمام علیّ عليه السلام وعاشوا المحنة والقتل المتتابع فی صفوفهم، رفع جماعة منهم مع عمرو بن العاص المصاحف على رؤوس الرماح وقالوا: إننا نسلّم أمرنا إلى كتاب اللّه ونحتكم إليه فی هذا الأمر، فی حين أنّ هذه الجماعة من أهل الشام لا يعتقدون بكتاب اللّه ويكفرون بما أنزل اللّه، لأنّهم لم يبايعوا إمام الحقّ، وفيهم جماعة أخرى ممّن بايع الإمام عليه السلام ولكنّهم نكثوا بيعتهم خلافاً لجميع الأصول والمبادیء الإسلاميّة المعروفة والتقاليد العربية، والتحقوا بمعاوية وأعداء الإمام فی هذه الواقعة.

وطبعاً ربّما يثير البعض هذا السؤال، وهو أنّ تعبير الإمام عليه السلام هذا يفتح المجال أمام استغلال الأعداء لكتاب اللّه عندما يشاهدوا نهايتهم المخزية على الأبواب،

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۱۳۳

ولكنّ هذا الكلام غير صحيح، لأنّ الإمام عليه السلام أشار بشكل مجمل إلى هذه الواقعة بحيث لم تكن هذه الإشارة المجملة مفهومة لدى معاوية وأتباعه، لأنّ هذا الكلام يتحدّث عن الدعوة إلى كتاب اللّه فقط، رغم أننا اليوم نعرف تفاصيل الواقعة التاريخية وما حدث فی معركة صفّين من استغلال المصاحف لإنقاذ ما يمكن إنقاذه من فلول جيش الشام، فهذه الإشارة فی كلام الإمام تعتبر إشارة معبّرة.

تأمّل: التنبّؤات الواقعة

إنّ تنبؤات الإمام علیّ عليه السلام فی هذه الرسالة التی كتبها لمعاوية قد تحقّقت على أرض الواقع بشكل تام، لأنّ القتال بدأ على أشدّه فی صباح يوم الثلاثاء من العاشر من شهر صفر سنة ۳۷ للهجرة بعد صلاة الصبح، فتقاتل الجيشان ودارت بينهما رحى الحرب، فكانت الدائرة على جيش الشام الذين تزعزعت مواقعهم وأحسّوا بالضعف والانهيار أمام جيش الإمام عليه السلام الذی كان يتقدّم بقيادة مالك الأشتر فی أرض المعركة، ولم يبق من انهيار جيش الشام وقتل معاوية أو أسره إلّاالقليل، يقول عمّار بن ربيعة: كان مالك الأشتر واقفاً بين أنصاره وأتباعه ويقول: «فداكم امّی وأبی وجميع عشيرتی، اهجموا عليهم هجمة واحدة ويفرح اللّه لكم واعزّوا بذلك دينه، فانظروا إلیّ حين أهجم عليهم فاهجموا بدوركم معی».

وهكذا كان مالك الأشتر غارقاً فی صفوف الأعداء يقاتل ببسالة وهو حاسر الرأس وقد وضع مغفره على قربوس السرج، وهو ينادی: اصبروا يامعشر المؤمنين فقد حمی الوطيس ... يقول ابن أبی‌الحديد: للّه‌من امّ قامت عن الأشتر لو أنّ إنساناً يقسم أنّ اللّه تعالى ما خلق فی العرب ولا فی العجم أشجع منه إلّااستاذه علیّ عليه السلام لما خشيت عليه الإثم.

وأخيراً استطاع مالك الأشتر وأنصاره من تدمير صفوف جيش الشام وتحطيم

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۱۳۴

كلّ مقاومة أمامهم وقتلوا حملة الألوية، فوصلوا إلى الخيام، وقد استمرّ القتال حتّى تلك الليلة التی سمّيت «ليلة الهرير»[۱۴۶].

وفی هذه المعركة كان مالك الأشتر قائداً على ميمنة الجيش، وابن عباس على الميسرة، والإمام علیّ عليه السلام بالقلب وقد لاحت

بوادر النصر المؤزّر على ضدّ جيش الشام، وبلغ معاوية الخبر فطلب عمرو بن العاص وقال له: ياعمرو إنّما هى الليلة حتّى يغدو علىّ علينا بالفيصل، فماترى؟ قال: إنّ رجالك لا يقومون لرجاله، ولست مثله، هو يقاتلك على أمر وأنت تقاتله على غيره، أنت تريد البقاء وهو يريد الفناء، وأهل العراق يخافونک إن ظفرت بهم، وأهل الشام لا يخافون عليّاً إن ظفر بهم، ولكن إلقِ إلى القوم أمراً إن قبلوه اختلفوا، وإن ردّوه اختلفوا، إدعهُم إلى كتاب اللَّه حكماً فيما بينك وبينهم، فإنّك بالغ حاجتك فى القوم، وإنّى لم أزل أؤخر هذا الأمر لوقت حاجتك إليه.

فعرف معاوية ذلک وقال له: صدقت.

وهكذا وقع ما كان يخشى منه ممّا أسلفنا بيانه ۱۴۷].

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۱۳۵

الرسالة ۱۱

اشارة

وَصّى بِها جِيشاً بَعَثَهُ إلَى الْعَدُوِّ[۱۴۸]

نظرة إلى الرسالة

نقرأ فى شرح سند هذه الرسالة أنّها تمثّل قسماً من رسالة أرسلها الإمام عليه السلام إلى رجلين من قادة جيشه عندما تحرّك الجيش نحو صفّين، وتقدّم أنّ الإمام عليه السلام جعل مالك الأشتر أميراً على هذين الرجلين.

ويتحدّث الإمام عليه السلام فى هذه الرسالة عن جميع الأمور الهامّة التى تتعلّق بأساليب القتال والدفاع فى مواجهة العدوّ وكيفية الاستفادة من الفرص وتجنب الوقوع فى كمين الأعداء وكيفية حماية أفراد الجيش فى الليل عند استراحة المقاتلين، وغير

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۱۳۶

ذلک من المسائل الدقيقة التى تتّصل بمسؤوليات القيادة العسكرية، والحقيقة أنّ دقة نظر الإمام عليه السلام هنا إلى درجة من العمق بحيث أنّ هذه التوصيات والتعليمات للإمام عليه السلام يمكن الاستفادة منها فى الجيش الإسلامى فى كلّ عصر وزمان.

***

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۱۳۷

فَإِذَا نَزَلْتُم بِعَدُوٍّ أَوْ نَزَلَ بِكُمْ، فَلْيَكُنْ مُعَسْكَرُكُمْ فِى قُبُلِ الْأَشْرَافِ، أَوْ سِفَاحِ الْجِبَالِ، أَوْ أَثْنَاءِ الْأَنْهَارِ، كَيْمَا يَكُونَ لَكُمْ رِدْءاً، وَدُونَكُمْ مَرَدّاً. وَلْتَكُنْ مُقَاتَلَتُكُمْ مِنْ وَجْهٍ وَاحِدٍ أَوِ اثْنَيْنِ، وَاجْعَلُوا لَكُمْ رُقَبَاءَ فِى صَيَاصِى الْجِبَالِ، وَمَنَاكِبِ الْهِضَابِ، لِئَلَّا يَأْتِيَكُمُ الْعَدُوُّ مِنْ مَكَانِ مَخَافَةٍ أَوْ أَمْنٍ. وَاعْلَمُوا أَنَّ مُقَدِّمَةَ الْقَوْمِ عُيُونُهُمْ، وَعُيُونَ الْمُقَدِّمَةِ طَلَائِعُهُمْ. وَإِيَّاكُمْ وَالتَّفَرُّقَ: فَإِذَا نَزَلْتُمْ فَانْزِلُوا جَمِيعاً وَإِذَا ارْتَحَلْتُمْ فَارْتَحِلُوا جَمِيعاً، وَإِذَا غَشِيَكُمُ اللَّيْلُ فَاجْعَلُوا الرِّمَاحَ كِفَّةً، وَلَا تَذُوقُوا النَّوْمَ إِلَّا غِرَاراً أَوْ مَضْمَضَةً.

الشرح والتفسير: الاستعداد الصحيح للجيش

يبيّن الإمام عليه السلام فى هذه الرسالة والتوصية العسكرية سبعة تعاليم وتوصيات عسكرية مهمّة، وكيفية المواجهة الدقيقة لجيش

الأعداء، وضمان النصر على العدوّ، وهذا يبيّن دقّة نظر الإمام عليه السلام فى المسائل التى تتّصل بقيادة الجيش وترتيب وضعه العسكرى فى ميادين القتال. يقول الإمام عليه السلام: «فَإِذَا نَزَلْتُمْ بِعَدُوٍّ أَوْ نَزَلَ بِكُمْ فَلْيَكُنْ مُعَسْكَرُكُمْ فِى قُبُلِ الْأَشْرَافِ ۱۴۹]، أَوْ سِفَاحِ ۱۵۰] الْجِبَالِ، أَوْ أَثْنَاءِ[۱۵۱] الْأَنْهَارِ، كَيْمَا يَكُونَ لَكُمْ

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۱۳۸

رِدْءاً[۱۵۲]، وَدُونَكُمْ مَرَدّاً[۱۵۳]».

ويبيّن الإمام عليه السلام الغرض من هذه التوصية ويقول بأنّ الجيش إذا كان يتّخذ مواقع إلى جانب مرتفعات أو سفوح الجبال أو شواطىء الأنهار، فمن البعيد أن يستطيع العدوّ محاصرة الجيش الإسلامى أو بياغته بالهجوم عليه من الخلف، وبذلك يستطيع الجيش المحافظة على استعداده الكامل وعدم حدوث الخلل والاهتزاز فى صفوفه.

ويبيّن الإمام عليه السلام فى هذا التوصية نقطتين فى مقام الاستدلال، الاولى أنّ مثل هذا الموقف يساهم فى تقويتكم ورصّ صفوفكم، والأخرى أنّه يعيق هجوم العدوّ عليكم، ومفهوم الجملة الثانية واضح لأنّ العدوّ فى مثل هذه الظروف لا يستطيع أن يهجم على الجيش من الخلف، وأمّا مفهوم الجملة الاولى فربّما يكون المراد أنّ الجيش إذا اتّخذ موقعاً إلى جانب المرتفع وسفح الجبل، فإنّ حركته باتّجاه العدوّ ستكون أسهل وأيسر، وحركة العدوّ باتّجاه الجيش الإسلامى ستكون أصعب وأعسر، وطبعاً مثل هذا الكلام إنّما يصدق فى موارد الأراضى الجبلية والتى تكثر فيها المرتفعات.

ويحتمل أيضاً فى معنى كلمة «مردّاً» أن يكون المراد منها محل العودة إذا أرادت مجموعة منكم العودة والتقهقر أمام العدوّ لفترة معينة لغرض الاستراحة واستعادة القوّة فإنّ سفوح الجبال وأمثالها سيكون محلًّا مناسباً لهذا الغرض والتهيؤ للهجوم مرّة أخرى على العدوّ.

ولا ينبغى الغفلة عن هذه النقطة، وهى أنّ اتّخاذ مثل هذا الموضع العسكرى يتمتّع بميزة ثالثة، وهى أنّ الأفراد الجبناء من الجيش قلّما يستطيعون العثور على مهرب للفرار من الزحف لوجود المانع الطبيعى خلفهم، فلا يجدون بدّاً من الصمود والمواجهة.

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۱۳۹

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام يشير إلى التوصية الثانية، ويقول: «وَلْتَكُنْ مُقَاتَلَتُكُمْ مِنْ وَجْهٍ وَاحِدٍ أَوِ اثْنَيْنِ».

فتعدّد الجهات ومحاور القتال من شأنه إضعاف قوّة الجيش وبعثرة طاقاته فيكون من اليسير إيجاد ثغرة فى صفوفه، ولهذا السبب فإنّ أحد فخاخ العدو فى الماضى والحاضر لكسر مقاومة المخالفين، السعى لإيجاد جبهات متعدّدة فى الميادين العسكرية أو السياسية لإضعاف قوّة الخصم وتشتيت طاقاته، وربّما لا يكون المراد من جبهتين مختلفتين بأن تكون جبهة واحدة إلى الشرق أو إلى الغرب مثلًا، بل يتمّ التحرّك على جبهتين بشكل دائرة تذهب مجموعة من جهة يمين العدو ومجموعة أخرى من جهة الشمال لمحاصرة العدوّ بشكل تامّ.

ثم إنّ الإمام عليه السلام يشير إلى التوصية الثالثة ويقول: «وَاجْعَلُوا لَكُمْ رُقَبَاءَ فِى صَيَاصِى ۱۵۴] الْجِبَالِ، وَمَنَاكِبِ ۱۵۵] الْهِضَابِ، لِئَلَّا يَأْتِيَكُمُ الْعَدُوُّ مِنْ مَكَانِ مَخَافَةٍ أَوْ أَمْنٍ».

يشير الإمام عليه السلام فى هذه التوصية إلى أمرين مهمّين لابدّ من الأخذ بهما بالحسبان، أحدهما قمم الجبال والأخرى أعالى الهضاب والمرتفعات، لأنّ هذه المواقع تتمتّع بإشراف كامل على جميع الجهات، فالشخص الناظر من هذا الموقع يستطيع رؤية جميع النقاط التى يتحرّك فيها الجيش.

والتعبير ب «مَكَانِ مَخَافَةٍ أَوْ أَمْنٍ ناظر إلى احتمال هجوم الأعداء بغتة، ويكون من المنطقة المتوقعة منها، وعلى ضوء ذلك يجب على المراصد أن ترى جميع هذه النقاط.

ويشير الإمام عليه السلام فى التوصية الرابعة إلى إحدى التقسيمات المهمّة للجيش التى

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۱۴۰

تشکّل المکوّنات الأساسیة له، یقول: «وَاعْلَمُوا أَنَّ مُقَدِّمَةَ الْقَوْمِ عُیُونُهُمْ، وَعُیُونَ الْمُقَدِّمَةِ طَلَائِعُهُمْ».

وقد کان متداولًا فی الماضی أنّ الجیش لا یتحرّک کلّه مرّة واحدة، بل تتحرّک مجموعة من الصفوة أمام الجیش بوصفها مقدمة له، ومن بین أفراد هذه المجموعة الشجعان وأکثر القوم خبرة بامور الحرب، واطّلاعاً على مسیرة الجیش بوصفهم مخبرین وطلائع الجیش الذین یمثّلون فی الواقع القوى المعلوماتیة والاستخباراتیة لمرکز القیادة، وبمجرّد الاطّلاع على وضع العدو ومکان تواجده یخبرون القیادة بذلک لاتّخاذ الموقف المناسب.

وفی التوصیة الخامسة یحذّر الإمام علیه السلام بشدّة من الفرقة والاختلاف ویقول:

«وَإِیَّاکُمْ وَالتَّفَرُّقَ: فَإِذَا نَزَلْتُمْ فَانْزِلُوا جَمِیعاً، وَإِذَا ارْتَحَلْتُمْ فَارْتَحِلُوا جَمِیعاً».

وبما أنّ الإمام علیه السلام کتب هذه التوصیات والتعالیم العسکریة إلى «زیاد بن النضر الحارثی» و «شریح بن هانیء» اللذین یمثّلان مقدّمة الجیش وطلائعه، فمراده من هذا الکلام هو أنّ مقدّمة الجیش یجب علیها اجتناب التسرّع ولزوم العمل من موقع الانسجام والتجانس لئلّا یدبّ فیهم الضعف والفتور.

ویبیّن الإمام علیه السلام فی التوصیة السادسة نمط وکیفیة الاستراحة اللیلیة للجیش ویقول: «وَإِذَا غَشِیَکُمُ اللَّیْلُ فَاجْعَلُوا الرِّمَاحَ کِفَّةً[۱۵۶]» أی بصورة دائریة حول الجیش بحیث یکون الجیش فی الوسط.

وهذا هو الشیء المتداول فی التعالیم العسکریة فی العالم المعاصر، سواء فی میدان القتال أو فی غیره، بحیث یستدعی بعض أفراد الجیش لیقوم بواجب الحمایة اللیلیة ومهمّة الخفر والعمل على مراقبة الأوضاع بالتناوب، سواءً فی المعسکرات أو فی الأماکن الحسّاسة والمراکز المهمّة داخل المدن، وبمحض الإحساس بالخطر،

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۱۴۱

یجب علیهم إنذار القیادة وإخبارها بتفاصیل الحدث، وهذا هو ما یطلق علیه فی هذا العصر بقوى الحراسة.

وفی التوصیة السابعة والأخیرة یوجّه الإمام علیه السلام خطابه إلى جمیع أفراد الجیش بأن لا یغرقوا أثناء الاستراحة اللیلة فی نوم عمیق کما هو حال النائم فی بیته، ویقول: «وَلَا تَذُوقُوا النَّوْمَ إِلَّا غِرَاراً أَوْ مَضْمَضَةً» کما یتمضمض الإنسان بالماء جرعة بعد جرعة.

وهذا بالضبط کما ینتظر الشخص مسافراً أو ضیفاً عزیزاً یرید القدوم علیه لیلًا، فنراه لا ینام بشکل عمیق، بل تأخذه سِنة وینتبه، ثمّ یعود إلى النوم بشکل خفیف، ثمّ ینتبه أیضاً، فینبغی على جیش الإسلام أن یکون کذلک فی استراحته اللیلیة فی مقابل العدوّ لئلّا یباغته العدو ویُغیر علیه ویستطیع إنزال أکبر الضرر والخسائر فی صفوف الجیش، وهذا هو معنى تشبیه النوم بالغرار أو المضمضة حیث یدیر الشخص الماء فی فمه ولا یرتوی منه تماماً.

وطبعاً إنّ هذه النقاط السبعة الدقیقة فی بیان الإمام علیه السلام تمثّل توصیات لمقدّمة الجیش وکیفیة حرکته باتّجاه المواجهة، وأمّا التوصیات والتعالیم التی تتّصل بمیدان الحرب والقتال، فقد سبق أن بیّنها الإمام علیه السلام فی الخطب والرسائل السابقة (انظر الخطبة ۱۱ فی الجزء ۱، ص ۴۸۷، والخطبة ۶۶ فی الجزء ۳، ص ۹۱ فصاعداً، والخطبة ۱۲۴، الجزء ۵، ص ۲۵۷ فصاعداً).

***

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۱۴۳

الرسالة ۱۲

اشارة

وَصّى بِها مَعْقِلِ بْنِ قيسِ الرّياحى حينَ أَنْفَذَهُ إِلَى الشامِ
فى ثَلاثَةِ آلافٍ مُقَدّمةً لَهُ ١٥٧]

نظرة إلى الرسالة

هـذه الرسالـة التى كتبها الإمام عليه السـلام لأحد قوّاد جيشه تبتدىء كما فى سائر الرسائل الأخرى لقادة الجيش، فى التوصـية بالتقوى والورع، والتأكيد على التقوى التى تمثّل أصلًا وأساساً لسعادة الإنسان ومسيرته المعنوية فى الحياة، ثمّ يبيّن الإمام بعض التوصيات فيما يتصل بتعبئة القوى وكيفية حركة الجيش باتّجاه العدو وبداية الإلتحام معه فى الميدان.

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۱۴۴

ثمّ يؤكـد الإمام عليه السـلام فى هذه الرسالة كراراً أن لا يبتدىء جيش الإسـلام بالقتال وأن لا يقتربوا من العدو بحيث يتصوّرون أنّهم يريدون أن يهجموا عليهم ولا يبتعد عنهم بحيث يتبادر إلى ذهن العدوّ أنّ هذا التباعد ناشىء من الضعف والجبن، ويوصى أيضاً بعدم إنهاك الجنود فى المسير، فلابدّ من أخذ قسط من الراحة فى بداية الليل وفى أوقات السحر، وكذلك القيلولة فى وسط النهار حيث ترتفع درجات الحرارة و ...، وهنـاك وصايـا أخرى فى هـذه الرسالـة كلّهـا تشير إلى الروح العاليـة للإمـام عليه السـلام وحبّه للصلح واستتباب الأمن وضرورة رعاية الأخلاق الإسلاميّة حتى فى مقابل العدوّ الغاشم.

***

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۱۴۵

اتَّقِ اللَّهَ الَّذِى لَابُدَّ لَكَ مِنْ لِقَائِهِ، وَلَا مُنْتَهَى لَكَ دُونَهُ. وَلَا تُقَاتِلَنَّ إِلَّا مَنْ قَاتَلَكَ. وَسِرِ الْبَرْدَيْنِ، وَغَوِّرْ بِالنَّاسِ، وَرَفِّهْ فِى السَّيْرِ، وَلَا تَسِرْ أَوَّلَ اللَّيْلِ، فَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَهُ سَكَناً، وَقَدَّرَهُ مُقَاماً لَاظَعْناً، فَأَرِحْ فِيهِ بَدَنَكَ، وَرَوِّحْ ظَهْرَكَ. فَإِذَا وَقَفْتَ حِينَ يَنْبَطِحُ السَّحَرُ، أَوْ حِينَ يَنْفَجِرُ الْفَجْرُ، فَسِرْ عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ. فَإِذَا لَقِيتَ الْعَدُوَّ فَقِفْ مِنْ أَصْحَابِكَ وَسَطاً، وَلَا تَدْنُ مِنَ الْقَوْمِ دُنُوَّ مَنْ يُرِيدُ أَنْ يُنْشِبَ الْحَرْبَ. وَلَا تَبَاعَدْ عَنْهُمْ تَبَاعُدَ مَنْ يَهَابُ الْبَأْسَ، حَتَّى يَأْتِيَكَ أَمْرِى، وَلَا يَحْمِلَنَّكُمْ شَنَآنُهُمْ عَلَى قِتَالِهِمْ، قَبْلَ دُعَائِهِمْ وَالْإِعْذَارِ إِلَيْهِمْ.

الشرح والتفسير: تعليمات ضرورية قبل التوجّه إلى الميدان

فى بداية هذه الرسالة يوصـى الإمام عليه السلام قائد جيشه «معقل بن قيس» بتقوى اللّه تعالى ويقول: «اتَّقِ اللَّهَ الَّذِى لَابُدَّ لَكَ مِنْ لِقَائِهِ، وَلَا مُنْتَهَى لَكَ دُونَهُ».

وهذه العبارات فى الحقيقة مقتبسة من التعاليم القرآنية حيث يقول تعالى:

«وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلاقُوهُ»[١٥٨] و يقول فى آية أخرى: «وَأَنَّ إِلى رَبِّكَ الْمُنْتَهى [١٥٩].

أجل، فأينما تكونوا ومَن تكونوا فإنّه لابدّ أن تكون العاقبة لقاء اللّه عزّ وجلّ والحضور فى محكمة العدل الإلهىّ حيث يحاسب الإنسان على ما قدّم وأخّر فى حياته من أعمال وأقوال وسلوكيات فى حركة الحياة.

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۱۴۶

وعندما يبتدىء الإمام عليه السلام رسالته بالتوصية بتقوى اللّه والتفكير بالمعاد، فإنّه يترتّب على ذلك آثار مختلفة، فإنّه من جهة يؤدّى إلى تطبيق وترجمة التعاليم والتوصيات الواردة فى هذه الرسالة بدقّة، ومن جهة أخرى، بما أنّ محتوى هذه الرسالة والبرنامج العسكرى للجيش هو الجهاد فى سبيل اللّه والسير إلى اللّه، فإنّ التوصـية بالتقوى من شأنها أن تبعث الروحية والمعنوية فى أفراد الجيش ويكونوا

على استعداد تام لمقاتلة العدوّ والتصدّى لقوى الانحراف والضلالة بشكل أقوى.

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام يشير إلى عشر نقاط عسكرية فيما يتّصل بإرسال القوّات إلى ميدان القتال وكيفية مقاتلة الأعداء ومجابهة قوى الباطل والتى هى فى الحقيقة تعتبر من مقدّمات النزال فيما يخصّ الاستعداد للحرب، ويقول فى البداية: «وَلَا تُقَاتِلَنَّ إِلَّا مَنْ قَاتَلَكَ».

هذا هو الدستور الأول فى تعاليم الإسلام العسكرية، ويبيّن روحية الصلح وطلب السلم للإنسان المسلم الذى لا يحبّ البدء بالقتال، فما لم يبدأ العدوّ بالحرب والقتال فلا ينبغى للمسلمين أن يسبقوهم بالقتال، يقول القرآن الكريم فى هذا الصدد: «وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَها وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ»[۱۶۰].

ثمّ يشير الإمام عليه السلام إلى الدستور الثانى والثالث والرابع ويقول: «وَسِرِ الْبَرْدَيْنِ ۱۶۱]، وَغَوِّرْ[۱۶۲] بِالنَّاسِ، رَفِّهْ ۱۶۳] فِى السَّيْرِ»، أى أنّ المسير بالجيش ينبغى أن يتزامن مع الأجواء المناسبة فى وقت الصباح والعصر حيث يبرد الهواء نسبياً فى هذين الوقتين، فيما تكون الاستراحة عند وقت الظهيرة حيث ترتفع حرارة الجو، ومن

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۱۴۷

البديهىّ أنّ السير السريع والاستعجال فى لقاء العدوّ بدون ملاحظة حرارة الجوّ وبرودته ووقت الاستراحة من شأنه أن يثير فى أفراد الجيش التعب والضعف وبالتالى عدم مقاومة العدو ومجالدته بالشكل المطلوب.

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام يشير إلى الدستور الخامس والسادس من هذه التوصيات ويقول: «وَلَا تَسِرْ أَوَّلَ اللَّيْلِ، فَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَهُ سَكَناً، وَقَدَّرَهُ مُقَاماً لَاظَعْناً، فَأَرِحْ فِيهِ بَدَنَكَ، رَوِّحْ ظَهْرَكَ. فَإِذَا وَقَفْتَ حِينَ يَنْبَطِحُ ۱۶۴] السَّحَرُ، أَوْ حِينَ يَنْفَجِرُ الْفَجْرُ، فَسِرْ عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ».

وهذا الكلام إشارة إلى ما ذكره القرآن الكريم فى أكثر من مورد حيث يؤكّد على أنّ اللَّه تعالى جعل الليل مصدراً للسكون والدعة والراحة: «فالِقُ الْإِصْباحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَناً»[۱۶۵]، ومثل هذا المضمون ورد فى سورة يونس فى الآية ۶۷، وسورة القصص، الآية ۷۳، وسورة غافر، الآية ۶۱ وغير ذلك من الآيات الشريفة.

وهنا ربّما يفرض هذا السؤال نفسه وهو أنّ القرآن الكريم ذكر حقيقة أنّ الليل مصدر السكون والراحة للإنسان، فى حين أنّ الإمام عليه السلام تحدّث عن بداية الليل واستثنى وقت السحر.

والجواب على هذا السؤال يتبيّن من خلال الإلتفات إلى هذه الحقيقة وهى أنّ المراد من الليل جميع ساعاته باستثناء السحر وهو الوقت القليل من آخره، ويستفاد من التعاليم الإسلاميّة فى العبادات فيما يتّصل بصلاة الليل أنّ آخر الليل مستثنى من هذا الوقت، وهو وقت التنبه واليقظة والحركة والجديّة والاستغفار والتوبة، فلا يشمله مفهوم الليل الذى جعله اللَّه سكناً كما ورد فى الآية الشريفة: «وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ»[۱۶۶].

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۱۴۸

وعندما يؤكّد الإمام عليه السلام على أوّل الليل، فالظاهر أنّ الكثير من الناس عندما يبتدئون بعمل معين وقت العصر، فإنّهم يستمرّون بالعمل إلى ساعات من الليل، فيقول الإمام عليه السلام: عندما يبتدىء الليل توقّف عن المسير، وقف للصلاة، ثمّ عليك بأخذ قسط من الراحة.

وذهب بعض شرّاح نهج‌البلاغة إلى أنّ جملة «رَوِّحْ ظَهْرَكَ إشارة إلى لزوم إراحة الخيل والجمال التى يطلق عليها بالظهر لمناسبة الركوب، وذهب البعض الآخر إلى أنّه إشارة إلى الجمال المحمّلة بما يحتاجه الجيش من المؤن ولوازم السفر، ولكن لا مانع من أن يكون المراد كلا هذين الأمرين.

وينبغى الالتفات إلى أنّ أحد معانى «الظهر» الحيوانات التى يحمل عليها الإنسان لوازمه وحاجاته أويستخدمها للركوب أيضاً، وأمّا ما ذهب بعض شرّاح نهج‌البلاغة إلى أنّ معنى الظهر يختصّ بالإبل التى تحمل المؤن، أو بالخيل التى يركب عليها الإنسان، فلا وجه له.

ثمّ يشير الإمام عليه السلام إلى الأمر السابع والثامن والتاسع من هذه التوصيات ويقول:

«فَإِذَا لَقِيتَ الْعَدُوَّ فَقِفْ مِنْ أَصْحَابِكَ وَسَطاً، وَلَا تَدْنُ مِنَ الْقَوْمِ دُنُوَّ مَنْ يُرِيدُ أَنْ يُنْشِبَ ۱۶۷] الْحَرْبَ. وَلَا تَبَاعَدْ عَنْهُمْ تَبَاعُدَ مَنْ يَهَابُ الْبَأْسَ، حَتَّى يَأْتِيَكَ أَمْرِى».

عندما يقف قائد الجيش فى الوسط والمحور من القوّات العسكرية فإنّ ذلك من شأنه أن يمنح أفراد الجيش قوّة وعزماً واستقامة فى مواجهة العدو، ومن جهة أخرى يتيح له إيصال أوامره وتوصياته إلى أفراد الجيش كافّة.

وفى الدستور العاشر يقول الإمام عليه السلام: «وَلَا يَحْمِلَنَّكُمْ شَنَآنُهُمْ ۱۶۸] عَلَى قِتَالِهِمْ، قَبْلَ

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۱۴۹

دُعَائِهِمْ وَالْإِعْذَارِ[۱۶۹] إِلَيْهِمْ»، أى أنّ حالة العداء والبغض والكراهية للعدو لا ينبغى أن تكون الدافع على قتالهم قبل الإعذار ودعوتهم للصلاح وإتمام الحجّة عليهم.

تأمّل: من هو معقل بن قيس؟

ذكر بعض المؤرّخين أنّ معقل كان رجلًا شجاعاً من أهل الكوفة، وكان قائداً لأحد جيوش الإسلام فى زمن عمر بن الخطّاب، وكان من شيعة أميرالمؤمنين الإمام علىّ عليه السلام، وقد اختاره الإمام ليكون قائداً على إحدى الكتائب فى الجيش وفى معركة الجمل كان أحد امراء الجيش أيضاً، وأمّا بالنسبة لإيمانه وإخلاصه فيكفى أنّ أميرالمؤمنين علىّ عليه السلام عندما اجتمع بالجيش قبل معركة صفّين فى منطقة النخيلة فى منزل (على مقربة من الكوفة) ألقى الإمام عليه السلام خطبة بجيشه فيما يتّصل بالجهاد ضد المتمرّدين من أهل الشام، فقال معقل: «وَاللَّهِ يا اميرالْمُؤْمِنينَ لا يَتَخَلَّفُ عَنْكَ إلّاظَنينٌ وَلا يَتَرَبَّصُ بِكَ إلّامُنافِقٌ».

وورد فى بعض الروايات أنّ أحد الخوارج ويدعى «مستورد» برز لمعقل فى إحدى المعارك وكان بيد هذا الخارجىّ رمح وبيد معقل سيف، فطعن مستورد معقلًا برمحه، لكنّ معقل استطاع ضربه بالسيف على رأسه، وسقط الرجلان على الأرض صريعين، وفاز معقل بالشهادة وذهب مستورد إلى جهنّم وبئس المصير.

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۱۵۱

الرسالة ۱۳

اشارة

إلى أَميرَيْنِ مِنْ أُمَراءِ جَيْشِهِ ۱۷۰]

نظرة إلى الرسالة

تبيّن هذا الرسالة فى الحقيقة أمرين: الأول: التوصية التى أمر بها الإمام هذين القائدين فى الجيش فى اتّباع مالك الأشتر والحركة ضمن أوامره وقيادته، والآخر:

تبيّن بعض صفات مالك الأشتر التى جعلته جديراً ولائقاً لقيادة الجيش.

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۱۵۳

وَقَدْ أَمَّرْتُ عَلَيْكُمَا وَعَلَى مَنْ فِى حَيِّزِكُمَا مَالِكَ بْنَ الْحَارِثِ الْأَشْتَرَ، فَاسْمَعَا لَهُ وَأَطِيعَا، وَاجْعَلَاهُ دِرْعاً وَمِجَنّاً، فَإِنَّهُ مِمَّنْ لَايُخَافُ وَهْنُهُ وَلَا سَقْطَتُهُ وَلَا بُطْؤُهُ عَمَّا الْإِسْرَاعُ إِلَيْهِ أَحْزَمُ، وَلَا إِسْرَاعُهُ إِلَى مَا الْبُطْ ءُ عَنْهُ أَمْثَلُ.

الشرح والتفسير: مالک الأشتر القائد الفذّ

يشير الإمام عليه السلام في هذه الرسالة التي كتبها إلى زياد بن النضر و شريح بن هانيء أنّ الوظيفة الاولى والمهمّة لهما هي اتّباع مالک الأشتر وأنّه منصوب من قِبل الإمام عليّهما وعلى سائر أفراد الجيش، ويقول: «وَقَدْ أَمَّرْتُ عَلَيْكُمَا وَعَلَى مَنْ فِي حَيِّزِكُمَا[۱۷۱] مَالِكَ بْنَ الْحَارِثِ الْأَشْتَرَ، فَاسْمَعَا لَهُ وَأَطِيعَا».

ثمّ يضيف عليه السلام: «وَاجْعَلَاهُ دِرْعاً وَمِجَنّاً[۱۷۲]، فَإِنَّهُ مِمَّنْ لَايُخَافُ وَهْنُهُ وَلَا سَقْطَتُهُ ۱۷۳] وَلَا بُطْؤُهُ عَمَّا الْإِسْرَاعُ إِلَيْهِ أَحْزَمُ ۱۷۴]، وَلَا إِسْرَاعُهُ إِلَى مَا الْبُطْءُ عَنْهُ أَمْثَلُ ۱۷۵]».

يستفاد من تعبير الإمام عليه السلام أعلاه أنّ قائد الجيش ينبغي أن يكون مطّلعاً محافظاً بشكل تامّ على أفراد جيشه كما يكون الدرع حافظاً لصاحبه من ضربات الحديد، وبذلک يتمكّن الجيش من التقليل من خسارته للحدّ الأدنى في القتلى والجرحى.

نفحات الولاية، ج ۹، ص: ۱۵۴

والنقطة الأخرى في هذه توصية أنّ الإمام عليه السلام ذكر فيها أربع خصوصيات يتمتّع بها مالک الأشتر، بحيث إنّ القائد العسكري لو اجتمعت فيه هذه الخصال فإنّه يكون جديراً بالقيادة ولائقاً بإمرة الجيش:

۱. أن لا ـ يشعر بالضعف والوهن في مقابل هجوم العدوّ والظروف الصعبة التي يفرضها الواقع العسكري عليه، بل يتحلّى بالجرأة والاستقامة كالجبل الراسخ أمام العواصف العاتية.

۲. أن لا ـ يخطيء في الحسابات العسكرية بل يأخذ بنظر الاعتبار جميع المواقع لقوّاته وقوّاتالعدو ويتحرّک وفقاً لما يمليه عليهالواقع الميداني لإحراز النصر على العدو.

۳. إنّ الدقائق وحتى اللحظات ربّما تكون مصيرية في حسم المعركة وإحراز النصر، وينبغي للقائد أن يتحرّک بدقّة وبسرعة تامة في الوقت المناسب دون أدنى تأخير أو استعجال، فالقائد الفذ يجب أن يعرف هذه اللحظات والدقائق المصيرية ويتحرّک وفقاً لهذه الخبرة والتجربة الميدانية.

۴. وقد تأتي لحظات في ميدان القتال يكون فيها التباطؤ والتمهّل أفضل من العجلة والتسرّع، مثلًا عندما يتربّص أفراد الجيش في الكمين لإيقاع العدو في المصيدة، فلو تسرّعوا في إيقاعه فربّما يفلت من المصيدة ويحسّ بوجود كمين له، ففي مثل هذه الموارد ينبغي التعامل مع الحدث بأعصاب باردة.

ومعلوم أنّ القائد الذي يتمتّع بهذه السمات الأربع هو قائد فذّ ولائق لتسنّم قيادة الجيش وإحراز النصر، وهذه هي الصفات التي كان مالک الأشتر يتمتّع بها مضافاً إلى الصفات الأخرى أيضاً.

تأمّلان

۱. مالک الأشتر المدير والمدّبر الشجاع

بالنسبة لمالک الأشتر وسيرته وحالته فسنتحدّث عنه بإذن اللَّه في شرح الكتاب

نفحات الولاية، ج ۹، ص: ۱۵۵

المرقم ۵۳ من نهج‌البلاغة وهو الكتاب المعروف بعهد مالک الأشتر، وهنا نشير فقط إشارة موجزة إلى بعض صفاته وخصائصه الكريمة.

يتحدّث ابن أبي‌الحديد في نهاية هذه الرسالة تحت عنوان «نُبَذٌ مِنَ الأَقْوالِ الْحَكيمَةِ» عن بعض المسائل المتعلّقة بالإدارة وتدبير أمور المجتمع، ونقل في هذا المجال كلمات عن شخصيّات متعدّدة، ثم قال في ختام كلامه: لقد جمع أميرالمؤمنين عليه السلام من أصناف

الثناء والمدح ما فرّقه هؤلاء فى كلماتهم بكلمة واحدة فى الأشتر وهى قوله: «لا يُخَافُ وَهْنُهُ وَلَا سَقْطَتُهُ وَلَا بُطْؤُهُ عَمَّا الْإِسْرَاعُ إِلَيْهِ أَحْزَمُ، وَلَا إِسْرَاعُهُ إِلَى مَا الْبُطْءُ عَنْهُ أَمْثَلُ».

وفى ذيل هذا الكتاب يقول: وقد روى المحدّثون حديثاً يدلّ على فضيلة عظيمة للأشتر رحمه اللَّه، وهى شهادة قاطعة من النبىّ بأنّه مؤمن. وذلك عندما كان أبوذرّ فى الربذة وقد حان أجله وكانت زوجته قد احتارت فى أمر موته وتجهيزه وغسله ودفنه وهى ترى نفسها وحيدة فى الصحراء القاحلة، فقال أبوذر لها: ما يبكيكِ، فقالت: ما لى لا أبكى وأنت تموت فى فلاة من الأرض .. فقال: أبشرى ولا تبكى فإنّى سمعت رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يقول: «لا يموت بين امرأين مسلمين ولدان أو ثلاثة فيصبران ويحتسبان فيريان النار أبداً» وسمعت أيضاً رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: ليموتن أحدكم بفلاة من الأرض يشهده عصابة من المؤمنين، وليس من أولئك النفر أحد إلّاوقد مات فى قرية وجماعة وأنا لا أشك فى ذلك الرجل، واللَّه ما كذبت ولا كُذبت، فانظرى الطرق.

قالت ام ذرّ: قلت: أنّى وقد ذهب الحاجّ وتقطّعت الطرق! فقال: اذهبى فتبصّرى، قالت: فكنت أشتدّ إلى الكثيب، فأصعد فانظر، ثم أرجع إليه فأمرّضه، فبينا أنا وهو على هذه الحال إذ أنا برجال على ركابهم كأنّهم الرَّخم تخبّ بهم رواحلهم، فأسرعوا إلىَّ حتّى وقفوا علىَّ وقالوا: يا أمة اللَّه! ما لكِ؟ فقلت: امرء من المسلمين يموت تكفّنونه؟ قالوا: ومن هو؟ قلت: أبوذرّ، قالوا: صاحب رسول اللَّه صلى الله عليه و آله؟

قلت: نعم، ففدّوه بآبائهم وامهاتهم، وأسرعوا إليه حتّى دخلوا عليه، فقال لهم:

أبشروا، فإنّى سمعت رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يقول: لنفر أنا فيهم: ليموتنّ أحدكم بفلاة من الأرض يشهده عصابة من المؤمنين، وليس من أولئك النفر أحد إلّاوقد هلك فى قرية وجماعة، واللَّه ما كذبت ولا كُذّبت، ولو كان عندى ثوب يسعنى كفناً أو لامرأتى لم اكفّن إلّافى ثوب لى أو لها، وأنى أنشدكم اللَّه ألّا يكفّننى رجل منكم كان أميراً أو عريفاً أو بريداً أو نقيباً!

قالت: وليس فى أولئك النفر أحد إلّاوقد قارف بعض ما قاله، إلّافتىً من الأنصار قال: أنا اكفّنك ياعمّ فى ردائى هذا، وفى ثوبين معى فى عيبتى من غزل امّى، فقال أبوذرّ: أنت تكفّننى، فمات فكفّنه الأنصارىّ وغسّله النفر الذين حضروه وقاموا عليه ودفنوه ....

ثم ينقل ابن أبى‌الحديد عن ابن عبدالبرّ فى كتاب «الاستيعاب»، أنّ تلك الجماعة حضروا فجأة بعد وفاة أبى‌ذرّ وكان من جملتهم «حجر بن عدىّ» و «مالك الأشتر» وحجر بن عدىّ هو الذى قتله معاوية وكان من كبار رموز الشيعة ورجالهم ۱۷۶].

وهذا الحديث الشريف يدلّ دلالة واضحة على عظمة أبى ذرّ وكذلك مالك الأشتر، وسيأتى لاحقاً تفصيل أكثر عن هذه الشخصية الإسلاميّة العظيمة والذى يعدّ من أخلص أصحاب الإمام أميرالمؤمنين علىّ عليه السلام وقد ذكره الإمام فى أربعة مواضع أخرى من «نهج‌البلاغة»، منها ما ورد فى الكتاب ۳۴ و ۳۸ و الكلمات القصار ۴۴۳ وذيل الكتاب ۵۳ (عهد مالك الأشتر) الذى سوف يأتى تفصيل ذلك لاحقاً إن‌شاءاللَّه.

۲. شريح بن هانىء الحارثى وزياد بن النضر

سبق وأن ذكرنا أنّ الإمام عليه السلام كتب هذه الرسالة الموجزة والزاخرة بالمعانى لرجلين من قادة جيشه عندما أرسلهما إلى ميدان معركة صفّين، بالنسبة للشخص

الأول، يعنى شريح بن هانىء، يقول ابن عبدالبر فى «الاستيعاب»: كان من الأشخاص الذين أدركوا الجاهلية والإسلام وهو من صحابة النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله ومن كبار أصحاب الإمام علىّ صلى الله عليه و آله وأنصاره المقرّبين الذين رافقوا الإمام فى جميع ميادين الحرب ۱۷۷].

وذكر الذهبى فى تاريخه: وفى سنة ثمان وسبعين ولّى الحجاج عبيداللّه بن أبى بكرة سجستان فوجّه أبابرذعة، فأخذ عليه (على شريح) المضيق، وقتل شريح بن هانىء، وقال القاسم بن مخيمرة: ما رأيت حارثياً أفضل من شريح بن هانىء[۱۷۸].

أمّا بالنسبة لزياد بن النظر القائد الثانى من قادة جيش الإمام عليه السلام فالمرحوم المحقّق النمازى الشاهرودى يقول عنه فى «مستدرك علم رجال الحديث»: كان من أركان أصحاب أميرالمؤمنين عليه السلام أمّره أميرالمؤمنين على مذحج والأشعريين وأوصاه بوصايا، فقال: أوصيت ياأميرالمؤمنين حافظاً لوصيّتك مؤدّباً بأدبك، يرى الرشد فى نفاذ أمرك والغىّ فى تضييع عهدك، فبعث أميرالمؤمنين مع شريح ابن هانىء اثنى عشر ألفاً على مقدّمته، فلما سارا اختلفا وكتب كلّ منهما إليه يشكو صاحبه.

ويقول الطبرى فى تاريخه أنّه عليه السلام قال للأشتر: اجعل على ميمنتك زياداً، وعلى ميسرتك شريحاً .. وارسال أميرالمؤمنين عليه السلام إيّاه للاحتجاج مع الخوارج. وأضاف:

ويستفاد من ذلك كلّه علمه وكماله وديانته وعدالته ۱۷۹].

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۱۵۹

الرسالة ۱۴

اشارة

لِعَسْكَرِهِ قِبَلَ لِقاءِ الْعَدُوِّ بِصِفّين ۱۸۰]

نظرة إلى الرسالة

هذه الرسالة حالها حال الرسائل السابقة تتضمّن سلسلة من التعاليم الأخلاقية والمثل الإنسانية فيما يتّصل بالحرب مع العدو، والتعاليم المذكورة هنا تبيّن روح العطف الإنسانى والرأفة الإسلاميّة، وتدلّ على أنّه لا ينبغى الغفلة عن القيم الأخلاقية فى جميع الموارد، حتى فى ميدان الحرب، والتوصيات المتداولة فى العالم المعاصر بعد مرور أربعة عشر قرناً تعدّ بداية المسير فى طريق الأخلاق

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۱۶۰

والمعنوية، وتتضمن بعض ما ورد فى هذه الرسالة القيمة من توصيات أخلاقية، مع أنّ هذه التعاليم المعاصرة لم تترجم على أرض الواقع العملى إطلاقاً.

وسنلاحظ أنّ الإمام عليه السلام يؤكّد كثيراً على رعاية النساء وأن لا يلحق بهنّ أىّ ضرر أو أذى حتّى لو شتمن أفراد الجيش الإسلامى، ونطقن بكلمات لا مسؤولة عن قادة الإسلام، وفى هذه التوصيات والإرشادات نرى أنّ أول ما يؤكّد الإمام عليه السلام عليه هو أن لا يبتدىء أصحابه بالقتال والحرب، وهذه التوصية نراها فى توصيات الإمام عليه السلام لأصحابه وأتباعه.

***

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۱۶۱

لَا تُقَاتِلُوهُمْ حَتَّى يَبْدَءُوكُمْ، فَإِنَّكُمْ بِحَمْدِ اللَّهِ عَلَى حُجَّةٍ، وَتَرْكُكُمْ إِيَّاهُمْ حَتَّى يَبْدَؤُوكُمْ حُجَّةٌ أُخْرَى لَكُمْ عَلَيْهِمْ. فَإِذَا كَانَتِ الْهَزِيمَةُ بِإِذْنِ اللَّهِ فَلَا تَقْتُلُوا مُدْبِراً، وَلَا تُصِيبُوا مُعْوِراً، وَلَا تُجْهِزُوا عَلَى جَرِيحٍ، وَلَا تَهِيجُوا النِّسَاءَ بِأَذًى، وَإِنْ شَتَمْنَ أَعْرَاضَكُمْ، وَسَبَبْنَ أُمَرَاءَكُمْ، فَإِنَّهُنَّ ضَعِيفَاتُ الْقُوَى وَالْأَنْفُسِ وَالْعُقُولِ؛ إِنْ كُنَّا لَنُؤْمَرُ بِالْكَفِّ عَنْهُنَّ وَإِنَّهُنَّ لَمُشْرِكَاتٌ؛ وَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيَتَنَاوَلُ الْمَرْأَةَ فِی الْجَاهِلِيَّةِ

بِالْفَهْرِ أَوِ الْهِرَاوَةِ فَيُعَيَّرُ بِهَا وَعَقِبُهُ مِنْ بَعْدِهِ.

الشرح والتفسير: فصل آخر من القيم الأخلاقية فی الحرب

ثمّـة خلاف بين شـرّاح «نهجالبلاغـة» والمؤرّخين فی المخاطبين لهذه الرسالة هل هم أتباعه فی معركة الجمل أم فی صـفّين، المرحوم العلّامة المجلسی فی بحار الأنوار[۱۸۱] يرى أنّ هـذه الوصيّة ترتبط بمعركـة الجمل رغم أنّه نقلها فی مورد آخر فی ما يتّصل بمعركة صفّين، ويرى المسعودی فی مروج الذهب أنّ هذه الرسالة تعود إلی معركة الجمل.

وقد ذهب ابن ميثم فی شرح نهجالبلاغة لإيجاد حلٍّ لهذه المشكلة وقال:

«إنّه عليه السلام كان يوصی أصحابه فی كلّ موطن يلقون العدوّ فيه بهذه الوصية».

وذكر نصر بن مزاحم فی كتاب صـفين والطبری فی تاريخه قبل ابن ميثم هذا المعنی أيضاً، وبما أنّ محتوى هذه الرسالة يمثّل دستوراً عاماً للجيش الإسلامی،

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۱۶۲

فلا يبعد أن يكون هذا الكلام صحيحاً.

وعلی أيّة حال فالإمام عليه السلام فی هذه الرسالة يؤكّد علی خمسة أمور:

الأوّل: يقول عليه السلام: «لَا تُقَاتِلُوهُمْ حَتَّى يَبْدَءُوكُمْ، فَإِنَّكُمْ بِحَمْدِاللَّهِ عَلَى حُجَّةٍ، وَتَرْكُكُمْ إِيَّاهُمْ حَتَّى يَبْدَؤُوكُمْ حُجَّةٌ أُخْرَى لَكُمْ عَلَيْهِمْ»، فأنتم من أتباع إمام يتفق علی مشـروعيته وحقانيته الباری تعالی وجميع المؤمنين، فلا يكون بـدؤكم بالقتال حجّة لهم ضدّكم، وترككم لهم حتی يكون البادیء هو العدو يمّثل حجّة أخرى تدعم موقفكم ومشروعيتكم وحقانيتكم.

وهذه التوصـية قد تقدّم بها النبیّ الأكرم صـلی الله عليه و آله أيضاً لجيش الإسـلام وكانت نتيجة ذلك كما بيّنه الإمام عليه السـلام فی هذا الكلام أنّ جيش الإسـلام يمتلك حجتّين وبرهانين ضدّ العدو، الأوّل أنّه تابع للنبیّ الأكرم أو الإمام الذی يتمتّع بمشروعية وحقانية تقوم علی أساس الموازين الصـحيحة والمنطقية، والآخر أنّ العدو عندما يبتدیء الحرب والقتال يقدّم عملياً دليلًا آخر ضدّه، لأنّه يكون سبباً فی قتل الأبرياء والسـعی فی إشـعال نار الفتنـة وإيجاد الفساد فی الأرض وبالتالی يكون مصـداقاً لمن حارب اللَّه ورسوله، لأنّ كلّ شخص جرّد السـلاح علی الأبرياء من الناس وسـفك الـدماء، فهو محارب، وحينئذٍ سـيكون مشـمولًا للآية الشـريفة: «إِنَّما جَزآءُ الَّذينَ يُحارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِی الْأَرْضِ فَساداً ...»[۱۸۲].

ومضافاً إلی ذلك يكون مصداقاً للآية الشريفة: «فَمَنِ اعْتَدى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدى عَلَيْكُمْ»[۱۸۳].

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام يتحدّث عن ثلاث توصيات مهمّة فی هذه المجال ويقول:

«فَإِذَا كَانَتِ الْهَزِيمَةُ بِإِذْنِ اللَّهِ فَلَا تَقْتُلُوا مُدْبِراً، وَلَا تُصِيبُوا مُعْوِراً[۱۸۴]، وَلَا

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۱۶۳

تُجْهِزُوا[۱۸۵] عَلَى جَرِيحٍ».

إنّ هـذه التوصـيات الثلاثـة تتّسم بالطابع الأخلاقی بشـكل كامل لأنّ الغرض من الحرب هو كسـر مقاومـة العدو والتصدّی لحركته، لا مجرّد الانتقام، فالشـخص الـذی فرّ من الميـدان وترك القتال فلا معنی لقتله، وكـذلك الشـخص العاجز الـذی عجز عن المقاومـة فإنّ الاجهـاز عليه وقتله يتنافی مع المثل الإنسانيـة والقيم الأخلاقيـة، كالشـخص الـذی فقـد سـلاحه فی المعركـة أو عجز عن القتال وحمل السـلاح ضدّ الجيش الإسـلامی، فلا يمثّل خطراً علی أفراد الجيش، ومن هذا القبيل الجريح الذی سـقط ولم تبق له قدرة علی المقاومة والقتال، فالإجهاز علی مثل هؤلاء يتقاطع مع المبادیء الإنسانية.

ويثير العلّامـة التستری فی شـرح نهجالبلاغة هذا السؤال هنا، وهو أنّه يسـتفاد من بعض الروايات كالرواية التی ينقلها الكلينی فی (الجزء

الخامس من الكافى) أنّ الإمام علىّ عليه السلام أصدر مثل هذا الأمر فى معركة الجمل وأصدر أمراً بخلافه فى معركة صفّين وأذن بقتل الهاربين والمجروحين.

ولكن ورد فى رواية أخرى الجواب عن هذا السؤال، فالإمام الصادق عليه السلام يقول:

«لَيسَ لِأَهْلِ الْعَدْلِ أنْ يَتْبَعُوا مُدْبِراً وَلَا يَقْتُلُوا أَسِيراً وَلَا يُجْهِزُوا عَلَى جَرِيحٍ وَهَذَا إذَا لَمْ يَبْقَ مِنْ أَهْلِ الْبَغْىِ أَحَدٌ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ فِئَةٌ يَرْجِعُونَ إِلَيْهَا، فَإِذَا كَانَ لَهُمْ فِئَةٌ يَرْجِعُونَ إلَيْهَا فَإِنَّ أَسِيرَهُمْ يُقْتَلُ وَمُدْبِرَهُمْ يُتْبَعُ وَجَرِيحَهُمْ يُجْهَزُ عَلَيْهِ»[۱۸۶].

وخلاصة الكلام أنّ رعاية هذه المبادىء الإنسانية والقيم الأخلاقية فى الحرب، ترتبط فى موارد يكون جيش العدو قد مُنىّ بالهزيمة وتبعثرت قواه وقدراته القتالية

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۱۶۴

ولا يحتمل فى شأنه العودة إلى الحرب والهجوم مرّة أخرى، ونعلم أنّ العدو فى معركة الجمل كان قد مُنى بالهزيمة بحيث لا يحتمل أن يعود للقتال مرّة أخرى.

ويواصل الإمام عليه السلام كلامه ويتعرّض لبيان التوصية الخامسة حيث يقول: «وَلَا تَهِيجُوا النِّسَاءَ بِأَذًى، وَإِنْ شَتَمْنَ أَعْرَاضَكُمْ، وَسَبَبْنَ أُمَرَاءَكُمْ».

ويبيّن الإمام عليه السلام بعد ذلك علّة هذه التوصية ويقول: «فَإِنَّهُنَّ ضَعِيفَاتُ الْقُوَى وَالْأَنْفُسِ وَالْعُقُولِ».

بما أنّ النساء يفقدن القدرة على القتال والمواجهة العسكريّة، فذلك من شأنه أن يكرّس الحقد فى قلوبهنّ فينطلقن بالسبّ والشتم للتنفيس عن هذا الحقد وإبراز العداء للطرف المقابل، وبما أنّ النسوة يتمتّعن بنفس ضعيفة وعقل ضعيف فستكون ترجمة انتقامهنّ من خلال السبّ والشتم والكلمات البذيئة، ولذلك لا ينبغى على ذوى العقل والحجى أن يردّوا عليهنّ بالمثل ويطلقوا ألسنتهم بالسبّ والشتم أيضاً، والمفروض أن يسمحوا لهنّ بتفريغ شحنات الغضب والحقد المكبوت من خلال السبّ والشتم حتّى تهدأ نفوسهنّ وتسكن عواطفهنّ، ومعلوم أنّ مواجهة مثل هذه النسوة بكلام مماثل فى مقابل كلماتهنّ من شأنه أن يثير فى أنفسهنّ العداوة والبغضاء أكثر ويهيج انفعالهنّ ضدّهم وربّما يدفعهنّ إلى الكفر.

ثم يشير الإمام عليه السلام إلى سيرة الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله وسنّته فى مقابل نساء المشركين ويقول: «إنْ كُنَّا لَنُؤْمَرُ بِالْكَفِّ عَنْهُنَّ وَإِنَّهُنَّ لَمُشْرِكَاتٌ» أى فى زمان النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله.

ثمّ يشير الإمام عليه السلام إلى نقطة ثالثة فى هذ المجال ويقول: «وَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيَتَنَاوَلُ الْمَرْأَةَ فِى الْجَاهِلِيَّةِ بِالْفَهْرِ[۱۸۷] أَوِ الْهِرَاوَةِ[۱۸۸] فَيُعَيَّرُ بِهَا وَعَقِبُهُ ۱۸۹] مِنْ بَعْدِهِ».

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۱۶۵

فإذا كان الناس فى عصر الجاهلية يقفون هذا الموقف من المرأة، وعندما يؤمر المسلمون بحفظ النفس وعدم الانفعال فى مقابل المشركين، ففى عصر ظهور الإسلام وفى مقابل النسوة المسلمات الجاهلات يكون من الضرورىّ ضبط النفس واللسان بطريق أولى.

وعندما يأمر الإمام عليه السلام أفراد جيشه بهذا الأمر الأخلاقى فى مقابل النساء، فإنّه بنفسه قد سبق الآخرين بالعمل بهذه التوصية وتجسيدها على أرض الواقع، فقد ورد فى تاريخ معركة الجمل أنّه عندما انتصر الإمام علىّ عليه السلام وجيشه على المتمرّدين والناكثين، وبينما كان عليه السلام يسير فى أزقّة البصرة، كانت زوجة عبداللّه بن خلف (أحد رجال البصرة المعروفين) واقفة أمام باب بيتها فالتفتت للإمام وقالت: «يا قاتِلَ الْأَحِبَّةِ لا مَرْحَباً بِكَ أيْتَم اللَّهُ مِنْكَ وَلَدَكَ كَما أيْتَمْتَ بَنى عَبْدِاللَّهِ بْنِ خَلَفَ» فلم يرد عليه السلام عليها، ولكنّه وقف وأشار إلى ناحية من دارها، ففهمت إشارته، فسكتت وانصرفت، وكانت قد سترت عندها عبداللّه بن الزبير ومروان بن الحكم، فأشار إلى الموضع الذى كانا فيه، أى لو شئت أخرجتهما! فلمّا فهمت انصرفت، وكان الإمام عليه السلام حليماً كريماً[۱۹۰].

تأمّلان

۱. مكانة المرأة فى نهج‌البلاغة

يلاحظ القارىء لكتاب نهج‌البلاغة أنّ الإمام عليه السلام يذمّ النساء فى عدّة موارد من الخطب والرسائل والكلمات القصار، وقد فسرّ بعض الجهلاء ذلك على أساس الضدّية للنساء وأنّ الإمام عليه السلام يتّخذ موقفاً سلبياً منهنّ، فى حين أنّ الشواهد والقرائن التى تقترن مع كلمات الإمام عليه السلام تشير إلى أنّ الإمام كان ناظراً لمجموعة خاصة من النسوة، مثلًا وردت بعض هذه العبارات بعد معركة الجمل حيث كانت إحدى

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۱۶۶

زوجات النبىّ قد عملت على إشعال نيران هذه الحرب الضروس، وهذا يشير إلى أنّ الإمام عليه السلام كان ناظراً لمثل هذه المرأة التى انحرفت عن مسارها الصحيح وأضحت آلة بيد الانتهازيين والعاملين فى الشأن السياسى كطلحة والزبير وهو الأمر الذى أدّى إلى سفك دماء آلاف المسلمين، وبعد أن خمدت نيران الحرب قام الإمام عليه السلام بإرسال هذه المرأة بغاية التكريم احتراماً للنبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله مع أخيها وجماعة من الحرس إلى المدينة.

وفى الرسالة مورد البحث أيضاً يتحدّث الإمام عليه السلام عن النسوة اللاتى يفتحن أفواههنّ بالسبّ والشتم وينطلقن من مواقع الانفعال ومواجهة جنود الإسلام بكلمات بذيئة، ويصفهنّ بأنّهن ضعاف العقول والنفوس.

فلو أخذنا بنظر الاعتبار القرائن الحالية والمقالية فى مثل هذه الموارد، فسوف يتبيّن الجواب عن هذه الإشكالات وعلامات الاستفهام.

ولذلك ورد فى الحديث الشريف عن الإمام الباقر عليه السلام فى كتاب أصول الكافى أنّه قال بعد الإشارة إلى وجود العيب والنقص فى طائفة من النسوة: «إِلَّا الْمُسْلِمَاتُ مِنْهُنَّ»[۱۹۱].

وفى آخر عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله أنّه قال: «الامْرَأَةُ الصَّالِحَةُ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ رَجُلٍ غَيْرِ صَالِحٍ»[۱۹۲].

وجاء فى حديث مفصّل عن الإمام الصادق عليه السلام فى كتاب الكافى تقسيماً جليّاً للنساء، حيث يقرّر الإمام الصادق عليه السلام أنّ فئة من النسوة سبب لسعادة الرجال، وفئة أخرى منهنّ يورثن الندم والخسران يقول: «فَمَنْ يَظْفَرْ بِصَالِحِهِنَّ يَسْعَدْ وَمَنْ يُغْبَنْ فَلَيْسَ لَهُ انْتِقَام»[۱۹۳].

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۱۶۷

وهذه الروايات الثلاث المذكورة أعلاه، وكذلك روايات أخرى فى هذا الباب من كتاب الكافى (باب أصناف النساء) تشكل قرينة واضحة على ما اخترناه من تفسير كلام الإمام علىّ عليه السلام فى نهج‌البلاغة فيما يتّصل بخصال النساء وأخلاقهنّ.

۲. الخلق الإسلامى فى مقابل العدو

إنّ ما ورد فى الرسالة أعلاه وبعض الرسائل السابقة واللاحقة أيضاً يبيّن بوضوح منهج الإسلام فى مواجهة العدو والأخلاق التى ينبغى للمجاهد المسلم أن يتحلّى بها فى ميدان المعركة، وهذا المنهج الذى يؤكّد على المعايير السليمة والقيم الأخلاقية فى مقاتلة الأعداء يتقاطع مع ما نراه فى المناهج المادّية ومنهج أعداء الإمام عليه السلام الذين لا يراعون أىّ قيد وشرط فى ميدان القتال، ولا يلتزمون بأيّة قيمة أخلاقية فى ساحة المواجهة، فنراهم يستخدمون أسوأ الوسائل ويرتكبون أبشع الأعمال من أجل الوصول لغاياتهم وتحقيق أهدافهم، ويسحقون أعلى المثل الإنسانية والأخلاقية تحت أقدامهم إذا لم تتحقّق لهم طموحاتهم، وهذا التباين والتفاوت يمكن ملاحظته بوضوح من خلال نمط واسلوب الإمام علىّ عليه السلام واسلوب معاوية فى السجال التاريخى بينهما.

وقد ذهب بعض المحللين فى الماضى والحاضر من الذين تأثّروا بالمذاهب المادية والمصلحيّة أنّ هذا التفاوت يعدّ دليلًا على أفضليّة

سياسة معاوية على سياسة الإمام عليه السلام.

وهنا لا بأس بالإشارة إلى كلام للجاحظ فى هذا المجال حيث يقول: ربّما رأيت بعض من يظنّ بنفسه العقل والتحصيل والفهم والتمييز وهو من العامة، ويظنّ أنّه من الخاصّة، يزعم أنّ معاوية كان أبعد غوراً من علىّ عليه السلام وأصحّ فكراً وأجود رؤية وأبعد غاية وأدقّ مسلكاً، وليس الأمر كذلك وسأرمى إليك بجملة تعرف بها موضع غلطه والمكان الذى دخل عليه الخطأ من قبله، كان علىّ عليه السلام لا يستعمل فى حروبه

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۱۶۸

إلّا ما وافق الكتاب والسنّة، وكان معاوية يستعمل خلاف الكتاب والسنّة كما يستعمل الكتاب والسنّة، ويستعمل جميع المكائد حلالها وحرامها، ويسير فى حروبه بسيرة ملك الهند إذا لاقى كسرى، وسيرة خاقان إذا لا قى رتبيل، وعلىّ يقول فى حروبه: «لا تبدأوهم بالقتال حتى يبدأوكم، ولا تتبعوا مدبراً ولا تجهزوا على جريح ولا تفتحوا باباً مغلقاً» هذه سيرته فى ذى الكلاع وأبى الأعور السلمى وعمرو بن العاص وحبيب بن مسلمة وفى جميع الرؤساء، كسيرته فى الحاشية والحشو والاتّباع والسفلة، وأصحاب الحروب إن قدروا على البيات بيّتوا وإن قدروا على رضخ الجميع بالجندل وهم نيام فعلوا، وإن أمكن ذلك فى طرفة عين لم يؤخروه إلى ساعة، وإن كان الحرق أعجل من الغرق لم يقتصروا على الغرق ولم يؤخّروا الحرق إلى وقت الغرق، وإن أمكن الهدم لم يتكلّفوا الحصار، ولم يدعوا أن نصبوا المجانيق والعرادات، والنقب والتسريب والدبابات والكمين، ولم يدعوا دسّ السموم ولا التضريب بين الناس بالكذب وطرح الكتب فى عساكرهم بالسعايات وتوهيم الأمور ويجاش بعض من بعض وقتلهم بكلّ آلة وحيلة، وكيف وقع القتل، وكيف دارت بهم الحال، فمن اقتصر من التدبير على ما فى الكتاب والسنّة كان قد منع نفسه الطويل العريض من التدبير وما لا يتناهى من المكائد، والكذب أكثر من الصدق، والحرام أكثر من الحلال.

فعلىّ عليه السلام كان ملجماً بالورع عن جميع القول إلى ما هو للّهرضى، وممنوع اليدين من كلّ بطش إلّاما هو للّهرضى، ولا يرضى الرضا إلّافيما يرضاه اللّه ويحبّه، ولا يرى الرضا إلّافيما دلّ عليه الكتاب والسنّة، دون ما يقول أصحاب الدهاء والنكراء والمكائد والآراء، فلما أبصرَت العوامّ كثرة غرائب معاوية ظنّوا بقصر عقولهم وقلّة علومهم أنّ ذلك من رجحان عند معاوية ونقصان عند علىّ عليه السلام ۱۹۴].

والنقطة المهمّة هنا والتى لا ينبغى الغفلة عنها، هى أنّ الإمام علىّ عليه السلام وجميع

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۱۶۹

الأولياء الإلهيين كانوا يهدفون فى سلوكياتهم فى الشأن السياسىّ والاجتماعىّ إلى حفظ القيم والمثل الإنسانية، ويرجّحونها حتّى على النصر فى ميدان القتال، لأنّ مثل هذا النصر على العدو مؤقّت، بينما القيم والمثل الإنسانية باقية، فلو نظرنا من هذه الزاوية إلى منهج الأنبياء والأولياء فسيتبيّن الجواب عن الكثير من الأسئلة وعلامات الإستفهام فى هذا المجال.

على سبيل المثال يتساءل البعض: لماذا لم يقتل الإمام علىّ عليه السلام عمرو بن العاص وبسر بن أرطاة عندما تمكّن منهما وكان قادراً على أن يخلّص المجتمع الإسلامى من وجودهما، لمجرّد أنّ هذين الرجلين كشفا عن عورتهما؟

الجواب: إنّ الإمام علىّ عليه السلام يرى أنّ حفظ القيم الأخلاقية فى هذه الأمور أولى من قتل العدو، وربّما لا يستطيع الكثير من الناس تحمّل مثل هذا الموقف وحفظ التعاليم الإلهيّة والإنسانية من موقع الوعى والالتزام.

وفى عالمنا المعاصر نسمع الكثير من لزوم حفظ القيم والمبادىء الإنسانية فى ميادين الحرب، ولكن الكثير من الأسلحة التى تعتبر من جملة الأسلحة الممنوعة والمحرمة دولياً، وقد صدر المنع من استخدامها ضدّ المدنيين ومنع التعامل غير الإنسانى مع الأسرى، ولكننا نرى مراراً فى تاريخنا المعاصر عدم الالتزام بأىّ من هذه القوانين فى حالات الحرب من قبيل استخدام أسلحة الدمار الشامل كالقنابل الذرّية والأسلحة الكيمياوية ضد المدنيين والعزّل من الناس وتعذيب الأسرى بمختلف صنوف العذاب، ويمكن القول إنّ مثل هذه

الأعمال تصدر من قِبل الفئات والجهات التى تدّعى الدفاع عن حقوق الإنسان أكثر من الفئات التى لا تعترف بها، وهذا بذاته يعتبر عملًا شنيعاً ومنكراً، لأنّ الإنسان عندما يدّعى الدفاع عن القيم وحقوق الإنسان ثمّ يرتكب خلاف ذلك على مستوى العمل والطبيق، فهذا يعنى النفاق، وأنّ مثل هؤلاء الأشخاص هم منافقون.

***

نفحات الولاية، ج ٩، ص: ١٧١

الرسالة ١٥

اشارة

كانَ يَقُولُ إذا لَقِيَ الْعَدوَّ مُحارِباً[١٩٥]

نظرة إلى الرسالة

يتحدّث الإمام علىّ عليه السلام فى هذا الدعاء عن خلجات روحيّة تجاه الحرب ويبرز استياءه الشديد منها، ويشكو إلى اللَّه ورسوله صلى الله عليه و آله من كثرة الأعداء وتفرّق المسلمين عن حقّهم، وأخيراً يسأل اللَّه تعالى إقامة الصلح والعدالة وإنهاء الحروب والاقتتال.

هذا كلّه يشير إلى أنّ الإسلام لا يؤيّد الحرب إطلاقاً، ويعتبر أنّ الحرب أمر مفروض على البشر، لأنّ الأضرار والخسائر الوخيمة للحرب ربّما تمتدّ لتنال الأجيال اللاحقة أيضاً، وخاصّة فى الحروب المعاصرة التى تتّسع آثارها المدمّرة

نفحات الولاية، ج ٩، ص: ١٧٢

إلى مديات قصوى أكثر بكثير من الماضى.

على سبيل المثال؛ نرى أنّ الحرب العالمية قد انتهت قبل عقود من الزمان ولكن لحدّ الآن يوجد الملايين من المعلولين والمتضرّرين من هذه الحرب فى مختلف بلدان العالم.

***

نفحات الولاية، ج ٩، ص: ١٧٣

اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَفْضَتِ الْقُلُوبُ، وَمُدَّتِ الْأَعْنَاقُ، وَشَخَصَتِ الْأَبْصَارُ، وَنُقِلَتِ الْأَقْدَامُ، وَأُنْضِيَتِ الْأَبْدَانُ. اللَّهُمَّ قَدْ صَرَّحَ مَكْنُونُ الشَّنَآنِ، وَجَاشَتْ مَرَاجِلُ الْأَضْغَانِ. اللَّهُمَّ إِنَّا نَشْكُو إِلَيْكَ غَيْبَةَ نَبِيِّنَا، وَكَثْرَةَ عَدُوِّنَا، وَتَشَتُّتَ أَهْوَائِنَا «رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنا وَبَيْنَ قَوْمِنا بِالْحَقِّ، وَأَنْتَ خَيْرُ الْفاتِحِينَ».

الشرح والتفسير: دعاء جامع فى ساحة القتال

كما تقدّمت الإشارة إليه أنّ الإمام عليه السلام كان يقرأ هذا الدعاء عندما يواجه العدو فى ميدان الحرب، وهذا يدلّ على أنّ الإمام عليه السلام يهدف من ذلك لفت نظر أتباعه إلى هذه الحقيقة، وهى أنّ الغرض من الحرب ليس تحقيق الغلبة والنصر على العدوّ

للتوصّل إلى الثروة والمقام ونيل المطامع الدنيوية، بل هو جهاد فى سبيل اللَّه ومن أهم العبادات الدينية، وينبغى أن يبتدىء المجاهد فى حركته فى ميدان القتال باسم اللَّه عزّ وجلّ ويطلب منه النصر على العدوّ، ويخطو فى هذا السبيل بنيّة خالصة وبقلب مفعم بالعشق الإلهىّ، ويهجم على العدو من موقع الاستقامة والإيمان والإخلاص.

يقول الإمام عليه السلام فى مطلع الدعاء: «اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَفْضَتِ ١٩٦] الْقُلُوبُ وَمُدَّتِ الْأَعْنَاقُ وَشَخَصَتِ ١٩٧] الْأَبْصَارُ وَنُقِلَتِ الْأَقْدَامُ وَأُنْضِيَتِ ١٩٨] الْأَبْدَانُ».

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۱۷۴

وهذا إشارة إلى أنّ الهدف النهائى للحرب مع قوى الباطل هو طلب رضا اللَّه تعالى، وأننا فى كلّ خطوة نخطوها فى هذا الطريق، فهى من أجلك وباتّجاهك.

أجل، فالمجاهدون المسلمون يهدفون من جميع أعمالهم وبرامجهم نيل رضا اللَّه تعالى وامتثال أمره، ولذلك يقول القرآن الكريم: «ما كانَ لِأَهْلِ الْمَدينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِّنَ الْأَعْرابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَّسُولِ اللَّهِ وَلا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذلِكَ بِأَنَّهُمْ لا يُصيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلا نَصَبٌ وَلا مَخْمَصَةٌ فِى سَبيلِ اللَّهِ وَلا يَطَؤُنَ مَوْطِئاً يَغيظُ الْكُفَّارَ وَلا ينالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لا يُضيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنينَ* وَلا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغيرَةً وَلا كَبيرَةً وَلا يَقْطَعُونَ وادِياً إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ»[۱۹۹].

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام فى سياق هذا الدعاء يشير إلى الباعث لهذه الحرب لدى العدو ليعلم أفراد الجيش الإسلامى بحقيقة الأمر فيكونوا على بيّنة من مواقعهم وغاياتهم ويقول: «اللَّهُمَّ قَدْ صَرَّحَ مَكْنُونُ الشَّنَآنِ، وَجَاشَتْ ۲۰۰] مَرَاجِلُ ۲۰۱] الْأَضْغَانِ ۲۰۲]».

وهذا إشارة إلى أنّ عناصر الحقد والبغضاء لدى هؤلاء الأعداء، والتى بقيت مكبوتة منذ زمان الجاهلية وصدر الإسلام بسبب ما حقّقه النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله من النصر المؤزّر عليهم، قد تجلّت وظهرت فى هذا الوقت، لأنّهم وإن أظهروا الإسلام وادّعوا الإيمان حسب الظاهر، ولكنّهم مازالوا يخفون الحقد والعداوة فى قلوبهم وقد وجد هؤلاء المنافقون الأرضية الخصبة بعد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله لإبراز حقدهم الدفين وإظهار ضغائنهم ضدّ الإسلام والمسلمين.

فمن ينكر أن معاوية وهو ابن أبى سفيان العدو الأوّل للنبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله وابن هند

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۱۷۵

المعروفة بآكلة الأكباد، وأنصاره وأتباعه من المنافقين وأعداء الإسلام كانوا فى عصر ظهور الإسلام يواجهون الرسالة الإلهيّة من موقع الحقد والعداء الشديد وقد خلّفت المعارك فيهم أحقاداً بدرية وحنينية وغيرها.

وهذه الحقيقة بمثابة الدرس لأصحاب وأنصار الإمام عليه السلام ليعلموا من يقاتلون ولأىّ غرض يجاهدون.

وفى ختام هذا الدعاء يلتجىء الإمام عليه السلام مرّة أخرى إلى رحمة اللَّه ولطفه ويعكس ذلك صفاء قلبه ونورانية باطنه وحبّه لجميع الخلائق حتى الأعداء منهم، ويقول: «اللَّهُمَّ إِنَّا نَشْكُو إِلَيْكَ غَيْبَةَ نَبِيِّنَا، وَكَثْرَةَ عَدُوِّنَا، وَتَشَتُّتَ أَهْوَائِنَا «رَبَّنَا افْتَحْ ۲۰۳] بَيْنَنا وَبَيْنَ قَوْمِنا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفاتِحِينَ»[۲۰۴]».

وهذه العبارات تعتبر غاية ما يعيشه الإمام علىّ عليه السلام من حالات اللطف والمحبّة حتّى بالنسبة للأعداء والمنحرفين والضالّين حيث يعبّر عنهم: «قَوْمِنا» وقوله: «غَيْبَةَ نَبِيِّنَا، وَتَشَتُّتَ أَهْوَائِنَا» بدلًا من قوله «ربنا انصرنا» وكذلك ما ورد من هذه العبارات «غَيْبَةَ نَبِيِّنَا» و «وَكَثْرَةَ عَدُوِّنَا» و «وَتَشَتُّتَ أَهْوَائِنَا» كلّها تشير إلى أنّ الغرض الأقصى للإمام علىّ عليه السلام يتلخّص إلى جذبهم إلى طريق الحقّ والصواب وأن يتّحد المسلمون صفّاً واحداً فى مقابل الأعداء.

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۱۷۷

الرسالة ۱۶

اشارهٔ

لِأَصْحابِهِ عِنْدَ الْحَرْبِ ۲۰۵]

نظرهٔ إلى الرسالهٔ

إنّ هذه الرسالهٔ، والأصحّ هذا الكلام، لأميرالمؤمنين عليه السلام الذى تحدّث فيه لأصحابه فى ميدان الحرب يهدف لبيان فنون القتال وأسرار المجابهٔ والنصر على العدوّ لأصحابه وأنصاره، وقد رأينا فيما تقدّم من التوصيات العسكريهٔ أنّها تمثّل تعاليم لكيفيهٔ الحركهٔ والتوجّه إلى ميدان القتال واتّخاذ المواقع الحسّاسهٔ فى مقابل العدو، والإمام فى هذه الكلام يبيّن فنون الحرب والقتال لأنصاره وجنوده، وفى المقطع الأخير من هذا الكلام يطرح الإمام عليه السلام فى الحقيقهٔ جواباً عن سؤال ربّما يثيره البعض من أصحابه أو يدور فى خلجات قلبه، ويجيب عنه بأننا عندما نقاتل معاويهٔ وأعوانه وأنصاره فإنّ ذلك لا يعتبر حرباً ضدّ المسلمين، فلو أنّ بنى اميهٔ

نفحات الولايهٔ، ج۹، ص: ۱۷۸

وعلى رأسهم أبا سفيان أظهروا الإسلام فى الماضى فإنّهم فى الحقيقهٔ يتظاهرون بالإسلام ويتقنعون بالإيمان، ولذلك عندما وجدوا أعواناً وأنصاراً لإظهار الكفر والشرك ونزع رداء الإسلام لم يمتنعوا من الإعلان عن نواياهم والبوح بمكنوناتهم.

***

نفحات الولايهٔ، ج۹، ص: ۱۷۹

لَما تَشْتَدَّنَّ عَلَيْكُمْ فَرَّةٌ بَعْدَهَا كَرَّةٌ، وَلَما جَوْلَةٌ بَعْدَهَا حَمْلَةٌ، وَأَعْطُوا السُّيُوفَ حُقُوقَهَا، وَوَطِّئُوا لِلْجُنُوبِ مَصارِعَهَا وَاذْمُرُوا أَنْفُسَكُمْ عَلَى الطَّعْنِ الدَّعْسِىِّ، وَالضَّرْبِ الطِّلَحْفِيِّ، وَأَمِيتُوا الْأَصْوَاتَ، فَإِنَّهُ أَطْرَدُ لِلْفَشَلِ. فَوَ الَّذِى فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، مَا أَسْلَمُوا وَلَكِنِ اسْتَسْلَمُوا، وَأَسَرُّوا الْكُفْرَ، فَلَمَّا وَجَدُوا أَعْوَاناً عَلَيْهِ أَظْهَرُوهُ.

نفحات الولايهٔ ؛ ج۹ ؛ ص۱۷۹

الشرح والتفسير: تقويهٔ عزائم الجند

يبيّن الإمام عليه السلام فى هذا الكلام الدقيق والزاخر بالمضامين العميقهٔ، ستّ توصيات عسكريهٔ مهمّهٔ وبعبارات بليغهٔ ومقتضبهٔ.

يقول الإمام عليه السلام فى التوصيهٔ الاولى والثانيهٔ: «لَا تَشْتَدَّنَّ عَلَيْكُمْ فَرَّةٌ[۲۰۶] بَعْدَهَا كَرَّةٌ[۲۰۷]، وَلَا جَوْلَةٌ[۲۰۸] بَعْدَهَا حَمْلَةٌ».

والمقصود من الجملهٔ الاولى أنّ المقاتلين أحياناً تفرض عليهم الظروف والتحديّات الصعبهٔ التراجع والانسحاب المؤقّت فيتوهّم العدو وجود ثغرهٔ وضعف فيكم فيسارع فى ملاحقتكم، وفجأهٔ يعود أفراد الجيش إلى تماسكهم ويحملوا

نفحات الولايهٔ، ج۹، ص: ۱۸۰

حملهٔ واحدهٔ على العدو ويحطّموا قواه ويبعثروا صفوفه، وهذا فى الحقيقهٔ نوع من الانسحاب التكتيكى المتداول فى الحروب المعاصرهٔ، وأحياناً يكون الإصرار على المقاومهٔ والثبات فى أرض المعركهٔ يكلّف الجيش غالياً ولذلك يقول الإمام عليه السلام:

لاتأسفوا على مثل هذا الفرار والتراجع الذى يستتبع الهجوم الصولهٔ على العدو، ويشير الإمام عليه السلام فى الجملهٔ الثانيهٔ إلى حالات الجولهٔ من هذه الجهٔ قبل ابتداء الهجوم، لأنّ الفارس الشجاع أحياناً يضطرّ لتغيير مواقعه فى ميدان القتال للعثور على موقع مناسب

للهجوم على العدو، فيعثر على المنفذ المناسب للحملة أو يتراجع لغرض إنهاك العدو واستنزاف طاقاته وأتعابه، وعلى ضوء ذلك فلا إشكال فى الفرار الذى يتبعه هجوم، ولا فى الجولات وتغيير المواقع التى تستتبع إيجاد ثغرة فى صفوف العدو والنفوذ منها لتحطيم قواه وقدراته الدفاعية.

وبعبارة أخرى أنّ بعض الأشخاص المغرورين تصوّروا أنّ الفرار يعدّ عيباً ونقصاً كيف ما كان، وكذلك تأخير الهجوم على العدوّ بجولات متعددة، فى حين أنّ كلّاً من هذه الأمور لا يعدّ عيباً أو نقصاً، بل هو نوع من أساليب المواجهة التى تضمن فى الكثير من الموارد النصر على العدو.

ثم إنّ الإمام عليه السلام يأمر فى التوصية الثالثة والرابعة ويقول: «وَأَعْطُوا السُّيُوفَ حُقُوقَهَا، وَوَطِّئُوا لِلْجُنُوبِ مَصَارِعَهَا[۲۰۹]».

يعدّ السيف أهم سلاح يستخدم فى ميدان القتال فى ذلك العصر، فعندما يواجه الفارس العدو بسيفه فينبغى الاستفادة القصوى من هذا السلاح وأداء حقّه فى الضرب والطعن.

وجملة «وَطِّئُوا لِلْجُنُوبِ ...» إشارة إلى أنّ ضرباتكم للعدو يجب أن تكون من الشدّة بدرجة تستتبع سقوط العدو على الأرض فى الضربات الاولى وكأنّكم بهذا الضرب المتوازى والشديد قد أعددتم سلفاً مصارع أفراد العدو وأماكن سقوطهم

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۱۸۱

على الأرض صرعى.

واحتمل البعض أنّ هذا الكلام إشارة إلى مواطن أفراد الجيش الإسلامى، يعنى أنّكم فى الوقت الذى ترومون تحقيق النصر على العدو ينبغى أن تكونوا مستعدين للشهادة فى سبيل اللَّه وتوطّئوا لأنفسكم مكاناً لمصرعكم وسقوطكم على الأرض شهداء فى سبيل اللَّه.

ولكن مع الالتفات إلى ما ورد فى الجملة السابقة والجملة اللاحقة فإنّ هذا المعنى بعيد، لأنّ كلتا الجملتين تدعوان الجند إلى بانزال ضربات قاصمة بالعدو.

وفى التوصية الخامسة والسادسة، التى تقع أيضاً فى سياق الحديث عن الضربات القاصمة على العدو يقول الإمام عليه السلام: «وَاذْمُرُوا[۲۱۰] أَنْفُسَكُمْ عَلَى الطَّعْنِ ۲۱۱] الدَّعْسِي ۲۱۲]، وَالضَّرْبِ الطِّلَحْفِي ۲۱۳]».

الواقع أنّ الإمام عليه السلام فى هذه العبارة يدعو المقاتلين للاستفادة من جميع الأدوات المتداولة فى ذلك الزمان فتطعنوا بالرماح جسد العدو بحيث ينهار تماماً ويسقط على الأرض مضرّجاً بدمه وتضربوا بسيوفكم على هامات القوم بحيث يلفظوا أنفاسهم معها، ومن أجل تحقيق هذا الغرض لابدّ من تهييج أحاسيسكم وتفوير مشاعركم من خلال الاستعانة باللَّه تعالى لأنّ النصر الحاسم إنّما يكون من نصيب الجماعة التى تقاتل بشدّة وتنزل ضربات سيوفها ورماحها على العدو بأشدّ قوّة.

وفى التوصية السابعة والأخيرة يقول: «وَأَمِيتُوا الْأَصْوَاتَ، فَإِنَّهُ أَطْرَدُ لِلْفَشَلِ».

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۱۸۲

الأشخاص الذين يمارسون الصراخ والصياح فى ميدان القتال ربّما يتبادر إلى ذهن العدو أنّ ذلك ناشىء من خوفهم ووحشتهم، وبالتالى يؤدّى ذلك إلى رفع معنويات العدو من جهة، ومن جهة أخرى ربّما يفضى الصياح إلى استنزاف القوى الجسمية والفكرية لهؤلاء الرجال ويقلّل من قدرتهم على مقاومة العدو، ولهذا السبب يأمر الإمام عليه السلام بعدم صرف الطاقات فى الصياح والصراخ، والالتفات بشكل كامل إلى مواجهة العدو فى ميدان العمل والممارسة.

وطبعاً هذا العمل لا- يتنافى مع رفع الأصوات بالتكبير عند تحقّق النصر، وحتى التكبير ينبغى أن يكون محدوداً ومحسوباً ولا ينبغى الإفراط فيه لأنّ ذلك مخالف لهذا التوصية.

ولهذا السبب ورد فى كتب التاريخ عن واقعة بدر أنّ المشركين عندما شاهدوا جيش الإسلام بعددهم القليل فى مقابل جيش الكفر والشرك، تصوّروا أنّ مجموعة من المسلمين تكمن لهم خلف التلال حتى تسنح لهم الفرصة المناسبة ويهجموا على قوى الشرك،

ولـذلک أرسلوا عمر بن وهب للتحقّق فی هذا الأمر والبحث عن الکمین فی نواحی المنطقة، فتوجّه عمر بن وهب لاسـتطلاع الموقف ورأی أنّ مواقع جیش الإسـلام مسـتحکمة ورصـینة فرجع إلی موقعه وقال لقادة جیش الشرک: إنّ المسلمین لیس لدیهم أیّ کمین أو مدد غیر الثلّة الحاضرة فی المیدان، ولکننی أظنّ أنّ إبل یثرب المحمّلة ستحمل الموت لکم، ثم أضاف: «أَمَا تَرَوْنَهُمْ خُرْسٌ لَایَتَکَلَّمُونَ یَتَلَمَّظُونَ تَلَمُّظَ الْأَفَاعِی مَا لَهُمْ مَلْجَأٌ إِلَّا سُیُوفَهُمْ وَمَا أَرَاهُمْ یُوَلُّونَ حَتَّی یُقْتَلُوا وَلَا یُقْتَلُونَ حَتَّی یَقْتُلُوا بِعَدَدِهِمْ فَارْتَئُوا رَأْیَکُم»[۲۱۴].

ثم یبیّن الإمام علیه السـلام فی ختام هذا الکلام نقطة أخری وهی فی الواقع تعتبر جواباً عن سؤال مقدّر أو مذکوراً فی کلمات أصحابه عندما تصوّروا أنّ معاویة وأتباعه هم

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۱۸۳

من المسلمین، فکیف نقاتل المسلمین؟ فیقول الإمام علیه السلام: «فَوَ الَّذِی فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ[۲۱۵]، مَا أَسْلَمُوا وَلَکِنِ اسْتَسْلَمُوا، وَأَسَرُّوا الْکُفْرَ، فَلَمَّا وَجَدُوا أَعْوَاناً عَلَیْهِ أَظْهَرُوهُ».

وعنـدما یختم الإمام علیه السـلام بصـفات اللَّه تعالی ویؤکّد علی انشـقاق الحبّ تحت التراب وخلق الإنسان، ذلک یعود إلی أنّ هـذه المظاهر فی عالم الخلقـة تعتبر من أعجب الأفعال الإلهیّـة، فالحبوب عنـدما توضع تحت التراب وهی مغلفة بقشـرة قویة وصـلبة وتصـل إلیها رطوبـة التراب، فیکفی ذلک لأن تبعث فیها الروح والحرکـة فی داخلها حیث تبدأ النطفة بالنموّ وتظهر بعد ذلک السـیقان الناعمة للنبـات، هـذه السـاق اللطیفـة عنـدما واجهت الضـیق فی داخـل إطار الحبّـة کسـرت هـذا الإطار والقشـرة وأخرجت رأسـها من التراب وانفصـلت عن امّها وأصـلها واتّخذت سبیلها للنموّ والارتفاع إلی أن تصـیر بعد ذلک شـجرة باسقة، وهکذا الحال فی نطفة الإنسان فی رحم الام، حیث یعیش الجنین خلقاً آخر ویتکامل تدریجیاً ویتخذ لنفسه شکلًا جدیداً من خلال سلسلة من التحوّلات المعقّدة والدقیقة والسـریعة فی ذات الوقت ویتبدل الجنین إلی إنسان کامل، وعندما یجد الجنین أنّ رحم الام لا یکفی فی استمرار حیاته ورشده ونموّه فإنّه یعزم علی الخروج من الرحم ویغادر رحم امّه بهیجان ویخطو الخطوة الاولی نحو الولادة والمجیء إلی الدنیا.

إنّ التمعن فی ظاهرة نموّ النباتات وولادة البشـر من شأنها أن تعرّف الإنسان أکثر علی عظمـة اللَّه وقـدرته اللامتناهیة، ومن هنا نری أنّ النبیّ الأکرم صـلی الله علیه و آله والأئمة المعصومین علیهم السـلام یقسمون أحیاناً بهذه الصفات الإلهیّة، ولا ینبغی الغفلة عن أنّ هذه العبارات وردت فی زمن لم یتولد علم النبات وعلم الإجنّة.

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۱۸۴

تأمّلان

۱. شواهد حیّة علی عقائد بنی امیّة الواقعیة

فی آخر کلمة من کلام الإمام علیه السلام مورد البحث یصرّح الإمام علیه السلام بأنّ مخالفه (معاویة وأتباعه)، لم یقبلوا بالإسلام طرفة عین، بل خضعوا له من موقع الإجبار والإکراه، ولذلک عندما وجدوا أنصاراً وأعواناً أظهروا کفرهم الباطنی.

وربّما یکون قبول هذا الکلام صـعباً بالنسبـة لبعض المسلمین من أهل السنّة، ولکن إلقاء نظرة إلی کتب الصحاح وسائر المصادر لأهل السنّة یدلّ علی هذه الحقیقة الحاسمة، ونحن هنا نستعرض بعض الروایات المذکورة فی مصادرهم المعروفة عن عقائد معاویة وأعماله دون أن نضیف إلیها شیئاً، ونترک الحکم علیها بعهدة القراء الأعزاء:

۱. ورد فی صـحیح مسلم أنّ عبدالرحمن بن عبد ربّ الکعبة یقول: «دخلت المسجد (المسجد الحرام) فإذا عبداللَّه بن عمرو بن العاص جالس فی ظلّ الکعبـة والناس مجتمعون علیه، فأتیتهم فجلست إلیه، فقال: کنّا مع رسول اللَّه صـلی الله علیه و آله فی سـفر، فنزلنا منزلًا، فمنّا من یصلـح خباءه ... فقلت له: هـذا ابن عمک معاویـة یأمرنا أن نأکل أموالنا بیننا بالباطل، ونقتل أنفسنا واللَّه یقول: «یا أَیُّهَا الَّذِینَ

آمَنُوا لا تَأْكُلوا أَمْوالَكَمْ بَيْنَكَمْ بِالْباطِلِ ...» وقال: «وَلا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكَم ...»[۲۱۶] قال فسكت ساعة ثم قال: إطعه فى طاعة اللَّه، واعصه فى معصية اللَّه ۲۱۷].

۲. ورد فى تاريخ الطبرى أنّ النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله رآه (أباسفيان) مقبلًا على حمار ومعاوية يقود به ويزيد (أخو معاوية) يسوقه به، قال صلى الله عليه و آله: «لَعَنَ اللَّهُ الْقائِدَ وَالرَّاكِبَ وَالسائِقَ»[۲۱۸]. (وفى رواية أخرى أنّ الذى كان قابضاً على زمام الدابة هو عتبة أخو

معاوية ومعاوية كان يسير خلفهم).

۳. وكذلك ورد فى تاريخ الطبرى أنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله أشار يوماً إلى مكان وقال:

يطلعُ من هذا الفج، رجل من امّتى يحشر على غير ملّتى، فطلع معاوية[۲۱۹].

۴. نقل ابن أبي‌الحديد فى شرح نهج‌البلاغة عن كتاب أخبار الملوك: إنّ معاوية سمع مؤذّناً يقول: «أَشْهَدُ انْ لا الهَ إلّااللَّهُ فقالها ثلاثاً، فقال المؤذّن: «أشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ قال معاوية: للَّه‌أبوك ياابن عبداللَّه! ولقد كنت عالى الهمّة، ما رضيت لنفسك إلّاأن يقرن اسمك باسم ربّ العالمين ۲۲۰].

۵. ويروى أحمد بن حنبل فى مسنده عن عبداللَّه بن بريدة أنّه قال: «دخلت أنا وأبى على معاوية فأجلسنا على الفرش ثمّ أُتينا بالطعام فأكلنا ثم أُتينا بالشراب، فشرب معاوية ثمّ ناول أبى (ثمّ قال:) ما شربته منذ حرّمه رسول اللَّه صلى الله عليه و آله»[۲۲۱].

۶. يقول ابن أبي‌الحديد فى شرح نهج‌البلاغة: «قَدْ طَعَنَ كَثيرٌ مِنْ أصْحابِنا فى دينِ مُعاوِيَةَ وَلَمْ يَقْتَصِرُوا عَلى تَفْسيقِهِ وَقالُوا عَنْهُ: إنّه كانَ مُلْحِداً لا يَعْتَقِدُ النُّبُوَّةَ وَنَقَلُوا عَنْهُ فى فَلَتاتِ كَلامِهِ وَسَقَطاتِ أَلْفاظِهِ ما يَدُلُّ عَلى ذلِكَ»[۲۲۲].

۷. ولم تقتصر إشكالية إيمان معاوية وأعماله على هذا الحدّ، فطبقاً لما ذكره ابن عبد ربه فى العقد الفريد أنّ الحسن البصرى قال: «علم معاوية واللَّه إن لم يبايعه عمرو لن يتمّ له أمر، فقال له: ياعمرو، اتبعنى، قال: لماذا؟ للآخرة؟ فواللَّه ما معك آخرة، أم للدنيا فواللَّه لا كان حتى أكون شريكك فيها، قال: فأنت شريكى فيها. قال:

فاكتب لى مصر وكورها، فكتب له مصر وكورها، وكتب فى آخر الكتاب: وعلى عمرو السمع والطاعة. قال عمرو: إنّ السمع والطاعة لا ينقصان من شرطه شيئاً، قال معاوية: لا ينظر الناس إلى هذا، قال عمرو: حتى يكتب، قال فكتب، واللَّه ما يجد بدّاً

من كتابتها.

ودخل عتبة بن أبى سفيان على معاوية وهو يكلّم عمراً فى مصر، وعمرو يقول له: إنّما ابايعك بها لدينى، فقال عتبة: ائتمن الرجل بدينه فإنّه صاحب من أصحاب رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم»[۲۲۳].

۸. وينقل ابن الأثير أيضاً فى كامل التواريخ عن الحسن البصرى أنّه قال:

أربع خصال كنّ فى معاوية، لو لم تكن فيه إلّا واحدة لكانت موبقة: انتزاؤه على هذه الامّة بالسيف حتى أخذ الإمرة من غير مشورة وفيهم بقايا الصحابة وذوو الفضيلة، واستخلافه بعده إبنه سكّيراً خميراً يلبس الحرير ويضرب بالطنابير، وادعاؤه زياداً، وقد قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: «الولد للفراش وللعاهر الحجر»! وقتله حجراً.[۲۲۴] ۹. وطبقاً لما أورده البيهقى فى كتاب المحاسن والمساوى أنّ رجلًا من أهل الشام سأل ابن عباس وقال: من الناكثون، قال: الذين بايعوا علياً بالمدينة ثم نكثوا، فقاتلهم بالبصرة وهم أصحاب الجمل، والقاسطون معاوية وأصحابه والمارقون أهل النهروان ومن معهم، فقال الشامى: ياابن عباس ملأت صدرى نوراً وحكمة وفرّجت عنّى فرّج اللَّه عنك، أشهد أنّ علياً رضى اللَّه عنه مولاى ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة[۲۲۵].

۱۰. ونختم هذا المقطع من البحث بكلام عجيب أورده المسعودى فى مروج الذهب ونقله الزبير بن بكار فى الموفقيّات وابن

أبي‌الحدید فی شرح نهج‌البلاغۀ (والملاحظ من بین هؤلاء الثلاثۀ نری أنّ الزبیر بن بکار لا یوافق الشیعۀ فی عقائدهم فحسب بل من المخالفین لهم) أنّ مطرف بن المغیرۀ بن شعبۀ یقول: دخلت مع أبی علی معاویۀ وکان أبی یأتیه، فیتحدّث معه ثم ینصرف إلیَّ ویذکر معاویۀ

نفحات الولایۀ، ج۹، ص: ۱۸۷

وعقله ویعجب ممّا یراه منه، إذ جاء ذات لیلۀ وأمسک عن العشاء ورأیته مغتّماً فانتظرته ساعۀ وظننت أنّه لأمر حدث فینا، فقلت: ما لی أراک مغتماً منذ اللیلۀ؟

فقال: یا بنی جئت من عند أکفر الناس وأخبثهم، قلت: ماذا؟ قال: قلت له وقد خلوت به: إنّک قد بلغت سناً یاأمیرالمؤمنین، فلو أظهرت عدلًا وطففت خیراً، إنّک قد کبرت ولو نظرت إلی إخوتک من بنی هاشم، فوصلت أرحامهم فواللّه ما عندهم الیوم شیء تخافه، وإن ذلک ممّا یبقی لک ذکره وثوابه، فقال: هیهات هیهات، أیّ ذکر أرجو بقاءه، ملک أخو تیم فعدل، وفعل ما فعل، فما عدا أن هلک حتی هلک ذکره، إلّا أن یقول قائل: قال أبوبکر، ثم ملک أخو عدی فاجتهد وشمّر عشر سنین، فما عدا أن هلک حتی هلک ذکره، إلّاأن یقول قائل: عمر، وإنّ ابن أبی کبشۀ لیصاح به کلّ یوم خمس مرات: (أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمّداً رَسُولُ اللَّهِ) فأیّ عمل یبقی؟ وأیّ ذکر یدوم بعد هذا لا أباً لک «لَا وَاللَّهِ إِلَّا دَفْناً دَفْنا»[۲۲۶]، (أی لابدّ من العمل لدفن هذا الاسم أو لدفن بنی هاشم إلی الأبد).

ومرّۀ أخری نعید القول أنّ جمیع هذه الموارد المذکورۀ أعلاه لیست من مصادرنا، بل هی عین عبارات علماء أهل السنۀ فی شأن معاویۀ ولم نضف أیّ شیء علیها.

۲. فضائل الامام علیّ علیه السلام علی لسان أعدائه

بالرغم من أنّ عمرو بن العاص کان مؤیّداً لمعاویۀ بشکل کامل ولولا حیلته الشیطانیۀ لم ینتصر معاویۀ فی حربه مع الإمام علیه السلام قطعاً، ولکنّه مع ذلک کان أصرح منه فی الکلام، وفی بعض المواقع یذکر بشکل صریح أفضلیۀ الإمام علیّ علیه السلام علی معاویۀ ویتحدّث عن شجاعۀ جیش الإمام علیه السلام فی أکثر من مورد.

نفحات الولایۀ، ج۹، ص: ۱۸۸

ینقل نصر بن مزاحم فی کتابه صفین أشعاراً عجیبۀ لعمر بن العاص یحقّر فیها معاویۀ بشدّۀ ویتحدّث فیها عن جیش الإمام علیّ علیه السلام یقول:

فَإِنْ وَرَدَتْ فَأَوَّلُهَا وُرُوداًفَإِنْ سَدَّتْ فَلَیْسَ بِذِی صُدُود

أی أنّ فرسان جیش معاویۀ عندما یردون میدان المعرکۀ فسوف نجدهم فی المقدّمۀ، فإذا تصدّوا لجیش العدو فلا أحد یستطیع مواجتهم والوقوف أمامهم.

ثم یضیف:

وَمَا هِیَ مِنْ أَبِی حَسَنٍ بِنُکْرٍوَلا هُوَ مِنْ مَسَائِکَ بِالْبَعِیدِ

أی أنّ فضائل علیّ لیست بالشیء المجهول وغیر المعروف ونقاط ضعفک لیست بالبعیدۀ عن الأنظار.

ثم یشیر عمرو بن العاص إلی طلب معاویۀ من أمیرالمؤمنین علیّ بن أبی طالب علیه السلام فیما یتّصل بحکومۀ الشام ویقول:

وَقُلْتَ لَهُ مُقَالَةَ مُسْتَکِینٍضَعِیفِ الرُّکْنِ مُنْقَطِعِ الْوَرِیدِ

دَعَنَّ الشَّامَ حَسْبُکَ یَا ابْنَ هِنْدٍمِنَ السَّوْءاتِ وَالرَّأْیِ الزَّهِیدِ

وَلَوْ أَعْطَاکَهَا مَا ازْدَدْتَ عِزّاًوَلا لَکَ لَو أَجابَکَ مِنْ مَزِیدٍ

فلمّا بلغ معاوية قول عمرو دعاه فقال: ياعمرو، إننى قد أعلم ما أردت بهذا، قال:
مـا أردت؟ قال: أردت تقبيـح رأيى، وإعظام علىّ، وقـد فضـحك، قال: أما تقبيحى رأيك فقـد كان، وأمّا إعظامى عليّاً فإنّك بإعظامه أشدّ معرفة منّى، ولكنك تطويه وأنا أنشره، أمّا فضيحتى فامرؤ لقى أبا الحسن ۲۲۷].
نفحات الولاية، ج۹، ص: ۱۸۹

الرسالة ۱۷

اشارة

إلى مُعاوِيَةَ جَواباً عَنْ كِتابٍ مِنْهُ إلَيْهِ ۲۲۸]

نظرة إلى الرسالة

روى نصـر بن مزاحم فى كتاب صـفين، إنّ الإمام علىّ عليه السـلام قال يوماً: سأتوجّه غداً إلى الميدان واقاتل هؤلاء القوم، فانتشـر هذا الكلام فى صفوف جيش معاوية واستولى عليهم الخوف والذعر.
فكتب معاوية إلى علىّ عليه السلام مع رجل من السكاسك، يقال له: عبداللّه بن عقبة وكان من ناقلة أهل العراق:
«أمـا بعـد فإنّى ما أظنّك أن لو علمت أنّ الحرب تبلغ بنا وبك ما بلغت وعلمنا لم‌يحبّها بعضـنا على بعض، وإن كنّا قـد غلبنا على قولنا فقد بقى لنا منها ما نندم على
نفحات الولاية، ج۹، ص: ۱۹۰
ما مضـى ونصـلح به ما بقى، وقـد كنت سألتك الشام على ألا يلزمنى لك طاعة ولا بيعة فأبيت ذلك علىَّ، فأعطانى اللّه ما منعت، وأنا أدعوك اليوم إلى مـا دعوتـك إليه أمس، فإنّى لا أرجو البقاء إلّاما ترجو، ولا أخاف من الموت إلّاما تخاف وقـد واللّه فارقت الأجناد وذهبت الرجال، ونحن بنوعبدمناف فضل الأفضل لا يستذل به عزيز، ولا يسترق به الحرّ، والسلام».
فلما انتهى كتاب معاويـة إلى علىّ عليه السـلام قرأه ثم قال: العجب من معاويـة ولكتابه، ثم دعا عبيد بن أبى رافع كاتبه وقال له: اكتب إلى معاوية ...[۲۲۹].
وطبعاً فإنّ السيد الرضى كما هو دأبه وعادته لم يذكر مطلع هذه الرسالة، ولكنّه أورد القسم المهم منها[۲۳۰].
نفحات الولاية، ج۹، ص: ۱۹۱

القسم الأول

اشارة

وَأَمَّا طَلَبُكَ إِلَيَّ الشَّامَ فَإِنِّی لَمْ أَكُنْ لِأُعْطِيَكَ الْيَوْمَ مَا مَنَعْتُكَ أَمْسِ. وَأَمَّا قَوْلُكَ: إِنَّ الْحَرْبَ قَدْ أَكَلَتِ الْعَرَبَ إِلَّا حُشَاشَاتِ أَنْفُسٍ بَقِيَتْ، أَلَا وَمَنْ أَكَلَهُ الْحَقُّ فَإِلَى الْجَنَّةِ، وَمَنْ أَكَلَهُ الْبَاطِلُ فَإِلَى النَّارِ. وَأَمَّا اسْتِوَاؤُنَا فِی الْحَرْبِ وَالرِّجَالِ فَلَسْتَ بِأَمْضَى عَلَى الشَّكِّ مِنِّی عَلَى الْيَقِينِ، وَلَيْسَ أَهْلُ الشَّامِ بِأَحْرَصَ عَلَى الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ عَلَى الْآخِرَةِ، وَأَمَّا قَوْلُكَ: إِنَّا بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ، فَكَذَلِكَ نَحْنُ، وَلَكِنْ لَيْسَ أُمَيَّةُ كَهَاشِمٍ، وَلَا حَرْبٌ كَعَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَلَا أَبُو سُفْيَانَ كَأَبِی طَالِبٍ، وَلَا الْمُهَاجِرُ كَالطَّلِيقِ، وَلَا الصَّرِيحُ كَاللَّصِيقِ، وَلَا الْمُحِقُّ كَالْمُبْطِلِ، وَلَا الْمُؤْمِنُ كَالْمُدْغِلِ. وَلَبِئْسَ الْخَلْفُ خَلْفٌ يَتْبَعُ سَلَفاً هَوَى فِی نَارِ جَهَنَّمَ.

الشرح والتفسير: المدين في هيئة الدائن

سبق أن ذكرنا أنّ هـذه الرسالـة تعـدّ جواباً لرسالة كتبها معاوية للإمام عليه السـلام وتحدّث فيها عن بعض مطالبه، وحسب القاعدة فإنّ معاوية بقراءة مثل هذه الرسائل على المنابر أو على الجند إنّما يبغى تبرئة نفسه من الإثم الذى ارتكبه بحقّ المسلمين، وكذلك حسب القاعـدة أنّ هـذه الرسالـة إن وصلـت لأصحاب الإمام عليه السـلام أيضاً ربّما يتأثر بها بعض السذّج من الناس، ومن هنا لم يجد الإمام عليه السلام بدّاً من كتابة رسالة جوابية للردّ على ما جاء فيها بشكل حاسم.

ولذلك نرى أنّ الإمام عليه السلام أشار فى هذه الرسالة إلى أربعة أمور محورية فى

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۱۹۲

مقابل أربعة ادّعاءات لمعاوية.

فى البدايـة يقول الإمـام عليه السـلام: «وَأَمَّا طَلَبُکَ إِلَيَّ الشَّامَ فَإِنِّی لَمْ أَکُنْ لِأُعْطِيَکَ الْيَوْمَ مَا مَنَعْتُکَ أَمْسِ»، وكما هو معلوم أنّ معاوية طلب الشام دون أن يبايع أو يلتزم بطاعة أوامر الإمام عليه السلام.

ومنع الإمام عليه السـلام بـدوره يقوم على أساس الحكم الإلهى الـذى يقرر منع الظالمين والمفسـدين من تولّى أمور البلاد الإسـلاميّة، وأنّه لا ينبغى أن تكون أىّ منطقة أو إمارة فى الحكومة الإسلاميّة بيد المنحرفين وقوى الفسق والجور، وهذا الحكم الشرعىّ لازال باقٍ على قوّته، فليست هذه المسألة من المسائل السياسية التى تتغيّر وفقاً لتغيّر الظروف وتبدّل المصالح.

وهـذا الكلام فى الواقع يعـدّ جواباً للأشـخاص الذين يقولون: ألم يكن الأفضل أن يدع الإمام الشام بيد معاوية بشـكل مؤقت ثم يعزله عن هذا المقام بعد استقرار حكومته واستتباب الأمن فيها؟

إنّ هؤلاء لم يلتفتوا إلى هـذه الحقيقـة، وهى أنّ الإمـام عليه السـلام إذا أذعن لطلب معاويـة وأوكل حكومـة الشام إليه، (وطبقاً لبعض الروايات أنّ معاويـة طلب حكومة مصـر أيضاً) وفسح المجال لمعاوية لتقوية أركان سـلطته وسيطرته على منطقة الشام فإنّ إزاحته بعد ذلـك سـتكون مسـتحيلة، والحـال نرى أنّ الإمـام عليه السـلام فى حرب صـفّين كـان قـد اقترب من النصـر الحاسم على جيش معاوية وشارف على دفع هذه الفتنة والشرّ من البلاد الإسلاميّة لولا سلوك بعض الجهلاء والانتهازيين ممّن كانوا فى جيش الإمام عليه السلام ظاهراً.

ثم يتحـدّث الإمـام عليه السـلام فى المقطع الثـانى من هـذه الرسالـة جوابـاً عن كلام معاويـة الآخر ويقول: «وَأَمَّا قَوْلُکَ: إِنَّ الْحَرْبَ قَدْ أَکَلَتِ الْعَرَبَ ۲۳۱] إِلَّا حُشَاشَاتِ ۲۳۲] أَنْفُسٍ بَقِيَتْ،

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۱۹۳

أَلَا وَمَنْ أَکَلَهُ الْحَقُّ فَإِلَی الْجَنَّةِ، وَمَنْ أَکَلَهُ الْبَاطِلُ فَإِلَی النَّارِ».

ثم يشـير الإمـام عليه السـلام إلى الجواب الثالث لمعاويـة الـذى قال فى رسالته: أنا وأنت فى هـذه الحرب سـيّان (وأننا كلينا نتبع هـدفاً واحداً ونطلب أمراً واحداً، يقول الإمام فى مقام الجواب: «وَأَمَّا اسْتِوَاؤُنَا فِی الْحَرْبِ وَالرِّجَالِ فَلَسْتَ بِأَمْضَی ۲۳۳] عَلَی الشَّکِّ مِنِّی عَلَی الْيَقِينِ، وَلَيْسَ أَهْلُ الشَّامِ بِأَحْرَصَ عَلَی الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ عَلَی الْآخِرَةِ».

وهذا الكلام إشارة إلى وجود أمرين مختلفين بين أصحابى وأصحابك، فأصحابى يسيرون مع إمام عادل وعالم بتكليفه الشرعىّ وأنّهم يسيرون على بصيرة من حركتهم ودينهم، فى حين أنّك لا تملك هدفاً واضحاً سوى التوصّل إلى المال والمقام.

والآخر أنّ أصحابك حريصون على الدنيا وأنّك استطعت جرّهم إلى الميدان بالوعود المادية والمغريات الدنيوية عسى أن يصيبوا من الغنائم فى هذه المعركة، فى حين أنّ قادة جيشى لم يتحرّكوا طمعاً بالجائزة ولم يفكّروا فى هذا الأمر أيضاً.

وبتعبير آخر، أنّك لاـ تملك اليقين على استحقاقك للخلافة والرئاسـة على الناس، فى حين أننى على يقين من ذلك، وأنّ أتباعك

يقاتلون طلباً للدنيا، فى حين أنّ أتباعى لا يهدفون من قتالك سوى نيل رضا اللّه تعالى وإقامة الحكومة الإلهيّة العادلة على الأرض، ولهذين السببين نحن أكثر عزماً وأمضى سعياً منكم فى هذا المسير المعنوى، فى حين أنّك وأتباعك لا ـ تملكون هذه الروحية والمعنوية، ونتيجة ذلك أننا لسنا سواء فى هذا الأمر وأنّ النصر النهائى سيكون من نصيبنا قطعاً، وهكذا تحقّقت نبوءة الإمام عليه السلام ووصل جيش الإمام إلى مشارف النصر النهائى، ولكن للأسف فإنّ جماعة من الجهلة ومن بينهم ثلّة من المنافقين أجهضوا هذا النصر ولم يتحقّق ما كان الإمام يصبو إليه.

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۱۹۴

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام يتعرّض للجواب عن الإدعاء الرابع لمعاوية ويقول: «وَأَمَّا قَوْلُكَ: إِنَّا بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ، فَكَذَلِكَ نَحْنُ»، فهنا يتعرّف الإمام بهذه الحقيقة، وهى أننا جميعاً أبناء عبدمناف وهذا صحيح لا ريب فيه.

ثم إنّ الإمام عليه السلام يتعرّض للفوارق بينه وبين معاوية ويذكر منها خمسة أمور.

ففى البداية يشير إلى الشرف فى النسب، ويقول: «وَلَكِنْ لَيْسَ أُمَيَّةُ كَهَاشِمٍ، وَلَا حَرْبٌ كَعَبْدِالْمُطَّلِبِ، وَلَا أَبُوسُفْيَانَ كَأَبِيطَالِبٍ».

وهذا إشارة إلى أنّ جدّك الأعلى هو امية وجدّك الأدنى هو حرب، وأباك أبو سفيان، وكلّهم معروفون بين العرب بالشرّ والدناءة والخسّة، فى حين أنّ جدّى الأعلى هاشم وجدّى الأدنى عبدالمطلب وأبى أبو طالب، وكلّهم من سادات العرب ومن كرمائهم وأشرافهم، فكيف يمكن مقايسة هؤلاء بأولئك، والحال أنّهم ليسوا سواء.

ثم يشير الإمام عليه السلام إلى التفاوت الثانى والثالث، ويقول: «وَلَا الْمُهَاجِرُ كَالطَّلِيقِ [۲۳۴]، وَلَا الصَّرِيحُ [۲۳۵] كَاللَّصِيقِ [۲۳۶]».

وهو إشارة إلى أننى كنت من أوائل المهاجرين من مكة إلى المدينة مع رسول اللّه صلى الله عليه و آله ولكنّك وأبا سفيان كنتما تعيشان فى ظلمات الشرك والكفر فى مكّة إلى أن فتحها جيش الإسلام وحكم النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله بإطلاق سراحك وسائر الأسرى من قومك عندما قال: «إِذْهَبُوا فأنْتُمُ الطُّلَقاءُ».

ومن جهة أخرى، فإنّ نسبنا معروف وصريح، ولكن نسبك غامض وفيه الكثير من الكلام، فبعض لا يرى أنّك ابن أبى سفيان بل الابن غير المشروع لمسافر بن أبى عمرو وهو من عبيد أبى سفيان، وطبعاً هذا الكلام لا يتنافى مع ما ذكره الإمام عليه السلام من أبى معاوية يعنى أبا سفيان لأنّ تلك الجملة قالها الإمام عليه السلام وهو يتماشى مع

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۱۹۵

الامور بحسب الظاهر، وهذه الجملة إشارة إلى أنّه لو تمّ البحث والتدقيق فى نسبك، فهناك كلام كثير فى ذلك.

ومع هذا فإنّ ابن أبىالحديد لا يرى هذا التفسير منسجماً مع الجملة الأخيرة وذهب لتفسير آخر لهذا العبارة وقال: المراد من الصريح هو الشخص الذى اعتقد بالإسلام اعتقاداً راسخاً، واللصيق هو الشخص الذى اعتنق الإسلام خوفاً من السيف أو بدافع حبّ الدنيا[۲۳۷].

وهذا التفسير وإن كان خلاف ظاهر العبارة، ولكن على فرض أن يكون صحيحاً فذلك يعنى أيضاً وجود تفاوت جلىّ بين الإمام عليه السلام ومعاوية فى هذا المجال.

ثمّ يتعرّض الإمام عليه السلام لذكر الفرق والاختلاف فى الصفات والأفعال الدينية والإنسانية بين الطرفين ويقول: «وَلَا الْمُحِقُّ كَالْمُبْطِلِ، وَلَا الْمُؤْمِنُ كَالْمُدْغِلِ [۲۳۸]».

وهذا إشارة إلى أنّ الاختلاف بيننا لا ينحصر بانتسابنا إلى بنى هاشم وانتسابك إلى بنى امية، فإنّ صفاتنا وأفعالنا أيضاً لا تقبل القياس والمقارنة، فنحن نسير دوماً فى خطّ الحقّ والخير والإيمان، بينما بنو امية يسيرون فى خطّ الباطل والشرّ، ونحن آمنّا بالإسلام والنبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله من موقع الإخلاص، ولكنكم أظهرتم الإيمان والإسلام من موقع النفاق (والحوادث التاريخية تثبت ذلك).

ويقول الإمام عليه السلام فى نهاية هذه الفقرة: «وَلَبِئْسَ الْخَلْفُ خَلْفٌ يَتْبَعُ سَلَفاً هَوَى [۲۳۹] فِى نَارِ جَهَنَّمَ».

والجدير بالذكر أنّ الإمام عليه السلام لا يذمّ معاوية على انحراف أسلافه وجدّه وأبيه فقط، بل يؤكّد فى كلامه على أنّ هذا الابن

یسیر فی طریق آبائه الضالّین الذین ینتهی مصیرهم إلی النار.

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۱۹۷

القسم الثانی

اشارة

وَفِی أَیْدِینَا بَعْدُ فَضْلُ النُّبُوَّةِ الَّتِی أَذْلَلْنَا بِهَا الْعَزِیزَ، وَنَعَشْنَا بِهَا الذَّلِیلَ.
وَلَمَّا أَدْخَلَ اللَّهُ الْعَرَبَ فِی دِینِهِ أَفْوَاجاً، وَأَسْلَمَتْ لَهُ هَذِهِ الْأُمَّةُ طَوْعاً وَکَرْهاً، کُنْتُمْ مِمَّنْ دَخَلَ فِی الدِّینِ: إِمَّا رَغْبَةً وَإِمَّا رَهْبَةً، عَلَی حِینَ فَازَ أَهْلُ السَّبْقِ بِسَبْقِهِمْ، وَذَهَبَ الْمُهَاجِرُونَ الْأَوَّلُونَ بِفَضْلِهِمْ. فَلَا تَجْعَلَنَّ لِلشَّیْطَانِ فِیکَ نَصِیباً، وَلَا عَلَی نَفْسِکَ سَبِیلًا، وَالسَّلَامُ.

الشرح والتفسیر: النبوّة افتخار کبیر.

ویشیر الإمام علیه السلام فی هذا القسم من کتابه إلی ما ذکره معاویة فی رسالته حیث قال: «لِبَعْضِنا فَضْلٌ عَلی بَعْضٍ»، وأنّه لا فضل لأحدنا علی الآخر، وعلی فرض وجود فضیلة فهی جزئیة لا تعزّ الذلیل ولا تذلّ العزیز، فیجیبه الإمام علیه السلام جواباً حاسماً ویقول: «وَفِی أَیْدِینَا بَعْدُ فَضْلُ النُّبُوَّةِ الَّتِی أَذْلَلْنَا بِهَا الْعَزِیزَ، وَنَعَشْنَا[۲۴۰] بِهَا الذَّلِیلَ».
وهذا إشارة إلی أنّ الإسلام عندما انتشر فی الجزیرة العربیة کان أمثال أبی‌سفیان وأبی جهل الذین حکموا الناس سنین متمادیة من موقع الظلم والجور، أضحوا أذلّاء، بینما أعزّ الإسلام أمثال سلمان والمقداد وعمّار ویاسر وبلال الذین

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۱۹۸

کانوا غالباً یعیشون أجواء الأسر والذلة والعبودیة، فرفعهم الإسلام إلی أوج العزّة، وبذلک کیف تقول أنّ نبوّة نبیّ الإسلام صلی الله علیه و آله لم تؤثّر أثراً فی هذا المجال.
ثمّ إنّ الإمام علیه السلام أخذ بید معاویة وأرجعه إلی عصر النبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله وکیف کان اعتناقهم للإسلام هو وأهل بیته، وقال: «وَلَمَّا أَدْخَلَ اللَّهُ الْعَرَبَ فِی دِینِهِ أَفْوَاجاً، وَأَسْلَمَتْ لَهُ هَذِهِ الْأُمَّةُ طَوْعاً وَکَرْهاً، کُنْتُمْ مِمَّنْ دَخَلَ فِی الدِّینِ: إِمَّا رَغْبَةً وَإِمَّا رَهْبَةً».
وهو إشارة إلی فتح مکة کما یتحدّث القرآن الکریم عن ذلک ویقول: «إِذا جاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ* وَرَأَیْتَ النَّاسَ یَدْخُلُونَ فِی دینِ اللَّهِ أَفْواجاً* فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّکَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ کانَ تَوَّابا»[۲۴۱]، فی ذلک الیوم دخل الکثیر من الناس الإسلام بدافع الإخلاص والإیمان وطهّروا قلوبهم من لوث عبادة الأصنام، ولکنّ المشرکین المتعصّبین والانتهازیین الذین کانوا یحاربون الإسلام والدعوة الإلهیّة سنین متمادیة اضطرّوا إعتناق الدین الجدید ظاهراً وأذعنوا مکرهین لهذه الحقیقة، فأبوسفیان وهو العدوّ الأول للإسلام وأبو معاویة کان من الأشخاص الذین اعتنقوا الإسلام ظاهراً، وکذلک أظهر أهل بیته وأقربائه الإسلام من موقع الإکراه ولم تؤمن قلوبهم.
ومنذ ذلک الیوم تغیّرت الخارطة وأخذ أعداء الإسلام یفکرون فی إیجاد ثغرة فی صفوف المسلمین، والنفوذ من خلالها إلی مواقع القرار والحکم، ولیجلسوا فی مجلس النبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله، وعبارة «رغبة» المذکورة أعلاه إشارة إلی هذا المعنی، وهذه الرغبة لا تتنافی مع وجود «الرهبة» یعنی أنّ قبولهم للإسلام اقترن فیه الخوف مع الأمل والرغبة فی الوصول إلی المقام وسدّة الحکم فی المستقبل.
فهل یمکن مقارنة مثل هذا الإسلام بإسلام أمیرالمؤمنین الإمام علیّ علیه السلام الذی أسلم منذ بدایة بعثة النبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله وتصدّی للدفاع عن الرسالة والرسول فی تلک الظروف الصعبة وصاحب النبیّ صلی الله علیه و آله فی أیّام الوحدة والغربة؟

نفحات الولايهٔ، ج۹، ص: ۱۹۹

وعلى هذا الأساس يقول الإمام عليّ عليه السلام بعد ذلك: «عَلَى حِينَ فَازَ أَهْلُ السَّبْقِ بِسَبْقِهِمْ، وَذَهَبَ الْمُهَاجِرُونَ الْأَوَّلُونَ بِفَضْلِهِمْ».

وهـذا الكلام يشير إلى تقسيم المسلمين إلى عـدّة طوائف كما ورد ذلـك في القرآن الكريم: «وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهاجِرِينَ وَالْأَنْصارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْه»[۲۴۲]، فهنـاك طائفـهٔ من السابقين في اعتناق الإسـلام، والإمام عليه السـلام من بين هؤلاء يعتبر من أسبق السابقين، وطائفهٔ أخرى اعتنقوا الإسـلام وهاجروا من مكهٔ إلى المدينهٔ، والطائفهٔ الثالثهٔ من أهالي المدينهٔ الذين نصروا الدين والنبيّ واعتنقوا الإسلام وساروا في خطّ الرسالهٔ، والطائفهٔ الرابعهٔ هم الجيل اللاحق الذين التحقوا بالمسلمين الأوائل عن رغبـهٔ وطواعيـهٔ، وهنا أين نجد مكان معاويهٔ في هذا الطوائف الأربع؟ نقول في مقام الجواب: لا مكان له إطلاقاً، والعجيب أنّ معاويـهٔ مع هـذا الحال يقيس نفسه مع الإمـام عليه السـلام وبني هـاشم ويرى نفسه في الإسـلام في عرض الإمام عليّ عليه السـلام! ولكن تاريخ الإسلام مليء بأمثال هذه العجائب والغرائب.

وفي الختام يحذّر الإمام عليه السلام معاويهٔ ويقول: «فَلَا تَجْعَلَنَّ لِلشَّيْطَانِ فِيكَ نَصِيباً، وَلَا عَلَى نَفْسِكَ سَبِيلًا، وَالسَّلَامُ».

وهـذا إشارهٔ إلى أنّك بهـذا الكلام تخـدع نفسك، وأنّك بهذا القياس وبهذه المقارنهٔ غير السـليمهٔ تفتح الباب للشـيطان ليتسـلّط على نفسـك، وبالتـالي تعيش الغفلـهٔ عـن حقيقـهٔ موقعـك، وتريـدأنتنصّب نفسـك بمكـانرسولاللّه صـلى الله عليـه و آلـه وبـذلك تخسردنياكوآخرتك.

تأمّل: أتباع رسول اللّه صلى الله عليه و آله

يستفاد منالآيهٔالشريفهٔ ۱۰۰ من سورهٔ براءهٔ أنّأتباع رسولاللّه صلى الله عليه و آله على عدّهٔ طوائف:

الطائفهٔ الأولى: السابقون، وهم الذين سبقوا للإيمان واعتناق الإسلام والذين

نفحات الولايهٔ، ج۹، ص: ۲۰۰

آمنوا بالنبيّ الأكرم صـلى الله عليه و آله أيّام وحـدته وغربته في بدايهٔ الدعوهٔ، وبايعوه على ذلك، ومن بين الأوائل من هؤلاء السابقين من النسوهٔ خديجهٔ الكبرى عليها السـلام، ومن بين الرجال عليّ بن أبي طالب عليه السـلام، ثمّ التحق بهم جماعهٔ آخرون، وهذا العنوان يعـدّ افتخـاراً كبيراً للإنسـان لأـنّه قـدّم نفسه على طبق الإخلاص للإسـلام والنبيّ صـلى الله عليه و آله في الظروف الصـعبهٔ التي عاشـها المسلمون الأوائل.

الطائفـهٔ الثانيهٔ: المهاجرون، وطبعاً في السابقين مَن هم من المهاجرين أيضاً، وهؤلاء هم المسـلمون الذين آمنوا بالنبيّ الأكرم صـلى الله عليه و آله في مكـهٔ وعنـدما ضـاق عليهم الخناق ومارس المشـركون في حقّهم أنواع التعـذيب والتضـييق حتّى بات الخطر يهـدّد النبيّ صلى الله عليه و آله، هـاجروا مع النبيّ إلى المدينـهٔ، وهـذا يعني أنّهم تركوا جميع مـا لـديهم من أموال ودور ولوازم المعيشـهٔ والحيـاهٔ وهـاجروا مع أهلهم إلى المدينـهٔ التي ليس لهم فيهـا بيت ولاـ وسائـل المعيشـهٔ وبقوا هناك لسـنين عديـدهٔ وهم يواجهون المشـكلات والتحدّيات إلى أن فتح اللّه عليهم وسارت الأمور على ما يرام.

وطبعـاً هنـاك جماعـهٔ أخرى منالمســلمين هـاجروا إلى الحبشـهٔ قبـل هجرهٔ المسـلمين مـن مكـهٔ إلى المدينـهٔ هربـاً مـن بطش قريش والمشـركين، وبعـد اسـتقرار الإسـلام في المدينـهٔ عادوا من الحبشهٔ والتحقوا بالنبيّ الأكرم صـلى الله عليه و آله والمسـلمين في المدينهٔ المنورهٔ.

الطائفـهٔ الثالثهٔ: الأنصار، وهم أهل المدينهٔ الذين أسـلموا واسـتقبلوا المهاجرين برحابهٔ صدر وأسـكنوهم في بيوتهم رغم الحياهٔ الصـعبهٔ التي كانوا يعيشونها غالباً في المدينهٔ وتواصلوا مع المهاجرين من موقع المواساهٔ واقتسموا معهم كلّ ما لديهم من شؤون الحياهٔ.

وطبعـاً يوجـد في الأنصـار سـابقون وغير سـابقين، والقرآن الكريم يشـير إلى هـذه الحقيقـهٔ ويقول: «وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهاجِرِينَ

وَالْأَنْصارِ[٢٤٣]»، يعنى أنّ الأنصار الذين آمنوا بالنبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله فى البداية أو آمنوا به قبل ذلك فى مكة وفى منطقة

نفحات الولاية، ج٩، ص: ٢٠١

تسمى «العقبة» على مقربة من مكة، وبايعوه صلى الله عليه و آله قبل الهجرة، وهؤلاء الطوائف من المهاجرين والأنصار والسابقين يطلق عليهم عنوان: الصحابة.

الطائفة الرابعة: الأشخاص الذين لم يروا النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله وفى الحقيقة يمثّلون الجيل اللاحق من المهاجرين والأنصار، وهذا الجيل يطلق عليه فى المصطلح «التابعين» وهم الذين اتّبعوا الأنصار والمهاجرين فى الإيمان والإسلام، وذكرهم القرآن الكريم بقوله: «وَالَّذينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسانٍ»[٢٤٤] وبقوله: «وَآخَرينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ»[٢٤٥] و بقوله أيضاً: «وَالَّذينَ جاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ»[٢٤٦]، وأفراد هذه الطائفة- كما ذكرنا آنفاً- لم يدركوا النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله ولم يروه، ولكنهم أدركوا الصحابة.

الطائفة الخامسة: تابعو التابعين؛ وهم الأشخاص الذين لم يدركوا الصحابة ولم يشاهدوا أحداً منهم، ولكنّهم فى الحقيقة تلامذة التابعين.

وهناك كلام كثير فى أنّ أفراد هذه الطوائف الخمس هل هم صالحون وعدول جميعاً، أو أنّ البعض منهم كان فى بداية الأمر من الصالحين والأخيار ولكنّه لم يستقم فى هذا المسار بعد ذلك وخاصّة بعد رحلة النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله؟ وقد بحثنا هذا الموضوع فى تنزيه الصحابة.

ومن المعلوم وجود أشخاص من هؤلاء المسلمين الأوائل كانوا فى وقت قد بلغوا ذروة الفضيلة والإيمان والالتزام بالمبادىء الإسلاميّة، ولكنّهم بعد ذلك اتبعوا هوى النفس وساروا فى خطّ الضلالة وحبّ الدنيا وسقطوا فى وحل الانحراف وشرك الشيطان ٢٤٧].

نفحات الولاية، ج٩، ص: ٢٠٣

الرسالة ١٨

اشارة

إلى عَبْدِاللَّهِ بْنِ عَبّاسٍ وَهُوَ عامِلُهُ عَلَى الْبَصْرَةِ[٢٤٨]

نظرة إلى الرسالة

يقول المرحوم ابن ميثم فى مقدّمة شرحه لهذه الرسالة أنّ ابن عباس بعد أن عيّنه أميرالمؤمنين عليه السلام على البصرة، أخذ يتعامل مع بنى تميم باسلوب العنف والغلظة، لأنّه كان يتذكر عداوتهم للإمام عليه السلام وجيش الإمام عليه السلام فى يوم الجمل، فقد كانوا من أتباع طلحة والزبير وعائشة فى ذلك اليوم، وقد هجم عليهم ابن عباس وأبعدهم عن البصرة، وكان يطلق عليهم أنّهم أتباع الجمل وأنصار عسكر (عسكر اسم جمل عائشة) وحزب الشيطان، ولكن هذا التعامل السىّء من ابن عباس ثقل على جماعة من الشيعة من بنى تميم، ومنهم جارية بن قدامة الذى كتب إلى الإمام عليه السلام رسالة

نفحات الولاية، ج٩، ص: ٢٠٤

يشكو فيها ابن عباس، وهذا هو الذى دعا الإمام عليه السلام أن يكتب لابن عباس هذه الرسالة مورد البحث.

وقد أشار الإمام عليه السلام فى هذه الرسالة إلى عدّة أمور:

الأول: أنّ بنى تميم قبيلة معروفة بالرجال الشجعان الذين كانوا من الشجاعة والجرأة بحيث لم يسبقهم إليها أحد لا فى زمان الجاهلية

ولا فى صدر الإسلام.

والآخر: يقول الإمام عليه السلام أنّهم يتّصلون معنا بالرحم والقرابة، وصلة الرحم توجب علينا الإحسان إليهم والتعامل معهم من موقع الإكرام والاحترام.

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام يشير إلى هذه النقطة، وهى أنّ ما يصدر منك على لسانك ويدك من خير وشرّ وما يترتّب عليها من نتائج حسنة وسيّئة، فإنّه سيمتد إلىّ أيضاً لأنّنا شريكان فى ذلك، وعلى ضوء ذلك لابدّ من التعامل بآليّات الأخلاق الكريمة مع بنى‌تميم.

***

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۲۰۵

وَاعْلَمْ أَنَّ الْبَصْرَةَ مَهْبِطُ إِبْلِيسَ، وَمَغْرِسُ الْفِتَنِ، فَحَادِثْ أَهْلَهَا بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ، وَاحْلُلْ عُقْدَةَ الْخَوْفِ عَنْ قُلُوبِهِمْ، وَقَدْ بَلَغَنِى تَنَمُّرُكَ لِبَنِى تَمِيمٍ، وَغِلْظَتُكَ عَلَيْهِمْ، وَإِنَّ بَنِى تَمِيمٍ لَمْ يَغِبْ لَهُمْ نَجْمٌ إِلَّا طَلَعَ لَهُمْ آخَرُ، وَإِنَّهُمْ لَمْ يُسْبَقُوا بِوَغْمٍ فِى جَاهِلِيَّةٍ وَلَا إِسْلَامٍ، وَإِنَّ لَهُمْ بِنَا رَحِماً مَاسَّةً، وَقَرَابَةً خَاصَّةً، نَحْنُ مَأْجُورُونَ عَلَى صِلَتِهَا وَمَأْزُورُونَ عَلَى قَطِيعَتِهَا، فَارْبَعْ أَبَا الْعَبَّاسِ، رَحِمَكَ اللَّهُ، فِيمَا جَرَى عَلَى لِسَانِكَ وَيَدِكَ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ! فَإِنَّا شَرِيكَانِ فِى ذَلِكَ، وَكُنْ عِنْدَ صَالِحِ ظَنِّى بِكَ، وَلَا يَفِيلَنَّ رَأْيِى فِيكَ، وَالسَّلَامُ.

الشرح والتفسير: إطفاء نار الفتنة بماء المداراة

عندما جاء طلحة والزبير ومعهم عائشة إلى البصرة مع جماعة من الفاسدين والانتهازيين، ورفعوا هناك لواء التمرّد والمخالفة ضدّ الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام، استقبلهم أهل البصرة وانضمّوا إليهم وشكّلوا معهم جيشاً كبيراً لمحاربة أميرالمؤمنين عليه السلام وأشعلوا نار الفتنة، ولكنهّم اندحروا وهُزموا على يد جيش الإمام علىّ عليه السلام فى واقعة الجمل، ولعلّهم كانوا يتوقّعون من الإمام بعد تحقيق النصر أن يأمر بقتل جماعة منهم، ولكنّ الإمام تعامل معهم بمنطق الحبّ والمودّة كما سبق أن تعامل النبىّ الأكرم عليه السلام مع قريش فى فتح مكة، وهذا الأمر هو الذى أدّى إلى عودة الاستقرار والهدوء لمدينة البصرة، وفى بداية هذه الرسالة التى كتبها الإمام لواليه على البصرة ابن عباس يشير الإمام عليه السلام إلى هذه الحقيقة. «وَاعْلَمْ أَنَّ الْبَصْرَةَ مَهْبِطُ

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۲۰۶

إِبْلِيسَ، وَمَغْرِسُ ۲۴۹] الْفِتَنِ، فَحَادِثْ ۲۵۰] أَهْلَهَا بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ، وَاحْلُلْ عُقْدَةَ الْخَوْفِ عَنْ قُلُوبِهِمْ».

أما قوله: «أَنَّ الْبَصْرَةَ مَهْبِطُ إِبْلِيسَ، وَمَغْرِسُ الْفِتَنِ» فهو إشارة إلى وجود أقوام من مختلف الأنحاء تعيش فى البصرة وتوجد بينهم مشاكل، وكذلك يواجهون مشاكل من القادمين إلى هذه المنطقة، ولعلّه لهذا السبب اختار طلحة والزبير وعائشة البصرة لإشعال نار الفتنة ضدّ الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام، وخاصّة أنّ البصرة تعدّ أهم ميناء للعراق، والموانىء عادة تكون مستقرّ أقوام ومجاميع مختلفة ممّن يأتون إلى هذه المدينة من مناطق مختلفة، وهذا بدوره يؤدّى إلى وجود بعض الخلل والاشكاليّات فى أجواء هذه المناطق من الناحية الثقافية والاجتماعية، إلّاأن يخضع أهالى هذه المناطق إلى التعليم الأخلاقىّ والثقافى المستمرّ، وقد ذهب البعض إلى أنّ إبليس عندما هبط إلى الأرض كانت البصرة أوّل محلّ حطّ فيه قدمه، ولكن لا يوجد لدينا دليل لإثبات صحّة هذا المطلب.

المهم أنّ الإمام عليه السلام أمر ابن عباس أن يتّخذ أفضل الطرق لإعادة الهدوء والاستقرار انطلاقاً من مضمون الآية الشريفة: «ادْفَعْ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَداوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَميمٌ* وَما يُلَقَّاها إِلَّا الَّذينَ صَبَرُوا وَما يُلَقَّاها إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظيمٍ»[۲۵۱]. وهذا يعنى أنّ ابن عباس ينبغى له أن يستخدم اسلوب الإحسان معهم فى مقابل موقفهم السيّء يوم الجمل، لكى يغسل درن الأحقاد والكراهية ويجعلهم يعيشون الندم والخجل على ما بدر منهم، وربّما كانت مخالفتهم له بسبب خوفهم من العقوبة والانتقام، فعندما يتعامل معهم ابن عباس بالرأفة والرحمة، فهذا من شأنه أن يعيد إليهم روح الهدوء والطمأنينة ويزيل حالات الخوف والقلق.

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۲۰۷

ويقرّر الإمام عليه السلام هذا المعنى فى كلماته القصار، فى إشارة إلى أصل كلّى حيث يقول: «عاتِبْ أخاكَ بِالْإِحْسانِ إِلَيْهِ وَارْدُدْ شَرَّهُ بِالْإِنْعامِ عَلَيْهِ»[۲۵۲].

ثمّ يدخل الإمام عليه السلام بعد ذكر هذه المقدّمة إلى أصل المطلب ويقول: «وَقَدْ بَلَغَنِى تَنَمُّرُكَ ۲۵۳] لِبَنِى تَمِيمٍ، وَغِلْظَتُكَ عَلَيْهِمْ».

ثم يذكر الإمام عليه السلام بعض الصفات والخصال لقبيلة بنى تميم تدلّ لياقتهم للعفو والصفح والاحترام.

يقول الإمام فى بيان الصفة الاولى منهم: «وَإِنَّ بَنِى تَمِيمٍ لَمْ يَغِبْ لَهُمْ نَجْمٌ إِلَّا طَلَعَ لَهُمْ آخَرُ».

والتعبير بالنجم إشارة إلى أنّهم يتمّتعون دوماً بوجود شخصيات كبيرة وجديرة بالاحترام بحيث إنّه لو مات أحد فسيحلّ نجم آخر محلّه، ولهذا تتوفّر فى القبائل العربية دوماً رجال مدراء ومفكرون.

وفى الخصلة الثانية يشير الإمام عليه السلام إلى شجاعتهم ويقول: «وَإِنَّهُمْ لَمْ يُسْبَقُوا بِوَغْمٍ ۲۵۴] فِى جَاهِلِيَّةٍ وَلَا إِسْلَامٍ».

ومع الالتفات إلى أنّ كلمة «وَغْم» تعنى فى اللغة الحرب، وكذلك تعنى الحقد والحسد، فهذا الاحتمال الأخير وارد فى تفسير الجملة المذكورة وأنّهم جماعة تستبطن الحقد، ولو تصدّى لهم مَن يثير أمامهم الأذى والضرر فإنّهم يواجهونه بالمثل ويثيرون الفتنة حينئذٍ، ولكن بالنظر إلى ما تقدّم من كلام الإمام عليه السلام فى مدحهم فإنّ هذه التفسير بعيد عن سياقات الكلام.

وفى الخصلة الثالثة والأخيرة لهم يقول الإمام عليه السلام: «وَإِنَّ لَهُمْ بِنَا رَحِماً مَاسَّةً[۲۵۵]، وَقَرَابَةً خَاصَّةً، نَحْنُ مَأْجُورُونَ عَلَى صِلَتِهَا، وَمَأْزُورُونَ ۲۵۶] عَلَى قَطِيعَتِهَا».

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۲۰۸

وقد ذهب شرّاح نهج‌البلاغة إلى أنّ العامل للقرابة النسبية والرحم بين بنى تميم وبنى هاشم أنّهما يشتركان فى الجد الأعلى وهو (إلياس بن مضر)، وطبقاً لهذا الكلام فإنّ هاشم يصل إلى إلياس بثلاثة عشر واسطة، وكذلك بنى تميم أيضاً يصلون إليه بوسائط كثيرة، ولكن بما أنّ الرحم فى الإسلام تحظى بأهمية بالغة، فالإمام عليه السلام يؤكّد على أنّ هذا المقدار من الوسائط الكثيرة بيننا وبينهم لا يمنع من اعتبارهم من الأرحام والأقرباء، أضف إلى ذلك أنّ البعض ذهب إلى وجود رابطة سببية بين هاشم وتميم من طريق الزواج العائلى، وذهب بعض أيضاً إلى أنّ أحد زوجات الإمام علىّ عليه السلام واسمها ليلى بنت مسعود الحنظلية من بنى تميم؛ ولكن مع الالتفات أنّ الارتباط السببى لا يسمّى رحماً بل يقتصر الرحم على الرابطة النسبية، فإنّ هذين التفسيرين يبتعدان عن الحقيقة.

ويرى ابن أبى‌الحديد وبعض آخر من المؤرّخين فضائل الأخرى لبنى تميم حيث يستفاد من مجموعها أنّ هذه القبيلة تحظى بامتيازات كبيرة فى الواقع الاجتماعى العربى.

ويستفاد من سياق كلام أمير المؤمنين عليه السلام أنّ مسألة صلة الرحم تحظى بأهمية كبيرة فى الإسلام بحيث إنّ هذا الحكم الإسلامى يمتدّ من الأرحام ويتناول حتّى

من كان يرتبط بفاصلة بعيدة من الآباء والأجداد، يقول الإمام عليه السلام: إنّك لو لم تحفظ هذه القرابة والرحم فستكون أمام اللَّه مسؤولًا ومحكوماً وإن وصلتها فستكون مصدر الخير والبركة.

وفى ختام هذه الرسالة يأمر الإمام عليه السلام ابن عباس بمداراة المخالفين بشكل عامّ وبنى تميم بشكل خاصّ ويقول: «فَارْبَعْ ۲۵۷] أَبَا الْعَبَّاسِ، رَحِمَكَ اللَّهُ، فِيمَا جَرَى عَلَى لِسَانِكَ وَيَدِكَ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ! فَإِنَّا شَرِيكَانِ فِى ذَلِكَ، وَكُنْ عِنْدَ صَالِحِ ظَنِّى بِكَ، وَلَا يَفِيلَنَّ ۲۵۸] رَأْيِى فِيكَ، وَالسَّلَامُ».

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۲۰۹

ويراد من الخير والشرّ: النفع والضرر، وهى الأعمال التى يمكن أن يترتب عليها الظلم أو الضرر، فالشرّ هنا ليس بمعنى الظلم والجور لأنّ ابن عباس لم يكن الوالى الظالم الذى يتعامل مع الناس بالظلم وسحق الحقوق.

واللافت للنظر أنّ الإمام عليه السلام فى هذه التوصية بمداراة المخالفين ورعايتهم يشير إلى هذه الحقيقة وهى أنّك وكيل عنّى، وأنّ كلّ عمل يصدر منك فسوف يكتب عليَّ فكأنه صدر منّى، وعلى هذا الأساس ينبغى الاحتياط والتدبر فى الأمر، وهذا الكلام من قبيل أن يقال لعلماء الدين: انتبهوا إلى أعمالكم وتصرّفاتكم لأنّ كلّ عمل يصدر منكم سيكون منسوباً للدين والإسلام أيضاً.

وفى الجملة الأخيرة يحذّر الإمام عليه السلام ابن عباس أيضاً ويقول أنّك لو لم تسلك سبيل المداراة والمراعاة فربّما يتغيّر نظر إمامك عنك، وهذا دليل آخر على ضرورة العمل بتوصيات الإمام عليه السلام.

فى العبارة الواردة أعلاه يخاطب الإمام عليه السلام ابن عباس بكلمة «أبوالعباس» واستخدام الكنية متداول عند العرب وأنّهم إذا أرادوا أن ينادوا شخصاً باحترام فإنّهم لا يذكرون اسمه الأصلىّ بل ينادونه بكنيته أو بلقبه، فهنا راعى الإمام عليه السلام هذا الجانب فى احترام ابن عباس وخاطبه بكنيته.

تأمّل: خصائص أهل البصرة

ورد فى الخطب المتعدّدة من نهج‌البلاغة ومنها الخطبة ۱۳ و ۱۴، توبيخ وذمّ شديد لأهل البصرة، وكما رأينا فى الرسالة أعلاه أنّ أميرالمؤمنين عليه السلام يتحدّث عن البصرة بأنّها معقل الشيطان ومحلّ نزول إبليس ومكان إثارة الفتن، ولكن بقرينة ما ورد فى بعض الروايات التى تمدح أهل البصرة كثيراً أعمّ من الرجال والنساء والأطفال والشيوخ، فكلام الإمام عليه السلام هنا ناظر لمقطع خاصّ من الزمان، وهو الزمان

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۲۱۰

الذى وقعت فيه معركة الجمل وسارع أهل البصرة لحماية الناكثين والمتمرّدين بقيادة طلحة والزبير، وأسفر ذلك عن مقتل الكثير من المسلمين.

وعلى ضوء ذلك فإنّ هذا الذمّ المذكور لا يدلّ على كلّ من دخل تلك المدينة أو كان من أهالى البصرة، فإنّه يملك تلك الصفات الذميمة على امتداد التاريخ وأنّه ليس من أهل الفلاح والسعادة، وخاصّة عندما نرى وجود الكثير من العلماء والعرفاء والقرّاء والموالين لأهل البيت عليهم السلام فى هذه المدينة.

وللتوضيح أكثر راجع الجزء الأول، ذيل الخطبة ۱۳.

***

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۲۱۱

الرسالة ۱۹

اشارة

إلى بَعْضِ عُمَّالِهِ ۲۵۹]

نظرة إلى الرسالة

يستفاد من تاريخ اليعقوبى و تاريخ البلاذرى أنّ المخاطب بهذه الرسالة هو عمر بن أبى سلمة (مسلمة) الأرحبى الذى قيل إنّه كان

والياً على فارس والبحرين ۲۶۰]، وأنّه كـان يسـتخدم اسـلوب العنف والشـدّة مع بعض الفئـات التى تحت ولايته من طائفـة المجوس، وهؤلاـء كتبوا رسالـة يشـكون فيهـا هـذا الوالى، فاسـتاء الإمـام عليه السـلام من ذلـك وكتب هـذه الرسالـة مورد البحث ودعـاه لرعاية الاعتدال وترك اسلوب الشدّة معهم.

واللافت أنّ توصيـة الإمام عليه السـلام فى هذه الرسالة تخصّ غير المسـلمين وهم الذين يطلق عليهم «أهل الذمّة» الذين يعيشون داخل البلاد الإسلاميّة بصورة سلمية، فينبغى أن يتعامل معهم الوالى والمسلمون من موقع الرأفة والمحبّة الإسلاميّة

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۲۱۲

ويحفظوا لهم نفوسهم وأموالهم وأعراضهم، فالإمام عليه السلام لا يقبل أىّ شكل من أشكال العنف والشدّة فى التعامل معهم.

ولكن بمـا أنّ الاـقتراب منهم والتواصـل معهم أكثر من اللاـزم ربّمـا يثير مشاكـل أخرى فى الجو الثقـافى والاجتمـاعى فإنّ الإمام عليه السلام أمر هذا الوالى بضرورة التعايش بالاعتدال فى هذا الشأن.

***

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۲۱۳

أَمَّا بَعْـدُ، فَإِنَّ دَهَاقِينَ أَهْلِ بَلَدِکَ شَـکَوْا مِنْکَ غِلْظَةً وَقَسْوَةً، وَاحْتِقَاراً وَجَفْوَةً، وَنَظَرْتُ فَلَمْ أَرَهُمْ أَهْلًا لِأَنْ يُدْنَوْا لِشِـرْكِهِمْ، وَلَا أَنْ يُقْصَوْا وَيُجْفَوْا لِعَهْـدِهِمْ، فَالْبَسْ لَهُمْ جِلْبَاباً مِنَ اللِّينِ تَشُوبُهُ بِطَرَفٍ مِنَ الشِّدَّةِ، وَدَاوِلْ لَهُمْ بَيْنَ الْقَسْوَةِ وَالرَّأْفَةِ، وَامْزُجْ لَهُمْ بَيْنَ التَّقْرِيبِ وَالْإِدْنَاءِ، وَالْإِبْعَادِ وَالْإِقْصَاءِ.

إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

الشرح والتفسير: شمول الرأفة الإسلاميّة لجميع الناس

رأينا فيما تقدّم آنفاً أنّ المخاطب بهذه الرسالة والى الإمام عليه السـلام على فارس والبحرين وأنّه كان يستخدم اسلوب الشدّة والقسوة مع جماعـة من المجوس الـذين كـانوا يعيشون فى تلـك المنطقـة، وبمـا أنّ هؤلاـء كانوا يعتقـدون بعدالـة الإمام عليه السـلام وأخلاقه الحسنـة، فلذلك كتبوا إليه هذه الرسالة يشـكون من سوء معاملة الوالى، وفى هذه الرسالة العميقة المضـمون والتى تعتبر دستوراً لجميع الولاة والامراء، يقول الإمام عليه السـلام: «أَمَّا بَعْـدُ، فَإِنَّ دَهَاقِينَ ۲۶۱] أَهْلِ بَلَـدِکَ شَـکَوْا مِنْکَ غِلْظَةً وَقَسْوَةً، وَاحْتِقَاراً وَجَفْوَةً، وَنَظَرْتُ فَلَمْ أَرَهُمْ أَهْلًا لِأَنْ يُدْنَوْا لِشِرْكِهِمْ، وَلَا أَنْ يُقْصَوْا وَيُجْفَوْا لِعَهْدِهِمْ».

وقد أشار الإمام عليه السلام فى هذه العبارات إلى أربع نقاط تتّصل بأعمال الوالى السيئة

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۲۱۴

وسوء معاملته للرعيّـة، فى البداية أشار الإمام عليه السـلام إلى العنف، والأخرى إلى القساوة وعدم الشـفقة، والثالثة تحقير هؤلاء الرعية، والرابعـة سوء معاملته لهم، وبالرغم من أنّ هـذه المفاهيم تتماثل وتقترب فى المضـمون، لكن هناك فروق دقيقـة بينها، ولـذلك أشار الإمـام عليه السـلام إلى جميع هـذه الأـمور وأعلن بعـد ذلك عن رأيه المبارك فى القضـية، وهو أنّه من جهـة ينبغى الالتفات إلى أنّ هؤلاء مشـركون، لأنّ المجوس يعتقـدون بالثنوية والمصدرين للخلق، وهما يزدان وأهريمن مصدرا الخير والشـر، ورغم أنّ الزرادشتين فى هذا العصـر يدّعون أنّهم موحّدون وغير مشـركين، ولكن المنابع الدينية لهم تقرّر خلاف ذلك، وعلى أيّة حال فالإمام عليه السـلام مع ملاحظـة التفـاوت الاعتقـادى بينهم وبين المسـلمين، ينهى عن الاقتراب منهم أكثر من الحـدّ اللازم، وفى ذات الوقت يـذكّر الوالى بهـذه النقطـة، وهى أنّ هؤلاـء من أهـل الذمّـة يعنى أنّهم يعيشون مع المسـلمين من موقع الصـلح والسـلم ويتعهـدون بـاحترام الإسـلام وأحكامه الإلهيّـة، والحكومـة الإسـلاميّة بـدورها تتعهـد بالدفاع عنهم وعن أعراضـهم وأموالهم وتتعامل معهم بلغة العطف والإحسان،

وعلى هذا الأساس فإنّ استخدام القسوة وسوء التعامل معهم يعتبر منافياً للشرع والخلق الإسلامى.

ثم يبيّن الإمام عليه السلام هذه الحقيقة ويقول: «فَالْبَسْ لَهُمْ جِلْبَاباً[۲۶۲] مِنَ اللِّينِ تَشُوبُهُ بِطَرَفٍ مِنَ الشِّدَّةِ، وَدَاوِلْ ۲۶۳] لَهُمْ بَيْنَ الْقَسْوَةِ وَالرَّأْفَةِ، وَامْزُجْ لَهُمْ بَيْنَ التَّقْرِيبِ وَالْإِدْنَاءِ، وَالْإِبْعَادِ الْإِقْصَاءِ. إنْ شَاءَ اللَّهُ».

وبديهىّ أنّ مثل هذا الأسلوب فى التعامل مع غير المسلمين الذين يعيشون فى

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۲۱۵

ظلّ الحكومة الإسلاميّة بصلح وسلام يعتبر من أفضل أساليب المعاملة، ومن جهة يثير فى نفوسهم الطمأنينة والأمن ويزيح من أذهانهم أىّ تفكير فى التمرّد والطغيان، ومن جهة أخرى فإنّ هذا الاسلوب فى التعامل من قِبل الحاكم الإسلامى لا يمكن حمله على الضعف والعجز فى مواجهة المشاكل والتحدّيات والتى ربّما تكون مصدراً لإثارة القلاقل وتفعيل روح المشاكسة، ومن هذا المنطلق يرسم الإمام عليه السلام الأسلوب الأمثل فى التعامل مع الأقليات الدينية فى المجتمع الإسلامى.

ومن المعلوم أنّ ما ذكره الإمام عليه السلام فى هذه الرسالة لا ـ ينحصر بأشخاص معيّنين ولا ـ يختصّ بزمان ومكان، بل هو منهج مدروس ويمكن ترجمته على أرض الواقع الاجتماعى فى كلّ مورد ومجتمع إسلامى، بل يمكن القول إنّ الحكومة يجب أن تتعامل مع المسلمين أيضاً بمثل هذه المعاملة، فلو أظهرت فى مقابل الرعية الكثير من الليونة والتساهل أكثر من الحدّ، فربّما يحمل ذلك على ضعف هذه الحكومة، وبالتّالى يتجرّأ جماعة على القانون ولا يلتزموا بالمقرّرات الرسمية، ولو كان تنفيذ القوانين وإجراؤها باسلوب الشدّة والعنف، فإنّ ذلك ربّما يثير فى الناس الاعتراض والنفرة من الحكومة، وتنقطع بالتالى طبيعة التواصل بين الناس وبين الحكومة الإسلاميّة، وعلى أيّة حال فإنّ الإعتدال بين الرأفة والقسوة يعتبر أحد الأصول الثابتة للإدارة الناجحة وقيادة المجتمع.

بل نرى مثل هذا الأصل حتى بالنسبة للذات المقدّسة والسياسة الإلهيّة مع العباد، حيث أنّه تعالى قد جعل الناس يعيشون بين الخوف والرجاء، يقول القرآن الكريم:

«نَبِّئْ عِبادِى أَنِّى أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ* وَأَنَّ عَذابِى هُوَ الْعَذابُ الْأَلِيمُ»[۲۶۴].

ونقرأ فى دعاء الافتتاح المعروف: «وَأَيْقَنْتُ أَنَّكَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ فِى مَوْضِعِ الْعَفْوِ وَالرَّحْمَةِ وَأَشَدُّ الْمُعَاقِبِينَ فِى مَوْضِعِ النَّكَالِ وَالنَّقِمَة».

وأثار بعض شرّاح نهج‌البلاغة هنا هذا السؤال، وهو كيف أنّ الإمام عليه السلام أصدر

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۲۱۶

مثل هذا الأمر بالنسبة لغير المسلمين وأنّه لا ينبغى تقريبهم أكثر من اللازم فى حين أنّ القرآن الكريم يقول بصراحة: «لا يَنْهاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذينَ لَمْ يُقاتِلُوكُمْ فِى الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِم»[۲۶۵].

والجواب عن هذا الإشكال واضح، وهو أنّ الإمام علىّ عليه السلام لا ينهى عن الإحسان إليهم، بل يأمر برعاية الإعتدال فيهم والتعامل معهم، فلا يقتربوا من الحاكم أكثر من الحدّ ويتجرّأوا على المخالفة، ولايبعدهم عنه إلى حدٍّ يتسبّب فى امتعاضهم وطغيانهم.

تأمّل: الإسلام وأهل الذمّة

يمكننا تلخيص علاقة الإسلام والمسلمين بغيرالمسلمين فى أربع صور:

۱. أهل الذمّة: وهم أصحاب الكتب السماوية الذين يعيشون داخل البلاد الإسلاميّة على شكل أقلّيات دينية، وهؤلاء إذا لم يتظاهروا بالأمور المخالفة للقوانين الإسلاميّة، وتعاملوا مع المسلمين من موقع الاحترام، فيجب على المسلمين أيضاً أن يعاملوهم باحترام كذلك، الحكومة الإسلاميّة أيضاً مكلّفة بحفظ نفوسهم وأموالهم وأعراضهم، والذمّة تعنى العهد والميثاق، وهو فى الحقيقة عهد منهم أن يعيشوا مع المسلمين بصلح وسلام، وأحد شروط الذمّة دفع ضرائب وجيزة تدعى ب «الجزية» وفى مقابل هذه الضريبة القليلة فإنّ الحكومة الإسلاميّة تقدّم لهم خدمات هامّة وجليلة كما تقدّم فى الرسالة أعلاه، ورأينا أنّ أميرالمؤمنين الإمام علىّ عليه السلام يكتب

إلى أحد ولاته رسالة يعترض بها عليه من سوء معاملته لأهل الذمّة ويدعوه لتحسين سلوكه ومعاملته لهم.

وقد وردت أحكام أهل الذمّة فى الكتب الفقهية ذيل كتاب الجهاد بشكل مفصّل.

۲. الكفّار الحربيون: وهؤلاء كما يتبادر من اسمهم، الأشخاص الذين يعيشون

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۲۱۷

حالة الحرب ضدّ المسلمين، ولهذا السبب ليس فقط لا يجب احترامهم، بل إنّ المسلمين مأمورون بجهادهم والتصدّى لهم ومقاتلتهم.

وقد وردت أحكام الكفّار الحربيين أيضاً فى الفقه الإسلامى فى كتاب الجهاد بشكل مفصّل أيضاً.

۳. الكفّار المعاهدون: وهم الذين لا يعيشون داخل البلاد الإسلاميّة، ولكنّهم تربطهم علاقات تجارية وسياسية وغير ذلك مع المسلمين، حيث يحترم كلّ طرف حقوق الطرف الآخر، والمصداق البارز لهؤلاء ما نراه فى الحال الحاضر من وجود علاقات سياسية بين المسلمين وبين جميع البلدان الأخرى فى العالم، حيث يتبادلون السفراء والخبراء وأمثال ذلك، وهؤلاء ينبغى التعامل معهم من موقع الاحترام أيضاً، سواء سافروا إلى داخل البلاد الإسلاميّة أو كانوا فى الخارج.

وقد وردت أحكام هذه الطائفة أيضاً فى كتاب الجهاد وفى كتب التفسير، وخاصّة فى تفسير سورة براءة.

۴. الكفّار المهادنون: وهم الأشخاص الذين يعيشون خارج البلاد الإسلاميّة ولا تربطهم مع المسلمين رابطة سياسية خاصة أو معاهدة معينة، ولكن فى ذات الوقت لا يواجهون المسلمين بالحرب والقتال، وقد أمر الإسلام بالنسبة لهؤلاء أن يتعامل معهم المسلمون بالإحسان وحسن الخلق، ومن ذلك ما ورد فى الآية ۸ من سورة الممتحنة حيث أكّد القرآن الكريم على أنّ اللَّه لا ينهى عن الإحسان لمثل هؤلاء الكفّار الذين لا يقاتلونكم ولا يخرجوكم من دياركم.

***

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۲۱۹

الرسالة ۲۰

اشارة

إلى زِيادِ بْنِ أَبيهِ وَهُوَ خَليفَةُ عامِلِهِ عَبْدِاللَّهِ بْنِ عَبّاسٍ عَلَى الْبَصْرَةِ، وَعَبْدُاللَّهِ عامِلُ أميرِالْمُؤْمِنينَ عليه السلام يَوْمَئِذٍ عَلَيْها وَعَلى كُورِ الْأَهْوازِ وَفارْسٍ وَكِرْمانٍ وَغَيْرِها[۲۶۶]:

نظرة إلى الرسالة

يستفاد من هذه الرسالة الواردة فى تاريخ اليعقوبى، وخاصة مع الالتفات إلى ما ورد فى مطلعها، أنّ «زياد» كان قد قصد خيانة بيت المال والامتناع من دفع جميع الخراج، فاطّلع الإمام عليه السلام على هذه القضية من خلال بعض جواسيسه وعيونه وكتب له هذه الرسالة الشديدة وأمره بدفع الخراج لبيت المال بشكل كامل وإرساله إلى الإمام عليه السلام وقد هدّده الإمام عليه السلام بأنّه إذا امتنع عن هذا العمل فإنّه سيواجه عقوبة شديدة.

وهذه الرسالة وأمثالها تبيّن أنّ الإمام عليه السلام قد جعل عمّال ومراقبين على جميع

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۲۲۰

الولاة والمسؤولين فى الحكومة حيث ينقلون له باستمرار ما يجرى فى الولايات من مسائل مهمّة، فلو أنّ أحد المسؤولين تجاوز حدود صلاحيته فإنّ الإمام سيتولّى تنبيهه.

***

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۲۲۱

وَإِنِّی أُقْسِمُ بِاللَّهِ قَسَماً صَادِقاً، لَئِنْ بَلَغَنِی أَنَّکَ خُنْتَ مِنْ فَیْءِ الْمُسْلِمِینَ شَیْئاً صَغِیراً أَوْ کَبِیراً لَأَشُدَّنَّ عَلَیْکَ شَدَّةً تَدَعُکَ قَلِیلَ الْوَفْرِ، ثَقِیلَ الظَّهْرِ، ضَئِیلَ الْأَمْرِ، وَالسَّلَامُ.

الشرح والتفسیر: إنذار شدید للمتخلّفین

یستفاد من تاریخ الیعقوبی أنّ الإمام علیه السلام فی بدایة هذه الرسالة کتب إلی والیه زیاد یقول: «إنّ رَسُولی أخْبَرَنی بِعَجَبٍ، زَعَمَ أَنّکَ قُلْتَ لَهُ فیما بَیْنَکَ وَبَیْنَهُ: إنَّ الْأَکْرادَ هاجَتْ بِکَ فَکَسَرَتْ عَلَیْکَ کَسیراً مِنَ الْخَراجِ وَقُلْتَ لَهُ: لاتُعْلِمْ بِذلِکَ أمیرَالْمُؤْمِنینَ».

ویستفاد جیداً من هذا المقطع من الرسالة أنّ زیاداً تواطأ مع بعض الأکراد علی تقلیل الخراج، وکان یرید- من خلال الادّعاء بأنّ الأکراد قد امتنعوا من دفع الخراج بشکل کامل- أن یختلس بعض الخراج لحسابه الخاصّ ولا یرسله إلی بیت المال، فعلم الإمام علیه السلام بهذه المؤامرة وکتب له هذه الرسالة الشدیدة وقال: «وَإِنِّی أُقْسِمُ بِاللَّهِ قَسَماً صَادِقاً، لَئِنْ بَلَغَنِی أَنَّکَ خُنْتَ مِنْ فَیْءِ الْمُسْلِمِینَ شَیْئاً صَغِیراً أَوْ کَبِیراً، لَأَشُدَّنَّ عَلَیْکَ شَدَّةً تَدَعُکَ قَلِیلَ الْوَفْرِ، ثَقِیلَ الظَّهْرِ ضَئِیلَ الْأَمْرِ، وَالسَّلَامُ».

إنّ تعبیر الإمام علیه السلام فی مطلع هذا القسم حیث یقسم باللَّه قسماً صادقاً، لا یعنی أنّه ربّما یصدر قسم غیر صادق من الإمام علیه السلام بل هو نوع من التأکید علی جدّیة الإمام علیه السلام فی هذا الأمر.

والملاحظة الأخری أنّ الإمام علیه السلام لم یصرّح له فی هذه الرسالة بأنّک ارتکبت

نفحات الولایه، ج۹، ص: ۲۲۲

الخیانة، بل ذکر کلاماً مشروطاً بهذا المضمون، وهو أنّه إذا بلغنی أنّک ارتکبت مثل هذه الخیانة ...، لأنّه إذا أراد کشف الحجاب فی مثل هذه الموارد عن عمل الشخص المتخلّف، فإنّ ذلک یدعوه للجرأة أکثر، فبلاغة الکلام تستدعی أن یکشف قلیلًا عن الستار ویذکر الموضوع بشکل مشروط لئلّا یتجرّأ أکثر، ویعزم علی الفرار بالأموال من تلک المنطقة.

وهنا نقطة جدیرة بالالتفات فی کلام الإمام علیه السلام حیث یقول: إنّنی ساعاقبک عقوبة شدیدة بحیث یترتّب علیها ثلاث بلایا: الاولی: أنّک ستعیش فی حیاتک قلیل الوفر من المال، والآخر ستکون سیّء السمعة فلا یأتمنک أحد علی عمله وماله.

الثالث: أن تکون ثقیل الظهر، وربّما یکون مقصوده علیه السلام من ذلک ثقل المسؤولیة فی الدنیا، أی أنّه یحمل علی ظهره مسؤولیة الخیانة وما یترتّب علیها من عقوبة، أو أن یعیش بصعوبة بالغة بسبب الفقر فلا یستطیع إدارة أموره الشخصیة والمعاشیة، واحتمل بعض الشرّاح أیضاً أنّ المراد من ثقل الظهر هنا المسؤولیة الاخرویة، کما ورد هذا المضمون فی قوله تعالی: «وَلَیَحْمِلُنَّ أَثْقالَهُمْ وَأَثْقالًا مَّعَ أَثْقالِهِمْ وَلَیُسْئَلُنَّ یَوْمَ الْقِیامَةِ عَمَّا کانُوا یَفْتَرُونَ»[۲۶۷].

والظاهر أنّ هذا الاحتمال بعید عن المقصود، لأنّ الإمام علیه السلام یقول: إنّنی ساعاقبک بما یترتّب علیه هذه العواقب الثلاث، ونعلم أنّ المسؤولیة یوم القیامة بسبب الخیانة حتمیة ولا تحتاج لتشدید الإمام علیه السلام ولا ترتبط بإنزال العقوبة بحقّه.

وجملة «ضَئِیلَ الْأَمْرِ» مع الالتفات إلی أنّ کلمة «ضَئِیل تأتی بمعنی الحقیر والضعیف والمهین، فإنّ مفهومها هو أنّک إذا ارتکبت الخیانة وعرف الناس منک ذلک، فسوف تعیش بعد ذلک بین الناس حقیراً ومهیناً وذلیلًا.

وأساساً فإنّ الخیانة، لاسیّما الخیانة فی الأموال وخاصّة فی بیت المال، منشأ الفضیحة فی الدنیا والآخرة، وهذه الحقیقة لا تنحصر بزیاد

بن أبيه فى صورة خيانته

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۲۲۳

لبيت المـال وما يترتّب على ذلك من العواقب الثلاث التى ذكرها الإمام عليه السـلام له فى رسالته، بل هى المصـير الـذى ينتظر جميع الخائنين وخاصّـ ة خونة بيت المال، فإنّ ظهورهم سـتكون مثقلة بوزر الذنب والمسؤولية والعقوبة، وأنّ انتفاعهم فى هذا الحياة سـيكون ضئيلًا وستكون شخصيتهم حقيرة ويعيشون الذلّة والمهانة بين الناس.

تأمّل: لماذا اختار الإمام عليه السلام زياداً لهذا المنصب

بالنسبة لسيرة «زياد بن أبيه» وتاريخ حياته، تطرح عدّة أسئلة وعلامات استفهام، الاولى: لماذا يقال عنه: زياد بن أبيه، والذى يحكى عن عدم مشـروعية ولادته ونسـبه، والآخر: لماذا اختاره الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام لهذا المنصب فى أيّام خلافته، أو على الأقلّ اختاره عبـداللّه بن عبـاس لمثل هـذا المقام مع معرفته بشخصـيته معرفـة دقيقـة، بحيث انتهى به الأمر إلى ما انتهى إليه، وكان له ولُاسـرته دور تخريبىّ فى تاريخ الإسلام؟

والجواب عن هذه الأسئلة سيأتى إن شاء فى ذيل الرسالة ۴۴ حيث يتناسب هذا الموضوع معه أكثر.

***

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۲۲۵

الرسالة ۲۱

اشارة

إلى زِيادٍ أيْضاً[۲۶۸]

نظرة إلى الرسالة

يستفاد من صدر هذه الرسالة الواردة فى كتاب أنساب الأشـراف للبلاذرى، أنّ بعض الأشخاص كتب إلى الإمام عليه السلام أنّ زياداً ارتكب أعمالًا مخالفـة، ومن ذلـك أنّه كان يجلس على موائـد تكثر فيها أنواع الأطعمـة وأنّه كان يتعامل مع الآخرين من موقع التكبر والغرور، والإمام عليه السلام فى هذه الرسالة حذّره من الإسراف والتكبر وطلب الدنيا وأكّد له أن يهتمّ فى حياته بالآخرة.

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۲۲۷

فَدَعِ الْإِسْرَافَ مُقْتَصِداً، وَاذْكُرْ فِى الْيَوْمِ غَداً، وَأَمْسِكْ مِنَ الْمَالِ بِقَدْرِ ضَـرُورَتِکَ، وَقَدِّمِ الْفَضْلَ لِيَوْمِ حَاجَتِکَ. أَ تَرْجُو أَنْ يُعْطِيَکَ اللَّهُ أَجْرَ الْمُتَوَاضِـعِينَ وَأَنْـتَ عِنْـدَهُ مِـنَ الْمُتَكَبِّرِينَ! وَتَطْمَـعُ- وَأَنْـتَ مُتَمَرِّغٌ فِى النَّعِيـمِ؛ تَمْنَعُـهُ الضَّعِيـفَ وَالْأَرْمَلَـةَ- أَنْ يُوجِـبَ لَـکَ ثَـوَابَ الْمُتَصَدِّقِينَ؟ وَإِنَّمَا الْمَرْءُ مَجْزِىٌّ بِمَا أَسْلَفَ وَقَادِمٌ عَلَى مَا قَدَّمَ، وَالسَّلَامُ.

الشرح والتفسير: الإمام عليه السلام يحذّر «زياد» مرّة أخرى

تقدّم آنفاً أنّ لهذه الرسالة مقدّمة يمكن من خلالها فهم ما أورده المرحوم السيّد الرضـىّ لشـرحها وتفسيرها، فقد ورد فى مقدّمة هذه

الرسالة، أنّه كان بين سعد وزياد ملاحاة ومنازعة، وعاد سعد فشكاه إلى علىّ عليه السلام وعابه، فكتب علىّ عليه السلام إليه، أما بعد فإنّ سعداً ذكر أنّك شتمته ظلماً وهددته وجبهته تجبّراً وتكبراً، فما دعاك إلى التكبر وقد قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله: «الكِبْرُ رِداءُ اللَّهِ فَمَنْ نَازَعَ اللَّهَ رِداءَهُ قَصَمَهُ»، وقد أخبرنى أنّك تكثر من الألوان المختلفة فى الطعام فى اليوم الواحد، وتدّهن كلّ يوم، فما عليك لو صمت للّهأيّاماً، وتصدّقت ببعض ما عندك محتسباً، وأكلت طعامك مراراً قفاراً، فإنّ ذلك شعار الصالحين! أفتطمع وأنت متمرّغ فى النعيم، تستأثر به على الجار والمسكين والضعيف والفقير والأرملة واليتيم، أن يحسب لك أجر المتصدّقين! وأخبرنى أنّك تتكلّم بكلام الأبرار، وتعمل عمل الخاطئين، فإن كنت تفعل ذلك فنفسك ظلمت، وعملك أحبطت، فتب إلى ربّك يصلح لك عملك، واقتصد فى أمرك

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۲۲۸

وقدّم إلى ربّك الفضل ليوم حاجتك، وادّهن غبّاً، فإنّى سمعت رسول اللّه صلى الله عليه و آله قال:

«ادّهِنُوا غَبّاً وَلا تَدَّهَنُوا رَفَهاً»[۲۶۹].

ثمّ يأمره الإمام عليه السلام بالتصدّق فى سبيل اللّه على الفقراء والمحرومين ويقول له أيضاً: إنّ كلامك كلام المحسنين ولكنّ عملك عمل المذنبين والعاصين، فلو كان هذا الأمر حقيقة فإنّك قد ظلمت نفسك وأحبطت عملك ۲۷۰].

ومع الالتفات إلى ما تقدّم أعلاه، نصل إلى شرح الرسالة طبقاً لما ذكره السيّد الرضىّ، فالإمام عليه السلام يأمر زياد بن أبيه بأربعة أمور فى عبارة موجزة وزاخرة بالمعنى، فيقول فى البداية: «فَدَعِ الْإِسْرَافَ مُقْتَصِداً».

وهو إشارة إلى ما كان زياد يهتمّ به من جلب ألوان الأطعمة على مائدته ويتّخذ سبيل المترفين، وهذا الأمر يعتبر مذموماً لجميع المسلمين ولا سيّما للحكّام والولاة المنصوبين من قِبلهم.

وطبعاً فإنّ الإسراف لا ينحصر بالإكثار فى الأطعمة وأمثالها، بل الإسراف فى كلّ شىء مذموم فى الإسلام حتّى فى العبادات، حيث توجب أحياناً التعب والملل وزوال الرغبة فى العبادة والطاعة.

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «وَ إِنَّ الْقَصْدَ أَمْرٌ يُحِبُّهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَإِنَّ السَّرَفَ أَمْرٌ يُبْغِضُهُ اللَّهُ حَتَّى طَرْحَكَ النَّوَاةَ فَإِنَّهَا تَصْلُحُ لِلشَّيْءِ وَحَتَّى صَبَّكَ فَضْلَ شَرَابِكَ»[۲۷۱].

ثمّ يذكر الإمام عليه السلام التوصية الثانية ويقول: «وَاذْكُرْ فِي الْيَوْمِ غَداً».

وهذا هو ما ورد فى القرآن الكريم مراراً كقوله تعالى: «وَمَا تُقَدِّمُوا لِانفُسِكُمْ مِنْ

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۲۲۹

خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ»[۲۷۲].

ومورد آخر يقول تعالى: «يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ ما قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبيرٌ بِما تَعْمَلُونَ»[۲۷۳].

ومعلوم أنّ الإنسان إذا اعتقد بوجود حياة اخرى بعد هذه الحياة وأنّ احتياجه إلى الأموال والثروات فى ذلك الوقت أشدّ بكثير من حاجته فى الدنيا، من الواضح أنّه سيترك حالات الإسراف والتبذير والتجمّل، وينعطف على أعمال الخير ولا ينفق من هذه الأموال أكثر من الحدّ اللازم فى هذه الدنيا ويقوم بإرسالها أمامه إلى ذلك اليوم.

ثمّ يوصى الإمام عليه السلام بالأمر الثالث والرابع ويقول: «وَأَمْسِكْ مِنَ الْمَالِ بِقَدْرِ ضَرُورَتِكَ وَقَدِّمِ الْفَضْلَ لِيَوْمِ حَاجَتِكَ».

والواقع أنّ ما أشار إليه الإمام عليه السلام فى جملة: «وَاذْكُرْ فِي الْيَوْمِ غَداً» بشكل إجمالىّ، قد فصّله فى الجملتين الأخيرتين، وفسّر جملة ذكر الغد فى هذه العبارة بإمساك المال إلّابمقدار الضرورة والحاجة ولزوم إرسال الفضل إلى آخرتك، وهو اليوم الذى تحتاج فيه إلى هذا المال بشدّة، وخاصّة أنّ الثروة ستتعرّض للفناء فى حياته، وإن لم يصبها شىء من النقصان والفناء، فإنّ الإنسان سيتركها عند الموت ولا يمكنه أن ينتفع بها بأدنى شىء ولا يستطيع أن يحملها معه إلى القبر، وحتّى أنّ بعض الأقوام الماضية الذين كانوا

يـدّخرون الكثير من الأموال النفيسـة للسـلاطين والملوک ويـدفنونها معهم، فإنّهم فى الواقع يـدّخرون كنوزاً من هـذه الثروات للأجيال اللاحقة دون أن تعود بالنفع على أصحابها الموتى.

ومثل هـذا المضـمون ورد بتعبيرات شيّقة وعميقة المعنى فى وصيّة الإمام علىّ عليه السـلام لابنه الحسن عليه السـلام (الكتاب ۳۱ من نهج‌البلاغة) حيث يقول: «فَلَا تَحْمِلَنَّ عَلَى ظَهْرِکَ

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۲۳۰

فَوْقَ طَاقَتِکَ، فَيَكُونَ ثِقْلُ ذَلِکَ وَبَالًا عَلَيْکَ، وَإِذَا وَجَدْتَ مِنْ أَهْلِ الْفَاقَةِ مَنْ يَحْمِلُ لَکَ زَادَکَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَيُوَافِيکَ بِهِ غَداً حَيْثُ تَحْتَاجُ إِلَيْهِ فَاغْتَنِمْهُ وَحَمِّلْهُ إِيَّاهُ».

إنّ ما ورد من الصفات الأربع أعلاه هو فى الواقع إشارة إلى ما ذكره بعض المطّلعين عن إسراف زياد بن أبيه وخيانته لبيت المال.

ثمّ يشـير الإمام عليه السـلام إلى نقطة أخرى من نقاط ضعف زياد، وهى التكبّر والغرور فى مقابل المحرومين والمستضعفين من الناس ويقول: «أَ تَرْجُو أَنْ يُعْطِيَکَ اللَّهُ أَجْرَ الْمُتَوَاضِعِينَ وَأَنْتَ عِنْدَهُ مِنَ الْمُتَكَبِّرِينَ!».

وبـديهىّ أنّ الشـخص الـذى يتوقّع أن ينـال ثواب المؤمنين، يجب عليه أن يعمل عملهم ولا يعيش التناقض والازدواجيـة فى السـلوک والميول الباطنيـة، وهـذا بالضـبط كالمزارع الذى يطمع بالحصول على محاصـيل وفيرة من أرضه الزراعية فى حين أنّه لم يبذر فيها ولم يسقها الماء.

وهنا يضع الإمام عليه السـلام اصـبعه على نقطـة حسّاسـة جدّاً، وهذا هو ما ورد فى كلامه عليه السـلام فى كتاب غررالحكم حيث قال: «احْذَرِ الْكِبْرَ فَإِنَّهُ رَأسُ الطُّغْيانِ وَمَعْصِيَةُ الرَّحْمنِ»[۲۷۴].

وفى كلام آخر للإمام عليه السلام يقول: «أَقْبَحُ الْخُلُقِ التَّكَبُّرُ»[۲۷۵].

وقـد ورد فى روايـة أخرى عن الإمـام الباقر والإمام الصادق عليهما السـلام قالا: «لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ مَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ كِبْرٍ»[۲۷۶].

ثمّ يعود الإمام عليه السلام ليتحدّث مرّة أخرى عن مسألة الإنفاق فى سبيل اللّه ويقول:

«وَتَطْمَعُ- وَأَنْتَ مُتَمَرِّغٌ ۲۷۷] فِي النَّعِيمِ، تَمْنَعُهُ الضَّعِيفَ وَالْأَرْمَلَةَ[۲۷۸]- أَنْ يُوجِبَ لَکَ

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۲۳۱

ثَوَابَ الْمُتَصَدِّقِينَ؟».

وهـذه الحالة لا تختصّ بزياد بن أبيه فقط، فالكثير من الأشـخاص عندما يدعون اللّه تعالى فإنّهم يسألونه ثواباً جزيلًا، ولكنّهم فى مجال العمل الذى ينتج مثل ذلک الثواب نراهم مقلّين ولا شـىء لديهم فى مقابل هذا الطلب الكبير، وفى‌الحقيقة أنّ مثل هذا الطلب والدعاء هو نوع من النّفـاق والازدواجيـة بين الرغبـات والأعمـال، وينبغى قلع هـذه الحالـة من وجود الإنسـان للتوصّل إلى السـكينة والانسـجام الروحىّ التام، فعنـدما تكون رغبات الإنسان متجانسـة ومتناغمـة مع سـلوكياته وأعماله، يسـتطيع أن يكون الـدعاء حينئذٍ مقبولًا حتى لو طلب من اللّه أكثر من ذلک.

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام يختم هذه الرسالة ببيان قاعدة كلّية تستوعب جميع التوصيات السابقة وتزيد عليها، ويقول: «وَإِنَّمَا الْمَرْءُ مَجْزِيٌّ بِمَا أَسْلَفَ وَقَادِمٌ عَلَى مَا قَدَّمَ، وَالسَّلَامُ».

تأمّلان

۱. العلاقة بين الأعمال والجزاء

یستفاد من التعالیم القرآنیة ومفاهیم الوحی أنّ الأصل فی یوم القیامة والحساب هو العلاقة الموجودة بین الأعمال وما یترتب علیها من الثواب والعقاب أو مشاهدة الأعمال ونتائجها: «فَمَنْ یَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَیْراً یَرَهُ* وَمَنْ یَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ شَرًّا یَرَهُ»[۲۷۹] فی حین أنّ الکثیر من الناس یعتقدون بأنّ الأصل فی ذلک الیوم هو العفو الإلهیّ والشفاعة، ولهذا السبب لا یهتمّون بالأعمال کما ینبغی، وهذا النمط من التفکیر یقودهم أحیاناً إلی ترک الواجبات وارتکاب المحرّمات والتساهل فی

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۲۳۲

الالتزام الواعی بمقتضیات الرسالة والمسؤولیة، فالشفاعة حقّ وأنّ العفو الإلهیّ حقیقة لا ریب فیها، ولکنّ هذه الأمور لا تمثّل أصلًا وأساساً للنجاة یوم القیامة، فذلک الیوم یسمیّ یوم الدین، أی یوم الجزاء واستلام نتائج الأعمال.

والإمام علیه السلام فی الرسالة مورد البحث یؤکّد علی هذه المسألة أیضاً ویقول: إنّ الإنسان یری جزاء الأعمال التی قدّمها لهذا الیوم فی الماضی، ویرد علی أمور کان قد ادّخرها له فی الدنیا.

فلو أنّنا جعلنا هذا المعنی أساساً وأصلًا فی حرکة الحیاة والفکر الدینی، فمن البدیهیّ أنّ أعمالنا ستکون أنقی وأطهر بکثیر.

۲. زیاد ابن أبیه الانتهازی

لقد تحدّث المؤرّخون کثیراً عن زیاد وابنه عبیداللّه وعقائدهما المنحرفة وأعمالهما السیئة، وسیأتی بعض التفصیل عن سیرتهما فی ذیل الکتاب ۴۴ إن شاء اللّه، ولکن من المناسب هنا أن نشیر إشارة مقتضبة إلی ما أورده ابن أبی‌الحدید فی هذا المورد، یقول:

«قلت: قبّح اللّه زیاداً، فإنّه کافأ إنعام علیٍّ علیه السلام وإحسانه إلیه واصطناعه له بما لا حاجة إلی شرحه من أعماله القبیحة بشیعته ومحبّیه والإسراف فی لعنه، وتهجین أفعاله، والمبالغة فی ذلک بما قد کان معاویة یرضی بالیسیر منه، ولم یکن یفعل ذلک لطلب رضی معاویة، کلّا، بل یفعله بطبعه، ویعادیه بباطنه وظاهره، وأبی اللّه إلّاأن یرجع إلی امّه ویصحّح نسبه، وکلّ إناء ینضح بما فیه، ثمّ جاء ابنه بعده فختم تلک الأعمال السیئة بما ختم، وإلی اللّه ترجع الأمور»[۲۸۰].

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۲۳۳

الرسالة ۲۲

اشارة

إلی عَبْدِاللَّهِ بْنِ الْعَبّاسِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعالی وَکانَ عَبْدُاللَّهِ یَقُولُ:

«مَا انْتَفَعْتُ بِکَلامٍ بَعْدَ کَلامِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّی اللَّهُ عَلَیْهِ وَآلِهِ، کَانْتِفاعی بِهذا الْکَلامِ!»[۲۸۱]

نظرة إلی الرسالة

الغرض الأصلیّ من کتابة هذه الرسالة هو أنّ الإمام علیه السلام یلفت نظر مخاطبه ابن عبّاس، وبعبارة أخری جمیع السائرین فی طریق الحقّ، إلی هذه النقطة المهمّة وهی أنّ الإنسان لا ینبغی أن یفرح بما حصل علیه من مواهب مادیّة وخیرات دنیویة عاجلة، ولا ینبغی أن یحزن علی ما فقده منها، بل ینبغی أن یکون فرحه وسروره فی نیل المواهب المعنویة والأخرویة، ویکون أسفه وحزنه علی ما فقده من هذه

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۲۳۴

الأمور المعنوية.

إنّ روح هذه الرسالة هی انعكاس لما ورد فی القرآن الكريم فی سورة الحديد:

«لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ»[۲۸۲]، وعلى ضوء ذلك فإذا تحرّك الإنسان فی واقع الحياة على مستوى تجسيد هذه التوصية الغالية والعمل بها، فإنّ ذلك سيمنحه القدرة والثبات والاستقامة، بحيث لا يتزلزل ولا يصيبه الاهتزاز أمام العواصف العاتية والتحدّيات الصعبة التی يفرضها الواقع.

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۲۳۵

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الْمَرْءَ قَدْ يَسُرُّهُ دَرْكُ مَا لَمْ يَكُنْ لِيَفُوتَهُ، وَيَسُوؤُهُ فَوْتُ مَا لَمْ يَكُنْ لِيُدْرِكَهُ، فَلْيَكُنْ سُرُورُكَ بِمَا نِلْتَ مِنْ آخِرَتِكَ، وَلْيَكُنْ أَسَفُكَ عَلَى مَا فَاتَكَ مِنْهَا، وَمَا نِلْتَ مِنْ دُنْيَاكَ فَلَا تُكْثِرْ بِهِ فَرَحاً، وَمَا فَاتَكَ مِنْهَا فَلَا تَأْسَ عَلَيْهِ جَزَعاً، وَلْيَكُنْ هَمُّكَ فِيمَا بَعْدَ الْمَوْتِ.

الشرح والتفسير: السرور والحزن الموهومان

فی هذه الرسالة يشير الإمام عليه السلام فی مطلعها إلى نقطتين مهمّتين ومصيريّتين فی حياة الإنسان ويقول: «أَمَّا بَعْدُ- أی بعد الحمد والثناء-، فَإِنَّ الْمَرْءَ قَدْ يَسُرُّهُ دَرْكُ ۲۸۳] مَا لَمْ يَكُنْ لِيَفُوتَهُ وَيَسُوؤُهُ فَوْتُ مَا لَمْ يَكُنْ لِيُدْرِكَهُ».

إنّ مواهب الدنيا على نحوين، فبعضها يحصل عليها الإنسان بسعيه وعمله ويفقدها بتكاسله وتماهله، والنحو الآخر، يحصل عليه الإنسان بدون سعی وبذل جهد، وأحياناً يفقد الإنسان مثل هذه المكاسب الدنيوية حتى لو سعى وبذل الجهد فی سبيل تحصيلها والاحتفاظ بها.

والقسم الأول يدخل فی دائرة اختيار الإنسان: والآية الشريفة: «وَأَنْ لَّيسَ لِلْإِنْسانِ إِلّا ما سَعى [۲۸۴] ناظرة إلى هذا المعنى، ولكن القسم الآخر يدخل فی دائرة القضاء والقدر الحتميين، وهو خارج عن دائرة اختيار الإنسان.

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۲۳۶

والواقع أنّ الإمام عليه السلام يشير إلى هذه الحقيقة الحاسمة، وهی أنّ الكثير من الأمور التی توجب السرور والفرح للإنسان هی من القسم الثانی، وعلى أيّة حال، فالإنسان يحصل عليها وفقاً لما قدّر له فی دائرة القضاء والقدر الإلهيين، وعلى هذا الأساس فالفرح والحرص عليها لا مبرّر له، كالشخص الذی يفرح بطلوع الشمس، وفی النقطة المقابلة هناك أمور لا يحصل عليها الإنسان مهما بذل من جهد وسعی فی سبيل ذلك، فلو أنّ الشخص عاش الحزن والغمّ بسبب ذلك فإنّ حزنه سيكون موهوماً ولا مبرّر له، كالشخص الذی يحزن لغروب الشمس واختفائها فی الافق.

والمواهب الماديّة أعمّ من الأموال، والثروات، والمقامات والمناصب، والنجاحات والإخفاقات، فقدان بعض الإمكانات والحصول عليها؛ هی من هذا القبيل غالباً، فلا يكون نيلها والحصول عليها اختيارياً ولا فقدانه وزوالها، ومن هنا لا ينبغی أن يكون الحصول عليها سبباً للفرح والسرور ولا فقدانها سبباً للتأسّف والحزن.

عندما ننظر إلى الحياة الدنيا بهذا المنظار ونرى النجاحات والإخفاقات من هذه الزاوية، فسوف لا تكون تلك النجاحات موجبة للفرح والسرور، ولا تكون الإخفاقات والفشل مصدراً للحزن والهمّ.

ثمّ يستمرّ الإمام عليه السلام فی بيان هذه الحقيقة ويقول: «فَلْيَكُنْ سُرُورُكَ بِمَا نِلْتَ مِنْ آخِرَتِكَ، وَلْيَكُنْ أَسَفُكَ عَلَى مَا فَاتَكَ مِنْهَا».

والدليل على ذلك واضح، فالمواهب المادية، الاختيارية منها أم غير الاختيارية، تسير بسرعة نحو الزوال والفناء، ولا يمكن الاعتماد عليها فی زمان وجودها، فهی معرّضة دوماً للآفات والنقصان وكذلك الحرمان منها معرّض للانتهاء وسرعة الزوال، فما يبقى للإنسان فی واقع الحياة هو المواهب الأخروية والمعنوية، فلذلك ينبغی أن يتأسّف على فقدانها ويحرص على نيلها واكتسابها.

ويقول الإمام عليه السلام فی ختام هذا الكلام وكنيتجة جليّة لما تقدّم: «وَمَا نِلْتَ مِنْ

نفحات الولايهْ، ج۹، ص: ۲۳۷

دُنْيَاکَ فَلَا تُکْثِرْ بِهِ فَرَحاً، وَمَا فَاتَکَ مِنْهَا فَلَا تَأْسَ عَلَيْهِ جَزَعاً، وَلْيَکُنْ هَمُّکَ فِيمَا بَعْدَ الْمَوْتِ».

وفی الختام ينبغی الالتفات إلی هـذه الحقيقهْ وهی أنّ مواهب الدنيا علی قسـمين، وأمّا مواهب اللآخرهْ فنوع واحد لا أكثر، فأمّا مواهب الدنيا فتارهْ يحصل عليها الإنسان بالسعی وبذل الجهد، وأحياناً بدون سعی وعمل، وعلی حدّ تعبير البعض:

«بمـا أنّ الإنسـان عنـدما يحصل علی نعم ومواهب أو يفقـد هـذه النعم فلا يعلم أنّها من أیّ القسـمين هی، هل هی من القسم الأول أم الثانی، ولهذا السبب يقول الإمام عليه السلام:

«وَمَـا نِلْتَ مِنْ دُنْيَـاکَ فَلَـا تُکْثِرْ بِهِ فَرَحـاً»، فربّما تكون هـذه النعم والمواهب من الأمور غير الاختياريـهْ التی لا يحرم منها الإنسان أبـداً، وكذلک «وَمَا فَاتَکَ مِنْهَا فَلَا تَأْسَ عَلَيْهِ جَزَعاً» فلا خوف علی حرمانک منها فربّما تكون من النوع الذی سيبقی معک إلی الأبد، ولكن ليكن همّـک واهتمامـک لمـا تقـدّمه لآخرتـک من سـعی وعمل صالـح، ففی ذلک اليوم لا تحصل علی شـیء إلّامن خلال ما تقـدّمه لنفسک، فإن ليس للإنسان إلّاما سـعی، وكما يقول الإمام عليه السـلام فی موضع آخر من نهج‌البلاغـهْ: «لَا تَكُنْ مِمَّنْ يَرْجُو الْآخِرَةَ بِغَيْرِ عَمَل»[۲۸۵].

تأمّلان

۱. الجواب عن سؤال

ورد فی كلاـم الإمـام عليه السـلام فی الرسالـهْ مورد البحث أنّ فرح الإنسان ينبغی أن يكون منصـبّاً علی ما يحصل عليه فی الآخرهْ، فی حين أننـا نعلم أنّ الآـخرهْ سـتقع فی المسـتقبل لا فی الـدنيا، ولكن ينبغی الالتفات إلی أنّه، أولًا: إنّ الكثير من الأمور المعنويـهْ يحصـل عليها الإنسان فی الحياهْ الدنيا وتمثّل نوعاً من الأمور الأخرويهْ، من قِبل النجاح والتوفيق فی مسيرته المعنويهْ فی السلوک إلی اللَّه.

نفحات الولايهْ، ج۹، ص: ۲۳۸

ثانياً: إنّ هذه العبارهْ ناظرهْ إلی الأسـباب والعوامل التی تؤدّی إلی الحصول علی المواهب الأخرويهْ، فالشخص الذی قدّم أعمالًا صالحهْ وتحلّی بصـفات محمودهْ فی هـذه الـدنيا يمكن القول أنّه قـد حصل علی المواهب الاخرويـهْ، كأنّه وفّر أسـبابها فی هذه الدنيا، وبعبارهْ أخری قد حصل علی أسباب تلک المواهب الاخرويهْ، وتحصيل الأسباب هو نوع من نيل المسببات.

۲. الإنسان فاعل مختار

لقـد ثبت فی بحث الجبر والاختيار، وطبقاً للأدلّهْ العقليهْ والآيات الكثيرهْ الواردهْ فی القرآن الكريم وروايات أهل البيت عليهم السـلام، أنّ الإنسـان فاعـل مختـار فی أعمـاله، ومن المحـال أن يكون الإنسـان مجبوراً علی المعصـيهْ والإـثم، وأنّ اللَّه تعـالی عـادل فی حكمه وسـيجزيه الجزاء العادل علی ما قـدّم من أعمال وسـلوكيات، ولا يمكن أن يجبر الإنسان علی الأعمال الصالحـهْ، ثمّ يثيبه عليها بوصـفه مسـتحقّاً للثواب، ولكن لا شکّ فی وجود بعض الأمور فی حياهْ الإنسان خارجهْ عن اختياره، واللَّه تعالی لا يعاقبه ولا يثيبه عليها بسـبب ذلـک، من قبيـل الخصوصـيات البدنيـهْ فی الإنسـان ومنشـأ ولادته ومَن هو أبوه وامّه وفی أیّ زمان ومكان يولـد، وأمثال ذلک، فهـذه الأـمور ربّمـا تؤثّر فی صـياغهْ عمـل الإنسان وشخصـيته، ولكنّ هـذا التأثير لا يكون حتمياً وغير قابل للاجتناب، وبعبارهْ أخری أنّ هـذه الأمور ربّما توفّر للإنسان الأرضـيهْ المناسـبهْ للأعمال الصالحهْ والطالحهْ ولكن الإنسان هو الذی سيفرض إرادته فی النهايهْ ويقوم بعمل معيّن أو يختار سلوک خاصّ بإرادته واختياره.

وبديهیّ أنّ الأشـخاص الذين تتوفّر فيهم الأرضيّهْ المناسبهْ للأعمال الصالحهْ سيكون ثوابهم أقلّ من الأشخاص الذين لم تتوفّر لهم مثل

هـذه الأرضـیة، والعکس صـحیح، فالأشـخاص الـذین تتوفّر فیهم الأرضـیة المساعـدة لارتکـاب الـذنب إلّاأنّهم یجتنبون التورّط بالإثم ویعصمون أنفسهم من الذنب، فإنّهم یستحقّون الثواب أکثر

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۲۳۹

من الأشـخاص الـذین لم تتوفّر فیهم هـذه الأرضـیة، ولتوضـیح هذا المعنی یمکننا الاسـتعانة بمثالین فی هذا المجال، فالکثیر من الناس یتوجّهون إلی المساجد، ولکنّ جار المسجد لیس علی حدّ سواء من الثواب مع الشخص الذی یبتعد عن المسجد مسافة بعیدة.

المسلمون یصومون رمضان، ولکن ثواب الشخص الذی یملک مزاجاً قویاً وبنیة مساعدة لیس علی حدّ سواء مع الشخص الذی یملک بنیة ضعیفة، وقد وردت تفاصیل هذا الموضوع فی الکتب الدینیة المختصّة.

***

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۲۴۱

الرسالة ۲۳

اشارة

قالَهُ قَبْلَ مَوْتِهِ عَلی سَبیلِ الْوَصِیَّةِ لَمَّا ضَرَبَهُ ابْنُ مُلْجَم لَعَنَهُاللَّهُ ۲۸۶]

الوصیة فی نظرة عامة

هذه الوصیّة تتضمّن مع کونها موجزة، علی أربعة أقسام:

القسم الأول: یوصـی الإمام علیه السـلام بالتمسّک برکنی الإسلام الأساسیین، وهما التوحید والنبوّة ویقول: لا تسمحوا للشرک أن ینفذ فی ثنایا حیاتکم، ولا تغفلوا العمل بسنّة نبیّکم.

القسم الثانی: یتحـدّث الإمام علیه السـلام عن مسـیرته فی هـذه الحیاة ویقسّـمها إلی ثلاث مراحل، کلّ مرحلـة منها تمثّل عبرة ودرسـاً للمخاطب، ویقول: فی الماضی کنت

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۲۴۲

أعیش بینکم سالماً، والیوم أنام فی فراش المرض، وغداً افارقکم، فهذه الأیّام الثلاثة عبرة لکم.

القسم الثالث: یشیر الإمام علیه السلام إلی کیفیة التعامل مع قاتله وأنّه ینبغی أن یقترن ذلک بکامل المحبّة والعطف، فلو أنّ الإمام علیه السـلام بقی حیّاً فسـیکون العفو لقاتله قربة له، وإذا نال الشـهادة فإنّ أولیاء الدم یمکنهم الاقتصاص من القاتل ومع ذلک یوصی الإمام علیه السلام بالعفو عنه.

وفی القسم الرابع: یبیّن الإمام علیه السلام کیفیة مواجهته للموت ویقول: إننی لم أکره الموت أبداً بل کنت متعطّشاً له وفرحاً باستقباله.

***

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۲۴۳

وَصِیَّتِی لَکُمْ: أَنْ لَاتُشْرِکُوا بِاللَّهِ شَیْئاً؛ وَمُحَمَّدٌ صلی الله علیه و آله فَلَا تُضَیِّعُوا سُنَّتَهُ.

أَقِيمُوا هَـذَيْنِ الْعَمُودَيْنِ، وَأَوْقِـدُوا هَـذَيْنِ الْمِصْـبَاحَيْنِ، وَخَلَاكُمْ ذَمٌّ! أَنَا بِالْأَمْسِ صَاحِبُكَمْ، وَالْيَوْمَ عِبْرَةٌ لَكَمْ، وَغَداً مُفَارِقُكَمْ. إنْ أَبْقَ فَأَنَا وَلِيُّ دَمِي، وَإِنْ أَفْنَ فَالْفَنَاءُ مِيعَادِى، وَإِنْ أَعْفُ فَالْعَفْوُ لِي قُرْبَةٌ، وَهُوَ لَكُمْ حَسَـنَةٌ، فَاعْفُوا: «أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ» وَاللَّهِ مَا فَجَأَنِى مِنَ الْمَوْتِ وَارِدٌ كَرِهْتُهُ، وَلَا طَالِعٌ أَنْكَرْتُهُ؛ وَمَا كُنْتُ إِلَّا كَقَارِبٍ وَرَدَ، وَطَالِبٍ وَجَدَ؛ «وَما عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرارِ».

الشرح والتفسير: وصايا مهمّة

كما أشرنا فى ما سبق أنّ ما ذكره المرحوم السيد الرضى هنا يمثّل مقطعاً من كلام مفصّل تحدّث به الإمام عليه السلام فى آخر ساعة من عمره الشريف، حيث تمثّل هـذه الوصـية رأسمال معنوىّ وفكرىّ ثمين لجميع أفراد الامّـة الإسـلاميّة، ففى القسم الأول من هـذه الوصـيّة يقول عليه السـلام: «وَصِـيَّتِى لَكُمْ أَنْ لَاتُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئاً؛ وَمُحَمَّدٌ صلى الله عليه و آله فَلَا تُضَيِّعُوا سُنَّتَهُ. أَقِيمُوا هَذَيْنِ الْعَمُودَيْنِ، وَأَوْقِدُوا هَذَيْنِ الْمِصْبَاحَيْنِ، وَخَلَاكُمْ ذَمٌّ!».

ومع الالتفات إلى أنّ الإمام عليه السـلام يؤكّد فى هذه الوصـيهٔ اجتناب الشـرك مطلقاً، فإنّ ذلك يشير إلى نفى جميع مظاهر وحالات الشـرك، سواء الشـرك فى الذات والصـفات والأفعال، أو الشرك فى العبادهٔ وغيرها، فلو أنّ الإنسان عاش التوحيد الخالص من جميع أشكال الشرك، فإنّ ذلك من شأنه إضاءهٔ وتنوير جميع أركان روحه

نفحات الولايهٔ، ج۹، ص: ۲۴۴

وشخصيّته، بحيث يكون وجوده ملكوتياً وروحانياً بكلّ ما فى الكلمهٔ من معنى.

وفى الوصـيهٔ الثانيهٔ يؤكّد الإمام عليه السـلام على ضرورهٔ عدم تضييع سنّهٔ النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله ولزوم العمل بجميع ما ورد فيهـا، خلافـاً للأشـخاص الـذين يتعـاملون مع سـنّهٔ النبىّ من موقع الانتقاص، فيأخـذون ببعض ويتركون بعضاً، فهم فى الواقع يخـدعون أنفسـهم، مثلًا لا ـ يلتزمون بحكم الجهاد الواجب والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، إلّاأنّهم يقيمون صـلاهٔ والليل ويلتزمون بالنوافل، ولا يتورّعون عن ارتكاب المحرّمات والمنكرات، ومع ذلك يقيمون العزاء على سيّد الشهداء.

واللافت أنّ الإمام عليه السـلام يشبّه هذين الأصـلين الأساسيين أحياناً بعمود الخيمهٔ، وأخرى بأنّهما سـراجان يضيئان طريق الحقّ أمام الإنسان، فالخيمهٔ الصـغيرهٔ تحتاج عادهٔ إلى عمود واحد، ولكن الخيمهٔ الكبيرهٔ ربّما تحتاج إلى أكثر من عمود وعلى كلّ عمود ينصـب سراج للإنـارهٔ، وكما يقول البعض أنّ النور يخرج من تلك الأعمـدهٔ، وعلى أيـهٔ حال فإنّ خيمـهٔ الـدين لا يمكن إقامتها بـدون هـذين الأصلين والعمودين، ولا يمكن إنارهٔ أجواء الحياهٔ المعنويهٔ للإنسان بدون هذين السراجين.

أمّا عبارهٔ: «خَلَاكُمْ ذَمٌّ» وكما ذكرنا فى الخطبهٔ ۱۴۹ من الجزء الخامس أنّ العرب كان يضـربون المثل بهذه الجملهٔ ومفهومها، أنّه لا ذمّ ولا لوم عليكم لأنّكم أدّيتم تكليفكم وأنجزتم وظيفتكم، يعنى أنّكم عملتم بما أوصـيتكم به، فلا إشكال يرد عليكم، وأمّا القائل الأول لهذه العبارهٔ ولهذا المثل من هو؟ فقد ذكرنا تفصيل الكلام فى الجزء المذكور.

ثمّ إنّ الإمـام عليه السـلام يتعرّض فى القسم الثـانى من هـذه الخطبـهٔ وفى عبارات موجزهٔ وعميقـهٔ المعنى، لبيان سـيرهٔ حياته وأنّها تعدّ درساً وعبرهٔ لكم ويقول: «أَنَا بِالْأَمْسِ صَاحِبُكُمْ، وَالْيَوْمَ عِبْرَةٌ لَكُمْ، وَغَداً مُفَارِقُكُمْ».

يعنى أنـا الـذى فتحت خيبر وخضت معركـهٔ بـدر والأـحزاب وكنت فى ذلـك الوقت رجلًا قوياً أذبّ عن الإسـلام والمسـلمين، وادافع عنكم، ولكنّ مرور الزمان قد أثّر

نفحات الولايهٔ، ج۹، ص: ۲۴۵

فىَّ وغيّرنى، واليوم أرقـد فى فراش الموت برأس دامٍ من ضـربهٔ ابن ملجم، وهذا الرأس المصاب يعتبر درساً لكم على عدم وفاء الدنيا، وغداً عندما ترون مكانى خالياً بينكم ستشعرون بحقيقهٔ هذه الدنيا وتلمسون عدم اعتبارها، فإنّها أعرضت بكلّ سهولهٔ عن ذلك الرجل الشجاع والبطل المقدام وسلّمته إلى أجله.

التاريخ البشرىّ نرى فيه الكثير من هذه الوقائع، وأنّ شخصيات كبيرة أو مجاميع قوية تغيّرت بمرور الزمان وبمدّة قليلة كلياً، ولم يبق لديهم من إمكانات وقدرات إلّا القليل الذى لا يفى بشىء، ويتحدّث لنا التاريخ أنّ نادر شاه كان فى ذروة العظمة عندما قصد الهجوم على بعض البلدان، فنام فى فراشه فجاءه الطبّاخ الذى كان مستاءً من نادر بشدّة ومعه سكين فقطع به رأسه وذبحه على فراشه وانتهى كلّ شىء فى الصباح الباكر.

والأوضح من الجميع تاريخ الأقوام السالفة الذى تحدّث عنه القرآن الكريم كراراً كالفراعنة ونمرود وقوم عاد وثمود، حيث عاشوا العظمة والقدرة إلّاأنّ ذلك لم يمنع من وقوعهم مورد الغضب الإلهىّ، وفى لحظات أصبحوا أثراً بعد عين ودفنتهم أمواج المشيئة الإلهيّة وسحقتهم الصيحة السماوية أو تحطّمت عروشهم وقصورهم بالزلزلة وأمثال ذلك.

وهذه المسألة لا تنحصر بالأشرار من هذا العالم، بل إنّ الأخيار والأبرار مشمولون لهذه السنّة الإلهيّة على السواء، وأنّ الدنيا لا تمثّل للجميع سوى وهماً زائلًا وهباء منثوراً.

ثمّ يتحدّث الإمام عليه السلام فى القسم الثالث عن نظرته لقاتله ويوصى أبناءه وأصحابه وصيّة مفعمة بالمحبّة والشهامة ويقول: «إِنْ أَبْقَ فَأَنَا وَلِيُّ دَمِى، وَإِنْ أَفْنَ فَالْفَنَاءُ مِيعَادِى، وَإِنْ أَعْفُ فَالْعَفْوُ لِى قُرْبَةٌ، وَهُوَ لَكُمْ حَسَنَةٌ، فَاعْفُوا «أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ»[۲۸۷]».

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۲۴۶

وما ذكره الإمام عليه السلام فى الجملة الأخيرة مقتبس من الآية الشريفة من سورة النور، الواردة فى ذيل الآيات «الإفك» عندما اتّهمت جماعة من المنافقين زوجة النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله وتصدّى القرآن الكريم لتبرئة ساحتها من التهمة الشنيعة، فكان أن أقسم بعض أثرياء الصحابة أنّهم لا يمدّون يد العون بعد الحادثة إلى الأشخاص الذين ساهموا فى نشر هذه الشائعة الموهنة، فنزلت الآية الشريفة وأمرتهم بما ذكر آنفاً:

«أ لاـ تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ»، يعنى أنّكم كما تتوقّعون من اللّه العفو والصفح فإنّ الآخرين أيضاً يتوقّعون منكم العفو والصفح فى مقابل العمل السيء الذى ارتكبوه فى حقّ زوجة النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله.

ومعلوم أنّ القصاص فى الإسلام يعدّ أصلًا فى الأحكام والتعاليم السماوية على حدّ تعبير القرآن الكريم وأنّه بمثابة الحياة للمجتمع: «وَلَكُمْ فِى الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُوْلِى الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ»[۲۸۸]، ولكن فى ذات الوقت ترك القصاص والعفو عن الجانى الذى يستحقّ العفو، يعتبر فضيلة كبيرة ومرتبة عالية من السموّ الأخلاقى والإنسانى.

وأخيراً يتحدّث الإمام عليه السلام، فى القسم الرابع والأخير من وصيّته، عن موقفه من الموت والشهادة، وهذا هو الموقف الذى انعكس فى موارد عديدة من نهج‌البلاغة أيضاً وهو أننى ليس فقط لا أخشى من الموت بل أننى أعيش العشق للشهادة فى سبيل اللّه ويقول: «وَاللَّهِ مَا فَجَأَنِى مِنَ الْمَوْتِ وَارِدٌ كَرِهْتُهُ، وَلَا طَالِعٌ أَنْكَرْتُهُ، وَمَا كُنْتُ إِلَّا كَقَارِبٍ وَرَدَ، وَطَالِبٍ وَجَدَ؛ «وَما عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرارِ»».

والعبارة الأخيرة مقتبسة من الآية الشريفة ۱۹۸ من سورة آل عمران، حيث يتحدّث القرآن الكريم فى مطلع الآية عن ثواب المتّقين ويختمها بالجملة المذكورة آنفاً.

وما جاء فى المقطع الأخير من هذه الوصية هو ما تحدّث عنه أميرالمؤمنين

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۲۴۷

علىّ عليه السلام مرّات عديدة كما فى نهج‌البلاغةوغيره، وهذا ليس شأن الإمام عليه السلام فحسب بل المؤمنين العاديين أيضاً لا يخافون الموت، وخاصّة إذا كان الموت مقترن بالشهادة، والأشخاص الذين يخافون من الموت إمّا أنّهم لا يؤمنين بالحياة بعد الموت ويتصوّرون أنّ الموت يعنى الفناء وزوال كلّ شىء ولذلك يخافون منه، أو يؤمنون بالحياة بعد الموت لكنّ صحيفة أعمالهم إلى درجة من الظلمة والتلوّث بحيث يعلمون أنّ مصيرهم بعد الموت هو بداية العذاب والألم، وأمّا الأشخاص الذين يؤمنون بالآخرة ويملكون صحيفة أعمال بيضاء ونقية، فلا مبرّر لخوفهم من الموت، بل على حدّ تعبير الإمام عليه السلام فى الخطبة ۵ من نهج‌البلاغة

تكون علاقتهم بالموت أشبه بعلاقة الطفل الرضيع بثدى امّه، أو أكثر: «وَاللَّهِ لَابْنُ أبىطالبٍ آنَس بِالْمَوْتِ مِنَ الطِّفْلِ بِثَدْيِ أَمِّهِ».
وطبقاً لما ورد فى الرواية المشهورة أنّ عبدالرحمن بن ملجم المرادى عندما ضرب الإمام عليه السلام فى محراب العبادة على امّ رأسه، قال الإمام عليه السلام: «فُزْتُ وَرَبِّ الْكَعْبَة».
ومع الالتفات إلى أنّ كلمة «قارب ، كما ورد فى لسان العرب وبعض الكتب اللغوية تعنى الشخص الذى يبحث عن الماء ليلًا أو الشخص الذى تفصله عن عين الماء مسير ليلة واحدة، فيستفاد من جملة «كَقارِبٍ وَرَدَ وَطالِبٍ وَجَدَ» الإشارة إلى أننى بالنسبة للموت والشهادة كالضمآن الذى يريد الوصول إلى منهل الماء أسرع، وقد نلت بغيتى ووجدت ضالّتى التى كنت أنتظرها سنين متمادية.
وما أشدّ التفاوت بين هذا الكلام وكلام المستكبرين الذين يعيشون بعيداً عن اللَّه عزّ وجلّ والآخرة عندما يحين أجلهم ويقعون فى شباك الموت، فنراهم يرتجفون خوفاً ويصرخون هلعاً ويتمنّون العودة إلى الدنيا وهم فى حالة الذلّة والمهانة.
يقول السيد الرضى فى ختام هذه الرسالة: «قالَ السَّيِّدُ الشَّرِيفُ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ:
أقولُ: وَقَدْ مَضى بَعْضُ هذا الْكَلامُ فيما تَقَدَّمَ مِنَ الْخُطَبِ، إلّا أنَّ فيهِ هاهُنا زِيادَةٌ أَوْجَبَتْ تَكْريرَهُ».
نفحات الولاية، ج۹، ص: ۲۴۸

تأمّلان

۱. القصاص أو العفو؟

رأينا آنفاً أنّ تشريع حكم القصاص فى الإسلام من أجل حفظ المجتمع البشرىّ من شرّ الأشرار، وكما ورد فى القرآن الكريم: «وَلَكُمْ فِي الْقِصاصِ حَياةٌ يا أُولِي الْأَلْبابِ»[۲۸۹] والأشخاص الذين يعيشون فى زماننا هذا ويخالفون حكم القصاص فهم فى الواقع يترحّمون على الذئاب العاوية، ويسمحون للأبرياء أن يقعوا فى مصائد هذه الذئاب والوحوش الكاسرة ولا يهتمّون بذلك، فهناك أفراد من الأشرار فى المجتمع إذا شعروا بالأمن من القصاص فلا أحد يستطيع منعهم من ارتكاب أيّة جريمة فى حقّ الأبرياء، وأحد عوامل زيادة نسبة القتل فى بعض المجتمعات البشرية يعود إلى إلغاء حكم القصاص فى تلك المجتمعات.
ولكنّ الإسلام، ومن أجل التصدّى للعنف والعداون بالمقدار الممكن، يمنح الأشخاص الذين ارتكبوا جريمة القتل بدافع من الانفعال العفوىّ أو الغرور فرصة أخرى، حيث ضمّ إلى جانب حكم القصاص حكم العفو، وخيّر أولياء الدم بين القصاص والعفو، ولكن أولياء اللَّه يختارون دائماً الخيار الثانى، ولهذا السبب فقد أوصى الإمام عليه السلام أبناءه وأصحابه فى وصيّته مورد البحث العفو عن القاتل، ونعلم أنّ القاتل هو ابن ملجم.
وهنا يفرض هذا السؤال نفسه، وهو أنّ أولاد الإمام عليه السلام بعد توصية الإمام عليه السلام بالعفو عن القاتل لماذا رجّحوا خيار القصاص؟
الجواب عن هذا السؤال يتبيّن من خلال الالتفات إلى هذه النقطة وهى أنّ مشاعر الناس وعواطفهم الجيّاشة فى مقابل هذه الجريمة كانت إلى درجة من الشدّة بحيث أنّ العفو عن ابن ملجم سيتسبّب فى إثارة الاضطراب فى ذلك المجتمع، وعشّاق الإمام عليه السلام لا يملكون القدرة على تحمّل مثل هذا العفو، أضف إلى ذلك أنّهم
نفحات الولاية، ج۹، ص: ۲۴۹
لو سجنوا ابن ملجم فإنّ الجماهير ستهجم حينئذٍ على السجن، وإذا أطلقوا سراحه فسيقطّعونه إرباً إرباً، إذن فالأفضل إجراء حكمالقصاص عليه ليعود الهدوء إلى المجتمع.

۲. معنى «لا تُضَيِّعُوا سُنَّتَهُ»

إنّ أساس الإسلام يتمثّل فى ما ذكره الإمام عليه السلام فى هذه الوصيّة مورد البحث، حيث أكّد على التوحيد وحفظ سنّة النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله فالالتزام الواعى بمتطلّبات التوحيد فى جميع أبعاده وخاصة التوحيد فى العبودية والأفعال، من شأنه أن يكون مصدراً لجميع الخيرات والبركات، فاللجوء إلى ساحة كبريائه ورحمته الواسعة من شأنه أن يفعّل شفاعة الشفعاء أيضاً، فاللَّه تعالى هو الذى بيده مصائر العباد وأرزاقهم وموتهم وحياتهم، يعزّ من يشاء ويذلّ من يشاء، وهو على كلّ شىء قدير.

وأمّا حفظ سنّة النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله كذلك لا يكون بالكلام فقط، بل لابدّ من تجسيدها على أرض الواقع والممارسة، ولكن للأسف الشديد فإنّ جماعة من المسلمين اكتفوا باسم الإسلام وغفلوا عن سنّة النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله تماماً.

وجماعة أخرى فرضوا آراءهم وما توحى إليهم أهواؤهم على السنّة الشريفة من خلال القراءات الجديدة وأنماط التفسير بالرأى، ووضعوا أنفسهم وأفكارهم مكان السنّة النبوية، حتّى أنّ الإمام عليه السلام فى وصيّة أخرى له وهو على فراش الشهادة يقول:

«وَاللَّهَ اللَّهَ فِى الْقُرْآنِ، لَايَسْبِقُكُمْ بِالْعَمَلِ بِهِ غَيْرُكُمْ»[۲۹۰]، فأنتم قد تربّيتم فى ظلّ القرآن الكريم والتعاليم السماوية، فلا ينبغى الغفلة عنها ويعمل بها غيركم، ويتحلّى الآخرون بالأمان والصدق وتتلوّثون أنتم بالخيانة والكذب، وغيركم متّحدون فيما بينهم على أمر الدنيا، وأنتم مختلفون ومتفرّقون فى أمر دينكم.

ومن هنا فنحن نخشى أن يأتى ذلك اليوم الذى «لا يَبْقى مِنَ الْإِسْلامِ إلّا إسْمُهُ وَلا يَبْقى مِنَ الْقُرآنِ إلّارَسْمُهُ»[۲۹۱].

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۲۵۱

الرسالة ۲۴

اشارة

بِما يُعْمَلُ فى أموالِهِ، كَتَبَها بَعْدَ مُنْصَرَفِهِ مِنْ صِفّين ۲۹۲]:

نظرة إلى الرسالة

يتبيّن من هذه الرسالة أن القسم الأكبر منها، - كما يفهم من سياقها، - وقف لا وصيّة، والوصيّة تشكّل قسماً صغيراً منها، وخلاصة ما ورد فيها أنّ متولّى الوقف هم أبناء أميرالمؤمنين علىّ عليه السلام الإمام الحسن المجتبى عليه السلام وبعده الإمام الحسين الشهيد عليه السلام، وبيان صارف الموقوفة وكيفية تقسيمها وإدارة بساتين النخيل ويستفاد من مجموع هذه الوصيّة أنّ الإمام عليه السلام كان يملك بساتين نخل عديدة فى مناطق مختلفة، وامتلكها إمّا من خلال نصيبه من الغنائم الحربية أو بسعيه وجهده، وقد أوقفها جميعاً فى موارد الوقف العام ليتسنّى للجميع الاستفادة منها.

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۲۵۲

ويشير الأخير منها إلى الجوارى وكيفية فتح الباب أمام تحريرهنّ وعتقهنّ.

ويستفاد أيضاً من كلام السيد الرضىّ فى ذيل هذه الرسالة أنّه كان شديد الاهتمام بهذه الرسالة حيث تتضمّن فصاحة عالية وبلاغة رائعة.

***

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۲۵۳

هَـذَا مَـا أَمَرَ بِهِ عَبْـدُاللَّهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِى طَـالِبٍ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِى مَـالِهِ، ابْتِغَـاءَ وَجْهِ اللَّهِ، لِيُولِجَهُ بِهِ الْجَنَّةَ، وَيُعْطِيَهُ بِهِ الْأَمَنَةَ. مِنْهَـا: فَـإِنَّهُ يَقُومُ بِـذَلِكَ الْحَسَنُ ابْنُ عَلِيٍّ يَأْكُلُ مِنْهُ بِالْمَعْرُوفِ، وَيُنْفِقُ مِنْهُ بِالْمَعْرُوفِ، فَإِنْ حَـدَثَ بِحَسَنٍ حَـدَثٌ وَحُسَـيْنٌ حَيٌّ، قَامَ بِالْأَمْرِ بَعْدَهُ، وَأَصْدَرَهُ مَصْـدَرَهُ. وَإِنَّ لِابْنَىْ فَاطِمَـةَ مِنْ صَدَقَـةِ عَلِيٍّ مِثْلَ الَّذِى لِبَنِى عَلِيٍّ، وَإِنِّى إِنَّمَا جَعَلْتُ الْقِيَامَ بِـذَلِكَ إِلَى ابْنَىْ فَاطِمَـةَ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ، وَقُرْبَةً إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صـلى الله عليه و آله، وَتَكْرِيمـاً لِحُرْمَتِهِ، وَتَشْـرِيفاً لِوُصْـلَتِهِ. وَيَشْـتَرِطُ عَلَى الَّذِى يَجْعَلُهُ إِلَيْهِ أَنْ يَتْرُكَ الْمَـالَ عَلَى أُصُولِهِ، وَيُنْفِقَ مِنْ ثَمَرِهِ حَيْثُ أُمِرَ بِهِ وَهُـدِىَ لَهُ، وَأَلَّا يَبِيعَ مِنْ أَوْلَـادِ نَخِيـلِ هَـذِهِ الْقُرَى وَدِيَّةً حَتَّى تُشْـكِلَ أَرْضُـهَا غِرَاسـاً. وَمَنْ كَـانَ مِنْ إِمَائِى- اللاتِى أَطُوفُ عَلَيْهِنَّ- لَهَا وَلَـدٌ، أَوْ هِىَ حَامِلٌ، فَتُمْسَكُ عَلَى وَلَدِهَا وَهِىَ مِنْ حَظِّهِ، فَإِنْ مَاتَ وَلَدُهَا وَهِىَ حَيَّةٌ فَهِىَ عَتِيقَةٌ، قَدْ أَفْرَجَ عَنْهَا الرِّقُّ، وَحَرَّرَهَا الْعِتْقُ.

الشرح والتفسير: توصيات مدروسة لإدارة الموقوفات

سبق وأن أشـرنا آنفاً إلى أنّ هذه الوصـيّة تتّخذ شـكل الوقف فى الأصل، ولذلك ورد فيها أركان الوقف، الموقوف عليهم، المتولّى و ... واحداً بعد الآخر.

بدايـة يتحدّث الإمام عليه السـلام عن الوقف والغرض من الوقف، ويقول: «هَـذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْـدُاللَّهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِىطَالِبٍ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِى مَالِهِ، ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ، لِيُولِجَهُ بِهِ الْجَنَّةَ، وَيُعْطِيَهُ بِهِ الْأَمَنَةَ».

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۲۵۴

ويستفاد جيّداً من هذه العبارة أنّ أحد شـروط الوقف قصد القربة حيث ذُكر هذا الشرط فى سند الوقف، وبعد ذلك مباشرة ذكر اسم الواقف.

أمّا الوصف بكلمة أميرالمؤمنين بعد أن ذكر الإمام عليه السـلام اسمه المبارك، فهذا يشير إلى أنّ كتابة هذا السند من الوقف كان فى أيّام حكومته وخلافته رغم أنّ الإمام علىّ عليه السـلام كان يعرف بأميرالمؤمنين من قِبل المطّلعين واولوالألباب بعـد رحلة النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله.

ثمّ إنّ الإمـام عليه السـلام يبيّن فى قسم آخر من هـذه الوصـيّة «سـند الوقف» أربع نقـاط، والسيّد الرضـىّ فصّـلها بعبـارة، «منهـا»: بيان الشـخص المتولّى وحقّ التوليـة ومصارف الوقف والأشخاص الذين يتولّون الوقف بعد وفاة أو استشهاد المتولّى الأول وهو القائم مقامه ويقول: «مِنْهَا: فَإِنَّهُ يَقُومُ بِذَلِكَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ يَأْكُلُ مِنْهُ بِالْمَعْرُوفِ، وَيُنْفِقُ مِنْهُ بِالْمَعْرُوفِ، فَإِنْ حَدَثَ بِحَسَنٍ حَدَثٌ وَحُسَـيْنٌ حَيٌّ، قَامَ بِالْأَمْرِ بَعْدَهُ وَأَصْدَرَهُ مَصْدَرَهُ».

وجملـة: «يَأْكُـلُ مِنْهُ بِـالْمَعْرُوفِ» يمكن أن يكون إشـارة إلى حقّ التوليـة وربّمـا تكون إشارة إلى اسـتفادة الموقوف عليهم منها، ولكنّ الاحتمال الأوّل أقرب إلى سياق العبارة مع الالتفات إلى أنّ الأفعال فى الجمل المذكورة للمستقبل.

وجملـة: «وَيُنْفِقُ مِنْهُ بِالْمَعْرُوفِ» أنّ هذه الموقوفة تتمتّع بجهة الوقف الخاص والوقف العام أيضاً، فبعضـها يتعلّق بأبناء الإمام عليه السلام والقسم الآخر يتعلّق بجميع المحتاجين والمسلمين.

وجملـة: «وَأَصْـدَرَهُ مَصْـدَرَهُ» إذا كان ضـمير «مصدره» يعود إلى الموقوفة فإنّ مفهومها أنّ الإمام الحسـين عليه السـلام يعمل فى منتوج ومحصول هـذه الموقوفة عمل الإمام الحسن عليه السـلام، وإذا كان الضـمير يعود إلى الإمام الحسن عليه السـلام فإنّ مفهومه أنّ الإمام الحسـين عليه السلام يتبع سـيرة الإمـام الحسن عليه السـلام فيهـا، ورغم أنّ نتيجـة كلا هـذين الاحتمالين واحـدة، إلّاأنّهما مختلفان فى المفهوم من السياق، وعلى أيّة حال فالاحتمال الأوّل

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۲۵۵

يبدو أقوى من الثانى ۲۹۳].

ثم يبيّن الإمام عليه السلام شرحاً أوفى للموقوف عليهم ويقول: «وَإِنَّ لِابْنَیْ فَاطِمَةَ مِنْ صَدَقَةِ عَلِیٍّ مِثْلَ الَّذِی لِبَنِی عَلِیٍّ».

ولهـذه العبـارة تفسـيران: الأـوّل، كمـا أشـرنا إليه آنفـاً أنّ انتفـاع الإمام الحسن والإمام الحسـين عليهما السـلام من حقّ التوليـة لا يمنع انتفاعهما من محصول تلك الموقوفة على أنهما من الموقوف عليهم، فالحسن والحسـين عليهما السـلام هما المتوليين للوقف وكذلك من زمرة الموقوف عليهم.

التفسـير الثانى: أنّه لا يوجد أىّ امتياز وخصوصـيهٔ للاسـتفادة من الموقوفة من أبناء الإمام علىّ عليه السـلام، سواء كانوا من أبناء فاطمة عليها السلام أم من نسل الزوجات الاخريات لأميرالمؤمنين عليه السلام.

فالإمام عليه السـلام فى هـذه الجملـة لم يقل: «أبنائى من نسل فاطمـة» بل قال: ابنى فاطمـة عليها السـلام وهـذا يشـير إلى غاية الاحترام للمقام الشامخ للزهراء عليها السلام.

وبعـد ذلك يبيّن الإمام عليه السـلام هـذه النقطـة، وهى أنّه لماذا جعل توليهٔ الموقوفة بيد أبناء فاطمة لا سائر أبنائه الآخرين: «وَإِنِّی إِنَّمَا جَعَلْتُ الْقِيَامَ بِذَلِکَ إِلَى ابْنَیْ فَاطِمَةَ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ، وَقُرْبَةً إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه و آله، وَتَكْرِيماً لِحُرْمَتِهِ، وَتَشْرِيفاً لِوُصْلَتِهِ».

والحقيقة أنّ الإمام عليه السـلام بيّن فى هذه العبارة أربعة أدلّة مرتبطة ببعضها على هذا الاختيار: ابتغاء وجه اللَّه، التقرّب إلى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، إكراماً واحتراماً له ولحرمته، والتشرّف بقرابته.

وعلى حدّ قول ابن أبىالحديد أنّه عندما يتمّ تسـليم الأمور إلى أقرب المقرّبين من الأشـخاص الذين يتمّعون باللياقة والجدارة الكاملة، فإنّ قبول ذلك من قِبل

نفحات الولايهٔ، ج۹، ص: ۲۵۶

سائر الناس سيكون أقرب وأيسر، لأنّ الأقربون أكثر من أىّ شخص آخر على معرفة بسنّة النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله ودينه وسنّته وأنّهم أجدر من الآخرين لحفظ هذه الرسالة والقيام بمتطلّباتها والدفاع عنها.

يقول ابن أبىالحديد فى شـرح هذا الكلام: «ثم قال: إنّما فعلت ذلك لشـرفهما برسول اللَّه صلى الله عليه و آله، فتقرّبت إلى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، بأن جعلت لسبطيه هذه الرئاسة، وفى هذا رمز كناية إلى من صرف الأمر عن أهل بيت رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، مع وجود من يصلح للأمر، أى كان الأليق بالمسلمين والأولى أن يجعلوا الرئاسـة بعده لأهل قرابة رسول اللَّه صـلى الله عليه و آله وتكريماً لحرمته، وطاعـة له، وتعظيماً لقـدره صـلى الله عليه و آله أن تكون ورثته سوقة يليهم الأجانب، ومن ليس من شـجرته وأصـله، ألاترى أنّ هيبة الرسالة والنبوّة فى صدور الناس أعظم إذا كان السلطان والحاكم فى الخلق من بيت النبوّة، وليس يوجد مثل هذه الهيبة والجلال فى نفوس الناس للنبوّة إذا كان السلطان الأعظم بعيد النسب من صاحب الدعوة عليه السلام»[۲۹۴].

وهنـا ربّمـا يثير البعض هـذا السؤال، وهو: لمـاذا لم يعيّن الإمام عليه السـلام المتولين للوقف بعـد الإمام الحسن والإمام الحسـين عليهما السلام؟

الجواب: إنّ الإمام عليه السـلام بيّن ذلك فى الروايات التى تذكر جميع هذه الوصـيّة بشـكل مفصل، ولكن السـيد الرضى الذى انتهج منهج الانتقاء فى نقل كلمات الإمام عليه السلام حذف هذا القسم من الوصيّة، والخلاصة أنّ الإمام علىّ عليه السلام جعل توليهٔ الوقف بعـد الإمام الحسن والإمام الحسـين صـلى الله عليه و آله بيـد سائر أبنائه، ولو لم يوجـد بينهم شـخص مناسب لهذا الأمر، فإنّه ينبغى أن يتولّى هذه الموقوفة رجال آخرين من آل أبى طالب، وإنّ فُقد من بينهم الشـخص المناسب لتولّى هذا الأمر فتنتقل التولية إلى شـخص آخر من بنى هاشم ۲۹۵].

نفحات الولايهٔ، ج۹، ص: ۲۵۷

وفى المقطع الأخير من هذا السـند والوصـيّة بالوقف يتحدّث الإمام عليه السـلام عن كيفية حفظ هذه الموقوفات ورعاية أمورها، ويأمر بأمرين فى هذا المجال، فيقول أوّلًا:

«وَيَشْتَرِطُ عَلَى الَّذِى يَجْعَلُهُ إِلَيْهِ أَنْ يَتْرُكَ الْمَالَ عَلَى أُصُولِهِ، وَيُنْفِقَ مِنْ ثَمَرِهِ حَيْثُ أُمِرَ بِهِ وَهُدِىَ لَهُ».

ويعتبر ما ذكره الإمام عليه السلام هنا قاعدة كليّة فى جميع الموقوفات، فينبغى أن يبقى أصل المال سالماً ويتمّ الانتفاع فقط من محصوله وثمرته فى الوقف، وهذا التعبير أحياناً يقال عند إجراء صيغة عقد الوقف، فيقال: «أنْ لايُباعَ وَلا يُوهَبَ»، ويقول كذلك فى تعريف الوقف: «الْوَقْفُ حَبْسُ الْعَينِ وَتَسْبيلُ الثَّمَرَةِ»، ولكن الإمام عليه السلام بيّن هنا هذا المطلب للتأكيد ولئلّا يفكّر الأشخاص من الموقوف عليهم ببيع أصل النخيل وينتفعوا من أثمارها.

التوصية الثانية يقول الإمام: «وَأَلَّا يَبِيعَ مِنْ أَوْلَادِ نَخِيلِ هَذِهِ الْقُرَى وَدِيَّةً حَتَّى تُشْكِلَ أَرْضُهَا غِرَاساً».

كلمة: «وَدِيّةً» تعنى الفسائل الصغيرة التى تنمو إلى جانب النخلة وتمدّ جذورها تدريجياً وتشتدّ وتنمو حتّى يتمّ فصلها واقتطاعها من الأصل وغرسها فى مكان مناسب آخر، ولذلك ورد التعبير عنها ب «أَوْلَادِ نَخِيلِ ، وهذا العمل له فائدتان، الاولى: أن يتمّ إشغال الفضاءات الفارغة من بساتين النخيل بهذه الأغراس كما يقول الإمام عليه السلام: «تُشْكِلَ أَرْضُهَا غِرَاساً».

ومفهوم هذه العبارة، كما بيّن ذلك المرحوم السيد الرضى فى ختام هذه الوصية، أنّه يستفاد من هذه الأغراس الجديدة للنخيل بحيث يتمّ اشغال جميع أراضى بساتين النخيل بحيث يشكل تشخيصها على الناظر وهل أنّها هى النخيل السابقة، أم نخيل جديد؟

وعلى أيّة حال فإنّ تأكيد الإمام عليه السلام لإعمار هذه الموقوفات واتّساع رقعة الأراضى الزراعية جدير بالالتفات.

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۲۵۸

والفائدة الأخرى، ما يقال من أنّ فسيل النخيل لو لم تقطع وتفصل من أصلها فى الوقت المناسب ويتمّ بيعها، فإنّها ربّما تسبب ضرراً للنخلة نفسها، ومن هذا المنطلق ينبغى حفظ هذه الأغراس إلى زمن معيّن ثمّ يتمّ اقتطاعها طبقاً لتوصية الإمام عليه السلام ومفاد سند الوقف وغرسها فى الأرض الزراعية ويتمّ الاستفادة منها فى ذلك البستان الموقوف.

وهذه التوصية لا ـ تختصّ بموقوفات الإمام عليه السلام فقط، بل تشمل جميع الموقوفات من هذا القبيل، رغم أنّ المتولّين النفعيين وللأسف يتصرّفون خلاف ذلك ويعرّضون بساتين النخيل للأضرار والآفات، لأنّ بساتين النخيل لو لم تمتلىء من النخيل فإنّ الحرارة والبرودة فى الفصول المختلفة من شأنها أن تعرّض النخيل للضرر أسرع، ولكن عندما تمتلىء بساتين النخيل من أشجار النخيل فإنّها قلّما تصاب بالآفات وأشكال الضرر الأخرى.

وهذا الكلام لا يعنى غضّ النظر عن إيجاد فواصل لازمة بين أشجار النخيل فربّما يتسبّب عدم رعاية الفاصلة أيضاً إلى إضعاف النخيل والإضرار بهذه البساتين.

وضمناً ينبغى الالتفات إلى هذه النقطة، وهى أنّ أغراس النخيل يمكن أن تعدّ جزءاً من المنافع، فلا تشملها حرمة بيع الوقف، ولكن مع ذلك فالإمام عليه السلام يقول: إنّ بستان النخيل مادام يحتاج إلى هذه الأغراس فلا ينبغى بيعها إلى خارج البستان.

وفى ختام هذه الوصية، وبعد بيان المسائل المتعلّقة بالموقوفات، تعرّض الإمام عليه السلام للمسائل المتعلّقة بزوجاته من الجوارى، ويتحدّث عن بيان وضعهنّ ومصيرهنّ، بحيث يتمّ تحريرهنّ بعد وفاته، يقول: «وَمَنْ كَانَ مِنْ إِمَائِى– اللَّاتِى أَطُوفُ عَلَيْهِنَ ۲۹۶]– لَهَا وَلَدٌ أَوْ هِىَ حَامِلٌ، فَتُمْسَكُ عَلَى وَلَدِهَا وَهِىَ مِنْ حَظِّهِ، فَإِنْ مَاتَ

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۲۵۹

وَلَدُهَا وَهِىَ حَيَّةٌ فَهِىَ عَتِيقَةٌ، قَدْ أَفْرَجَ عَنْهَا الرِّقُّ، وَحَرَّرَهَا الْعِتْقُ».

وفى ذلك الزمان كان للإمام عليه السلام عدّة جوارى بحكم الزوجات، وكان له منهنّ أبناء أيضاً، ولعلّ غرض الإمام عليه السلام من زيادة الأبناء وكثرة النسل أن يزداد آل علىّ وبنو هاشم، وبذلك يتمّ الوقوف أمام تهديد الأعداء لهذا النسل المبارك ولا تتسبّب مؤامرات الأعداء فى انقراض هذه الذرّية الطاهرة.

وعلى أيّة حال فالإمام عليه السلام فى هذا المقطع من الوصية بيّن حكم الجوارى اللاتى لهنّ ولد منه أو حاملات منه، وطبقاً للقاعدة

الفقهيـة المعروفة التى يتّفق عليها جميع الفقهاء أنّ مثل هذه الجوارى والإماء يتمّ عتقهنّ من سـهم الأولاد، أو بتعبير آخر إنهنّ جزء من نصيب الأبناء من الإرث فيتمّ عتقهنّ مباشرة بعد موت المالک، لأنّه لا يحقّ لأحد أن يملک أباه أو امّه.

وأمّا بالنسبة للإماء اللائى ليس لهنّ ولد، فلم يذكر لهنّ حكم فى هذه الوصية، ولكن ورد حكمها أيضاً فى روايات أخرى ذكرت هذه الوصـية بشكل مفصّل كما وردت فى كتاب الكافى، وأنّ الإمام عليه السلام أمر بعتقهنّ جميعاً، ولكنّ السيد الرضىّ وبسبب منهجه فى التلخيص والانتقاء اكتفى بهذا المقطع من الوصية.

وهـذا يشـير إلى أنّ الإمام عليه السـلام كان يهتمّ بتحرير والعبيـد والجوارى، وأنّه كان طيلـة تاريـخ حياته المباركـة، وطبقاً لما ورد فى بعض الروايات اشترى وأعتق من كدّ يده ألف عبد «أَنَّهُ عليه السلام أَعْتَقَ أَلْفَ نَسَمَةٍ مِنْ كَدِّ يَدِهِ»[۲۹۷].

وهـذه المسألـة، أى اهتمام الإسـلام فى تحرير العبيـد تـدريجياً، تعتبر مسألـة كثيرة الأبعاد والتفاصـيل، وتشـير إلى أنّ الإسـلام يرى أنّ الأصل فى الإنسان الحرية حتّى فى المجتمع الذى يعيش ثقافة العبودية والرّق، ولكن من اللازم إيجاد برنامج

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۲۶۰

مـدروس وطويل الأمـد للوصول إلى هـذا الهـدف وتحقيق هـذه الغايـة الإنسانية، لأنّ الإعلام الفورى عن عتق جميع العبيد والإماء من شأنه إيجاد الخلل وخلق جوّ من الأزمة فى مفاصل المجتمع، وربّما يتسبّب أيضاً فى الإضرار وإهلاک الكثير من العبيد[۲۹۸].

وجملـة: «فَإِنْ مَاتَ وَلَدُهَا» إشارة إلى هذه الحقيقة، وهى أن لا يتصوّر أحد أنّ الجارية الحامل أو ذات الولد التى مات ولدها بعد موت المولى، فإنّ تلک الجارية تعود إلى حالتها السابقة من الرّق والعبودية، فالإمام عليه السلام يقول: (فإن مات ولدها وهى حيّة فهى عتيقة قد أفرج عنها وحرّرها العتق) يعنى أنّه لا يمكنها العودة إلى الحالة السابقة.

***

وفى ختـام هـذه الوصـية يقول المرحوم السيّد الرضـىّ: «قالَ الشَـريفُ: قَوْلُهُ عليه السـلام فى هـذِهِ الْوَصِـيَّةِ: «وألا يَبيعَ مِنْ نَخْلِها وَدِيَّةً»، الْوَدِيَّةُ: الْفَسيلَةُ، وَجَمْعُها وَدىّ.

وَقَوْلُهُ عليه السـلام: حتّى تُشْكِلَ أَرْضُـها غِراسـاً» هُوَ مِنْ أَفْصَحِ الْكَلامِ، وَالْمُرادُ بِهِ أَنَّ الْأَرْضَ يَكْثُرُ فيها غِراسُ النَّخْلِ حَتّى يَراها الناظِرُ عَلى غَيْرِ تِلْكَ الصِّفَةِ الَّتى عَرَفَها بِها فَيُشْكِلُ عَلَيْهِ أَمْرُها وَيَحْسَبُها غَيْرُها». وتعبير الإمام عليه السـلام بكلمـة «وَدِّيـة» تعنى غرس النخلة وجمعها «وَدى» (على وزن على).

وأمّا العبارة الأخرى للإمام عليه السـلام وهى قوله: «حَتَّى تُشْكِلَ أَرْضُها غِراساً» فهى من أفصح الكلام، ومفهومها أنّ الأغراض والنخيل ينبغى أن تكون بدرجـة من الكثرة بحيث تغطّى أجواء بسـتان النخيـل، فكـلّ شـخص قـد شاهـد هـذا البسـتان فى السـابق يصـعب عليه تشخيص هذه النخيل والبستان ويتصوّر أنّه يشاهد بستاناً آخر ويسير فى حقل آخر.

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۲۶۱

تأمّلان

١. الجواب عن سؤالين

قد تثار بعض الأسئلة وعلامات الاستفهام على هذه الوصية ويقال:

١. يسـتفاد من التعبير بالوصـيّة أنّ الإمـام عليه السـلام كـان يملک أموالًا طائلـة بحيث أنّه وقفها فى حياته، ولكن مع الالتفات إلى زهد الإمام عليه السلام المعروف، فمن أين حصل على مثل هذه الأموال؟

وكما أشـرنا قبل قليل أنّ الإمام عليه السـلام كان يملک ثلاثة مصادر ماليّة، أحدها: حصّـته من الغنائم التى تعود لجميع جنود الإسـلام

وأحياناً تشكّل مبلغاً كبيراً، الآخر: خراج الأراضی الخراجیة الذی یتعلّق بعامّة المسلمین ولا یختصّ بالمحاربین، ومقدار هذا الخراج بعد الفتوحات الإسلامیّة ازداد بشکل کبیر، وللإمام علیه السلام حصّته من هذا المورد المالی.

نفحات الولایة ؛ ج۹ ؛ ص ۲۶۱

ثالث: أنّ الإمام علیه السلام کان یعمل سنین متمادیة بزراعة الأشجار وغرس النخیل وقد أوجد بساتین عدیدة بذلک، ثمّ جعله وقفاً خاصّاً وعامّاً، فبعض هذه البساتین والحقول أوقفها علی أبنائه وذریته من آل أبی طالب وبنی هاشم، وبعضها الآخر أنفقه فی سبیل اللَّه، وما تبقّی من مال للإمام علیه السلام بوصفه میراثاً له یعدّ مبلغاً ضئلًا.

وقد ورد فی الروایات أیضاً أنّ النبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله کان یملک أموالًا وبساتین جعلها الخلفاء من جملة أموال بیت المال بذریعة أنّ الأنبیاء لا یورثون.

یقول ابن عبدربه فی الاستیعاب: «قُتِلَ عَلِیٌّ وَلا مالَ احْتَجَبَهُ وَلا دُنْیا أَصابَها»[۲۹۹].

وینقل ابن أبی‌الحدید أیضاً عن بعض المخالفین الذین اعترضوا علی الإمام أمیرالمؤمنین علیه السلام وقالوا: «إنّ أبا بکر رحل من الدنیا دون أن یترک دیناراً ولا درهماً، ولکن الإمام علیّ عندما غادر الدنیا ترک الکثیر من بساتین النخل، ثمّ یجیب ابن أبی‌الحدید عن قولهم هذا ویقول: قد علم کلّ أحد أنّ علیّاً علیه السلام قد أستخرج عیوناً

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۲۶۲

بکدّ یده فی المدینة وینبع وأحیی بها مواتاً کثیرة، ثمّ أخرجها عن ملکه وتصدّق بها علی المسلمین، ولم یمت وشیء منها فی ملکه، ألا تری إلی ما تتضمّن کتب السیر والأخبار من منازعة زید بن علیّ وعبداللَّه بن الحسن فی صدقات علیّ علیه السلام ولم یورّث علیّ علیه السلام بنیه قلیلًا من المال ولا- کثیراً إلّاعبیده وإماءه وسبعمائة درهم من عطائه، ترکها لیشتری بها خادماً لأهله قیمتها ثمانیة وعشرون دیناراً»[۳۰۰].

۲. السؤال الآخر: کیف یقول الإمام علیّ علیه السلام: إنّی جعلت الحسن متولّیاً علی الوقف فإذا مات وکان الحسین علیه السلام لا یزال علی قید الحیاة فیقوم مقامه، فهل أنّ الإمام علیّ علیه السلام لم یکن یعلم عن طریق الغیب أنّ شهادة الإمام الحسین علیه السلام تقع بعد شهادة الإمام الحسن علیه السلام بعدّة سنوات؟

والجواب عن هذا السؤال وأسئلة کثیرة أخری من هذا القبیل یمکن اختصاره بجملة واحدة، وهی أنّ الأئمّة فی أعمالهم العادیة کانوا یعتمدون علی علمهم الشخصیّ الذی یکتسبونه من الوسائل الطبیعیة لا- من علم الغیب، کما کان النبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله یعیش حیاته الطبیعیة کذلک، وکان أصحابه یعتمدون علی العلم الحاصل من القنوات العادیة، ولم یکن النبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله أو الإمام یستخدم علم الغیب سوی فی بعض الموارد الاستثنائیة.

۲. أهمّیة الوقف فی الإسلام

إنّ اهتمام الإمام أمیر المؤمنین علیّ علیه السلام بأمر الوقف، وسبقه الآخرین فی هذا العمل الخیّر، یشیر بوضوح إلی الأهمیّة البالغة للوقف فی الإسلام.

ورغم أنّ الإسلام لم یبتدع مسألة الوقف، حیث کانت موقوفات کثیرة قبل الإسلام فی المذاهب والأدیان الأخری، ولکنّ الإسلام أولی أهمیّة لهذه المسألة وأکّد علیها بوصفها صدقات جاریة.

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۲۶۳

ونقرأ فی حدیث عن أبی جعفر الباقر علیه السلام أنّ رسول اللَّه صلی الله علیه و آله مرّ برجل یغرس غرساً فی حائط له فوقف علیه

فقال: «ألا أدُلّك على غَرسٍ أثبَتُ أصلًا وأسْرَعَ إيناعاً وأطْيَب وأنْقى قال: بلى فِدَاك أبى وامّى يارسولَ اللَّه، فقال صلى الله عليه و آله: إذا أصْبَحْتَ وَأمْسَيْتَ فَقُلْ: سُبْحانَ اللَّهِ والحَمْدُ للَّهِ ولا إلهَ إلّااللَّهُ واللَّهُ أكبَرُ، فإنّ لكَ بذلِكَ إن قُلْتَهُ بِكُلِّ تَسبيحَةٍ عَشْرَ شَجَراتٍ فى الجنَّةِ مِن أنواعِ الفَاكِهَةِ وَهُنّ مِنَ الباقِيات الصّالِحات».

قال الراوى: فقال الرجل: أشهدك يارسول اللَّه أنّ حائطى هذا صدقة مقبوضة على فقراء المسلمين من أهل الصّفة، فأنزل اللَّه تبارك وتعالى: «فَأَمَّا مَنْ أَعْطى وَاتَّقى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرى»[۳۰۱]. وعلى ضوء ذلك فإنّ الوقف يعتبر سنّة إسلاميّة حسنة لمجمل الأعمال والأحكام الدينية.

وجاء فى بعض الروايات عن جابر بن عبداللَّه الأنصارىّ أنّ بعض الصحابة الصحابة كانوا يملكون أموالًا، تركوها وقفاً لهم بعد موتهم.

ونقل الشيخ الطوسى فى الأمالى عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «خَيْرُ مَا يُخَلِّفُهُ الرَّجُلُ بَعْدَهُ ثَلَاثَةٌ: وَلَدٌ بَارٌّ يَسْتَغْفِرُ لَهُ وَسُنَّةُ خَيْرٍ يُقْتَدَى بِهِ فِيهَا وَصَدَقَةٌ تَجْرى مِنْ بَعْدِهِ»[۳۰۲].

والأحاديث الشريفة فى هذا المجال كثيرة، وينبغى الالتفات إلى أنّ أحد الطرق للحيلولة دون تراكم الثروات وتكديس الأموال، الاهتمام بإشاعة ثقافة الوقف، لأنّ الوقف من شأنه إخراج الأموال من قبضة أفراد معدودين ووضع منافعها وخيراتها تحت اختيار المحرومين والمحتاجين من الناس.

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۲۶۵

الرسالة ۲۵

اشارة

كانَ يَكْتُبُها لِمَنْ يَسْتَعْمِلُه عَلَى الصَّدَقاتِ

قالَ الشريفُ: وَإنّما ذَكرنا هَنا جُمَلًا لِيُعْلَمَ بِها أنَّهُ عليه السلام كانَ يُقيمُ عِمادَ الْحَقِّ، وَيَشْرَعَ أمْثِلَةَ الْعَدْلِ، فى صَغيرِ الْأُمُورِ وَكَبيرِها وَدَقيقها وَجَليلِها[۳۰۳]

نظرة إلى الرسالة

هذه الوصيّة التى كان الإمام عليه السلام يقدّمها عادة للعاملين على جمع الزكوات وتشتمل على نكات دقيقة ونقاط مدروسة تشير إلى رعاية الأدب الإسلامى ورعاية العدالة القصوى فى شأن جميع أفراد المجتمع الإسلامى، بل تمتد لتشمل حتى الحيوانات أيضاً.

فى المقطع الأوّل من هذه الوصيّة، يأمر الإمام عليه السلام العاملين على الزكاة أن

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۲۶۶

يتحرّكوا فى عملهم بنيّة خالصة ومن موقع الالتزام بالتقوى، ولا يستخدموا اسلوب التهديد والإرعاب فى جباية الحقوق الشرعية، ولا يأخذوا من أىّ شخص أكثر من الحقّ الإلهىّ المفروض عليه.

وفى القسم الثانى من الوصيّة يشير الإمام عليه السلام إلى نقاط دقيقة فيما يتّصل بتعاملهم مع الأشخاص الذين وجب عليهم دفع الزكاة من أموالهم، وأن يكون تعاملهم معهم فى غاية اللطف والمحبّة ورعاية الأدب الإسلامى.

وفى القسم الثالث يتحدّث الإمام عليه السلام عن كيفية فرض حقّ اللَّه من أموال الناس عن طريق القرعة حتى لا يقع أىّ إجحاف لأحد من الناس فى شأن.

وفى القسم الرابع يذكر الإمام عليه السلام توصيات متعدّدة بشأن حكم المعاملة مع الحيوانات التى أَخذت من المالكين بوصفها زكاةً، وهذه التوصيات كما سنرى، أعلى وأسمى ممّا تدّعيه منظّمات حقوق الحيوان فى حماية الحيوانات.

ويضيف المرحوم الكلينى بعد نقل هذه الرسالة عن الإمام الصادق عليه السلام عن علىّ بن أبى طالب عليه السلام أنّ الإمام الصادق عليه السلام بكى، ويقول الراوى بريد بن معاوية: سمعت أبا عبداللَّه الصادق عليه السلام يقول: بعث أميرالمؤمنين عليه السلام صلوات اللَّه عليه صدقة من الكوفة إلى باديتها، فقال له: «انْطَلِقْ عَلَى تَقْوَى اللَّهِ وَحْدَهُ لَاشَرِيكَ لَهُ، وَلَا تُرَوِّعَنَّ مُسْلِماً وَلَا تَجْتَازَنَّ عَلَيْهِ كَارِهاً، وَلَا تَأْخُذَنَّ مِنْهُ أَكْثَرَ مِنْ حَقِّ اللَّهِ فِي مَالِهِ ...»، ثمّ بكى أبوعبداللَّه عليه السلام وقال: «يابريدُ واللَّهِ ما بقيتْ للَّهحرمةٌ إلّاانتُهِكتْ، ولا عُمِلَ بكتابِ اللَّهِ، ولا بسُنَّةِ نَبيّهِ فى هذا العالَم، ولا اقيمَ فى هذا الخَلْقِ حَدٌّ مُنذُ قُبِضَ أميرُالمُؤمِنين صَلوات اللَّه وسَلامه عليه، ولا عُمِلَ شَئٌ مِن الحَقِّ إلى يَوم النّاس هذا».

واللافت للنظر أنّ كاتب المصادر بعد أن ذكر هذا المقطع من كلام الإمام الصادق عليه السلام يقول: اقسم باللَّه تعالى أنّنى بكيت أكثر من مرّة عندما قرأتها فى نهج‌البلاغة قبل أن أطّلع على ما رواه صاحب الكافى من بكاء الإمام الصادق عليه السلام عند روايتها، والحمد للَّهربّ العالمين ۳۰۴].

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۲۶۷

القسم الأول

اشارة

انْطَلِقْ عَلَى تَقْوَى اللَّهِ وَحْدَهُ لَاشَرِيكَ لَهُ، وَلَا تُرَوِّعَنَّ مُسْلِماً وَلَا تَجْتَازَنَّ عَلَيْهِ كَارِهاً، وَلَا تَأْخُذَنَّ مِنْهُ أَكْثَرَ مِنْ حَقِّ اللَّهِ فِي مَالِهِ، فَإِذَا قَدِمْتَ عَلَى الْحَيِّ فَانْزِلْ بِمَائِهِمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُخَالِطَ أَبْيَاتَهُمْ، ثُمَّ امْضِ إِلَيْهِمْ بِالسَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ؛ حَتَّى تَقُومَ بَيْنَهُمْ فَتُسَلِّمَ عَلَيْهِمْ، وَلَا تُخْدِجْ بِالتَّحِيَّةِ لَهُمْ، ثُمَّ تَقُولَ: عِبَادَ اللَّهِ، أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ وَلِيُّ اللَّهِ وَخَلِيفَتُهُ، لِآخُذَ مِنْكُمْ حَقَّ اللَّهِ فِي أَمْوَالِكُمْ، فَهَلْ لِلَّهِ فِي أَمْوَالِكُمْ مِنْ حَقٍّ فَتُؤَدُّوهُ إِلَى وَلِيِّهِ؟ فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: لَا، فَلَا تُرَاجِعْهُ، وَإِنْ أَنْعَمَ لَكَ مُنْعِمٌ فَانْطَلِقْ مَعَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُخِيفَهُ أَوْ تُوعِدَهُ أَوْ تَعْسِفَهُ أَوْ تُرْهِقَهُ فَخُذْ مَا أَعْطَاكَ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ.

الشرح والتفسير: الثقة بالجمهور فى جمع الضرائب الإسلاميّة

يقدّم الإمام علىّ عليه السلام فى هذه الرسالة دستوراً كلياً وشاملًا فى البداية وفى عبارات موجزة للعاملين على جمع الزكوات، ثمّ يتطرّق إلى الجزئيات والتفاصيل، وهذا بذاته أحد أساليب الفصاحة والبلاغة، يقول: «انْطَلِقْ عَلَى تَقْوَى اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَلَا تُرَوِّعَنَّ ۳۰۵] مُسْلِماً وَلَا تَجْتَازَنَ ۳۰۶] عَلَيْهِ كَارِهاً، وَلَا تَأْخُذَنَّ مِنْهُ أَكْثَرَ مِنْ حَقِّ اللَّهِ فِي مَالِهِ».

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۲۶۸

يتحدّث الإمام عليه السلام فى هذا العبارات، مضافاً إلى الأمر بتقوى اللَّه، عن ثلاثة أمور مهمّة، الأول: إنّ العاملين على الزكاة لا ينبغى لهم ترويع الناس واستخدام أساليب العنف والغلظة، لأنّ المأمورين على أخذ الضرائب فى الماضى كانوا عندما يدخلون إلى منطقة معيّنة فإنّ أهالى تلك المنطقة يصيبهم الخوف والوحشة لئلّا يطلب منهم المأمورون مبالغ باهظة يعجزون عن دفعها ولا يطيقونها، ولكن عندما يستخدم المأمور اسلوب الرفق ويتعامل معهم بحسن الخلق، فليس فقط لا يخافون منه بل يستقبلونه بكلّ رحابة صدر.

وفى التوصية الثانية يقول الإمام عليه السلام ليس فقط عدم ترويعهم، بل أن تتصرّف بشكل يفرحون بقدومك، فأنت مأمور من قِبل أمير رحيم ورؤوف، جواد وكريم، ومن هذا الموقع يفتحون لك صدورهم وقلوبهم ويكرمون قدومك إليهم.

وفی الجملهٔ الثالثهٔ یتحدّث الإمام علیه السلام، قبل أن یأمره بأخذ حقّ اللَّه منهم بشکل کامل، یقول: لا تأخذ منهم أکثر من حقّ اللَّه من أموالهم، وهذا تأکید علی الالتزام بالتقوی واجتناب أخذ أموال الناس بدون مبرّر شرعیّ.

ثمّ إنّ الإمام علیه السلام بعد أنّ بیّن هذا الدستور الکلّی یتطرّق إلی التفاصیل، ویتحدّث عن کیفیهٔ تعامل العاملین علی الزکاهٔ مع الناس فی جبایهٔ الحقوق الإلهیّهٔ وکیفیهٔ التعامل معهم فی هذا المجال ویقول: «فَإِذَا قَدِمْتَ عَلَی الْحَیِ [۳۰۷] فَانْزِلْ بِمَائِهِمْ مِنْ غَیْرِ أَنْ تُخَالِطَ أَبْیَاتَهُمْ».

وهذه إشارهٔ إلی أنّه ینبغی لک أن لا تفرض نفسک علی الناس وتکلّفهم بما لیس من واجبهم، فربّما لا یکونوا فی سعهٍ من الحال بحیث یتقبّلون استضافتک، فی حین أنّ طبیعتهم استقبال الضیف حتّی لو لم یکن لدیهم ما یقدّمونه، أو ربّما لا یریدون أن تطّلع علی وضعهم المالی عن قرب، أو أنّک لو دخلت علی أحدهم ضیفاً فربّما

نفحات الولایهٔ، ج۹، ص: ۲۶۹

یفضی ذلک إلی امتعاض الآخرین ویتصوّرون أنّ مبعوث الإمام علیه السلام تربطه مع صاحب الدار رابطهٔ خاصّهٔ ولذلک ترک القدوم علیهم والدخول إلی بیوتهم، وعلی ضوء ذلک یأمر الإمام علیه السلام عامله أن ینزل إلی جانب عیون الماء أو الآبار ویختار منها ما یقع فی طریقهم ومورد عبورهم، والواقع أنّ هذا المکان یمثّل مرکزاً لالتقاء جمیع أفراد الحیّ، والظاهر أنّ المأمور علی جمع الصدقات لا یتوجّه إلی هذه المناطق منفرداً، بل یصطحب معه بعض الأفراد الذین یعینونه علی أموره ویحملون معه الخیمهٔ ولوازمها، والعلف وما إلی ذلک، فینصبونها إلی جانب غدیر الماء أو العین ویقیمون فی ذلک المکان.

ثمّ یضیف الإمام علیه السلام: «ثُمَّ امْضِ إِلَیْهِمْ بِالسَّکِینَهِٔ وَالْوَقَارِ؛ حَتَّی تَقُومَ بَیْنَهُمْ فَتُسَلِّمَ عَلَیْهِمْ، وَلَا تُخْدِجْ بِالتَّحِیَّهِٔ لَهُمْ».

ومعلوم أنّ التوجّه إلی القوم بسکینهٔ ووقار وإلقاء السلام والتحیّهٔ علیهم یثیر فی قلوبهم الطمأنینهٔ ویتسبّب فی شرح صدورهم وزوال کلّ أشکال الخوف والرهبهٔ من قلوبهم.

والغرض من هذه التوصیات تطهیر الذهنیهٔ فی العرف العامّ من الرسوبات التی اختزنتها الذاکرهٔ عن العشّارین وجباهٔ الضرائب فی عصر الملوک وامراء الظلم والجور، حیث یأمرون جباتهم وأزلامهم بأخذ الضرائب والعشور والخراج من الناس بأسالیب خشنهٔ، فکان الناس یتصوّرون أنّ وجود هؤلاء الجباهٔ والعشّارین بمثابهٔ البلاء السماویّ علیهم.

ومع الأخذ بنظر الاعتبار جملهٔ «لَا تُخْدِجْ من «الخداج» (علی وزن علاج) تعنی فی الأصل الجمل الذی یولد ناقص الخلقهٔ أو قبل موعده، ثمّ اطلقت هذه الکلمهٔ علی کلّ أمر ناقص، ویستفاد من هذه العبارهٔ أنّ الإمام علیه السلام یروم التأکید علی هذه الحقیقهٔ، وهی أن لا یقصّر مبعوثه فی التحیّهٔ والسلام وحسن الخلق فی التعامل مع المواطنین ولا یتعامل مع الناس کما یتعامل الکثیر من المأمورین والمسؤولین

نفحات الولایهٔ، ج۹، ص: ۲۷۰

الحکومیین مع الجمهور من موقع الفوقیهٔ والتعالی وحتی أنّهم لا یردون علیهم جواب سلامهم، وبعبارهٔ أخری أنّ تعامل المأمورین مع الناس یجب أن ینطلق من موقع الودّیهٔ والصداقهٔ وعلی مستوی واحد بینهما.

ثمّ ینطلق الإمام علیه السلام لبیان الجزئیات المتعلّقهٔ بکیفیهٔ المطالبهٔ بالزکاهٔ بطریقهٔ شیّقهٔ فیقول فی البدایهٔ: «ثُمَّ تَقُولَ: عِبَادَ اللَّهِ، أَرْسَلَنِی إِلَیْکُمْ وَلِیُّ اللَّهِ وَخَلِیفَتُهُ، لِآخُذَ مِنْکُمْ حَقَّ اللَّهِ فِی أَمْوَالِکُمْ، فَهَلْ لِلَّهِ فِی أَمْوَالِکُمْ مِنْ حَقٍّ فَتُؤَدُّوهُ إِلَی وَلِیِّهِ».

واللافت أنّ الإمام علیه السلام یؤکّد فی هذه العبارهٔ علی ثلاثهٔ أمور: أحدها: أنّ الناس هم عباد اللَّه، الثانی: إنّ العاملین علی جمع الزکوات هم مبعوثون من قِبل ولیّ اللَّه وخلیفهٔ اللَّه، الثالث: أنّ ما یطلبونه من الناس هو حقّ اللَّه الموجود فی أموالهم.

إنّ مثل هذه العبارات من شأنها تحریک عواطف الإنسان وتجعلهم مستعدین لدفع الزکاهٔ، بل یتحرّک المستمع تحت تأثیر هذه العبارات لدفع ما علیه من الزکاهٔ والضریبهٔ من موقع العشق والشوق، ویفکّر فی نفسه أنّ مبعوث ولیّ اللَّه قد جاء إلیَّ ودعانی بوصفی

عبداللّه ولم يطلب منّى شيئاً سوى حقّ اللّه فى مالى.

وجملة: «فَهَلْ للّهِ فِى أَمْوَالِكُمْ مع العبارات اللاحقة تعتبر بحدّ ذاتها أحد الأساليب الراقية فى أخذ الضرائب، وأحياناً نرى فى بعض المناطق فى العالم المعاصر الإشارة إلى هذا الاسلوب المتحضّر، ويتلخّص فى الثقة بالناس والاعتماد على صدقهم، يعنى أنّ الجمهور يتعامل مع المسؤولين بصدق وأمانة ولذلك يسأل المأمور أفراد الشعب عن وجود زكاة فى أموالهم دون المطالبة بها مع إنكارهم، والتجربة أثبتت أنّ مثل هذا الاعتماد والثقة المتبادلة لها أثر مهمّ فى توطيد العلاقة بين الجمهور والمسؤولين، وعلى العكس من ذلك إذا افترض المسؤول الحكومى أنّ الناس يتعاملون معه بآليات الكذب والتزوير وبالتالى يتعامل معهم كالدائن فى مطالبته من المدين، فإنّ ذلك من شأنه تقويض الثقة والعلاقة بين الطرفين ويتسبّب فى دفع الناس لإخفاء أموالهم والتمويه على المسؤولين فى محاسباتهم لكى يتهرّبوا

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۲۷۱

من دفع مستحقّاتهم المالية للحكومة، وبعبارة معاصرة: ينبغى أن يفتحوا لهم دفترين:

دفتر لمحاسبة الأموال بمقدارها الحقيقىّ، ودفتر لمحاسبة المبالغ التى يدفعونها للمأمورين والعاملين على الزكاة.

وممّا يجدر ذكره أنّ الأعوام الأخيرة فى بلدنا (ايران) وفى عصرنا الحالى شهدت هذه التجربة الحضارية لأخذ الضرائب من قِبل العاملين، وكانت النتيجة تضاعف حجم الدخل السنوىّ لبيت المال من الضرائب.

وفى الاسلوب التقليدى الذى يتّبع فى مسألة الخمس يتمّ مراعاة هذا المطلب بشكل دقيق، وهو أنّ المؤمنين يتوجّهون لعلماء الدين بدوافع إلهيّة ونوايا صادقة ويقدّمون لهم ورقة حساب أموالهم ليعيّنوا لهم مقدار الخمس الواجب دفعه منها بدون أىّ إكراه وإجبار.

وطبعاً فإنّ ما قيل آنفاً، يعتبر أصلًا عامّاً بالنسبة لجميع من وجب عليه دفع الزكاة فى أموالهم، ولكن ربّما توجد بعض الاستثناءات فى الموارد أيضاً، فبعض الإنتهازيين وأصحاب النفوذ والقوّة ربّما يواجهون الحكومة الإسلاميّة من موقع الرفض ويمتنعون عن دفع زكاتهم، وفى مثل هذه الموارد يجب على الحكومة التصدىّ لهم وأخذ حقّ اللّه منهم بالقوّة لئلّا يتجرّأ الآخرون على الاقتداء بهم ويرفعوا لواء المعارضة، ولكن كما قلنا آنفاً فهذه تعدّ استثناءً من القاعدة.

ويستمرّ الإمام عليه السلام فى كلامه عن كيفية أخذ الزكاة: «فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: لَا، فَلَا تُرَاجِعْهُ، وَإِنْ أَنْعَمَ ۳۰۸] لَکَ مُنْعِمٌ فَانْطَلِقْ مَعَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُخِيفَهُ أَوْ تُوعِدَهُ أَوْ تَعْسِفَهُ ۳۰۹] أَوْ تُرْهِقَهُ ۳۱۰]».

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۲۷۲

والأمر الجميل هنا أنّ الإمام عليه السلام يتحدّث بغاية اللطف والمحبّة عن الشخص الذى يعترف بوجود زكاة فى أمواله ويبيّن كيفية التعامل معه فى أربع جمل قصيرة تتضمّن توصيات للعامل على جباية المال، الأولى يقول: إنّه لا ينبغى لك أن تخيفه، مثلًا تقول له: إذا لم تدفع زكاتک بشكل كامل فسوف تتعرّض للعقوبة، والاخرى أن لا تأخذ منهم شيئاً باسلوب التهديد، والثالثة: أن لا تتشدّد فى أمر جباية الزكاة، والرابعة: أن لا تثير له مشاكل ولا ترهقه فى المطالبة والحساب، يعنى يجب عليک أن تتعامل معه كالشريک الودود الذى يتعامل مع شريكه بآلية الصفح وغضّ الطرق، فعندما يعترف الطرف المقابل بوجود حقّ اللّه فى أمواله فإنّ هذا الاعتراف منه يستحقّ كلّ احترام ويعتبر بحدّ ذاته قيمة أخلاقية وإنسانية ينبغى الردّ عليها والتعامل معها بالمثل.

تأمّل: آداب جمع الزكاة وحقوق بيت المال

إنّ ما ورد أعلاه يمثّل جانباً من تعاليم الإسلام فى ما يتّصل بجمع الزكاة وأموال بيت المال وكيفية التعامل مع أصحاب الأموال.

ونقرأ فى الآيات شريفة أنّ القرآن الكريم الذى أسّس لهذا مفهوم، يأمر النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله بأن يأخذ من المُتموّلين صدقة وزكاة تطهّرهم وتزكّيهم من لوث حبّ الدنيا والتكالب على الأموال والثروات، ثمّ يأمره بعد دفع الزكاة أن يصلّى عليهم ويدعو

لهـم لتکـون صـلاته ودعـاءه لهـم سـکناً لنفوسـهم: «خُذْ مِنْ أَمْـوالِهِمْ صَدَقَـةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَکِّیهِمْ بِهـا وَصَـلِّ عَلَیْهِمْ إِنَّ صَـلاتَکَ سَـکَنٌ لَّهُم»[۳۱۱].

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۲۷۳

وفی هـذا المجال وردت فی المصادر الحدیثیة روایات عدیدة تبیّن جزئیات وتفاصـیل أخری لآداب أخذ الزکاة، منها ما أورده العلّامة المجلسی فی (الجزء ۹۳ من بحار الأنوار فی الباب ۹ تحت عنوان أدب المصّدّق) وفیها أحادیث کثیرة فی عشر صفحات ۸۰ إلی ۹۰).

ومن ذلک أنّه ینقل: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلی الله علیه و آله نَهَی أَنْ یُحْلَفَ النَّاسُ عَلَی صَدَقَاتِهِمْ وَقَالَ: هُمْ فِیهَا مَأْمُونُونَ یَعْنِی أَنَّهُ مَنْ أَنْکَرَ أَنْ یَکُونَ لَهُ مَالٌ تَجِبُ فِیهِ زَکَاةٌ وَلَمْ یُوجَدْ ظَاهِراً عِنْدَهُ لَمْ یُسْتَحْلَف»[۳۱۲].

وفی حدیث آخر یرویه عن أمیرالمؤمنین علیه السلام حیث أمر أحد أصحابه والمسؤول عن جمع الزکاة بتوصیات متعدّدة منها أنّه قال: «أَنْ یَتَلَقَّاهُمْ بِبَسْطِ الْوَجْهِ وَلِینِ الْجَانِبِ وَأَمَرَهُ أَنْ یَلْزَمَ التَّوَاضُعَ وَیَجْتَنِبَ التَّکَبُّر»[۳۱۳].

وفی حدیث آخر عن أمیرالمؤمنین علیه السلام أیضاً أنّه قال: «وَإِذَا کَانَ الْجَدْبُ أُخِّرُوا حَتَّی یُخْصِبُوا»[۳۱۴].

ونقل المرحوم الشـیخ الحرّ العاملی أیضاً فی کتابه وسائل الشیعة الجزء ۶ فی کتاب الزکاة الباب ۱۴ أحادیث متعدّدة فی هذا المجال، ویسـتفاد من مجموع هـذه الأحـادیث أنّ الإسـلام ینهی عن اسـتخدام أیّ شـکل من أشـکال القوّة والإـکراه فی عملیـة جمع الضـرائب والزکاة، ویوجب علی العاملین اسـتخدام اسلوب الرفق والمداراة لمن تجب علیهم الزکاة فی أموالهم، وبعبارة أخری أنّ دفع الزکاة فی الإسـلام یدخل فی إطار المسألة الإنسانیة والأخلاقیة، حیث یتسابق فی دفعها وأدائها المؤمنون لینتفعوا من برکاتها المادیّة والمعنویة، لا أنّ الزکاة تمثّل دیناً یتمّ أخذه من المدین بأیّ نحو من الأنحاء.

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۲۷۴

وطبعاً یتسـبّب هـذا النمط من التعامل الودود والإنسانی ببعض الأضـرار، وقد أساء الإسـتفادة منه بعض الأشـخاص الانتهازیین الذین لا یروق لهم دفع الحقوق المالیـة، ولکنّ التجربـة أثبتت أنّ البرکـات المادیّـة والمعنویـة فی هـذا الأسـلوب الإنسانی فی التعامل أکثر من ضرره ولاسـیّما أنّنـا نعلم أنّ دفع الزکاة وأمثالها یعتبر فی الإسـلام نوعاً من العبادة حیث یعتبر الإسـلام قصـد القربـة وهـذا القصـد إنّما یتحقّق فی واقع الإنسان إذا اندفع الإنسان فی هذه العبادة من موقع الاختیار والرغبة وأسداها طواعیة.

ینقل المرحوم الکلینی فی الجزء الثالث من الکافی فی باب «أدب المصّدّق» ثمان روایات فی هذا المجال تعکس فی مضامینها الرحمة والرأفـة الإسـلامیّة، ومن ذلک أنّ الإمام أمیرالمؤمنین علیه السـلام عنـدما نصّب رجلًا من قبیلة بنی ثقیف والیاً علی منطقة فی ضواحی الکوفـة، أمره بمحضـر من الناس أن لا یقصّـر فی جمع الخراج ولا یترک منه ولو درهماً واحداً، ثمّ قال له: إذا أردت التوجّه إلی تلک المنطقـة أن تقـدم علیَّ. یقول ذلک الرجل: عندما ذهبت إلیه قال لی: إنّ ما قلته لک فیما یخصّ الخراج إنّما هو لحفظ الظاهر: «إیّاکَ انْ تَضْرِبَ مُسْلِماً أَوْ یَهُودِیّاً أَوْ نَصْرانِیّاً فی دِرْهَمِ خَراجٍ أَوْ تَبیعَ دابَّهَ عَمَلٍ فی دِرْهَمٍ، فَإنَّما أمِرُنا انْ نَأخُذَ مِنْهُمُ الْعَفْوَ»[۳۱۵].

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۲۷۵

القسم الثانی

اشارة

فَخُـذْ مَـا أَعْطَـاکَ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ، فَـإِنْ کَانَ لَهُ مَاشِیَـةٌ أَوْ إِبِلٌ فَلَا تَـدْخُلْهَا إِلَّا بِإِذْنِهِ، فَإِنَّ أَکْثَرَهَا لَهُ، فَإِذَا أَتَیْتَهَا فَلَا تَـدْخُلْ عَلَیْهَا دُخُولَ مُتَسَـلِّطٍ عَلَیْهِ وَلَا عَنِیفٍ بِهِ. وَلَا تُنَفِّرَنَّ بَهِیمَةً وَلَا تُفْزِعَنَّهَا، وَلَا تَسُوأَنَّ صَاحِبَهَا فِیهَا، وَاصْدَعِ الْمَالَ صَدْعَیْنِ ثُمَّ خَیِّرْهُ، فَإِذَا اخْتَارَ فَلَا تَعْرِضَـنَّ لِمَـا اخْتَارَهُ. ثُمَّ اصْـدَعِ الْبَاقِیَ صَـدْعَیْنِ، ثُمَّ خَیِّرْهُ، فَإِذَا اخْتَارَ فَلَا تَعْرِضَنَّ لِمَا اخْتَارَهُ. فَلَا تَزَالُ کَـذَلِکَ حَتَّی یَبْقَی مَا فِیهِ وَفَاءٌ لِحَقِّ اللَّهِ فِی

مَالِهِ؛ فَاقْبِضْ حَقَّ اللَّهِ مِنْهُ. فَإِنِ اسْتَقَالَکَ فَأَقِلْهُ، ثُمَّ اخْلِطْهُمَا ثُمَّ اصْنَعْ مِثْلَ الَّذِی صَنَعْتَ أَوَّلًا حَتَّی تَأْخُذَ حَقَّ اللَّهِ فِی مَالِهِ. وَلَا تَأْخُذَنَّ عَوْداً وَلَا هَرِمَةً وَلَا مَکْسُورَةً وَلَا مَهْلُوسَةً، وَلَا ذَاتَ عَوَارٍ، وَلَا تَأْمَنَنَّ عَلَیْهَا إِلَّا مَنْ تَثِقُ بِدِینِهِ، رَافِقاً بِمَالِ الْمُسْلِمِینَ حَتَّی یُوَصِّلَهُ إِلَی وَلِیِّهِمْ فَیَقْسِمَهُ بَیْنَهُمْ، وَلَا تُوَکِّلْ بِهَا إِلَّا نَاصِحاً شَفِیقاً وَأَمِیناً حَفِیظاً، غَیْرَ مُعْنِفٍ وَلَا مُجْحِفٍ، وَلَا مُلْغِبٍ وَلَا مُتْعِبٍ.

الشرح والتفسیر: غایهٔ الاحترام لمطالب الدافعین للزکاهٔ

ثمّ یضیف الإمام علیه السلام إذا کانت الزکاهٔ، علی الذهب والفضهٔ أی الدرهم والدینار أو قیمهٔ زکاهٔ الغلّات منها، فخذ منها ما أعطاک ولا تناقشه فی زیادهٔ أونقیصهٔ فی المقدار، لأنّه قد وثق بک، فینبغی علیک أیضاً أن تثق به،: «فَخُذْ مَا أَعْطَاکَ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ».

وإن کان یملک ماشیهٔ وبقراً وإبلًا فلا تدخل علیها إلّابعد أن تستأذنه فی ماله،

نفحات الولایهٔ، ج۹، ص: ۲۷۶

لأنّ أکثر هذه الأنعام ملک له سوی ما تعلّقت به الزکاهٔ وهو قلیل: «فَإِنْ کَانَ لَهُ مَاشِیَةٌ[۳۱۶] أَوْ إِبِلٌ فَلَا تَدْخُلْهَا إِلَّا بِإِذْنِهِ فَإِنَّ أَکْثَرَهَا لَهُ».

ثمّ یضیف الإمام علیه السلام: «فَإِذَا أَتَیْتَهَا فَلَا تَدْخُلْ عَلَیْهَا دُخُولَ مُتَسَلِّطٍ عَلَیْهِ وَلَا عَنِیفٍ ۳۱۷] بِهِ، وَلَا تُنَفِّرَنَّ بَهِیمَةً وَلَا تُفْزِعَنَّهَا[۳۱۸]، وَلَا تَسُوأَنَّ صَاحِبَهَا فِیهَا».

والمقصود من هذه العبارهٔ ضرورهٔ احترام ملکیهٔ المالکین لهذه الأنعام، فلا تدخل علی مکان الشیاه أو الإبل بشکل عنیف بحیث تنفر هذه البهائم وتفزع منک، بل یجب علیک مداراتها ورعایتها فلا تتحرّک بشکل یبعث علی خوفها وفزعها، لأنّ هذه الحیوانات وکذلک أصحابها یمکن أن یستاءوا من هذا الاسلوب، وهذا کلام یعبّر عن غایهٔ الأدب والخلق الذی ورد فی توصیهٔ الإمام علیه السلام لعمّاله، بحیث إنّه لا یهمل حتّی حقوق الحیوانات عند جمع الزکاهٔ، فکیف الأمر فیما یتّصل بحقوق الإنسان واحترام مشاعره وعواطفه؟!

ثمّ إنّ الإمام ومن أجل أن یقع التقسیم عادلًا فی اختیار الأغنام أو الإبل للزکاهٔ ولا یثیر اعتراض أصحاب الأموال، یوصی عامله بأن یستخدم القرعهٔ فی انتخاب مورد الزکاهٔ حتّی لا یکون هناک إجحاف علی المالک ولا علی بیت المال وعندما یقترع علی الشیاه أو الإبل یخیّر صاحب المال فی هذا المال ویقول: «وَاصْدَعِ ۳۱۹] الْمَالَ صَدْعَیْنِ ثُمَّ خَیِّرْهُ، فَإِذَا اخْتَارَ فَلَا تَعْرِضَنَّ لِمَا اخْتَارَهُ. ثُمَّ اصْدَعِ الْبَاقِیَ صَدْعَیْنِ، ثُمَّ خَیِّرْهُ، فَإِذَا اخْتَارَ فَلَا تَعْرِضَنَّ لِمَا اخْتَارَهُ. فَلَا تَزَالُ کَذَلِکَ حَتَّی یَبْقَی مَا

نفحات الولایهٔ، ج۹، ص: ۲۷۷

فِیهِ وَفَاءٌ لِحَقِّ اللَّهِ فِی مَالِهِ؛ فَاقْبِضْ حَقَّ اللَّهِ مِنْهُ».

ثمّ یضیف الإمام علیه السلام: فإذا طلب صاحب المال أن تقیله حتّی یجری اقتراع جدید، فاقبل طلبه وأعد القرعهٔ بعد أن تخلط الأنعام وتجری علیها مرّهٔ أخری التقسیم والاقتراع حتّی تأخذ منها حقّ اللّه: «فَإِنِ اسْتَقَالَکَ ۳۲۰] فَأَقِلْهُ، ثُمَّ اخْلِطْهُمَا ثُمَ اصْنَعْ مِثْلَ الَّذِی صَنَعْتَ أَوَّلًا حَتَّی تَأْخُذَ حَقَّ اللَّهِ فِی مَالِهِ».

وهنا ینبغی الالتفات إلی نقطتین هامتین: الأولی: أنّ مفهوم العبارهٔ أعلاه لا یعنی أنّک فی حال التقسیم تعمل علی فصل الأغنام أو الإبل وتجعل الجیّدهٔ منها فی جانب والمتوسّطهٔ فی جانب آخر ثم تخیّر المالک بانتخاب أحدهما لأنّ الأغنام أو الإبل من جهه متداخلهٔ ومخلوطهٔ فی الظروف العادیهٔ، ومن الطبیعی أنّه عند تقسیمها سیکون قسم منها إلی جانب والقسم الآخر فی جانب آخر، ومن جههٔ أخری أنّ هذا العمل نوع من الاقتراع، وتدخل فی مفهوم القرعهٔ هذه الحقیقهٔ، وهی أنّ التقسیم ینبغی أن یکون عادلًا، فلابدّ من إختیار أحدی الجهتین من خلال القرعهٔ.

والنقطهٔ الأخری، أننا نعلم أنّ عمر الإبل دخیل فی مقدار زکاتها، ولیست کزکاهٔ الأغنام، وعلی هذا الأساس یجب مراعاهٔ عمرها فی

عملیة التقسیم، أو نقول أنّ هذا التقسیم ناظر إلی الأغنام والبقر.

ضمناً یستفاد من مجموع هـذ الکلام أنّ دفع الزکاة یمکن أن یتمّ حسابه علی أساس القیمـة (بقرینـة التعبیر بالـذهب والفضة فی مطلع هـذا الکلام)، لأنّ هـذا الکلام لا یتحـدّث فقط عن زکاة الـدرهم والدینار بل ناظر إلی مطلق الزکاة، ویمکن أن تؤخذ الزکاة من عین المال الذی تعلّقت به الزکاة.

ولابدّ من الالتفات إلی هذه النقطة، وهی أنّ الوارد فی الروایات الإسلامیّة

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۲۷۸

وکلمـات الفقهاء أنّ الحیوانات الممتازة کالغنم والإبل الغالیـة والأنعام الحامل والـذکر منها الخاصّ بعملیـة التلقیـح مسـتثناة من ذلک، یعنی أنّ العاملین علی جمع الزکاة لا ینبغی أن یسـتثنوا هذه الأنعام من الزکاة لکسب رضا أصحاب هذه الحیوانات، بل یفوّضون أمرها لهم لیدفعونها عن طیب خاطر[۳۲۱].

ثمّ إنّ الإمام علیه السـلام یوصـی عامله علی الزکاة أن لا یأخـذ من الحیوانات من تشـکو عیباً ویختار الناقص والزهید منها ویقول: «وَلَا تَأْخُذَنَّ عَوْداً وَلَا هَرِمَةً وَلَا مَکْسُورَةً وَلَا مَهْلُوسَةً[۳۲۲]، وَلَا ذَاتَ عَوَارٍ[۳۲۳]».

ومع الالتفات إلی أنّ کلمة «عَوْد» و «هَرِم» مترادفتان فی المعنی ویقصد بهما الحیوان المسنّ، ولکن «عود» تعنی الحیوان الذی تقدّم فی السن، و «هرم» بمعنی المتقدّم فی السنّ إلی درجة کبیرة بحیث لا یصلح لشیء.

أمّا «مهلوسة» فتارة تأتی بمعنی الحیوان المریض والمسلول وأخری بمعنی کلّ حیوان مریض، والأنسب المعنی الثانی، أمّا «ذات عوار» فتعنی الحیوان الذی یشکون عیباً ونقصاً، بأن یکون فاقداً للعین أو الاذن وما إلی ذلک.

والجـدیر بالذکر أنّ الفقهاء ذهبوا إلی أنّ المقصود من هذا الحکم أنّه لو کان النصاب سالماً بأجمعه، فلا یمکن أخذ حیوان غیر سـلیم من مکـان آخر للزکـاة بـدل السـلیمة، ولکن إذا کـان جمیع النصاب مریضاً أومعیباً فلا مانع من أخـذ الزکاة منها، ولا یشترط أن یأخذ للزکاة حیواناً سالماً، وکذلک إذا کان بعض النصاب معیباً

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۲۷۹

والبعض الآـخر سالمـاً فتؤخـذ الزکـاة مـن السـالم والمعیـب، وهـذا یـدلّ علی رعایـة العدالـة الإسـلامیّة فی المسائـل المتعلّقـة بـأمور الزکاة[۳۲۴].

ومن المناسب أنّ نذکر هنا أن الإسـلام من جهة ینهی عن أخذ الحیوانات المعیبة والمسنّة والمریضة للزکاة، لأنّ ذلک یتنافی مع کون الزکـاة أمراً عبادیـاً وبمقتضـی قوله تعـالی: «لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّی تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ»[۳۲۵]، ینبغی علی الإنسـان المسـلم أن یخرج لزکاته الشـیء الطیّب والسـلیم، ومن جهـة أخری یأمر الإسـلام بوضع الأموال النخبـة والممتلکات الثمینـة بیـد أصـحابها ولا یؤخذ منها شـیء للزکـاة، لأنّ الکثیر من الناس ربّما یمتعضون ویسـتاؤون من هـذا العمل ویکونون مصـداقاً لقوله تعالی: «إِنْ یَسْأَلْکُمُوهَا فَیُحْفِکُمْ تَبْخَلُوا وَیُخْرِجْ أَضْغَانَکُمْ»[۳۲۶]، وعلی هذا الأساس یراعی الحکم الإسلامی عملیة التعادل والتوازن فی مسألة دفع الزکاة بشکل کامل.

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۲۸۱

القسم الثالث

اشارة

وَلَـا تَـأْمَنَنَّ عَلَیْهَـا إِلَّا مَنْ تَثِقُ بِـدِینِهِ، رَافِقـاً بِمَالِ الْمُسْـلِمِینَ حَتَّی یُوَصِّلَهُ إِلَی وَلِیِّهِمْ فَیَقْسِـمَهُ بَیْنَهُمْ، وَلَا تُوَکِّلْ بِهَا إِلَّا نَاصِحـاً شَـفِیقاً وَأَمِیناً حَفِیظاً، غَیْرَ مُعْنِفٍ وَلَا مُجْحِفٍ، وَلَا مُلْغِبٍ وَلَا مُتْعِبٍ. ثُمَّ احْدُرْ إِلَیْنَا مَا اجْتَمَعَ عِنْدَکَ نُصَیِّرْهُ حَیْثُ أَمَرَ اللَّهُ بِهِ، فَإِذَا أَخَذَهَا أَمِینُکَ فَأَوْعِزْ

إِلَيْهِ أَلَّا يَحُولَ بَيْنَ نَاقَةٍ بَيْنَ فَصِيلِهَا، وَلَا يَمْصُرَ لَبَنَهَا فَيَضُرَّ ذَلِكَ بِوَلَدِهَا؛ وَلَا يَجْهَدَنَّهَا رُكُوباً؛ وَلْيَعْدِلْ بَيْنَ صَوَاحِبَاتِهَا فِي ذَلِكَ وَبَيْنَهَا، وَلْيُرَفِّهْ عَلَى اللَّاغِبِ، وَلْيَسْتَأْنِ بِالنَّقِبِ الظَّالِعِ، وَلْيُورِدْهَا مَا تَمُرُّ بِهِ مِنَ الْغُدُرِ، وَلَا يَعْدِلْ بِهَا عَنْ نَبْتِ الْأَرْضِ إِلَى جَوَادِّ الطُّرُقِ، وَلْيُرَوِّحْهَا فِي السَّاعَاتِ، وَلْيُمْهِلْهَا عِنْدَ النِّطَافِ وَالْأَعْشَابِ، حَتَّى تَأْتِيَنَا بِإِذْنِ اللَّهِ بُدَّناً مُنْقِيَاتٍ، غَيْرَ مُتْعَبَاتٍ وَلَا مَجْهُودَاتٍ، لِنَقْسِمَهَا عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ صلى الله عليه و آله فَإِنَّ ذَلِكَ أَعْظَمُ لِأَجْرِكَ، وَأَقْرَبُ لِرُشْدِكَ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

الشرح والتفسير: الرأفة الإسلاميّة بالحيوانات

سبق أن رأينا أنّ الإمام عليّ عليه السلام ذكر بعض التوصيات اللازمة في كيفية أخذ الزكاة من الأشخاص الذين تعلّقت الزكاة في أموالهم، وفي هذا المقطع من الرسالة يتحدّث الإمام عليه السلام عن كيفية حفظ هذه الأموال وشكل التعامل مع الحيوانات التي اخذت بعنوان الزكاة.

بداية يطرح الإمام عليه السلام صفات الأشخاص المأمورين بنقل الزكاة إلى بيت المال، ويستعرض عدّة خصال لهم، ففي الخصلة الأولى والثانية يقول الإمام عليه السلام «وَلَا تَأْمَنَنَ

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۲۸۲

عَلَيْهَا إِلَّا مَنْ تَثِقُ بِدِينِهِ، رَافِقاً بِمَالِ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى يُوَصِّلَهُ إِلَى وَلِيِّهِمْ فَيَقْسِمَهُ بَيْنَهُمْ».

وعلى ضوء ذلك فإنّ أهمّ شرط في مثل هذا الموارد رعاية الأمانة وأن يكون العامل موثوقاً بدينه، والشرط الثاني أن يعيش الرفق والمداراة بهذه الأنعام، فإذا توفّر في المتصدّي لبيت المال والخزانة هذان الشرطان، فلا مجال لظهور مشكلة في الأمور المالية، ولا يتوقّع خيانة، ولا حدوث حيف وإفراط وتفريط في مال المسلمين.

يواصل الإمام عليه السلام استعراضه لصفات المسؤولين والمأمورين لنقل هذه الأمور فيطرح ثمانية أوصاف لهم، ويقول: وَلَا تُوَكِّلْ بِهَا إِلَّا نَاصِحاً شَفِيقاً وَأَمِيناً حَفِيظاً، غَيْرَ مُعْنِفٍ [۳۲۷] وَلَا مُجْحِفٍ [۳۲۸]، وَلَا مُلْغِبٍ [۳۲۹] وَلَا مُتْعِبٍ [۳۳۰]».

وبديهي أنّ هذه الصفات الثمانية منسجمة فيما بينها ومقتربة المعنى، فالراعي الناصح والمشفق لا يشدّ على الحيوانات في المسير ولا يتعبها، لأنّه من جهة ستصيب هذه الأنعام مشقّة، ومن جهة أخرى فإنّ هذا الاسلوب مخالف للعدالة الإسلاميّة وربّما يؤدّي إلى التقليل من وزنها أو مرضها وبالتالي سيلحق الضرر بالمستهلكين أيضاً.

والجدير بالذكر أنّ هذه التوصيات من قِبل الإمام عليه السلام قد صدرت في وقت لم يكن هناك أيّ كلام عن حقوق الحيوان بين العلماء والمفكّرين في العالم، ولا كلام عن حقوق الإنسان أيضاً، ولكنّ الإسلام بوصفه ديناً زاخراً بالقيم الأخلاقية والمثل المتعالية فإنّه قرّر لزوم رعاية حرمة الحيوانات وحقوقها في أحكامه وتعاليمه وأكّد على لزوم الرأفة بها (وسيأتي توضيح أكثر في هذا المجال في بحث التنبيهات).

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۲۸۳

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام يتعرّض لبيان توصية أخرى ويقول: «ثُمَّ احْدُرْ [۳۳۱] إِلَيْنَا مَا اجْتَمَعَ عِنْدَكَ نُصَيِّرْهُ حَيْثُ أَمَرَ اللَّهُ بِهِ».

وتنطلق هذه التوصية من دليلين: الأوّل: أنّه ربّما يوجد بعض المحتاجين والمحرومين الذين ينتظرون المساعدة من بيت المال، فلو أبطأ إيصال حقّهم إليهم فسيواجهون العسر والضيق ولا يمكنهم حلّ مشاكلهم، والآخر: أنّ تأخير إيصال هذه الأموال سيعرّضها للآفات، ومن أجل وقايتها من تلك الآفات لابدّ من الإسراع في حملها إلى بيت المال وإيصالها إلى وليّ أمر المسلمين.

وذهب بعض الشرّاح لنهج البلاغة إلى أنّ المستفاد من هذه العبارة عدّة أحكام فقهية، الأوّل، جواز نقل الزكاة من مدينة إلى أخرى، والآخر: أنّه لا يحقّ للمأمورين والعاملين على جمع الزكوات تقسيمها برأيهم، والثالث: أنّ الزكاة يجب إيصالها إلى وليّ أمر المسلمين ويتمّ تقسيمها تحت نظره وإشرافه.

وبـديهىّ أنّ هـذا الحكم يتعلّق بالمناطق القريبـة من مركز الحكومـة والخلافـة، وأمّا المناطق البعيـدة التى لا يمكن نقل مال الزكاة إلى المركز إلّابصورة نقود، فلها حكم آخر، يعنى أنّ وكلاء الإمام عليه السلام يستطيعون جمع تلك الأموال وتقسيمها فى مراكزهم ومحلّ ولايتهم.

ثمّ يبيّن الإمام عليه السلام كيفية نقل حيوانات الزكاة ويأمر عامله على الزكاة بعشرة أوامر دقيقة ويقول:

«فَإِذَا أَخَذَهَا أَمِينُكَ فَأَوْعِزْ[۳۳۲] إِلَيْهِ أَلَّا يَحُولَ بَيْنَ نَاقَةٍ وَبَيْنَ فَصِيلِهَا[۳۳۳]، وَلَا

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۲۸۴

يَمْصُرَ[۳۳۴] لَبَنَهَا فَيَضُـرَّ ذَلِكَ بِوَلَدِهَا؛ وَلَا يَجْهَدَنَّهَا رُكُوباً، وَلْيَعْدِلْ بَيْنَ صَوَاحِبَاتِهَا فِى ذَلِكَ وَبَيْنَهَا، وَلْيُرَفِّهْ عَلَى اللَّاغِبِ، وَلْيَسْـتَأْنِ ۳۳۵] بِالنَّقِبِ ۳۳۶] وَالظَّالِعِ ۳۳۷]».

ما ذكر أعلاه من كلام الإمام عليه السـلام يتضـمّن ستّة أقسام من توصـيات الإمام عليه السلام فيما يتّصل برعاية حال حيوانات الزكاة، وهى توصـيات إنسانيـة وأخلاقيـة وتـدلّ على أنّ الإسـلام يرى لزوم مراعاة حال الحيوانات أيضاً، فهذه الحيوانات لا تملك لساناً لبيان حالها، ولا قدرة على الدفاع عن نفسها.

ثمّ بيّن الإمام عليه السـلام عـدّة توصـيات أخرى فى هـذا المجال ويقول: «وَلْيُورِدْهَا مَا تَمُرُّ بِهِ مِنَ الْغُـدُرِ[۳۳۸]، وَلَا يَعْـدِلْ بِهَا عَنْ نَبْتِ الْأَرْضِ إِلَى جَوَادِّ[۳۳۹] الطُّرُقِ، وَلْيُرَوِّحْهَا فِى السَّاعَاتِ وَلْيُمْهِلْهَا عِنْدَ النِّطَافِ ۳۴۰] وَالْأَعْشَابِ ۳۴۱]، حَتَّى تَأْتِيَنَا بِإِذْنِ اللَّهِ بُدَّناً[۳۴۲] مُنْقِيَاتٍ ۳۴۳]، غَيْرَ مُتْعَبَاتٍ وَلَا مَجْهُودَاتٍ».

فى هذه التوصـيات الأربع الأخيرة يتحدّث الإمام عليه السـلام عن مأكل ومشـرب هذه الحيوانات، والغرض من ذلك أن لا تشـعر هذه الحيوانات بالعطش والجوع فى مسيرها إلى مركز الخلافة وبيت المال، فينبغى أن تشرب فى مسيرها من الماء

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۲۸۵

بالمقدار الكافى ويسار بها فى الطرق التى تكثر فيها الأعشاب والنباتات لتأكل منها.

وهذه التوصـيات مضافاً إلى الطابع الأخلاقى والإنسانى لها، تعود بالنفع إلى بيت المال والمحتاجين والمسـتحقّين لهذه الحقوق المالية، ولـذلك يقول الإمـام عليه السـلام فى نهايـة هـذا الكلام: «حَتَّى تَأْتِيَنَا بِإِذْنِ اللَّهِ بُدَّناً مُنْقِيَاتٍ، غَيْرَ مُتْعَبَاتٍ وَلَا مَجْهُودَاتٍ»، أى تأتى هذهالحيوانات سالمة ونشطة وغير مجهدة من تعب الطريق.

وفى ختام هذه الرسالة يشير الإمام عليه السلام إلى الغرض النهائى من هذه التوصيات، ويقول: «لِنَقْسِمَهَا عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ صلى الله عليه و آله»، بين المحرومين والمستضعفين دون تدخّل المنافع الشخصية فى هذه العملية.

ثمّ يضيف الإمام عليه السلام: «فَإِنَّ ذَلِكَ أَعْظَمُ لِأَجْرِكَ، وَأَقْرَبُ لِرُشْدِكَ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ».

تأمّلان

۱. التأكيد على إيصال أموال الزكاة إلى المحرومين

يؤكّـد الإمام عليه السـلام فى هـذه الرسالـة النورانيـة ثلاث مرات على هـذا الأمر، وهو أنّ أموال الزكاة بعد جمعها يجب تقسـيمها بين المحرومين والمستضـعفين، ففى مورد يقول الإمام عليه السـلام: «مالُ الْمُسْلِمِينَ ، وفى مورد آخر يقول: «فَيَقْسِمَهُ بَيْنَهُمْ وفى مورد ثالث يقول: «نُصَيِّرُهُ حَيْثُ امَرَ اللَّهُ ، فى ختام هذه الرسالة يقول: «نَقْسِمَها عَلى كِتابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ . وهذا التكرار، وإن كان على حدّ قول ابن أبى‌الحديـد: مخـالف إبتـداءً لمقتضـيات البلاغـة والفصاحـة، ولكن نظراً إلى أنّ النـاس كـانوا يعيشون فى ذلك الوقت ذكريات زمان عثمان الـذى كان يوزّع بيت المال على فئة معينة من الأشـخاص ويحرم منه المحتاجين والمعوزين، وأدّى ذلك إلى إشـتعال نار الفتنة

والثورة عليه، فالإمام عليه السلام فى هـذا المورد يكرّس حالة الطمأنينة والثقة فى قلوب الناس بتكرار هذه العبارة ثلاث مرات فى هذه الرسالة وأنّ غرضنا من ذلك و تقسيم مال المسلمين بينهم وإيصال حقوق المستحقّين إليهم.

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۲۸۶

۲. حماية الحيوانات فى الإسلام

إنّ المجتمعات البشرية كانت منذ قديم الأيّام تتعامل مع الحيوانات التى تنتفع منها من موقع الاحترام ومراعاة بعض الأصول والآداب فى ذلك، وفى بعض الموارد ربّما تصل هـذه العلاقة والتعامل إلى حدّ الإفراط وتتّخذ شكلًا من أشكال العبادة كما يلاحظ ذلك فى هـذا الزمان بين جماعة من الهندوس، حتّى تشكّلت فى هـذا العصر جمعيات الدفاع عن حقوق الحيوانات وقرّروا لـذلك قوانين ومقرّرات لضمان عدم تجاوز هذه الحقوق ضدّ الحيوانات، والأشخاص الذين لا يراعون هذه المقرّرات يتمّ الاعتراض عليهم، وبالرغم من أنّ هـذا الموضوع حاله حال سائر المواضيع التى تتعلّق بحقوق الإنسان أو الدفاع عن المعتقلين أو الأطفال وأمثال ذلك، اتّخذت فى الكثير من الموارد صبغة سياسية وتبدّلت إلى عصا غليظة لتخويف المعارضيين السياسيين، وأحياناً نراهم يغصبون حقوق آلاف الأبرياء من الناس وينفقون مليارات من الدولارات على صناعة وتطوير أسلحة الدمار الشامل، ولا يرتفع أىّ صوت بالاعتراض عليهم، ولكنّهم عندما يتعرّض حيوان للأذى مثلًا فإنّهم يرفعون عقيرتهم بالصراخ والعويل.

ولكنّ الإسلام راعى فى هـذه المسائل حدّ الاعتدال منذ البداية وأكّد على توصيات دقيقة بالنسبة للحيوانات، بحيث أنّ كلّ إنسان منصف يرى فى هذه التوصيات والمقرّرات جمالية وتعامل أخلاقى فى غاية اللطف.

وقد ورد فى كتبنا الروائية، أحاديث كثيرة فى هـذا الباب، منها ما ورد فى الأبواب المتعلّقة بالحجّ فيما يتّصل بكيفية الاستفادة من الحيوانات للركوب فى مسير الحجّ تحت عنوان «ابْوابُ احْكامِ الدَّوابِّ فِى السَّفَرِ وَغَيْرِهِ».

وقد أورد المرحوم الشيخ الحر العاملى فى كتاب وسائل الشيعة فى الجزء الثامن تحت هذا العنوان روايات كثيرة فى أكثر من خمسين باباً، وفيما يلى نستعرض بعض هذه الروايات التى أوردها فى الباب الأول:

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۲۸۷

قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله: «لِلدَّابَّةِ عَلَى صَاحِبِهَا خِصَالٌ: يَبْدَأُ بِعَلَفِهَا إِذَا نَزَلَ وَيَعْرِضُ عَلَيْهَا الْمَاءَ إِذَا مَرَّ بِهِ وَلَا يَضْرِبُ وَجْهَهَا فَإِنَّهَا تُسَبِّحُ بِحَمْدِ رَبِّهَا وَلَا يَقِفُ عَلَى ظَهْرِهَا إِلَّا فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يُحَمِّلُهَا فَوْقَ طَاقَتِهَا وَلَا يُكَلِّفُهَا مِنَ الْمَشْيِ إِلَّا مَا تُطِيقُ»[۳۴۴].

وهذا إشارة إلى أنّ بعض الأشخاص الذين يركبون هذه الدوابّ عندما يتقابلون فيما بينهم أو يمرّون على أحد المشاة يتوقّفون للسلام والتحية والحديث مع بعضهم، فينبغى للراكب أن ينزل عن ظهر الدابة إلى أن ينتهى من كلامه مع صاحبه ثمّ يركب دابته ويكمل مسيرته، لأنّ مثل هـذا التكليف إتعاب للدابة فى حال توقّف الراكب بدون مبرّر، ولكن مثل هذا التوقّف وعدم نزول الفارس إذا كان فى ميدان القتال، له ما يبرّره لوجود الخطر فى نزول الفارس من مركبه.

وفى حديث آخر عن الإمام الصادق عليه السلام قال بما يشبه هذا المضمون: «لِلدَّابَّةِ عَلَى صَاحِبِهَا سِتَّةُ حُقوق»[۳۴۵] وفى رواية أخرى ذكر سبعة حقوق.

إنّ العبارات الدقيقة الواردة فى هـذه الرواية تعكس هـذا الحقيقة الحاسمة، وهى أنّ الإسلام لم يغفل عن أدقّ التفاصيل وجزئيات المسائل فى هذا الموضوع، وأنّه قدّم أفضل التوصيات والتعاليم الإنسانية فى هذا المجال، والكثير من الأشخاص عندما يواجهون بعض القصور من دوابّهم فإنّهم يسارعون فى ضربها بالسوط، ولكنّ الإسلام أكّد على لزوم التعامل مع الدواب باسلوب حسن وعدم إلحاق الضرر والأذى بها، فنقرأ فى حديث عن الإمام زين العابدين عليه السلام أنّه توجّه أربعين مرّة من المدينة إلى مكة لزيارة بيت اللّه الحرام وكان يركب الناقة، وفى طيلة هذه المدّة لم يضرب ناقته ولا سوطاً واحداً[۳۴۶].

وفى حديث معروف ومذكور فى مصادر الشيعة وأهل السنّة: «إنّ امرأةً عُذِّبتْ

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۲۸۸

فى هِرَّةٍ قَد رَبَطتها حتّى ماتَتْ عَطشاً»[۳۴۷].

بل يستفاد من بعض الروايات أنّه لا ينبغى سبّ الحيوانات وشتمها[۳۴۸] وهذا يدلّ على أنّ الحيوانات تملك شعوراً وفهماً بحيث تتألم من السبّ والشتم، مضافاً إلى أنّ هذا الكلام البذىء من شأنه تلويث لسان الإنسان وفمه وربّما يصير تدريجياً عادة له ويتعامل مع الناس أيضاً بمثل هذا التعامل السيء.

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۲۸۹

الرسالة ۲۶

اشارة

إلى بَعْضِ عُمَّالِهِ وَقَدْ بَعَثَهُ عَلَى الصَّدَقَةِ[۳۴۹]

نظرة إلى الرسالة

يحذّر الإمام عليه السلام فى هذه الرسالة «مخنف بن سليم» من النفاق والإزدواجية فى الشخصية، وينهاه عن سوء التعامل مع الناس وعدم الاهتمام والعناية بهم، وفى مقطع آخر من الرسالة يؤكّد الإمام عليه السلام على أنّك عامل لجمع الزكاة ولك سهم منها سندفعه إليك، ولكن الباقى يتعلق بالمحتاجين والمستحقّين من هذه الامّة، فينبغى إيصاله لهم.

وفى ختام الرسالة يحذّر الإمام عليه السلام من أىّ شكل من الأشكال الخيانة فى الأمانة وأنّ خيانة الامّة وإمام الامّة تعدّ من أشنع الخيانات.

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۲۹۱

القسم الأول

اشارة

أَمَرَهُ بِتَقْوَى اللَّهِ فِى سَرَائِرِ أَمْرِهِ وَخَفِيَّاتِ عَمَلِهِ، حَيْثُ لَاشَهِيدَ غَيْرُهُ، وَلَا وَكِيلَ دُونَهُ. وَأَمَرَهُ أَلَّا يَعْمَلَ بِشَيْءٍ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ فِيمَا ظَهَرَ فَيُخَالِفَ إِلَى غَيْرِهِ فِيمَا أَسَرَّ، وَمَنْ لَمْ يَخْتَلِفْ سِرُّهُ وَعَلَانِيَتُهُ، وَفِعْلُهُ وَمَقَالَتُهُ، فَقَدْ أَدَّى الْأَمَانَةَ أَخْلَصَ الْعِبَادَةَ وَأَمَرَهُ أَلَّا يَجْبَهَهُمْ وَلَا يَعْضَهَهُمْ، وَلَا يَرْغَبَ عَنْهُمْ تَفَضُّلًا بِالْإِمَارَةِ عَلَيْهِمْ، فَإِنَّهُمُ الْإِخْوَانُ فِى الدِّينِ، وَالْأَعْوَانُ عَلَى اسْتِخْرَاجِ الْحُقُوقِ.

الشرح والتفسير: التعامل الحسن مع دافعى الضرائب الإسلاميّة

يأمر الإمام عليه السلام فى المقطع الأول من هذه الرسالة بثلاثة أوامر لعامله على جمع الزكاة، وتبدأ كلّ واحدة من هذه التوصيات بجملة «امَرَهُ».

بداية يأمره الإمام عليه السلام بلزوم تقوى اللَّه تعالى فى الظاهر والباطن، العلانية والسرّ ويقول: «أَمَرَهُ بِتَقْوَى اللَّهِ فِى سَرَائِرِ أَمْرِهِ وَخَفِيَّاتِ عَمَلِهِ، حَيْثُ لَاشَهِيدَ غَيْرُهُ، وَلَا وَكِيلَ دُونَهُ».

والجدير بالذكر أنّ الإمام عليه السلام فى هذه الجملة يشير إلى أحد أهمّ مصاديق التقوى، يعنى التقوى فى الأمور الخفية، أعمّ من النيّة الباطنية والأعمال الظاهريّة التى لا يراها سوى اللَّه تعالى، وهذا الأمر يعدّ من أهم الأمور التى لا يمكن تحقيقها وتحصيلها إلّامن خلال الإيمان باللَّه والاعتقاد بحضوره فى كلّ مكان وزمان، إنّ المشكلات التى تعيشها المجتمعات البشرية، والأزمات التى تصيب الناس، تتعلّق غالباً بهذه المسألة، فتؤخذ القرارات بمعزل عن أهل الخبرة وتنجز الأعمال بعيداً

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۲۹۲

عن أنظار الناس ويتمّ التضحية بالمنفعة العامة لصالح المنافع الشخصية غير المشروعة.

وعبارة: «حَيْثُ لَاشَهِيدَ غَيْرُهُ، وَلَا وَكِيلَ دُونَهُ» ناظرة قطعاً للأشخاص العاديين غير الحاضرين فى خلوة الإنسان، ولكنّ الملائكة المأمورين بكتابة أعمال الإنسان يعيشون معه فى كلّ مكان وزمان ويراقبون أعماله وسلوكياته فى جميع الأوقات، والأعلى من الجميع الذات المقدّسة الحاضرة فى جميع أرجاء عالم الوجود ولا يخفى عليها شىء من صغائر الأمور وكبائرها.

ثمّ يأمره الإمام عليه السلام بالأمر الثانى ويقول: «وَأَمَرَهُ أَلَّا يَعْمَلَ بِشَيْءٍ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ فِيمَا ظَهَرَ فَيُخَالِفَ إِلَى غَيْرِهِ فِيمَا أَسَرَّ».

وهذا يعنى أنّ الإنسان يجب أن يكون موحّداً فى شخصيته حيث يتطابق ظاهره مع باطنه، لأنّ اختلاف الظاهر والباطن، والخلوة والجلوة، تعتبر مصداقاً بارزاً للنفاق، والمسلم ينبغى أن يكون بريئاً ونقيّاً من النفاق.

ثمّ يذكر الإمام عليه السلام كلاماً هو بمثابة الدليل على تلك التوصية ويقول: «وَمَنْ لَمْ يَخْتَلِفْ سِرُّهُ وَعَلَانِيَتُهُ، وَفِعْلُهُ وَمَقَالَتُهُ، فَقَدْ أَدَّى الْأَمَانَةَ، وَأَخْلَصَ الْعِبَادَةَ».

ومفهوم هذا الكلام أنّ الأشخاص الذين يختلف ظاهرهم عن سريرتهم، ولا تنسجم أقوالهم مع أفعالهم، هؤلاء خونة وغير مخلصين فى طاعة اللَّه، وهذه هى الحقيقة، فهل توجد خيانة أفضع من أن يقوم الإنسان بمزاولة أعمال حسنة بقصد الرياء أمام الناس، ولكنّه عندما يخلو بربّه يسلك سلوكاً آخر، أو يقول بلسانه كلاماً مهذّباً ويعد الآخرين بوعود جميلة ويتحدّث عن الطهر والتقوى للناس ولكنّه على مستوى العمل والممارسة يتحرّك فى خطّ الهوى والانحراف ويتسبّب بالتالى بعدم ثقة الناس بالدّين وإضعاف الإيمان فى قلوبهم؟!

إنّ مثل هذه الأعمال السيئة مرفوضة ومذمومة من أىّ شخص، ولكنّها إذا صدرت من المسؤولين والمتولّين لُامور الناس فستكون أقبح وأشنع.

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۲۹۳

ويشير الإمام عليه السلام فى هذه التوصية فى مسألة الإخلاص والأمانة إلى أمرين:

أحدهما: التجانس والإنسجام فى السرّ والعلن، والآخر: الإنسجام فى القول والفعل، والحقيقة أنّ الإخلاص يقوم على أساس هذين الركنين وأنّ المرائين من الناس يفقّدون الإلتزام بأحد هذين الركنين أو بكليهما.

وطبعاً فإنّ رعاية هذا الأصل بالنسبة للمسؤولين على بيت المال أهمّ وأشدّ من الآخرين حيث يجب أن يتحلّى المسؤولون بهاتين الصفتين، وهما الحفظ والأمانة.

ونقرأ فى حديث شريف عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله أنّه قال: «مَنْ خالَفَتْ سَريرَتُهُ عَلانِيَتَهُ فَهُوَ مُنافِقٌ كائِناً مَنْ كانَ وَحَيْثُ كانَ وَفى أَيِّ أرْضٍ كانَ وَعَلى ايِّ رُتْبَةٍ كانَ»[۳۵۰].

وجاء فى حديث آخر عن الإمام الصادق عليه السلام عن لقمان الحكيم أنّه قال:

«لِلْمُنَافِقِ ثَلَاثُ عَلَامَاتٍ: يُخَالِفُ لِسَانُهُ قَلْبَهُ وَقَلْبُهُ فِعْلَهُ وَعَلَانِيَتُهُ سَرِيرَتَه»[۳۵۱].

ثمّ يطرح الإمام عليه السلام فى توصيته الثالثة ثلاثة أوامر لعامله ويقول: «وَأَمَرَهُ أَلَّا يَجْبَهَهُمْ وَلَا يَعْضَهَهُمْ، وَلَا يَرْغَبَ عَنْهُمْ تَفَضُّلًا بِالْإِمَارَةِ عَلَيْهِمْ، فَإِنَّهُمُ الْإِخْوَانُ فِي الدِّينِ، وَالْأَعْوَانُ عَلَى اسْتِخْرَاجِ الْحُقُوقِ».

وهذه ملاحظات نفسية مهمّة جدّاً فى مسألة جمع الضرائب وحقوق بيت المال وترتبط بشكل خاصّ بجميع أمور الإدارة والحكومة،

فالتعامل الجيّد مع الناس من شأنه تعميق أواصر المودّة والثقة المتبادلة بين الحكّام والمحكومين، وبالتالى تشجّع الناس على أداء الحقوق المالية والوظائف الشرعية عليهم وتجعل من المكلفّين أن يتقدّموا طواعية لدفع ما عليهم من تكاليف فى مقابل الحكومة أو المدراء، من دون حاجة لجهاز مخابرات ومأمورين غلاظ شداد ومحاكم تفتيش وما إلى ذلك، بعد أن يتحرّك الناس فى خطّ الإستقامة والمسؤولية والرسالة من موقع الوعى الكامل

نفحات الولاية، ج ۹، ص: ۲۹۴

بالوظيفة الشرعية، والتجارب الحديثة فى العصر الحاضر تؤيّد صدق هذا الكلام وصحّة هذا البيان.

صحيح أنّ البعض ربّما يسيء الاستفادة من هذه المسألة ولا يؤدّى ما عليه من حقوق لبيت المال، ولكنّ الخسارة المترتّبة على مثل هذا السلوك الحسن أقلّ بكثير ممّا لو كان التعامل معهم بآليّات الشدّة والعنف.

***

نفحات الولاية، ج ۹، ص: ۲۹۵

القسم الثانى

اشارة

وَإِنَّ لَکَ فِی هذِهِ الصَّدَقَةِ نَصِیباً مَفْرُوضاً، وَحَقّاً مَعْلُوماً، وَشُرَکَاءَ أَهْلَ مَسْکَنَةٍ، وَضُعَفَاءَ ذَوِی فَاقَةٍ، وَإِنَّا مُوَفُّوکَ حَقَّکَ، فَوَفِّهِمْ حُقُوقَهُمْ، وَإِلَّا تَفْعَلْ فَإِنَّکَ مِنْ أَکْثَرِ النَّاسِ خُصُوماً یَوْمَ الْقِیَامَةِ، وَبُؤْسَی لِمَنْ- خَصْمُهُ عِنْدَ اللَّهِ- الْفُقَرَاءُ وَالْمَسَاکِینُ وَالسَّائِلُونَ وَالْمَدْفُوعُونَ وَالْغَارِمُونِ وَابْنُ السَّبِیلِ! وَمَنِ اسْتَهَانَ بِالْأَمَانَةِ وَرَتَعَ فِی الْخِیَانَةِ وَلَمْ یُنَزِّهَ نَفْسَهُ وَدِینَهُ عَنْهَا، فَقَدْ أَحَلَّ بِنَفْسِهِ الذُّلَّ وَالْخِزْیَ فِی الدُّنْیَا، وَهُوَ فِی الْآخِرَةِ أَذَلُّ وَأَخْزَی! وَإِنَّ أَعْظَمَ الْخِیَانَةِ خِیَانَةُ الْأُمَّةِ، وَأَفْظَعَ الْغِشِّ غِشُّ الْأَئِمَّةِ، وَالسَّلَامُ.

الشرح والتفسير: اعمل بحيث لا يشكوك المحرومون يوم القيامة

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام يشير إلى نقطة مهمّة فى هذا الشأن بإمكانها أن تكون بمثابة الدليل على الكلام السابق، وهى أنّ عامل جباية الزكاة لا ينبغى له الغفلة عن هذه الحقيقة، وهى أنّه بوصفه عاملًا على جمع الزكوات له حقّ معيّن وسهم خاصّ من هذا المال، وأنّ الطوائف الأخرى من المستحقّين للزكاة هم شركاء معه فى هذا المال، فإنّ لم يراع حقّهم فى هذا المال فإنّ مصيره يوم القيامة سيكون وخيماً، يقول الإمام عليه السلام: «وَإِنَّ لَکَ فِی هذِهِ الصَّدَقَةِ نَصِیباً مَفْرُوضاً، وَحَقّاً مَعْلُوماً، وَشُرَکَاءَ أَهْلَ مَسْکَنَةٍ، وَضُعَفَاءَ ذَوِی فَاقَةٍ، وَإِنَّا مُوَفُّوکَ حَقَّکَ، فَوَفِّهِمْ حُقُوقَهُمْ».

و هذا الكلام إشارة إلى عدم معاملة أموال الزكاة كالمعاملات الخصوصية أوالشخصية، فطبقاً لصريح القرآن الكريم، أنّ هذه الأموال مشتركة بين ثمان طوائف من الناس.

نفحات الولاية، ج ۹، ص: ۲۹۶

ويبيّن الإمام عليه السلام الآثار السيّئة والمضرّة للتخلّف عن هذه التوصيات ويقول:

«وَإِلَّا تَفْعَلْ فَإِنَّکَ مِنْ أَکْثَرِ النَّاسِ خُصُوماً یَوْمَ الْقِیَامَةِ».

وهو إشارة إلى أنّ الإنسان عندما يقف فى محكمة العدل الإلهىّ فربّما يواجه بعض الشاكين والمخالفين، ويستطيع أحياناً كسب رضاهم بشكل من الأشكال وأحياناً أخرى يواجه آلافاً مؤلّفة من الشاكين والساخطين عليه بحيث لا يستطيع كسب رضا الجميع،

والأشخاص الذين يخونون بيت المال ويسرقون من الزكاة هم من هذه الفئة من الناس.

ويستمرّ الإمام فى بيان توصياته فى هذا الشأن ويقول: «وَبُؤْسَى ۳۵۲] لِمَنْ- خَصْمُهُ عِنْدَ اللّهِ- الْفُقَرَاءُ وَالْمَسَاكِينُ وَالسَّائِلُونَ وَالْمَدْفُوعُونَ ۳۵۳]، وَالْغَارِمُونَ وَابْنُ السَّبِيلِ».

ومفردة «الفُقَراء»، «المَساكين»، «السائِلون» و «المَدْفُوعُون» كلّها تشير إلى جماعة المحتاجين والمحرومين مع هذا الفارق، وهو أنّ الكثير من المفسّرين للقرآن يعتقدون بأنّ المسكين هو أسوء حالًا من الفقير، وكأنّه من شدّة فقره بلغ حدّاً أن جلس على الأرض، (لأنّ المسكين من السكون) فيجب على المسؤولين أن يهتمّوا بشكل خاصّ برعاية هذه الشريحة من الناس، لأنّهم ربّما لا يظهرون حاجتهم ويمدّون أيديهم إلى الناس وحتّى إلى بيت المال حياءً وخجلًا، فى حين أنّ السائلين أزاحوا ستار الخجل والحياء واضطرّوا لسؤال الناس ومدّوا أيديهم لطلب المعونة والمساعدة، و (المدفوعون) هم الأشخاص الذين يعيشون الغنى وعدم الحاجة بالقوّة لا بالفعل، يعنى يملكون أموالًا كافية، ولكنّ الغاصبين قد أخذوا منهم أموالهم وحرموهم من حقّهم وجعلوا منهم فقراء ومحتاجين.

وأمّا «الغارِمُون» فتعنى المدينين الذين عجزوا عن تسديد ديونهم إلى أصحابها،

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۲۹۷

أو الذين أعلنوا إفلاسهم، من الكسبة والتجّار، بدون تقصير منهم.

وذهب بعض شرّاح نهج‌البلاغة، إلى أنّ «مَدْفُوعون» تعادل كلمة «فى سَبيلِ اللَّه» الواردة فى مصارف الزكاة باعتبار أنّ هؤلاء مدفوعون لأعمال معينة بمنطلقات دينية إلهيّة، و «السائلون» تقع فى مقابل «فى الرقاب» الواردة فى الآية الشريفة باعتبار طلبهم التحرّر من الرّق والعبودية، وعلى ضوء ذلك مصارف الزكاة الثمانية الواردة فى الآية الشريفة ذكرت ستّة منها فى هذه الرسالة، وأحد مصارف الزكاة هو «العاملون عليها»، أى العاملين على جمع الزكاة، فالإمام أشار إلى ذلك سابقاً، وبقى المورد الثامن من المستحقّين للزكاة وهو المؤلفة قلوبهم حيث لم يرد فيه كلام الإمام عليه السلام بسبب أنّ هذا المورد لم يكن محلّ ابتلاء فى ذلك الوقت، مضافاً إلى أنّ العلّامة المجلسى ذكر بأنّ الإمام عليه السلام فى هذا الكلام لم يكن بصدد ذكر جميع الموارد الثمانية لمصارف الزكاة حتّى يتكلّف البعض تأويل كلمات الإمام عليه السلام بما يتّفق مع ما ورد فى الآية الشريفة.

ويطرح الإمام عليه السلام فى سياق كلامه استدلالًا متيناً فى ما يؤول إليه خونة بيت المال ومصيرهم السيّء فى الدنيا والآخرة ويقول: «وَمَنِ اسْتَهَانَ بِالْأَمَانَةِ، وَرَتَعَ ۳۵۴] فِي الْخِيَانَةِ، وَلَمْ يُنَزِّهَ نَفْسَهُ وَدِينَهُ عَنْهَا، فَقَدْ أَحَلَ ۳۵۵] بِنَفْسِهِ الذُّلَّ وَالْخِزْيَ فِي الدُّنْيَا، وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَذَلُّ وَأَخْزَى .

أمّا الذلّة والفضيحة فى الدنيا فتعود إلى أنّ الخيانات المتكرّرة لا تكاد تخفى على الآخرين فعاجلًا أم آجلًا سيفتضح الخائن وينظر إليه الناس بنظر الإزدراء والاحتقار ويلبس ثوب المذلّة والمهانة فى واقع الحياة والمجتمع، وأمّا فى الآخرة وعندما تقدّم للناس صحائف أعمالهم فذلك «يوم البروز» حيث تبرز الأعمال

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۲۹۸

الخفية وتنشر الملفّات وتذاع الأسرار على أهل المحشر، وهنا ستكون الفضيحة العظمى والخزى الأنكى.

والجدير بالذكر أنّ الإمام عليه السلام لم يكتفِ هنا بالتعبير بالخيانة فى الأمانة فقط، بل إنّه اعتبر أنّ الاستخفاف و «اسْتَهانَ بِالْامانَةِ» يعدّ منقصة كبيرة وعيباً أخلاقياً، وهذا يعكس الأهمية الفائقة للأمانة.

يشير الإمام عليه السلام فى ختام هذه الرسالة إلى نقطة أخرى، وهى أنّ الخيانة تارةً تكون بالنسبة لشخص معيّن، وأحياناً أخرى ترتكب فى حقّ الامّة، ومعلوم أنّ الخيانة فى حقّ الامّة أقبح وأخطر من الاولى، يقول: «وَإِنَّ أَعْظَمَ الْخِيَانَةِ خِيَانَةُ الْأُمَّةِ، وَأَفْظَعَ ۳۵۶] الْغِش ۳۵۷] غِشُّ الْأَئِمَّةِ، وَالسَّلَامُ».

والعلّة فى ذلك واضحة، لأنّ الإنسان إذا ارتكب خيانة فى حقّ شخص أو عدّة أشخاص فربّما يندم يوماً ويتحرّك على مستوى البحث

عن هؤلاء الأشخاص والاعتذار منهم وكسب رضاهم، ولكن إذا كانت الخيانة متوجّهة إلى الامّة فإنّ جبرانها سيكون عسيراً جدّاً وقد يكون محالًا، أضف إلى ذلك أنّ خيانة الامّة تفضى إلى الخيانة لإمام الامّة، وكسب رضا الإمام لا يعدّ أمر يسيراً.

وقد استفادالإمام عليه السلام فى هذه العبارة من مفردتين، احداهما: الخيانة، والآخرى:

الغشّ، وذلك من جهة أنّ الكثير من الخونة يستخدمون اسلوب الغشّ لإخفاء خيانتهم، وفى الحقيقة أنّهم يرتكبون مخالفتين، إحداهما الغشّ والأخرى الخيانة، ومن هذه الجهة أشار الإمام عليه السلام إلى كلا الأمرين، والسبّب فى أنّ الإمام عليه السلام ذكر الغشّ فيما يتّصل بالأئمّة، هو أنّ الخونة يخشون من الإمام وقادة الامّة، ولهذا السبب يخفون أعمالهم الشائنة وخيانتهم بطريقة الغشّ والخداع.

نفحات الولاية، ج٩، ص: ٢٩٩

تأمّلان

١. الأصناف الثمانية لمستحقّى الزكاة

ورد فى القرآ الكريم فى الآية ٦٠ من سورة التوبة بيان للموارد الثمانية لمصرف الزكاة، تقول الآية الشريفة: «إِنَّمَا الصَّدَقاتُ لِلْفُقَراءِ وَالْمَساكِينِ وَالْعامِلِينَ عَلَيْها وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى الرِّقابِ وَالْغارِمينَ وَفِى سَبيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَليمٌ حَكيمٌ»، ويمكن اختزال هذه المصارف والموارد الثمانية فى ثلاثة أصول كليّة:

الأول: المحتاجون ويشمل الفقراء المساكين والعبيد الذين يعيشون التعب والإرهاق من شدّة العمل، والغارمين ومن واجه الضيق والإفلاس فى تجارته وعمله بدون تقصير منه، وكذلك من بقى فى طريق السفر بدون مؤنة أو مال، وهذه الطوائف الخمسة تعتبر من المحتاجين، فبعضهم يحتاج لمعاشه اليومىّ من الطعام والملبس والمسكن، وبعضهم يحتاج للمال لتسديد دينه، وثالث يحتاج للمال بسبب عجزه عن مواصلة سفره لعدم المال وفقدان المتاع (وإن كان فى وطنه غنياً وغير محتاج)، وبعضهم يحتاج لإنقاذ نفسه من قيود الرقّ والعبودية.

الطائفة الثانية: الأشخاص الذين يعملون فى شأن الضرائب وجمع الزكوات وحفظها وإيصالها إلى بيت المال فيجب أن يدفع لهم اجرة المثل لعملهم.

الطائفة الثالثة: المنافع العامة للمسلمين، نفقات الجهاد فى سبيل اللّه، بناء المساجد، تأسيس المدارس، نشر وتبليغ الرسالة الإلهيّة، ولتأليف قلوب غير المسلمين وجذبهم نحو الإسلام، فهذه المصارف تتمّ تغطيتها من مال الزكاة، وهذه الطوائف الثلاث وردت فى القرآن الكريم على شكل ثمانية موارد، وفى الحقيقة أنّ هذا الحصر فى استحقاقات الزكاة يستوعب جميع حاجات المجتمع الإسلامى، ولو تمّ دفع الزكاة (وكذلك الخمس) بشكل دقيق ومدروس، فإنّ قسماً مهمّاً من المشاكل المالية سيتمّ حلّها وسدّ أشكال الخلل الاقتصادى بهذه الطريقة، كما ورد هذا المعنى

نفحات الولاية، ج٩، ص: ٣٠٠

فى الروايات الشريفة، يقول الإمام الصادق عليه السلام «لَوْ أَنَّ النَّاسَ أَدَّوْا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ مَا بَقِيَ مُسْلِمٌ فَقِيراً مُحْتَاجاً ... وَإِنَّ النَّاسَ مَا افْتَقَرُوا وَلَا احْتَاجُوا وَلَا جَاعُوا وَلَا عَرُوا إِلَّا بِذُنُوبِ الْأَغْنِيَاء»[٣٥٨].

٢. الأمانة، أصل القيم الأخلاقية فى الإسلام

تعتبر الأمانة وإلى جانبها الصدق، أصلان مهمّان فى التعاليم الدينية والمفاهيم القرآنية، ولا ينعكس هذان الأصلان الأخلاقيّان بشكل

كبير فى القرآن الكريم والروايات الإسلاميّة فحسب، بل يعدّان من جملة تعاليم ومبادىء جميع الأنبياء عليهم السلام، فنقرأ فى حديث عن الإمام الصادق عليه السلام: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَبْعَثْ نَبِيّاً إِلَّا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ إِلَى الْبَرِّ وَالْفَاجِرِ»[۳۵۹].

وهذان الأصلان إلى درجة من الأهمية بحيث أنّهما يعدّان من علائم الإيمان والتقوى الرئيسية، كما ورد عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله: «لَا تَنْظُرُوا إِلَى كَثْرَةِ صَلَاتِهِمْ وَصَوْمِهِمْ وَكَثْرَةِ الْحَجِّ وَالْمَعْرُوفِ وَطَنْطَنَتِهِمْ بِاللَّيْلِ، وَلَكِنِ انْظُرُوا إِلَى صِدْقِ الْحَدِيثِ وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ»[۳۶۰].

وفى حديث مماثل يقول الإمام الصادق عليه السلام: «لَا تَغْتَرُّوا بِصَلَاتِهِمْ وَلَا بِصِيَامِهِمْ فَإِنَّ الرَّجُلَ رُبَّمَا لَهِجَ بِالصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ حَتَّى لَوْ تَرَكَهُ اسْتَوْحَشَ وَلَكِنِ اخْتَبِرُوهُمْ عِنْدَ صِدْقِ الْحَدِيثِ وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ»[۳۶۱].

وقد وردت مثل هذه المضامين المثيرة فى روايات أخرى كذلك.

والعلّة فى كلّ هذه التأكيدات لا تحتاج إلى كثير بيان، لأنّ أهمّ رأسمال المجتمع الإسلامى هو الاعتماد المتقابل والثقة المتبادلة بين أفراده، فلو انعدم هذا الاعتماد

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۳۰۱

وزالت الثقة بين الأفراد، فإنّ ذلك من شأنه إضعاف حالة التعاون وتوهين عنصر التكاتف بين الناس، والعامل الأساس فى تقوية الاعتماد والتكاتف بين الناس يتمثّل فى مبدأ الأمانة والصدق فى التعامل والتواصل فى فضاء المجتمع، لأنّ الخيانة والكذب يؤدّيان إلى انهدام صرح الاعتماد والثقة المتبادلة فيتحوّل المجتمع البشرىّ فى النهاية إلى صحراء مقفرة من المعنويات وتسود حينئذٍ شريعة الغاب فلا يجد الإنسان مفرّاً من الجفاف المعنوىّ، وتتعمّق حالات الكراهية المتولّدة من حالات الصراع.

ومن أشنع أشكال الخيانة، كما أشار الإمام عليه السلام إلى ذلك فى هذه الرسالة، خيانة الامّة وخيانة بيت المال والحكومة الإسلاميّة، والتى تترتّب عليها آثار مدمّرة وعواقب وخيمة أشدّ بكثير من الخيانات الفردية.

***

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۳۰۳

الرسالة ۲۷

اشارة

إلى مُحَمَّدِ بْنِ أبى‌بَكْرٍ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- حينَ قَلَّدَهُ مِصْرَ[۳۶۲]

نظرة إلى الرسالة

ورد فى كتاب الغارات أنّ عليّاً عليه السلام لما أجاب محمّد بن أبى بكر رحمه الله بهذا الكتاب كان محمّد ينظر فيه ويتعلّمه ويقضى به، فلّما ظهر عليه عمرو بن العاص أخذ كتبه أجمع فبعث بها إلى معاوية بن أبى سفيان، وكان معاوية ينظر فى هذا الكتاب ويعجبه، فقال الوليد بن عقبة وهو عند معاوية لمّا رأى إعجاب معاوية به: مر بهذه الأحاديث أن تحرق، فقال له معاوية: مه، يابن أبى معيط أنّه لا رأى لك، فقال له الوليد: إنّه لا رأى لك، أتريد أن يعلم الناس أنّ أحاديث أبى تراب عندك؟! تتعلّم منها وتقضى بقضائه؟! فعلام تقاتله؟! فقال معاوية: ويحك أتأمرنى أن أحرق علماً مثل هذا؟! واللّه ما سمعت بعلم أجمع منه ولا أحكم ولا أوضح، فقال الوليد: إن

کنت

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۳۰۴

تعجب من علمه وقضائه فعلام تقاتله؟ فقال معاویة: لولا أنّ أبا تراب قتل عثمان ثمّ أفتانا لأخذنا عنه، ثم سکت هنیئة ثم نظر إلی جلسائه فقال: إنّا لا نقول: إنّ هذه من کتب علیّ بن أبی طالب، ولکن نقول: إنّ هذه من کتب أبی بکر الصدیق کانت عند ابنه محمّد بن أبی بکر.

فلم تزل تلک الکتب فی خزائن بنی امیة حتی ولّی عمر بن عبدالعزیز فهو الذی أظهر أنّها من أحادیث علیّ بن أبی طالب علیه السلام.

ویضیف صاحب الغارات: فلما بلغ- یعنی استشهاد محمّد بن أبی‌بکر- علیّ ابن أبی طالب علیه السلام وأنّ ذلک الکتاب صار إلی معاویة اشتدّ ذلک علیه (یعنی لماذا مثل هذا الکتاب الرائع الزاخر باللؤلؤ والمرجان یقع بید من لیسوا أهلًا لذلک)[۳۶۳].

وکیف کان، فإنّ هذه الرسالة طبقاً لما ذکره المرحوم السید الرضی، تتضمّن عدّة مقاطع: الأول: أنّ الإمام علیه السلام یأمر بلزوم رعایة التواضع وإقامة العدل فی معاملة الناس والتواصل معهم من موقع الرأفة والمحبّة، وفی ذات الوقت الإهتمام بإبراز القوّة والقدرة فی مقابل قوی الجور والثروة.

وفی المقطع الثانی: یتحدّث الإمام علیه السلام بشکل کلّی وشامل عن إحدی صفات المتّقین فی تعاملهم مع الدنیا والنعم المادیة فی عبارات بلیغة وزاخرة بالمعانی العمیقة، ویبیّن کیف أنّ هؤلاء المتّقین یستخدمون هذه النعم الإلهیّة فی الدنیا دون أن یتوّرطوا فی مهاوی الخطیئة ویقعوا فی شباک حبّ الدنیا.

ویشیر الإمام علیه السلام فی المقطع الثالث، إلی نهایة الحیاة وحلول الأجل ویتحدّث بکلمات بلیغة بحیث أنّ التدقیق فی مضامینها والتمعّن فی معانیها من شأنه إیقاظ کلّ إنسان من سبات الغفلة.

ویلفت الإمام علیه السلام فی المقطع الرابع نظر محمّد بن أبی بکر إلی أهمیّة وخطورة

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۳۰۵

هذه المهمّة التی کلّفها به (أی حکومة مصر)، ویشیر علیه ببعض التوصیات اللازمة فی هذ المجال.

وفی المقطع الخامس والأخیر، یعود الإمام لبیان تحلیل کلّی وشامل فی الحدیث عن الفرق بین قادة الهدی والحقّ وقادة الضلال والباطل ویشیر إلی خطر المنافقین فی المجتمع الإسلامی.

وبعد الالتفات إلی أنّ وثیقة العهد هذه مطوّلة بدرجة کبیرة لم یتمکّن السید الرضیّ من ذکرها کلّها فی کتابه، ولذلک اختار بعض الفقرات والمقاطع منها، وقد وردت هذه الرسالة کلّها فی کتاب الغارات ونهج‌البلاغة الکامل وغیرهما.

***

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۳۰۷

القسم الأول

اشارة

فَاخْفِضْ لَهُمْ جَنَاحَکَ، وَأَلِنْ لَهُمْ جَانِبَکَ، وَابْسُطْ لَهُمْ وَجْهَکَ، وَآسِ بَیْنَهُمْ فِی اللَّحْظَةِ وَالنَّظْرَةِ، حَتَّی لَایَطْمَعَ الْعُظَمَاءُ فِی حَیْفِکَ لَهُمْ، وَلَا یَیْأَسَ الضُّعَفَاءُ مِنْ عَدْلِکَ عَلَیْهِمْ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَی یُسَائِلُکُمْ مَعْشَرَ عِبَادِهِ عَنِ الصَّغِیرَةِ مِنْ أَعْمَالِکُمْ وَالْکَبِیرَةِ، وَالظَّاهِرَةِ وَالْمَسْتُورَةِ، فَإِنْ یُعَذِّبْ فَأَنْتُمْ أَظْلَمُ، وَإِنْ یَعْفُ فَهُوَ أَکْرَمُ.

الشرح والتفسير: حسن الخلق مع جميع الأفراد

كما تقدّمت الإشارة إليه آنفاً فإنّ القسم الأول من هـذا الرسالة ناظر إلى سلسلة من التوصيات الأخلاقية التى أمر الإمام عليه السلام واليه محمّد بن أبى بكر بالالتزام بها فى تواصله وتعامله مع الناس، والواقع أنّ المسلمين جميعاً يجب أن يكونوا كذلك فى توثيق وشائج المودّة والعلاقة بينهم، وهذه التوصيات تتمثّل فى أربعة أمور:

الأوّل: لزوم رعاية المودّة والمحبّة لجميع الأفراد فى المجتمع، يقول الإمام عليه السلام:

«فَاخْفِضْ لَهُمْ جَنَاحَكَ».

وهذا التعبير مقتبس من القرآن الكريم فى رسم كيفية تعامل النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله مع المؤمنين حيث تقول الآية الشريفة: «وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ»[۳۶۴]، وهذا تعبير كنائىّ مستوحىً من سلوك الطير مع فراخه، فعندما تأتى الفراخ إلى امّها فإنّ هذه الامّ ستفتح جناحها لهم وتجمع هؤلاء الفراخ تحت جناحيها إظهاراً

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۳۰۸

للمحبّة لها وحماية لهذه الفراخ من الأذى.

والأمر الثانى يقول الإمام عليه السلام: «وَأَلِنْ ۳۶۵] لَهُمْ جَانِبَكَ».

وهذا التعبير أيضاً من القرآن الكريم حيث يقول: «فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ»[۳۶۶].

وفى الأمر الثالث يقول الإمام عليه السلام: «وَابْسُطْ لَهُمْ وَجْهَكَ».

فلا ينبغى التعامل مع أىّ فرد من أفراد المجتمع بوجه عبوس وظاهر متجّهم، والحديث معهم بمنطق الاستعلاء والغرور، فإنّ هذا من شأنه إبعاد الناس عنك وتشتّتهم عن مركز القيادة، كما ورد هذا المعنى فى القرآن الكريم حيث يأمر نبىّ الإسلام صلى الله عليه و آله ويقول: «وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ»[۳۶۷].

والأمر الرابع ناظر إلى إقامة العدل فى جميع مناحى الحياة حتى فى جزئيات الأمور، يقول الإمام عليه السلام: «وَآسِ ۳۶۸] بَيْنَهُمْ فِى اللَّحْظَةِ[۳۶۹] وَالنَّظْرَةِ، حَتَّى لَايَطْمَعَ الْعُظَمَاءُ فِى حَيْفِكَ ۳۷۰] لَهُمْ ۳۷۱] وَلَا يَيْأَسَ الضُّعَفَاءُ مِنْ عَدْلِكَ عَلَيْهِمْ ۳۷۲]».

وهذا إشارة إلى أنّه لو حضر عندك رجل ثرىّ وذو نفوذ مع رجل ضعيف ومعدم لتقضى بينهم، أو لغرض آخر، فينبغى عليك مراعاة العدالة بينهما إلى حدّ أنّك إذا نظرت لحظات معدودة لأحدهما فيجب أن تنظر إلى الآخر بهذا المقدار أيضاً ولا

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۳۰۹

تهتمّ وتصغى للغنىّ أكثر من اهتمامك وإصغائك للفقير والضعيف، فلو أنّك راعيت مقتضيات العدالة فى هذه الجزئيات الصغيرة فسوف تستطيع بطريق أولى رعاية العدالة فى الأمور الأهمّ ولا يتوقّع منك الظلم والجور والانحياز لفئة خاصّة على حساب فئة أخرى.

وهذا هو الحكم الشرعى فى باب القضاء الإسلامى وفى مورد رعاية القاضى للعدالة بين المتخاصمين حيث يجب عليه مراعاة المساواة والعدالة بين المتخاصمين فيما لو حضرا عنده، فلو أرادا الجلوس فعليهما أن يجلسا معاً، وإذا عزما على الوقوف، عليهما الوقوف سويّة، فلو أنّ القاضى سلّم على أحدهما فيجب عليه أن يسلّم على الآخر، وإذا نظر إلى أحدهما لحظات فعليه أن ينظر للآخر بذلك المقدار، وإصرار الإسلام على رعاية مثل هذه التوصيات والمقرّرات إنّما هو لمنع أىّ شكل من أشكال الظلم والجور، ولا نتصوّر أنّ مثل هذا القانون فى رعاية أصل العدالة موجود فى أىّ من القوانين القضائية فى عالمنا المعاصر وبمثل هذه الدقّة.

وقد ورد فى حديث نقله الكلينى فى الكافى عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه قال: «مَنِ ابْتُلِيَ بِالْقَضَاءِ فَلْيُوَاسِ بَيْنَهُمْ فِى الْإِشَارَةِ وَفِى النَّظَرِ وَفِى الْمَجْلِسِ»[۳۷۳].

ومثل هذا المعنى ورد أيضاً فى الرسالة ۴۶ من نهج‌البلاغة والتى كتبها الإمام عليه السلام لأحد عمّاله.

ويواصل الإمام عليه السلام كلامه وتوصياته ويذكر علّة هذا الحكم ويقول: «فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُسَائِلُكُمْ مَعْشَرَ عِبَادِهِ عَنِ الصَّغِيرَةِ مِنْ

أَعْمَالِكُمْ وَالْكَبِيرَةِ، وَالظَّاهِرَةِ وَالْمَسْتُورَةِ، فَإِنْ يُعَذِّبْ فَأَنْتُمْ أَظْلَمُ، وَإِنْ يَعْفُ فَهُوَ أَكْرَمُ».

نفحات الولايهً، ج۹، ص: ۳۱۱

القسم الثانی

اشارهٔ

وَاعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّ الْمُتَّقِينَ ذَهَبُوا بِعَاجِلِ الدُّنْيَا وَآجِلِ الْآخِرَةِ، فَشَارَكُوا أَهْلَ الدُّنْيَا فِی دُنْيَاهُمْ، وَلَمْ يُشَارِكُوا أَهْلَ الدُّنْيَا فِی آخِرَتِهِمْ؛ سَكَنُوا الدُّنْيَا بِأَفْضَلِ مَا سُكِنَتْ، وَأَكَلُوهَا بِأَفْضَلِ مَا أُكِلَتْ، فَحَظُوا مِنَ الدُّنْيَا بِمَا حَظِیَ بِهِ الْمُتْرَفُونَ، وَأَخَذُوا مِنْهَا مَا أَخَذَهُ الْجَبَابِرَةُ الْمُتَكَبِّرُونَ؛ ثُمَّ انْقَلَبُوا عَنْهَا بِالزَّادِ الْمُبَلِّغِ؛ وَالْمَتْجَرِ الرَّابِحِ أَصَابُوا لَذَّةَ زُهْدِ الدُّنْيَا فِی دُنْيَاهُمْ، وَتَيَقَّنُوا أَنَّهُمْ جِيرَانُ اللَّهِ غَداً فِی آخِرَتِهِمْ. لَاتُرَدُّ لَهُمْ دَعْوَةٌ، وَلَا يَنْقُصُ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنْ لَذَّةٍ.

الشرح والتفسير: الدنيا والآخرهٔ لمن يعيش البساطهٔ والزهد

فی هـذا المقطع من الرسالـهٔ تحدّث الإمام عليه السـلام عن موضوع شامل فی بيان صـفات المتقّين وامتيازاتهم وخصالهم ليكون ذلک درساً لمحمّد بن أبی بكر ولسائر أهالی مصر، يقول الإمام عليه السلام بدايهٔ:

«وَاعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّ الْمُتَّقِينَ ذَهَبُوا بِعَاجِلِ الدُّنْيَا وَآجِلِ الْآخِرَةِ، فَشَارَكُوا أَهْلَ الدُّنْيَا فِی دُنْيَاهُمْ، وَلَمْ يُشَارِكُوا[۳۷۴] أَهْلَ الدُّنْيَا فِی آخِرَتِهِمْ».

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام تعرّض لشرح وتوضيح هذا العبارهٔ فقال: «سَكَنُوا الدُّنْيَا بِأَفْضَلِ

نفحات الولايهً، ج۹، ص: ۳۱۲

مَا سُكِنَتْ، وَأَكَلُوهَا بِأَفْضَلِ مَا أُكِلَتْ، فَحَظُوا مِنَ الدُّنْيَا بِمَا حَظِیَ بِهِ الْمُتْرَفُونَ ۳۷۵]، وَأَخَذُوا مِنْهَا مَا أَخَذَهُ الْجَبَابِرَةُ الْمُتَكَبِّرُونَ»، (أی بعيداً عن التكلّف والتكالب علی زخارف الدنيا فی تنميق المساكن وتزيين القصور). وأكلوها بأفضل ما اكلت (الطعام الحلال والبسيط والبعيد عن التلوّث والإسراف).

ومفهوم هذا الكلام لا يعنی أنّ المتقّين الزاهدين يهتمّون بالجلوس علی الموائد الملوّنهٔ والسكن فی القصور المجللهٔ وارتداء الملابس الأنيقهٔ، بل المراد من ذلک أنّ هؤلاء فی حياتهم البسيطهٔ يتنعّمون منها كما يتنعّم أهل الدنيا، لأنّهم من جههٔ يسعون لتوفير ما يحتاجون إليه من المأكل والملبس والمسكن، وبالتالی فإنّهم يتنعّمون بها أيضاً، لأنّ الإنسان المحتاج عنـدما يحصل علی مقصوده ويحقق مراده فإنّه يشعر باللذّهٔ والراحهٔ، كالإنسان الجائع عندما يأكل طعاماً بسيطاً، ومن جههٔ أخری أنّهم يعلمون أنّ ما يملكونه قد حصـلوا عليه من طريق حلال وأنّ اللَّه رزقهم هـذه النعم بطريق مشروع، فلا تترتّب عليه العقوبـهٔ الاخرويـهٔ، وبالتالی ينتفعون من هـذه النعم والمواهب بروح هادئهٔ وقلب مطمئن ومشاعر منفتحهٔ.

والكثير من الأشـخاص الـذين يعيشون فی بيوت صـغيرهٔ ويملكون وسائل بسيطهٔ من الأثـاث ويأكلون ويلبسون ما توفّر لهم من الطعام الزهيد الثمن واللباس المناسب، يعيشون فی ذات الوقت معنويات عاليهٔ ولا يجدون فی أنفسـهم امتعاضاً أو شـكايهٔ من حالهم، وبذلک يحسّون بالطمأنينهٔ والهدوء النفسیّ فی واقع الحياهٔ ويشعرون بالسعادهٔ وطيب الخاطر، فی حين أنّ غالبيهٔ الأثرياء الذين يسكنون القصور المجللـهٔ ويملكون أفضل وسائل العيش ويجلسون علی موائد ملوّنهٔ وتجلب لهم أنواع الأطعمهٔ؛ يعيشون الاضـطراب والقلق فی حياتهم، وأحياناً تصـيبهم الكآبهٔ المزمنهٔ والأمراض النفسيهٔ، والتجارب فی هذا الموضوع تؤكّد صحهٔ ما ذكره الإمام علیّ عليه السلام فی العبارهٔ أعلاه.

نفحات الولايۀ، ج۹، ص: ۳۱۳

أضف إلى ذلك أنّ المتقين وبسبب حياتهم البسيطۀ والبعيدۀ عن الترف والتجمّل، عندما يحين أجلهم ويتركون الدنيا فإنّهم لا يشعرون بالحسرۀ في قلوبهم عليها، ولكن المستهترين المتكبّرين والمترفين الذين عاشوا حياۀ الترف والتكالب على ملذّات الدنيا وزخارفها عندما يحين أجلهم فسوف يعيشون أشدّ الحسرات على ما سيتركونه من نعيم ولذّۀ، وبخاصّۀ إذا كانوا يعتقدون باليوم الآخر ويعلمون أنّهم سيحملون وزر هذه الثروات والخطايا على أعناقهم يوم القيامۀ.

غِنى النَّفسِ يُغنيها إذا كُنتَ قانِعاًوَلَيسَ بِمُغنيكَ الكَثيرُ مِنَ الحِرصِ

وَإنَّ اعتِقادَ الهَمّ للخَيرِ جامِعٌوقِلَّۀَ هَمِّ المَرءِ تَدعُو إلى النَّقصِ

ويستمرّ الإمام عليه السلام في كلامه عن خصال المتقّين ويقول: «ثُمَّ انْقَلَبُوا عَنْهَا بِالزَّادِ الْمُبَلِّغِ ۳۷۶]، وَالْمَتْجَرِ الرَّابِحِ أَصَابُوا لَذَّةَ زُهْدِ الدُّنْيَا فِي دُنْيَاهُمْ، وَتَيَقَّنُوا أَنَّهُمْ جِيرَانُ اللَّهِ ۳۷۷] غداً فِي آخِرَتِهِمْ، لَاتُرَدُّ لَهُمْ دَعْوَةٌ، وَلَا يَنْقُصُ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنْ لَذَّةٍ».

جملۀ: «لَا تُرَدُّ لَهُمْ دَعْوَةٌ» إشارۀ إلى ما ورد في الآيۀ الشريفۀ: «لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَّا يَدَّعُونَ»[۳۷۸].

وجملۀ: «وَلَا يَنْقُصُ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنْ لَذَّةٍ» إشارۀ إلى قوله تعالى: «وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِى أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ»[۳۷۹].

وذهب بعض شرّاح نهج‌البلاغۀ إلى أنّ عبارۀ: «لَا تُرَدُّ لَهُمْ دَعْوَةٌ وَلَا يَنْقُصُ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنْ لَذَّةٍ» ناظرۀ لحال المتقين في هذا الدنيا، فإنّهم وبسبب إيمانهم وحسن يقينهم وصلاح عملهم مستجابو الدعوۀ، فلا ينقص لهم شيء من لذّات الدنيا، ولكن هذا التفسير بعيد عن الصواب، لأنّ الجملۀ بعد هذه العبارۀ تتحدّث عن الآخرۀ، وأمّا

نفحات الولايۀ، ج۹، ص: ۳۱۴

حال المتقّين في الدنيا فقد ورد في العبارات والجمل السابقۀ، وكما أسلفنا فإنّ هاتين الجملتين إشارۀ إلى ما ورد في الآيات القرآنيۀ بهذا المضمون.

***

نفحات الولايۀ، ج۹، ص: ۳۱۵

القسم الثالث

اشارۀ

فَاحْذَرُوا عِبَادَ اللَّهِ الْمَوْتَ وَقُرْبَهُ، وَأَعِدُّوا لَهُ عُدَّتَهُ، فَإِنَّهُ يَأْتِي بِأَمْرٍ عَظِيمٍ، خَطْبٍ جَلِيلٍ، بِخَيْرٍ لَايَكُونُ مَعَهُ شَرٌّ أَبَداً أَوْ شَرٍّ لَايَكُونُ مَعَهُ خَيْرٌ أَبَداً فَمَنْ أَقْرَبُ إِلَى الْجَنَّةِ مِنْ عَامِلِهَا! وَمَنْ أَقْرَبُ إِلَى النَّارِ مِنْ عَامِلِهَا! وَأَنْتُمْ طُرَدَاءُ الْمَوْتِ، إنْ أَقَمْتُمْ لَهُ أَخَذَكُمْ، وَإِنْ فَرَرْتُمْ مِنْهُ أَدْرَكَكُمْ، وَهُوَ أَلْزَمُ لَكُمْ مِنْ ظِلِّكُمْ الْمَوْتُ مَعْقُودٌ بِنَوَاصِيكُمْ؛ وَالدُّنْيَا تُطْوَى مِنْ خَلْفِكُمْ. فَاحْذَرُوا نَاراً قَعْرُهَا بَعِيدٌ، وَحَرُّهَا شَدِيدٌ، وَعَذَابُهَا جَدِيدٌ. دَارٌ لَيْسَ فِيهَا رَحْمَةٌ، وَلَا تُسْمَعُ فِيهَا دَعْوَةٌ وَلَا تُفَرَّجُ فِيهَا كُرْبَةٌ وَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ يَشْتَدَّ خَوْفُكُمْ مِنَ اللَّهِ، وَأَنْ يَحْسُنَ ظَنُّكُمْ بِهِ، فَاجْمَعُوا بَيْنَهُمَا، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِنَّمَا يَكُونُ حُسْنُ ظَنِّهِ بِرَبِّهِ عَلَى قَدْرِ خَوْفِهِ مِنْ رَبِّهِ، وَإِنَّ أَحْسَنَ النَّاسِ ظَنّاً بِاللَّهِ أَشَدُّهُمْ خَوْفاً لِلَّهِ.

الشرح والتفسير: تحذيرات متواليۀ

يتحدّث الإمام عليه السلام في المقطع من هذه الرسالۀ مرّۀ أخرى عن موضوع كلّي وعامّ يشمل مخاطبه محمّد بن أبي بكر وكذلك جميع الناس، وجاء في مطلع هذه الرسالۀ التي ينقلها السيد الرضي، أنّ الإمام عليه السلام يأمر محمّد بن أبي بكر أن يقرأها على جميع

الناس، يقول: «فَاحْـذَرُوا عِبَادَ اللَّهِ الْمَوْتَ وَقُرْبَهُ، وَأَعِدُّوا لَهُ عُدَّتَهُ، فَإِنَّهُ يَأْتِى بِأَمْرٍ عَظِيمٍ، وَخَطْبٍ ۳۸۰] جَلِيلٍ، بِخَيْرٍ لَايَكُونُ مَعَهُ شَرٌّ أَبَداً، أَوْ شَرٍّ لَايَكُونُ مَعَهُ خَيْرٌ أَبَداً».

وقد قلنا مراراً أنّ الإنسان حتى لو شكّ فى أىّ أمر من الأمور فإنّه لا يشكّ فى

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۳۱۶

الموت ونهاية الحياة، حيث يشمل جميع أفراد البشر بدون استثناء، ومع الأخذ بنظر الاعتبار أنّ الموت يمثّل بداية الحركة باتّجاه الآخرة، فينبغى للإنسان أن يأخذ العدّة ويتهيّأ لهذا السفر الطويل ويعمل على توفير ما يحتاجه لضمان سلامة مسيرته الأبدية.

ومن هذا المنطلق يعتبر الإمام علىّ عليه السلام الموت مرحلة مصيرية ومنعطف خطير فى حياة الإنسان حيث يقوده إلى إحدى جهتين، فإمّا الحياة الطيّبة الزاخرة بالسعادة والحبور والسلامة وهى الجنّة الخالدة التى جعلها اللَّه تعالى للصالحين من عباده، أو جهة العذاب الأليم والمصيرالسيّء الذى لا يمكن الخلاص منه والنجاة من آلامه أبداً، وكما أنّ الإنسان لا يعلم من أىّ الطائفتين سيكون مصيره فلذلك ينبغى له التزام الحذر والاحتياط فى هذا السفر الخطير.

وبالنسبة للفرق بين «أمرٍ عظيم» و «خَطْبٍ جَليل» ففى حين أنّ هاتين العبارتين متقاربتان فى المعنى فإنّ شرّاح نهج‌البلاغة على حدّ علمنا واطّلاعنا لم يتحدّثوا فى هذا المجال، ولكن ربّما تكون عبارة «أمر عظيم» إشارة إلى الانتقال من هذه الدنيا والسفر إلى العالم الآخر بدون إمكانية العودة، أمّا بالنسبة «خطب جليل» إشارة إلى حساب الأعمال وما يترتّب عليها من جزاء ومثوبة، ويحتمل أيضاً أنّ «أمر عظيم» إشارة إلى جملة «خَيْرٌ لايَكُونُ مَعَهُ شَرّ أبداً» و «خطب جليل» الذى يوحى فى مفهومه بالمصيبة الكبيرة، هو إشارة إلى جملة «شَرّ لا يَكُونُ مَعَهُ خَيْرٌ أبداً».

وهنا يفرض هذا السؤال نفسه، وهو أنّ الإمام عليه السلام فى هذه العبارة قسّم الناس إلى طائفتين فقط، فطائفة ينعمون بالسعادة الأبدية ويعيشون حالات الخير والبركة التى لا يمتزج معها شرّ أبداً، وطائفة على العكس من ذلك، وهم الغارقون بالشرور المصائب، ولا يتاح لهم الحصول على خير أبداً، فى حين أننا نعلم بوجود طائفة ثالثة أيضاً وفقاً لما ذكره القرآن الكريم حيث يقول: «خَلَطُوا عَمَلًا صالِحاً وَآخَرَ سَيِّئاً عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحيمٌ»[۳۸۱].

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۳۱۷

وقد أجاب شرّاح نهج‌البلاغة عن هذا السؤال بإجابات مختلفة، وأحياناً تكون مقترنة بالكثير من التعسّف والتكلّف، ولكن أوضح جواب هو أنّ الإمام عليه السلام فى هذا الكلام ناظر إلى أفراد متميّزين يسيرون فى خطّ الطاعة أو العصيان، وليس ناظراً إلى جميع الأفراد، وبعبارة أخرى أنّ مثل هذا الحصر هو حصر إضافىّ ناظر إلى المؤمنين الكاملين فى الإيمان الذين بلغوا الذروة فى مراتب الإيمان والإخلاص، وكذلك رموز الكفر والظلم، لا أنّه حصر حقيقىّ يشمل جميع الأفراد.

وقد ورد فى القرآن الكريم عبارات من هذا القبيل أيضاً، مثلًا نقرأ فى سورة هود: «فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ* فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِى النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ خَالِدِينَ فِيهَا ...* وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِى الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا»[۳۸۲].

وجاء فى حديث عن الإمام الجواد عليه السلام عن آبائه الكرام عليهم السلام: قيل لأميرالمؤمنين عليه السلام: صف لنا الموت فقال: «هُوَ أَحَدُ ثَلَاثَةِ أُمُورٍ يَرِدُ عَلَيْهِ إِمَّا بِشَارَةٌ بِنَعِيمِ الْأَبَدِ وَإِمَّا بِشَارَةٌ بِعَذَابِ الْأَبَدِ وَإِمَّا تَحْزِينٌ وَتَهْوِيلٌ وَأَمْرُهُ مُبْهَمٌ، لَاتَدْرِى مِنْ أَىِّ الْفِرَقِ هُوَ فَأَمَّا وَلِيُّنَا الْمُطِيعُ لِأَمْرِنَا فَهُوَ الْمُبَشَّرُ بِنَعِيمِ الْأَبَدِ»[۳۸۳].

وفى آخر هذه الرواية ورد أيضاً أنّ بعض أفراد الطائفة الثالثة سيمكثون مدّة معينة فى النار ثمّ تشملهم شفاعة أهل البيت عليهم السلام، وطائفة منهم سينالون الشفاعة بعد مدّة طويلة.

ومن هنا يتبيّن ما ذهب إليه ابن أبى‌الحديد فى تفسير هذه العبارة بما يؤيّد مذهبه، حيث قال: «قوله: فإنّه يأتى بأمر عظيم ... نصّ صريح فى مذهب أصحابنا فى الوعيد، وأمّا من دخل النار من جميع المكلّفين فليس بخارج، لأنّه لو خرج منها لكان الموت قد جاء بشرّ معه

خير، وقد نفى نفياً عاماً أن يكون مع الشرّ المعقب للموت خير البتة»[۳۸۴]، وهذا الكلام غير سديد ولا يتوافق مع سائر كلمات الإمام عليه السلام

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۳۱۸

والآيات القرآنية الشريفة، والمراد هنا بيان حال طائفتين من المؤمنين الخالصين والكافرين كذلك، أمّا الأشخاص الذين ورد ذكرهم فى الآية الشريفة من سورة التوبة: «خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحاً وَآخَرَ سَيِّئاً»، فإنّهم قطعاً لم يكونوا مورد نظر الإمام عليه السلام فى هذه العبارة.

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام بيّن شرط دخول الجنّة وسبب دخول النار فى جملتين قصيرتين: «فَمَنْ أَقْرَبُ إِلَى الْجَنَّةِ مِنْ عَامِلِهَا، وَمَنْ أَقْرَبُ إِلَى النَّارِ مِنْ عَامِلِهَا».

وهذا يشير إلى أنّ الأصل فى تعيين مصير الإنسان هو العمل والسعى، لا الآمال والتمنّيات، فالأعمال هى التى تقود الإنسان إلى الجنّة أو إلى النار، فحتّى شفاعة الشفعاء تقع فى الهامش ولا تشكلّ أصلًا أساسياً فى النجاة.

والجدير بالذكر أنّ الإمام عليه السلام يقول هنا أنّ العاملين للجنّة هم أقرب الناس إليها، والعاملين للنار، أى السائرين فى خطّ المعصية والضلالة، هم أقرب الناس إلى النار، ولم يقل إنّ العاملين للأعمال الصالحة والأعمال السيئة، وهذا يعدّ كناية لطيفة عن أنّ العمل الصالح كأنّه هو الجنّة، والمعصية والذنب والعمل الطالح كأنه هو النار.

ثمّ يشيرالإمام عليه السلام إلى هذه النقطة المهمّة، وهى أنّ الموت لا يترك أحداً ينجو منه ويتخلّص من الوقوع فى مصيدته، وبما أنّ الأمر، كذلك فينبغى التزام الجدّية والاهتمام بهذا الأمر، يقول: وَأَنْتُمْ طُرَدَاءُ[۳۸۵] الْمَوْتِ، إِنْ أَقَمْتُمْ لَهُ أَخَذَكُمْ، وَإِنْ فَرَرْتُمْ مِنْهُ أَدْرَكَكُمْ، وَهُوَ أَلْزَمُ لَكُم مِنْ ظِلِّكُمْ الْمَوْتُ مَعْقُودٌ بِنَوَاصِيكُمْ ۳۸۶]، وَالدُّنْيَا تُطْوَى مِنْ خَلْفِكُمْ».

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۳۱۹

وأحد معانى عبارة «طُرَدَاءُ الْمَوْتِ هو أنّ الناس بمثابة الصيد الذى يتبعه الصياد، ومفهومها أنّ الصياد بدرجة من الخبرة والقدرة بحيث يصيد البشر سواءً هربوا منه أو لم يهربوا، فلا أحد يستطيع الخلاص من شراكه ومصائده، كما ورد هذا المعنى فى القرآن الكريم: «أَيْنَما تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ»[۳۸۷].

وجملة «هُوَ أَلْزَمُ لَكُم مِنْ ظِلِّكُمْ» إشارة إلى أنّ عوامل الموت تصحب الإنسان دوماً كالظلّ الذى يتحرّك مع الإنسان أينما ولّى، لأنّ للموت عوامل كثيرة فى عمق وجود الإنسان، أحدها السكتة القلبية أو انقطاع أحد الأوردة الدقيقة فى المخّ، أو دخول مقدار من الغذاء إلى جهاز التنفّس، وكلّ من هذه العوامل يمكن أن يؤدىّ بالإنسان إلى الموت، وفى خارج الإنسان هناك عوامل كثيرة للموت أيضاً منها الحوادث الأليمة كالزلازل والصواعق، السيول، الحشرات المضرّة، الحيوانات المفترسة، وما إلى ذلك من الأمور التى تهدّد حياة الإنسان بالخطر فلا يستطيع أن يهرب إلى مكان لا يوجد فيه شيء من هذا العوامل الخارجية والداخلية للموت.

وعبارة «ألزم» ربّما تكون بسبب أنّ الظلّ لا يصاحب الإنسان فى ظلمات الليل، ولكن عوامل الموت متوفّرة ليل نهار.

وجملة: «الْمَوْتُ مَعْقُودٌ بِنَوَاصِيكُمْ» كناية عن أنّكم لا تملكون أيّة مقاومة فى مقابل سلطة الموت القاهرة كما هو حال الشخص الذى اخذ من شعر مقدّم رأسه بحيث يسلبه ذلك أىّ نوع من الحركة.

ويقرّر القرآن الكريم هذه الحقيقة فيما يتّصل بمصير المجرمين فى يوم القيامة ويقول: «يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيماهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّواصِى وَالْأَقْدامِ»[۳۸۸].

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۳۲۰

وجملة: «الدُّنْيَا تُطْوَى مِنْ خَلْفِكُمْ» إشارة لطيفة إلى هذه الحقيقة، وهى أنّ الإنسان يتجاوز كلّ مرحلة من مراحل الحياة وكأنّها كالفراش الذى يطوى خلف الإنسان، بحيث يمكن إعادته لحالته السابقة، فالشيوخ لا يعودون إلى مرحلة الشباب، والشباب لا يعودون لمرحلة الطفولة، وعلى ضوء ذلك فإنّ كل لحظة تمثّل للإنسان موتاً وحياةً جديدة، الموت الذى لا يمكن معه العودة إلى الحالة

السابقة.

وبعد أن بيّن الإمام عليه السلام ما سيواجهه الإنسان فى نهاية الحياة وبعد الموت من حوادث مهولة ومشاكل جسيمة، تحدّث عن عذاب النار والعاقبة الوخيمة لأهل الضلالة فى ذلك اليوم، وقال: «فَاحْذَرُوا نَاراً قَعْرُهَا بَعِيدٌ وَحَرُّهَا شَدِيدٌ، وَعَذَابُهَا جَدِيدٌ».

وبالنسبة لعمق وادى جنّهم يكفى أن ننقل هذا الحديث الشريف عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله عندما كان مع أصحابه فى المسجد، فجأة سمعوا صوتاً مدويّاً، استولى عليهم الخوف، وقال رسول اللّه صلى الله عليه و آله: «أتَعْرِفُونَ ما هذِهِ الهِدَّة»؟ قالوا: اللّه ورسوله أعلم، فقال: «حَجَر أُلْقِى مِنْ أعْلى جَهَنَّمَ مُنْذُ سَبْعينَ سَنَةٍ، الآنَ وَصَلَ إلى قَعْرِها»[۳۸۹].

وبالنسبة لشدّة حرارة جهنّم يكفى أن ننقل ما ورد فى حديث شريف يقول عليه السلام:

«إنَّ نَارَكُمْ هَذِهِ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءاً مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ وَقَدْ أُطْفِئَتْ سَبْعِينَ مَرَّةً بِالْمَاءِ ثُمَّ الْتَهَبَتْ وَلَوْ لَاذَلِكَ مَا اسْتَطَاعَ آدَمِيٌّ أنْ يُطِيقَهَا»[۳۹۰].

وعن أنواع العذاب وشدّته يوم القيامة يتحدّث القرآن الكريم ويقول: «كُلَّما نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْناهُمْ جُلُوداً غَيْرَها لِيَذُوقُوا الْعَذاب»[۳۹۱].

ثم يضيف الإمام عليه السلام فى بيان عذاب النار: «دَارٌ لَيْسَ فِيهَا رَحْمَةٌ، وَلَا تُسْمَعُ فِيهَا دَعْوَةٌ وَلَا تُفَرَّجُ فِيهَا كُرْبَةٌ».

نفحات الولاية، ج٩، ص: ۳۲۱

ونقرأ هذا المضمون فى القرآن الكريم: «وَقالَ الَّذينَ فِى النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْماً مِّنَ الْعَذابِ ... قالُوا فَادْعُوا وَما دُعاءُ الْكافِرينَ إلَّا فِى ضَلال»[۳۹۲].

وفى مورد آخر يقول القرآن الكريم: « «وَنادَوْا يا مالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنا رَبُّكَ قالَ إنَّكُمْ مَّاكِثُونَ»[۳۹۳].

وكذلك فى آية أخرى يتحدّث القرآن الكريم عن امنيات أصحاب النار: «وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فيها رَبَّنا أَخْرِجْنا نَعْمَلْ صالِحاً غَيْرَ الَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ أ وَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ ما يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجاءَكُمُ النَّذيرُ فَذُوقُوا فَما لِلظَّالِمينَ مِنْ نَصير»[۳۹۴].

ويستفاد من رسالة الإمام عليه السلام هذه، والتى ذكرها بتمامها صاحب نهج‌البلاغة الكامل أنّ الإمام عليه السلام بعد أن ذكر الظروف الصعبة والعذاب الأليم لأهل النار، تعرّض لذكر بعض النعم الإلهيّة والرحمة الواسعة لأهل الجنّة ولم يذكرها السيد الرضى فى نهج‌البلاغة تبعاً لنهجه فى التلخيص والانتقاء.

وفى هذا السياق يتحدّث الإمام عليه السلام بعد أن يذكر العذاب الأليم لأهل النار، عن المواهب والنعم الإلهيّة والنعيم الخالد فى الجنّة، وبذلك يقرّر الأصل الإسلامىّ المهمّ فى التعاليم الإلهيّة، وهى أن يعيش الإنسان بين حالات الخوف والرجاء، ويقول:

«وَإنِ اسْتَطَعْتُمْ أنْ يَشْتَدَّ خَوْفُكُمْ مِنَ اللَّهِ، وَأنْ يَحْسُنَ ظَنُّكُمْ بِهِ، فَاجْمَعُوا بَيْنَهُمَا، فَإنَّ الْعَبْدَ إنَّمَا يَكُونُ حُسْنُ ظَنِّهِ بِرَبِّهِ عَلَى قَدْرِ خَوْفِهِ مِنْ رَبِّهِ، وَإنَّ أَحْسَنَ النَّاسِ ظَنّاً بِاللَّهِ أَشَدُّهُمْ خَوْفاً لِلَّهِ».

فهنا يشير الإمام عليه السلام إلى مسألة مهمّة فى التعاليم الدينية، وهى مسألة الخوف والرجاء وضرورة أن يعيش الإنسان حالة التعادل والتوازن فى ذلك، وكما سنرى فى بحث التذييل أنّ هذا المفهوم من شأنه أن يخلق فى الإنسان حالة من التوازن

نفحات الولاية، ج٩، ص: ۳۲۲

فلاييأس من رحمة اللّه عندما يسمع كلام الإمام فى وصف جهنّم وما فيها من العذاب الأليم، ولا يعيش حالة الأمن من العذاب عندما يسمع كلام الإمام عليه السلام فى وصف النعم والمواهب الإلهيّة لأهل الجنّة.

تأمّل: التعادل بين الخوف والرجاء

يعتبر الرجاء عاملًا أساسياً لتفعيل حركة الإنسان فى خطّ الصلاح والسعادة ويعدّ بمثابة المحرّك الذى يدفع الإنسان بهذا الاتّجاه،

ويمثّل الخوف عاملًا كابحاً لعناصر الطغيان والانحراف فى مسيرة الإنسان ونوازعه النفسية، فكما أنّ وسائل النقل من العجلات والسيارات إذا كانت فاقدة للمحرّك فسوف تمتنع عليها الحركة، وإذا كانت فاقدة للكوابح فسوف يقودها ذلك إلى مهاوى خطيرة وعدم القدرة على تجنّب المطبّات والعوائق، فكلا هذين الأمرين يعدّان أصلان رئيسيان فى حركة الإنسان فى خطّ الصلاح والفلاح، ولابدّ أن يتوفّر فيهما عنصرى التعادل والتوازن بحيث يتحرّك الإنسان فى خط الطاعة والإيمان من جهة ويتجنّب المعاصى والذنوب من جهة أخرى.

إنّ أهمية هذين العاملين فى وجود الإنسان وفى حياته تتجلّى بوضوح عندما نقرأ فى حديث عن الإمام الصادق عليه السلام يتحدّث فيه عن وصايا لقمان عليه السلام ويذكر منها أموراً عجيبة ونصائح قيمة، يقول الحارث بن المغيرة، عن أبيه، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: قلت له: ما كان فى وصيّة لقمان؟ قال: كان فيها الأعاجيب، وكان وأعجب ما كان فيها أن قال لابنه: «خَفِ اللَّهَ عزَّ وجَلّ خِيفَةً لو جِئْتَهُ بِبِرِّ الثَّقَلَينِ لَعَذَّبَكَ، وَارْجُ اللَّهَ رَجاءً لَوْ جِئتَهُ بِذُنوبِ الثَّقَلَينِ لَرَحِمَكَ»، ثم قال أبوعبداللَّه عليه السلام: كان أبى (يعنى الإمام الباقر عليه السلام) يقول: «إِنَّهُ لَيسَ مِنْ عَبْدٍ مُؤْمِنٍ إلَّا [وَ] فِى قَلْبِهِ نُورَانِ:

نُورُ خِيفَةٍ وَنُورُ رَجَاءٍ، لَوْ وُزِنَ هَذَا لَمْ يَزِدْ عَلَى هَذَا وَلَوْ وُزِنَ هَذَا لَمْ يَزِدْ عَلَى هَذَا»[۳۹۵].

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۳۲۳

يقول ابن أبي‌الحديد بعد شرحه لكلام الإمام عليه السلام المذكور آنفاً: إنّ عليّاً عليه السلام أمر محمّد بن أبى بكر أن يجمع بين حسن الظنّ باللَّه والخوف منه، وأنّ هذا المقام السامى هو مقام لا يناله إلّاالصالحون والأبرار، وينقل حديثاً عن الإمام علىّ بن الحسين عليهما السلام يقول: «لَوْ أنْزَلَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ كِتاباً أنّه مُعَذِّبٌ رَجُلًا واحِداً لَرَجَوْتُ انْ اكُونَهُ او انَّهُ راحِمٌ رَجُلًا واحِداً لَرَجَوْتُ انْ أَكُونَهُ»[۳۹۶].

وهذه الكلمات تشير بوضوح إلى أنّ عدم التواصل وعدم التعادل بين حالات الخوف والرجاء فى واقع الإنسان يتسبّب فى تكريس حالات الغرور فى الإنسان والاغترار بسعة رحمة اللَّه أو يقوده إلى اليأس من رحمة اللَّه، وهذا بدوره يعدّ مانعاً يعيق الإنسان عن الحركة فى خطّ الطاعة والعبودية.

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۳۲۵

القسم الرابع

اشارة

وَاعْلَمْ- يَا مُحَمَّدُ بْنَ أَبِى بَكْرٍ- أَنِّى قَدْ وَلَّيْتُكَ أَعْظَمَ أَجْنَادِى فِى نَفْسِى أَهْلَ مِصْرَ، فَأَنْتَ مَحْقُوقٌ أَنْ تُخَالِفَ عَلَى نَفْسِكَ، وَأَنْ تُنَافِحَ عَنْ دِينِكَ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لَكَ إِلَّا سَاعَةٌ مِنَ الدَّهْرِ، وَلَا تُسْخِطِ اللَّهَ بِرِضَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ، فَإِنَّ فِى اللَّهِ خَلَفاً مِنْ غَيْرِهِ، وَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ خَلَفٌ فِى غَيْرِهِ. صَلِّ الصَّلَاةَ لِوَقْتِهَا الْمُؤَقَّتِ لَهَا، وَلَا تُعَجِّلْ وَقْتَهَا لِفَرَاغٍ، وَلَا تُؤَخِّرْهَا عَنْ وَقْتِهَا لِاشْتِغَالٍ. وَاعْلَمْ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ عَمَلِكَ تَبَعٌ لِصَلَاتِكَ.

الشرح والتفسير: المهمّة الثقيلة

يتحدّث الإمام عليه السلام، فى هذا المقطع من الرسالة مخاطباً محمّد بن أبى بكر، عن أربع توصيات مهمّة، فى البداية يستعرض الإمام عليه السلام مقدّمة ويقول: «وَاعْلَمْ- يَا مُحَمَّدُ بْنَ أَبِى بَكْرٍ- أَنِّى قَدْ وَلَّيْتُكَ أَعْظَمَ أَجْنَادِى فِى نَفْسِى أَهْلَ مِصْرَ».

«أجناد» جمع «جُند» وفى الأصل تعنى الجيش، ولكن أحياناً تطلق على المناطق فى البلد الإسلامى، أو على أهالى تلك المناطق، وعلى

أيّة حال فإنّ هذه العبارة تشير بوضوح إلى أنّ الإمام عليه السلام كان ينظر إلى أهل مصر بعين الإحترام ويرى أنّهم من أكبر شعوب الامّة الإسلاميّة، لأنّ مصر أرض كبيرة وتاريخية وتملك حضارة قديمة ويعيش فيها اناس واعون وأذكياء وكادحين.

ثمّ يبيّن الإمام عليه السلام أوّل وأهمّ توصية له، ويقول: «فَأَنْتَ مَحْقُوقٌ [٣٩٧] أَنْ تُخَالِفَ عَلَى

نفحات الولاية، ج٩، ص: ٣٢۶

نَفْسِكَ»، أى أنّ المفروض بك أن تجاهد نفسك وتخالف هواك.

وجهاد النفس فرض على الجميع، ولكنّه أكثر وأشدّ لزوماً على الولاة والقادة ومن بيدهم القرار، لأنّ هؤلاء يعيشون دوماً الوساوس النفسانية والشيطانية، فلو أنّهم غلبوا فى هذا المجال وسيطرت عليهم الأهواء والشهوات فإنّ ذلك من شأنه إشاعة الظلم والفساد فى المناطق التى تحت إمرتهم وولايتهم.

ثمّ يبيّن الإمام عليه السلام التوصية الثانية ويقول: «وَأَنْ تُنَافِحَ [٣٩٨] عَنْ دِينِكَ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لَكَ إِلَّا سَاعَةٌ مِنَ الدَّهْرِ».

وبديهىّ أنّ الإنسان المؤمن ينبغى أن يتحرّك بعد الجهاد الأكبر، وهو جهاد النفس، فى طريق الجهاد الأصغر والتصدىّ لقوى الكفر وأعداء الامّة لحفظ الدين وصيانة المقدّسات والمنافحة عن التعاليم السماوية، وفى هذا الأمر يؤكّد الإمام عليه السلام على أنّه لو لم تكن لدى الإنسان سوى ساعة من عمره أو من تواجده فى سدّة الحكم، فينبغى أن لا يكفّ عن الدفاع عن الدّين، ولا يبخل فى بذل الغالى والنفيس فى هذا السبيل.

ثمّ يبيّن الإمام عليه السلام التوصية الثالثة ويقول: «وَلَا تُسْخِطِ اللَّهَ بِرِضَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ، فَإِنَّ فِى اللَّهِ خَلَفاً مِنْ غَيْرِهِ، وَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ خَلَفٌ فِى غَيْرِهِ».

فأحياناً يجد الإنسان نفسه بين طريقين، فطريق يتوجّه به إلى اللّه تعالى وكسب رضاه، وطريق آخر يقوده لتحقيق رضا الناس، وفى هذا الطريق يطلب منه الناس أموراً أكثر من حقّهم، وهنا يتميّز المؤمنون الخلّص من غير المؤمنين، فالمؤمنون يتحرّكون دوماً فى خطّ الطاعة وطلب رضا اللّه تعالى، لأنّهم يعلمون أنّ نيل رضا اللّه ورعايته من شأنه أن يمنحهم القوّة والحيوية ويمنع عنهم أىّ ضرر ولا يستطيع أىّ شخص أن يلحق بهم الإساءة، فى حين أنّ السعى لكسب رضا بعض المتزلفين

نفحات الولاية، ج٩، ص: ٣٢٧

والمتملّقين، والإعراض عن رضا اللّه تعالى، سيجعلهم مكشوفين أمام البلايا وغير قادرين على الدفاع عن أنفسهم.

إنّ ما ذكره الإمام عليه السلام فى توصيته الثالثة لمحمّد بن أبى بكر، ورد أيضاً فى رواية أخرى بوصفه أحد علامات الإيمان الخالص، فقد قال الإمام الصادق عليه السلام: «مِنْ صِحَّةِ يَقِينِ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ أَنْ لَايُرْضِىَ النَّاسَ بِسَخَطِ اللَّهِ»[٣٩٩].

والتجربة أثبتت أنّ من يسلك هذا الطريق ويرجّح رضا المخلوق على حساب رضا الخالق سيُحرم رضا الخالق ورضا المخلوق أيضاً، وأمّا من يتحرّك فى طريق نيل رضا اللّه تعالى، فربّما يتسبّب أحياناً فى غضب البعض وسخطهم عليه، ولكنّه فى النهاية سيحصل على رضا اللّه ورضا المخلوق أيضاً.

والأهمّ من ذلك ما ورد فى حديث عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله قال: «مَنْ طَلَبَ رِضَا مَخْلُوقٍ بِسَخَطِ الْخَالِقِ سَلَّطَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ ذَلِكَ الْمَخْلُوقَ»[۴٠٠].

ثمّ يتعرض الإمام عليه السلام للتوصية الرابعة لمحمّد بن أبى بكر فى مسألة الصلاة والتى تعتبر أهمّ ركن من أركان الإسلام، يقول: «صَلِّ الصَّلَاةَ لِوَقْتِهَا الْمُؤَقَّتِ لَهَا، وَلَا تُعَجِّلْ وَقْتَهَا لِفَرَاغٍ، وَلَا تُؤَخِّرْهَا عَنْ وَقْتِهَا لِاشْتِغَالٍ اعْلَمْ أَنَّ كُلَّ شَىْءٍ مِنْ عَمَلِكَ تَبَعٌ لِصَلَاتِكَ».

وذكر الكثير من شرّاح نهج‌البلاغة أنّ الإمام عليه السلام فى هذه التوصية بالصلاة، ناظر إلى عدم التعجيل بالصلاة قبل وقتها، مثلًا يصلّى صلاة الظهر قبل الزوال ويصلّى صلاة الصبح قبل طلوع الفجر، بسبب ما يجده من فراغ فى الوقت، ولكن مع الأخذ بنظر الاعتبار أنّ من النادر أن نرى أو نسمع شخصاً يصلّى صلاة الظهر قبل وقتها أو يصلّى صلاة الصبح قبل الفجر، لأنّ هذا المعنى مرفوض وغير

مقبول من قِبل جميع الأفراد، فلا معنى لأن يصلّى المكلّف الصلاة قبل وقتها وهو يعلم ببطلانها، ولذلك

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۳۲۸

يوجد هناك احتمال آخر فى تفسير هذه العبارة، وهو أنّ كلام الإمام عليه السلام ناظر إلى أوّل الوقت وآخر الوقت، فيقول: إنّك لا تكن كالشخص الذى يصلىّ أوّل الوقت بسبب الفراغ، وإن كان مشغولًا فى عمل معيّن يؤجّل صلاته لوقت آخر، بل عليك بأن تقيم الصلاة لوقتها على كلّ حال وتترك عملك من أجل الصلاة.

وهذا فى الواقع إشارة إلى ما هو متداول من الشعار المعروف، وهو أنّ الإنسان لا ينبغى أن يقول لصلاته أننى مشغول بعمل، بل يقول لعمله إننى مشغول بالصلاة.

وبديهىّ أنّ الإلتزام بالصلاة فى أوّل وقتها من شأنه أن يمنح الروح طراوة ونورانية وأنّ نجاحه فى أعماله الأخرى يعود إلى إتيانه بالصلاة فى وقتها حيث تضفى هذه الصلاة بركاتها على حياة المرء وفكره وروحه.

جاء فى حديث عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه يقول: «إِنَّ الصَّلَاةَ إِذَا ارْتَفَعَتْ فِي أَوَّلِ وَقْتِهَا رَجَعَتْ إِلَى صَاحِبِهَا وَهِيَ بَيْضَاءُ مُشْرِقَةٌ تَقُولُ حَفِظْتَنِي حَفِظَكَ اللَّهُ وَإِذَا ارْتَفَعَتْ فِي غَيْرِ وَقْتِهَا بِغَيْرِ حُدُودِهَا رَجَعَتْ إِلَى صَاحِبِهَا وَهِيَ سَوْدَاءُ مُظْلِمَةٌ تَقُولُ ضَيَّعْتَنِي ضَيَّعَكَ اللَّهُ»[۴۰۱].

وجملة: «وَاعْلَمْ ...»، كما أشرنا إلى ذلك آنفاً يحتمل فيها معنيان، أحدهما: أنّ جميع أعمال الإنسان فى الدنيا تبع لصلاته، فإن أدى الصلاة بشرائطها، فإنّ بركة هذه الصلاة ستمتدّ لتشمل سائر أعماله وحياته، والآخر: أنّ آثار هذه الصلاة ستتجلّى فى الآخرة، كما ورد فى الروايات: «إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ الصَّلَاةُ فَإِنْ قُبِلَتْ قُبِلَ مَا سِوَاهَا»[۴۰۲].

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۳۲۹

القسم الخامس

اشارة

وَمِنْهُ: فَإِنَّهُ لَاسَوَاءَ، إِمَامُ الْهُدَى وَإِمَامُ الرَّدَى وَوَلِيُّ النبىّ، وَعَدُوُّ النبىّ.

لَقَدْ قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه و آله إِنِّي لَاأَخَافُ عَلَى أُمَّتِي مُؤْمِناً وَلَا مُشْرِكاً؛ أَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَمْنَعُهُ اللَّهُ بِإِيمَانِهِ، وَأَمَّا الْمُشْرِكُ فَيَقْمَعُهُ اللَّهُ بِشِرْكِهِ. لَكِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ كُلَّ مُنَافِقِ الْجَنَانِ، عَالِمِ اللِّسَانِ، يَقُولُ مَا تَعْرِفُونَ، وَيَفْعَلُ مَا تُنْكِرُونَ.

الشرح والتفسير: الخوف على الامّة من فئة معينة

وفى آخر مقطع من هذه الرسالة، طبقاً لما أورده السيّد الرضىّ وما يستفاد من كلمة «منه»، أنّ ما ورد من كلام الإمام عليه السلام نهج‌البلاغة فى لا يمثّل جميع كلامه وتمام رسالته، بل يمثّل مقطعاً منها، والإمام يلفت النظر فى هذا المقطع إلى هذه الحقيقة الحاسمة والرئيسية ويقول: «وَمِنْهُ: فَإِنَّهُ لَاسَوَاءَ، إِمَامُ الْهُدَى وَإِمَامُ الرَّدَى ۴۰۳] وَوَلِيُ النبىّ، وَعَدُوُّ النبىّ».

ومن المعلوم أنّ التعبير ب «إِمَامُ الْهُدَى فى هذه العبارة إشارة إلى نفسه الشريفة، وكلمة ب «إِمَامُ الرَّدَى إشارة إلى معاوية الذى رفع لواء المخالفة والتمرّد خلافاً لأمر النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله وإرادة جميع المسلمين، وخاض غمار حروب دامية أدّت إلى سفك دماء المسلمين.

ومفردة «إمام» يراد بها فى الغالب إمام الحقّ، ولكن أحياناً تستعمل فى قادة الضلالة والباطل، كما ورد فى القرآن الكريم: «وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۳۳۰

النَّارِ»[۴۰۴]، أى الفراعنة.

والشاهد على أنّ المراد من كلمة «إِمَامُ الرَّدَى معاوية، فمضافاً إلى القرائن الحالية، هناك شواهد مذكورة فى موارد أخرى من هذه الرسالة لم ينقلها السيّد الرضىّ، وطبقاً لما ورد فى هذ الرسالة المذكورة فى كتاب نهج‌البلاغة الكامل، يقول الإمام عليه السلام: «إيّاكُمْ وَدَعْوَةُ الْكَذّابِ ابْنِ هِنْد».

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام يستند فى كلامه هذا إلى حديث عن النبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله يقول:

«وَلَقَدْ قَالَ لِى رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه و آله: إِنِّى لَاأَخَافُ عَلَى أُمَّتِى مُؤْمِناً وَلَا مُشْرِكاً؛ أَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَمْنَعُهُ اللَّهُ بِإِيمَانِهِ، وَأَمَّا الْمُشْرِكُ فَيَقْمَعُهُ ۴۰۵] اللَّهُ بِشِرْكِهِ. وَلَكِنِّى أَخَافُ عَلَيْكُمْ كُلَ مُنَافِقِ‌الْجَنَانِ ۴۰۶]، عَالِم‌اللِّسَانِ، يَقُولُ مَا تَعْرِفُونَ، وَيَفْعَلُ مَا تُنْكِرُونَ».

وهذه هى الحقيقة، فالمؤمنون الحقيقيون يمثّلون درعاً واقية للإسلام والامّة الإسلاميّة، والمشركون يمثّلون خطّ الباطل والضلالة، الذين عرفهم الناس بالانحراف وابتعدوا عنهم، فلو أنّ هؤلاء المشركين أرادوا التآمر على الإسلام، فالمؤمنون سيتصدّون لهم بإذن اللَّه ويقمعونهم، ولكنّ المشكلة الكبيرة التى يبتلى بها المجتمع الإسلامىّ وكل مجتمع بشرىّ تتمثّل فى الأعداء الذين يرتدون لباس الصداقة والمحبّة ويتظاهرون بتقديم الخدمة للآخرين، هؤلاء هم الانتهازيون والمنافقون الذين أظهروا للناس وجهاً جميلًا وأخفوا الوجه القبيح فى باطنهم وتستّروا بقناع الخير والصلاح، وبذلك تسنّى لهم النفود فى صفوف المسلمين والاطّلاع على أسرارهم، وأتاح لهم ذلك أن يسدّدوا ضربتهم متى وجدوا الفرصة سانحة بالتمسّك بالآيات الإلهيّة وسنّة النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله فى الظاهر والكلام، ولكنّهم

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۳۳۱

على مستوى العمل يتحرّكون خلاف هذه التعاليم السماوية.

والمصداق البارز لهذا الكلام فى ذلك الزمان هو معاوية وأعوانه الذين رفعوا لواء المطالبة بدم عثمان الذى يعدّ خليفة النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله، وفى حال الاضطرار رفعوا المصاحف فوق الرماح، هؤلاء كانوا يقيمون الصلاة ويتحدّثون فى خطب صلاة الجمعة بكلام معسول وموافق نصوص الكتاب والسنّة، ولكنّهم فى ذات الوقت يعملون على إضعاف عقيدة الناس بإمام الهدى المنصوب من قبل اللَّه تعالى، ومن قبل المسلمين، ولا يتركون أىّ وسيلة إلّاواستخدموها فى تحقيق مآربهم وأغراضهم الذاتية من قتل الأبرياء ونهب أموال المسلمين والإغارة على المناطق الحدودية للعراق، وباستخدامهم لهذا الاسلوب استطاعوا أخيراً أن يصلوا إلى سدّة الحكم ويجلسوا مجلس رسول اللَّه صلى الله عليه و آله ويتحدّثوا بخلاف ما أنزل اللَّه تعالى من تعاليم وأحكام.

تأمّلان

١. خطر المنافقين

يتحدّث الإمام عليه السلام فى هذه الرسالة عن وجود خطر مهمّ يهدّد محمّد بن أبى بكر وأهالى مصر، بل جميع شعوب وأقوام المجتمع الإسلامى، أى خطر المنافقين، ويقسّم الناس إلى ثلاث طوائف: المؤمنين، المشركين والمنافقين، ثمّ يقول: إنّ المؤمنين لا يشكّلون أىّ خطر للمجتمع الإسلامى لأنّ إيمانهم يمنعهم من أى عمل يثير الخلل ويورث الضرر بالإسلام والمسلمين، أمّا المشركون المعاندون الذين يتحرّكون فى خطّ التآمر والحرب ضدّ المجتمع الإسلامى، فخطر هؤلاء ليس بالمقدار المهم، ويمكن التصدّى لهم لإنّهم معروفون، والمؤمنون يأخذون حذرهم من حركات هؤلاء ويتصدّون لتآمرهم ويدفعون الخطر بذلك عن الامّة، ولكنّ المشكلة العسيرة تتمثّل فى المنافقين الذين يعيشون فى الوسط الدينى ويخالفون

نفحات الولايهٔ، ج٩، ص: ٣٣٢

المؤمنين ويتظاهرون بالتديّن إلّاأنّهم يخفون سيوفهم تحت ثيابهم كما فى المثل، فيتحدّثون بحديث يجذب قلوب المؤمنين وأفكارهم وعواطفهم فيظنّون أنّ هؤلاء المنافقين منهم وعلى ملّتهم، ولكنّهم فى اللحظات الحساسهٔ وعندما تسنح الفرصهٔ يقومون بإلقاء سمومهم وتسديد ضربهٔ للإسلام والمسلمين.

وعلى رغم أنّهم يكتمون نفاقهم ويتحرّكون فى خطّ التخريب والتآمر بشكل خفىّ، فإنّ معرفتهم وتشخيصهم ليست بالأمر العسير، فالقرآن الكريم ذكر علامات عديدهٔ لمعرفهٔ أهل النفاق فى سورهٔ البقرهٔ وسورهٔ المنافقون وبإمكان المؤمنين التعرّف عليهم واجتناب خطرهم ودسائسهم.

وقد تقدّمت بحوث مفصّلهٔ عن جذور النفاق وطريقهٔ عمل المنافقين على امتداد التاريخ، والأخطار التى تشكّلها هذه الفئهٔ على الامّهٔ الإسلاميّهٔ، فى الخطبهٔ ١٩۴ (الجزء السابع من ص ۶٠۶ إلى ۶١٩) وكذلك فى ذيل الخطبهٔ ٢١٠.

٢. رسالهٔ غريبهٔ من المعتضد العباسى

من غرائب العصر العبّاسىّ أنّ المعتضد العباسىّ أرسل رسالهٔ إلى جميع الأقضيهٔ والنواحى، وقد ذكرها المؤرّخ المعروف الطبرى فى تاريخه فى حوادث سنهٔ ٢٨۴ وأشار إليها ابن الأثير فى تاريخه الكامل (مع بعض الاختلاف فى التعبير) وبدورنا ننقلها من شرح نهج‌البلاغهٔ لابن أبى‌الحديد الذى استعرضها بشكل مختصر.

يقول ابن أبى‌الحديد فى الجزء ١۵ من شرح نهج‌البلاغهٔ فى ذيل هذه الرسالهٔ أنّ الإمام عليه السلام كتب هذه الرسالهٔ لمحمّد بن أبى بكر، ويقول الطبرى: وفى (سنهٔ ٢٨۴) عزم المعتضد على لعن معاويهٔ بن أبى سفيان على المنابر، وأمر بإنشاء كتاب يقرأ على الناس، فخوّفه عبيد اللَّه بن سليمان (وزيره) اضطراب العامّهٔ، وأنّه لا يأمن أن تكون فتنهٔ، فلم يلتفت إليه، فكان أوّل شىء بدأ به المعتضد من ذلك الأمر بالتقدّم إلى العامّهٔ بلزوم أعمالهم، وترك الاجتماع والعصبيهٔ، والشهادات عند السلطان إلّاأن

نفحات الولايهٔ، ج٩، ص: ٣٣٣

يسألوا، ومنع القُصّاص عن القعود على الطرقات، وأنشىء هذا الكتاب وعملت به نسخ قرئت فى الجانبين من مدينهٔ السلام فى الأرباع والمحالّ والأسواق، يوم الأربعاء لستٍ بقين من جمادى الاولى من هذه السنهٔ، ثمّ منع يوم الجمعهٔ لأربع بقين منه، ومنع القصّاص من القعود فى الجانبين، ومنع أهل الحلق من القعود فى المسجدين، ونودى فى المسجد الجامع بنهى الناس عن الاجتماع وغيره، وبمنع القصّاص وأهل الحلق والقعود، ونودى:

إنّ الذمّهٔ قد برئت ممّن اجتمع من الناس فى مناظرهٔ أو جدال، وتقدّم إلى الشراب الذين يسقون الماء فى الجامعين ألّا يترحّموا على معاويهٔ، ولا يذكروه، وكانت عادتهم جاريهٔ بالتّرحم عليه.

وتحدّث الناس أنّ الكتاب الذى قد أمر المعتضد بإنشائه بلعن معاويهٔ يقرأ بعد صلاهٔ الجمعهٔ على المنبر، فلمّا صلّى الناس بادروا إلى المقصورهٔ ليسمعوا قراءهٔ الكتاب، فلم يقرأ.

قيل: إنّ عبيداللَّه بن سليمان صرفه عن قراءته، وإنّه أحضر يوسف بن يعقوب القاضى، وأمره أن يعمل الحيلهٔ فى إبطال ما عزم المعتضد عليه، فمضى يوسف فكلّم المعتضد فى ذلك، وقال له: إنّى أخاف أن تضطرب العامّهٔ، ويكون منها عند سماعها هذا الكتاب حركهٔ، فقال المعتضد: إن تحركّت العامّهٔ أو نطقت، وضعت السيف فيهم، فقال: ياأميرالمؤمنين، فما تصنع بالطالبيين الذين يخرجون فى كلّ ناحيهٔ، ويميل إليهم خلق كبير، لقربهم من رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، ومافى هذا الكتاب من إطرائهم- أو كما قال- وإذا سمع الناس هذا كانوا إليهم أميل، وكانوا هم أبسط ألسنهٔ، وأثبت حجّهٔ منهم اليوم، فأمسك المعتضد فلم يرد إليه جواباً، ولم يأمر بعد ذلك فى الكتاب بشىء، وكان من جملهٔ الكتاب بعد أن قدّم حمد اللَّه والثناء عليه والصلاهٔ على رسول اللَّه صلى الله عليه و آله:

أما بعد، فقد انتهى إلى أميرالمؤمنين ما عليه جماعة العامّة من شبهة قد دخلتهم

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۳۳۴

فى أديانهم، وفساد قد لحقهم فى معتقدهم، وعصبية قد غلبت عليها أهواؤهم، ونطقت بها ألسنتهم، على غير معرفة ولا رويّة، قد قلّدوا فيها قادة الضلالة بلا بيّنة ولا بصيرة، وخالفوا السنن المتّبعة، إلى الأهواء المبتدعة، قال اللَّه تعالى: «وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدىً مِنْ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَايَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ»[۴۰۷]، خروجاً على الجماعة، ومسارعة إلى الفتنة، وإيثاراً للفرقة، وتشتيتاً للكلمة، وإظهاراً لموالاة من قطع اللَّه عنه الموالاة، وبتر منه العصمة، وأخرجه من الملّة، وأُوجبت عليه اللعنة، وتعظيماً لم صغّر اللَّه حقّه، وأوهن أمره، وأضعف ركنه، من بنى اميّة، الشجرة الملعونة، ومخالفة لمن استنقذهم اللَّه من الهلكة، وأسبغ عليهم النعمة من أهل بيت البركة والرحمة «وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ»[۴۰۸].

فأعظم أميرالمؤمنين ما انتهى إليه من ذلك، ورأى ترك إنكاره حرجاً عليه فى الدين، وفساداً لمن قلّده اللَّه أمره من المسلمين، وإهمالًا لما أوجبه اللَّه عليه من تقويم المخالفين، وتبصير الجاهلين، وإقامة الحجّة على الشاكّين، وبسط اليد على المعاندين، وأميرالمؤمنين يخبركم معاشر المسلمين، أنّ اللَّه جلّ ثناؤه لمّا ابتعث محمّداً صلى الله عليه و آله بدينه، وأمره أن يصدع بأمره، بدأ بأهله وعشيرته فدعاهم إلى ربّه، وأنذرهم وبشّرهم، ونصح لهم وأرشدهم، فكان من استجاب له، وصدّق قوله، واتّبع أمره نفر يسير من بنى أبيه، من بين مؤمن بما أتى به من ربّه، وناصر لكلمته وإن لم يتبع دينه إعزازاً له، وإشفاقاً عليه، فمؤمنهم مجاهد ببصيرته، وكافرهم مجاهد بنصرته وحميّته، يدفعون من نابذه، ويقهرون من عازّه وعانده، ويتوثّقون له ممّن كانفه وعاضده، ويبايعون من سمح بنصرته، ويتجسّسون أخبار أعدائه، ويكيدون له بظهر الغيب كما يكيدون له برأى العين، حتّى بلغ المدى، وحان وقت الاهتداء، فدخلوا فى دين اللَّه وطاعته وتصديق رسوله والإيمان به بأثبت بصيرة، وأحسن

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۳۳۵

هدى ورغبة، فجعلهم اللَّه أهل بيت الرحمة، وأهل بيت الدين، أذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، معدن الحكمة، وورثة النبوّة، وموضع الخلافة، أوجب لهم الفضيلة، وألزم العباد لهم الطاعة، وكان ممّن عانده وكذّبه وحاربه من عشيرته العدد الكثير والسواد الأعظم، يتلقّونه بالضرر والتثريب، ويقصدونه بالأذى والتخويف، وينابذونه بالعداوة، وينصبون له المحاربة، ويصدّون من قصده، وينالون بالتعذيب من اتّبعه، وكان أشدّهم فى ذلك عداوة، وأعظمهم له مخالفة، أوّلهم فى كلّ حرب ومناصبة، ورأسهم فى كلّ إجلاب وفتنة، ولا يرفع على الإسلام راية إلّاكان صاحبها وقائدها ورئيسها أباسفيان بن حرب صاحب أحد والخندق وغيرهما، وأشياعه من بنى اميّة الملعونين فى كتاب اللَّه، ثمّ الملعونين على لسان رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فى مواطن عدّة، لسابق علم اللَّه فيهم، وماضى حُكمه فى أمرهم، وكفرهم ونفاقهم، فلم يزل لعنه اللَّه يحارب مجاهداً، ويدافع مكايداً، ويجلب منابذاً، حتى قهر السيف، وعلا أمر اللَّه وهم كارهون، فتعوّذ بالإسلام غير منطوٍ عليه، وأسرّ الكفر غير مقلع عنه، فقبله وقبل ولده على علم منه بحاله وحالهم، ثمّ أنزل اللَّه تعالى كتاباً فيما أنزله على رسوله يذكر فيه شأنهم، وهو قوله تعالى: «وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِى الْقُرْآنِ»[۴۰۹]، ولا خلاف بين أحد فى أنّه تبارك وتعالى أراد بها بنى امية.

وممّا ورد من ذلك فى السنّة، ورواه ثقات الامّة، قول رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فيه وقد رآه مقبلًا على حمار ومعاوية يقوده ويزيد يسوقه، فقال صلى الله عليه و آله: «لَعَنَ اللَّهُ الرَّاكِبَ وَالْقَائِدَ وَالسَّائِق».

ومنه ما روته الرواة عنه من قوله يوم بيعة عثمان: «تَلَقَّفُوهَا يَا بَنِى عَبْدِ شَمْسٍ تَلَقُّفَ الْكُرَةِ فَوَ اللَّهِ مَا مِنْ جَنَّةٍ وَلَا نَار» وهذا كفر صُراح يلحقه اللعنة من اللَّه كما لحقت الذين كفروا من بنىاسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون.

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۳۳۶

ومنه ما يُروى من وقوفه على ثنيّة احد من بعد ذهاب بصره وقوله لقائده، هاهنا رمينا محمداً وقتلنا أصحابه.

ومنها الكلمـة التى قالها للعبّاس قبل الفتـح وقـد عرضت عليه الجنود: «أصـبح ملك ابن أخيك عظيماً» فقال العباس: ويحك، إنّه ليس بملك، إنّها النبوّة.

ومنها قوله يوم الفتح (فتح مكة) وقد رأى بلالًا على ظهر الكعبة يؤذّن ويقول:

«أشْهَد أنّ مُحَمّداً رَسُولُ اللّه»؛ فقال أبو سفيان: لقد أسعد اللّه عتبة بن ربيعة إذ لم يشهد هذا المشهد.

ومنه الرؤيـا التى رآهـا رسول اللّه صـلى الله عليه و آله فوجم لها: قالوا: ما رئى بعـدها ضاحكاً، رأى نفراً من بنى اميّـة ينزون على منبره نزوة القردة.

ومنها طرد رسول اللّه صـلى الله عليه و آله الحكم بن أبى العاص لمحاكاته إيّاه فى مشـيته، وألحقه اللّه بدعوة رسول اللّه صلى الله عليه و آله آفة باقية حين التفت إليه فرآه يتخلج يحكيه، فقال: «كُن كَما أنتَ»، فبقى على ذلك سائر عمره.

وهذا إلى ما كان من مروان ابنه فى افتتاحه أوّل فتنة كانت فى الإسلام، واحتقابه كلّ دم حرام سُفك فيما قبلها أو اريق بعدها.

ومنها ما أنزله اللّه تعالى على نبيّه صلى الله عليه و آله: «لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ»[۴۱۰]، قالوا:

ملك بنى اميّة.

ومنها أنّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله قال: «يَطلعُ مِنْ هذا الفَجّ رَجلٌ مِن امّتى يُحشرُ على غيرِ مِلّتى»، فطلع معاوية.

ومنها أنّ رسول اللّه صـلى الله عليه و آله قال: «إذَا رَأَيْتُمْ مُعَاوِيَةَ يَخْطُبُ عَلَى مِنْبَرِى فَاقْتُلُوه» وذكر فى هذا الكتاب روايات قاصـمة على معاوية الواردة فى الكتب التاريخية المشهورة.

ومنها افتراؤه بالمحاربة لأفضل المسلمين فى الإسلام مكاناً، وأقدمهم إليه سبقاً،

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۳۳۷

وأحسنهم فيه أثراً وذكراً، علىّ بن أبى طالب، ينازعه حقّه بباطله، ويجاهد أنصاره بضلالة أعوانه، ويحاول ما لم يزل هو وأبوه يحاولانه من إطفاء نـور اللّه، وجحـود دينه «وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ»[۴۱۱]، ويسـتهوى أهل الجهالـة، ويموّه لأهل الغباوة بمكره وبغيه اللـذين قـدّم رسول اللّه صـلى الله عليه و آله الخبر عنهما، فقال لعمار بن ياسـر: «تَقتُلُكَ الفِئـةُ الباغِيـةُ، تَدعُوهُم إلى الجَنَّةِ وَيَدْعُونَكَ إلى النّارِ»، مؤثراً للعاجلة، وكافراً بالآجلة، خارجاً من ربقة الإسـلام، مسـتحلّاً للدم الحرام، حتّى سفك فى فتنته، وعلى سبيل غوايته وضـلالته ما لا يحصى عدده من أخيار المسلمين، الذّابين عن دين اللّه، والناصرين لحقّه، مجاهداً فى عداوة اللّه، مجتهداً فى أن يعصـى اللّه فلا يُطاع، وتُبطل أحكامه فلا تقام، ويخالف دينه، فلابـدّ أن تعلو كلمة الضـلال وترتفع دعوة الباطل، وكلمة اللّه هى العليا، ودينه المنصور، وحكمه النافـذ، وأمره الغـالب وكيـد من عاداه وحادّه المغلوب الـداحض، حتّى احتمل أوزار تلك الحروب وما تبعها، وتطوّق تلك الدماء وما سفك بعدها، وسنّ سنن الفساد التى عليه إثمها وإثم من عمل بها، وأباح المحارم لمن ارتكبها، ومنع الحقوق أهلها، وغرّته الآمال، واستدرجه الإمهال.

وكـان ممّـا أوجب اللّه عليه به اللعنـة قتله من قتـل صـبراً، من خيـار الصـحابة والتـابعين، وأهـل الفضـل والـدين، مثـل عمرو بن الحمق الخزاعىّ، وحجر بن عـدىّ الكنـدىّ، وفيمن قتـل من أمثـالهم، على أن تكون له العزّة والملـك والغلبـة، ثمّ ادّعاؤه زياد بن سـميّة أخاً، ونسـبته إيّاه واللّه تعالى يقول: «ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللّهِ ...»[۴۱۲]، ورسول االلّه صـلى الله عليه و آله يقول: «مَلْعُونٌ مَن ادَّعى إلى غيرِ أبيهُ أو انْتَمى إلى غَيرِ مَواليه»، وقـال صـلى الله عليه و آله: «الْوَلَـدُ لِلفرَاشِ وللعَـاهِرِ الحَجَر»، فخـالف حكم اللّه تعـالى ورسـوله جهاراً، وجعل الولد لغير الفراش و الحجر لغير العاهر، فأحلّ بهذه الدعوة

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۳۳۸

من محارم اللّه ورسوله ....

ومن ذلك إيثاره لخلافة اللّه على عباده ابنه يزيد السـكّير والخمير صاحب الديكة والفهود والقردة، وأخذ البيعة له من خيار المسـلمين

بالقهر والسطوة والتوعّد والإخافة، والتهديد والرهبة، وهو يعلم سفهه، ويطّلع على رهقه وخبثه، ويعاين سكراته وفعلاته، وفجوره وكفره، فلما تمكّن- قاتله اللّه- فيما تمكّن منه، طلب بثارات المشركين وطوائلهم عند المسلمين، فأوقع بأهل المدينة فى وقعة الحرّة، الوقعة التى لم يكن فى الإسلام أشنع منها ولا أفحش، فشفى عند نفسه غليله، وظنّ أنّه قد انتقم من أولياء اللّه، وبلغ الثأر لأعداء اللّه، فقال مجاهراً بكفره ومظهراً لشركه:

لَيتَ أَشْيَاخِى بِبَدْرٍ شَهِدُواجَزَعَ الْخَزْرَجِ مِنْ وَقْعِ الْأَسَل ۴۱۳]

ثمّ أغلظ ما انتهك، وأعظم ما اجترم، سفكه دم الحسين بن علىّ عليه السلام، مع موقعه من رسول اللّه صلى الله عليه و آله ومكانته ومنزلته من الدين والفضل والشهادة له ولأخيه بسيادة شباب أهل الجنّة، اجتراءً على اللّه، وكفر بدينه، وعداوة لرسوله، ومجاهرة لعترته، واستهانة لحرمته، كأنّما يقتل منه ومن أهل بيته قوماً من كفرة الترك والديلم، ولا يخاف من اللّه نقمة، ولا يراقب منه سطوة، فبتر اللّه عمره، وأخبث أصله وفرعه، وسلبه ما تحت يده، وأعدّ له من عذابه وعقوبته ما استحقّه من اللّه بمعصيته ....

ثم أضاف: أيّها الناس، إنّما أمر ليطاع، ومثل ليتمثّل، وحكم ليفعل، قال اللّه سبحانه وتعالى: «إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعيراً»[۴۱۴] وقال: «أُولئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۳۳۹

وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ»[۴۱۵]، فالعنوا أيّها الناس من لعنه اللّه ورسوله، وفارقوا من لا تنالون القربة من اللّه إلّابمفارقته اللَّهُمَّ الْعَنْ أباسُفْيانَ بْنَ حَرْبِ بْنَ امَيَّةَ، وَمُعَاوِيَةَ بْنَ أبى سُفْيانَ، وَيَزِيدَ بْنَ مُعاوِيةَ، وَمَرْوانَ بْنَ الحَكَم وَوِلْدَهُ وَوِلْدَ وُلدِه! اللَّهُمَّ الْعَنْ أَئِمَّةَ الْكُفْرِ وَقَادَةَ الضَّلَالِ وَأَعْدَاءَ الدِّين مُجَاهِدِى الرَّسُولِ وَمُعَطِّلِى الْأَحْكَامِ وَمُبَدِّلِى الْكِتَابِ وَمُنْتَهِكِى الدَّمِ الْحَرَامِ .

إلى قوله: ولا قوّة الا باللّه العلىّ العظيم»[۴۱۶].

ما ورد أعلاه يمثّل جانباً من الكتاب المطوّل الذى كتبه «المعتضد العبّاسىّ»، وجاء هذا الكتاب فى المصادر الإسلاميّة والتاريخية المعروفة.

وبديهى أنّ نقل رسالة المعتضد باللّه العباسىّ لا تعنى تأييد جميع أعماله فى أيّام خلافته.

ونرى من اللازم الإشارة إلى هذه النقطة، وهى أنّ مخالفة وزير المعتضد «عبيداللّه بن سليمان» لنشر هذه الرسالة كان بسبب انحرافه عن علىّ وآله عليه السلام فإنّ المؤرّخين ذكروا عنه فى ترجمة حياته: «كانَ مُنْحَرِفاً عَنْ عَلِيٍّ عليه السلام» فكان خوفه من ثورة الناس ليس سوى ذريعة.

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۳۴۱

الرسالة ۲۸

اشارة

إلى مُعاوِيَةَ جَواباً[۴۱۷] قالَ الشَّرِيفُ: وَهُوَ مِنْ مَحاسِنِ الْكُتُبِ

نظرة إلى الرسالة

رأينا أنّ هذه الرسالة، كما ورد فى مطلعها فى نهج‌البلاغة، تمثّل جواباً على أحد كتب معاوية إلى الإمام علىّ عليه السلام، وفيه

يتحدّث معاوية بشكل غير مؤدّب مع الإمام عليه السلام ولم يترك أيّ حرمة إلّاوانتهكها، وفى القسم الأول من رسالته يتحدّث عن عظمة نبىّ الإسلام صلى الله عليه و آله والرسالة الإلهيّة، ويجعل ذلك مقدّمة لبيان فضائل أصحاب النبىّ وأنصاره، ثمّ يتطرّق إلى فضائل الخليفة الأوّل والثانى والثالث ويتحدّث عن مقام الأول والثانى وعن مظلوميّة الثالث ويتّهم الإمام عليه السلام بالمساهمة فى قتل عثمان،

نفحات الولاية، ج ۹، ص: ۳۴۲

وكذلك يتّهمه بالحسد لأبى بكر وكراهيته لخلافة عمر، وفى جميع هذه الرسالة يستخدم معاوية تعبيرات نابية وكلمات موهنة، وفى ختامها يتّهم الإمام عليه السلام بوقاحة بأنّه معاند ولجوج ويقول: ادفع لنا قتلة عثمان واعمل على تشكيل شورى لانتخاب خليفة النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله فنحن لا نقبل ببيعتك ولا نطيعك، وسيكون جوابك هو السيف ونحن ماضون على ذلك إلى النهاية.

ويتبيّن من عبارات هذه الرسالة أنّ معاوية كان يهدف إلى أمرين: الأوّل: أن يثير غضب الإمام عليه السلام وإحساساته ليجيبه بكلام مماثل ويتّخذ ذلك ذريعة أخرى إلى جانب قميص عثمان لقتال الإمام، وكذلك إغراقه فى بيان فضائل الخلفاء الثلاثة واتّهام الإمام عليه السلام بالحسد لهم ليجيبه الإمام عليه السلام على الضدّ من ذلك، وبالتالى يكون بيده حجّة ضدّ الإمام عليه السلام إلى جانب قميص عثمان.

وهذا الكلام ليس استنباطاً ممّا ورد فى رسالة معاوية، بل هو أمر ورد بصراحة فى التاريخ الإسلامى على لسان عمرو بن العاص، يقول ابن أبى‌الحديد: إنّ عمرو ابن العاص قد أشار إلى معاوية أن يكتب كتاباً ثانياً مناسباً للكتاب الأول ليستفزّا فيه الإمام علىّ عليه السلام ويستخفّاه ويحمله الغضب منه أن يكتب كلاماً يتعلّقان به فى تقبيح حاله وتهجين مذهبه، وقال له عمرو بن العاص: إنّ عليّاً رجل نزق تيّاه، فاستطعم منه الكلام بمثل الثناء على أبى بكر وعمر، فكتب معاوية الرسالة التى ذكرنا شيئاً منها آنفاً.

أمّا مضمون رسالة الإمام عليه السلام بنظرة عامة:

إنّ هذه الرسالة تشتمل على عدّة محطّات، فالإمام فى المحطّة الاولى يتعرّض لفضح ادّعاءات معاوية الواهية، ويقول فى جوابه: إنّ اللّه تعالى بعث محمداً لرسالته ونشر دينه وأيّده بأنصاره، والإمام فى هذه المقطع يبرز تعجّبه الشديد ويقول: وما أنت وهذه الأمور، فقصّتك مثل قصّة الشخص الذى يحمل التمر إلى هجر، وهذا المثل معروف لدى العرب، كما يدعو التلميذ استاذه إلى مسابقة علميّة مثلًا، فيقول له

نفحات الولاية، ج ۹، ص: ۳۴۳

الإمام عليه السلام إنّه يحسن بك أن تكفّ عن هذه الأقاويل ولا تحدّث بها أهلنا وقبيلتنا، فنحن أعلم منك بذلك.

وفى المحطّة الثانية، وبقصد التذكير بنعم اللّه تعالى، لا من أجل اطّلاع معاوية الذى يعلم بهذه الأمور، يتعرّض الإمام عليه السلام لبيان فضائل بنى هاشم وذكر حمزة سيّد الشهداء وجعفر الطيار، وفى الختام يقول: لو لم ينهَ اللّه تعالى عن مدح النفس، لذكرت لك فضائل كثيرة تعرفها قلوب المؤمنين ولا تمجّها آذان السامعين.

وفى المحطّة الثالثة من هذه الرسالة يشير الإمام عليه السلام إلى نقطة أساسية فى ادّعاءات معاوية، ويتعرّض للمقارنة بين بنى هاشم وبنى اميّة، ويقول: نحن تربطنا رابطة رحم مع النبىّ ونحن أهل بيته، وقد اعتنقنا رسالته ودينه قبل جميع الناس ونحن على معرفة بها أكثر من الآخرين، وبالتالى نحن أحقّ بالخلافة، فالمهاجرون يوم السقيفة استندوا إلى قرابتهم من رسول اللّه صلى الله عليه و آله ليدعموا موقفهم ضدّ الأنصار الذين كانوا يطمحون إلى الخلافة، فلو كان هذا الأمر دليلًا على الأولوية فنحن أحقّ منهم.

وفى المحطّة الرابعة من هذه الرسالة يتعرّض الإمام عليه السلام لنقد بعض عبارات معاوية غير المؤدّبة فى رسالته ويقول: لقد ذكرت فى رسالتك أنّنى كنت اقاد كالجمل المخشوش للبيعة، ولكنّك بهذا الكلام قد فضحت نفسك، لأنّ المسلم لا يجد فى نفسه غضاضة أن يقع مظلوماً مادام يجد نفسه مستقيماً فى حركته فى خطّ الرسالة والإيمان والمسؤولية، وأنّك تحدّثت عن عثمان وكيف كان

سلوكى معه، فمَن هو الأكثر عـداوة لعثمان؟ هل هو الشـخص الذى انطلق للدفاع عنه ولمدّ يد العون له ونصيحته بتلبية حاجات الناس لإطفاء نار الفتنة وتهدئة الأُمور (إشارة إلى توصيات الإمام عليه السلام لعثمان) أو الشـخص الذى طلب منه عثمان المعونة وامتنع منها وقبع ينتظر موته (إشارة إلى حال معاوية وموقفه من قتل عثمان).

نفحات الولاية ؛ ج٩ ؛ ص٣٤٣

ى المحطّة الخامسة والأخيرة من هذه الرسالة يقول الإمام عليه السلام فى مقام

نفحات الولاية، ج٩، ص: ٣٤٤

الجواب عن تهديـد معاويـة بالهجوم والحرب: لقـد أثرت فى نفسـى الضـحك، فأنت تهـدّد أبناء عبـدالمطّلب بالموت والحرب، فمتى رأيت أبناء عبدالمطّلب يهربون من القتال أو يخافون من السيف؟

***

نفحات الولاية، ج٩، ص: ٣٤٥

القسم الأول

اشارة

أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ أَتَانِى كِتَابُكَ تَذْكُرُ فِيهِ اصْطِفَاءَ اللَّهِ مُحَمَّداً صلى الله عليه و آله لِدِينِهِ، وَتَأْيِيدَهِ إِيَّاهُ بِمَنْ أَيَّدَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ؛ فَلَقَدْ خَبَّأَ لَنَا الدَّهْرُ مِنْكَ عَجَباً؛ إِذْ طَفِقْتَ تُخْبِرُنَا بِبَلَاءِ اللَّهِ تَعَالَى عِنْدَنَا، وَنِعْمَتِهِ عَلَيْنَا فِى نَبِيِّنَا، فَكُنْتَ فِى ذَلِكَ كَنَاقِلِ التَّمْرِ إِلَى هَجَرَ، أَوْ دَاعِى مُسَدِّدِهِ إِلَى النِّضَالِ. وَزَعَمْتَ أَنَّ أَفْضَلَ النَّاسِ فِى الْإِسْلَام فُلَانٌ وَفُلَانٌ؛ فَذَكَرْتَ أَمْراً إِنْ تَمَّ اعْتَزَلَكَ كُلُّهُ، وَإِنْ نَقَصَ لَمْ يَلْحَقْكَ ثَلْمُهُ. وَمَا أَنْتَ وَالْفَاضِلَ وَالْمَفْضُولَ، وَالسَّائِسَ وَالْمَسُوسَ! وَمَا لِلطُّلَقَاءِ وَأَبْنَاءِ الطُّلَقَاءِ، وَالتَّمْيِيزَ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ، وَتَرْتِيبَ دَرَجَاتِهِمْ، وَتَعْرِيفَ طَبَقَاتِهِمْ! هَيْهَاتَ لَقَدْ حَنَّ قِدْحٌ لَيْسَ مِنْهَا، وَطَفِقَ يَحْكُمُ فِيهَا مَنْ عَلَيْهِ الْحُكْمُ لَهَا! أَ لَاتَرْبَعُ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ عَلَى ظَلْعِكَ، وَتَعْرِفُ قُصُورَ ذَرْعِكَ، وَتَتَأَخَّرُ حَيْثُ أَخَّرَكَ الْقَدَرُ! فَمَا عَلَيْكَ غَلَبَةُ الْمَغْلُوبِ، وَلَا ظَفَرُ الظَّافِرِ!

الشرح والتفسير: كيف يجلس المحكوم للحكم والقضاء؟

كما تقـدّمت الإشارة إليه، فإنّ هـذه الرسالة التى يقول عنها الشـريف الرضـى من أبلغ وأجمل الرسائل، يتحدّث فيها أميرالمؤمنين عليه السلام عن مسائل مهمّة بعبارات بليغة وحاسمة لمعاوية.

فى البدايـة يشـير الإمام عليه السـلام إلى حديث معاوية عن عظمة النبىّ الأكرم صـلى الله عليه و آله ورسالته السـماوية ويقول: «أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ أَتَانِى كِتَابُكَ تَذْكُرُ فِيهِ اصْطِفَاءَ اللَّهِ مُحَمَّداً صلى الله عليه و آله لِدِينِهِ، وَتَأْيِيدَهِ إِيَّاهُ بِمَنْ أَيَّدَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ؛ فَلَقَدْ خَبَّأَ لَنَا الدَّهْرُ مِنْكَ عَجَباً؛ إِذْ

نفحات الولاية، ج٩، ص: ٣٤٦

طَفِقْتَ ٤١٨] تُخْبِرُنَا بِبَلَاءِ[٤١٩] اللَّهِ تَعَالَى عِنْدَنَا، وَنِعْمَتِهِ عَلَيْنَا فِى نَبِيِّنَا، فَكُنْتَ فِى ذَلِكَ كَنَاقِلِ التَّمْرِ إِلَى هَجَرَ، أَوْ دَاعِى مُسَدِّدِهِ ٤٢٠] إِلَى النِّضَالِ ٤٢١]».

والإمـام عليه السـلام هنـا لغرض بيان فساد وقبـح كلام معاويـة فيما يتّصل بوصف الإسـلام وعظمـة النبىّ الكريم صـلى الله عليه و آله،

وللإمام عليّ عليه السلام الذى يعتبر أوّل مسلم وأنّه نفس النبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله والنقطة المحورية للإسلام بعد رسول اللّه صلى الله عليه و آله، يذكر مثلين كلّ واحد منهما أبلغ وأقوى من الآخر، فى البداية يذكر المثل العربى المعروف: «فُلَانٌ كَنَاقِلِ التَّمْرِ إِلَى هَجَر» وهذا المثل يعود إلى تاجر كان قادماً من منطقة هجر (وهى إحدى مناطق البحرين) وفيها تكثر زراعة النخيل ويأتى إلى البصرة يشترى له بضاعة وينقلها إلى هجر، وكلّما بحث عن شىء يشتريه لم يجد أزهد سعراً من التمر، فاشترى برأسماله كلّه تمراً من البصرة وجاء به إلى هجر وادّخره فى مخزنه انتظاراً لغلاء سعر التمر، ولكن لسوء حظّه كان سعر التمر يهبط يوماً بعد آخر حتى فسد جميع التمر فى مخزنه، وتلف بذلك رأس ماله، فضرب به المثل ويقال لكلّ من يحمل شيئاً أو يتحدّث بأمر من الأمور عند من هو أعلم منه وأخبر به، وحال معاوية أيضاً يشبه ذلك التاجر الأحمق حيث أراد أن يبيّن للإمام على عليه السلام عظمة الإسلام والنبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله فصدق عليه هذا المثل المعروف.

والمثال الثانى يشبّه الإمام عليه السلام معاوية بالرامى الناشىء الذى تعلّم الرماية عند استاذه ثمّ وقف أمام استاذه وأخذ يدعوه للبراز والمسابقة فى الرماية ليخبر استاذه ويمتحنه فى تسديد الرمية، وهذا هو ما يثير الضحك والسخرية.

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۳۴۷

وذهب بعض شرّاح نهج‌البلاغة إلى أنّ الإمام عليه السلام تحدّث من موقع التواضع بهذا التشبيه حيث شبّه معاوية بالتلميذ رغم سوء أدب معاوية وجرأته على الإمام عليه السلام.

وعلى أيّة حال، فمَن يريد الاطّلاع على سيرة النبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله وحقيقة الإسلام ورسالته الإلهيّة، فينبغى أن يستوحى ذلك من كلمات الإمام عليه السلام وسلوكياته، وما أقبح أن يطلب معرفة الإسلام من الطلقاء والبعيدين عن أجواء الرسالة والإيمان كمعاوية.

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام يتعرّض لقسم آخر من رسالة معاوية وحديثه عن صحابة النبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله ويشير إلى الخليفة الأول والثانى والثالث، ويقول: «وَزَعَمْتَ أَنَّ أَفْضَلَ النَّاسِ فِي الْإِسْلَامِ فُلَانٌ وَفُلَانٌ؛ فَذَكَرْتَ أَمْراً إِنْ تَمَّ اعْتَزَلَكَ كُلُّهُ، وَإِنْ نَقَصَ لَمْ يَلْحَقْكَ ثَلْمُهُ ۴۲۲]. وَمَا أَنْتَ وَالْفَاضِلَ وَالْمَفْضُولَ وَالسَّائِسَ وَالْمَسُوسَ!».

وكما تقدّمت الإشارة إليه أنّ هدف معاوية من ذكر اسم الخليفة الأول والثانى والثالث وفضائلهم أن يثير حفيظة الإمام عليه السلام بحيث يجيبه بجواب من موقع الغضب فيتّخذه ذريعة ويتمسّك بها ضدّ الإمام عليه السلام، ولكنّ الإمام عليه السلام أجابه بكلام متين ومدروس جدّاً، بحيث أخرجه كلياً من دائرة القرار وأبعده عن هذا الشأن، والحقيقة أنّ الإمام عليه السلام يريد أن يقول له: أنت ابن أبى سفيان جرثومة الكفر ومحور الشرك والوثنية، والعدوّ الأوّل للإسلام والأصل لإشعال نيران الحروب والفتنة ضد النبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله والمسلمين، وأنت قد رُبِّيتَ فى حضن هند آكلة الأكباد وأنّ اسرتك غريبة عن الإسلام والرسالة، والآن تريد أن تتحدّث عن صحابة النبيّ وتعيّن الفاضل والمفضول، وتجعل نفسك واحداً ممّن يرتبط بهذا الشأن!

ويضيف الإمام عليه السلام فى إدامة كلامه بشكل أبين وأقوى ويقول: «وَمَا لِلطُّلَقَاءِ وَأَبْنَاءِ الطُّلَقَاءِ، التَّمْيِيزَ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ، وَتَرْتِيبَ دَرَجَاتِهِمْ، وَتَعْرِيفَ طَبَقَاتِهِمْ!».

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۳۴۸

وكأنّك قد نسيت أنّك يوم فتح مكة وانتصار المسلمين واستيلائهم على آخر معقل للكفر والشرك، كنت تحت رحمة سيوف المجاهدين ولم يكن لديك طريق للفرار، ولذلك أسلمت أنت وأبوك أبوسفيان من موقع التسليم والرضوخ، وقد منّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله عليكم وجعلكم من الطلقاء، والآن نصّبت نفسك على كرسى التحكيم بين صحابة النبيّ وجعلت من نفسك عارفاً بدرجاتهم ومكانتهم بين المهاجرين الأوّلين، والحقيقة أنّ من المخجل جدّاً أن يقوم شخص يملك هو واسرته مثل هذه السابقة السيّئة، بالتدخّل بمثل هذه الأمور ويجعل نفسه حكماً فى هذا الشؤون.

والواقع ينبغى توجيه حربة النقد إلى الأشخاص الذين جعلوا من معاوية يحتلّهذه المكانة بعد النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله ونسوا سوابقه وجعلوه والياً على مقاطعة كبيرة من البلاد الإسلاميّة، أجل، فمعاوية نُصّب والياً على الشام فى زمان الخليفة الثانى ويتوجّه اللوم أيضاً إلى المسلمين الذين نسوا سوابق اسرة بنى أمية بهذه السرعة والفاصلة الزمنية القليلة، ورضخوا لحكومتهم ولم ينتفضوا ضدّهم، كلّ ذلك مع وجود روايات كثيرة عن النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله مذكورة فى المصادر الإسلاميّة المختلفة فى ذمّ بنى امية وبالتحديد معاوية، وبيان الخطر الذى يهدّد الإسلام والامّة الإسلاميّة من حكومتهم.

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام يستمرّ فى كلامه ويقول من موقع التأكيد: «هَيْهَاتَ لَقَدْ حَنَ ۴۲۳] قِدْحٌ ۴۲۴] لَيْسَ مِنْهَا، وَطَفِقَ يَحْكُمُ فِيهَا مَنْ عَلَيْهِ الْحُكْمُ لَهَا».

وجملة: «حَنَّ قِدْحٌ لَيْسَ مِنْهَا» مثل معروف بين العرب يعود أصله إلى أنّ طائفة من بنى الحنان أرادوا أن يلعبوا القمار فيما بينهم، وهيّأوا لذلك النصال، وكان نصيب جدّهم منها نصل غير صالح للرمى، فرمى بنصله من بين تلك النصال، وكان المقسم للنصال رجل أعمى، وعندما أصابت الرمية سهم من هذه السهام انتبه من الصوت أنّ

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۳۴۹

تلك النصال زائفة أيضاً، فقال: «حَنَّ قِدْحٌ لَيْسَ مِنْهَا» أى أنّ هذا النصل ليس من جنس النصال الأصلية، من خلال صوته، وانكشف بذلك زيف هذه النصال، ثمّ ضرب به المثل لكلّ شخص أدخل نفسه فى جماعة لم يكن جديراً بهم، وجعل نفسه فى عرض فئة ليس من مستواهم، والإمام عليه السلام استخدم هذا المثل المعروف فى مورد معاوية، وأنّك تخلط نفسك مع جماعة لست منهم، فأنت من الكفّار الطلقاء الذين أطلق سراحهم النبىّ يوم فتح مكة، فما أنت والمجاهدين والمهاجرين الأولين؟[۴۲۵].

واللافت للنظر أنّ الإمام عليه السلام فى العبارة المذكورة أعلاه يقول بصراحة: أنت بهذه السوابق السيّئة تعتبر من زمرة المحكومين ومن الرعيّة، فكيف تجلس على كرسىّ الحكّام وتدّعى التحكيم فيما بينهم؟

ثمّ يضيف الإمام عليه السلام للتأكيد ويقول: «أَلَا تَرْبَعُ ۴۲۶] أَيُّهَا الْإِنْسَانُ عَلَى ظَلْعِكَ ۴۲۷] وَتَعْرِفُ قُصُورَ ذَرْعِكَ ۴۲۸] وَتَتَأَخَّرُ حَيْثُ أَخَّرَكَ الْقَدَرُ فَمَا عَلَيْكَ غَلَبَةُ الْمَغْلُوبِ، وَلَا ظَفَرُ الظَّافِرِ!».

وفى الجُمَل الثلاث يحذّر الإمام عليه السلام معاوية فى البداية أن يعرف قدره ولا يمدّ رِجلَه أكثر من لحافه كما يقول المثل.

وفى الجملة الثانية يأمره الإمام عليه السلام بمعرفة نفسه: وعليك أن تعرف أنّك لست من أهل هذا الميدان وأنّك أعجز من أن تطلب زمام الحكومة والولاية على منطقة من البلاد الإسلاميّة أو تروم التمييز بين مراتب المهاجرين والأنصار وتقضى فى هذا الشأن، إذن الأفضل أن تجلس فى سلك المرتبة التى تليق بشأنك وإمكاناتك ولا تتجاوز عن حدودك (أى تجلس فى صفّالنعال ومكانالأحذية لا فى صدرالمجلس).

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۳۵۰

وفى الجملة الثالثة يقول: صحيح أنّ المهاجرين والأنصار استطاعوا تحقيق النصر والغلبة فى مواجهاتهم الحاسمة لقوى الكفر والشرك والوثنية، وأنّ أعداء الإسلام والمشركين انهزموا من الميدان، ولكن ذلك يتعلّق بالنبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله والصحابة، وما أنت وهؤلاء حتّى تتحدّث عن انتصار المسلمين وهزيمة الكفّار بوصفها أحد افتخاراتك!

وجملة: «فَمَا عَلَيْكَ ...» التى تبتدىء بفاء التفريع، إشارة إلى هذه الحقيقة، وهى أنّك امرؤ تعيش التخلّف والتأخّر فى مراتب الإسلام حيث أسلمت ظاهراً أنت وأبوك أبوسفيان فى آخر لحظات الدعوة الإسلاميّة وانتصار الرسالة على قوى الشرك، فمن هذا المنطلق فأنت تقع كلياً خارج هذا البحث ولا يمكن أن تجلس للتحكيم بين المهاجرين الأولين وتعيين مراتبهم ودرجاتهم.

وفى الجملة الرابعة والأخيرة يضيف الإمام عليه السلام: «وَإِنَّكَ لَذَهَّابٌ فِي التِّيهِ، رَوَّاغٌ عَنِ الْقَصْدِ».

«التيه» فى الأصل بمعنى الحيرة، ثمّ اطلق على الصحراء التى لا يوجد فيها طريق للخروج منها، بحيث يبقى الإنسان حائراً فيها لا يهتدى

سبيلًا، كما هو الحال فى صحراء سيناء فى سنوات «تيه» بنى اسرائيل حيث بقوا فى هذا التيه أربعين سنة.

والإمام عليه السلام فى هذه الجملة الأخيرة يرى أنّ مسار معاوية فى هذه القضية على خطأ من جهتين: الاولى: أنّه قد أوصل نفسه إلى وادٍ لا- يمكن الخروج والنجاة منه وأنّ طريقه ومقصده غير معلوم، والأخرى: أنّه على فرض وضوح الطريق والمقصد، فإنّ معاوية لم يختر لنفسه الطريق القويم، بل انحرف عن هذا المسير وتوغّل فى دروب الضلالة والانحراف والتيه.

«روّاغ» صيغة مبالغة من مادة روغ (على وزن ذوق) وتعنى الحركات الانحرافية التى تقود صاحبها تارة إلى هذه الجهة وأخرى إلى تلك، فيقال: إنّ الثعلب يتحرّك بمثل هذه الحركة حتى لا يقع فى المصيدة، والإمام يقول لمخاطبه هنا: أنت تتحرّك دوماً من هذه الجهة إلى تلك الجهة من موقع المكر والحيلة ولا تتحرّك أبداً فى

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۳۵۱

المسار الصحيح والطريق المعتدل، فأحياناً تدافع عن صحابة النبىّ، وأخرى تقف أمامهم وترفع لواء التمرّد ضدّهم وتدعو الناس للحرب وسفك الدماء.

***

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۳۵۳

القسم الثانى

اشارة

أَلَا تَرَى غَيْرَ مُخْبِرٍ لَکَ، وَلَکِنْ بِنِعْمَةِ اللَّهِ أُحَدِّثُ- أَنَّ قَوْماً اسْتُشْهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَلِکُلٍّ فَضْلٌ، حَتَّى إِذَا اسْتُشْهِدَ شَهِيدُنَا قِيلَ: سَيِّدُالشُّهَدَاءِ، وَخَصَّهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه و آله بِسَبْعِينَ تَکْبِيرَةً عِنْدَ صَلَاتِهِ عَلَيْهِ! أ وَلَا تَرَى أَنَّ قَوْماً قُطِّعَتْ أَيْدِيهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ- لِکُلٍّ فَضْلٌ- حَتَّى إِذَا فُعِلَ بِوَاحِدِنَا مَا فُعِلَ بِوَاحِدِهِمْ قِيلَ: «الطَّيَّارُ فِي الْجَنَّةِ وَذُو الْجَنَاحَيْنِ!» وَلَوْ لَامَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ مِنْ تَزْکِيَةِ الْمَرْءِ نَفْسَهُ، لَذَکَرَ ذَاکِرٌ فَضَائِلَ جَمَّةً تَعْرِفُهَا قُلُوبُ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا تَمُجُّهَا آذَانُ السَّامِعِينَ. فَدَعْ عَنْکَ مَنْ مَالَتْ بِهِ الرَّمِيَّةُ فَإِنَّا صَنَائِعُ رَبِّنَا، وَالنَّاسُ بَعْدُ صَنَائِعُ لَنَا.

الشرح والتفسير: الامتيازات النادرة

تبيّن فى المقطع السابق أنّ الإمام عليه السلام خيّب معاوية فى بلوغ هدفه من الرسالة، لأنّ معاوية أراد من خلال استعراض سيرة الخلفاء الثلاثة أن يثير الإمام عليه السلام ليتحدّث بكلام ضدّهم ويجعل من هذا الكلام حجّة وذريعة كقميص عثمان، ولكنّ الإمام عليه السلام ذكر له بأنّك أجنبىّ وغريب عن الدخول فى مثل هذه المسائل فلا- يحقّ لك أن تنصب نفسك حكماً بين المهاجرين والأنصار.

ثمّ إنّ الإمام فى هذا المقطع من هذه الرسالة يستعرض فضائل أهل البيت عليهم السلام بأفضل تعبيرات وأبلغ الكلمات فيبطل ادّعاءات معاوية بشكل غير مباشر، يقول الإمام عليه السلام: «أ لَاتَرَى- غَيْرَ مُخْبِرٍ لَکَ، وَلَکِنْ بِنِعْمَةِ اللَّهِ أُحَدِّثُ- أَنَّ قَوْماً اسْتُشْهِدُوا

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۳۵۴

فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَلِکُلٍّ فَضْلٌ، حَتَّى إِذَا اسْتُشْهِدَ شَهِيدُنَا قِيلَ: سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ وَخَصَّهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه و آله بِسَبْعِينَ تَکْبِيرَةً عِنْدَ صَلَاتِهِ عَلَيْهِ».

وقد ورد فى الروايات الإسلاميّة أنّ النبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله كان كلّما كبر تكبيرة فى صلاته على جثمان حمزة كبّرت جماعة من الملائكة معه، وعلى ضوء ذلك جاءت أربعة عشر طائفة من الملائكة بصورة متتالية وصلّوا خلف رسول اللَّه صلى الله عليه و آله على جنازة حمزة[۴۲۹].

على أية حال فإنّ غرض الإمام عليه السلام من هذا الكلام أنّنا لو شرعنا بذكر الفضائل وبدأنا من الشهادة، فإنّ هذه الفضيلة تعدّ من أبرز امتيازات قبيلتنا، لأنّ حمزة سيّد الشهداء منّا، فصحيح أنّ جميع الشهداء يملكون مقاماً شامخاً عند اللَّه وعند المؤمنين، ولكن مقام هذا الشهيد من بنى هاشم أعلى وأسمى من الجميع.

وطبعاً فإنّ هذا اللقب لحمزة وهو سيّد الشهداء كان بالنسبة لشهداء عصر النبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله وإلّا فإنّ مقام أميرالمؤمنين علىّ بن أبى طالب عليه السلام فى شهادته وشهادة الإمام الحسين عليه السلام وشهداء كربلاء أعلى من ذلك، اللافت أنّ ابن أبى‌الحديد يتحدّث بمثل هذه الكلام عن شهادة أميرالمؤمنين عليه السلام ۴۳۰].

ثمّ إنّ الإمام يستمرّ فى بيان فضائل أهل البيت عليهم السلام وبنى هاشم ويذكر فضيلة أخرى لشهداء بنى هاشم وهى شهادة جعفر الطيار ويقول لمعاوية: «أ وَلَا تَرَى أَنَّ قَوْماً قُطِّعَتْ أَيْدِيهِمْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ- وَلِكُلٍّ فَضْلٌ- حَتَّى إِذَا فُعِلَ بِوَاحِدِنَا مَا فُعِلَ بِوَاحِدِهِمْ قِيلَ: «الطَّيَّارُ فِى الْجَنَّةِ وَذُو الْجَنَاحَيْنِ».

وقد جاء فى شرح نهج‌البلاغة للمرحوم التسترى نقلًا عن المغازى للواقدى أنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله دخل على أسماء- زوجة جعفر بن أبى طالب بعد استشهاده- فنعاه

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۳۵۵

إيّاها- إلى أن قال- ياأسماء ألا ابشّرك؟ قالت: بلى، بأبى أنت وامّى، قال صلى الله عليه و آله: فإنّ اللَّه عزّ وجلّ جعل لجعفر جناحين يطير بهما فى الجنّة، قالت: بأبى أنت وامّى يارسول اللَّه، فأعلم الناس ذلك، فقام رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وأخذ بيدى يمسح بيده على رأسى حتى رقى على المنبر، وأجلسنى أمامه على الدرجة السفلى، والحزن يعرف عليه، فتكلّم وقال: «إنّ المَرْءَ كَثِيرٌ بأخِيهِ وابنِ عَمِّه، ألا إنَّ جَعْفراً قَدِ اسْتُشْهِدَ وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَهُ جَناحَيْنِ يَطيرُ بِهِما فِى الْجَنَّةِ»[۴۳۱].

وبعد أنّ يستعرض الإمام علىّ عليه السلام هذين الموردين المتميّزين من فضائل بنى هاشم، يتحدّث ببيان كلّى، ويقول: «وَلَوْ لَامَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ مِنْ تَزْكِيَةِ الْمَرْءِ نَفْسَهُ، لَذَكَرَ ذَاكِرٌ فَضَائِلَ جَمَّةً، تَعْرِفُهَا قُلُوبُ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا تَمُجُّهَا[۴۳۲] آذَانُ السَّامِعِينَ».

وهذا إشارة إلى أنّ فضائلنا أهل البيت عليهم السلام قد ملأت الخافقين وليست فضيلة واحدة أو عدد قليل من الفضائل، بل هى من الشهرة والشياع إلى درجة أنّه لا يعرفها المؤمنون فحسب، بل حتّى المنافقين والغرباء عن الإسلام على معرفة بها وقد سمعها الكثير من النبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله، وإن كنت (معاوية) لا تعرفها، ولكن نظراً لحمل البعض بذكر هذه الفضائل، على مدح الذات وتزكية النفس، فأنا أكتفى بهذا المقدار وأغضّ النظر عن سائر الفضائل الكثيرة، وأترك الحكم إلى المؤمنين وأصحاب النبيّ صلى الله عليه و آله الخاصين حيث يتواجد الكثير منهم لحدّ الآن بين المسلمين.

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام فى نهاية هذا المقطع من الرسالة يهيب بمعاوية ويقول: «فَدَعْ عَنْكَ مَنْ مَالَتْ بِهِ الرَّمِيَّةُ[۴۳۳] فَإِنَّا صَنَائِعُ رَبِّنَا، وَالنَّاسُ بَعْدُ صَنَائِعُ لَنَا».

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۳۵۶

ويعترف شرّاح نهج‌البلاغة أنّ هذه الجملة بليغة جدّاً وعميقة المحتوى وتمثّل جواباً حاسماً ورداً قاطعاً لكلام معاوية المتهاوى والهزيل. لأنّه مع الالتفات إلى أنّ كلمة «صَنائع جمع صنيعة وتعنى الشيء المختار والمصطفى، ومن حاز بتربية واهتمام بالغ، يقول الإمام عليه السلام: لا شك، أنّ شمس النبوّة طلعت من دورنا، فإنّ اللَّه تعالى قد اختار نبيّ الإسلام صلى الله عليه و آله من اسرتنا واصطفاه للرسالة واصطنعه وربّاه وتحمّل هذه المسؤولية الثقيلة فى ظلّ الوحى، وعندما بلغ ذروة الكمال والعلم والهداية، بعث لهداية الناس

وتعليمهم، ونحن بدورنا ممّن اصطفاهم اللَّه لسلوك هذا الطريق، وعلى ضوء ذلك فنحن ممن اصطفاهم اللَّه وربّاهم واصطنعهم لتربية الناس وتعليمهم وإصلاح نفوسهم، ولذلك لا مجال لمقارنتنا بالآخرين، وأنت حينما تذكر بعض الأشخاص الذين ساروا فى خطّ الهداية والإيمان فإنّهم قد اهتدوا بهدايتنا وبنورنا.

وفى معنى جملة «صَنائِعُ لَنا» سلك البعض مسلك الإفراط فى ذلك وذهب إلى أنّ الناس مخلوقون ومصنوعون من قِبل أئمّة الهدى عليهم السلام أو أنّهم عبيد لهم، فى حين أنّ هذا الكلام لا يتناغم ولا يتجانس مع آيات القرآن الكريم، فالقرآن الكريم يتحدّث عن موسى عليه السلام ويقول: «وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسى»[۴۳۴]، وفى مورد آخرى يقول:

«وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلى عَيْنى»[۴۳۵].

وللأسف فإنّ التفسير المذكور آنفاً قد أضحى ذريعة بين المخالفين للتشنيع على أتباع أهل البيت عليهم السلام واللافت أننا نقرأ فى حديث معتبر ورد فى كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام أنّ أبا الصلت دخل على الإمام الرضا عليه السلام وقال: ياابن رسول اللَّه ما هذا الذى ينقل الناس عنكم؟ فقال له الإمام الرضا عليه السلام: ماذا يقولون؟ فقال: «إِنَّكُمْ

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۳۵۷

تَدَّعُونَ أَنَّ النَّاسَ لَكُمْ عَبِيدٌ» فتعجّب الإمام عليه السلام من ذلك وقال: «اللَّهُمَّ فاطِرَ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ عالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهادَةِ أَنْتَ شاهِدٌ بِأَنِّى لَمْ أَقُلْ ذلِكَ قَطُّ وَلا سَمِعْتُ أَحَداً مِنْ آبائِى عليهم السلام قالَ قَطُّ وَأَنْتَ الْعالِمُ بِما لَنا مِنَ الْمَظالِمِ عِنْدَ هذِهِ الْأُمَّة وَانَّ هذِهِ مِنْها»[۴۳۶].

تأمّلان: فضائل حمزه سيّد الشهداء

بالنسبة لشخصية حمزة عليه السلام وخدماته الجليلة للإسلام والمسلمين وشهادته الأليمة، فقد أورد المؤرّخون فى المصادر الإسلاميّة بحوثاً كثيرة فى هذا المجال ونشير هنا إلى جملة منها:

۱. جاء فى تفسير فرات الكوفى: «يُدْفَعُ يَوْمَ الْقِيامَةِ إلى عَلِىٍّ لِواءُ الْحَمْدِ وَإلى حَمْزَةَ لِواءُ التَّكْبيرِ وَإلى جَعْفَرَ لِواءُ التَّسْبيحِ»[۴۳۷].

۲. جاء فى تفسير الإمام الحسن العسكرى عليه السلام: «يَأتى بِالرُّمْحِ الَّذى كانَ يُقاتِلُ حَمْزَةُ أَعْداءَ اللَّهِ فِى الدُّنْيا فَيُناوِلُهُ إيَّاهُ وَيَقُولُ: يا عَمَّ رَسُولِ اللَّهِ ذد الْجَحيمَ عَنْ أَوْلِيائِكَ بِرُمْحِكَ»[۴۳۸].

۳. وأورد ابن حجر العسقلانى فى كتابه الاصابة فى تمييز الصحابة: «حمزة بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف القرشىّ الهاشمىّ، أبوعمارة، عمّ النبىّ صلى الله عليه و آله وأخوه فى الرضاعة، أرضعتهما ثويبة مولاة أبى لهب كما ثبت، وقريب من امّه أيضاً لأنّ امّ حمزة هالة بنت أهيب بن عبدمناف بن زهرة، بنت عمّ آمنة بنت وهب بن عبدمناف امّ النبىّ صلى الله عليه و آله.

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۳۵۸

ولد قبل النبىّ صلى الله عليه و آله بسنتين، وقيل: أربع، وأسلم السنة الثانية من البعثة، ولازم نصر رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وهاجر معه ... ولقبّه النبىّ صلى الله عليه و آله أسد اللَّه، وسمّاه سيّد الشهداء، وقف على حمزة حين استشهد وقد مُثّل به، فجعل ينظر إليه منظراً كان أوجع قلبه فقال:

«رَحِمَكَ اللَّهُ اىْ عَمّ لَكُنْتَ وَصُولًا لِلرَّحِمِ فَعُولًا لِلْخَيْراتِ»[۴۳۹].

۴. وجاء فى كتاب اسد الغابة فى معرفة الصحابة لابن الأثير: «ولمّا عاد النبىّ صلى الله عليه و آله إلى المدينة سمع النّوحَ على قتلى الأنصار، (والحال كانت دار حمزة قفرة لأنّه كان من المهاجرين) فقال صلى الله عليه و آله: «لكِنَّ حَمْزَةَ لا بَواكِىَ لَهُ». فسمع الأنصار، فأمروا نساءهم أن يندبن حمزة قبل قتلاهم، ففعلن ذلك، قال الواقدى (المؤرّخ المشهور): فلم يزلن يبدأن بالندب لحمزة حتّى الآن»[۴۴۰].

۵. وجاء فی کتاب مکارم الأخلاق أن فاطمة الزهراء علیها السلام صنعت من تراب قبر حمزة مسبحة وکانت تذکر اللَّه بها[۴۴۱].

والروایات فی فضائل سیّد الشهداء حمزة علیه السلام وتضحیاته ودفاعه عن النبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله والإسلام فی أیّام الغربة والمحنة، وشجاعته فی میدان القتال کثیرة، ونختم هذا المختصر بحدیث آخر نقله المرحوم الکلینی فی الکافی عن سدیر قال:

کنّا عند أبی جعفر (الباقر علیه السلام) فذکرنا ما أحدث الناس بعد نبیّهم صلی الله علیه و آله واستذلالهم أمیرالمؤمنین علیه السلام فقال رجل من القوم: أصلحک اللَّه فأین کان عزّ بنی هاشم وما کانوا فیه من العدد؟ فقال أبوجعفر (الباقر) علیه السلام: «وَمَن بَقِیَ مِنْ بَنی هاشِمٍ إنّما کانَ جَعفَرُ وَحمزَةُ فَمَضَیا وَبَقِیَ مَعَهُ رَجُلان ضَعِیفان ذَلیلان حَدیثا عَهدٍ بِالإسلام، عَباسٌ وعَقیلُ، وَکانا من الطُّلقاء، أَمَا وَاللَّهِ لَوْ أَنَّ حَمْزَةَ وَجَعْفَراً کَانَا بِحَضْرَتِهِمَا مَا وَصَلَا إِلَی مَا وَصَلَا إِلَیْهِ، وَلَو کَانا شَاهِدَیْهِما لأَتْلَفا نَفسیْهِما»[۴۴۲].

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۳۵۹

المرتبة السامیة لجعفر بن أبی طالب

وقد أشار الإمام علیه السلام فی رسالته مورد البحث إلی مقام جعفر بن أبی طالب علیه السلام بین شهداء الإسلام بکلمات دقیقة وعمیقة المعنی، وقد ورد فی الروایات الإسلامیّة أیضاً عبارات مهمّة فی هذا الصدد، منها:

۱. ما ورد فی کتاب الکافی عن یوسف بن أبی سعید قال: کنت عند أبی عبداللَّه الصادق علیه السلام ذات یوم فقال لی: «إذا کَانَ یَومُ القِیامة وَجمعَ اللَّهُ تبارک وَتعالی الخَلائِقَ کَانَ نُوحٌ صلّی اللَّه علیهِ أوّلَ مَن یُدْعی بِهِ فَیُقالُ لَهُ: هَل بَلّغتَ؟ فَیقول: نَعم.

فَیُقال لَهُ: مَنْ یَشهَد لَک؟ فَیقول: مُحمَّدُ بنُ عبدِاللَّه صلی الله علیه و آله. قال: فَیَخرُج نُوحٌ علیه السلام فَیتخطّی النّاسَ حتّی یَجیءَ إلی مُحمَّدٍ صلی الله علیه و آله وهُو عَلی کَثِیبِ المِسْکِ وَمَعَهُ علیٌّ علیه السلام وَهو قَولُ اللَّهِ عزّ وَجلّ: «فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِیئَتْ وُجُوهُ الَّذِینَ کَفَرُوا ...»[۴۴۳]، فَیقول نُوحٌ لِمُحمّدٍ صلی الله علیه و آله:

یامُحمَّدُ إنّ اللَّهَ تبارکَ وَتعالی سَألَنِی: هَلْ بَلّغتَ؟ فَقلت: نَعم. فَقال: مَن یَشْهَدُ لَکَ؟

فَقلتُ: مُحمَّدُ صلی الله علیه و آله، فَیقولُ: یا جَعفَرُ یا حَمزَةُ اذهَبا وأشْهَدا لَهُ أَنَّهُ قَد بَلّغَ. فقال أبوعبداللَّه (الصادق) علیه السلام: فَجَعفَرُ وَحَمزَةُ الشّاهِدانِ للأنبیاء علیهم السلام بما بَلّغوا»، فقلتُ:

جعلت فداکَ فعلیّ أین هو؟ فقال علیه السلام: «هُوَ أَعْظَمُ مَنْزِلَةً مِنْ ذَلِکَ»[۴۴۴].

۲. وینقل ابن أبیالحدید عن أبی الفرج الإصفهانی فی کتاب مقاتل الطالبیین أنّ لجعفر فضائل کثیرة، وقد وردت أحادیث کثیرة فی هذا المجال، منها: أنّ رسول اللَّه صلی الله علیه و آله لمّا فتح خیبر قدم جعفر بن أبی طالب من الحبشة، فالتزمه رسوله اللَّه صلی الله علیه و آله وجعل یقبل بین عینیه ویقول: «ما أدْری بِأیِّهِما اشَدُّ فَرَحاً بِقُدُوم جَعْفَرٍ أمْ بِفَتْحِ خَیْبَرٍ؟»[۴۴۵].

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۳۶۰

۳. ویروی ابن عساکر فی تاریخ دمشق أنّ الإمام علیّ علیه السلام کان أوّل رجل اعتنق الإسلام وبعده زید بن حارثة ثمّ جعفر بن أبی طالب [۴۴۶].

۴. وفی کتاب الاصابة فی تمییز الصحابه ورد أنّ جعفر کان یهتمّ کثیراً بالفقراء والمحتاجین ویقدّم ید المعونة لهم ویتحدّث معهم، بحیث أنّ رسول اللَّه سمّاه «أبوالمساکین» وقال النبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله: «أَشْبَهْتَ خَلْقِی وَخُلُقِی» ثمّ أضاف ابن عساکر: إنّ هذا الحدیث رواه البخاری ومسلم فی کتابیهما[۴۴۷].

۵. وینقل ابن عساکر فی تاریخ دمشق أیضاً عن أنس بن مالک عن النبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله أنّه قال: «نَحْنُ بَنُو عَبْدِالْمُطَّلِبِ سَادَةُ أَهْلِ الْجَنَّةِ: رَسُولُ اللَّهِ وَحَمْزَةُ سَیِّدُ الشُّهَدَاءِ وَجَعْفَرٌ ذُو الْجَنَاحَیْنِ وَعَلِیٌّ وَفَاطِمَةُ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَیْنُ»[۴۴۸].

وهناک روایات کثیرة فی فضائل جعفر بن أبی طالب علیه السلام، نختم هذا البحث بروایة عن الإمام الباقر علیه السلام حیث قال:

«أوحى اللَّهُ عزَّ وجَلّ إلى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله إنّى شَكَرْتُ لِجَعْفَرَ بنِ أبى طالبٍ أرْبَعَ خِصالٍ، فَدعاهُ النَّبِىُّ صلى الله عليه و آله فأخْبَرَهُ، فقال له: لَولا أنَّ اللَّهَ تَبارَك وتَعالى أخْبَرَك ما أخْبَرْتُك، ما شَرِبْتُ خَمْراً قَطُّ، لأنّى عَلِمْتُ أنّى إنْ شَرِبْتُها زالَ عَقْلِى، ومَا كَذَبْتُ قَطُّ لأنَّ الكَذِبَ يُنْقِصُ المُروَّةَ، ومَا زَنَيْتُ قَطّ لأنّى خِفْتُ أنّى إذا عَمِلتُ عُمِلَ بى، ومَا عَبَدْتُ صَنَماً قَطّ لأنّى عَلِمْتُ أنَّهُ لا يَضُرُّولا يَنْفَعُ، قال:

فَضَرَب النَّبِىُّ صلى الله عليه و آله يَدَهُ عَلى عاتِقِهِ و قال: حَقٌّ على اللَّهِ عزَّ وَجَلَّ أن يَجْعَل لكَ جَناحَيْنِ تَطِيرُ بِهِما مع المَلائِكَةِ فى الجَنَّةِ»[۴۴۹].

مضافاً إلى كلّ ذلك من افتخارات جعفر وامتيازاته فإنّه كان رئيسَ المهاجرين إلى الحبشة، وعليه فإنّ جعفر كان قد هاجر الهجرتين (الهجرة إلى الحبشة والهجرة إلى المدينة) وصلّى إلى القبلتين (بيت المقدس فى بداية الإسلام والكعبة بعد مجيئه

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۳۶۱

إلى المدينة) وبايع البيعتين مع النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله (البيعة فى بداية الإسلام والبيعة فى فتح مكة) كما ورد ذلك فى الأحاديث الشريفة[۴۵۰].

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۳۶۳

القسم الثالث

اشارة

لَمْ يَمْنَعْنَا قَدِيمُ عِزِّنَا وَلَا عَادِيُّ طَوْلِنَا عَلَى قَوْمِكَ أنْ خَلَطْنَاكُمْ بِأَنْفُسِنَا؛ فَنَكَحْنَا وَأَنْكَحْنَا، فِعْلَ الْأَكْفَاءِ، وَلَسْتُمْ! هُنَاكَ وَأَنَّى يَكُونُ ذَلِكَ وَمِنَّا النبىّ وَمِنْكُمُ الْمُكَذِّبُ، وَمِنَّا أَسَدُ اللَّهِ وَمِنْكُمْ أَسَدُ الْأَحْلَافِ، وَمِنَّا سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَمِنْكُمْ صِبْيَةُ النَّارِ، وَمِنَّا خَيْرُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ، وَمِنْكُمْ حَمَّالَةُ الْحَطَبِ، فِى كَثِيرٍ مِمَّا لَنَا وَعَلَيْكُمْ! فَإِسْلَامُنَا قَدْ سُمِعَ، وَجَاهِلِيَّتُنَا لَاتُدْفَعُ، وَكِتَابُ اللَّهِ يَجْمَعُ لَنَا مَا شَذَّ عَنَّا، وَهُوَ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: «وَأُولُوا الْأَرْحام بَعْضُهُمْ أَوْلى بِبَعْضٍ فِى كِتابِ اللَّهِ» وَقَوْلُهُ تَعَالَى «إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهذَا النبىّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ» فَنَحْنُ مَرَّةً أَوْلَى بِالْقَرَابَةِ، وَتَارَةً أَوْلَى بِالطَّاعَةِ. وَلَمَّا احْتَجَّ الْمُهَاجِرُونَ عَلَى الْأَنْصَارِ يَوْمَ السَّقِيفَةِ بِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه و آله فَلَجُوا عَلَيْهِمْ، فَإِنْ يَكُنِ الْفَلَجُ بِهِ فَالْحَقُّ لَنَا دُونَكُمْ، وَإِنْ يَكُنْ بِغَيْرِهِ فَالْأَنْصَارُ عَلَى دَعْوَاهُمْ.

الشرح والتفسير: نقاط مهمّة أخرى فى فضائل أهل البيت عليهم السلام

يشير الإمام عليه السلام فى هذا المقطع من الرسالة إلى نقاط مهمّة أخرى، ففى البداية يحذّر معاوية أن مِن تَصَوُّر أن مجرّد الارتباط النسبى والسببى بين بنى‌هاشم وبنى امية دليل على التساوى فى المرتبة والمكانة، بل هو نوع من التفضلّ والإيثار من بنى‌هاشم يقول: «لَمْ يَمْنَعْنَا قَدِيمُ عِزِّنَا وَلَا عَادِيُ

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۳۶۴

طَوْلِنَا[۴۵۱] عَلَى قَوْمِكَ أنْ خَلَطْنَاكُمْ بِأَنْفُسِنَا؛ فَنَكَحْنَا وأَنْكَحْنَا، فِعْلَ الْأَكْفَاءِ[۴۵۲]، وَلَسْتُمْ هُنَاكَ!».

إنّما يتحدّث الإمام عليه السلام بهذا الكلام من جهة أنّ لهجة معاوية فى رسالته يستوحى منها أنّ بنى امية فى عرض واحد مع بنى هاشم، فى حين أنّ بنى هاشم يمثّلون مركز النبوّة ومحور الولاية، وأنّ بنى امية هم أئمّة الكفر وقادة الشرّ، ولكن عندما اعتنقوا الإسلام ظاهراً، فإنّ الإسلام فرض على المسلمين أن يتعاملوا فيما بينهم معاملة الأكفاء والأنداد، ومن هذا المنطلق تزوّج النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله امّ حبيبة بنت أبى سفيان، وزوّج النبىّ ابنته لعثمان بن عفان.

وينطلق الإمام عليه السلام فى كلامه لبيان الـدليل الواضـح والبرهان القاطع على التفاوت الفرق بين بنى هاشم وبنى امية ويقول: «وَأَنَّى يَكُونُ ذَلِکَ وَمِنَّا النبيّ وَمِنْكُمُ الْمُكَـذِّبُ (مثل أبى جهل)، وَمِنَّا أَسَدُ اللَّهِ وَمِنْكُمْ أَسَدُ الْأَحْلَافِ ۴۵۳] (أبوسفيان)، وَمِنَّا سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ (الحسين والحسين) وَمِنْكُمْ صِبْيَةُ النَّارِ (مروان أو عقبـة بن أبى معيـط)، وَمِنَّا خَيْرُ نِسَـاءِ الْعَالَمِينَ (فاطمـة الزهراء)، وَمِنْكُمْ حَمَّالَةُ الْحَطَبِ (ام جميل زوجة أبى لهب واخت أبى سفيان)، فِى كَثِيرٍ مِمَّا لَنَا وَعَلَيْكُمْ!».

وعلى هـذا الأساس يبيّن الإمام عليه السـلام مكانـة بنى هاشم الساميـة وفضائح بنىامية وأتباعهم بالشواهد والقرائن التاريخية، بحيث لا يدع لأىّ أحد مجالًا لإنكار هذه الحقائق، وهذا هو معنى الفصاحة والبلاغة فى الكلام.

أمّا مقصود الإمام عليه السلام من «المُكذّب ، فهناک خلاف بين شرّاح نهجالبلاغة

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۳۶۵

فذكروا تارة أشـخاصاً مجهولين بوصفهم مكذّبين بحيث يتعجّب القارىء من ذلک، فى حين أنّ المُكذّب البارز فى تاريخ الإسلام هو أبو جهل، سواء قلنا إنّه من بنى اميـة أم لا، لأنّ الإمام عليه السـلام فى هـذا الكلام يسـتعرض فضائـح بنى امية ومن حالفهم من العرب، وكان شريكاً معهم فى المواقف السلبية تجاه الدعوة والنبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله.

وأمّا بالنسبة ل «أسد اللَّه فلا يوجد أىّ خلاف بين شـرّاح نهجالبلاغة أنّ المقصود منه حمزة سيد الشهداء عليه السلام والذى لقّبه النبىّ الأـكرم صـلى الله عليه و آله بهـذا اللقب، أمّـا «اسَـد الأحْلاف فقـد ذكروا احتمالات عديـدة، فى حين أنّ أوضـح مصـداق له هو (أبو سفيان) الـذى قاد قوى الكفر وجيوش الشـرک ضـدّ الإسـلام فى حروب كثيرة وتحالف مع المشـركين من العرب ضدّ الإسـلام وكان آخرها معركة الأحزاب.

وهكذا بالنسبة للمراد من «صِبْيَةُ النَّارِ» فقد طرح شرّاح نهجالبلاغة آراء مختلفة، ولكنّ الأنسب من الجميع أنّ المقصود منهم أبناء عقبة بن أبى معيط، وهو الذى تلقّى ضربات كثيرة فى معركة بدر وسقط على الأرض فلمّا وقعت عينه على النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله قال بصوت ضعيف: «مَنْ لِلصِبْيَةِ يا مُحَمّد؟» فقال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله:

«النَّارُ»[۴۵۴].

وهو إشـارة أنّكم تقتلون المسـلمين ولا تفكّرون بأبنائهم وصبيتهم، لكنّک الآن تفكّر بأبنائک وصبيتک وأطفالک وهم الصبيـة الـذين سيتحرّكون فى مسير الشـرک والكفر تبعاً لأـبيهم، ويقفون فى صفّ أعـداء الإسـلام ضـدّ النـبىّ الأـكرم صـلى الله عليه و آله ودعوته السماوية، والتاريخ الإسلامى يحدّثنا أيضاً أنّ أبناء عقبة بن أبى معيط كانوا مصدر الشرّ والفتنة فى الامّة ومنهم الوليد بن عقبة.

والمقصود من «خَيْرُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ فشـرّاح نهجالبلاغة وسائر علماء الإسـلام يتّفقون بالإجماع على أنّها فاطمة الزهراء عليها السـلام، لأنّه كما ورد فى صحيح مسلم أنّ النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله عندما حانت وفاته قال لفاطمة عليها السلام يواسيها ويطيّب خاطرها: «يَا

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۳۶۶

فَاطِمَةُ أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِى سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ أَوْ سَيِّدَةَ نِسَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ؟»[۴۵۵].

ومثل هـذا الحـديث ورد أيضاً فى صـحيح البخارى الجزء ۷، ص ۱۴۲ وجاء فى مسـند أحمد و مسـتدرک الحاكم عبارة «سَـيِّدَةَ نِسَاءِ الْعَالَمِين بدل العبارة السابقة[۴۵۶].

أمّا «حمّالـة الْحَطَب فقد وردت الإشارة إليها فى القرآن الكريم ويتّفق شـرّاح نهجالبلاغة ومفسّـرو القرآن أنّ المراد بها امّ جميل زوجة أبىلهب، واخت أبى سفيان وعمّة معاوية.

ومن مجموع ما تقـدّم آنفاً يتبيّن بوضوح المكانـة المرموقـة لأهل بيت النبىّ صـلى الله عليه و آله وبنى هاشم، وكـذلک مكانة بنىامية وأتباعهم، ومن خلال كلام الإمام عليه السـلام تسـتفاد مسائل كثيرة أخرى أيضاً ويتّضح من خلال الملاحظات التى ذكرها الإمام عليه السلام فى كلامه هذا الجواب الحاسم لمعاوية وادّعاءاته الواهية.

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام من أجل التأكيد على ما سبق يضيف: «فَإِسْلَامُنَا قَدْ سُمِعَ، وَجَاهِلِيَّتُنَا لَاتُدْفَعُ»، الأعمال التى سبق أن قمنا بها فى الجاهلية والإسلام لا تخفى على أحد.

وهذا إشارة إلى أنّ الإسلام قد بدأ بنا وأننا كنّا أوّل المسلمين والمدافعين الحقيقيين عن الإسلام، وفى زمان الجاهلية أيضاً كنّا معروفين بحسن السمعة والأعمال الصالحة والأمانة بين جميع العرب قاطبة، ونقرأ فى رواية عن أحوال جعفر أنّ اللّه تعالى قد مدحه للنبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله لأربع فضائل متميّزة له فى زمان الجاهلية، خلافاً لبنى امية والقبائل المتحالفة معهم الذين كانوا معروفين بالمكر والشيطنة والفساد وسفك الدماء.

وينقل المرحوم الشيخ مغنية فى شرحه لنهج البلاغة نقلًا عن كتاب عبقرية محمد للكتاب المصرى المعروف «العقاد» أنّ بنى هاشم كانوا دوماً معروفين

نفحات الولاية، ج ۹، ص: ۳۶۷

بالفضائل الأخلاقية والقيم الإنسانية والعقيدة السليمة، بعكس بنى امية المعروفين بالمكر وسوء الخلق، ونحن نرى هذا الإختلاف والتفاوت بين بنى هاشم وبنى امية فى كافّة الصفات الأخلاقية والمثل الإنسانية[۴۵۷].

واللافت أنّ ابن أبى‌الحديد يذكر بحثاً مطوّلًا من مائة صفحة تقريباً فى بيان هذه الفروقات، وفى الفصل الأول يتحدّث عن فضائل بنى هاشم بالمقارنة مع بنى امية، أبناء عبدشمس، وفى الفصل الثانى يتحدّث عن الأمور التى يفتخر بها بنوامية، وفى الفصل الثالث يجيب عن هذه الافتخارات المزعومة[۴۵۸].

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام بعد أن طرح هذه الأدلّة التاريخية القوية يتوجّه نحو القرآن الكريم ويستعرض آيتين شريفتين لإثبات حقّانية بنى‌هاشم ويقول: «وَكِتَابُ اللَّهِ يَجْمَعُ لَنَا مَا شَذَّ عَنَّا، وَهُوَ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى «وَأُولُوا الْأَرْحام بَعْضُهُمْ أَوْلى بِبَعْضٍ فِى كِتابِ اللَّهِ»[۴۵۹] وَقَوْلُهُ تَعَالَى «إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهذَا النبىّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ»[۴۶۰]».

والإمام عليه السلام فى تفسير وتطبيق هذه الآية يضيف: «فَنَحْنُ مَرَّةً أَوْلَى بِالْقَرَابَةِ، وَتَارَةً أَوْلَى بِالطَّاعَةِ».

وفى الواقع أنّ الإمام عليه السلام فى ذكره هاتين الآيتين أوصد جميع الطرق على معاوية، فإن كان المعيار فى خلافة النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله القرابة له، فنحن أولى من الجميع بذلك لأنّنا أقرب للنبىّ صلى الله عليه و آله من سائر المسلمين، وإن كان المعيار هو المعرفة بتعاليم الرسالة والطاعة للأحكام والأوامر الشرعية وأوامر النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله فنحن أعرف من الجميع بذلك وأطوع له ولدينه من الآخرين، فى حين أنّ بنى امية والأشخاص الآخرين الذين تربّعوا على كرسىّ خلافة النبىّ صلى الله عليه و آله لا يملكون مثل

نفحات الولاية، ج ۹، ص: ۳۶۸

هاتين الميزتين لإحراز الأولوية.

وهنا يفرض هذا السؤال نفسه، وهو: هل أنّ القرابة لوحدها تصلح أن تكون دليلًا على الأحقّيّة والصلاحية لخلافة النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله؟

الجواب: إنّ الإمام عليه السلام فى هذا الكلام ناظر إلى الاستدلال الذى طرحه أتباع الخليفة الأوّل فى سقيفة بنى ساعدة، حيث استدلّوا بقرابته للنبىّ لإثبات أولويته للخلافة، فالإمام يقول: إذا كان هذا هو المعيار المقبول فنحن أقرب من الجميع لرسول اللّه عليه السلام، وبديهىّ أنّ المعيار الأصلىّ هو ما ذكره الإمام عليه السلام فى العبارة الثانية وهو الطاعة والسير فى خطّ الامتثال للأوامر الإلهيّة والتعاليم الرسالية، الطاعة المتولّدة من العلم والإيمان، فالشخص الذى يكون أعرف من الجميع بدين النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله ويملك إيماناً أقوى من الآخرين، فإنّه جدير بالخلافة وتولّى هذا المقام، ولهذا نحن نرى أنّ الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام أجدر وأليق من الجميع لإحراز هذا المنصب، وأعلى من ذلك أنّ اللّه تعالى بسبب هذه الامتيازات الفردية واللياقات العالية قد نصبه لهذا المقام

واختاره إماماً للمسلمين.

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام يتعرّض لتوضيح أكثر عن هذه المسألة المذكورة آنفاً ويقول «وَلَمَّا احْتَجَّ الْمُهَاجِرُونَ عَلَى الْأَنْصَارِ يَوْمَ السَّقِيفَةِ بِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه و آله (لما احتجّ الأنصار على المهاجرين لإثبات أحقّيتهم لتولّى الخلافة يوم السقيفة برسول اللّه صلى الله عليه و آله) فَلَجُوا[۴۶۱] عَلَيْهِمْ، فَإِنْ يَكُنِ الْفَلَجُ بِهِ فَالْحَقُّ لَنَا دُونَكُمْ، وَإِنْ يَكُنْ بِغَيْرِهِ فَالْأَنْصَارُ عَلَى دَعْوَاهُم».

وفى الحقيقة أنّ الإمام عليه السلام يجيب عن ادّعاءات معاوية فيما يتّصل بالخليفة الأوّل والثانى ويقول: ليس فقط أنّ بنى امية لا يليقون بخلافة النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله لأنّهم

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۳۶۹

ليسوا من المهاجرين وليسوا من الأنصار، بل من الطلقاء، أى المشركين الذين أطلقهم النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله يوم فتح مكة، فإنّ الخلفاء الأوائل أيضاً واستناداً إلى كلامهم، غير جديرين لتولّى هذا المنصب، لوجود من هو أجدر منهم، فإن كان معيار اللياقة والجدارة، (وفقاً لاستدلالهم) القرابة للنبىّ فإنّ الإمام علىّ عليه السلام هو أقرب منهم للنبى الأكرم صلى الله عليه و آله، فهو ابن عم النبىّ وصهره، وإذا كان الآخرون يمثّلون أغصان شجرة النبوّة فالإمام علىّ عليه السلام هو ثمرة هذه الشجرة وكذلك الأئمّة من أهل‌البيت عليهم السلام.

ومرّة أخرى نكرّر أنّ هذا الاستدلال فى الواقع هو بمسلّمات الخصم، والذى يعبّر عنه فى المنطق بالاستدلال الجدلىّ، يعنى أنّ المتكلّم يستند إلى مسلّمات الخصم ويخلع سلاحه منه.

تأمّلان

۱. قصّة السقيفة المثيرة!

يشير الإمام عليه السلام فى هذا المقطع من الرسالة إلى قضيّة سقيفة بنى ساعدة المثيرة التى تمّ تشكيلها لتعيين الخليفة بعد رسول اللّه صلى الله عليه و آله، ونحن ذكرناها مع استعراض المقاطع التاريخية الحسّاسة استناداً للمصادر المعتبرة فى ذيل الخطبة ۶۷ تحت عنوان «مسألة الخلافة وقصّة سقيفة بنى ساعدة» بشكل مفصّل وكشفنا اللثام عن هذه المؤامرة العجيبة، وهنا نضيف عدّة نقاط:

الأولى: أنّ الطبرى فى تاريخه وابن الأثير فى الكامل صرّحا بأنّ جماعة الأنصار اجتمعوا فى سقيفة بنى ساعدة، فقالت جماعة منهم فى مقابل اقتراح عمر بالنسبة لبيعة أبى بكر: «لَا نُبَايعُ إِلَّا عَلِيّاً» (فى حين أنّ الإمام علىّ عليه السلام وبنو هاشم ومنهم الزبير وكذلك جماعة أخرى من المهاجرين لم يكونوا حاضرين فى السقيفة، ويقول الطبرى بعد ذكر هذا الكلام: بعد ذلك توجّه عمر لدار علىّ وكان فيه طلحة والزبير

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۳۷۰

وجماعة من المهاجرين وقال: «وَاللَّهِ لَنُحْرِقَنَّ عَلَيْكُمْ أَوْ لَتَخْرُجُنَّ الَى الْبَيْعَةِ»[۴۶۲].

ومن الأشخاص الذين اشتركوا مع عمر فى هذا الهجوم على دار أميرالمؤمنين عليه السلام أُسيد بن خضير وسلمة بن أسلم ۴۶۳].

وجماعة اخرى من الأنصار سارعوا بيعة أبى بكر عندما توصّلوا إلى بعض المقامات، منهم بشير بن سعد الذى كان من المشاورين للخليفة، والآخر أسيد بن حضير الذى تزعّم الحرس فى المدينة، والثالث سلمة بن أسلم الذى حصل على مقام المعاون لأسيد[۴۶۴].

۲. فضائل بنى هاشم فى عصر الجاهليّة والإسلام

تقدّم أنّ ابن أبى‌الحديد فى ذيل هذه الرسالة ذكر بحثاً مفصّلًا (من مائة صفحة تقريباً) فى بيان فضائل بنى هاشم بالمقارنة مع نقاط

الضعف والقصور لبنى عبدشمس (عبدشمس هو والد اميّة).

منها: إنّ بنى هاشم قدّموا للإسلام شهداء عظام كالإمام علىّ وحمزة وجعفر عليهم السلام، فى حين أنّ فى بنى‌امية أفراداً كالحكم بن العاص المعروف، بأنّه كان يسير خلف النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله ويقلّد مشيته، فالتفت النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله ورآه ولعنه، وبعد ذلك لم يتمكّن من المشى بشكل سليم ومعتدل.

والآخر أنّ أحد المعاهدات الرائعة فى عصر الجاهلية (حلف الفضول) وهى المعاهدة التى عقدت من أجل الدفاع عن المظلومين وحماية المستضعفين، وفى هذا المعاهدة اشترك بنو هاشم وقبائل أخرى من العرب، ولكن لم يشترك أىّ فرد من عبدشمس فيها.

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۳۷۱

والثالث، أنّ بنى امية قد ارتكبوا فى زمان الجاهلية أعمالًا شائنة لم يرتكبها أحد من العرب، منها أنّ امية زوّج إحدى زوجاته لابنه أبى عمرو، فى حين أنّ اسرة بنى هاشم لم تتلوّث بمثل هذه الأعمال السيئة.

وأيضاً كان لعبدالمطّلب- وهو من رموز وأكابر بنى هاشم- فضائل فريدة، فقد حفر بئر زمزم وأدام منهج إسماعيل وهاجر، وأولى أهميّة فائقة لدم الإنسان حيث جعل لديته مائة من الإبل، فلمّا جاء الإسلام أمضى هذا الحكم، وعندما هجم جيش أبرهة على مكة، فرّت عامّة قريش من مكة، ولكنّ عبدالمطلب الذى كان فى ذلك الوقت شاباً، قال: «وَاللَّهِ لَاأَخْرُجُ مِنْ حَرَمِ اللَّهِ»، وهناك فضائل كثيرة أخرى.

وللمزيد من الاطّلاع، راجع شرح نهج‌البلاغة ابن أبى‌الحديد، ج ۱۵، ص ۱۹۸ إلى ۲۹۵. وقد أشار ابن أبى‌الحديد فى هذه الصفحات إلى بعض ما يزعم من مفاخر بنى امية ويجيب عنها.

***

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۳۷۳

القسم الرابع

اشارة

وَزَعَمْتَ أَنِّى لِكُلِّ الْخُلَفَاءِ حَسَدْتُ، وَعَلَى كُلِّهِمْ بَغَيْتُ، فَإِنْ يَكُنْ ذَلِكَ كَذَلِكَ فَلَيْسَتِ الْجِنَايَةُ عَلَيْكَ، فَيَكُونَ الْعُذْرُ إِلَيْكَ.

وَتِلْكَ شَكَاةٌ ظَاهِرٌ عَنْكَ عَارُهَا

وَقُلْتَ: إِنِّى كُنْتُ أُقَادُ كَمَا يُقَادُ الْجَمَلُ الْمَخْشُوشُ حَتَّى أُبَايِعَ؛ وَلَعَمْرُ اللَّهِ لَقَدْ أَرَدْتَ أَنْ تَذُمَّ فَمَدَحْتَ، وَأَنْ تَفْضَحَ فَافْتَضَحْتَ! وَمَا عَلَى الْمُسْلِمِ مِنْ غَضَاضَةٍ فِى أَنْ يَكُونَ مَظْلُوماً مَا لَمْ يَكُنْ شَاكّاً فِى دِينِهِ، وَلَا مُرْتَاباً بِيَقِينِهِ! وَهَذِهِ حُجَّتِى إِلَى غَيْرِكَ قَصْدُهَا، وَلَكِنِّى أَطْلَقْتُ لَكَ مِنْهَا بِقَدْرِ مَا سَنَحَ مِنْ ذِكْرِهَا.

الشرح والتفسير: هذه الأمور لا تخصّك!

يتعرّض الإمام عليه السلام فى هذا المقطع من الرسالة إلى مقطع من كلام معاوية الخاوى والمهزوز، حيث ذكر فى رسالته للإمام عليه السلام: «أنّك حسدت أبابكر وامتنعت من بيعته وكذلك حسدت عمر وحسدت عثمان أكثر من الجميع وفضحت أعماله على الملأ وكنت شاكاً فى دينه وعقله وفهمه للأمور ...».

والإمام عليه السلام يردّ عليه هذه الإدّعاءات الواهية ويقول: «وَزَعَمْتَ أَنِّى لِكُلِّ الْخُلَفَاءِ حَسَدْتُ، وعَلَى كُلِّهِمْ بَغَيْتُ، فَإِنْ يَكُنْ ذَلِكَ

کَذلِکَ فَلَیْسَتِ الْجِنَایَةُ عَلَیْکَ، فَیَکُونَ الْعُذْرُ إِلَیْکَ وَتِلْکَ شَکَاةٌ[۴۶۵] ظَاهِرٌ[۴۶۶] عَنْکَ عَارُهَا».

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۳۷۴

من هـذا المنطلق یسحب الإمام علیه السلام البساط من تحت معاویة ویخرجه عن هـذا المیدان، ویحسب ذلک نوعاً من الفضول والتدخّل فی أمور الآخرین، ویقول: إننی إذا کانت لـدیّ مشکلة مع الخلفاء فیجب علیهم أو أبنائهم أن یـدّعو مثل هـذا الإدّعاء، وأمّا أنت، فمن الطلقاء وقد قبلت بالإسلام مضطراً فی آخر مرحلة، فی فتح مکة، فلا حقّ لک فی التدخّل فی مثل هذه المواضیع.

ویستند الإمام علیه السلام فی کلامه هـذا إلی عجز بیت لشاعر عربی هـو (أبو ذؤیب الهـذلی) الـذی کـان أدرک عصر الجاهلیة والإسلام، وعندما هاجر النبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله إلی المدینة جاء إلیه وأسلم علی یده وصار من المسلمین الصالحین، وصدر البیت هو:

وَعَیَّرَها الْواشُونَ أنّی أُحِبُّها

فیقول إنّ سعایة الواشین بحبّه لها لا یعدّ عیباً، ولو کان هناک عیب وعار فهو بعید عنک.

وهذا الشعر أضحی مثلًا یضرب به لمن یحسب أمراً سیّئاً فی حین أنّه لا یرتبط به.

وجملـة: «زَعَمْتَ تعنی أوّلًا: أنّ هـذه النسبة التی تـدّعی أننی حسـدت الخلفاء نسبة کاذبـة وفریة واضـحة، ولا سیما أنّک زعمت فی کلامک أننی شریک فی قتـل عثمان، والحال أننی کنت أذبّ عنه وأنهی الناس عن قتله، وثانیاً: علی فرض أنّ هـذه النسبة صحیحة فهی لا تتعلّق بک.

ویستمرّ الإمام علیه السلام فی کلامه ویجیب عن قسم آخر ممّا کتبه معاویة فی رسالته:

«وَقُلْتَ: إِنِّی کُنْتُ أُقَادُ کَمَا یُقَادُ الْجَمَلُ الْمَخْشُوشُ ۴۶۷] حَتَّی أُبَایِعَ؛ وَلَعَمْرُ اللَّهِ لَقَدْ أَرَدْتَ أَنْ تَذُمَّ فَمَدَحْتَ، وَأَنْ تَفْضَحَ فَافْتَضَحْتَ!».

وهو إشارة إلی أنّک أولًا: تعترف بأننی وقعت مظلوماً وأنّ الآخرین ظلموا حقّی

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۳۷۵

فی هذا المجال، فهذا یمثّل مدحاً لی وذمّاً للظالمین، وثانیاً: أنّک أثبتّ أنّ خلافتهم لم تکن بإجماع الصحابة، فی حین أنّک تدافع عن مثل هـذه الخلافـة وقلت: أنّ الخلیفة الأول أقرب إلی اللَّه من الجمیع وأعلی مکاناً، فکیف یمکن ذلک فی حین أنّه ارتکب ظلماً بحقّ أوّل مسلم وأقرب الناس للنبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله وأعلمهم بدینه وأشدّهم دفاعاً عن رسالته؟ وهذا التناقض فی کلامک دلیل علی خواء ادّعائک وضحالة فکرک.

ثمّ یضیف الإمام علیه السلام فی شرح هذا الکلام: «وَمَا عَلَی الْمُسْلِمِ مِنْ غَضَاضَةٍ[۴۶۸] فِی أَنْ یَکُونَ مَظْلُوماً مَا لَمْ یَکُنْ شَاکّاً فِی دِینِهِ، وَلَا مُرْتَاباً بِیَقِینِهِ!».

أجل، فالمصلحون والسائرون فی طریق الحقّ علی إمتداد التاریخ وقعوا بسبب دفاعهم عن الحقّ وعدم استسلامهم وإذعانهم للظالمین، مورد الظلم والجور، وهذا یعدّ افتخاراً لهم.

وهـذا یعنی أنّ هذا مثل هذه المظلومیة لو کانت عیباً فیجب أن تقول إنّ النبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله عندما جرح فی معرکة أحد وکسرت رباعیته علی ید أنصار أبیک وشـقّت بطن حمزة من قِبل امّک وأخرجت کبده ومضـغته فی فمها، أنّ النبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله وحمزة علیه السلام یستحقّان الذمّ والتقریع وأنّ أباک ومشرکی مکة وامّک هند جدیرون بالمدح والتقدیر!

ولکن هـل یقبـل أیّ عاقل مثل هـذا الکلام؟ ولو تطلّعنا إلی ماضـی التاریـخ فإنّ الأنبیاء الکبار إبراهیم ویحیی وزکریا والمسیح علیهم السلام وغیرهم وقعوا مورد الظلم والجور فی طریق الاستقامة والدفاع عن الحق والرسالة الإلهیّة.

وفی ختام هـذا المقطع من الرسالـة یقول الإمام علیه السلام: «وَهَذِهِ حُجَّتِی إِلَی غَیْرِکَ قَصْدُهَا، وَلَکِنِّی أَطْلَقْتُ لَکَ مِنْهَا بِقَدْرِ مَا سَنَحَ ۴۶۹] مِنْ ذِکْرِهَا».

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۳۷۶

وهو إشارة إلی أنّ المخاطب الحقیقی لکلامی هذا، الخلفاء الذین أجبرونی علی بیعتهم، ولکن بما أنّک قد طرحت هذه المسألة فرأیت من اللازم أن اجیب عنها بالمقدار اللازم.

***

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۳۷۷

القسم الخامس

اشارة

ثُمَّ ذَکَرْتَ مَا کَانَ مِنْ أَمْرِی وَأَمْرِ عُثْمَانَ، فَلَکَ أَنْ تُجَابَ عَنْ هٰذِهِ لِرَحِمِکَ مِنْهُ، فَأَیُّنَا کَانَ أَعْدَی لَهُ، وَأَهْدَی إِلَی مَقَاتِلِهِ! أَمَنْ بَذَلَ لَهُ نُصْرَتَهُ فَاسْتَقْعَدَهُ اسْتَکَفَّهُ، أَمْ مَنِ اسْتَنْصَرَهُ فَتَرَاخَی عَنْهُ وَبَثَّ الْمَنُونَ إِلَیْهِ، حَتَّی أَتَی قَدَرُهُ عَلَیْهِ. کَلَّا واللَّهِ لَ «قَدْ یَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِینَ مِنْکُمْ وَالْقَائِلِینَ لِإِخْوانِهِمْ هَلُمَّ إِلَیْنا وَلَا یَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلّا قَلِیلًا». وَمَا کُنْتُ لِأَعْتَذِرَ مِنْ أَنِّی کُنْتُ أَنْقِمُ عَلَیْهِ أَحْدَاثاً؛ فَإِنْ کَانَ الذَّنْبُ إِلَیْهِ إِرْشَادِی وَهِدَایَتِی لَهُ؛ فَرُبَّ مَلُوم لَاذَنْبَ لَهُ.

وَقَدْ یَسْتَفِیدُ الظِّنَّةَ الْمُتَنَصِّحُ

وَمَا أَرَدْتُ «إِلَّا الْإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَما تَوْفِیقِی إِلّا بِاللَّهِ عَلَیْهِ تَوَکَّلْتُ وَإِلَیْهِ أُنِیبُ».

الشرح والتفسیر: المقصّر الأصلیّ فی قتل عثمان

ینطلق الإمام علیه السلام فی هذاالمقطع من رسالته من موقع الإجابة عن أحد أوصاف معاویة ویقول: «ثُمَّ ذَکَرْتَ مَا کَانَ مِنْ أَمْرِی وَأَمْرِ عُثْمَانَ، فَلَکَ أَنْ تُجَابَ عَنْ هٰذِهِ لِرَحِمِکَ مِنْهُ، فَأَیُّنَا کَانَ أَعْدَی ۴۷۰] لَهُ، وَأَهْدَی إِلَی مَقَاتِلِهِ ۴۷۱]! أَمَنْ بَذَلَ لَهُ نُصْرَتَهُ فَاسْتَقْعَدَهُ ۴۷۲]

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۳۷۸

وَاسْتَکَفَّهُ، أَمْ مَنِ اسْتَنْصَرَهُ فَتَرَاخَی عَنْهُ وَبَثَّ الْمَنُونَ ۴۷۳] إِلَیْهِ، حَتَّی أَتَی قَدَرُهُ عَلَیْهِ».

إنّ تاریخ الإسلام یشهد بأنّ هذه التهمة التی نسبها معاویة للإمام علیّ علیه السلام بأنّه شارک فی دم عثمان أو لم یدافع عنه بالمقدار اللازم، هی تهمة واهیة وکذب وافتراء محض، افتراها معاویة لخداع الناس والتعمیة علی أفکارهم، ومن هذه الجهة استخدم قمیص عثمان الدامی لإثارة أحاسیس الجهلة والغوغاء ضدّ الإمام علی علیه السلام، والحال أنّ الإمام علیّ علیه السلام نصح عثمان مراراً ودعاه لإصلاح أخطائه وتعدیل سلوکیاته وعدم تقسیم بیت المال بین بنیامیة ومَن لفّ لّفهم وعدم تقلیدهم المراکز الحساسة فی الحکومة الإسلامیّة، وأن یصغی لنداءات المحرومین، ولکن للأسف لم یقبل عثمان بکلّ هذه النصائح، بل أنّ الإمام علیّ علیه السلام عندما هجمت الجماهیر الغاضبة علی بیت عثمان أرسل أبناءه للدفاع عنه.

فی حین أنّ معاویة لم یتقدّم خطوة للدفاع عن عثمان مع أنّ عثمان کان قد کتب إلیه رسالة یطلب منه إرسال قوّة خاصة من الشام إلی المدینة للدفاع عنه.

واللافت أنّ معاویة عندما تربّع علی کرسیّ الخلافة، ذکروا أنّه لم یکن أحد أحبّ إلی معاویة أن یلقاه من أبی الطفیل الکنانی: وهو عامر بن واثلة، کان فارس أهل صفّین، وشاعرهم، وکان من أخصّ الناس بعلیّ کرم اللَّه وجهه، فقدم أبو الطفیل الشام یزور ابن أخ له

من رجـال معاويـة، فـأخبر معاويـة بقـدومه، فأرسل إليه، فأتاه وهو شـيخ كبير، فلّما دخل عليه، قال له معاويـة: أنت أبو الطفيل عامر بن واثلة؟ قال نعم، قال معاوية: أكنت ممّن قتل عثمان أميرالمؤمنين، قال: لا، ولم أكن ممّن شهده

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۳۷۹

فلم ينصره، قال: ولِمَ؟ قال: لم ينصره المهاجرون والأنصار، فقال معاوية: أما واللّه! إنّ نصرته كانت عليهم حقّاً واجباً، وفرضاً لازماً، فإذا ضيّعتموه فقد فعل اللّه بكم ما أنتم أهله، وأصاركم إلى ما رأيتم.

فقـال أبو الطفيـل: فمـا منعك ياأميرالمؤمنين (يعنى معاويـة) إذ تربّصت به ريب المنون أن تنصـره ومعك أهل الشام؟ قال معاويـة: أو ماترى طلبى بدمه، فضحك أبو الطفيل وقال: بلى ولكنّى وإيّاك كما قال عبيد بن الأبرص:

لا ألْفِيَنَّکَ بَعْدَ الْمَوْتِ تَنْدُبُنِيوَفِي حَيَاتِي مَا زَوَّدْتَنِي زَادِي ۴۷۴]

ثمّ يتحدّث الإمام عليه السـلام للتأكيد ولتوضـيح ما تقدّم من كلامه السابق من عدم اسـتجابة معاوية لدعوة عثمان لنصرته، والآن يلقى باللائمـة على الآـخرين فى عـدم الـدفاع عنه ويقول: «كَلَّا وَاللَّهِ لَ «قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ ۴۷۵] مِنْكُمْ وَالْقـائِلِينَ لِإِخْوانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنا وَلا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا»[۴۷۶]».

ونعلم أنّ هذه الآية نزلت فى شأن طائفتين من المنافقين، إحداهما اجتنبت الجهاد والقتال فى معركة الأحزاب ودعوا الآخرين لاجتناب الـدخول فى الحرب، والأخرى الـذين قالوا لإخوانهم من المسـلمين هلّمَّ إلينا ولا تقحموا أنفسـكم فى هذا الخطر، هؤلاء لم يكونوا من أهل الجهاد والقتال الأعداء ولا يشتركون فى مواجهة قوى الكفر والشرک إلّانادراً ومن موقع الإكراه وعدم الرغبة.

ويحتمل أيضاً أنّ هذه الآية الشريفة لا تشير إلى وجود طائفتين من المنافقين، بل تتحدّث عن حالة طائفة معينة تعيش حالتين، أى تشير إلى تلـک الطائفـة من المنـافقين الـذين عنـدما يكونون فى صفّ المجاهـدين فى ميـدان القتال يمتنعون من الحرب والجهاد، وعنـدما يتخلّفون عن الميدان يدعون الآخرين للتخلّف معهم وعدم

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۳۸۰

الاشتراک فى الحرب.

على أيّـة حال فإنّ استشـهاد الإمام عليه السـلام بهذه الآية الشـريفة إشارة إلى أنّک (معاوية) إذ تسـتخدم أساليب الدجل والتمويه أمام النـاس فيمـا يتّصـل بحادثـة قتل عثمان، فإنّ اللّه تعالى لا يخفى عليه شـىء، وأنّه يعلم أنّ عثمان طلب منک النصـرة ولكنّک لم تتقـدّم خطوة فى هذا السبيل (بل كنت مسروراً لمقتله) لعلّ الخلافة تصل إليک.

ومعلوم أنّ معاوية السياسـىّ المحترف كان يعلم أنّ المهاجرين والأنصار إذا التزموا الصمت مقابل ثورة الناس ضدّ عثمان ولم يتحرّكوا على مسـتوى الـدفاع عنه، فإن تـدخل فى هـذا الشأن وجاء مع جيشه للدفاع عن عثمان، فسـيكون وجهاً لوجه مع المهاجرين والأنصار، وهذا المعنى يكلّفه غالياً فى المستقبل، ولهذا السبب لم يهتمّ بدعوة عثمان لنصرته، رغم أنّه بحسب الظاهر كان واليه ومتكاتفاً معه.

وهنا ربّما يثار هـذا السؤال، وهو أنّ الآيـة الشـريفة المذكورة أعلاه (لآية ۱۸ من سورة الأـحزاب) التى تتحـدّث عن موقف المنافقين فى مقابل النبىّ الأكرم صـلى الله عليه و آله ربّما تحسب مـدحاً ضـمنيّاً لعثمان، لأنّ الإمام عليه السـلام فى هذا الكلام شـبّهه بنبى الإسـلام صلى الله عليه و آله.

ولكنّ العبارات اللاحقـة تشير إلى أنّ هـذا التشبيه ناظر فقط لتشبيه معاويـة بالمنافقين، وببيان آخر أنّ التشبيه هنا من طرف واحـد، لأنّ الإمام عليه السـلام فى سياق كلامه يقول: «وَمَا كُنْتُ لِأَعْتَذِرَ مِنْ أَنِّي كُنْتُ أَنْقِمُ ۴۷۷] عَلَيْهِ أَحْدَاثاً[۴۷۸]؛ فَإِنْ كَانَ الذَّنْبُ إِلَيْهِ إِرْشَادِي وَهِدَايَتِي لَهُ، فَرُبَّ مَلُومٍ لَاذَنْبَ لَهُ. وَقَدْ يَسْتَفِيدُ الظِّنَّةَ[۴۷۹] الْمُتَنَصِّحُ ۴۸۰]»، والأحداث تعنى البدع التى ارتكبها عثمان فى تقسـيم بيت المال ووضع مقاليد

نفحات الولایهٔ، ج۹، ص: ۳۸۱

الأمور فی الحکومهٔ الإسلامیّهٔ بید الانتهازیین وغیر الجدیرین، فیقول الإمام علیه السلام أنّه لا لوم علیَّ من إرشادی وهدایتی له ولو لامنی أحد فإنّی أفتخر به.

ویقول الإمام علیه السلام فی ختام کلامه: «وَمَا أَرَدْتُ «إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ، وَما تَوْفِیقِی إِلَّا بِاللَّهِ عَلَیْهِ تَوَکَّلْتُ إِلَیْهِ أُنِیبُ»[۴۸۱]».

ولا شکّ فی أنّ الإمام علیه السلام کان من الأشخاص المعدودین الذین رفضوا قتل عثمان ونهوا الناس عن ذلک، وقد أرسل ولدیه (الإمام الحسن والإمام الحسین علیهما السلام) للدفاع عنه ۴۸۲].

وجاء فی تاریخ ابن عساکر: عن داود بن حصین عن عکرمهٔ عن ابن عبّاس قالوا: بعث عثمان بن عفّان المسور بن مخرمهٔ إلی معاویهٔ یعلمه أنّه محصور ویأمره أن یبعث إلیه جیشاً سریعاً یمنع عنه، فلمّا قدم علی معاویهٔ وأبلغه ذلک رکب معاویهٔ نجائبه ومعه معاویهٔ بن خدیج ومسلم بن عقبهٔ، فسار من دمشق إلی عثمان عشراً فدخل المدینهٔ نصف اللیل فدقّ باب عثمان فدخل فأکبّ علیه فقبّل رأسه فقال عثمان: فأین الجیش؟ فقال معاویهٔ: لا واللَّه ما جئتک إلّافی ثلاثهٔ رهط، فقال عثمان: لا وصل اللَّه رحمک ولا أعزّ نصرک ولا جزاک عنّی خیراً، فواللَّه ما اقتل إلّا فیک ولا ینقم علیَّ إلّامن أجلک.

فقال معاویهٔ: بأبی أنت وامّی لو بعثت إلیک جیشاً فسمعوا به، عاجلوک فقتلوک قبل أن یبلغ الجیش إلیک، ولکن معی نجائب لا تسایر ولم یشعر بی أحد فاخرج معی، فواللَّه ما هی إلّاثلاث حتّی تری معالم الشام، فإنّها أکثر دار الإسلام رجلًا وأحسنه فیک رأیاً، فقال عثمان: بئس ما أشرت، وأبی أن یجیبه إلی ذلک.

فخرج معاویهٔ إلی الشام وقدم المسور یرید المدینهٔ فلقی معاویهٔ بذی المروهٔ راجعاً إلی الشام، فقدم المسور علی عثمان وهو ذامّ لمعاویهٔ غیر عاذر له، فلمّا کان

نفحات الولایهٔ، ج۹، ص: ۳۸۲

فی حصره الآخیر بعث المسور أیضاً إلی معاویهٔ فأغذّ السیر حتّی قدم علیه فقال: إنّ عثمان بعثنی إلیک لتبعث إلی الرجال والخیول وتنصره بالحقّ وتمنع عنه الظلم، فقال معاویهٔ: إنّ عثمان أحسن فأحسن اللَّه به، ثم غیّر فغیّر اللَّه به، فشددت علیه، وقال:

یامسور ترکتم عثمان حتی إذا کانت نفسه فی حنجرته قلتم: إذهب فادفع عنه الموت، لیس ذلک بیدی، ثمّ أنزلنی فی مشربهٔ علی رأسه فما دخل علیَّ حتّی قتل عثمان»[۴۸۳].

وجاء فی تاریخ الطبری فی حوادث سنهٔ ۳۵ الهجریهٔ أنّ الثوّار حاصروا دار عثمان محاصرهٔ شدیدهٔ وقطعوا عنه کلّ مدد حتّی الماء، «وَقَدْ کانَ یَدْخُلُ بِالشَّیْءِ مِمَّا یُرِیدُ»[۴۸۴] أی کان علیّ علیه السلام یأتیه بما یرید من الأمور.

ویذکر الطبری أیضاً فی هذا الکتاب: أنّ الناس عندما منعوا الماء والغذاء عن عثمان سخط علیّ علیه السلام بشدّهٔ وقال لهم: یاأیّها الناس إنّ الذی تعملون لا یشبه أمر المؤمنین ولا أمرالکافرین، لا تقطعوا عن هذا الرجل المادّهٔ، فإنّ الروم وفارس عندما تؤسر تطعَم وتُسقی، وما تعرّض لکم هذا الرجل بماتستحلّون حصره وقتله؟[۴۸۵].

ویضیف الطبری بعد نقله لهذا الکلام: عندما عزم المسلمون علی مهاجمهٔ عثمان منعهم من ذلک الحسن بن علیّ ... ومن کان معه من أبناء الصحابهٔ[۴۸۶].

ولکن بما أنّ الإمام علیه السلام کان قد انتقد عثمان مراراً عدیدهٔ قبل هذه الحادثهٔ بسبب سوء أعماله، ونصحه مراراً أن یکفّ عن تلک التصرّفات الشائنهٔ ویحضر أمام الناس ویستمع ویستجیب لمطالبهم الحقّهٔ، فهذه الأمور أضحت فیما بعد ذریعهٔ بید معاویهٔ وأمثاله بأنّ الإمام علیه السلام کان یثیر الناس ضدّ عثمان، فیقول الإمام: إذا کان الإرشاد والنصیحهٔ ذنباً (والحال أنّ مثل هذا الإرشاد یعدّ مصداقاً بارزاً للأمر بالمعروف

نفحات الولایهٔ، ج۹، ص: ۳۸۳

والنهی عن المنکر) فإنّی أعترف بهذا الذنب، ولکن لا أحد من المؤمنین یعتبر ذلک ذنباً، بل هو فریضة من فرائض الإسلام.
والجدیر بالذکر أنّ جملة «رُبَّ مَلُوم لا ذَنْبَ لَهُ هو مثل عربی معروف ویقال إنّ أوّل من نطق بهذه الکلمة «أکثم بن صیفی».
وجملة: «وَقَدْ یَسْتَفِیدُ الظِّنَّةَ الْمُتَنَصِّحُ تعنی أنّ الشخص أحیاناً یصرّ کثیراً علی تقدیم النصحیة إلی أن یکون متّهماً، وهذه العبارة عجز بیت شعر وصدره: «وَکَمْ سُقْتُ فی آثارِکُمْ مِنْ نَصیحَةٍ» وقیل إنّ هذا الشعر قاله شاعر یدعی الریاشی ۴۸۷].
نفحات الولایة، ج۹، ص: ۳۸۵

القسم السادس

اشارة

وَذَکَرْتَ أَنَّهُ لَیسَ لِی وَلِأَصْحَابِی عِنْدَکَ إِلَّا السَّیْفُ، فَلَقَدْ أَضْحَکْتَ بَعْدَ اسْتِعْبَارٍ! مَتَی أَلْفَیْتَ بَنِی عَبْدِالْمُطَّلِبِ عَنِ الْأَعْدَاءِ نَاکِلِینَ وَبِالسَّیْفِ مُخَوَّفِینَ
فَلَبِّثْ قَلِیلًا یَلْحَقِ الْهَیْجَا حَمَلْ
فَسَیَطْلُبُکَ مَنْ تَطْلُبُ، وَیَقْرُبُ مِنْکَ مَا تَسْتَبْعِدُ، وَأَنَا مُرْقِلٌ نَحْوَکَ فِی جَحْفَلٍ مِنَ الْمُهَاجِرِینَ وَالْأَنْصَارِ، وَالتَّابِعِینَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ، شَدِیدٍ زِحَامُهُمْ، سَاطِعٍ قَتَامُهُمْ، مُتَسَرْبِلِینَ سَرَابِیلَ الْمَوْتِ؛ أَحَبُّ اللِّقَاءِ إِلَیْهِمْ لِقَاءُ رَبِّهِمْ، وَقَدْ صَحِبَتْهُمْ ذُرِّیَّةٌ بَدْرِیَّةٌ، وَسُیُوفٌ هَاشِمِیَّةٌ، قَدْ عَرَفْتَ مَوَاقِعَ نِصَالِهَا فِی أَخِیکَ وَخَالِکَ وَجَدِّکَ وَأَهْلِکَ «وَما هِیَ مِنَ الظَّالِمینَ بِبَعِیدٍ».

الشرح والتفسیر: تهدّدنی بالحرب!

یشیر الإمام علیه السلام فی هذا المقطع من رسالته، وهو المقطع الأخیر، إلی إحدی عبارات معاویة فی رسالته له علیه السلام حیث یهدّده فیها بالحرب، ویقول الإمام علیه السلام:
«وَذَکَرْتَ أَنَّهُ لَیسَ لِی وَلِأَصْحَابِی عِنْدَکَ إِلَّا السَّیْفُ، فَلَقَدْ أَضْحَکْتَ بَعْدَ اسْتِعْبَار[۴۸۸]! مَتَی أَلْفَیْتَ ۴۸۹] بَنِی عَبْدِالْمُطَّلِبِ عَنِ الْأَعْدَاءِ نَاکِلِینَ ۴۹۰]، وَبِالسَّیْفِ مُخَوَّفِینَ، فَ لَبِّثْ قَلِیلًا
نفحات الولایة، ج۹، ص: ۳۸۶
یَلْحَقِ الْهَیْجَا[۴۹۱] حَمَلْ».
وجملة: «لَقَدْ أَضْحَکْتَ بَعْدَ اسْتِعْبَارٍ» تعتبر مثلًا للشخص الذی یتحدّث بکلام متین وبعبارات قویة إلّاأنّه فجأة یقول کلاماً واهیاً وسخیفاً، لأنّ تهدید الإمام علیّ علیه السلام وبنی هاشم وعبدالمطّلب بالحرب ممّا یضحک الثکلی، فهؤلاء رجال المیدان وأبناء السیف وأصحاب إقدام وصولة فی میدان القتال، وأنت من جملة المهزومین فی معرکة بدر والأحزاب وفتح مکة، ویشهد تاریخ الإسلام أنّک من الأشخاص الضعفاء والجبناء، ألا یکون تهدیدک لی بالحرب مضحکاً؟ والجدیر بالذکر أنّ جملة: «لَقَدْ أَضْحَکْتَ بَعْدَ اسْتِعْبَارٍ» تؤکّد علی هذه النقطة، وهی أنّ الشخص إذا کان یضحک لبعض الأمور العادیة فهذا لیس بالأمر المهم والمثیر، ولکن الشخص الذی یعیش البکاء ویذرف الدموع، لو ضحک فی هذه الأثناء من کلمة أو عبارة، فیتبیّن أنّ هذه الکلمة مضحکة جدّاً.
وجملة: «لَبِّثْ قَلِیلًا یَلْحَقُ الْهَیْجاء حَمَلْ عجز بیت صدره «ما أحْسَنَ الْمَوْتِ إذَا الْمَوْتُ نَزَلَ .
ویعتبر هذا البیت مثلًا معروفاً لدی العرب، وأصله أنّ رجلًا من قبیلة «قشیر» ویدعی «حمل بن بدر» کانت له إبل نهبت فی إحدی الحروب فی عصر الجاهلیة، وکان هذا الرجل شجاعاً، فجاء لیلًا إلی هؤلاء الأعداء وأغار علیهم واستعاد إبله وقال هذا الشعر، ویعنی أنّک اصبر قلیلًا فسیأتی حمل إلی المیدان، وهو لا یبالی بالموت، لأنّ الموت جمیل دفاعاً عن الشرف.

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام يواصل كلامه ويهدّد معاوية بعبارات حاسمة وكلمات فى غاية الفصاحة والبلاغة ويقول: «فَسَيَطْلُبُكَ مَنْ تَطْلُبُ، وَيَقْرُبُ مِنْكَ مَا تَسْتَبْعِدُ، وَأَنَا مُرْقِلٌ نَحْوَكَ فِى جَحْفَلٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ».

وهو إشارة إلى أننى سأقدم عليك فى طائفة من المقاتلين الذين أدّوا امتحانهم

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۳۸۷

فى الغزوات الإسلاميّة، وهم ثلاثة طوائف: المهاجرون والأنصار والتابعون لهم بإحسان، ولكنّ الأشخاص الذين يتبعونك ويأتون معك للميدان هم المهزومون فى غزوات الإسلام وأبناؤهم ممّن يعيشون لحدّ الآن رواسب الجاهلية ويسيرون فى خطّ الوثنية والضلالة وحبّ الدنيا.

وجملة: «مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ مقتبسة من الآية الشريفة: «وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهاجِرِينَ وَالْأَنْصارِ وَالَّذينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسانٍ رَّضِىَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرى تَحْتَهَا الْأَنْهارُ خالِدينَ فيها أَبَداً ذلِكَ الْفَوْزُ الْعَظيم»[۴۹۲].

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام يصف أنصاره وأصحابه بأوصاف دقيقة وكلمات بليغة ويقول:

أولًا: «شَدِيدٍ زِحَامُهُمْ».

ثمّ يقول عليه السلام: «سَاطِعٍ قَتَامُهُمْ ۴۹۳]»، أى أنّ غبارهم أثناء الحركة يغطّى الأجواء ويمنع رؤية الافق.

وفى الوصف الثالث يقول: «مُتَسَرْبِلِينَ ۴۹۴] سَرَابِيلَ الْمَوْتِ أَحَبُّ اللِّقَاءِ إِلَيْهِمْ لِقَاءُ رَبِّهِمْ».

وفى الوصف الرابع يقول: «وَقَدْ صَحِبَتْهُمْ ذُرِّيَّةٌ بَدْرِيَّةٌ وسُيُوفٌ هَاشِمِيَّةٌ، قَدْ عَرَفْتَ مَوَاقِعَ نِصَالِهَا[۴۹۵] فِى أَخِيكَ وَخَالِكَ وَجَدِّكَ وَأَهْلِكَ «وَما هِىَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ»».

فى هذه الأوصاف الأربعة ذكر الإمام عليه السلام ما ينبغى ذكره فى المقام، فهو من جهة ذكر إيمانهم باللَّه وعشقهم للشهادة ولقاء ربّهم، حيث تعدّ هذه الحالة من أهمّ

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۳۸۸

المحفّزات للجهاد فى سبيل اللَّه تعالى، والآخر سابقتهم المنيرة فى الإسلام من قبيل مساهمتهم فى معركة بدر والتصدّى لأعداء الإسلام بسيوف هاشمية، أضف إلى ذلك ما التحق بهم من أعداد غفيرة من المؤمنين، والحقيقة أنّ تعبيرات الإمام عليه السلام فى هذه الرسالة تعدّ من أفصح وأبلغ العبارات وأشدّها قوّة وحسماً.

وجملة: «مُرْقِلٌ تدّل على سرعة الزحف و «جَحْفَل تطلق على الجيش العظيم الذى يشارك فيه الكثير من الفرسان، وكلمة «سَاطِعٍ قَتَامُهُمْ» تشير إلى أنّغبارهم قد ملأالخافقين، وكلّ ذلك إشارة إلى أنّ هذا الجيش سيأتيك مسرعاً إلى الميدان ولا يوجد أىّ تردّد فى نيّاتهم ولا شكّ فى غاياتهم، بل يتحرّكون باتّجاه ميادين الجهاد بعزم راسخ وعشق للشهادة فى سبيل اللَّه تعالى.

وكلمة: «ذُرِّيَّةٌ بَدْرِيَّةٌ» تعنى أنّ هؤلاء أبناء البدريين، وهم الذين اشتركوا فى معركة بدر وكأنّ هؤلاء قد تربّوا فى ذلك الميدان، ومع الأخذ بنظر الاعتبار أنّ جيش الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام يضمّ الكثير من مجاهدى معركة بدر، فهذه العبارة مطابقة للواقع تماماً، وذهب بعض أنّ مفاد هذا العبارة أنّ جيش الإمام عليه السلام يضمّ جماعة من أبناء المحاربين فى معركة بدر، فى حين أنّ هذا التفسير لا ينسجم مع سياقات كلام الإمام عليه السلام.

والمراد من «أخيك ؛ هو أخ معاوية: حنظلة بن أبى سفيان، ومقصوده من «خالَكَ ؛ الوليد بن عتبة خال معاوية، والمقصود من «جَدَّكَ ؛ جدّ معاوية لُامِّه وهو عتبة بن ربيعة، ومراده من «أهْلَكَ ؛ اسرة معاوية وهم جماعة من أبناء عمومته الذين اشتركوا مع قوى الكفر والشرك فى معركة بدر ضدّ النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله والإسلام.

وجملة: «وَما هِىَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ» مقطع من آية ۸۳ من سورةهود، وتشير إلى العذاب الأليم الذى ينتظر قوم لوط، وهم القوم الذين كانوا أشدّ من جميع الأقوام المشركة عذاباً، لأنّ اللَّه تعالى قلب مدنهم وقراهم عاليها سافلها ثمّ أمطر عليهم حجارة من سجّيل، تقول

الآية الشريفة: «فَلَمَّا جاءَ أَمْرُنا جَعَلْنا عالِيَها سافِلَها

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۳۸۹

وَأَمْطَرْنا عَلَيْها حِجارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنْضُودٍ* مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّکَ وَمَا هِیَ مِنَ الظَّالِمِینَ بِبَعِیدٍ»[۴۹۶].

والجدير بالذكر أنّ نصر بن مزاحم ينقل فى كتابه صفّين أنّ سعيد بن قيس الصحابىّ المعروف قام يوماً بين أصحابه وخطب فيهم وقال: «إنّ أصحاب محمّد المصطفين الأخيار معنا، وفى حيزنا، فواللَّه الذى هو بالعباد بصير أن لو كان قائدنا حبشيّاً مجدّعاً- إلّاأنّ معنا من البدريين سبعين رجلًا لكان ينبغى لنا أن تحسن بصائرنا وتطيب أنفسنا، فكيف وإنّما رئيسنا ابن عم نبيّنا، بدرىّ صدق، صلّى صغيراً وجاهد مع نبيّكم كبيراً، ومعاوية طليق من وثاق الاسار، وابن طليق، إلّاأنّه أغوى جفاةً فأوردهم النار، وأورثهم العار، واللَّه مُحِلّ بهم الذلّ والصغار ..»[۴۹۷].

تأمّل: مدين فى لباس دائن!

هناك مثل معروف منذ القديم يقول: «إذا أردت أن لا تقع مديناً فكن دائناً» ومعاوية من الأشخاص الذين استخدموا هذا المثل بكثرة، وتعتبر رسالته للإمام عليه السلام هذه «وتقدّم آنفاً رسالة الإمام عليه السلام له جواباً عليها» مصداقاً بارزاً لهذا المثل، لأنّ معاوية فى حين ارتكابه للكثير من السلوكيات الخاطئة، ومع سوء سابقته فى الإسلام، أخذ يتبجّح بالحقّانية ويكتب للإمام عليه السلام رسالة فيها الكثير من المطالبة بالحقّ.

ولو استطلعنا قائمة سوابقه الاجتماعية والأخلاقية وتصرّفاته السيئة فى مسيرته فى خط الضلالة، لرأينا:

۱. من حيث الاسرة، فإنّ معاوية يتمتّع بوضع غريب، فوالده أبوسفيان العدوّ الأول للإسلام، وهو العامل الأساس لإشعال نار الحروب ضدّ المسلمين، وامّه هند

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۳۹۰

المعروفة بآكلة الأكباد، المرأة التى جاءت إلى ميدان القتال فى معركة أحد وشقّت بطن حمزة بن عبدالمطّلب عليه السلام وأخرجت كبده ولاكته.

۲. من حيث الإيمان بالإسلام فإنّ معاوية أسلم فى آخر مرحلة من الدعوة، يعنى فى سنة فتح مكة، وتحت عوامل الإكراه، حيث أعلن هو وأبوه الإسلام ظاهراً.

۳. امتنع من البيعة لإمام المسلمين علىّ بن أبى طالب عليه السلام الذى بايعه المهاجرون والأنصار وجمهور عظيم من المسلمين.

۴. رفع لواء المخالفة ضدّ الحكومة الإسلاميّة بذريعة الطلب بدم عثمان وجمع حوله مجاميع كثيرة من المنافقين والمطرودين فى زمان النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله.

۵. جعل من بيت مال المسلمين وسيلة لتحقيق مآربه ومطامعه، فبنى قصراً عظيماً كقصر القياصرة والملوك، ووزّع أموال بيت المال على وضّاع الأحاديث ورؤساء القبائل والأشخاص المتملّقين والمتزلّفين.

۶. لم يمتنع من سفك دماء الأبرياء، فكان أن قتل محمّد بن أبى بكر الرجل الصالح ومالك الأشتر القائد الإسلامىّ الفذّ، وعمّار بن ياسر الصحابى المعروف والمقرّب للنبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله، وكان يأمر جيشه بالإغارة على حدود العراق والقرى والقصبات العراقية ويقتل الكثير من الأبرياء.

۷. بالرغم من تقصيره فى الدفاع عن عثمان، ومع طلب عثمان النصرة منه، إلّاأنّه نصب نفسه ومطالباً بدمه وأخذ يطالب بالثأر له.

وهكذا نرى أنّ معاوية على الرغم من هذه الأعمال، يتحدّث فى رسالته للإمام عليه السلام بوصفه دائناً لا مديناً، فمن جهة ينبرى للدفاع عن أصحاب النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله والمهاجرين والأنصار ويتحدّث عن أنّ ظهور النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله

وبعثته هبـة إلهيّـة عظيمـة للنـاس، وأنّ الإمـام عليه السـلام كـان مقصّـراً فى نصـرة الصـحابة، ومن جهـة أخرى يتّهم الإمام عليه السـلام بالمشاركة فى دم عثمان، ومن جهة ثالثة يقول إنّ بيعة الإمام عليه السلام للخليفة الأوّل من موقع الإكراه تعدّ منقصة ومذمّة.

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۳۹۱

ولكنّ الإمام عليه السـلام فى جوابه على هذه الأقاويل أجاب عنها بعبارات حاسمة وبليغة جدّاً وأجهض سعى معاوية فى التشويش على الذهنية العامة، وألفت نظره إلى ما كان عليه هو واسـرته فى زمان النبىّ الأكرم صـلى الله عليه و آله ومشاركته هو وأقرباؤه من بنى امية ضدّ الإسلام والنبىّ فى معركة بدر، ومقتل الكثير من أرحامه بيد جنود الإسلام، وقال له بصراحة: إنّ ثناءك على النبىّ صلى الله عليه و آله وبيان أهمية بعثته لشـخص مثل علىّ بن أبى طالب إنّما هو من قبيل «حمل التمر إلى هَجَر»، ثمّ بيّن الإمام عليه السلام تقصير معاوية فى نصـرة عثمان، ورسم بعبارات جلّيـة وبليغـة حدود ومعالم اسـرة بنى هاشم وبنى امية فى الجاهلية والإسـلام، وجدارته لمقام الخلافة بعـد النبىّ الأـكرم صـلى الله عليه و آله بالأدلّـة والبراهين الجليّـة والقاطعـة، ويقول بالنسـبة لبيعته لأبى بكر، أنّك أردت الـذمّ ولكنّك مـدحت من حيث لا تشـعر، وأخيراً أجابه عن تهديـده بالحرب وقال له: إنّ تهـديدك مضـحك ولا معنى له بالنسـبة لشـخص هو وليد الحرب وقد تربّى وترعرع فى ميادين القتال والجهاد.

ومن مجموع مـا تقـدّم من شـرح هـذه الرسالـة، وكما أشـرنا إلى ذلك سابقاً، أنّ هـذه الرسالـة للإمام عليه السـلام، كما يؤكّـد شـرّاح نهج‌البلاغة أيضاً، تعتبر من أروع الرسائل والكتب التى تبيّن أهداف الإمام عليه السلام وترسم آفاق رؤاه ومواقفه بأفضل وجه.

***

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۳۹۲

الرسالة ۲۹

اشارة

إلى أَهْلِ الْبَصْرَةِ[۴۹۸]

نظرة إلى الرسالة

كما أوردنا فى بيان سـند هذه الرسالة فى الهامش، أنّ هذه الرسالة ترتبط بالفتنة التى أثارها معاوية فى البصـرة، والقصّة بشكل مختصر كالتالى: إنّ بعض أتباع معاوية بعد استيلاء عمرو بن العاص على مصر ومقتل محمّد بن أبى بكر قالوا له:

إبعث رجلًا إلى البصـرة لإخراجهـا من ولايـة علىّ بن أبى طـالب، فقبـل معاويـة بهـذا الاـقتراح ووافق على ذلك. ونقل صاحب كتاب الغارات هذه الواقعة بهذا الشكل:

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۳۹۳

«بعـد مقتل محمّـد بن بكر واستيلاء عمرو بن العاص على مصـر، سـيّر معاوية عبداللَّه بن الحضـرمى إلى البصـرة وقاله له: إنّ جلّ أهلها يرون رأينـا فى عثمـان، وقـد قتلوا فى الطلب بـدمه، فهم لـذلك حانقون، يودّون أن يأتيهم من يجمعهم وينهض بهم فى الطلب بثأرهم ودم إمامهم، فانزل فى مضـر وتودّد الأزد، فإنّهم كلّهم معك، ودع ربيعة فلن يتحرّف عنك أحد سواهم، لأنّهم كلّهم ترابية فاحذرهم، فسار ابن الحضـرمى حتّى قدم البصـرة، وكان ابن عباس قد خرج إلى الكوفة (ليعزّى أميرالمؤمنين عليه السلام باستشهاد محمّد بن أبى

بكر) واستخلف زياد بن أبيه على البصرة، فلمّا وصل ابن الحضرمى إلى البصرة نزل فى بنى تميم.

فرفع ذلك ابن عباس إلى أميرالمؤمنين عليه السلام فشاع فى الناس بالكوفة ما كان من ذلك، .. ثمّ إنّه عليه السلام دعا أعين بن ضبيعة المجاشعى وقال له: يا أعين ما بلغك أنّ قومك وثبوا على عاملى مع ابن الحضرمى بالبصرة يدعون إلى فراقى وشقاقى ويساعدون الضلّال الفاسقين علىَّ؟.

فقال أعين: لا تستأ ياأميرالمؤمنين ولا يكن ما تكره، ابعثنى إليهم فأنا لك زعيم، فنجح أعين تقريباً فى مهامّه ولكنّه لما أوى إلى رحله تبعه عشرة نفر يظنّ أنّهم خوارج، فضربوه بأسيافهم فقتلوه، ولمّا وصل خبر استشهاده إلى أميرالمؤمنين عليه السلام، دعا عليه السلام جارية بن قدامة (صاحب الكلمة النافذة) وكتب معه كتاباً فقال له: ياابن قدامة إقرأه على أصحابك، وما جاء فى نهج‌البلاغة سوى قسم من رسالة الإمام عليه السلام إلى الناس.

انهزم المخالفون والتجأ ابن الحضرمى إلى دار، فأحرقها ابن قدامة عليه وعلى أنصاره، فهلكوا جميعاً وخمدت نار الفتنة[۴۹۹].

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۳۹۴

وَقَدْ كَانَ مِن انْتِشَارِ حَبْلِكُمْ وَشِقَاقِكُمْ مَا لَمْ تَغْبَوْا عَنْهُ، فَعَفَوْتُ عَنْ مُجْرِمِكُمْ، وَرَفَعْتُ السَّيْفَ عَنْ مُدْبِرِكُمْ، وَقَبِلْتُ مِنْ مُقْبِلِكُمْ. فَإِنْ خَطَتْ بِكُمُ الْأُمُورُ الْمُرْدِيَةُ، وَسَفَهُ الآرَاءِ الْجَائِرَةِ، إلَى مُنَابَذَتِي وَخِلَافِی، فَهَا أَنَا ذَا قَدْ قَرَّبْتُ جِيَادِی، وَرَحَلْتُ رِكَابِی. وَلَئِنْ أَلْجَأْتُمُونِی إِلَی الْمَسِيرِ إِلَيْكُمْ لَأُوقِعَنَّ بِكُمْ وَقْعَةً لَايَكُونُ يَوْمُ الْجَمَلِ إِلَيْهَا إِلَّا كَلَعْقَةِ لَاعِقٍ؛ مَعَ أَنِّی عَارِفٌ لِذِی الطَّاعَةِ مِنْكُمْ فَضْلَهُ، وَلِذِی النَّصِيحَةِ حَقَّهُ، غَيْرُ مُتَجَاوِزٍ مُتَّهَماً إِلَی بَرِیٍّ، وَلَا نَاكِثاً إِلَی وَفِیٍّ.

الشرح والتفسير: إطفاء نار الفتنة فى البصرة

ينطلق الإمام عليه السلام فى هذه الرسالة القصيرة والزاخرة بالمضمون العميق والدقيق، من موقع العمل على إطفاء نار الفتنة التى أثارها معاوية فى البصرة، وذلك استناداً إلى أصلين: الأول: التهديد الجدىّ والأكيد لمَن يتحرّك على مستوى نقض البيعة والعهد، ويذكّرهم أنّهم إذا لم يتركوا تآمرهم ويتخلّوا عن الفتنة فإنّه سيأتى إليهم بجيش كبير وسيقمعهم كما قمعهم فى معركة الجمل، ثمّ يتحدّث عن أصل الرحمة والرأفة بالنسبة للأشخاص الذين التزموا بالوفاء للإمام عليه السلام أو أظهروا الندم على أفعالهم السابقة، ويبشّرهم بأنّ أموالهم ونفوسهم وأعراضهم ستكون فى أمن وأمان من التعرّض للخطر.

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۳۹۵

وبداية يقول الإمام عليه السلام: «وَقَدْ كَانَ مِن انْتِشَارِ حَبْلِكُمْ ۵۰۰] وَشِقَاقِكُمْ ۵۰۱] مَا لَمْ تَغْبَوْا[۵۰۲] عَنْهُ، فَعَفَوْتُ عَنْ مُجْرِمِكُمْ، وَرَفَعْتُ السَّيْفَ عَنْ مُدْبِرِكُمْ، وَقَبِلْتُ مِنْ مُقْبِلِكُمْ».

والحقيقة أنّ الإمام عليه السلام بهذا الكلام يعمل على إبطال حيلة معاوية وإجهاض تآمره هو وأتباعه، فقد كان معاوية عازماً على إثارة أهالى البصرة ضدّ الإمام عليه السلام بتذكيرهم بمعركة الجمل، ولكنّ الإمام عليه السلام بتذكيرهم بنتائج هذه المعركة عَمِل على إطفاء نار الفتنة والفساد، وقال لهم: أنّكم كنتم أهل الشقاق وقد تحرّكتم فى خطّ التمرّد والثورة ضدّ الخلافة الإسلاميّة، ولكن بعد أن حلّت بكم الهزيمة لم أصدر الأمر بقتلكم، ولم أسمح بتعقّب الهاربين منكم، وأصدرت العفو العام عنكم وصفحت عن المجرمين منكم، وقبلت الأشخاص الذين جاءوا إلىَّ نادمين وطويت صفحة الماضى، وتناسيت ما ارتكبوه من أعمال، وعلى هذا الأساس فينبغى أن تكونوا ممّن يلتزم بالقيم الأخلاقية، ولا يردّ الجميل بالإساءة ولا يقيم العلاقة مع أعدائه.

وجاء فى بعض الروايات أنّ الإمام علىّ عليه السلام بعد انتصاره فى معركة الجمل أمر منادياً ينادى بصوت عالٍ: «لَا تُتْبِعُوا مُوَلِّياً وَلَا تُجهِزُوا عَلَی جَرِيحٍ»[۵۰۳].

ثم أمر منادياً ينادى: «مَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ وَمَنْ أَلْقَى سِلَاحَهُ فَهُوَ آمِن»[۵۰۴]، وهذا الأمر يشبه ما أصدره رسول اللَّه صلى الله عليه و

آله من العفو العام عند فتح مكة.

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام ولغرض إطفاء نار الفتنة هذه، تحدّث عن الشدّة والحسم فى مقابل الأشخاص المعاندين والانتهازيين وقال: فَإِنْ خَطَتْ ۵۰۵] بِكُمُ الْأُمُورُ الْمُرْدِيَةُ،

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۳۹۶

وَسَفَهُ الْآرَاءِ الْجَائِرَةِ، إِلَى مُنَابَذَتِى ۵۰۶] وخِلَافِى، فَهَا أَنَا ذَا[۵۰۷] قَدْ قَرَّبْتُ جِيَادِى ۵۰۸]، وَرَحَلْتُ ۵۰۹] رِكَابِى».

ثمّ يضيف الإمام عليه السلام: «وَلَئِنْ أَلْجَأْتُمُونِى إِلَى الْمَسِيرِ إِلَيْكُمْ لَأُوقِعَنَّ بِكُمْ وَقْعَةً[۵۱۰] لَا يَكُونُ يَوْمُ الْجَمَلِ إِلَيْهَا إِلَّا كَلَعْقَةِ لَاعِقٍ».

وهذا يعنى أننى فى معركة الجمل لم أكن مستعدّاً لها من حيث العدّة والعدد وكانت إمكاناتى قليلة فى تلك الواقعة، ولكننى اليوم أملك جيشاً منسجماً وكثير العدّة والعدد، ويملك أفراد الجيش كلّ وسيلة قتالية وآلة حربية، وعلى ضوء ذلك فلو وقعت حرب فلا تقبل المقارنة مع تلك المعركة السابقة، وسوف لا يكون محلّ لما بدرَ منّى من محبّة ورأفة بكم فى حرب الجمل، لأنّكم تناسيتم تلك الرأفة وتجرّأتم على إمامكم، وكأنّ تلك المودّة وذلك الإحسان زاد من جرأتكم ووقاحتكم.

وجملة: «لَعْقَة لاعِق مع الالتفات إلى أنّ كلمة «لعقة» (على وزن قهوة) بمعنى اللحس، و «لعقة» (على وزن بقعة)، المقدار من الشىء الذى يحمل بالملعقة، فهذا كناية على أنّ هذا المقدار قليل جدّاً، وفى المثل المتعارف كالقطرة فى البحر.

ولكن لئلّا يستغلّ العدوّ هذا الكلام ويسىء فهمه ويتصوّر أنّ الإمام عليه السلام يهدّد جميع أهالى البصرة ويقول إننى سوف أحرق الأخضر واليابس واعاقب المحسن

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۳۹۷

والمسىء يضيف الإمام عليه السلام: «مَعَ أَنِّى عَارِفٌ لِذِى الطَّاعَةِ مِنْكُمْ فَضْلَهُ، وَلِذِى النَّصِيحَةِ حَقَّهُ، غَيْرُ مُتَجَاوِزٍ مُتَّهَماً إِلَى بَرِىٍّ، وَلَا نَاكِثاً إِلَى وَفِىٍّ».

وجاء فى بعض الروايات أنّ زياد بن أبيه- الذى كان أحد المعاونين والمستشارين لابن عباس والى البصرة، وعندما سافر ابن عباس إلى الكوفة لرؤية الإمام عليه السلام وتقديم التعازى بمناسبة استشهاد محمّد بن أبى بكر، واستلم زمام أمور البصرة- خطب خطبة حماسيّة وهدّد فيها أهالى البصرة بأننى لا اميّز بين المذنب والبرىء وسوف أخذ الأب بذنب ابنه، والجار بذنب جاره، وسأنزل العقاب الشديد بكم جميعاً إلّاأن تسلكوا فى الطريق الصحيح ۵۱۱].

ويحتمل أنّ هذا الكلام وصل إلى مسامع الإمام عليه السلام، فأراد الإمام عليه السلام بكلامه المذكور آنفاً بيان سعة دائرة العدل الإسلامى وإصلاح ما صدر من زياد بن أبيه من الكلام المتقدّم.

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۳۹۹

الرسالة ۳۰

اشارة

إلى مُعاوِيَة[۵۱۲]

نظرة إلى الرسالة

لم ينقل المرحوم السيّد الرضىّ مطلع هذه الرسالة، وقد ابتدأت الرسالة وفقاً لما ذكره ابن أبى‌الحديد بعبارة: «أمّا بَعْدُ فَقَدْ بَلَغنى

كِتابُكَ تَذْكُرُ فيهِ مُشاغَبَتى».

وهذا التعبير يبيّن بوضوح أنّ الرسالة لم تكن سوى رسالة جوابية للإمام أميرالمؤمنين عليه السلام على رسالة معاوية له، والتى يتّهم فيها الإمام عليه السلام بخلق الفتنة، والظلم والجور، والإمام عليه السلام يجيبه جواباً قاطعاً أننى أعمل بوظيفة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والتصدّى للظالمين والملحدين والمنافقين على أساس تعاليم القرآن الكريم وأوامر اللّه تعالى.

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۴۰۰

وبعد أنّ يبرّىء الإمام عليه السلام ساحته من هذه التهم الموهنة يبدأ بتقديم النصح لمعاوية، وهو ما نقله السيد الرضىّ فى هذه الرسالة. يقول الإمام عليه السلام لمعاوية: ينبغى عليك أن تتعرّف على طريق الحقّ الذى وضحت معالمه وتبيّنت سُبله، فلا عذر لك فى جهلك به، ولا ينبغى لك أن تنحرف عن مسير الحقّ وتتحرّك فى متاهات الحياة وتسلك دروب الضلالة فيسلب اللّه تعالى نعمه منك وينزل عليك عقابه وعذابه، فحذار من المسير فى خطّ الأهواء النفسانية التى تقودك إلى وادى المهالك وتقحمك فى مهاوى الكفر وترك الإيمان.

***

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۴۰۱

فَاتَّقِ اللَّهَ فِيمَا لَدَيْكَ، وَانْظُرْ فِى حَقِّهِ عَلَيْكَ، وَارْجِعْ إِلَى مَعْرِفَةِ مَا لَاتُعْذَرُ بِجَهَالَتِهِ، فَإِنَّ لِلطَّاعَةِ أَعْلَاماً وَاضِحَةً، وَسُبُلًا نَيِّرَةً، وَمَحَجَّةً نَهْجَةً، وَغَايَةً مُطَّلَبَةً، يَرِدُهَا الْأَكْيَاسُ، وَيُخَالِفُهَا الْأَنْكَاسُ؛ مَنْ نَكَبَ عَنْهَا جَارَ عَنِ الْحَقِّ، وخَبَطَ فِى التِّيهِ، وَغَيَّرَ اللَّهُ نِعْمَتَهُ، وَأَحَلَّ بِهِ نِقْمَتَهُ. فَنَفْسَكَ نَفْسَكَ، فَقَدْ بَيَّنَ اللَّهُ لَكَ سَبِيلَكَ، وَحَيْثُ تَنَاهَتْ بِكَ أُمُورُكَ، فَقَدْ أَجْرَيْتَ إِلَى غَايَةِ خُسْرٍ، وَمَحَلَّةِ كُفْرٍ، فَإِنَّ نَفْسَكَ قَدْ أَوْلَجَتْكَ شَرّاً، وَأَقْحَمَتْكَ غَيّاً، وَأَوْرَدَتْكَ الْمَهَالِكَ، وَأَوْعَرَتْ عَلَيْكَ الْمَسَالِكَ.

الشرح والتفسير: ينبغى أن تفكّر بعاقبة أمرك!

من المناسب أن نورد هنا رسالة معاوية للإمام لغرض توضيح أهداف الإمام عليه السلام من رسالته الجوابية لمعاوية، وأنّ جواب الرسالة ناظر إلى النص الوارد فى الرسالة الاولى، ولكن للأسف لم تنقل هذه الرسالة، بحدود اطلاعنا، فى أىّ كتاب ومصدر، رغم أنّ رسالة الإمام عليه السلام تبتدىء بمقطع لم ينقله المرحوم السيّد الرضىّ، ومع الالتفات إلى هذا المقطع من الرسالة يتبيّن بشكل إجمالىّ مضمون رسالة معاوية أيضاً، لأنّ الإمام عليه السلام فى مطلع هذه الرسالة وطبقاً لما ورد فى كتاب «نهج‌البلاغة الكامل» يقول:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحيم مِنْ عَبْدِاللَّهِ عَلِيٍّ أَميرِ الْمُؤْمِنينَ إِلى مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبى سُفْيَانَ.

أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ بَلَغَنى كِتَابُكَ تَذْكُرُ مُشَاغَبَتى، وَتَسْتَقْبِحُ مُوَازَرَتى، وَتَزْعَمُنى

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۴۰۲

مُتَجَبِّراً، وَعَنْ حَقِّ اللَّهِ مُقَصِّراً. فَسُبْحَانَ اللَّهِ، كَيْفَ تَسْتَجِيزُ الْغِيبَةَ، وَتَسْتَحْسِنُ الْعَضِيهَةَ. فَإِنّى لَمْ أُشَاغِبْ إِلّا فى أَمْرٍ بِمَعْرُوفٍ، أَوْ نَهْيٍ عَنْ مُنْكَرٍ. وَلَمْ أَتَجَبَّرْ إِلّا عَلى بَاغٍ مَارِقٍ، أَوْ مُلْحِدٍ كَافِرٍ، وَلَمْ آخُذْ فِي ذَلِكَ إِلّا بِقَوْلِ اللَّهِ- سُبْحَانَهُ-: «لَاتَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آباءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ»[۵۱۳] وَأَمَّا التَّقْصِيرُ فى حَقِّ اللَّهِ- تَعَالى- فَمَعَاذَ اللَّهِ وَإِنَّمَا الْمُقَصِّرُ فى حَقِّ اللَّهِ- جَلَّ ثَنَاؤُهُ- مَنْ عَطَّلَ الْحُقُوقَ الْمُؤَكَّدَةَ، وَرَكَنَ إِلَى الأَهْوَاءِ الْمُبْتَدَعِةِ، وَأَخْلَدَ إِلَى الضَّلَالَةِ الْمُحَيِّرَةِ. وَمِنَ الْعَجَبِ أَنْ تَصِفَ، يَا مُعَاوِيَةُ، الِاحْسَانَ، وَتُخَالِفَ الْبُرْهَانَ، وَتَنْكُثَ الْوَثَائِقَ الَّتى هِيَ للَّهِ- عَزَّ وَجَلَّ- طَلِبَةٌ، وَعَلى عِبَادِهِ حُجَّةٌ، مَعَ نَبْذِ الإِسْلَامِ، وَتَضْييعِ الأَحْكَامِ، وَطَمْسِ الأَعْلَامِ، وَالْجَرْيِ فِي الْهَوى، وَالتَّهَوُّسِ فِي الرَّدى».

أمّا ما أورد السيّد الرضىّ فى نهج‌البلاغة فهو:

إنّ الإمام عليه السلام بعد هذه المقدّمة أخذ ينصح معاوية ويعظه بطرق مختلفة ويتمّ الحجّة عليه، بداية يقول فى ثلاث جمل قصيرة وعميقة المعنى: «فَاتَّقِ اللَّهَ فِيمَا لَدَيْكَ، وَانْظُرْ فِى حَقِّهِ عَلَيْكَ، وَارْجِعْ إِلَى مَعْرِفَةِ مَا لَاتُعْذَرُ بِجَهَالَتِهِ».

الجملة الاولى: «فَاتَّقِ اللَّهَ فِيمَا لَدَيْكَ ربّما تشير إلى مقام معاوية فى ولاية الشام، أو إلى أموال المسلمين فى يده، أو جميع نعم اللَّه عليه، فالإمام عليه السلام هنا يحذّره من التمسّك بما ليس لك من المقام ويجب عليك إعادته إلى أصحابه وأن تستخدم نعم اللَّه عليك فى طريق طاعته والسعى لنيل رضاه وإمتثال أمره.

والجملة الثانية: «وَانْظُرْ فِى حَقِّهِ عَلَيْكَ إشارة إلى أنّ اللَّه تعالى له حقّ على عباده فى مقابل كلّ هذه النعم والمواهب التى أنعم بها عليهم، وهذا الحقّ الإلهىّ يستلزم أن يسير العبد فى خط الطّاعة والعبودية والامتناع عمّا نهى اللَّه عنه، فلو أنّه لم يؤدّ هذا الحقّ فسوف يواجه العذاب الأليم فى الآخرة.

والجملة الثالثة: «وَارْجِعْ إِلَى مَعْرِفَةِ مَا لَاتُعْذَرُ بِجَهَالَتِهِ ذهب جمع من شرّاح

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۴۰۳

نهج‌البلاغة إلى أنّها إشارة لمعرفة الإمام عليه السلام الواجب الإطاعة، فقد ورد فى الحديث المشهور: «مَنْ ماتَ وَلَمْ يَعْرِفْ امامَ زَمانِهِ فَقَدْ ماتَ مَيْتَةً جاهِلَيَّةً»[۵۱۴].

ويحتمل أيضاً فى تفسير هذه العبارة أنّها إشارة إلى جميع المعارف الإلهيّة والدينية التى لا يعذر الإنسان فى جهله بها، وعلى ضوء ذلك فالإمام عليه السلام يوصى معاوية بأن يتعرّف على أصول دينه وفروعه والتكاليف الشرعية التى يتوجّب عليه القيام بها أمام اللَّه تعالى والناس.

ويتحرّك الإمام عليه السلام بعد ذلك من موقع الاستدلال على ما تقدّم من كلامه (فإنّك غير معذور فى حالة الجهل) ويضيف: «فَإِنَّ لِلطَّاعَةِ أَعْلَاماً وَاضِحَةً، وَسُبُلًا نَيِّرَةً، وَمَحَجَّةً[۵۱۵] نَهْجَةً[۵۱۶]، وَغَايَةً مُطَّلَبَةً، يَرِدُهَا الْأَكْيَاسُ ۵۱۷]، وَيُخَالِفُهَا الْأَنْكَاسُ ۵۱۸]».

والإمام عليه السلام فى هذا الكلام يتمّ الحجّة على معاوية بأنّك يوم القيامة لا يمكنك أبداً أن تدّعى أنّ الطريق كان مظلماً وأنّ معالمه غير واضحة، ولذلك لم أعرف الحقّ والحقيقة، فيقول الإمام عليه السلام: إنّ أعلام هذا الطريق واضحة وآياته بيّنة من خلال ما ورد فى الآيات القرآنية من جهة، والأحاديث النبوية المعتبرة من جهة أخرى، والبراهين العقلية الساطعة من جهة ثالثة، وكلّها تمثّل علامات هذا الطريق المتوفّرة فى كلّ مكان منه، أضف إلى ذلك أنّ الجادة غير مظلمة «سُبُلًا نَيِّرَةً» فالطريق واضح ورحب ليس فيه مآزق ومنزلقات: «مَحَجَّةً نَهْجَةً» والغاية النهائية لهذا المسير نيل

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۴۰۴

السعادة الأبدية، وهذا المعنى لا يخفى على كلّ إنسان.

واللافت أنّ الإمام عليه السلام ذكر فى كلامه كلمة: «سُبُل جمع سبيل، وكذلك «مَحَجَّة» وتعنى الطريق الواسع والجادّة الواضحة، لأنّ الإنسان عادة يتحرّك من الطرق الفرعية ليوصل نفسه إلى الجادة الأصلية، ثم يتوجّه إلى مقصده وغايته، وإذا وردت «سُبل» بصيغة الجمع و «محجّة» بصورة مفرد فهى ناظرة إلى هذا المعنى وهو أنّ الطرق الفرعية التى يشرع الإنسان فيها حركته، متعدّدة، ولكنّ الجادّة الأصلية واحدة عادة.

أمّا عبارة «غَايَةً مُطَّلَبَةً» فتارة تقرأ بتشديد الطاء وأخرى بتشديد اللام، وجاء فى بعض النسخ «مطلوبة» وهى كلّها تعنى المطلوبة، فالإمام يقول: إنّ طاعة اللَّه تعالى تمثّل هدفاً مطلوباً للإنسان، والمقصود منها نيل القرب من اللَّه تعالى والوصول إلى السعادة الأبدية والنجاة فى الآخرة وتحصيل رضا اللَّه تعالى وشمول لطفه ورحمته فى الدنيا، فالعقلاء وأولو الألباب يتحرّكون فى واقع الحياة لتحقيق هذا الهدف، لأنّهم غير مستعدّين للتضحية بالسعادة الأبدية ورضا اللَّه تعالى لحساب تحصيل الأموال والمقامات والشهوات الدنيوية، كما ورد هذا المعنى فى الحديث الشريف عن الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام قال: «الْكَيِّسُ مَنْ أَحْيَا فَضَائِلَهُ وَأَمَاتَ رَذائِلَهُ»[۵۱۹]، ونقرأ

فى حديث شريف عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «إِنَّمَا الْكَيِّسُ كَيِّسُ الْآخِرَةِ»[۵٢٠].

وفى مقابل ذلک فإنّ الأراذل من الناس لا يتحرّكون باتجاه هـذا الهـدف، وإنّما يقنعون بتحصل الملـذّات الدنيويـة الرخيصـة ويطلبون الزخـارف الماديـة المهزوزة والعنـاوين الاعتباريـة، ويبيعون أغلى ما لـديهم من متاع بأزهـد الأثمان، وهـذا بـذاته دليل على سفاهتهم وحماقتهم.

نفحات الولاية، ج٩، ص: ۴٠۵

ويستمرّ الإمام عليه السلام فى كلامه محذّراً معاوية من مغبّة الانحراف عن الصراط المستقيم والإعراض عن طاعة اللّه تعالى، لأنّه: «مَنْ نَكَبَ ۵٢١] عَنْهَا جَارَ عَنِ الْحَقِّ، خَبَطَ فِى التِّيهِ، وَغَيَّرَ اللَّهُ نِعْمَتَهُ، وَأَحَلَّ بِهِ نِقْمَتَهُ».

فالإمام عليه السلام فى هـذه الجمل الأربع، يشير فى البدايـة إلى نتيجـة الانحراف عن مسير الطاعـة، وهو البعد عن الحقّ والتوغّل فى دروب المتاهة والحيرة، وبالتالى يعيش الإنسان الحرمان من النعم الإلهيّة ويستحقّ حينئذٍ العقوبة والعذاب.

والجملتان الأوليان فى الواقع بمثابـة المقدّمة، والجملتين الثالثة والرابعة بمثابة النتيجة وذى المقدمة، وكأنّ كلام الإمام عليه السلام هذا إشارة إلى الآية الشريفة: «ذلِکَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَکُ مُغَيِّراً نِّعْمَةً أَنْعَمَها عَلى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا ما بِأَنْفُسِهِمْ»[۵٢٢].

ثمّ يضيف الإمام عليه السلام: «فَنَفْسَکَ نَفْسَکَ! فَقَدْ بَيَّنَ اللَّهُ لَکَ سَبِيلَکَ، وَحَيْثُ تَنَاهَتْ بِکَ أُمُورُکَ، فَقَدْ أَجْرَيْتَ إِلَى غَايَةِ خُسْرٍ، وَمَحَلَّةِ كُفْرٍ».

وهذا التعبير فى الحقيقة مقتبس من القرآن الكريم: «عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ»[۵٢٣]، وتعبير الإمام عليه السلام إشارة إلى أنّ هذا الطريق الذى سلكته لا ـ يقودک إلّاإلى الشقاء والخسران والكفر، فينبغى عليک الانتباه من نوم الغفلة والعودة إلى أحضان الحقّ وتعاليم الرسالة الإلهيّة.

وجملة: «قَدْ بَيَّنَ اللَّهُ لَکَ سَبِيلَکَ ، ذهب الكثير من شرّاح نهج‌البلاغة بأنّ اللّه تعالى قد بيّن لک سبيل النجاة، فى حين أنّ هذا المعنى قد ورد فى العبارات السابقة ولا حاجة للتكرار، فالمقصود من هذه العبارة شىء آخر، وهو أنّ الإمام عليه السلام يريد القول بأنّ اللّه تعالى قد بيّن لک خطأ هذا المسير الذى تسير عليه وبيّن لک عواقبه السيئة، والعبارات اللاحقة أيضاً تؤيّد هذا المعنى.

نفحات الولاية، ج٩، ص: ۴٠۶

وفى المقطع الأخير من الرسالة، طبقاً لما ذكره السيد الرضى بيّن الإمام عليه السلام فى أربع جمل أخرى العواقب التى تنتظر معاوية والمترتبة على أعماله السيئة، ويقول:

«فَإِنَّ نَفْسَکَ قَدْ أَوْلَجَتْکَ ۵٢۴] شَرّاً، وَأَقْحَمَتْکَ ۵٢۵] غَيّاً[۵٢۶]، وَأَوْرَدَتْکَ الْمَهَالِکَ، وَأَوْعَرَتْ ۵٢٧] عَلَيْکَ الْمَسَالِکَ».

وكلّ جملة من هذه الجمل الأربع تبيّن أحد أبعاد العاقبة السيئة لأعمال معاوية وكلّ من سار على هذا الخطّ، فى البداية التورّط فى عناصر الشرّ، وأىّ شرّ أشنع من أن تتلوّث يد الإنسان بدم الأبرياء من الناس والتلاعب ببيت المال وإعطاء مال المسلمين إلى غير المستحقّين، وما أشدّ ضلالة الإنسان الذى يتجاوز حدوده ولا يعرف قدره ويدّعى منصب الخلافة وإمامة الامّة ويجلس مجلس النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله مع أنّه لا ـ يملک اللياقة الكافية والجدارة لإحراز هذا المقام، وأىّ مهلكة أخطر من حركة الإنسان فى الطريق الذى يؤدّى به إلى جهنّم، وأىّ مشكلة أشدّ من أنّ الإنسان يرتكب الذنوب والآثام بحيث يوصد طريق العودة خلفه ويهدم جسور التوبة والإنابة إلى اللّه ولا يتمكّن بعد ذلک من إصلاح الخلل.

نفحات الولاية، ج٩، ص: ۴٠٧

الرسالة ٣١

اشارة

لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِي عليهما السلام، كَتَبَهَا إِلَيْهِ «بِحاضِرَيْنِ»[٥٢٨]
عِنْدَ انْصِرافِهِ مِنْ صِفِّينٍ ٥٢٩]

نظرة إلى الرسالة

تعتبر هذه الوصية بعد عهد مالك الأشتر من أطول الرسائل والكتب للإمام ٥٣٠]

نفحات الولاية، ج٩، ص: ٤٠٨

عليّ عليه السلام في نهج‌البلاغة، وهى عبارة عن دورة كاملة من دروس الأخلاق وتهذيب النفس وتزكيتها وبيان معالم السير والسلوك إلى اللَّه، وفى الحقيقة أنّها تتألّف من ثلاثين قسماً ومقطعاً.

والإمام عليه السلام في المقطع الأول يخاطب نفسه وأبناءه بوصفه كاتب هذه الوصية ويعرّف نفسه للمخاطب بعبارات عميقة المضمون ومنسجمة مع روح هذه الوصية.

وفى المقطع الثانى يعرّف هذه الوصية بأنّها وصية والد متحرّق ومحبّ لأبنه الذى يملك له محبّة شديدة.

وفى المقطع الثالث إلى المقطع العاشر يوصى ولده بالتقوى ومطالعة سيرة الأسلاف وتاريخ القدماء والتوصية بالاحتياط فى جميع الأمور والتفقّه فى الدين والصبر والاستقامة فى مقابل المشكلات والتحديّات والتوكّل على اللَّه وتفويض الأمور إليه، والتوجّه إلى هذه الحقيقة وهى أنّ قلب الشابّ مستعدّ لاستلهام جميع التعاليم والتوصيات، والتأكيد على أنّ أباك قد اختتم تجارب العمر ووضعها تحت اختيارك بدون أن تتعب نفسك فى ذلك، ثمّ التوصية بالتمعّن أكثر فى كتاب اللَّه ومعرفة الحلال والحرام الإلهيين، وأخيراً الاقتداء بسنّة الصالحين وضرورة اجتناب الشبهات.

والمقطع الحادى عشر إلى المقطع العشرين يتحدّث الإمام عليه السلام عن كثرة مجهولات الإنسان فى مقابل معلوماته، ويحذّره من أىّ انحراف عن الحقّ ويؤكّد عليه لزوم اتّباع نبىّ الإسلام صلى الله عليه و آله وأنّ أىّ إنسان لا يصل إلى نتيجة صحيحة بدون التأسىّ به، ثمّ يؤكّد له على مسألة التوحيد وشرح بعض الصفات الإلهيّة، وأخيراً يرسم له معالم القصور فى الدنيا وعدم ثباتها بذكر مثال جميل فى هذا الشأن.

نفحات الولاية، ج٩، ص: ٤٠٩

ثمّ يبيّن لولده العزيز هذه الحقيقة، وهى أنّه لابدّ أن تجعل نفسك ميزاناً للحكم على الآخرين، فما كنت تحبّه لنفسك ينبغى أن تحبّه للآخرين وما تكره لها تكره لهم، ثمّ يتحدّث عن الآفات الأخلاقية المهمّة من قبيل الأنانية والعجب ويؤكّد له أنّ خدمة الخلق تمثّل زاداً ومتاعاً للآخرة، ويحذّره من الطريق المليء بالمطّبات والمآزق فى سبيل النجاة لنيل السعادة الأخروية ويتحدّث أيضاً عن أهمية الدعاء وأنّه مفتاح جميع الخيرات والبركات، وأنّ الهدف والغاية من خلق الإنسان نيل الحياة الأبدية والسعادة الدائمة فى الآخرة، إلّاأن يعيش الإنسان أيّام معدودة فى هذه الدنيا ويجعلها هدفاً نهائياً له فى حركة الحياة.

وفى المقطع الحادى والعشرين إلى الثلاثين يذكر الإمام مسألة الموت وكيفية الانتباه من الغفلة ويحذره من السير فى خطّ أهل الدنيا، ويتحدّث كذلك عن سرعة انقضاء العمر وطرق تهذيب النفس ولزوم التوقّى من الآمال البعيدة والطموحات الزائفة، وضمناً يبيّن له سلسلة من المسائل الأخلاقية المهمّة، ثمّ يتحدّث عن كيفية معاشرة المؤمنين ويتحدّث عن نقاط مهمّة فى هذا المجال، ثمّ يتقدّم له بنصائح مهمّة فى مجال اجتناب الحرص والطمع فى تحصيل الرزق، وبعد ذلك يتحدّث الإمام عن بعض المسائل المهمّة المتعلّقة بحفظ حرمة النساء والتعامل الصحيح معهنّ، ثمّ يتحدّث عن المسائل المتعلّقة بإدارة الحياة والمعيشة وتقسيم العمل بين الأفراد، وأخيراً ينهى الإمام عليه السلام هذه الوصية بتفويض أموره إلى اللَّه عزّ وجلّ ويسأله خير الدنيا والآخرة.

وبالالتفات إلى ما تقدّم آنفاً، فإنّ القرّاء الأعزّاء لهذه الوصيّة سيطّلعون على مضامين عالية وتوصيات سامية فيما يتّصل بتربية النفوس وتهذيب القلوب.

والنقطة الأخرى التى ينبغى الالتفات إليها فى هذا المورد، هو أنّ أغلب نسخ نهج‌البلاغة تقرّر أنّ المخاطب لهذه الوصية هو الإمام الحسن المجتبى عليه السلام وهذا ما ورد فى غالبية طرق السند فى هذه الوصية (كما يقول العلّامة التسترى فى شرح

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۴۱۰

هذه الوصية المهمّة، وطرق السند بلغت خمس طرق)، ولكن هنا طريق واحد لرواية هذه الوصية يقرّر فيها أنّ المخاطب لها هو محمّد بن الحنفية، وبعض شرّاح نهج‌البلاغة يؤكّدون على المعنى الثانى، وأنّ المخاطب للوصية ليس هو الإمام الحسن المجتبى عليه السلام ويستدلّون لذلك بأنّ بعض عبارات هذه الوصية لا يتناسب مع كون المخاطب هو الإمام المعصوم، فى حين أننا نعلم أنّ مثل هذه العبارات فى مقام الموعظة والنصيحة من الوالد لابنه هو اسلوب متداول وشائع، والمهمّ أنّ المخاطب لهذه الوصية وإن كان شخصاً واحداً، إلّاأنّ المقصود هو جميع الشيعة والمسلمين فى العالم، بل جميع أبناء آدم، وكأنّ الإمام عليه السلام يتحدّث مع جميع أبناء البشر بوصفه أباً لهم وأنّ المخاطب له، وإن كان الإمام الحسن عليه السلام مباشرة، إلّاأنّ المخاطب الحقيقى جميع أفراد البشر.

وأمّا ما ذكره البعض من أنّ الإمام المعصوم عليه السلام مع توفّر مقام العصمة والإمامة لا يحتاج إلى نصيحة وموعظة، فهو اشتباه كبير لأنّ مقام الإمامة والعصمة الشامخ لا يتنافى إطلاقاً مع التأكيد على المسائل الأخلاقية المهمّة، ولهذا نرى أنّ الإمام علىّ عليه السلام وهو فى فراش الوفاة يعظ أبناءه الإمام الحسن والحسين عليهما السلام ويقدّم لهما توصيات وتعاليم لم يكونا غافلين عنها.

وكذلك ما ذكره البعض من أنّ الإمام الحسن عليه السلام فى زمان صدور هذه الوصية كان قد بلغ من العمر أكثر من ثلاثين سنة وهو لا- يتناسب مع ما ورد فى هذه الوصية من عبارة: «وأمّا قلب الشابّ يتقبّل جميع التعاليم والإرشادات» وهذا خطأ أيضاً لأنّ الإنسان فى سنّ الثلاثين عاماً لايزال شاباً، أضف إلى ذلك أنّ المخاطب لهذه الوصية جميع أفراد البشر بوصفهم أبناء الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام.

وقد ورد فى كتاب الإمامة والسياسة فى قصّة السقيفة أنّ أباعبيدة الجراح عندما أراد إبعاد الإمام علىّ عليه السلام عن تولّى لخلافة قال: «يَابْنَ عَمّ إنّك حَديثُ السِّنّ وَهؤُلاءِ مَشيَخَةُ قَوْمِكَ»[۵۳۱]، ونعلم أنّ الإمام عليه السلام كان عمره فى ذلك الوقت أكثر من ثلاثين عاماً.

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۴۱۱

القسم الأوّل

اشارة

مِنَ الْوَالِدِ الْفَانِ، الْمُقِرِّ لِلزَّمَانِ، الْمُدْبِرِ الْعُمُرِ، الْمُسْتَسْلِمِ لِلدُّنْيَا، السَّاكِنِ مَسَاكِنَ الْمَوْتَى وَالظَّاعِنِ عَنْهَا غَداً؛ إِلَى الْمَوْلُودِ الْمُؤَمِّلِ مَا لَايُدْرِكُ، السَّالِكِ سَبِيلَ مَنْ قَدْ هَلَكَ، غَرَضِ الْأَسْقَامِ، وَرَهِينَةِ الْأَيَّامِ، وَرَمِيَّةِ الْمَصَائِبِ، وَعَبْدِ الدُّنْيَا، وَتَاجِرِ الْغُرُورِ، وَغَرِيمِ الْمَنَايَا، وَأَسِيرِ الْمَوْتِ، وَحَلِيفِ الْهُمُومِ، وَقَرِينِ الْأَحْزَانِ، وَنُصُبِ الْآفَاتِ، وَصَرِيعِ الشَّهَوَاتِ، وَخَلِيفَةِ الْأَمْوَاتِ.

الشرح والتفسير: هذه الوصيّة ممّن وإلى من؟

هذا المقطع من الوصية يبيّن فى الحقيقة عنوان الوصية والمرسل لها، لأنّ المتداول فى كتابة الرسائل أن يكتب فى مستهلّ الرسالة عنوان الشخص المرسل والمرسل إليه، ويقال مِنْ فُلانٍ الى فُلانٍ؛ فالإمام عليه السلام بدلًا من ذكر اسمه واسم ولده الإمام الحسن

المجتبى عليه السلام اكتفى بذكر صفات المرسل والمرسل إليه، ممّا يوفّر الأرضية المساعدة لتقبّل هذه المواعظ والنصائح.

بداية يطرح الإمام عليه السلام ستّ صفات لنفسه، ثمّ يذكر أربعة عشر صفة لولده لغرض تهيئة الأجواء بهذه الصفات، وأن يكون المخاطب على استعداد تامّ لطرح الموضوع.

فى البداية يقول: «مِنَ الْوَالِدِ الْفَانِ، الْمُقِرِّ لِلزَّمَانِ [۵۳۲]، الْمُدْبِرِ الْعُمُرِ، الْمُسْتَسْلِمِ

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۴۱۲

لِلدُّنْيَا[۵۳۳]، السَّاكِنِ مَسَاكِنَ الْمَوْتَى وَالظَّاعِنِ [۵۳۴] عَنْهَا غَداً».

فالإمام عليه السلام عندما ينطلق بذكر هذه الصفات لنفسه يهدف منها تحقيق عدّة أمور:

الأوّل: أن يُفهم ولده بأنّنى عندما أكتب هذه الوصية لك فإنّنى أحمل معى تجارب كثيرة حصلت عليها بمرور الزمان، والآخر: أنّ القائل لهذه النصائح تحدّث بلغة التواضع ولم يتكلّم من موقع الفوقية والاستعلاء، وهذا من شأنه أن يؤثّر إيجاباً فى نفس المخاطب، الثالث: أن يعلم ولده بأنّه عمّا قريب سيكون أباً ولابدّ أن يشعر بمسؤولية الوالد ويدرك هذه الحقيقة، ودرك هذه الحقيقة يجعله مستعدّاً لقبول هذه المواعظ.

والتعبير ب «فانِ (وهى فى الأصل «فانّى» ولكن حذفت الياء لمزيد التجانس مع الجمل اللاحقة) إشارة إلى أنّنى قضيت الشطر الأكبر من عمرى، وأنا الآن فى مرحلة الرحيل من هذه الدنيا، لأنّ الإمام عليه السلام تحدّث بهذا الكلام فى وقت كان قد بلغ من العمر حسب الظاهر ستّين سنة.

وجملة: «الْمُقِرِّ لِلزَّمَانِ إشارة إلى الحوادث والأزمات الصعبة والحوادث المرّة والحلوة التى يواجهها الإنسان فى حركة الحياة والواقع.

وجملة: «الْمُدْبِرِ الْعُمُرِ» تأكيد على أنّنى أسير فى منزلق نهاية العمر، وجملة:

«الْمُسْتَسْلِمِ لِلدُّنْيَا» إشارة إلى غلبة الحوادث والوقائع على إرادة الإنسان.

وجملة «السَّاكِنِ مَسَاكِنَ الْمَوْتَى إشارة إلى أنّ المساكن التى نسكنها هى فى الغالب من بناء وتشييد السابقين، فأولئك بنوا هذا الدور ونحن سكنّا فيها وأحياناً نبنى ويسكنها اللاحقون.

وأخيراً جملة: «وَالظَّاعِنِ عَنْهَا غَداً» إشارة إلى قرب لحظة الرحيل من هذه الدنيا، يعنى أننى عندما أكتب لك هذه الوصية أعلم بجميع هذه الخصوصيات والمفارقات.

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۴۱۳

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام يصف مخاطبه بدون ذكر اسمه فى أربعة عشر صفة ويقول:

«إِلَى الْمَوْلُودِ الْمُؤَمِّلِ مَا لَايُدْرِكُ، السَّالِكِ سَبِيلَ مَنْ قَدْ هَلَكَ، غَرَضِ [۵۳۵] الْأَسْقَام، وَرَهِينَةِ[۵۳۶] الْأَيَّام، وَرَمِيَّةِ[۵۳۷] الْمَصَائِبِ، وَعَبْدِ الدُّنْيَا، وَتَاجِرِ الْغُرُورِ، وَغَرِيمِ الْمَنَايَا، وَأَسِيرِ الْمَوْتِ، وَحَلِيفِ [۵۳۸] الْهُمُومِ، وَقَرِينِ الْأَحْزَانِ، وَنُصُبِ الْآفَاتِ، وَصَرِيعِ الشَّهَوَاتِ، وَخَلِيفَةِ الْأَمْوَاتِ».

وأوّل وصف يصف الإمام عليه السلام ولده، وبيان آخر يصف جميع أفراد البشر هو أنّك فى هذا العالم تتحرّك لتحصيل ما لا يمكن تحصيله، لأنّ الإنسان يريد أن يعيش حياة خالية من جميع المشاكل وحالات القصور والألم، فى حين أنّ طبيعة الدنيا مقترنة بالمشاكل والآلام والمصائب «الْمُؤَمِّلِ مَا لَايُدْرِكُ .

وجملة: «السَّالِكِ سَبِيلَ مَنْ قَدْ هَلَكَ تعنى أنّ جميع أفراد البشر يسيرون فى طريق ينتهى إلى الموت والهلكة، كما يقول القرآن الكريم: «كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ»[۵۳۹] ولا يوجد أىّ استثناء من هذه القاعدة.

وجملة «غَرَضِ الْأَسْقَامِ هى فى الحقيقة توضيح لما سبق، لأنّ الإنسان شاء أم أبى يواجه فى هذا الحياة حالات المرض وأنواع الأسقام فى طفولته وفى شبابه وفى شيخوخته بشكل من الأشكال.

والتعبير ب «وَرَهِينَةِ الْأَيَّام مع الأخذ بالحسبان أنّ «رهينة» تعنى الأسر والاختطاف، فهى إشارة إلى أنّ الإنسان يعيش دوماً فى أسر الأزمات وأنّ مرّ الزمان يأخذ بيده إلى المجهول ويتركه شاء أم أبى فى نهاية العمر ويسلّمه إلى القبر.

نفحات الولاية، ج٩، ص: ۴۱۴

وعبارة: «وَرَمِيَّةِ الْمَصَائِبِ مع الأخذ بالحسبان أنّ كلمة «رميّة» تعنى الشىء الذى يوضع غرضاً وهدفاً لرمى السهام، فهذه العبارة تشير إلى المصائب والبلايا التى تصيب الإنسان فى ماله ونفسه وأقربائه وأعزّته حيث تهجم عليه من كلّ جهة وتجعله غرضاً لها، فلا نكاد نرى أحداً لم يواجه طيلة عمره المصائب المختلفة، كما قال الإمام عليه السلام فى مورد آخر: «دارٌ بِالْبَلاءِ مَحْفُوفَةٌ وَبِالْغَدْرِ مَعْرُوفَةٌ»[۵۴۰].

ومن عجائب الدنيا أنّ الإنسان غالباً لا يرى سهام المصائب وهى تتّجه نحوه ولا يرى مصدرها وكيف ابتلى بها، ولكنّه فجأة يفتح عينه ليرى حلول المصيبة به، وكما قال الشاعر:

وَلَوْ انَّنى أُرْمى بِنَبْلٍ، رَأَيْتُهاوَلكِنَّنى أُرْمى بِغَيْرِ سِهامٍ ۵۴۱]

وجملة: «وَعَبْدِ الدُّنْيا وَتَاجِرِ الْغُرُورِ» إشارة إلى أنّ الإنسان حاله حال العبد يعيش فى أسر الأهواء والشهوات ويرفل فى قيود الآمال والمطامع الدنيوية، وهذه الأمور تأخذ به من كلّ جانب، أمّا كونه تاجر الغرور، من جهة أنّه يتصوّر أنّ أمواله ورأس ماله الذى أتعب نفسه فى جمعه فى هذه الدنيا حقيقة موضوعية إلّاأنّه ليس سوى سراب بقيعة وتشكيلة من الخداع الغرور، فسوف يفقد هذه الأموال والثروات وقد يقبع الآخرون فى انتظارها.

وعبارة: «غَرِيمِ الْمَنَايَا» تشبيه للإنسان بالشخص المدين الذى يطلبه الموت، فالموت يسلب منه روحه ويضع جسمه فى لحد القبر، وكلمة: «أَسِيرِ الْمَوْتِ تبيّن هذا المضمون بشكل آخر، فأحياناً يقول: غريم الموت، وأخرى يقول: أسير الموت.

وعبارة «حَلِيفِ الْهُمُومِ» و «قَرِينِ الْأَحْزَانِ إشارة إلى أنّ الإنسان يعيش طيلة حياته مع أنواع الهموم والأحزان، همّ المعيشة والرزق، همّ المرض، همّ فقدان الفرص، همّ خيانة بعض الأقربين والرفقاء، همّ مؤامرات الأعداء، فهل يمكن العثور

نفحات الولاية، ج٩، ص: ۴۱۵

على شخص لم يقع طيلة عمره أسيراً لمثل هذه الهموم والغموم؟

ومن المناسب هنا الإشارة إلى قصّة الإسكندر المعروفة، فعندما حان أجله وكانت امّه لا زالت على قيد الحياة، ويعلم أنّها سوف تحزن عليه بشدّة، فكّر بأمر لتخفيف حزنها وألمها، فقال لها: يا امّاه إبكى علىَّ وأقيمى المأتم ولكن لاتبكى لوحدك، بل ادعى معكِ جماعة يشاركونك فى هذا الأمر وليبكوا علىَّ لا على مصائبهمومشاكلهم.

فعملت هذه الام بوصيته بعد موته وتوجّهت للجيران والأقرباء والأصدقاء وكلّما سألت أحداً منهم: هل أنّك خالٍ من الغمّ والحزن؟ فإنّه يذكر لها بعض همومه وأحزانه، فيقول أحدهم: ماتت زوجتى، والآخر يقول: مات ولدى، والثالث يقول:

إنّى خسرت فى تجارتى، الرابع يقول: إننى أعيش الأسقام والآلام، ففهمت الامّ أنّه لا يوجد شخص لا يعيش الحزن ولا تواجه الهموم، وحسب المثل المعروف: «الْبَلِيَّةُ إذا عَمَّتْ طابَتْ» فخفّت عليها حينئذٍ مصيبة فقد ولدها.

وعبارة: «نُصُبِ الْآفَاتِ وَصَرِيعِ الشَّهَوَاتِ مع الأخذ بالحسبان أنّ كلمة «نُصُب تعنى الأغراض التى ينصبها الرماة لتسديد الرمية باتجاها، وكلمة «صَرِيع تعنى الشخص المغلوب على أمره والذى سقط على الأرض، فالعبارة تشير إلى الآفات والبلايا المختلفة التى تصيب الإنسان من كلّ جهة وتجعله هدفاً لها، والشهوات التى تصرعه فى حياته ولا يستطيع التصدّى لها ومقاومتها.

وجملة: «خَلِيفَةِ الْأَمْوَاتِ إشارة إلى أنّك أيّها الإنسان لا- تغفل عن أنّك خليفة الأموات وسوف تلتحق بهم فى المستقبل القريب وسيحلّ آخرون محلّك، وهكذا تستمرّ هذه المعادلة فى حياة البشرية.

واللافت أنّ الإمام عليه السلام قد وصف نفسه بستّ صفات، ولكنّه وصف ولده بأربعة عشر صفة ممّا يواجهه كلّ إنسان فى حياته الدنيا من مشاكل وصعوبات، يعنى فى مقابل كلّ صفة وصف فيها نفسه، فقد وصف ولده بصفتين، وفى مقابل كلّ مشكلة واجهها فى حياته، فإنّ مخاطبه سيواجه مشكلتين.

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۴۱۷

القسم الثانى

اشارة

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّی فِیمَا تَبَیَّنْتُ مِنْ إِدْبَارِ الدُّنْیَا عَنِّی، وَجُمُوحِ الدَّهْرِ عَلَیَّ، وَإِقْبَالِ الْآخِرَةِ إِلَیَّ، مَا یَزَعُنِی عَنْ ذِکْرِ مَنْ سِوَایَ، وَالْاهْتِمَامِ بِمَا وَرَائِی، غَیْرَ أَنِّی حَیْثُ تَفَرَّدَ بِی دُونَ هُمُومِ النَّاسِ هَمُّ نَفْسِی، فَصَدَفَنِی رَأْیِی، وَصَرَفَنِی عَنْ هَوَایَ، وَصَرَّحَ لِی مَحْضُ أَمْرِی، فَأَفْضَی بِی إِلَی جِدٍّ لَایَکُونُ فِیهِ لَعِبٌ، وَصِدْقٍ لَایَشُوبُهُ کَذِبٌ. وَوَجَدْتُکَ بَعْضِی، بَلْ وَجَدْتُکَ کُلِّی، حَتَّی کَأَنَّ شَیْئاً لَوْ أَصَابَکَ أَصَابَنِی، وَکَأَنَّ الْمَوْتَ لَوْ أَتَاکَ أَتَانِی، فَعَنَانِی مِنْ أَمْرِکَ مَا یَعْنِینِی مِنْ أَمْرِ نَفْسِی، فَکَتَبْتُ إِلَیْکَ کِتَابِی مُسْتَظْهِراً بِهِ إِنْ أَنَا بَقِیتُ لَکَ أَوْ فَنِیتُ.

الشرح والتفسير: علّة كتابة هذه الوصية

فى هذه الفقرة من الوصية يتحدّث الإمام عليه السلام فيها بادئاً من نفسه ويذكر الباعث له لكتابة مثل هذه الوصية الأخلاقية والإنسانية، ويقول ما خلاصته: إنّى نظرت إلى نفسى فرأيت كوكب عمرى متّجهاً نحو الافول، وينبغى أن أهتمّ بنفسى وأستعدّ لسفر آخرتى، ولكن بما أنّك تمثّل جزءاً من وجودى بل جميع وجودى، فرأيت من الضرورى أن اقدّم لك هذه التحذيرات والنصائح، ويقول الإمام عليه السلام:

«أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ فِیمَا تَبَیَّنْتُ مِنْ إِدْبَارِ الدُّنْیَا عَنِّی، وَجُمُوحِ ۵۴۲] الدَّهْرِ عَلَیَّ وَإِقْبَالِ

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۴۱۸

الْآخِرَةِ إِلَیَّ، مَا یَزَعُنِی ۵۴۳] عَنْ ذِکْرِ مَنْ سِوَایَ، وَالاهْتِمَامِ بِمَا وَرَائِی ۵۴۴]».

وفى هذا السياق يستنتج الإمام عليه السلام هذه النتيجة، أنّ هذا الاهتمام دعانى للتفكير فى نفسى والانصراف عن سلوك طريق الأهواء النفسية وبيّن لى حقيقة مصيرى وأوصلنى هذا الأمر إلى مرحلة لا يشوبها اللعب والهزل، بل كلّها صدق وحقّ: «غَیْرَ أَنِّی حَیْثُ تَفَرَّدَ بِی دُونَ هُمُومِ النَّاسِ هَمُّ نَفْسِی، فَصَدَفَنِی ۵۴۵] رَأْیِی وَصَرَفَنِی عَنْ هَوَایَ، وَصَرَّحَ لِی مَحْضُ أَمْرِی، فَأَفْضَی ۵۴۶] بِی إِلَی جِدٍّ لَایَکُونُ فِیهِ لَعِبٌ، وَصِدْقٍ لَا یَشُوبُهُ کَذِبٌ».

وهذا إشارة إلى أنّ الإعراض عن الدنيا يوجب للإنسان اليقظة ويبعث فيه الانتباه لأنّه يرى نفسه فى مرحلة الانتقال من هذه الدنيا، وهذا الأمر يقوده لاجتناب السقوط فى فخ الأهواء النفسانية، وأن يفكّر بشكل جادّ بمصيره وعاقبته، ويجتنب أشكال اللهو واللعب ويحمل نفسه على الصدق وطلب الحقيقة بعيداً عن كلّ أشكال التعصّب والتساهل، ويهتمّ بمستقبله وحياته بعد الموت فيما يجمع له من زادٍ لسفر الآخرة.

وبهذه المقدّمة يهدف الإمام عليه السلام ظاهراً لتحقيق أمرين: الأوّل: أن يؤمن مخاطبه بشكل تامّ أنّ ما قاله آنفاً ليس بالهزل، بل هو جادّ تماماً فى هذا الكلام، ويمثّل نتيجة مطالعات عميقة وتأمّلات فى وضعه الحالى والمستقبلى، والآخر أنّه يحذّر ولده من أنّه سيواجه مثل هذه الأمور فى المستقبل، ولا يبقى فى مرحلة الشباب

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۴۱۹

دائماً (رغم أنّ الشباب ليس عنصراً يثير الاطمئنان والاعتماد فى الحياة) وسوف لا- تمضى مدّة إلّاوتقترب قافلة عمرك وحياتك للوصول إلى المنزل الآخير، لئلّا يعيش ولده حالات الغرور بالشباب وتقوده عناصر الحيوية نحو الطغيان وينسى مستقبله ويغفل عن عاقبة أمره.

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام يلفت النظر إلى هذه النقطة، وأنّه لماذا فكّر بتقديم النصح الكثير لولده فى حين أنّ الإمام عليه السلام يعيش حالة الاهتمام بنفسه، ويقول: «وَوَجَدْتُکَ بَعْضِی، بَلْ وَجَدْتُکَ کُلِّی، حَتَّی کَأَنَّ شَیْئاً لَوْ أَصَابَکَ أَصَابَنِی، وَکَأَنَّ الْمَوْتَ لَوْ أَتَاکَ أَتَانِی، فَعَنَانِی مِنْ أَمْرِکَ مَا یَعْنِینِی مِنْ أَمْرِ نَفْسِی، فَکَتَبْتُ إِلَیْکَ کِتَابِی مُسْتَظْهِراً[۵۴۷] بِهِ إِنْ أَنَا بَقِیتُ لَکَ أَوْ فَنِیتُ».

وعندما يعبّر الإمام عليه السلام بأنّك بعض من وجودى فالمعنى واضح، لأنّ الإبن يولد من الأب والامّ، وتتشكّل أجزاء بدنه من بدن والديه، ولكن عندما يقول: ووجدتك جميع وجودى، يمكن أن يكون إشارة إلى أنّك الإمام بعدى وخليفتى فى هذا المقام، وعلى هذا الأساس فإنّ جميع وجودى يتجلّى فيك، وتكون مرآة يتجلّى فيها كلّ وجودى.

ويحتمل أيضاً أنّ هذه الجملة إشارة إلى مجموعة الصفات الجسمانية والروحانية التى تنتقل من الآباء للأبناء بحكم قانون الوراثة، وأنّ الأبناء سيتحلّون بالصفات الجسمانية والروحانية للآباء.

وهنا مثل عربى معروف يمثّل بيت شعر يقول فيه الشاعر:

إنّما أوْلادُنا بَيْنَناأكْبادُنا تَمْشى عَلَى الْأَرْضِ ۵۴۸]

وجاء فى شرح نهج‌البلاغة للمرحوم التسترى أنّ رجلًا أعرابياً مات ابنه فكفّنه ودفنه، ثمّ قال:

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۴۲۰

دَفَنْتُ بِنَفْسى بَعْضَ نَفْسى فَأَصْحَبَتْوَلِلنَّفْسِ مِنْها دافِنٌ وَدَفينٌ ۵۴۹]

وجملة: «حَتَّی کَأَنَّ شَیْئاً ...» وهى توضيح وبمثابة الدليل على كيفية أن يكون ابنه العزيز بعض وجوده أو كلّ وجوده فيقول: ومن هنا أجد أنّ كلّ مصيبة وكلّ ألم يصيبك فكأنّما يصيبنى حتّى لو أنّ الموت جاءك فكأنّه جاءنى، لأنّنى أرى كلّ شىء فى نفسى فيك، فأنت جميع كيانى ووجودى، وعلى أيّة حال فهذا الاهتمام من الإمام علىّ بأمر ولده يشكّل الباعث الأصلى لكتابة هذه الوصية المطوّلة التى تعتبر تشكيلة من أفضل المواعظ والإرشادات فى مجال التوحيد والمعاد، آداب الحياة، آداب تهذيب النفس، ورسم الطريق القويم والسلوك الصحيح فى الحياة مع المجتمع، وبما أنّ الإمام عليه السلام يمثّل أباً لجميع أفراد الامّة كما هو مقتضى الحديث النبوىّ المعروف: «أَنَا وَعَلِیٌّ أَبَوَا هَذِهِ الْأُمَّةِ»[۵۵۰] فإنّ المخاطب بهذه الوصية فى الحقيقة جميع أفراد الامّة.

وجملة: «إِنْ أَنَا بَقِیتُ لَکَ أَوْ فَنِیتُ إشارة خلود مضمون هذه الرسالة ودوامها، والواقع هو كذلك، فبالرغم من مضىّ أكثر من ألف عام عليها، فإنّها لا زالت طريّة ويانعة وزاخرة بالحيوية والحركة، وهى المصداق البارز لقول تعالى: «کَشَجَرَةٍ طَیِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِی السَّمَاءِ* تُؤْتِی أُکُلَهَا کُلَّ حِینٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا»[۵۵۱].

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۴۲۱

القسم الثالث

اشارة

فَإِنِّی أُوصِیکَ بِتَقْوَی اللَّهِ- أَیْ بُنَیَّ- وَلُزُومِ أَمْرِهِ، وَعِمَارَهِْ قَلْبِکَ بِذِکْرِهِ، وَالْاعْتِصَامِ بِحَبْلِهِ. وَأَیُّ سَبَبٍ أَوْثَقُ مِنْ سَبَبٍ بَیْنَکَ وَبَیْنَ اللَّهِ إِنْ أَنْتَ أَخَذْتَ بِهِ.

الشرح والتفسیر: أوثق وسیلهٔ للنجاهٔ

یستهلّ الإمام علیه السلام هذا المقطع من الرسالهٔ بنصائح بنّاءهٔ ومفعمهٔ بالإیمان، ویقدّم فی أربع جمل قصیرهٔ أربع توصیات لولده، وتمثّل هذه التوصیات عصارهٔ جمیع الفضائل ویقول: «فَإِنِّی أُوصِیکَ بِتَقْوَی اللَّهِ- أَیْ بُنَیَّ- وَلُزُومِ أَمْرِهِ، وَعِمَارَهِْ قَلْبِکَ بِذِکْرِهِ، وَالاعْتِصَامِ بِحَبْلِهِ».

إنّ التوصیهٔ بالتقوی هی التوصیهٔ التی جعلها جمیع الأنبیاء والأوصیاء فی سلّم أولویات برامجهم فی حرکهٔ الحیاهٔ بعد الإیمان باللَّه، التقوی التی تمثّل الزاد والمتاع فی طریق الآخرهٔ، ومعیار الفضیلهٔ والامتیاز لشخص علی سائر الناس، ومفتاح الجنّهٔ، والتقوی تعنی الخشیهٔ الباطنیهٔ والقلبیهٔ من اللَّه تعالی واجتناب کلّ أشکال الذنوب وارتکاب الآثام، والشعور والإحساس بالمسؤولیهٔ أمام اللَّه، ومن شأنها أنّ تخلق فی نفس الإنسان مانعاً وسدّاً یحول بینه وبین الذنوب، والمرتبهٔ الأدنی منها هی العدالهٔ، والمرتبهٔ القصوی هی العصمهٔ.

نفحات الولایهٔ ؛ ج ۹ ؛ ص ۴۲۱

ی التوصیهٔ الثانیهٔ یشیر الإمام علیه السلام إلی الالتزام الواعی بالأوامر الإلهیّهٔ، وهذا هو الأمر الذی أکّد علیه القرآن الکریم مراراً بعنوان «أَطِیعُوا اللَّهَ» والذی یعتبر من ثمار شجرهٔ التقوی.

نفحات الولایهٔ، ج۹، ص: ۴۲۲

وعبارهٔ: «عِمَارَهِْ قَلْبِکَ بِذِکْرِهِ إشارهٔ إلی أهمیّهٔ ذکر اللَّه، لأنّ الغفلهٔ عن ذکر اللَّه تعنی خراب القلب وخواء الروح وجفاء العواطف ویصیر الإنسان بالتالی میداناً وملاذاً لجیش الشیطان، یقول القرآن الکریم: «أَلَا بِذِکْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ»[۵۵۲] وهذا الإحیاء للقلوب لا یتسنّی بالذکر اللفظی فقط، رغم أنّ الذکر اللفظی مهمّ جدّاً، بل الذکر العملی کما ورد ذلک فی الروایات الشریفهٔ یقول الإمام الباقر علیه السلام: «ثَلَاثٌ مِنْ أَشَدِّ ما عَمِلَ العِبادُ: إنصافُ المَرءِ مِن نَفسِهِ، وَمُواساهُٔ المَرءِ مِن أَخِیه، وذِکْرُ اللَّهِ عَلَی کُلِّ حَالٍ ثمّ ذکر المقصود من ذلک وقال: «وَهُوَ أن یَذْکُرَ اللَّهَ عَزَجَلَّ عِنْدَ الْمَعْصِیَهِْ یَهُمُّ بِهَا فَیَحُولُ ذِکْرُ اللَّهِ بَیْنَهُ وَبَیْنَ تِلْکَ الْمَعْصِیَهِْ وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَجَلَّ: «إِنَّ الَّذِینَ اتَّقَوْا إِذا مَسَّهُمْ طائِفٌ مِنَ الشَّیْطانِ تَذَکَّرُوا فَإِذا هُمْ مُّبْصِرُونَ»[۵۵۳].

وعبارهٔ: «الاعْتِصَامِ بِحَبْلِهِ إشارهٔ إلی التمسّک بتعالیم القرآن الکریم والذی یتضمّن مناهج لتحقیق السعادهٔ فی واقع الحیاهٔ، ویشیر القرآن إلی ذلک أیضاً بقوله:

«وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِیعاً وَلا تَفَرَّقُوا»[۵۵۴].

ونعلم أنّ المفسّرین ذکروا لکلمهٔ حبل اللَّه فی هذه الآیهٔ الشریفهٔ معانٍ کثیرهٔ، فذهب بعض المفسرین إلی أنّ المراد منها القرآن الکریم، وذهب آخرون إلی أنّها تعنی الإسلام، ویعتقد بعض أنّ المقصود منها أهل بیت النبوّهٔ، ولکن لا یوجد اختلاف وتباین بین هذه التفاسیر، لأنّ «حبل اللَّه» تعنی الارتباط الوثیق باللَّه تعالی وتشمل جمیع هذه المعانی المذکورهٔ.

ولهذا یقول الإمام علیه السلام فی مواصلًا کلامه: «وَأَیُّ سَبَبٍ أَوْثَقُ مِنْ سَبَبٍ بَیْنَکَ وَبَیْنَ اللَّهِ إِنْ أَنْتَ أَخَذْتَ بِهِ».

والتعبیر بالحبل إشارهٔ إلی أنّ الإنسان بدون التربیهٔ الإلهیّهٔ یهبط إلی الحضیض

نفحات الولایهٔ، ج۹، ص: ۴۲۳

ویسقط فی بئر الطبیعهٔ، ولذلک لابدّ له من حبل متین یتمسّک به ویرقی بواسطته لیخرج من هذه البئر، وهذا الحبل هو القرآن والإسلام والعترهٔ.

وبالنسبة للتقوی وأهمیتها وآثارها فی حیاة الإنسان وردت بحوث فی ذیل الخطبة ۱۵۷، الجزء ۶ ص ۱۷۲ فصاعداً، والخطبة ۱۶۱، ص ۲۷۴ فما بعد.

***

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۴۲۵

القسم الرابع

اشارة

أَحْیِ قَلْبَکَ بِالْمَوْعِظَهِ، وَأَمِتْهُ بِالزَّهَادَهِ، وَقَوِّه بِالْیَقِینِ، وَنَوِّرْهُ بِالْحِکْمَهِ، وذَلِّلْهُ بِذِکْرِ الْمَوْتِ، وَقَرِّرْهُ بِالْفَنَاءِ، وَبَصِّرْهُ فَجَائِعَ الدُّنْیا، وَحَذِّرْهُ صَوْلَهَ الدَّهْرِ وَفُحْشَ تَقَلُّبِ اللَّیَالِی وَالْأَیَّام، وَاعْرِضْ عَلَیْهِ أَخْبَارَ الْمَاضِینَ، وذَکِّرْهُ بِمَا أَصَابَ مَنْ کَانَ قَبْلَکَ مِنَ الْأَوَّلِینَ، وَسِرْ فِی دِیَارِهِمْ وآثَارِهِمْ، فَانْظُرْ فِیمَا فَعَلُوا وَعَمَّا انْتَقَلُوا، وَأَیْنَ حَلُّوا وَنَزَلُوا! فَإِنَّکَ تَجِدُهُمْ قَدِ انْتَقَلُوا عَنِ الْأَحِبَّهِ، وَحَلُّوا دِیَارَ الْغُرْبَهِ، وَکَأَنَّکَ عَنْ قَلِیلٍ قَدْ صِرْتَ کَأَحَدِهِمْ.

الشرح والتفسیر: أحی قلبک بالموعظة

ینطلق الإمام علیه السلام فی هذا المقطع من الوصیة لیستعرض اثنتی عشرة موعظة مهمّة تتسبّب فی تکامل روح الإنسان وأخلاقه، وتجعله یعیش الحیاة المعنویة والمثل الإنسانیة.

بدایة یقول: «أَحْیِ قَلْبَکَ بِالْمَوْعِظَهِ، وَأَمِتْهُ بِالزَّهَادَهِ، وَقَوِّهِ بِالْیَقِینِ، وَنَوِّرْهُ بِالْحِکْمَهِ، وذَلِّلْهُ بِذِکْرِ الْمَوْتِ، وَقَرِّرْهُ ۵۵۵] بِالْفَنَاءِ».

ویبتدیء الإمام علیه السلام فی هذه التوصیات الستّ بإحیاء القلب، والقلب فی هذا الموارد الروح والعقل والإدراک، فما لم یعش القلب هذه الحیاة المعنویة فلن یستطیع

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۴۲۶

الإنسان أن یتقدّم خطوة واحدة باتجاه التکامل والسمّو والتعالی، ویتوقف عن المسیر عند هذا الحدّ، فما یوجب الحیاة للقلب وینفخ فیه الروح، هو المواعظ والنصائح التی وردت فی القرآن الکریم والأحادیث النبویة الشریفة وروایات الأئمّة المعصومین علیهم السلام وما یستوحیه الإنسان من حوادث الدهر وتاریخ الأقوام البشریة.

وحقیقة الموعظة تتمثّل فی التوصیة بالخیرات والمکرمات والتوقّی من السیئات والقبائح، فإذا انطلقت هذه المواعظ من القلب مقترنة بالأدلة والشواهد، وبنیّة إسداء الخیر للآخرین والشفقة علیهم، فإنّها تسکن فی القلب وتؤثّر فی إحیاء الروح والعواطف.

وجملة: «أَمِتْهُ بِالزَّهَادَهِ» المراد القلب الذی یعیش أسیر الأهواء والشهوات، فمثل هذا القلب یجب أن یموت بآلیة الزهد ویکسب له حیاة جدیدة بالموعظة، وهذا التعبیر بلیغ وجذّاب جدّاً حیث یأمر الإمام علیه السلام أوّلًا بإحیاء القلب ثمّ یأمر بإماتته، فالأمر الأوّل ناظر للأبعاد الإیجابیة فی العقل والروح، والأمر الثانی ناظر للأبعاد السلبیة وأن یکون العقل أسیراً فی براثن الشهوات، وفی الواقع أنّ الإمام علیه السلام یشبّه قلب الإنسان وروحه بالبستان الذی یحتوی علی أشجار مثمرة وأغصان زاهرة وأزهار مختلفة الألوان، وفی ذات الوقت هناک أعشاب وأشواک ضارّة کثیرة بین هذه الأشجار، فإحیاء هذا البستان یعتمد علی تنمیة تلک الأشجار والأزهار وقلع هذه الأشواک والأعشاب الضارّة.

وبعد أن یحیی القلب بالموعظة وتتمّ إزالة العوائق والموانع بالزهد، تصل النوبة لتقویة القلب، فیقول الإمام علیه السلام: «وَقَوِّهِ بِالْیَقِینِ ،

اليقين الـذى يحصل عليه الإنسان من خلال النظر فى آفاق الخلق وأسـرار الطبيعة، أو من خلال العبادة والعبودية للّه تعالى، وبعد تقوية القلب باليقين يشتغل المؤمن بتنويره، وهو قول الإمام عليه السلام:

«وَنَوِّرْهُ بِالْحِكْمَـةِ» فالحكمـة والمعرفـة والعلم من شأنهـا أن تنير طريق السالـك إلى اللّه وتمنحه المعرفـة بالمطبّات والعوائق التى تواجه المؤمن فى طريق المعنوية.

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۴۲۷

وبما أنّ نفس الإنسان ربّما تتمرّد عليه وتسـلك سبيل الطغيان والعصـيان، فالإمام عليه السـلام يرشـدنا لكيفيـة كبح جماح هذه النفس، ويقول فى الجملـة الخامسـة والسادسـة: «وَذَلِّلْهُ بِذِكْرِ الْمَوْتِ وَقَرِّرْهُ بِالْفَنَاءِ»، لأنّ الموت والإقرار بالفناء يعملان على تذليل هذا الجموح ويتعامل الإنسان مع الواقع والحياة من موقع الإذعان والتسـليم، وقـد رأينا الكثير من الناس عنـدما يفقـدون عزيزاً لهم فى حادثـة فجائية ويرون مشاركـة الناس من الأقرباء والمعارف فى التشـييع ويحضـرون فى مجالس العزاء والمأتم، فإنّ آثار التـذلّل والتسـليم باديـة على وجوه الجميع، وربّمـا يكون لهـذه الحالـة تـأثير مؤقّت، ولكن على أيّـة حال تشـير إلى أنّ ذكر الموت والإقرار بالفناء إذا اسـتمر لمـدّة طويلة فذلك من شأنه كبح جماح النفس المتمرّدة والسيطرة على نوازعها وشهواتها.

وبعـد أن طرح الإمـام عليه السـلام هـذه التوصيات فى الجمل والعبارات السابقـة، يوصـى ولـده بأن يتمعّن ويتـدبّر فى حوادث الـدهر والزمـان، ويرى المتغيّرات والتقلّبـات التى تطرأ بالليل والنهار: «وَبَصِّرْهُ فَجَائِعَ الـدُّنْيا، وَحَـذِّرْهُ صَوْلَـةَ الـدَّهْرِ وَفُحْشَ ۵۵۶] تَقَلُّبِ اللَّيَالِى وَالْأَيّام».

أحياناً تسدل الغفلة سـتائرها على قلب الإنسان فيغرق فى دوّامة الأهواء والشـهوات بحيث لا يدرك الحقائق المتعلّقة بالحياة والسـعادة، ولا يتحرّك فى طريق العقل والسـلامة، فمن أجل إزاحة هذه السـتائر والحجب وإضاءة زوايا القلب وتنوير العقل، فلا شـىء أفضل من التـدبّر فى الحوادث المرّة والبلايا المؤلمـة للدنيا وكثرة التقلبات الفجائية فى الحياة وبالأخصّ ما يراه الإنسان فى حياة أصـحاب القدرة والسلطة فى العالم، كلّ ذلك من شأنه أن يفتح نوافذ القلب ويعيد إليه بصيرته.

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۴۲۸

وعبارة: «فَجَائِعَ الـدُّنْيا» إشارة إلى فجائع الناس فى الدنيا، والتى تسـتتبع متغيّرات وتقلّبات كثيرة، أو الإشارة إلى الحوادث المرّة والأليمة التى يفرضها الواقع الصعب على الإنسان فى حركة الحياة.

وعبارة: «صَوْلَـةَ الـدَّهْرِ» مع الالتفات إلى أنّ «صَوْلَة» بمعنى الهجوم الكاسح والحملة الحاسـمة، سواء كانت هذه الحملة من قِبل حيوان مفترس أو إنسـان قوىّ وغـاشم، فالعبـارة تشـير إلى الآفـات والبلايـا والأمراض وأشـكال الإخفاق التى يواجهها الإنسان فى واقع الحياة والتى تهجم عليه كالحيوان المفترس فى حين أنّه لا يملك وسيلة للدفاع عن نفسه وغير قادر على التصدّى لها ومقاومتها.

وجملـة: «فُحْشَ تَقَلُّبِ اللَّيَالِى وَالْأَيَّام ، مع الإلتفـات إلى أنّ «فحش» تعنى كلّ عمل قبيـح وغير مقبول، فهى تشـير إلى أنّ مرور الزمان وتقلّب الليل والنهار من شأنه أن يثير تقلّبات مزعجة وتغيّرات مؤسـفة فى حياة الفرد والمجتمع البشـرىّ وتجعل من حياة الإنسان مظلمة ومشوّشـة، فلو تمعّن الإنسان فى هـذه الأمور وتـدبّر فى هـذه الحوادث والتقلّبات، فذلك من شأنه أن يمنحه مزيداً من البصـيرة بحقائق هذا العالم، ويدفعه للحركة فى الطريق الصحيح.

ثمّ إنّ الإمـام عليه السـلام يتعرّض لشـرح هـذه الحقيقـة ويقول: «وَاعْرِضْ عَلَيْهِ أَخْبَـارَ الْمَاضِـينَ، وَذَكِّرْهُ بِمَـا أَصَابَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ مِنَ الْأَوَّلِينَ، وَسِرْ فِى دِيَارِهِمْ وَآثَارِهِمْ، فَانْظُرْ فِيمَا فَعَلُوا وعَمَّا انْتَقَلُوا وَأَيْنَ حَلُّوا[۵۵۷] وَنَزَلُوا».

وهذا المضمون هو ما ورد فى القرآن الكريم فى أكثر من آية، حيث قال تعالى:

«قُلْ سِيرُوا فِى الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ»[۵۵۸].

ويقول أيضاً: «أَفَلَمْ يَسيرُوا فِى الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِها أَوْ آذانٌ

نفحات الولايهٔ، ج۹، ص: ۴۲۹
يَسْمَعُونَ بِها فَإِنَّها لا تَعْمَى الْأَبْصارُ وَلكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ»[۵۵۹].

المهمّ، أنّ المرء يشاهـد فى زوايا هـذا العالم وفى الكثير من المناطق والمـدن والأرياف، آثار القـدماء من سـكنهٔ هذه المعمورهٔ، الآثار القديمـهٔ والأطلال الباليـهٔ التى عفى عليها الزمن، ولكنّها فى ذات كونها صامدهٔ تنطق بألف لسان وتتحدّث معنا من موقع الاعتبار وتبيّن لنا حقيقـهٔ هـذه الحياهٔ الـدنيا، والكثير من الناس عنـدما يشاهـدون هـذه الآثار والأطلال يفتخرون بها على اعتبار أنّها آثار تاريخيهٔ تدلّ على وجود تمـدّن وحضارهٔ لـدى أسـلافنا وأجدادنا، فى حين أنّ المرء ينبغى أن يسـتوحى منها دروس العبرهٔ ويسترشد بتقلّبات الزمان بما ينفعه فى حياته ويكشف له الطريق.

ويتحـدّث الإمام عليه السـلام بعـد ذلك ويبيّن توضيحاً أكثر لهـذه الحقيقـهٔ: «فَإِنَّکَ تَجِدُهُمْ قَدِ انْتَقَلُوا عَنِ الْأَحِبَّهِٔ، وَحَلُّوا دِيَارَ الْغُرْبَهِٔ، وَكَأَنَّکَ عَنْ قَلِيلٍ قَدْ صِرْتَ كَأَحَدِهِمْ».

أجل، فلو شـككنا فى كل شـىء فإنّنا لا نشكّ فى هذه الحقيقهٔ الحاسـمهٔ، وهى أنّنا بدون اسـتثناء سائرون على خطى القدماء وسنلاقى نفس المصير، فى ذلك اليوم الذى نودّع فيه الزوجهٔ والأبناء الأصدقاء والمقامات وجميع وسائل الحياهٔ ونتركها لغيرنا ونرحل.

تأمّلان

۱. الحياهٔ وإعمار القلب

يشـير الإمام عليه السـلام فى مسـتهلّ هـذه الفقرهٔ من الوصيـهٔ إلى إحياء القلب بواسـطهٔ الموعظـهٔ، وفى الفقرهٔ السابقـهٔ أشار إلى عمران القلب، ومعلوم أنّ المقصود من القلب فى هـذه العبارات وأمثالها ليس ذلك العضو الخاص من البـدن والذى يقع فى الصدر، ووظيفته ضخّ الدم إلى جميع أعضاء البدن؛ بل المراد منه روح الإنسان وعقله كما ورد ذلك أيضاً فى المصادر اللغويهٔ.

نفحات الولايهٔ، ج۹، ص: ۴۳۰

والروح الإنسانيـهٔ هى التى يجب إعمارهـا وإصـلاح الخلـل فيهـا من خلال سـلوک سبيل التقوى والإصـغاء إلى المواعظ، لأننا نعلم أنّ الإنسـان يملـک ثلاث نفوس، وأحيانـاً أربع نفوس، النفس النباتيـهٔ والتى تظهر آثارهـا فى نموّ الجسم والتغذيـهٔ وتوليـد النسل، النفس الحيوانيهٔ، التى تتولى، مضافاً لما سـبق، الإحساس والحركهٔ، فالأظافر وشـعر الإنسان تملک روحاً نباتيهٔ فقط، ولهذا السـبب لا يشـعر بها الإنسـان عنـدما تقطع فى عمليـهٔ تقليم الأظـافر وقصّ الشـعر، ولكن اللحم والعضـلات- مضافـاً إلى أنّهـا تملک روحاً نباتيـهٔ، فلها روح حيوانيـهٔ أيضاً، فأدنى ضـرر أو أذى يلحق بالإنسان تحسّ به هـذه العضـلات وتتألم، أمّا النفس الإنسانيـهٔ، فإنّ أثرها البارز هو الإدراک والشـعور والخلاقيّهٔ والتفسـير والتحليل للمسائل المختلفـهٔ، وهى حقيقـهٔ يملكها الإنسان مضافاً للنفس النباتيـهٔ والحيوانيهٔ، وطبعاً هناک بعض الأشـخاص الذين يملكون نفساً رابعهٔ أيضاً وهى التى يطلق عليها بالنفس القدسيهٔ، وهذه تدرک الحقائق المجرّدهٔ التى يعجز عن إدراكهـا الأفراد العاديون (أحياناً تطلق روح القـدس على جبرئيل، وأحياناً أخرى على ملک أعظم منه) وقـد ورد التعبير عنها فى بعض الروايات (روح الإيمان) ولعلّ ذلک إشارهٔ إلى هذه المرتبهٔ العاليهٔ للنفس الإنسانيهٔ.

وجـاء فى حـديث شـريف عـن النـبىّ الأـكرم صـلى الله عليـه و آله أنّه قـال: «إذا زَنَى الرَّجُـلُ فـارَقَهُ رُوحُ الإيمـانِ»[۵۶۰]، إلّاأن يتوب ويتحرّک على مستوى جبران الخلل.

وجاء فى بعض الروايات أنّ روح القدس أعلى مرتبهٔ من روح الإيمان وقد جاءت الأرواح الخمسهٔ فيها[۵۶۱].

الروح الإنسانيـهٔ أحياناً تكون بدرجـهٔ من القوّهٔ والنفوذ بحيث تنير كافّهٔ زوايا الإنسان وأبعاد شخصـيته، وأحياناً أخرى تكون إلى درجهٔ من الضعف بحيث يقال عنها أنّها ميّتهٔ.

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۴۳۱

یقول الإمام الحسن المجتبی علیه السلام: «التَّفَکُّرُ حَیَاةُ قَلْبِ الْبَصِیرِ»[۵۶۲]. وفی حدیث آخر عنه علیه السلام یقول: «عَلَیْکُمْ بِالْفِکْرِ فَإِنَّهُ حَیَاةُ قَلْبِ الْبَصِیرِ وَمَفَاتِیحُ أَبْوَابِ الحِکْمَةِ»[۵۶۳].

وفی مقابل ذلک ورد عن النبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله أنّه قال: «أَرْبَعٌ یُمِتْنَ الْقَلْبَ: الذَّنْبُ عَلَی الذَّنْبِ وَکَثْرَةُ مُنَاقَشَةِ النِّسَاءِ- یَعْنِی مُحَادَثَتَهُنَّ- وَمُمَارَاةُ الْأَحْمَقِ ... وَمُجَالَسَةُ الْمَوْتَی، فَقِیلَ لَهُ: یَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْمَوْتَی؟ قَالَ کُلُّ غَنِیٍّ مُتْرَفٍ»[۵۶۴].

وکذلک ورد فی الروایات عن الإمام أمیرالمؤمنین علیّ علیه السلام أنّه قال: «لِقاءُ أهْلِ الْمَعْرِفَةِ عِمارَةُ الْقُلُوبِ وَمُسْتَفادُ الْحِکْمَةِ»[۵۶۵].

وفی روایة أخری یقول علیه السلام: «عِمارَةُ الْقُلُوبِ فی مُعاشَرَةِ ذَوِی الْعُقُولِ»[۵۶۶].

ومن المعلوم، کما ورد فی الروایات أعلاه، أنّ قلب الإنسان أحیاناً یکون بشکل خربة أو یکون سقیماً، وأحیاناً أخری یفقد جمیع ملامح الإنسانیة وقد یکون أقرب إلی الموت منه إلی الحیاة، والإمام علیه السلام فی وصیته مورد البحث یوصی الإنسان بإحیاء قلبه وعمرانه والعمل علی تعمیره وتقویة معنویته، وذکر اللَّه عامل أساس لإحیاء القلب والموعظة بدورها وسیلة وأداة لهذا الإحیاء المعنویّ.

۲. الوعّاظ الکثیرون

عندما یدور الحدیث عن الواعظ فسوف یتبادر إلی الذهن من هذه الکلمة الإنسان المجرّب والحکیم والمتّقی والسالک سبیل الخیر والإیمان، الذی استفاده من آیات القرآن الکریم وروایات المعصومین علیهم السلام وتجارب الآخرین ومطالعاته فی زیادة الوعی بحقائق العالم وکیفیة السیر فی طریق معنویات والقیم، فی حین أنّ

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۴۳۲

الروایات الشریفة تذکر وعّاظاً آخرین إلی جانب ذلک، ومنهم الحوادث المُرّة والمصائب الألیمة التی تصیب الإنسان فی الدنیا، وهو ما یشیر إلیه الإمام علیه السلام فی قوله: «أَحْیِ قَلْبَکَ بِالْمَوْعِظَةِ».

والواعظ الآخر للإنسان یتمثّل فی تاریخ القدماء وسیرة الأقوام الماضیة وأطلال القصور والقبور المندرسة والدیار المتروکة، والتی تتحدّث مع الإنسان بألف لسان وهی صامتة، والإمام علیه السلام بهذه العبارات یشیر إلی هذا الواعظ أیضاً.

الواعظ الآخر الذی یتحدّث عنه الإمام علیه السلام فی نهج‌البلاغة فی (الخطبة ۱۸۸) أجساد الموتی ویقول: «فَکَفَی وَاعِظاً بِمَوْتَی عَایَنْتُمُوهُمْ حُمِلُوا إِلَی قُبُورِهِمْ غَیْرَ رَاکِبِینَ»[۵۶۷].

وقد نستوحی من کلمات أمیرالمؤمنین علیه السلام وعّاظاً آخرین یعبّر عنهم بالواعظ الباطنی، یعنی الوجدان الیقظ والضمیر الحیّ فی واقع الإنسان وقلبه، یقول: «وَمَنْ کَانَ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ وَاعِظٌ کَانَ عَلَیْهِ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ»[۵۶۸]، وهذا الواعظ النفسانی هو ما ورد فی القرآن الکریم فی سورة الشمس، قال تعالی «وَنَفْسٍ وَما سَوَّاها* فَأَلْهَمَها فُجُورَها وَتَقْوَاها»[۵۶۹].

الواعظ الآخر هو ما بیّنه الإمام موسی الکاظم علیه السلام لهارون الرشید عندما طلب هذا الأخیر من الإمام علیه السلام موعظة، فقال له الإمام علیه السلام کلاماً وجیزاً وعمیق الغور: «ما مِنْ شَیْءٍ تَراهُ عَیْنَیْکِ إلّاوَفیهِ مَوْعِظَةٌ»[۵۷۰].

یعنی أنّ النجوم المتلألئة فی السماء، والشمس والمضیئة، والقمر المنیر، والظهر المحدودب للمسنین، الشعر الأبیض للشیوخ، أوراق الشجر الیابسة فی فصل الخریف، والقبور المندرسة للموتی، والقصور المتهاویة للملوک، کلّها تتضمّن دروساً

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۴۳۳

وعبراً، وتنطق بالمواعظ فی سکوتها المطبق.

فلو أنّ هارون نظر إلی الحوادث المثیرة والتقلّبات المذهلة فی تاریخ بنی‌امیة وبنی العباس، فسوف یستوحی منها أفضل الدروس وأعظم العبر.

ومن هذا المنطلق يكون كلام الإمام عليه السلام فى هذه الوصيّة: «أَحْيِ قَلْبَكَ بِالْمَوْعِظَةِ» يتضمّن مفهوماً واسعاً بحيث يستوعب جميع عناصر الوعظ وكافّة الوعّاظ.

يقول أبوالفرج الاصفهانى فى كتاب الأغانى: كانت الخرقاء بنت النعمان إذا خرجت إلى بِيعَتِها (محلّ العبادة) يفرش لها الطريق بالحرير والديباج المغشّى بالخزّ والوشى، ثمّ تقبل فى جواريها حتّى تصل إلى بِيعَتِها، وترجع إلى منزلها، فلمّا هلك النعمان نكبها الزمان، فأنزلها من الرفعة إلى الذلّة، فلمّا وفد سعد القادسية أميراً عليها وانهزم الفرس وقتل رستم، أتته فى حفدةٍ من قومها وجواريها عليهنّ المسوح والمقطّعات السود تطلب صِلته، فقال لهنّ: أيتكنّ الخرقاء؟ قال: ها أنا ذى إنّ الدنيا دار زوال ولا تدوم على حال، كنّا ملوك هذا المصر يُجبى لنا خراجه ويطيعنا أهله مدى المدّة والزمان، كذلك الدهر ليس يأتى قوماً بمسرّة إلّاويعقبهم بحسرة ثمّ قالت:

فَبَينا نَسوس الناس والأمر أمرُناإذا نحنُ فيهم سوقةً ليس تعرف

فافٍّ لدنيا لا يدوم نعيمهاتقلّب تارات بنا وتصرّف [۵۷۱]

وكذلك ينقل عن محمد بن عبدالرحمن الهاشمى قال: دخلت على امّى يوم أضحىً وعندها امرأة فى أثواب دنسة، فقالت: أتعرف هذه؟ قلت: لا، قالت: هى عنابة ام جعفر البرمكى، فسلّمت عليها وقلت لها: حدثينى ببعض أمركم، فقالت:

أذكر لك جملة فيها عبرة لمن اعتبر، لقد هجم علىَّ مثل هذا اليوم وعلى رأسى أربعمائة وصيفة وأنا أزعم أنّ ابنى جعفر عاقّ فىَّ، وقد أتيتكم اليوم أسألكم جلدَى شاتين، شِعار ودثار[۵۷۲].

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۴۳۴

أَينَ كِسرى المُلوكُ أنُوشِروان، أم أينَ قَبلَهُ شَابُورُ؟

وَأخُو الخِضرِ إذ بَناهُ وَإذدجلةُ تُجبى إليهِ والخابُورُ

شَادَهُ مَرمَراً وَجَلّلهُ كَاساً وَللطّيرِ فِي ذراهُ وَكُورُ

وَتفكّر ربّ الخَورنقِ إذأَشرَفَ يَوماً وَللهدى تَفكِيرُ

سَرّهُ مُلكُهُ وَكثرة ما يَملِكُهُ وَالبَحرُ معرضاً والسَّديرُ

فارعوى قَلبهُ وقال: وَمَاغِبطة حيّ إلى المَماتِ يَصيرُ؟

وَبَنُوا الأصفرِ الكرام مُلوك الأرضِ لَم يبقَ مِنهُم مَذكُورُ

ثُمَّ أضحَوا كأنّهُم ورق جفّفألوت بِهِ الصّبا والدّبورُ[۵۷۳]

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۴۳۵

القسم الخامس

اشارة

فَأَصْلِحْ مَثْوَاكَ، وَلَا تَبِعْ آخِرَتَكَ بِدُنْيَاكَ؛ وَدَعِ الْقَوْلَ فِيمَا لَاتَعْرِفُ، الْخِطَابَ فِيمَا لَمْ تُكَلَّفْ. وَأَمْسِكْ عَنْ طَرِيقٍ إِذَا خِفْتَ ضَلَالَتَهُ، فَإِنَّ الْكَفَّ عِنْدَ حَيْرَةِ الضَّلَالِ خَيْرٌ مِنْ رُكُوبِ الْأَهْوَالِ. وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ تَكُنْ مِنْ أَهْلِهِ، وَأَنْكِرِ الْمُنْكَرَ بِيَدِكَ وَلِسَانِكَ، وَبَايِنْ مَنْ فَعَلَهُ بِجُهْدِكَ، وَجَاهِدْ فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ، وَلَا تَأْخُذْكَ فِي اللَّهِ لَوْمَةُ لَائِمٍ. وَخُضِ الْغَمَرَاتِ لِلْحَقِّ حَيْثُ كَانَ، وَتَفَقَّهْ فِي الدِّينِ، وَعَوِّدْ نَفْسَكَ

التَّصَبُّرَ عَلَى الْمَکْرُوهِ، وَنِعْمَ الْخُلُقُ التَّصَبُّرُ فِی الْحَقِّ.

الشرح والتفسیر: الاستقامة سبب تحقیق النصر والنجاح

یتحرّک الإمام علیه السلام فی مستهلّ هذا المقطع من الوصیة لیستنتج ممّا تقدّم فی المقطع السابق من التوصیة بمطالعة أحوال القدماء والسیر فی آفاق التاریخ، خمس نتائج ومواعظ مهمّة، ویقول: «فَأَصْلِحْ مَثْوَاکَ، وَلَا تَبِعْ آخِرَتَکَ بِدُنْیَاکَ؛ وَدَعِ الْقَوْلَ فِیمَا لَا تَعْرِفُ، وَالْخِطَابَ فِیمَا لَمْ تُکَلَّفْ وَأَمْسِکْ عَنْ طَرِیقٍ إِذَا خِفْتَ ضَلَالَتَهُ، فَإِنَّ الْکَفَّ عِنْدَ حَیْرَةِ الضَّلَالِ خَیْرٌ مِنْ رُکُوبِ الْأَهْوَالِ».

جملة «أَصْلِحْ مَثْوَاکَ مع الالتفات إلی أنّ «مَثْوی تعنی المکان والمنزل والأخیر، أی آخرتک، فهی تشیر إلی أنّک یجب علیک أن تتحرّک فی هذه الدنیا من موقع النظر إلی الآخرة والاهتمام بإعمارها.

ونقرأ فی دعاء یوم الثلاثاء من أدعیة أیّام الاسبوع للإمام علیّ بن الحسین علیهما السلام:

«وَأَصْلِحْ لِی آخِرَتِی فَإِنَّهَا دَارُ مَقَرِّی .

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۴۳۶

وجملة: «لَا تَبِعْ آخِرَتَکَ بِدُنْیَاکَ إشارة إلی أنّ المتاع الثمین الذی یوصل الإنسان إلی دار السعادة الأبدیة لا ینبغی أن تبیعه مقابل ملذّات رخیصة وسریعة الزوال فی الدنیا، وهذا هو ما ذمّ علیه القرآن الکریم جماعة من الیهود وشجب أعمالهم حیث قال: «أُولئِکَ الَّذینَ اشْتَرَوُا الْحَیاةَ الدُّنْیا بِالْآخِرَةِ فَلا یُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذابُ وَلا هُمْ یُنْصَرُونَ»[۵۷۴].

وجملة: «دَعِ الْقَوْلَ فِیمَا لَاتَعْرِفُ إشارة إلی أنّ الإنسان قد یتحدّث عن أمور لا یحیط بها علماً، وقد نهی القرآن الکریم عن هذا العمل مراراً، منه قوله تعالی: «وَلا تَقْفُ ما لَیْسَ لَکَ بِهِ عِلْمٌ»[۵۷۵] وفی مورد اتباع وساوس الشیطان یقول: «إِنَّما یَأْمُرُکُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَی اللَّهِ ما لا تَعْلَمُونَ»[۵۷۶].

وعبارة: «وَالْخِطَابَ فِیمَا لَمْ تُکَلَّفْ إشارة إلی أنّ لا ینبغی لک أن تتدخل فیما لا یخصّک ولا یعنیک، وبالتعبیر المتداول (لا تکن فضولیاً فی شؤون الآخرین) فما أکثر الأشخاص الذین واجهوا بسبب تدخّلهم فی شؤون الآخرین وفیما لا یعنیهم، مشاکل کثیرة وتورّطوا فی صراعات وخسروا الکثیر ممّا یهمهم، وهذا هو ما أکّد علیه القرآن الکریم: «عَلَیْکُمْ أَنْفُسَکُمْ لا یَضُرُّکُمْ مَّنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَیْتُم»[۵۷۷].

وآخر جملة: «وَأَمْسِکْ عَنْ طَرِیقٍ ...» إشارة لضرورة رعایة الاحتیاط فی الشبهات، وهذا المعنی یعتبر أصلًا عقلائیاً مسلّماً، فعندما یجد الإنسان نفسه فی مفترق طریقین، طریق یتمیز بوضوح، خالی من العثرات والمطبّات، وطریق مظلم ومجهول، فالعقل یقول: لا ینبغی أن تسلک فی مثل هذا الطریق، لأنّک سوف تبتلی بعواقب سیئة، وحتّی لو وصلت لمقصدک من هذا الطریق، فإنّ مصیرک محفوف بالخوف والاضطراب، فینبغی للإنسان أن یسیر بخطوات مطمئنة فی الطریق الواضح

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۴۳۷

وبحالة من الطمأنینة لیصل إلی مقصده وینال بغیته.

وهذا الأصل العقلائی ورد فی روایات کثیرة، منها ما وردت الإشارة إلیه فی حدیث رسول اللَّه صلی الله علیه و آله: «دَعْ مَا یُرِیبُکَ إِلَی مَا لَایُرِیبُکَ»[۵۷۸] وحدیث طویل عن عمر بن حنظلة قال: سألت أباعبداللَّه الصادق علیه السلام: عن رجلین من أصحابنا بینهما منازعة ...

إلی أن قال علیه السلام: «إِنَّما الأُمورُ ثَلاثَةٌ: أَمْرٌ بَیِّنٌ رُشْدُهُ فَیُتَّبَعُ، وأَمْرٌ بَیِّنٌ غَیُّهُ فَیُجْتَنَبُ، وأَمْرٌ مُشْکِلٌ یُرَدُّ عِلْمُه إلی اللَّهِ وإلی رَسولِه، قال رسولُ اللَّه صلی الله علیه و آله: حَلالٌ بَیِّنٌ وحَرامٌ بَیِّنٌ وشُبُهاتٌ بَینَ ذلِکَ، فَمَنْ تَرَکَ الشُّبُهاتِ نَجا مِنَ المُحَرِّماتِ وَمَنْ أَخَذَ الشُّبُهاتِ ارْتَکَبَ المُحَرَّماتِ وهَلَکَ مِن حَیثُ لا یَعْلَم»[۵۷۹].

وبـديهىّ أنّ كـلّ هـذه التوصـيات والأـوامر لا تتنافى مع مسألـة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وإرشاد الجاهل، بل ترتبط بالموارد التى لا يملك الإنسان مسؤوليـة تجاهها، ولذلك يقول الإمام عليه السـلام بعد هذه التوصـيات: «وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ تَكُنْ مِنْ أَهْلِهِ، وَأَنْكِرِ الْمُنْكَرَ بِيَدِكَ وَلِسَانِكَ، وَبَايِنْ مَنْ فَعَلَهُ بِجُهْدِكَ».

الجملـةالاولى: «وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ تَكُنْ مِنْ أَهْلِهِ إشارة إلى أنّ الإنسان عنـدما يأمر الآخرين بالمعروف ولا يكون من أهله فسوف يعيش تـأنيب الضـمير ويشـعر بالخجـل أمـام وجـدانه، أضف إلى ذلـك أنّه يخجـل من الناس عنـدما يقولون إنّه يأمر بالمعروف فى حين أنّه يرتكب المنكر، ومجموع هـذه الأمور يقود الإنسان من خلال الأمر بالمعروف إلى مرتبـة أخلاقيـة بحيث يجـد نفسه تدريجيّاً يسير فى خطّ العاملين بالمعروف الذين يعيشون أجواء الفضيلة.

وجملـة: «وَأَنْكِرِ الْمُنْكَرَ ...» إشـارة إلى مراتب النهى عن المنكر، وقـد ذكر الإمام عليه السـلام هنا مرتبتين لهـذه المهمّـة، جاء فى مورد آخر من كلمات الإمام عليه السلام القصار الإشارة إلى ثلاث مراحل ومراتب لها: الاولى: الإنكار بالقلب، والامتعاض الباطنى

نفحات الولاية، ج ۹، ص: ۴۳۸

من المنكر، وذلك عندما يجد المؤمن نفسه فى مناخ غير مناسب ويعيش القهر والظلم من قِبل الظالمين وقوى الشرّ، فيجد يديه مقيّدة وفمه مكتوم.

المرحلة الثانية: الإنكار باللسان.

والمرحلـة الثالثـة: التصـدّى العملىّ لمواجهـة المنكرات والعمـل على تطهير الإنسـان والمجتمع منها، والكثير من الفقهاء يرون أنّ هـذه المرحلة من وظائف الحكومة الإسلاميّة والحاكمالشرعىّ، بينما المرحلةالاولى والثانية تقع على عهدة عامّة المكلّفين.

وجملـة: «وَبَايِنْ مَنْ فَعَلَهُ بِجُهْدِكَ» ممكن أن تكون إشـارة إلى المورد لا يؤثّر فيه النهى عن المنكر، ففى مثل هـذا المورد يجب على الإنسان أن يترك مجالس المنكر ويبتعد عن المرتكبين للمعاصى والمنكرات.

ويحتمل أيضاً أنّ المراد النهى القلبىّ الـذى يترك آثاره على ملامـح الوجه، وهو أحـد المراحل الثلاث للنهى عنالمنكر، وقد ورد فى حـديث عن الإمـام أميرالمؤمنين عليه السـلام قـال: «أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ أَنْ نَلْقَى أَهْلَ الْمَعَاصِى بِوُجُوهٍ مُكْفَهِرَّةٍ»[۵۸۰]، ليعلموا من ملامح الغضب المرتسمة على وجوهنا أنّنا ننكر أعمالهم ولا نوافقهم فى سلوكياتهم.

ثمّ يسـتمرّ الإمام عليه السـلام فى بيان هـذه التوصـيات والمواعظ ويقول: «وَجَاهِدْ فِى اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ، وَلَا تَأْخُذْكَ فِى اللَّهِ لَوْمَةُ لَائِمٍ. وَخُضِ [۵۸۱] الْغَمَرَاتِ [۵۸۲] لِلْحَقِّ حَيْثُ كَانَ».

ونعلم أنّ للجهاد مراحل ومراتب متعـدّدة، سواءً كان المقصود الجهاد المسلّح ضـدّ الأعـداء، أو بمعنى السـعى وبـذل الجهد فى مسير الحقّ والعدالة، وبعض هذه المراحل لا تليق بالمجاهدين الحقيقيين، اللائق هم أن يحقّقوا فى واقعهم وذواتهم آخر

نفحات الولاية، ج ۹، ص: ۴۳۹

مرحلـة وأعلى مرتبـة من هذا السـلوك المعنوى، ويبذلوا كلّ جهدهم وطاقتهم فى سبيل الثبات والاسـتقامة فى خطّ الإيمان والعبودية، وجملة: «جَاهِدْ فِى اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ» إشارة إلى هذا المعنى.

أمّا جملـة: «وَلَا تَأْخُذْكَ فِى اللَّهِ لَوْمَةُ لَائِمٍ» فهى إشارة إلى أنّه أحياناً يلتّف بعض الأراذل حول الإنسان المجاهد ويلومونه على مسـلكه ويعيقون حـركته فى طريق الحق، والإيمان، فالإمام عليه السـلام يقول: لا ينبغى أن يكون هذا الذمّ والتوبيخ مانعاً لك من الاسـتقامة فى هذا الطريق، فعندما يتبيّن لك طريق الحقّ فسر فيه بعزم راسخ وتوكّل على اللَّه، ولا تهتمّ لأقاويل المبطلين، ولا تلتفت للوم اللائمين.

وبما أنّ طريق الحقّ يزخر بالمشـكلات الكثيرة والمآزق الخطيرة، وأنّ السالكين فى طريق الحقّ لا يصلون إلى مقصدهم بدون مواجهة هذه الأزمات والمآزق، فالإمام عليه السـلام يشـبّه هذه المشاكل والمآزق بأمواج البحر العاتية «وَخُضِ الْغَمَرَاتِ لِلْحَقِّ حَيْثُ كَانَ» ويأمر بخوض هذه الغمرات وعدم التراجع عن هذه الأمواج للوصول إلى المطلوب ونيل الجواهر الحقيقية.

وهـذا الكلام للإمام علىّ عليه السـلام مقتبس من الآيات القرآنيـة الشـريفة، فنقرأ فى الآية ۷۸ من سورة الحـج: «وَجاهِـدُوا فِی اللَّهِ حَقَّ جِهادِهِ» وفى الآية ۵۴ من سورة المائدة:

«يُجاهِدُونَ فِی سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخافُونَ لَوْمَةَ لائِم».

وذهب الكثير من المفسّـِرين أنّ «حقّ الجهاد» تعنى إخلاص النيّة، ولكن ينبغى الالتفات إلى أنّ هذا المفهوم لا ينحصـر بإخلاص النيّة، بل مراده أنّ أصعب مراحل الجهاد وهو جهاد النفس يتطلّب إخلاص النيّة.

وفى ختام هذه الفقرة يطرح الإمام عليه السـلام نصيحتين مهمّتين أيضاً لولده، فيقول: «وَتَفَقَّهْ فِیالدِّينِ، وَعَوِّدْ نَفْسَکَ التَّصَبُّرَ[۵۸۳] عَلَى الْمَكْرُوهِ، وَنِعْمَ الْخُلُقُ التَّصَبُّرُ فِی الْحَقِّ».

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۴۴۰

ومع الالتفات إلى أنّ «تفقّه من مادة «فقه يعنى الفهم والإدراك، فمقصود الإمام عليه السـلام من هذه الجملة «وَتَفَقَّهْ فِی الدِّينِ أنّه لابدّ من الوعى الكامـل لحقـائق الـدين ومعرفـة أصوله وفروعه من موقع العمق والتمعّن ولا تقنع بالفهم السـطحى لقضايا الـدين، بل عليك التعمّق فى هذه الأمور.

وجملـة: «عَوِّدْ نَفْسَـکَ ...» إشـارة إلى أنّ الصبر والاسـتقامة فى مقابـل المشـكلات والتحـدّيات لاـ تتوفّر للإنسـان إلّـامن خلال التمرّن وتعويـد النفس على الثبات فى مواجهـة الشدائـد، فينبغى عليك أن تمرّن نفسك على الثبات والصبر حتّى بضـحى لديك عادة وملكة راسخة.

وعبارة: «نِعْمَ الْخُلُقُ التَّصَبُّرُ فِی الْحَقِّ» إشارة إلى أنّ كلّ عمل جيّد ومطلوب يواجه عادة موانع ومشاكل مختلفة، فلو لم يتمسّک الإنسان بآليّة الصبر والاسـتقامة على الحقّ، فلا يسـتطيع أن يصل إلى نتيجة مرضية من أىّ عمل إيجابىّ، فقطف الورد لا يتيسّر بدون تحمّل ألم الشوك، والحصول على العسـل من خليـة النحـل يقترن غالبـاً بلسـعات الزنـابير، فلو لم يسـتقم الإنسـان فى خـطّ الحقّ والإيمـان مقابل المشاكل والتحدّيات الصعبة التى يفرضها الواقع، فسوف لا يصل إلى أىّ هدف مقدّس فى حركة الحياة.

ومن المناسب هنا أن نستعرض بعض أشعار أبى الأسود الدؤلى فى هذا الصدد، يقول:

تَعَوّدتُ مَسَّ الضُّرِّ حَتّى أَلِفْتُهُوَأَسْلَمَنى طُولُ الْبَلاءِ إلَى الصَّبْرِ

وَ وَسَّعَ صَدْرى لِلْأَذى كَثْرَةُ الْأَذىوَكانَ قَديماً قَدْ يَضيقُ بِهِ صَدْرى

إذا أَنَا لَمْ أَقْبَلْ مِنَ الدَّهْرِ كُلَّ ماأُلاقيهِ مِنْهُ طالَ عَتْبى عَلَى الدَّهْرِ[۵۸۴]

تأمّلان

۱. رعاية الاحتياط عند الإحساس بالخطر

يعدّ الاحتياط فى موارد الشك، أحد الأُصول المسلّمة فى مذهبنا، وأحياناً يكون الاحتياط واجباً فى بعض الموارد، وأخرى مستحبّاً.

وأصل الاحتياط يمتدّ بجذوره إلى حكم العقل، ويقرّر العلماء فى علم الأصول هذا الاحتياط بأنّه دفع الضرر والمحتمل، وهنا بحث فى وجوبه بشكل مطلق أو بتوفّر بعض القيود والشروط، فالعقل يحكم بضرورة اجتناب الأضرار المحتملة والابتعاد عنها، والملفت أنّ نفس هـذه المسألة وردت فى علم الكلام (العقائد) بوصـفها ركيزة أساسـية للتحقيق فى المسائل الدينية والمسائل العقائدية كالمبدأ والمعاد، وعلى هـذا الأساس يتمّ البحث عن مسألـة وجود اللَّه ومعرفـة اللَّه وأنّ ترك التحقيق فى هـذه المسائل ربّما تترتّب عليه أضـرار عظيمة، ولهذا السبب يحكم العقل بضرورة أن يتحرّك الإنسان من موقع البحث والتحقيق فيها.

ولا يكتفى الإمام عليه السـلام بمجرّد تقـديم النصـحية بالاحتياط فى هذه الفقرة «وَأَمْسِکْ عَنْ طَرِيقٍ إذَا خِفْتَ ضَـلَالَتَهُ ..»، بل يتحرّك

علی مستوی الاستدلال وبیان هذه النصیحهٔ لولده بآلیات الإقناع والبرهان ویقول: إنّ المسیر فی طریق یخشی فیه من الوقوع فی مهاوی الضـلالهٔ، وربّما یقود الإنسان نحو الحوادث المهولـهٔ والمخوفـهٔ؛ فینبغی اجتناب سـلوک هـذا الطریق، لأنّ التوقّی والکفّ فی مثل هذه الموارد أفضل من الوقوع فی دوّامهٔ الحوادث الصعبهٔ ورکوب الأهوال الخطیرهٔ.

وأساساً فإنّ الاحتیاط، مع رعایهٔ الاعتدال فیه وعدم الإفراط، یعتبر فی جمیع الموارد المعنویهٔ والمادیهٔ، عمل منطقیّ ومعقول.

۲. الطریق لنیل الفضائل الأخلاقیهٔ

جملـهٔ: «وَعَوِّدْ نَفْسَکَ التَّصَبُّرَ عَلَی الْمَکْرُوهِ إشارهٔ إلی أصل أخلاقیّ مهمّ، وهو أنّ الأشـخاص الذین لم یتلقّوا تربیهٔ أخلاقیهٔ مناسـبهٔ فی بدایهٔ أمرهم سیکون من

نفحات الولایهٔ، ج۹، ص: ۴۴۲

الصـعب علیهم تقبّل الأصول والقیم الأخلاقیـهٔ، وینبغی لهم أن یمارسوا فرض هـذه القیم علی النفس بآلیهٔ التکرار والتمرّن علی ذلک، وهـذا الفعـل المتکرّر، من شأنه أن یتسـبّب فی صـیرورهٔ ذلک الأمر الأخلاقیّ عادهٔ مسـتدیمهٔ، والاسـتمرار علی هـذه العادهٔ یجعل منها ملکـهٔ نفسانیهٔ راسـخهٔ فی واقع الإنسان، یعنی أنّ هذا الخلق سـینفذ تدریجیاً إلی أعماق روح الإنسان بحیث تشـهد تحوّلًا فی السـلوک الأخلاقیّ.

وقـد ورد فی کلمات أمیرالمؤمنین علیه السـلام فی کتاب غررالحکم: «الخَیْرُ عَادَهٌ» وأیضاً «العَادَهُ طَبْعٌ ثَانٍ ، وهـذه الکلمات إشارهٔ إلی هذا المعنی مورد البحث.

أمّا الفرق بین التصبّر والصبر، فهو أنّ الشـخص الصابر هو واقعاً من أهل الصبر والاسـتقامهٔ، أی یعیش هذه الملکهٔ الراسخهٔ، وأمّا التصبّر فیقال للشخص الذی لا یجد فی نفسه ملکهٔ الصبر ولیس من الصابرین، بل یدفع نفسه بهذا الاتّجاه.

وأساسـاً فالکثیر من الفضائل الأخلاقیـهٔ لا یحصل علیها الإنسان إلّابریاضـهٔ النفس والتعوّد والتمرّن، وبما أنّ الصبر والاسـتقامهٔ ومواجههٔ التحدّیات الصـعبهٔ یعتبر رأس مال جمیع النجاحات فی الحیاهٔ، وطبقاً لما ورد فی بعض الروایات أنّ الصبر بالنسـبهٔ للإیمان کالرأس من الجسد، فلابدّ للإنسان من السعی الجادّ لتحصیل هذه الملکهٔ والفضیلهٔ السامیهٔ، وکما یقول الشاعر:

صَبراً لِما تُحدِثُ الأیّام مِن حَدثٍفَالدَّهرُ فِی جَورِهِ جارٍ عَلَی سُنَنِ

الصَّبرُ أَجمَلُ ثَوبٍ أنتَ لابِسهُلنازلٍ والتَّعزِّی أَحسنُ السُنَنِ

وَهَوِّنِ الوَجدَ إنّی لا أری أَحَداًبِفرقَهِْ الإلفِ یَوماً غَیر مُمتَحنِ ۵۸۵]

وممّا ینسب لإمیرالمؤمنین علیه السلام:

ألا فاصبِر عَلَی الحَدثِ الجَلیلِوَداوِ جَواکَ بالصّبرِ الجَمیلِ

وَلا تَیأس فإنّ الیأسَ کُفرٌلَعلَّ اللَّهَ یُغنی مِن قلیلِ

وإنّ العُسرَ یَتبعُهُ یَسارٌوَقَولُ اللَّهِ أصدقُ کُلّ قیلِ ۵۸۶]

نفحات الولایهٔ، ج۹، ص: ۴۴۳

القسم السادس

اشارهٔ

وَأَلْجِئْ نَفْسَکَ فِی أُمُورِکَ کُلِّهَا إِلَی إِلهِکَ، فَإِنَّکَ تُلْجِئُهَا إِلَی کَهْفٍ حَرِیزٍ، ومَانِعٍ عَزِیزٍ. وَأَخْلِصْ فِی الْمَسْأَلَةِ لِرَبِّکَ، فَإِنَّ بِیَدِهِ الْعَطَاءَ وَالْحِرْمَانَ، أَکْثِرِ الاسْتِخَارَةَ، وَتَفَهَّمْ وَصِیَّتِی، وَلَا تَذْهَبَنَّ عَنْکَ صَفْحاً، فَإِنَّ خَیْرَ الْقَوْلِ مَا نَفَعَ وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَاخَیْرَ فِی عِلْمٍ لَایَنْفَعُ، وَلَا یُنْتَفَعُ بِعِلْمٍ لَایَحِقُّ تَعَلُّمُهُ.

الشرح والتفسیر: لا تتساهل فی هذه الوصیّة

وینطلق الإمام علیه السلام فی هذا المقطع من الوصیة (القسم السادس) لبیان خمس توصیات مهمّة لولده وثمرة فؤاده.

بدایة یطرح مسألة التوکّل علی اللَّه ویقول: «وَأَلْجِئْ [۵۸۷] نَفْسَکَ فِی أُمُورِکَ کُلِّهَا إِلَی إِلهِکَ، فَإِنَّکَ تُلْجِئُهَا إِلَی کَهْفٍ [۵۸۸] حَرِیزٍ[۵۸۹]، وَمَانِعٍ عَزِیزٍ».

إنّ التوکّل ولید الإیمان بالتوحید الأفعالی، فعندما یعتقد الإنسان أنّ جمیع الأمور فی العالم بید اللَّه تعالی، ویؤمن بأنّ اللَّه مسبّب الأسباب، فمن الطبیعی أن یلتجیء إلیه فی جمیع مشاکله وحاجاته، وتسکن إلیه نفسه ویری فیه ملاذاً آمناً لما یواجهه فی واقع الحیاة من أزمات وتحدّیات.

والتوکّل لا یعنی التکاسل وأن یترک الإنسان السعی والعمل ویجلس بأمل لطف

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۴۴۴

اللَّه ورزقه، بل بمعنی أن یستخدم الإنسان جمیع طاقاته وقدراته فی سبیل الوصول إلی أغراضه، ویتحرّک علی مستوی إزاحة الموانع وحلّ المشکلات، ولکن بما أنّ بعض هذه المشاکل والأزمات ربّما یکون حلّها خارج طاقة الإنسان وفوق قدرته وإمکاناته، فإنّه یلتجیء إلی لطف اللَّه تعالی ورحمته الواسعة ویلوذ بقدرته المطلقة لیتسنّی له السیطرة علی تلک المشاکل.

ثمّ یشیر الإمام علیه السلام إلی مسألة الإخلاص ویقول: «وَأَخْلِصْ فِی الْمَسْأَلَةِ لِرَبِّکَ، فَإِنَّ بِیَدِهِ الْعَطَاءَ وَالْحِرْمَانَ».

الإخلاص بدوره یعدّ من ثمرات الإیمان بالتوحید الأفعالی أیضاً، لأنّ الإنسان عندما یعلم یقیناً بأنّه: «لا مُؤَثِّرَ فی الْوُجُودِ إلَّا اللَّهُ فیکون حینئذٍ الرزق والحرمان بید اللَّه تعالی، وعندما یؤمن بهذا الأمر من موقع الاطمئنان القلبی فسوف لا یطلب شیئاً من غیره، ویتوجّه إلیه بإخلاص وصفاء نیّة ویسأله حاجاته، ومن هنا فقد ورد فی الروایات الشریفة أنّ المرائین مشرکون، یقول الإمام الصادق علیه السلام: «کُلُّ رِیَاءٍ شِرْکٌ إِنَّهُ مَنْ عَمِلَ لِلنَّاسِ کَانَ ثَوَابُهُ عَلَی النَّاسِ وَمَنْ عَمِلَ لِلَّهِ کَانَ ثَوَابُهُ عَلَی اللَّهِ»[۵۹۰].

وتشیر هذه الجملة ضمناً إلی هذه الحقیقة، وهی أنّ الإنسان لا ینبغی له أن یطلب حاجاته إلّامن الباری تعالی، وإن توجّه لغیر اللَّه فی بعض الحاجات طبقاً لما یفرضه عالم الطبیعة من أسباب وعلل مادیة وطبیعیة، فیجب أن یعلم أیضاً بأنّ المؤثر الحقیقی هو اللَّه تعالی، وأنّ إرادته غالبة علی کلّ شیء، وأنّ مشیئته مهیمنة علی مشیئة عباده، فجملة «فَإِنَّ بِیَدِهِ الْعَطَاءَ وَالْحِرْمَانَ»، تقرّر هذه الحقیقة الغیبیة.

وفی التوصیة الثالثة یقول الإمام علیه السلام: «وَأَکْثِرِ الاسْتِخَارَةَ»، أی اطلب من اللَّه الخیر والصلاح فی الحیاة.

وللاستخارة معنیان: أحدهما الاستخارة المتداولة بین الناس فی هذه الأیّام، فکلّ مشکلة یواجهها الإنسان ولا یستطیع حلّها بقوّة عقله أو بواسطة التشاور مع

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۴۴۵

أهله ورفاقه، فإنّه یتوجّه إلی اللَّه تعالی ویستشیره فی هذا الأمر، فالاستخارة هنا نوع من المشورة مع اللَّه تعالی، والمعنی الآخر للاستخارة أن یطلب الإنسان من اللَّه تعالی الخیر والصلاح فی کلّ عمل یقدم علیه، یعنی أن یجعل اللَّه تعالی حاکماً علی مصیره، فیتحرّک فی حیاته من أجل الکسب والتجارة والزراعة وما إلی ذلک ولکنّ لسان حاله یقول: (أَسْتَخِیرُ اللَّهَ بِرَحْمَتِهِ)، یعنی أطلب من اللَّه الخیر والبرکة والرحمة، وهذا النوع من الاستخارة ورد التأکید علیه کثیراً فی الروایات الشریفة، منها ما ورد عن الإمام الصادق علیه

السلام: «مَا اسْتَخَارَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عَبْدٌ مُؤْمِنٌ إِلَّا خَارَ لَهُ»[۵۹۱].

ثمّ یوصی الإمام علیه السلام ولده بأن یتعمّق فی فهم هذه الوصایا والنصائح، ولا یمرّ علیها مرور الکرام أو یتعامل معها بسطحیّة وتساهل، ویقول: «وَتَفَهَّمْ وَصِیَّتِی، وَلَا تَذْهَبَنَّ عَنْکَ صَفْحاً[۵۹۲]».

ثمّ یقدّم الدلیل لتأیید هذه الحقیقة، ویقسّم العلوم والمعارف إلی ثلاثة أقسام یقول: «فَإِنَّ خَیْرَ الْقَوْلِ مَا نَفَعَ، وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَاخَیْرَ فِی عِلْمٍ لَایَنْفَعُ، وَلَا یُنْتَفَعُ بِعِلْمٍ لَا یَحِقُّ تَعَلُّمُهُ».

فالعلوم النافعة هی العلوم التی تعین الإنسان فی مسیرته المعنویة والقرب إلی اللّه، سواءً کانت فی مجال العقائد أو العبادات أو الأخلاق وما شاکل ذلک، وبذلک تحقّق له حیاة کریمة فی هذه الدنیا وتنقذه من الفقر الذی یعدّ عاملًا رئیساً للکفر والضلالة والانحراف.

والعلوم غیر النافعة هی العلوم التی لا یجد الإنسان فیها خیر الدنیا ولا خیر

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۴۴۶

الآخرة، وأحیاناً یستخدمها الإنسان لقضاء الوقت أو اللهو والتفاخر، کما ورد فی الحدیث المعروف عن أبی الحسن موسی علیه السلام قال: «دَخَلَ رَسولُ اللَّهِ صلی الله علیه و آله المَسْجِدَ فإذا جَماعةٌ قد أطافوا برَجُلٍ، فقال: ماهذا؟ فقالوا: عَلّامَة. فقال: وما العَلّامَةُ؟ فقالوا له: أعلَمُ النّاسِ بأنْسابِ العَرَبِ ووَقائِعِها، وأیّامِ الجَاهلیّةِ، والأشْعارِ العَربیّةِ، قال:

فقالَ النَّبیُّ صلی الله علیه و آله: ذَاکَ عِلْمٌ لَایَضُرُّ مَنْ جَهِلَهُ وَلَا یَنْفَعُ مَنْ عَلِمَهُ، ثمّ قال النَّبیُّ صلی الله علیه و آله: إِنَّمَا الْعِلْمُ ثَلَاثَةٌ: آیَةٌ مُحْکَمَةٌ أَوْ فَرِیضَةٌ عَادِلَةٌ أَوْ سُنَّةٌ قَائِمَةٌ وَمَا خَلَاهُنَّ فَهُوَ فَضْلٌ»[۵۹۳].

وبدیهیّ أنّ العلوم والمعارف التی یحتاج إلیها الإنسان فی إعمار الدنیا وقضاء حاجاته الدنیویة، وتساهم فی نجاته من الفقر والمرض ومشکلاته الأخری، تعتبر من العلوم المفیدة أیضاً، لأنّها فی الواقع بمثابة مقدّمة لتلک الطوائف الثلاث من العلوم النافعة.

والقسم الثالث من العلوم، العلوم المضرّة، من قبیل علم السحر والشعوذة والعلوم التی ترتبط بإنتاج الوسائل المحرّمة مثل الخمر والمخدّرات، وفی عالمنا المعاصر نری أنّ هذه العلوم أکثر بکثیر من الماضی، منها العلوم التی تساهم فی صناعة أسلحة الدمار الشامل کالقنابل الذریة والأسلحة الکیمیاویة وأمثال ذلک، فتعلم مثل هذه العلوم وتعلیمها حرام فی الإسلام، لأنّها تکون مقدّمة للحرام.

تأمّل: العلوم النافعة وغیر النافعة

لا شکّ أنّ العلم نور وضیاء فی حیاة الإنسان، ولکنّ هذا لا یعنی أنّ جمیع العلوم مفیدة ومطلوبة.

وکما رأینا فی وصیة الإمام علیه السلام مورد البحث أنّ الإمام قد قسّم العلوم إلی ثلاثة أقسام:

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۴۴۷

الأول: العلوم التی تنفع الإنسان فی حیاته، وأحیاناً تکون ذات بعد معنویّ من قبیل العلوم والمعارف الدینیة والأحکام الشرعیة والأخلاق الإنسانیة، وأحیاناً ذات بعد مادّی مثل جمیع العلوم التی یحتاج إلیها الإنسان فی حیاته الدنیویة ومعاشه، من قبیل علم الطبّ، الزراعة، العلوم الدفاعیة، الصناعات الخفیفة والثقیلة، وما إلی ذلک، وأنّه لولا توفّر هذه العلوم والمعارف وما یترتّب علی فقدانها من خلل فی حیاة الإنسان المادیّة، فإنّ ذلک من شأنه أن یفرز مشاکل معنویة کثیرة، وعلی وضوء ذلک فإنّ مثل هذه العلوم تعتبر فی الإسلام واجباً کفائیاً، یعنی یجب علی کلّ جماعة أن یتوجّهوا لطلب بعض هذه العلوم لتأمین جمیع حاجات المجتمع الإسلامی المادیة، ولو لم یتوفّر فی فرع من فروع هذه العلوم مَن یتصدّی له بالمقدار الکافی، فسیکون الوجوب عینیاً علی الأفراد.

وفی هذا السیاق لا ینبغی للمسلمین فی کلّ عصر وزمان، بخاصّة فی عصرنا هذا، أن یتخلّفوا عن الآخرین فی هذه العلوم، بل یجب أن یکونوا روّاداً للعلم والمعرفة کما کانوا کذلک فی القرون الاولی للإسلام.

الثانی: العلوم المضرّة، وهی العلوم التی یترتّب علیها تخریب النظام الاجتماعیّ وهدم سلامة المجتمع وإعاقة حرکة المجتمع نحو

التطوّر والتقدّم والإزدهار، کالعلوم التی تنتج أسلحهٔ الدمار الشامل وتستخدم لصناعهٔ المخدّرات والخمور وأمثالها.

الثالث: العلوم الزائفهٔ وغیر المفیدهٔ، أی أنّها غیر مضرّهٔ وغیر نافعهٔ، وقد ذکرنا نماذج منها فی شرح کلام الإمام علیه السلام.

***

نفحات الولایهٔ، ج۹، ص: ۴۴۹

القسم السابع

اشارهٔ

أَیْ بُنَیَّ، إِنِّی لَمَّا رَأَیْتُنِی قَدْ بَلَغْتُ سِنّاً، وَرَأَیْتُنِی أَزْدَادُ وَهْناً، بَادَرْتُ بِوَصِیَّتِی إِلَیْکَ، وَأَوْرَدْتُ خِصَالًا مِنْهَا قَبْلَ أَنْ یَعْجَلَ بِی أَجَلِی دُونَ أَنْ أُفْضِیَ إِلَیْکَ بِمَا فِی نَفْسِی، أَوْ أَنْ أُنْقَصَ فِی رَأْیِی کَمَا نُقِصْتُ فِی جِسْمِی، أَوْ یَسْبِقَنِی إِلَیْکَ بَعْضُ غَلَبَاتِ الْهَوَی وَفِتَنِ الدُّنْیَا، فَتَکُونَ کَالصَّعْبِ النَّفُورِ.

وَإِنَّمَا قَلْبُ الْحَدَثِ کَالْأَرْضِ الْخَالِیَهِٔ مَا أُلْقِیَ فِیهَا مِنْ شَیْءٍ قَبِلَتْهُ. فَبَادَرْتُکَ بِالْأَدَبِ قَبْلَ أَنْ یَقْسُوَ قَلْبُکَ، وَیَشْتَغِلَ لُبُّکَ، لِتَسْتَقْبِلَ بِجِدِّ رَأْیِکَ مِنَ الْأَمْرِ مَا قَدْ کَفَاکَ أَهْلُ التَّجَارِبِ بُغْیَتَهُ وَتَجْرِبَتَهُ، فَتَکُونَ قَدْ کُفِیتَ مَؤُونَهَٔ الطَّلَبِ، وَعُوفِیتَ مِنْ عِلَاجِ التَّجْرِبَهِٔ، فَأَتَاکَ مِنْ ذَلِکَ مَا قَدْ کُنَّا نَأْتِیهِ، وَاسْتَبَانَ لَکَ مَا رُبَّمَا أَظْلَمَ عَلَیْنَا مِنْهُ.

الشرح والتفسیر: الباعث لکتابهٔ هذه الوصیهٔ

فی هذاالمقطع من الوصیهٔ وهو (المقطع السابع) ینطلق الإمام علیه السلام مرّهٔ أخری لیبیّن هدفه من کتابهٔ هذه الوصیهٔ المطوّلهٔ والزاخرهٔ بالمواعظ النافعهٔ، ویتألّف الهدف الذی یرسمه الإمام علیه السلام من قسمین، قسم یتمثّل فی وجود الإمام علیه السلام وإحساساته، وقسم آخر یتجسّد فی وجود الإمام الحسن علیه السلام، وخلاصهٔ ما یرید الإمام علیه السلام قوله:

إنّنی بلغت سنّاً متقدمهً وربّما یکون قد حان أجلی، ولهذا السبب أقدمت علی کتابهٔ هذه الوصیهٔ لک، ومن جههٔ أخری فأنت شابّ تملک الاستعداد لقبول الحقّ والإصغاء إلی المواعظ، وأخشی أن یتقدّم بک العمر وتفقد مثل هذا الاستعداد،

نفحات الولایهٔ، ج۹، ص: ۴۵۰

ولهاتین الجهتین بادرت لکتابهٔ هذه الوصیهٔ.

بدایهٔ یقول الإمام علیه السلام: «أَیْ بُنَیَّ إِنِّی لَمَّا رَأَیْتُنِی قَدْ بَلَغْتُ سِنّاً، وَرَأَیْتُنِی أَزْدَادُ وَهْناً، بَادَرْتُ بِوَصِیَّتِی إِلَیْکَ».

ومعلوم أنّ عمر الإمام علیه السلام فی ذلک الوقت کان قد بلغ ستّین سنهٔ أو أکثر قلیلًا من ذلک، وکان عمر الحسن علیه السلام أکثر من ثلاثین عاماً ویملک فی ذلک الوقت مشاعر الشباب وإحساسات الفتوّهٔ، وهذا یعتبر درساً لجمیع الآباء تجاه أبنائهم، فعندما یتقدّم بهم العمر وقبل أن یحلّ أجلهم، أو یتجاوز الأبناء مرحلهٔ الشباب ویفقدوا الاستعداد لتقبّل النصیحهٔ وتغییر المواقف والسلوکیات، فاللازم علی الآباء أن یتقدّموا لهم بمثل هذه التوصیات.

ثمّ إنّ الإمام علیه السلام یتقدّم بتوضیح أکثر ویقول: «وَأَوْرَدْتُ خِصَالًا مِنْهَا قَبْلَ أَنْ یَعْجَلَ بِی أَجَلِی دُونَ أَنْ أُفْضِیَ [۵۹۴] إِلَیْکَ بِمَا فِی نَفْسِی، أَوْ أَنْ أُنْقَصَ فِی رَأْیِی کَمَا نُقِصْتُ فِی جِسْمِی، أَوْ یَسْبِقَنِی إِلَیْکَ بَعْضُ غَلَبَاتِ الْهَوَی وَفِتَنِ الدُّنْیَا، فَتَکُونَ کَالصَّعْبِ النَّفُورِ[۵۹۵]».

وهنا نری الإمام علیه السلام یتحدّث، لا من موقع کونه إماماً معصوماً ولا أنّ مخاطبه بوصفه ابنه المعصوم، بل بوصفه أباً مسنّاً ومحبّاً

لولده الذی یخشی علیه أن یقع فی دوّامة الأهواء وفتن الدنیا ووساوس النفس، ویشیر إلی أمرین، أحدهما یعود لنفسه، والآخر لولده، ویقول: إنّنی من جهة قد بلغ بی العمر سنّ الشیخوخة، وأخشی أن یحین أجلی وأفقد الحدیث معک، ومن جهة أخری أنّ التقدّم فی السنّ ربّما یضعف الذهن والفکر کما یضعف أعضاء البدن الأخری، ومن جهة ثالثة، أخشی علیک الآفات المختلفة والوقوع فی شباک الشیطان والأهواء النفسانیة ومغریات الدنیا،

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۴۵۱

وحینئذٍ ستزول الفرصة للموعظة وتقدیم النصح.

وعلی أساس هذه الجهات بادرت لکتابة هذه الوصیّة لأصل إلی الغایة المطلوبة قبل فوات الأوان.

والعجیب أنّ ابن أبی‌الحدید فی شرح عبارات هذه الوصیة، وعندما یبلغ حدیث الإمام علیه السلام عن نفسه یقول: «إنّ هذه العبارات تشیر إلی خلاف ما یعتقده الشیعة الذین یقولون أنّ الإمام معصوم فی مثل هذه الأمور ولا- یواجه نقصاً فی فکره ولا قصوراً فی رأیه»[۵۹۶].

فی حین أنّ جمیع القرائن، کما أسلفنا ذلک، تشیر إلی أنّ الإمام علیه السلام عندما یتحدّث بمثل هذا الکلام فإنّه لا ینطلق من موقع الإمامة والعصمة، بل من موقع الأب المسنّ والخبیر والمجرّب الذی یتقدّم بالنصح لولده الشابّ الذی لم یجرّب الأمور بعد.

ولو أنّ ابن أبی‌الحدید التفت إلی کلام آخر للإمام علیّ علیه السلام فی نهج‌البلاغة أیضاً حیث یقول: «فَاسْأَلُونِی قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِی فَوَ الَّذِی نَفْسِی بِیَدِهِ لَاتَسْأَلُونِی عَنْ شَیْءٍ فِیمَا بَیْنَکُمْ وَبَیْنَ السَّاعَةِ»[۵۹۷]، فسوف یتبیّن له الجواب عن هذا التوّهم.

وأیضاً یقول الإمام علیه السلام فی کلام آخر فی الخطبة ۱۸۹: «أَیُّهَا النَّاسُ سَلُونِی قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِی فَلَأَنَا بِطُرُقِ السَّمَاءِ أَعْلَمُ مِنِّی بِطُرُقِ‌الْأَرْضِ»، أجل، لو أنّ ابن أبی‌الحدید أخذ بنظر الحسبان هذا الکلام لأمیرالمؤمنین علیه السلام لما تحدّث بمثل ذلک الکلام.

ثمّ إنّ الإمام علیه السلام یبیّن الدلیل والعلّة لطرح هذه الوصایا لولده الشابّ، ویقول:

«وَإِنَّمَا قَلْبُ الْحَدَثِ کَالْأَرْضِ الْخَالِیَةِ مَا أُلْقِیَ فِیهَا مِنْ شَیْءٍ قَبِلَتْهُ».

وهذا الأمر قد ثبت بالتجربة مرّات عدیدة، بل هناک روایة صارت کالمثل تقول:

«الْعِلْمُ فِی الصِّغَرِ کَالنَّقْشِ فِی الْحَجَرِ»[۵۹۸] أی الخطّ والرسم الثابت والعمیق الذی لا

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۴۵۲

یزول أو یتغیّر بسهولة. ثمّ تضیف الروایة: وَالتَّعَلُّمُ فِی الْکِبَرِ کَالْخَطِّ عَلَی الْماءِ»،[۵۹۹] فی سرعة زواله وتغییره.

ثم إنّ الإمام یقدّم دلیلین آخرین ویقول: فَبَادَرْتُکَ بِالْأَدَبِ قَبْلَ أَنْ یَقْسُوَ قَلْبُکَ، وَیَشْتَغِلَ لُبُّکَ».

والحقیقة أنّ الإمام بیّن ثلاثة أدلّة لاختیاره لهذا الموقع والسنّ لتقدیم النصح والموعظة، منها، استعداد قلب الشابّ لتقبّل المواعظ، وقساوة القلب بسبب عدم التلوّث بالذنوب وعدم اشتغال الذهن بمشاکل الحیاة، وکلّ واحدة من هذه الجهات الثلاث کافٍ لوحده لاختیار هذا الوقت المحدّد، فکیف إذا اجتمعت هذه الجهات مع بعضها!

ثمّ یضیف الإمام علیه السلام: «لِتَسْتَقْبِلَ بِجِدِّ رَأْیِکَ مِنَ الْأَمْرِ مَا قَدْ کَفَاکَ أَهْلُ التَّجَارِبِ بُغْیَتَهُ ۶۰۰] وَتَجْرِبَتَهُ، فَتَکُونَ قَدْ کُفِیتَ مَئُونَةَ الطَّلَبِ، وَعُوفِیتَ مِنْ عِلَاجِ التَّجْرِبَةِ».

ویشیر الإمام علیه السلام فی هذه الفقرة من الکلام إلی أهمیة الاستفادة من تجارب الآخرین، لأنّ الحیاة لیست سوی تجارب، والإنسان العاقل بدلًا من أن یجرّب کلّ شیء بنفسه ویترتّب علی ذلک أضرار ومشاکل کثیرة، فإنّه یستفید من تجارب الآخرین ویتعلّم منهم ما یعینه فی مسیرته بدون أن یدفع ثمن هذه التجارب، وبعبارة أخری، إنّ الأجیال اللاحقة من حیث انتفاعها بتجارب القدماء، تعیش أفضل حالًا منهم من حیث السعادة والخبرة فی مواجهة التحدّیات والظروف، فما اکتسبه القدماء بتعب وجهد کبیر فإنّ الجیل اللاحق ینتفع منه بدون تعب، وکما یقول الإمام: «کُفِیتَ مَؤُنَةَ الطَّلَبِ وَعُوفِیتَ مِنْ عَلاجِ التَّجْرِبَةِ».

ولذلک یقول الإمام علیه السلام فی ختام هذه الفقرة من الوصیة: «فَأَتَاکَ مِنْ ذَلِکَ مَا قَدْ کُنَّا

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۴۵۳

نَأْتِیهِ، وَاسْتَبَانَ لَکَ مَا رُبَّمَا أَظْلَمَ عَلَیْنَا مِنْهُ»، فحصلت علیه بدون أن تتعب نفسک فی تحصیله، بل ربّما کان قد خفی عنک بعض الأمور ولکن بمرور الزمان استبانت لک، وهو إشارة إلی أنّ تجارب القدماء أحیاناً تقع بأیدی الجیل اللاحق بشکل کامل فینتفعون بصورة تامّة، وأحیاناً یکون القدماء قد سلکوا بعض الطریق وعلی الخلف أن یکمل المسیرة، وقد یحصل علی نتائج وثمار لم یحصل علیها القدماء.

وکما أشرنا سابقاً أنّ الإمام علیه السلام فی هذه الوصیة لا یتحدّث من موقع الإمامة ومقام العصمة، بل بوصفه رجلًا مجرّباً وخبیراً بالأمور الدنیا وتعقیداتها وینقل هذه التجارب من موقع الحرقة والشفقة علی ولده الذی یجده فی مواجهة التحدیات الصعبة وأعاصیر الحوادث والمتغیرات لینتفع من هذه التجارب، بل أحیاناً یکون الأب قد سار بعض الطریق وحصل علی بعض النتائج وعلی الابن إکمال هذه المسیرة والحصول علی نتائج أفضل.

تأمّل: معطیات التربیة فی سنّ الشباب

إنّ تاریخ الأنبیاء یشیر إلی أنّ الشباب هم الشریحة الاجتماعیة الاولی الذین آمنوا بالرسالة الإلهیّة وتحرّکوا من موقع الدفاع عنها والالتزام الواعی بتعالیمها، ویحدّثنا القرآن الکریم فی موارد عدّة عن قصّة نوح علیه السلام وإیمان الشباب به وإعراض المسنّین الأثریاء عنه وعن رسالته السماویة، وکذلک یدلّنا تاریخ الإسلام علی أنّ المؤمنین بالنبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله کانوا فی الغالب من فئة الشباب.

والروایات الإسلامیّة تؤیّد هذه الحقیقة، فالإمام الصادق علیه السلام یقول لأحد أصحابه والذی توجّه إلی البصرة للدفاع عن مذهب أهل البیت علیهم السلام: «عَلَیْکَ بِالْأَحْدَاثِ فَإِنَّهُمْ أَسْرَعُ إِلَی کُلِّ خَیْر»[۶۰۱].

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۴۵۴

وفی حدیث آخر عن الإمام الصادق علیه السلام أیضاً: «مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَهُوَ شَابٌّ مُؤْمِنٌ اخْتَلَطَ الْقُرْآنُ بِلَحْمِهِ وَدَمِهِ»[۶۰۲].

وأیضاً ورد فی حدیث آخر عنه علیه السلام أنّه قال: «بَادِرُوا أَوْلَادَکُمْ بِالْحَدِیثِ قَبْلَ أَنْ یَسْبِقَکُمْ إِلَیْهِمُ الْمُرْجِئَةُ»[۶۰۳]، والمرجئة هم الذین لا یعتقدون بإمامة علیّ بن أبی طالب علیه السلام وأنّه خلیفة رسول اللّه صلی الله علیه و آله مباشرة.

ویستفاد من الفقرة الأخیرة من وصیة الإمام أمیرالمؤمنین علیه السلام هذه الحقیقة بوضوح تامّ.

والدلیل علی ذلک واضح، لأنّ قلب الشبّان من جهة نقیّ وخالٍ من أدران التلوّث بالعقائد الباطلة وحالات العناد والتعصّب، ولهذا السبب فهو کالأرض الصالحة للزراعة، الخالیة من الأشواک والأعشاب الضارّة، فعندما یبذر فیها أیّ نوع من البذور، فإنّه ینمو بسرعة.

ومن جهة أخری فإنّ الشاب قلیل التعلّق بالأمور الدنیویة والمادیّة، وقلیل الانشغال بالأوهام والعناوین الزائفة التی من شأنها حجب القلب والعقل عن تقبّل الحقّ.

ومن جهة ثالثة فإنّ تعالیم الأنبیاء وأحکام الدین الإلهیّ تتقاطع فی موارد کثیرة مع مطامع الشیوخ غیرالمشروعة، فهؤلاء غیر مستعدّین للتنازل عن مطامعهم وطموحاتهم بسهولة، فی حین أنّ الشباب لا یعیشون هذه المشکلة ولا یواجهون هذا العائق.

یقول أحد الشعراء:

قَدْ یَنْفَعُ الأدَبُ الأحْداثَ فی مُهَلٍوَلَیسَ یَنْفَعُ عِنْدَ الْکِبرة الْأَدَبُ

إنَّ الْغُصُونَ إذا قَوَّمْتَهَا اعْتَدَلَتْوَلَنْ تَلینَ إذا قَوَّمْتَهَا الْخُشُبُ ۶۰۴]

***

القسم الثامن

اشارة

أَیْ بُنَیَّ، إِنِّی وَإِنْ لَمْ أَکُنْ عُمِّرْتُ عُمُرَ مَنْ کَانَ قَبْلِی، فَقَدْ نَظَرْتُ فِی أَعْمَالِهِمْ، وَفَکَّرْتُ فِی أَخْبَارِهِمْ، وَسِرْتُ فِی آثَارِهِمْ، حَتَّی عُدْتُ کَأَحَدِهِمْ؛ بَلْ کَأَنِّی بِمَا انْتَهَی إِلَیَّ مِنْ أُمُورِهِمْ قَدْ عُمِّرْتُ مَعَ أَوَّلِهِمْ إِلَی آخِرِهِمْ، فَعَرَفْتُ صَفْوَ ذَلِکَ مِنْ کَدَرِهِ، وَنَفْعَهُ مِنْ ضَرَرِهِ، فَاسْتَخْلَصْتُ لَکَ مِنْ کُلِّ أَمْرٍ نَخِیلَهُ، وَتَوَخَّیْتُ لَکَ جَمِیلَهُ، وَصَرَفْتُ عَنْکَ مَجْهُولَهُ، وَرَأَیْتُ حَیْثُ عَنَانِی مِنْ أَمْرِکَ مَا یَعْنِی الْوَالِدَ الشَّفِیقَ، وَأَجْمَعْتُ عَلَیْهِ مِنْ أَدَبِکَ أَنْ یَکُونَ ذَلِکَ وَأَنْتَ مُقْبِلُ الْعُمُرِ وَمُقْتَبَلُ الدَّهْرِ، ذُو نِیَّةٍ سَلِیمَةٍ، وَنَفْسٍ صَافِیَةٍ.

الشرح والتفسیر: تجارب الآخرین وإطالة عمر اللاحقین

یشیر الإمام علیه السلام فی مطلع هذه الفقرة من الوصیّة إلی نقطة فی غایة الأهمیة، وهی ضرورة مطالعة ودراسة تاریخ القدماء وسیرة الأقوام السالفة فیما یصل إلینا من أخبارهم وأعمالهم ومن خلال ما تترکه لنا آثارهم (ولأطلال والقبور المندرسة والثروات الباقیة و ...) ویقول: «أَیْ بُنَیَّ، إِنِّی وَإِنْ لَمْ أَکُنْ عُمِّرْتُ عُمُرَ مَنْ کَانَ قَبْلِی، فَقَدْ نَظَرْتُ فِی أَعْمَالِهِمْ، وَفَکَّرْتُ فِی أَخْبَارِهِمْ، وَسِرْتُ فِی آثَارِهِمْ؛ حَتَّی عُدْتُ کَأَحَدِهِمْ، بَلْ کَأَنِّی بِمَا انْتَهَی إِلَیَّ مِنْ أُمُورِهِمْ قَدْ عُمِّرْتُ مَعَ أَوَّلِهِمْ إِلَی آخِرِهِمْ».

وهو إشارة إلی أنّ الحیاة لیست سوی تجربـة، فلو أنّ المرء انتفع من تجارب الآخرین وتـدبّر فی أعمالهم والنتائـج المترتّبة علیها، ونظر بعین العبرة إلی آثارهم وما بقی منهم فی مطاوی التاریخ، فإنّه سیعیش طیلة عمره وکأنّه عاش مع جمیع

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۴۵۶

الأقوام والمجتمعات البشریة علی امتداد التاریخ، منذ أن خلق اللّه آدم علیه السلام ولحدّ الآن.

ثمّ یضیف الإمام علیه السلام، لقد تدبّرت فی جمیع أخبارهم وآثارهم، واخترت منها الصفوة، وعرفت النافع من الضارّ، والحسن من السیّء: «فَعَرَفْتُ صَفْوَ ذَلِکَ مِنْ کَدَرِهِ، وَنَفْعَهُ مِنْ ضَرَرِهِ، فَاسْتَخْلَصْتُ لَکَ مِنْ کُلِّ أَمْرٍ نَخِیلَهُ ۶۰۵] وَتَوَخَّیْتُ ۶۰۶] لَکَ جَمِیلَهُ، وَصَرَفْتُ عَنْکَ مَجْهُولَهُ».

إشارة إلی أنّ مطالعة آثار القدماء والسیر فی ثنایا تاریخهم وآثارهم لا یکفی فی التعلّم والاعتبار، بل ینبغی أن یکون الإنسان کالصرّاف الذی یستخلص من کلّ أمر الجیّد منه ویمیّز بین الغثّ والسمین، والحسن والردیء ویلقی بالسیّء والردیء جانباً، وینتفع من الحسن والجیّد، فیقول الإمام علیه السلام: وقد اخترت لک الجمیل من أعمالهم وصرفت عنک الردیء وألقیت به بعیداً.

وفی ختام هذه الفقرة من الوصیّة یبیّن الإمام علیه السلام الباعث له علی هذه الوصیة مرّة أخری بقوله: «وَرَأَیْتُ حَیْثُ عَنَانِی مِنْ أَمْرِکَ مَا یَعْنِی الْوَالِدَ الشَّفِیقَ، وَأَجْمَعْتُ عَلَیْهِ مِنْ أَدَبِکَ أَنْ یَکُونَ ذَلِکَ وأَنْتَ مُقْبِلُ الْعُمُرِ وَمُقْتَبَلُ ۶۰۷] الدَّهْرِ، ذُو نِیَّةٍ سَلِیمَةٍ، وَنَفْسٍ صَافِیَةٍ».

وهـذا إشارة إلی أنّنی عندما أتعبت نفسـی فی جمع تجارب القدماء وما تحدّث به التاریخ عن الامم السابقة، فقد اسـتخلصت لک منها هذه المواعظ، والباعث لذلک أمران: الأوّل: أنّنی والدک الشفیق والمحبّ لک والطالب لسعادتک، والآخر: أنّک

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۴۵۷

شابّ وتعیش فی بدایة العمر وتملک قلباً نقیّاً وروحاً طاهرة، فهذان الأمران یبرّران ما أتعبت نفسـی من أجلک ویبسّران کلّ عسـیر من أجل سعادتک وراحتک.

والواقع أنّ الإمام علیه السلام بهذا الکلام یعلّم جمیع الآباء والمحبّین لأبنائهم أنّهم إذا کانوا یطلبون السعادة لأبنائهم فعلیهم أن یتعاملوا

معهم بآلية التربية مادامت قلوب الأبناء صافية ونقية وغير مكدّرة بمشاكل الحياة، ولاسيما أنّ تاريخ القدماء زاخر بالدروس والعبر وتقدّم للإنسان نماذج حسّية للمسير فى خطّ القِيَم الأخلاقية والمثل الإنسانية.

تأمّلان

١. تشكيلة منسجمة من أسرار التاريخ

منذ اليوم الذى اخترع فيه الإنسان الخطّ واستطاع تدوين آثاره وتجاربه من خلال الكتابة، ابتدأ التاريخ البشرىّ، وانتقلت تجارب الأقوام السابقة إلى الأقوام اللاحقة بوصفها ميراثاً ثميناً مختزناً فى مطاوى التاريخ وثنايا القرون، فقد دوّن التاريخ عوامل النجاحات والإخفاقات التى أصابت الأقوام والمجتمعات البشرية، وبيّن أسباب اهتزاز السلطات والحكومات وعوامل انهيار الحضارات والحوادث الحلوة والمرّة التى يزخر بها تاريخ البشرية بحيث أنّ الأشخاص المطّلعين وأهل الخبرة يستطيعون رؤية مسيرة حياتهم الفردية والإجتماعية فى مرآة التاريخ دون أن يحتاجوا لخوض غمار تجارب جديدة وتكرار ما واجهته الأقوام السابقة اعتماداً على ما يستوحونه ويستفيدونه من تجارب الآخرين.

ومن هذا المنطلق يستعرض القرآن الكريم فى آيات كثيرة تاريخ الأقوام السالفة من موقع كونها عبرة للأحياء، ويتحدّث عن هذه الحقيقة بصراحة: «لَقَدْ كَانَ فِي قِصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ»[٦٠٨].

نفحات الولاية، ج٩، ص: ٤٥٨

ويتحدّث القرآن أيضاً فى بعض أخباره التاريخية من موقع كونها تمثّل دروساً وتختزن فى مطاويها عبراً يستوحى منها الناس ما ينفعهم فى حياتهم ومعيشتهم، ويختار منها «أَحْسَنُ الْقِصَصِ» ويقول: «نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ»[٦٠٩].

وأحياناً يحثّ القرآن الكريم مخاطبه على السير فى الأرض ومطالعة آثار الأقوام الماضية وما انعكس على حياتهم وسلوكياتهم فى التاريخ ويقول: «قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ»[٦١٠].

وفى هذه الوصية يشير الإمام عليه السلام إلى نقطة مهمّة فيما يتّصل بالتاريخ البشرىّ، وهى أنّ مطالعة تاريخ القدماء من موقع الدّقة والعمق، من شأنه أن يمنح الإنسان عمراً خالداً وكأنّ الإنسان الذى يدرس حوادث التاريخ يعيش مع الأقوام البشرية منذ أن خلق اللّه آدم وإلى هذا اليوم، ويستوحى من تجاربهم وحالتهم ما يعينه فى مسيرته وحياته، ويمثّل له زاداً ومتاعاً لمواجهة الصعوبات والتحدّيات التى يفرضها الواقع عليهم، والحقيقة أنّ مثل هذا التراث الثمين الذى حصل عليه الإنسان المعاصر بنفقات زهيدة جدّاً، يعدّ متاعاً مهمّاً وزاداً ضروريّاً يمنحه الحركة والقدرة على مواصلة المسيرة.

ومن الطبيعىّ أن نجد بعض نقاط القصور والثغرات المهمّة فى التاريخ، وذلك بسبب هيمنة قوى الاستكبار والسلطة لتشويه وتحريف حقائق التاريخ بما يصبّ فى صالحها، بحيث استطاعوا تلويث مرآة التاريخ فى موارد كثيرة و عملوا على إخضاع المؤرّخين بآليات الطمع والتهديد لصياغة التاريخ حسب رؤيتهم لا على أساس ما يعكسه الواقع التاريخى، وكنموذج بارز لهذا التحريف والتشويش ما قام به بنو امية من تحوير وتزييف لحقائق التاريخ.

نفحات الولاية، ج٩، ص: ٤٥٩

ولكنّ المحقّقين من أهل الخِبرة والاطّلاع استطاعوا من خلال توخّى الدّقة فى ملاحظة البرهان والشواهد المتناثرة فى زوايا التاريخ ومطاوى الحوادث التاريخية، أن يميّزوا بين الصحيح والسقيم، الحقّ والباطل، وبما أنّ الكاذب ضعيف الحافظة ويبتلى غالباً بالتناقض فى كلامه، استطاع هؤلاء المؤرّخون المخلصون من تمييز الماء الزلال من الكدر وتشخيص الحقيقة من الوهم والزيف.

ونتمنّى على أصحاب السلطة وقوى الهيمنة والاستكبار فى عالمنا المعاصر إلقاء نظرة إلى التاريخ، وعلى الأقلّ مطالعة مسيرة الملوك

والسلاطين السابقين وما كان مصيرهم ليشاهدوا عن كثب مصيرهم فى المستقبل فى مرآة التاريخ ويتجنّبوا التعامل مع الشعوب بالظلم والجور والسحق الحقوق.

۲. كيف توصّل الإمام عليه السلام لتاريخ الأقوام الماضية؟

يستفاد من كلمات الإمام عليه السلام فى هذا المقطع من الرسالة أنّ الإمام عليه السلام قد توصّل لفهم تاريخ القدماء من خلال أربع طرق: الأوّل: من خلال النظر فى أعمالهم، ويمكن أن يكون ذلك إشارة إلى الأعمال والسلوكيات التى انتقلت شفوياً من جيل إلى جيل، ومن الآباء إلى الأبناء حتّى وصلت إليه.

الثانى: من خلال التفكّر والتدبّر فى أخبارهم المنعكسة والمدوّنة على صفحات التاريخ بشكل مكتوب.

الثالث: من خلال السير فى آثارهم والنظر إلى بقايا مدنهم وأطلال قصورهم، أى القصور الخاوية على عروشها والخرائب والأطلال المتبقّية من مدنهم، القبور المندرسة وما إلى ذلك، حيث تتحدّث هذه الآثار والأطلال وهى صامتة عن الحقائق التى تتعلّق بتلك الأقوام الماضية، وتبيّن ما كانوا عليه من حياة وثقافة وسلوك وفكر، وقد نقل إلينا العرفاء المطّلعون والشعراء المتعمّقون أموراً كثيرة عن تلكم الأقوام من خلال تدبّرهم وتأمّلهم فى هذه الآثار المتبقية.

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۴۶۰

الطريق الرابع الذى استفاده منه الإمام عليه السلام لمعرفة حالات القدماء وتاريخهم يتمثّل فى العلم عن طريق الوحى النازل على النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله وقد نقله النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله إلى أعزّ تلاميذه والوصىّ على رسالته وهو الإمام علىّ عليه السلام.

وبما أنّ المصادر الأخرى غير هذا المصدر الأخير، يقترن عادة بالأخطاء والتحريف واختلاط الأخبار الصحيحة والزائفة، فالإمام عليه السلام يقول: «فَعَرَفْتُ صَفْوَ ذَلِكَ مِنْ كَدَرِهِ ... فَاسْتَخْلَصْتُ لَكَ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ نَخِيلَهُ، وَتَوَخَّيْتُ لَكَ جَمِيلَهُ ...».

***

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۴۶۱

القسم التاسع

اشارة

وَأَنْ أَبْتَدِئَكَ بِتَعْلِيم كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَتَأْوِيلِهِ، وَشَرَائِعِ الْإِسْلَامِ وَأَحْكَامِهِ، وَحَلَالِهِ وَحَرَامِهِ، لَاأُجَاوِزُ ذَلِكَ بِكَ إِلَى غَيْرِهِ. ثُمَّ أَشْفَقْتُ أَنْ يَلْتَبِسَ عَلَيْكَ مَا اخْتَلَفَ النَّاسُ فِيهِ مِنْ أَهْوَائِهِمْ وَآرَائِهِمْ مِثْلَ الَّذِى الْتَبَسَ عَلَيْهِمْ، فَكَانَ إِحْكَامُ ذَلِكَ عَلَى مَا كَرِهْتُ مِنْ تَنْبِيهِكَ لَهُ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ إِسْلَامِكَ إِلَى أَمْرٍ لَا آمَنُ عَلَيْكَ بِهِ الْهَلَكَةَ، وَرَجَوْتُ أَنْ يُوَفِّقَكَ اللَّهُ فِيهِ لِرُشْدِكَ، وَأَنْ يَهْدِيَكَ لِقَصْدِكَ فَعَهِدْتُ إِلَيْكَ وَصِيَّتِى هَذِهِ.

الشرح والتفسير

رغم أنّ هذا المقطع من كلام الإمام عليه السلام (القسم التاسع) معطوف على الجملة السابقة أى: (أنْ يَكُونَ ذلِكَ وينبغى أن يمثّل قسماً شاخصاً، ولكن بما أنّ الإمام عليه السلام استعرض فى هذا المقطع المسائل المتعلّقة بالقرآن الكريم والتعاليم الإلهيّة فإنّه جعل

ذلک قسماً مستقلّاً على حدة وقال: «وَأَنْ أَبْتَدِئَکَ بِتَعْلِیمِ کِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَتَأْوِیلِهِ، وَشَرَائِعِ ۶۱۱] الْإِسْلَامِ وَأَحْکَامِهِ، وَحَلَالِهِ وَحَرَامِهِ، لَاأُجَاوِزُ ذَلِکَ بِکَ إِلَى غَیْرِهِ».

وممّا لا شکّ فیه أنّ أعلى ما ورد من تعالیم الإسلام من العقائد والأحکام والقیم

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۴۶۲

الأخلاقیة، وردت فی القرآن الکریم، وأنّ سنّة النبیّ الأکرم صلى الله علیه و آله والمعصومین علیهم السلام بمثابة الشرح على فروع ومسائل تلک الأصول المبیّنة فی کتاب اللَّه، ومن هنا فالإمام یبتدیء فی تربیة ولده من القرآن الکریم، ویوحی لجمیع المسلمین أن ینتهجوا بتعلیم وتربیة أبنائهم هذا النهج من القرآن الکریم، حتّى لا یقعوا فریسة وساوس الشیاطین من الجنّ والإنس.

والمقصود من «تأویله» هو تفسیر القرآن، لأنّ القرآن الکریم یتضمّن بعض المواضیع المذکورة على سبیل الإجمال، فتحتاج لتوضیح وتفسیر النبیّ الأکرم صلى الله علیه و آله والإمام والعلماء والمطّلعون على عمق مدالیل النصّ القرآنیّ من خلال القرائن الحالیة والمقالیة، والمراد من «شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ» العقائد الإسلامیّة بقرینة ذکر الأحکام بعده، رغم أنّ الشرائع والشریعة تطلق على الأصول والفروع، وعبارة «حَلَالِهِ وَحَرَامِهِ» توضیح للأحکام، لأنّ العمدة فی الأحکام ما یتصّل بمسألة الحلال والحرام، رغم وجود أحکام أخرى من قبیل المستحبّات والمکروهات والأحکام الوضعیة أیضاً.

وجملة: «لَا أُجَاوِزُ ذَلِکَ بِکَ إِلَى غَیْرِهِ» إشارة إلى أنّنی أرى جمیع حقائق الدین بعیدة عن أیّ خطأ واشتباه فی القرآن الکریم، وبذلک لا اسلِمک لسلوک طرق مشکوکة فی العقائد والأحکام، لأنّنی أعلم أنّ الکثیر من المسلمین فی صدر الإسلام وبسبب نفوذ الأفکار الزائفة، انجذبوا نحو المذاهب الباطلة فی الأصول والفروع، وقد انعکس ذلک على تفسیرهم للآیات القرآنیة وأخذوا یفسّرون القرآن برأیهم وبالاستناد لتلک الذهنیة المشوّشة، وقد اتّجهوا فی معرفتهم لأحکام الإسلام نحو القیاس والاستحسان والاجتهادات الظنیة التی تفتقد للأساس المحکم والدعامة القویة، وفی المسائل الفرعیة وقعوا فی أخطاء واشتباهات کثیرة وغرقوا فی دوامة البدع. والعبارات اللاحقة فی کلام الإمام علیه السلام شاهد على هذه الحقیقة.

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۴۶۳

ثمّ إنّ الإمام علیه السلام یشیر إلى نقطة أخرى ویقول: «ثُمَّ أَشْفَقْتُ ۶۱۲] أَنْ یَلْتَبِسَ عَلَیْکَ مَا اخْتَلَفَ النَّاسُ فِیهِ مِنْ أَهْوَائِهِمْ وَآرَائِهِمْ مِثْلَ الَّذِی الْتَبَسَ عَلَیْهِمْ، فَکَانَ إِحْکَامُ ذَلِکَ عَلَى مَا کَرِهْتُ مِنْ تَنْبِیهِکَ لَهُ أَحَبَّ إِلَیَّ مِنْ إِسْلَامِکَ إِلَى أَمْرٍ لَاآمَنُ عَلَیْکَ بِهِ الْهَلَکَةَ».

وخلاصة کلام الإمام علیه السلام هو أنّنی فی هذه الوصیة بیّنت بالدلیل والبرهان زیف العقائد الباطلة والآراء الموهومة رغم أنّ طرح مثل هذه العقائد الباطلة وشبهات المنحرفین لیس محبّباً، ولکنّ الضرورة تستوجب أن أطرح مثل هذه المقولات وأُجیب عنها، لأنّ هذا العمل أفضل من أن أقوم بإخفائها والتستّر علیها، وربّما تبتلى أنت بها فی یوم من الأیّام ولا یمکنک الإجابة عنها.

إنّ هذا الهاجس یعیشه جمیع المعلّمین والمربّین من أهل العلم والاطّلاع، فإنّهم لو لم یطرحوا شبهات الضالّین فیخشى على الطرف المقابل ممّن یرومون تربیته وتعلیمه أن یقع یوماً فی شباک هذه الشبهات، ومن هذا المنطلق یسعون لعرض تلک الشبهات، وعلى الأقلّ المهمّ منها بشکل کلّی والإجابة عنه بشکل حاسم.

وهذه العبارة یمکن أن تکون استمراراً لکلام الإمام علیه السلام حیث یعود إلى القرآن الکریم وبیان أهمیته، فیقول: إنّنی استوحى من آیات القرآن الکریم الأدلّة والبراهین على بطلان هذه العقائد الفاسدة واقدّمها لک لئلّا تتورّط یوماً بشبهات الفاسدین والمفسدین.

ویحتمل أن تکون هذه العبارة جملة مستقلّة، یعنی مضافاً إلى أننی أرى لزوم تعلیمک کتاب اللَّه وتفسیره ومعرفة حلاله وحرامه وأحکامه، أرى أیضاً لزوم

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۴۶۴

الاستعانة بالبرهان والعقل لنقد الآراء الباطلة والعقائد الفاسدة لئلّا تسقط فی مصائد هؤلاء المنحرفین، وعبارة: «ثُمَّ أَشْفَقْتُ مع الأخذ

بالحسبان أنّ كلمة «ثمّ» إشارة لمطلب جديد، فإنّها تتناسب أكثر مع التفسير الثانى.

وعلى حدّ قول الشيخ مغنية فى شرحه لنهج البلاغة، أنّ تعبيرات الإمام عليه السلام فى هذا المقطع من الوصية يؤكّد مرّة أخرى على هذه الحقيقة، وهى أنّ الإمام عليه السلام لم يطرح هذه التوصيات من موقع كونه إماماً، وأنّ الإمام الحسن المجتبى عليه السلام بوصفه خليفة وإماماً بعده، بل بوصفه أباً شفيقاً فى مقابل ولده المحتاج للتعليم والتربية، لأنّه كما سبقت الإشارة إليه، أنّ الإمام الحسن عليه السلام كان قد بلغ من العمر فى ذلك الوقت أكثر من ثلاثين سنة، فهل يحتمل أن يكون الإمام علىّ عليه السلام قد غفل عن تعليم ولده القرآن إلى ذلك الوقت، ولم يطلعه على الآراء الباطلة والمذاهب الفاسدة؟ إنّ الإمام الحسن عليه السلام قد عاش أوّلًا فى أحضان والده، ثمّ بقى إلى جانبه كلّ هذه الأعوام الطويلة، مضافاً إلى استماعه لخطب والده الفصيحة والبليغة وما خصّه من علم ومعرفة وتعاليم إلهيّة أيضاً.

وفى آخر جملة من هذا المقطع من الوصية يبرز الإمام عليه السلام أمله فى أن تؤثّر هذه الوصايا أثرها بشكل كامل فى ولده ويقول: «وَرَجَوْتُ أَنْ يُوَفِّقَكَ اللَّهُ فِيهِ لِرُشْدِكَ ۶۱۳]، أَنْ يَهْدِيَكَ لِقَصْدِكَ ۶۱۴]، فَعَهِدْتُ إِلَيْكَ وَصِيَّتِى هَذِهِ».

ويستفاد من عبارة الإمام عليه السلام: «فَعَهِدْتُ إِلَيْكَ وَصِيَّتِى هَذِهِ ، أنّ ما تقدّم من الأقسام التسعة لهذه الوصية تمثّل فى الحقيقة مقدّمة لأصل الوصيّة، والغاية منها أن يستعدّ الابن بشكل كامل لتقبّل الوصايا الأصلية التى سيذكرها الإمام عليه السلام لاحقاً، فبدون التمهيد لها لا يمكن تحصيل النتائج المطلوبة المترتبة عليها.

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۴۶۵

القسم العاشر

اشارة

وَاعْلَمْ يَا بُنَىَّ أَنَّ أَحَبَّ مَا أَنْتَ آخِذٌ بِهِ إِلَيَّ مِنْ وَصِيَّتِى تَقْوَى اللَّهِ وَالاقْتِصَارُ عَلَى مَا فَرَضَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، وَالْأَخْذُ بِمَا مَضَى عَلَيْهِ الْأَوَّلُونَ مِنْ آبَائِكَ، الصَّالِحُونَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ، فَإِنَّهُمْ لَمْ يَدَعُوا أَنْ نَظَرُوا لِأَنْفُسِهِمْ كَمَا أَنْتَ نَاظِرٌ، وَفَكَّرُوا كَمَا أَنْتَ مُفَكِّرٌ، ثُمَّ رَدَّهُمْ آخِرُ ذَلِكَ إِلَى الْأَخْذِ بِمَا عَرَفُوا، وَالْإِمْسَاكِ عَمَّا لَمْ يُكَلَّفُوا، فَإِنْ أَبَتْ نَفْسُكَ أَنْ تَقْبَلَ ذَلِكَ دُونَ أَنْ تَعْلَمَ كَمَا عَلِمُوا فَلْيَكُنْ طَلَبُكَ ذَلِكَ بِتَفَهُّمٍ وَتَعَلُّمٍ، لَابِتَوَرُّطِ الشُّبُهَاتِ، وَعُلَقِ الْخُصُومَاتِ.

وَابْدَأْ قَبْلَ نَظَرِكَ فِى ذَلِكَ بِالْاسْتِعَانَةِ بِإِلَهِكَ، وَالرَّغْبَةِ إِلَيْهِ فِى تَوْفِيقِكَ، وَتَرْكِ كُلِّ شَائِبَةٍ أَوْلَجَتْكَ فِى شُبْهَةٍ، أَوْ أَسْلَمَتْكَ إِلَى ضَلَالَةٍ. فَإِنْ أَيْقَنْتَ أَنْ قَدْ صَفَا قَلْبُكَ فَخَشَعَ، وَتَمَّ رَأْيُكَ فَاجْتَمَعَ، وَكَانَ هَمُّكَ فِى ذَلِكَ هَمّاً وَاحِداً، فَانْظُرْ فِيمَا فَسَّرْتُ لَكَ، وَإِنْ لَمْ يَجْتَمِعْ لَكَ مَا تُحِبُّ مِنْ نَفْسِكَ، وَفَرَاغِ نَظَرِكَ وَفِكْرِكَ، فَاعْلَمْ أَنَّكَ إِنَّمَا تَخْبِطُ الْعَشْوَاءَ، وَتَتَوَرَّطُ الظَّلْمَاءَ. وَلَيْسَ طَالِبُ الدِّينِ مَنْ خَبَطَ أَوْ خَلَطَ وَالْإِمْسَاكُ عَنْ ذَلِكَ أَمْثَلُ.

الشرح والتفسير: الحذر من سلوك الطرق المشكوكة

يقدّم الإمام عليه السلام فى هذا المقطع من الوصيّة نصائح مهمّة لولده، وأولها وأهمّها التوصية بتقوى اللَّه والقناعة بامتثال الفرائض والأحكام البيّنة والواضحة واجتناب المسير فى الطرق المشكوكة والسُبل المشبوهة، يقول: «وَاعْلَمْ يَا بُنَىَّ أَنَّ أَحَبَّ مَا أَنْتَ آخِذٌ بِهِ إِلَيَّ مِنْ وَصِيَّتِى تَقْوَى اللَّهِ وَالاقْتِصَارُ عَلَى مَا فَرَضَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، وَالْأَخْذُ

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۴۶۶

بِمَا مَضَى عَلَيْهِ الْأَوَّلُونَ مِنْ آبَائِكَ، وَالصَّالِحُونَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ».

ولا۔ شکّ أنّ تقوى اللّه تعتبر على رأس الأولويات فى وصايا جميع أولياء اللّه والزاد والمتاع لمسيرة الإنسان إلى الآخرة وجواز دخول الجنّة والمعيار لجميع امتيازات الإنسان وفضائله الأخرى، وعلى ضوء ذلک وردت التوصية بالتقوى فى جميع خطب صلاة الجمعة والتأكيد عليها، والتقوى هى حالة الخشية القلبية من اللّه تعالى وتقبّل المسؤوليات الرسالية، ومن شأنها منع الإنسان من التلوّث بالذنوب والخطايا.

وجملة: «وَالاقْتِصَارُ عَلَى مَا فَرَضَهُ اللَّهُ عَلَيْکَ لا تعنى أن يقنع الإنسان بالإتيان بالواجبات ويترک المستحبّات والسنن، وهى ما سيأتى لاحقاً من اجتناب الأمور المسكوت عنها فى الشريعة والتى لا يعيش الإنسان المسؤولية تجاهها، أو لا يتيسّر تحقيقها وإنجازها بسهولة، أو يستحيل على الإنسان نيلها، من قبيل المعرفة بحقيقة الذات المقدّسة.

وجملة: «وَالصَّالِحُونَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِکَ إشارة إلى النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله والإمام علىّ عليه السلام وعبدالمطّلب وحمزة وأبى طالب وجعفر عليهم السلام.

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام يتعرّض لذكر الدليل على هذه الحقيقة، ويقول: «فَإِنَّهُمْ لَمْ يَدَعُوا أَنْ نَظَرُوا لِأَنْفُسِهِمْ كَمَا أَنْتَ نَاظِرٌ، وَفَكَّرُوا كَمَا أَنْتَ مُفَكِّرٌ، ثُمَّ رَدَّهُمْ آخِرُ ذَلِکَ إِلَى الْأَخْذِ بِمَا عَرَفُوا، وَالْإِمْسَاکِ عَمَّا لَمْ يُكَلَّفُوا».

وهذا الكلام أيضاً ناظر إلى أنّ الإنسان ينبغى أن يتحرّک على مستوى التحقيق فى المسائل المتعلّقة بالدين والتى لا يعذر فى الجهل بها، بل يجب على الجميع الإطّلاع عليها، وهناک بعض الأمور الخارجة عن قدرة الإنسان وقابليته الذهنية والعقلية، كمعرفة الذات المقدّسة، فلا۔ يوجد أىّ نبىّ مرسل قد توصّل إلى هذه الحقيقة، أو بعض الأمور التى وضعها اللّه تعالى عن عاتق المكلّفين بلطفه وكرمه تخفيفاً منه لعباده، ولكن ربّما يكون الإنسان مكلّفاً بها فى حالة الإصرار عليها من

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۴۶۷

قبيل ما ورد فى قصّة بنى اسرائيل فيما يتّصل بذبح بقرة خاصّة، فلو لم يصرّ بنو اسرائيل على معرفة الجزئيات والتفاصيل، كان يكفيهم ذبح أيّة بقرة، ولكن إصرارهم أكثر من اللازم أدّى إلى تكليفهم بذبح بقرة خاصّة وبأوصاف معيّنة وكان ذلک سبباً فى تورّطهم فى العسر والحرج.

وكذلک ما ورد فى مسألة الحجّ فى الحديث الشريف: خطب رسول اللّه صلى الله عليه و آله فقال:

«إنّ اللّهَ كَتَبَ عَلَيكُم الحجّ» فقام عكاشة بن محصن، ويروى سراقة بن مالک، فقال:

أفى كلّ عام يارسول اللّه، فأعرض (رسول اللّه) عنه، حتّى عاد مرّتين وثلاثاً، فقال رسول اللّه: «وَيحَکَ وما يُؤمِنکَ أنْ أقولَ: نَعم، وَاللّهِ لَو قُلتُ نَعم لَوجَبَتْ، وَلَو وَجَبَتْ ما اسْتَطَعْتُم وَلَو تَركتُم كَفَرتُم، فاترُكُونِى ما تَركتُكُم، فإنّما هَلکَ مَن كانَ قَبلَكُم بِكثرَةِ سُؤالِهم واختِلافهِم على أنبيائهِم، فإذا أَمَرتُكُم بِشَىْءٍ فأتُوا مِنهُ ما اسْتَطَعتُم، وإذا نَهَيتُكُم عَن شىءٍ فاجْتَنِبُوهُ»[۶۱۵].

ونقرأ فى حديث آخر عن الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام قال فى خطبة له: «إِنَّ اللَّهَ حَدَّ حُدُوداً فَلَا تَعْتَدُوهَا وَفَرَضَ فَرَائِضَ فَلَا تَنْقُصُوهَا وَسَكَتَ عَنْ أَشْيَاءَ لَمْ يَسْكُتْ عَنْهَا نِسْيَاناً فَلَا تَكَلَّفُوهَا رَحْمَةً مِنَ اللَّهِ لَكُمْ فَاقْبَلُوهَا»[۶۱۶].

ثمّ قال الإمام عليه السلام فى هذه الفقرة من الوصيّة: «فَإِنْ أَبَتْ نَفْسُکَ أَنْ تَقْبَلَ ذَلِکَ دُونَ أَنْ تَعْلَمَ كَمَا عَلِمُوا، فَلْيَكُنْ طَلَبُکَ ذَلِکَ بِتَفَهُّمٍ وَتَعَلُّمٍ، لَابِتَوَرُّطِ الشُّبُهَاتِ، وَعُلَقِ الْخُصُومَاتِ. وَابْدَأْ قَبْلَ نَظَرِکَ فِى ذَلِکَ بِالاسْتِعَانَةِ بِإِلَهِکَ، وَالرَّغْبَةِ إِلَيْهِ فِى تَوْفِيقِکَ، وَتَرْکِ كُلِّ شَائِبَةٍ أَوْلَجَتْکَ ۶۱۷] فِى شُبْهَةٍ، أَوْ أَسْلَمَتْکَ إِلَى ضَلَالَةٍ».

وعصارة كلام الإمام عليه السلام فى هذه الفقرة هى أنّ أمامک طريقين للوصول إلى

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۴۶۸

الحقّ، أحدهما: الطريق الذى سلكه السلف الصالح من أهل بيتک وبإمكانک الاستفادة من تجاربهم الكثيرة، فهؤلاء سلكوا طريقاً سهلًا وبعيداً عن الخطر نسبياً.

الطريق الثانی: الاجتهاد الشخصیّ فی المسائل والقضایا التی تواجهها فی میدان الحیاة، أی أن تدخل بنفسک المیدان، وتعمل علی تشخیص الحقّ من الباطل، وتسلک هذا الطریق بأربعة شروط:

الأوّل: أن تتمعّن فی کلّ أمرٍ وتتدبّر عاقبته بدقّة، والثانی: الابتعاد عن التورّط بالشبهات أو التمسّک بحالات التعصّب أو الخصومة، والثالث: أن تستعین باللَّه تعالی وتطلب منه أن یمدّ لک ید العون فی هذا المسیر، والرابع: أن تجتنب کلّ أمر مشکوک ربّما یقودک إلی التورّط فی الشبهات أو یجرّک إلی مهاوی الضلالة والانحراف.

ثمّ یبیّن الإمام علیه السلام فی إدامة کلامه هذه النقطة، وهی أنّ کلامی النافع والمثمر والمؤثّر لیس کافیاً، بل ینبغی توفّر الاستعداد والقابلیة علی التقبّل فی وجودک، فإنّ ذلک یعدّ من شروط التأثیر فی الکلام، وبعبارة أخری، کما أنّ فاعلیة الفاعل تعدّ شرطاً فی التأثیر، فإنّ قابلیة القابل کذلک، ومن هذه الجهة یهیّء الإمام علیه السلام قلب ولده وروحه بتقبّل هذه الوصایا ویقول:

«فَإِنْ أَیْقَنْتَ أَنْ قَدْ صَفَا قَلْبُکَ فَخَشَعَ، وَتَمَّ رَأْیُکَ فَاجْتَمَعَ، وَکَانَ هَمُّکَ فِی ذَلِکَ هَمّاً وَاحِداً، فَانْظُرْ فِیمَا فَسَّرْتُ لَکَ».

وبدیهیّ أنّ الأشخاص الذین یعیشون قلوباً مظلمة ومشحونة بحالات التعصّب والأهواء والشهوات، ویعیشون حالة التشتّت فی الفکر والذهن، فإنّهم تارة یفکّرون بحفظ مقامهم وأخری بفکر جمع الأموال، وثالثة بإشباع الرغبات الرخیصة وإرضاء النوازع النفسانیة، فمثل هؤلاء لا یقدرون علی الانتفاع من هذه المواعظ وإصلاح الخلل فی وجودهم وتعدیل مسارهم حتّی لو کان الواعظ لهم الإمام المعصوم، ومن هذه الجهة فإنّ الآیات القرآنیة التی لا شکّ فی تأثیرها القاطع والحاسم، إنّما تؤثّر علی جماعة تتوفّر فیهم حالة القبول، ولا تؤثّر فی الأشخاص الذین یعیشون

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۴۶۹

حالات العناد والخصومة، بل ربّما یکون لها أثر عکسی، ونقرأ فی الآیة ۱۲۴ و ۱۲۵ من سورة التوبة: «وَإِذا ما أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَّنْ یَقُولُ أَیُّکُم زادَتْهُ هذِهِ إِیماناً فَأَمَّا الَّذِینَ آمَنُوا فَزادَتْهُمْ إِیماناً وَهُمْ یَسْتَبْشِرُونَ* وَأَمَّا الَّذِینَ فِی قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزادَتْهُمْ رِجساً إِلَی رِجْسِهِمْ وَماتُوا وَهُمْ کافِرُون».

وکما یقول الشاعر:

بَقَدرِ الکدّ تُکتَسَبُ المَعالیوَمَنْ طَلبَ العُلی سَهَرَ اللیالی

یَغوصُ البحرَ مَنْ طلَب اللئالیویحظی بالسّیادةِ والنوالِ

ومَنْ طلبَ العُلی مِنْ غَیرِ کَدٍّأضاعَ العمرَ فِی طلبِ المُحالِ ۶۱۸]

ویستمرّ الإمام علیه السلام فی بیان توصیاته لولده ویقول: «وَإِنْ لَمْ یَجْتَمِعْ لَکَ مَا تُحِبُّ مِنْ نَفْسِکَ، وَفَرَاغِ نَظَرِکَ وَفِکْرِکَ، فَاعْلَمْ أَنَّکَ إِنَّمَا تَخْبِطُ الْعَشْوَاءَ[۶۱۹]، وَتَتَوَرَّطُ[۶۲۰] الظَّلْمَاءَ وَلَیْسَ طَالِبُ الدِّینِ مَنْ خَبَطَ أَوْ خَلَطَ، وَالْإِمْسَاکُ عَنْ ذَلِکَ أَمْثَلُ ۶۲۱]».

فالإمام علیه السلام هنا یحثّ ولده أن یشحذ همّته وإرادته لنیل النتیجة المطلوبة من هذه الوصیة ویبتعد مهما أمکن عن تشویش الخاطر والذهن، ویتحرّک بعزم جادّ وخطوات راسخة نحو المیدان، ویسلّم قلبه إلی کلام الإمام علیه السلام لیتسنّی له الوصول إلی برّ الأمان ومرفأ السعادة الأبدیة من خلال تجسید هذه الوصایا والمواعظ علی أرض الواقع النفسی والسلوکی، وفی غیر هذه الصورة فإنّ الإنسان یتعب نفسه بدون أن یحقّق المقصود وینال بغیته.

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۴۷۱

القسم الحادی عشر

اشارة

فَتَفَهَّمْ يَا بُنَيَّ وَصِيَّتِی، وَاعْلَمْ أَنَّ مَالِکَ الْمَوْتِ هُوَ مَالِکُ الْحَیَاةِ، وَأَنَّ الْخَالِقَ هُوَ الْمُمِیتُ، وَأَنَّ الْمُفْنِیَ هُوَ الْمُعِیدُ، وَأَنَّ الْمُبْتَلِیَ هُوَ الْمُعَافِی، وَأَنَّ الدُّنْیَا لَمْ تَکُنْ لِتَسْتَقِرَّ إِلَّا عَلَی مَا جَعَلَهَا اللَّهُ عَلَیْهِ مِنَ النَّعْمَاءِ، وَالْابْتِلَاءِ، وَالْجَزَاءِ فِی الْمَعَادِ، أَوْ مَا شَاءَ مِمَّا لَاتَعْلَمُ، فَإِنْ أَشْکَلَ عَلَیْکَ شَیْءٌ مِنْ ذَلِکَ فَاحْمِلْهُ عَلَی جَهَالَتِکَ، فَإِنَّکَ أَوَّلُ مَا خُلِقْتَ بِهِ جَاهِلًا ثُمَّ عُلِّمْتَ، وَمَا أَکْثَرَ مَا تَجْهَلُ مِنَ الْأَمْرِ، یَتَحَیَّرُ فِیهِ رَأْیُکَ، وَیَضِلُّ فِیهِ بَصَرُکَ ثُمَّ تُبْصِرُهُ بَعْدَ ذَلِکَ! فَاعْتَصِمْ بِالَّذِی خَلَقَکَ وَرَزَقَکَ وَسَوَّاکَ، وَلْیَکُنْ لَهُ تَعَبُّدُکَ، وَإِلَیْهِ رَغْبَتُکَ، وَمِنْهُ شَفَقَتُکَ.

الشرح والتفسیر: کلّ شیء من اللّه

یأمر الإمام علیه السلام بدایةً فی هذا المقطع من وصیّته لولده أن یتمعّن فیما یقوله له ویتفهّم ما یرد فی هذه الوصیّة، ویقول: «فَتَفَهَّمْ یَا بُنَیَّ وَصِیَّتِی».

وهذه الجملة فی الحقیقة تشیر إلی أهمیّة الموضوع الذی سیذکره الإمام علیه السلام لاحقاً حیث یتطلّب من المخاطب تحرّی الدقّة والتدبّر الجاد.

ثمّ یشیر الإمام علیه السلام إلی هذه الحقیقة، وهی أنّ کلّ ما فی هذا العالم من حیاة وموت، صحّة وسقم، حوادث حلوة ومرّة، نِعم وبلایا و ... کلّها من عند اللّه تبارک وتعالی الذی یدبّر الأمور بحکمته البالغة ومشیئته القاهرة، فلو لم یتعقّل الإنسان الحکمة من بعض الأمور والظواهر فی هذا العالم، فینبغی حملها علی قلّة اطّلاعه

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۴۷۲

وضآلة معلوماته، ویذعن لإرادة الحقّ ومشیئته، ویستسلم أمام قدرته وإرادته:

«وَاعْلَمْ أَنَّ مَالِکَ الْمَوْتِ هُوَ مَالِکُ الْحَیَاةِ، وَأَنَّ الْخَالِقَ هُوَ الْمُمِیتُ، وَأَنَّ الْمُفْنِیَ هُوَ الْمُعِیدُ، وَأَنَّ الْمُبْتَلِیَ هُوَ الْمُعَافِی».

هذا الکلام إشارة للتوحید الأفعالی وأنّ هذا العالم لیس له سوی مبدأ واحد ومؤثّر فارد: «لا مُؤَثِّرَ فِی الْوُجُودِ إِلَّا اللَّهُ» لا أنّ العالم یملک مبدأین مبدأ للخیر وآخر للشرّ، أو الیزدان والأهریمن کما یتصوّر الثنویون، وأساساً فإنّ الشرّ لا وجود له فی عالم الخلقة وکلّ ما هو موجود فهو خیر، أمّا الشرّ فأمر نسبیّ، علی سبیل المثال: لسع العقرب یعدّ وسیلة دفاعیة له فی مقابل أعدائه، مضافاً إلی أنّ سمّ الحشرات یحتوی علی دواء لشفاء بعض الأمراض، فمن هذه الجهة یکون هذا السمّ خیراً، ولو ابتلی أحد بلدغ العقرب أو بلدغ حشرة فإنّ هذا الشرّ ناشیء من جهله وعدم اطّلاعه علی الخطر.

ثمّ یشیر الإمام علیه السلام إلی عدم استقرار الدنیا واختلاط الجیّد والردیء والخیر والشرّ فیها، ویقول: «وَأَنَّ الدُّنْیَا لَمْ تَکُنْ لِتَسْتَقِرَّ إِلَّا عَلَی مَا جَعَلَهَا اللَّهُ عَلَیْهِ مِنَ النَّعْمَاءِ، وَالابْتِلَاءِ، وَالْجَزَاءِ فِی الْمَعَادِ، أَوْ مَا شَاءَ مِمَّا لَاتَعْلَمُ».

أجل، هذه طبیعة الدنیا التی خلقت بهذا الشکل وفقاً للحکمة الإلهیّة، لأنّ الإنسان إذا غرق دوماً فی النعمة والحبور فسوف یعیش الغفلة عن المصیر، وإذا ابتلی دوماً بالمشاکل والآلام فإنّ الیأس سیهیمن علی وجوده ویستولی علی فکره ویبتعد بذلک عن اللّه تعالی، ومن هنا فإنّ اللّه قد خلط بین هذین الأمرین لیعیش الإنسان حالات الیقظة والانتباه ویتحرّک فی مسیرة الحیاة المعنویة بالاستمداد من اللطف الإلهیّ.

وبما أنّ بعض الأفراد الجهّال یطلقون أحیاناً کلمات الاعتراض بسبب جهلهم وعدم اطّلاعهم علی الحکمة من حوادث العالم، یحذّر الإمام علیه السلام ولده ویقول: «فَإِنْ أَشْکَلَ عَلَیْکَ شَیْءٌ مِنْ ذَلِکَ فَاحْمِلْهُ عَلَی جَهَالَتِکَ، فَإِنَّکَ أَوَّلُ مَا خُلِقْتَ بِهِ جَاهِلًا ثُمَّ

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۴۷۳

عُلِّمْتَ، وَمَا أَکْثَرَ مَا تَجْهَلُ مِنَ الْأَمْرِ، یَتَحَیَّرُ فِیهِ رَأْیُکَ، وَیَضِلُّ فِیهِ بَصَرُکَ ثُمَّ تُبْصِرُهُ بَعْدَ ذَلِکَ».

وهذا یعنی أنّ الشخص الذی بإمکانه الاعتراض علی ما یشکل علیه هو الذی یعلم بجمیع الأمور ومطّلع علی کافّة التفاصیل، ویعرف فلسفة جمیع الحوادث والغرض منها، ثمّ یری أنّ أحد الأمور لا ـ تتوافق مع الحکمة والغرض من الخلقة فیحقّ له أن یفتح فمه

بالاعتراض ويضع علامات الاستفهام، فى حين أنّ الإنسان ليس كذلك، فمعلوماته بالنسبة لمجهولاته كالقطرة بالنسبة للبحر، فهو فى بداية عمره جاء إلى الدنيا ولا يعلم شيئاً، ثمّ تدريجياً يطّلع على بعض الأمور ويعلم ببعض المسائل، وما أكثر الأمور التى لا يعلم الحكمة والغرض منها فى بداية الأمر ثمّ بعد ذلك تبيّنت له الحكمة من هذا الشيء والغرض من هذه الظاهرة، فهل يحقّ للإنسان مع هذا العلم المحدود وهذا الكمّ القليل من المعلومات التى يمتلكها، أن يعترض على بعض الأمور التى لا يعلم الغرض منها؟

وفى ختام هذا المقطع من الوصيّة يأمر الإمام عليه السلام ولده بالتمسّك بالألطاف الإلهيّة والالتفات إلى الذات المقدّسة، فإنّه مفتاح للنجاة من كلّ هلكة، يقول: «فَاعْتَصِمْ بِالَّذِى خَلَقَكَ وَرَزَقَكَ وَسَوَّاكَ، وَلْيَكُنْ لَهُ تَعَبُّدُكَ، وَإِلَيْهِ رَغْبَتُكَ، وَمِنْهُ شَفَقَتُكَ».

هذه التوصيات الأربع القصيرة والزاخرة بالمضمون، تضمن قطعاً سعادة كلّ إنسان، فالاعتصام والتمسّك بالألطاف الإلهيّة والتوجّه إليه بالدعاء وطلب الحاجات والخشية من عقابه، كلّ ذلك يقود الإنسان نحو مرفأ السلامة وساحل النجاة.

وقوله: «الَّذِى خَلَقَكَ وَرَزَقَكَ وَسَوَّاكَ مقتبس من الآيات القرآنية الشريفة:

«الَّذِى خَلَقَ فَسَوَّى وَالَّذِى قَدَّرَ فَهَدَى وَالَّذِى أَخْرَجَ الْمَرْعَى [۶۲۲]، فبداية يشير إلى أمر الخلقة، ثمّ مسألة الرزق، ثمّ التسوية فى عملية الخلق، وتنظيم أجهزة الإنسان وأعضائه وقواه البدنية والروحية، فى حين أننا نعلم أنّ البداية هو الخلق ثمّ التسوية

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۴۷۴

ثمّ الرزق، ولكن مع الالتفات إلى أنّ العطف فى الواو لا يعنى دائماً الترتيب، فلا نواجه مشكلة فى تفسير هذه العبارة.

ويحتمل أيضاً أنّ نظر الإمام عليه السلام فى هذه العبارة مراحل تكامل الجنين ونموّ الطفل بعد ولادته، لأنّ النطفة عندما تستقرّ فى رحم الام فإنّها تتغذّى على الرزق الإلهيّ المتوفّر فى رحم الام بشكل متناسب، ثمّ يطوى الجنين مراحل تكامله واحدة بعد الأخرى إلى أن تحين ولادته، ويتبدّل غذاؤه من الدم فى الرحم إلى اللبن فى ثدى الام، وهكذا تنطوى مراحل التسوية والتكامل لمدّة طويلة، وعلى هذا الأساس يمكن القول أنّ الرزق الإلهيّ للإنسان يبدأ قبل طيّ مراحل التكامل والنموّ.

تأمّل: المقارنة بين علم الإنسان وجهله

لا شكّ أنّ الإنسان عندما يأتى إلى هذه الدنيا لا يعلم شيئاً من أمر الحياة، رغم أنّه يملك استعداداً عجيباً لتقبّل المعارف واستلهام المعلومات، ويشير القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة أيضاً: «وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهاتِكُمْ لَاتَعْلَمُونَ شَيْئاً»[۶۲۳].

ثمّ إنّ الإنسان يبدأ فى التعلّم من خلال ثلاث طرق:

۱. طريق التجربة التى تتّخذ أشكال اللعب اللهو فى مرحلة الطفولة.

۲. طريق التعليم والتربية من قِبل الوالدين والمعلم.

۳. طريق تفتّح العلوم الفطرية (فطرة التوحيد، الحسن والقبح العقليين، الأمور الوجدانية وأمثال ذلك) حيث تتجلّى يد القدرة الإلهيّة فى واقع الإنسان ووجدانه، وكلّما يتقدّم أكثر فى مسيرة الحياة فإنّه يدرك سعة مجهولاته أكثر فأكثر، على سبيل المثال أنّ علماء النجوم عندما كانوا ينظرون إلى الكواكب والنجوم فى السماء الفسيحة وبالوسائل الابتدائية، كانوا يرون مقداراً محدوداً من هذه النجوم

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۴۷۵

والكواكب، وكانت تفاصيلها غامضة ومجهولة، وعندما تطوّرت أجهزة الرصد شاهدوا المجرّات العظيمة فى الفضاء الفسيح وكلّ واحدة منها تتألّف من ملايين أو مليارات النجوم والكواكب، ومع اكتشاف مجرّة منها فإنّ عالماً من المجهولات يتجلّى لهؤلاء العلماء ويتحدّاهم، فلو استطعنا يوماً أن ننظر إلى بعض هذه النجوم بدقّة كاملة بواسطة التلسكوب، فإنّ عالماً من المجهولات يتجلّى لنا بالنسبة لهذه الكوكب، وعلى ضوء ذلك فكلّما يتقدّم العلم وتتطوّر الأجهزة التقنية فإنّ افق معلوماتنا يتضاءل أمام جبل مجهولاتنا إلى أن يصل بنا الأمر إلى حدٍّ يقول عنه أحد الفلاسفة: «بلغت من العلم إلى مرتبة بحيث إنّنى علمت بأنّنى لا أعلم».

ولو رجعنا إلى القرآن الكريم وتدبّرنا الآيات التى تشير إلى علم اللَّه تعالى المحيط بعالم الوجود، تقول الآية: «وَلَوْ أَنَّما فِی الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ یَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ ما نَفِدَتْ کَلِماتُ اللَّهِ»[۶۲۴].

وفى هذا السياق يقول القرآن الكريم فى مورد آخر: «وَما أُوتیتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلیلًا»[۶۲۵].

يقول العالم الفيزيائى المعروف أنشتاين: إذا اجتمعت جميع علوم البشر منذ اليوم الأوّل ولحدّ الآن فى مكتبة شاملة ووضعناها فى مقابل مجهولات البشر فإنّ مقدار هذه المكتبة تكون بالنسبة لتلك المجهولات بمثابة صفحة واحدة من كتاب ضخم.

ومن هنا ندرك جيّداً من خلال النتيجة التى ذكرها الإمام عليه السلام فى العبارة أعلاه، أننا لو واجهنا بعض الأسئلة وعلامات الاستفهام بالمسائل المتعلّقة بالمبدأ والمعاد وأسرار الحياة ولم نعثر على جواب، فينبغى حمل ذلك على جهلنا وقصور معلوماتنا ولا نطلق ألستنا بالإنكار والاعتراض، وهذه هى الحقيقة المؤيّدة من قِبل العقل والمنطق.

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۴۷۷

القسم الثانی عشر

اشارة

وَاعْلَمْ یَا بُنَیَّ أَنَّ أَحَداً لَمْ یُنْبِئْ عَنِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ کَمَا أَنْبَأَ عَنْهُ الرَّسُولُ صلی الله علیه و آله فَارْضَ بِهِ رَائِداً، وَإِلَی النَّجَاةِ قَائِداً، فَإِنِّی لَمْ آلُکَ نَصِیحَةً. وَإِنَّکَ لَنْ تَبْلُغَ فِی النَّظَرِ لِنَفْسِکَ- وَإِنِ اجْتَهَدْتَ- مَبْلَغَ نَظَرِی لَکَ.

الشرح والتفسير: اجعل من النبیّ الأكرم صلی الله علیه و آله مرشداً لک

يتحرّك الإمام عليه السلام فى هذا المقطع من وصيّته لإبنه العزيز مشيراً إلى نقطتين مهمّتين، الاولى: أنّ نبىّ الإسلام صلی الله علیه و آله خير دليل وأفضل قائد يقود الإنسان فى طريق الصلاح والنجاح، والآخر: أنّ والده أميرالمؤمنين عليه السلام لم يألُ جهداً فى هدايته وإرشاده، ومن هذا المنطلق ينبغى عليه الإصرار فى هذا المسير اتّباعاً لهدى هذين القائدين.

يقول عليه السلام: «وَاعْلَمْ یَا بُنَیَّ أَنَّ أَحَداً لَمْ یُنْبِئْ عَنِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ کَمَا أَنْبَأَ عَنْهُ الرَّسُولُ صلی الله علیه و آله فَارْضَ بِهِ رَائِداً[۶۲۶]، وَإِلَی النَّجَاةِ قَائِداً».

وهذا التعبير يشير إلى أنّ الوحى السماوى الذى نزل على النبىّ الأكرم صلی الله علیه و آله يمثّل عصارة جميع تعاليم الوحى النازل على الأنبياء السابقين، ففى تلك الأعصار كان الوحى السماوى ينزل على الأنبياء السابقين وفقاً لقابليات أقوامهم ومتناغماً مع

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۴۷۸

ثقافة وعقلية ذلك العصر، ولكن فى عصر خاتم الأنبياء فقد نزل آخر خطاب إلهىّ للبشرية كافّة على قلبه المبارك.

إنّ المقارنة بين القرآن الكريم والتوراة و الإنجيل الحاليين (رغم امتداد يد التحريف إليهما) شاهد ناطق على هذا التفاوت العظيم، فبالنسبة لمعرفة اللَّه وأدلّة التوحيد والصفات الإلهيّة فإنّ القرآن الكريم طرح قضايا هامة على هذا الصعيد لا توجد فى أىّ من الكتب السماوية الأخرى، بل حتّى لا يوجد فيها عُشر معشارها، وبالنسبة للمسائل المتعلّقة بالمعاد، وعلى حدّ قول بعض المحقّقين يوجد ألفى آية فى القرآن تتحدّث عن المعاد وتفاصيله وحالاته، فالقرآن الكريم تحدّث فى هذا المجال بحيث لا يمكن تصوّر كلام آخر فى هذا الشأن، وفى البحوث الأخلاقية والاجتماعية والسياسية والمسائل التى تتصّل بالحكومة وتاريخ القدماء، فالقرآن الكريم زاخر بهذه البحوث، ومن هنا يستوحى الإمام عليه السلام دليله فى كلامه المذكور أعلاه ويقول: لا يوجد أحد كالنبىّ الأكرم صلی الله علیه و آله بيّن للناس تعاليم الوحى السماوى والمعارف الإلهيّة بهذه الصورة اليانعة، ولهذا ينبغى عليك أن تتمسّك بهذا القائد والمرشد بوصفه

أفضل مرشد لطريق الخير والصلاح فی واقع الحیاة.

وینبغی الالتفات إلی أنّ مفردة «رائد» فی الأصل تعنی الشخص الذی یذهب للبحث عن المرتع والماء للماشیة والدوابّ، وعندما یکتشف وجود ماء وکلأ یعود لیخبر قومه، ثمّ توسّعوا فی استخدام هذه الکلمة وأطلقوها علی الأشخاص الذین یمسکون بمقالید الأمور فی حیاة الناس.

«القائد» فی الأصل بمعنی الشخص الذی یمسک زمام الناقة ویقودها فی المسیر، ثمّ اطلق علی کلّ مَن یقود طائفة من البشر.

ویواصل الإمام علیه السلام تقسیم نصیحته لولده ویقول: «فَإِنِّی لَمْ آلُکَ ۶۲۷] نَصِیحَةً. وَإِنَّکَ

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۴۷۹

لَنْ تَبْلُغَ فِی النَّظَرِ لِنَفْسِکَ- وَإِن اجْتَهَدْتَ- مَبْلَغَ نَظَرِی لَکَ».

إنّ هدف الإمام علیه السلام من هذا الکلام حثّ ولده لتقبّل هذه النصائح والالتزام الواعی بها من خلال تقدیم دلیلین: أحدهما: أنّ الإمام، وبسبب شفقته ومحبّته الشدیدة له، لم ولن یدع رأیاً نافعاً ونظراً مفیداً لولده إلّاوذکره، والآخر: أنّ ولده شابّ لا یمکن أن یحیط بالأمور کإحاطة والده الإمام علیّ علیه السلام، ومن هنا قیل: إنّ ما یراه الشاب فی المرآة، یراه الشیخ فی الآجر الخام.

***

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۴۸۱

القسم الثالث عشر

اشارة

وَاعْلَمْ یَا بُنَیَّ أَنَّهُ لَوْ کَانَ لِرَبِّکَ شَرِیکٌ لَأَتَتْکَ رُسُلُهُ، وَلَرَأَیْتَ آثَارَ مُلْکِهِ وَسُلْطَانِهِ، وَلَعَرَفْتَ أَفْعَالَهُ وَصِفَاتِهِ، وَلَکِنَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ کَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ لَا یُضَادُّهُ فِی مُلْکِهِ أَحَدٌ، وَلَا یَزُولُ أَبَداً وَلَمْ یَزَلْ. أَوَّلٌ قَبْلَ الْأَشْیَاءِ بِلَا أَوَّلِیَّةٍ، وَآخِرٌ بَعْدَ الْأَشْیَاءِ بِلَا نِهَایَةٍ. عَظُمَ عَنْ أَنْ تَثْبُتَ رُبُوبِیَّتُهُ بِإِحَاطَةِ قَلْبٍ أَوْ بَصَرٍ. فَإِذَا عَرَفْتَ ذَلِکَ فَافْعَلْ کَمَا یَنْبَغِی لِمِثْلِکَ أَنْ یَفْعَلَهُ فِی صِغَرِ خَطَرِهِ، وَقِلَّةِ مَقْدِرَتِهِ، وَکَثْرَةِ عَجْزِهِ، و عَظِیمِ حَاجَتِهِ إِلَی رَبِّهِ، فِی طَلَبِ طَاعَتِهِ، وَالْخَشْیَةِ مِنْ عُقُوبَتِهِ، وَالشَّفَقَةِ مِنْ سُخْطِهِ: فَإِنَّهُ لَمْ یَأْمُرْکَ إِلَّا بِحَسَنٍ، وَلَمْ یَنْهَکَ إِلَّا عَنْ قَبِیحٍ.

الشرح والتفسیر: الإیمان بالواحد الأحد

یتحدّث الإمام علیه السلام فی هذه الفقرة من الوصیّة عن أحد أدلّة التوحید الذی یمثّل الرکن الأساس والعمود الفقری لجمیع منظومة الدین، یقول: «وَاعْلَمْ یَا بُنَیَّ أَنَّهُ لَوْ کَانَ لِرَبِّکَ شَرِیکٌ لَأَتَتْکَ رُسُلُهُ، وَلَرَأَیْتَ آثَارَ مُلْکِهِ وَسُلْطَانِهِ، وَلَعَرَفْتَ أَفْعَالَهُ وَصِفَاتِهِ».

ویستعرض الإمام علیه السلام فی قراءة سریعة، الدلیل علی نفی الشریک وإثبات التوحید بثلاثة أمور:

الأوّل: إذا کان للّهشریک فلابدّ أن یکون حکیماً، والإله الحکیم یجب أن یعرّف نفسه لعباده ویکشف لهم عن تعالیمه وأحکامه بواسطة الأنبیاء الذین یرسلهم

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۴۸۲

للناس، فی حین أنّ جمیع الأنبیاء دعوا الناس لإله واحد، والآیات القرآنیة والنصوص السماویة شاهد علی هذا المطلب.

ومن جهة أخری فلو کان هناک إله آخر فیلزم من ذلک أن تظهر آثار ملکه وسلطانه وقدرته علی هذا العالم، فی حین أنّنا مهما دقّقنا النظر فی ظواهر هذا العالم فسنجد الوحدة والانسجام التامّ مهیمناً علی جمیع أرکانه، وهذه الوحدة والتجانس من نواة الذرّة إلی

المجرّات العظيمة، كلّها تسير وفق قانون واحد وتتحرّك وفق نظام متجانس ومنسجم، وهذا دليل على وحدة الخالق جلّ وعلا.
ثمّ إنّ الإمام عليه السلام يشير فى سياق حديثه إلى سبع صفات من صفات البارى تعالى، بداية يقول: «وَلَكِنَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ».
وهذه الصفة للذات المقدّسة تقع نتيجة الاستدلال الذى تقدّم به الإمام عليه السلام آنفاً من أنّه لو كان هناك معبود آخر غير اللّه تعالى لأرسل رسوله للناس وتجلّت آثار ملكه وسلطانه فى جميع أرجاء الكون والطبيعة، ولرأيت أفعاله وصفاته منعكسة على مرآة الخلقة والطبيعة، وبما أنّ الأمر ليس كذلك فنستنتج أنّه إله واحد.
أضف إلى ذلك أنّ اللّه تعالى فى القرآن الكريم وصف نفسه مرّات عدّة بالواحد الأحد، كما ورد نموذج من ذلك فى سورة التوحيد، وبما أنّ اللّه صادق ولا يعقل فى كلامه الكذب والغشّ والزيف، والتى هى حالات ناشئة من الحاجة والعجز واتّباع الأهواء، فلذلك يمكننا الاستناد لإثبات هذه الصفة وسائر الصفات على الأدلّة السمعيّة، أى الآيات والروايات القطعية.
الصفة الثانية يقول الإمام عليه السلام: «لَا يُضَادُّهُ فِى مُلْكِهِ أَحَدٌ».
وهذا هو التوحيد فى الحاكمية، الذى هو فرع من التوحيد الأفعالى، فالمالك واحد والحاكم واحد أيضاً، والدليل على ذلك واضح، لأنّه عندما نعتقد بأنّ اللّه هو الخالق، فمن الطبيعىّ أن يكون هو المالك والحاكم لا غير، وبخاصّة أنّ خالقية اللّه مستمرّة وفيضه دائم، يعنى أننا نُخلق لحظة بعد أخرى مثل ضوء القنديل أو السراج،
نفحات الولاية، ج ۹، ص: ۴۸۳
فلو انقطع ارتباطه بمع منبع الطاقة، فسوف ينطفىء، أجل إنّ اللّه تعالى خالق فى كلّ يوم وكلّ لحظة، إذن فهو الحاكم والمالك دوماً وأبداً.
ثمّ تحرّك الإمام عليه السلام لبيان الصفة الثالثة والرابعة ويقول: «وَلَا يَزُولُ أَبَداً وَلَمْ يَزَلْ».
والدليل على ذلك واضح، لأننا نعلم أنّ اللّه واجب الوجود، وأنّ واجب الوجود حقيقة ينبع وجودها من ذاتها إذا صحّ التعبير، وعلى هذا الأساس فإنّ هذا الوجود أزلىٌّ، ويجب أن يكون أبديّاً أيضاً، والموجودات حادثة لا تستقى وجودها من ذاتها، بل من موجود آخر، وسائر الموجودات فانية لأنّ وجودها لا ينبع من ذاتها بل يصل إليها الوجود من خارج ذاتها.
وتأسيساً على ذلك يمكن استنباط الصفة الخامسة والسادسة ممّا تقدّم آنفاً، يقول الإمام عليه السلام: «أَوَّلٌ قَبْلَ الْأَشْيَاءِ بِلَا أَوَّلِيَّةٍ، وَآخِرٌ بَعْدَ الْأَشْيَاءِ بِلَا نِهَايَةٍ».
وهاتان الصفتان من لوازم أزلية وأبدية الذات المقدّسة، وناشئة من كون اللّه تعالى واجب الوجود.
وفى الصفة السابعة والأخيرة يقول الإمام عليه السلام: «عَظُمَ عَنْ أَنْ تَثْبُتَ رُبُوبِيَّتُهُ بِإِحَاطَةِ قَلْبٍ أَوْ بَصَرٍ».
والدليل على ذلك بيّن، فربوبية الذات المقدّسة أزلية وأبدية ولا بداية لها ولا نهاية، وأنّها تحيط بعالم الوجود بجميع أبعاده وآفاقه الممتدّة، وعلى ضوء ذلك فإنّ هذه الربوبية الواسعة لا ـ يمكن مشاهدتها بالعين، ولا تصوّرها بالذهن، لأنّ ربوبيته غير محدودة، واللامحدود لا يمكن الإحاط به بفكر الإنسان المحدود.
وبعد أن يبيّن الإمام عليه السلام عظمة اللّه تعالى وتوحيده وأزليته وأبديته وإحاطة ربوبيته على جميع الكائنات فى عالم الوجود، يواصل كلامه فى وصيته لولده وينبّهه لصغره وضعفه وحاجاته الكثيرة فى مقابل قدرة اللّه المطلقة، ويقول: «فَإِذَا عَرَفْتَ
نفحات الولاية، ج ۹، ص: ۴۸۴
ذَلِكَ فَافْعَلْ كَمَا يَنْبَغِى لِمِثْلِكَ أَنْ يَفْعَلَهُ فِى صِغَرِ خَطَرِهِ ۶۲۸]، وَقِلَّةِ مَقْدِرَتِهِ وَكَثْرَةِ عَجْزِهِ، و عَظِيمِ حَاجَتِهِ إِلَى رَبِّهِ».
إنّ الصفات الأربع التى يصف بها الإمام عليه السلام ولده قابلة للتطبيق على جميع أفراد البشر، فكلّ إنسان فى مقابل اللّه تعالى صغير وحقير وضعيف وكثير الحاجات إلى ربّه، ولكن بشرط أن يعرف الإنسان ذلك فى نفسه ولا يغفل عن هذه الحقيقة، وإلّا فإنّه سيخرج

عن طريق العبودية ويسلك سبيل الطغيان والغرور، أجل فإنّ معرفة عظمة اللَّه تعالى من جهة، ومعرفة صغر النفس وحقارتها فى مقابل الذات المقدّسة من جهة أخرى سبب وعامل أساس فى السير فى خطّ العبودية والطاعة، ونسيان هذه الحقيقة يعتبر منشأ الطغيان والظلم والعدوان.

يقول القرآن الكريم: «وَلا تَكُونُوا كَالَّذينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْساهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولئِكَ هُمُ الْفاسِقُون»[۶۲۹].

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام يبيّن معالم الطريق لولده وفلذّة كبده وكيفية الإتيان بالأعمال الصالحة ويقول: «فِى طَلَبِ طَاعَتِهِ، وَالْخَشْيَةِ مِنْ عُقُوبَتِهِ، وَالشَّفَقَةِ مِنْ سُخْطِهِ: فَإِنَّهُ لَمْ يَأْمُرْكَ إِلَّا بِحَسَنٍ، وَلَمْ يَنْهَكَ إِلَّا عَنْ قَبِيحٍ».

ويلخّص الإمام عليه السلام فى هذا الكلام العمل الصالح فى ثلاثة أمور: الطاعة للَّه، والخشية من عقوبته، والشفقة من غضبه وسخطه.

وبديهىّ أنّ الخشية والإشفاق فى مقابل عقوبة اللَّه وسخطه يبعثان على الطاعة، ومن هنا فالإمام فى البداية يشير إلى طاعة اللَّه تعالى، ثمّ يؤكّد على الدوافع والبواعث النفسية لتحقيق تلك الطاعة، وأمّا الفرق بين الخشية والإشفاق فكما أشرنا

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۴۸۵

أنّ الخشية تعنى الخوف، ولكنّ الإشفاق أو الشفقة هى الخوف المقترن بالأمل والرجاء، وعلى ضوء ذلك، فالخوف من العقاب الإلهىّ ليس كالخوف من الحوادث المخوفة التى يفقد الإنسان فيها الأمل، بل هو خوف مقترن بالأمل بلطف اللَّه وعطفه وكرمه.

والمفهوم من جملة: «فَإِنَّهُ لَمْ يَأْمُرْكَ ...» أنّك لا تحسب أنّ إطاعتك للَّه‌تعالى ستضيف شيئاً لجلاله وعظمته، أو أنّ اللَّه تعالى يحتاج إلى هذه الطاعة، على العكس، فأنت المحتاج له، لأنّه قد أمرك بما يحقّق لك سعادتك ونهاك عن القبائح والرذائل التى تقودك فى دروب الشقاء والمسكنة والذلّة.

وهذه العبارة دليل بيّن على الحسن والقبح العقليين، وللأسف فإنّ جماعة من المسلمين، الذين ابتعدوا عن مدرسة أهل البيت عليهم السلام والتمسك بالكتاب والعترة، تحرّكوا فى هذه المسألة من موقع الإنكار والمخالفة، وأنكروا هذه المسألة البديهية والعقلية بسبب بعض البواعث والدوافع السقيمة.

تأمّلان

۱. العلاقة بين الآيديولوجية والرؤية الكونية

فى هذا المقطع من الرسالة، وبعد أن يبيّن الإمام عليه السلام سلسلة من الحقائق فيما يتّصل بالذات المقدّسة والصفات الالوهية، ويبيّن عجز وضعف الإنسان وقصوره عن الإحاطة بالعلوم والمعارف الأنفسية والآفاقية، يستنتج الإمام عليه السلام أنّه ينبغى على الإنسان أن يتحرّك فى خطّ العبادة والعبودية بما يليق بمقام الالوهية وبعظمة الذات المقدّسة وصغر الإنسان.

وهذا يعنى أنّ تكاليف الإنسان مرتبطة بشكل وثيق مع الحقائق الموضوعية، أى أنّ القوانين تنطلق دائماً من قلب الحقائق، وأنّ ما ينبغى وما لا ينبغى وليد الوجود والعدم، وبعبارة أخرى، أنّنا نستنبط من هذه المعرفة والحقائق الموجودة فيما يتّصل بغنى اللَّه وفقر الإنسان، لزوم عبادته والامتثال لأوامره وتطبيق أحكامه، وهذا هو البحث المهم الذى يطرح عادة فى موضوع الارتباط بين الآيديولوجية والرؤية

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۴۸۶

الكونية وحيث يطرح هذا التساؤل: هل هناك ثمّة ارتباط بينهما؟

إنّ الرؤية الكونية هى عبارة عن المعرفة بالحقائق، والآيديولوجية فى هذا المورد تعنى الأحكام والقوانين الناتجة باعتقادنا من قلب هذا العالم والحقائق الموجودة فى الطبيعة.

ومن هنا يتبيّن الجواب عن شبهة من يقول: إنّ الأحكام الشرعية أمور اعتبارية ولا ترتبط بالحقائق أو الأمور التكوينية، فالإمام عليه

السلام فى هذا المقطع من الوصيّة يشطب بخطّ البطلان على هذه الشبهة، لأنّ الفصل بين هذين الأمرين يلغى أىّ اعتبار للأحكام الشرعية، فالحكم إنّما يكون له قيمة إذا كان مرتبطاً بالحقائق الموضوعية، وهذه هى فلسفة الأحكام التى تمنحها اعتباراً وقيمة، وهذه العلاقة الوطيدة بين الحكم الشرعىّ والحقيقة الموضوعيّة هى التى تعمل على تجسيد الحكم وترسيخه.

والأحكام التعبّدية أيضاً غير مستثناة من هذا القانون، فجميع هذه الأحكام تتوافق مع المصالح والمفاسد الواقعية، رغم أنّنا أحياناً لا نعرف الحكمة منها، لأنّه فى غير هذه الصورة نواجه الترجيح بلا مرجّح، وعلماء الشيعة جميعاً يتّفقون على هذا لرأى.

والآيات القرآنية والروايات الشريفة أيضاً تصرّح بوجود مثل هذه العلاقة بين الأحكام الشرعية والواقع الموضوعى.

مثلًا، نقرأ فى القرآن الكريم فى سورة المائدة: «يـا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصابُ وَالْأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ* إِنَّما يُريدُ الشَّيْطانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَداوَةَ وَالْبَغْضاءَ فِى الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُّنْتَهُونَ»[۶۳۰]، وهكذا نرى أنّ اللَّه تعالى فى هذه الآيات الكريمة بعد يبيّن موارد الضرر الواقعى للأرجاس، كالخمر و القمار، ويذكّر

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۴۸۷

المسلمين أنّ هذه الأمور من عمل الشيطان، ويبيّن الحكم الواقعى لها وينهى المؤمنين عن ارتكاب شرب الخمر والميسر، ثمّ يستعرض مرّة أخرى الحقائق الموضوعية التى تساهم فى تحقيق السعادة للإنسان وأنّ عمل الشيطان فى الحقيقة هو إثارة العداوة والبغضاء والابتعاد عن ذكر اللَّه وترك الصلاة.

وبالنسبة للصوم ورد أيضاً: «صُومُوا تَصِحُّوا»[۶۳۱] وفى مورد آخر يبيّن القرآن الغاية من الصوم ويقول: «لَعَلَّكُمْ تَتَّقُون»[۶۳۲].

وفى الحقيقة أنّ جميع الروايات الشريفة الواردة فى باب علل الشرائع، تعدّ دليلًا واضحاً على هذا المدّعى.

۲. بداية الخلقة ودوام الفيض

رأينا فى كلمات الإمام عليه السلام الناطقة فى هذا المقطع من الرسالة أنّ الذات المقدّسة تعتبر مبدأ كلّ شىء بدون بداية لها، ونهاية كلّ شىء بدون نهاية لها، ويصطلح على هذا المفهوم الأزلية والأبدية، وهنا يفرض هذا السؤال نفسه: هل أنّ للمخلوقات حدوثاً زمانياً؟ يعنى أنّ اللَّه فى زمان كان موجوداً ولم تكن المخلوقات موجودة (وطبعاً التعبير بالزمان هنا من باب التسامح، لأنّ الزمان بنفسه إمّا مخلوق أو نتيجة حركة المخلوقات) كما ورد فى بعض العبارات: «كانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ شَىْءٌ»[۶۳۳] فإذا كان الأمر كذلك فإنّ مسألة دوام الفيض يواجه مشكلة هنا، لأنّ مفهوم هذا الكلام أنّ اللَّه تعالى كان فيّاضاً منذ البدء إلّاأنّه كان متوقّفاً عن الفيض، فى حين أن الفيض ملازم للذات المقدّسة وعدم الفيض يعدّ نقصاً.

والجواب على هذا السؤال: إنّ العالم له حدوث ذاتىّ، يعنى إذا قلنا بوجود

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۴۸۸

المخلوقات دائماً وأبداً، فذلك المخلوق بدوره يستند فى وجوده إلى الذات المقدّسة ومرتبط بالقدرة الإلهيّة، لا أنّه واجب الوجود، كما أنّ نور الشمس مرتبط بشكل وثيق بالشمس، فإذا كانت الشمس موجودة دائماً وتشعّ بنورها فى كلّ آن، فمع ذلك تعتبر الشمس أصلًا ونورها فرعاً.

وبعبارة أخرى أنّ كلمة «مع» فى جملة «كانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ شَىءٌ» تبيّن هذه الحقيقة وهى أنّ اللَّه تعالى كان منذ الأزل ولم يكن معه شيء بنفس المستوى وبذات الكينونة (لا بواسطته).

***

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۴۸۹

القسم الرابع عشر

اشارة

يَا بُنَيَّ إِنِّى قَدْ أَنْبَأْتُكَ عَنِ الدُّنْيَا وَحَالِهَا، وَزَوَالِهَا وَانْتِقَالِهَا، وَأَنْبَأْتُكَ عَنِ الْآخِرَةِ وَمَا أُعِدَّ لِأَهْلِهَا فِيهَا، وَضَرَبْتُ لَكَ فِيهِمَا الْأَمْثَالَ، لِتَعْتَبِرَ بِهَا وَتَحْذُوَ عَلَيْهَا. إِنَّمَا مَثَلُ مَنْ خَبَرَ الدُّنْيَا كَمَثَلِ قَوْمٍ سَفْرٍ نَبَا بِهِمْ مَنْزِلٌ جَدِيبٌ، فَأَمُّوا مَنْزِلًا خَصِيباً وَجَنَاباً مَرِيعاً، فَاحْتَمَلُوا وَعْثَاءَ الطَّرِيقِ، وَفِرَاقَ الصَّدِيقِ، وَخُشُونَةَ السَّفَرِ، وَجُشُوبَةَ المَطْعَمِ، لِيَأْتُوا سَعَةَ دَارِهِمْ، وَمَنْزِلَ قَرَارِهِمْ، فَلَيْسَ يَجِدُونَ لِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ أَلَماً، وَلَا يَرَوْنَ نَفَقَةً فِيهِ مَغْرَماً. وَلَا شَيْءَ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِمَّا قَرَّبَهُمْ مِنْ مَنْزِلِهِمْ، وَأَدْنَاهُمْ مِنْ مَحَلَّتِهِمْ. وَمَثَلُ مَنِ اغْتَرَّ بِهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ كَانُوا بِمَنْزِلٍ خَصِيبٍ، فَنَبَا بِهِمْ إِلَى مَنْزِلٍ جَدِيبٍ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهَ إِلَيْهِمْ وَلَا أَفْظَعَ عِنْدَهُمْ مِنْ مُفَارَقَةِ مَا كَانُوا فِيهِ، إِلَى مَا يَهْجُمُونَ عَلَيْهِ، وَيَصِيرُونَ إِلَيْهِ.

الشرح والتفسير: السالكون طريق الآخرة

ينطلق الإمام عليه السلام فى هذا المقطع من الوصيّة لبيان مكانة الدنيا والآخرة فى منظار المتألّهين من خلال مثالين جميلين، ويقول: «يَا بُنَيَّ إِنِّى قَدْ أَنْبَأْتُكَ عَنِ الدُّنْيَا وَحَالِهَا، وَزَوَالِهَا وَانْتِقَالِهَا، وَأَنْبَأْتُكَ عَنِ الْآخِرَةِ وَمَا أُعِدَّ لِأَهْلِهَا فِيهَا، وَضَرَبْتُ لَكَ فِيهِمَا الْأَمْثَالَ، لِتَعْتَبِرَ بِهَا، وَتَحْذُوَ عَلَيْهَا».

إنّ للأمثلة دور مهم جدّاً فى فهم وإدراك المسائل المعقّدة والمفاهيم الغامضة سواء العقلية منها أو الحسّية، فيستطيع المخاطب من خلال المثال فهم هذه المسائل

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۴۹۰

من موقع العمق والوضوح فى الرؤية، وبذلك يتمّ تشويقه وحثّه لأداء الأعمال المفيدة والخيرة والابتعاد عن الرذائل والقبائح.

والقرآن الكريم يستخدم كثيراً الأمثلة الجميلة والعميقة المغزى، حيث تشكّل الأمثلة قسماً مهماً من الآيات القرآنية، ونرى فى كلمات أميرالمؤمنين عليه السلام فى نهج‌البلاغة أمثلة كثيرة وذات معانٍ عميقة أوردها الإمام عليه السلام فى خطبه ووصاياه بغاية الفصاحة والبلاغة.

بعد أن يذكرالإمام عليه السلام هذه المقدّمة يستعرض مثالين للدنيا والآخرة فيقول أوّلًا:

«إِنَّمَا مَثَلُ مَنْ خَبَرَ[۶۳۴] الدُّنْيَا كَمَثَلِ قَوْمٍ سَفْرٍ[۶۳۵] نَبَا بِهِمْ مَنْزِلٌ جَدِيبٌ ۶۳۶]، فَأَمُّوا[۶۳۷] مَنْزِلًا خَصِيباً[۶۳۸] وَجَنَاباً[۶۳۹] مَرِيعاً[۶۴۰]، فَاحْتَمَلُوا وَعْثَاءَ[۶۴۱] الطَّرِيقِ، وَفِرَاقَ الصَّدِيقِ، وَخُشُونَةَ السَّفَرِ، وَجُشُوبَةَ[۶۴۲] المَطْعَمِ، لِيَأْتُوا سَعَةَ دَارِهِمْ، وَمَنْزِلَ قَرَارِهِمْ».

فأهل الآخرة يعلمون أنّهم فى سفر وأنّ ما يواجهونه من أتعاب وآلام وجشوبة العيش ومعاناة الطريق إنّما هى حالات مؤقّتة وبمثابة الثمن الذى يدفعونه لتحصيل السعادة الدائمة والوصول إلى منزل القرار والاستقرار والراحة الأبديّة فتكون هذه الأمور والصعوبات بالنسبة لهم هيّنة ويسيرة، ولذلك يقول الإمام عليه السلام بعد ذلك:

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۴۹۱

«فَلَيْسَ يَجِدُونَ لِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ أَلَماً وَلَا يَرَوْنَ نَفَقَةً فِيهِ مَغْرَماً. وَلَا شَيْءَ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِمَّا قَرَّبَهُمْ مِنْ مَنْزِلِهِمْ، وَأَدْنَاهُمْ مِنْ مَحَلَّتِهِمْ».

أجل، فهذا هو نمط تفكير المؤمنين الصالحين وأولياء اللّه الذين يسيرون فى مسلك الطاعة والمعنوية، لأنّ هؤلاء لا ينجذبون أبداً لزخارف الدنيا ولا ينخدعون ببريقها، بل إنّ الدنيا تمثّل لهم مجموعة من الأتعاب والآلام والهموم والغموم وحالات التوتّر التى تفرضها حالات الصراع والنزاع، فى حين أنّ الإيمان بالمعاد والجنّة والنعيم الخالد والاعتقاد بالوعد الإلهيّ يوحى لهم بأنّهم سيواجهون

غداً مستقبلًا مشرقاً ويرفلون بالنعيم المادىّ والمعنوىّ بعيداً عن كلّ أشكال الهمّ والغمّ والألم، والأهمّ من ذلك أنّهم يصلون إلى مقام القرب الإلهىّ وهذا هو الذى يجعلهم يتقبّلون الصعاب والآلام فى هذا المسير بكلّ رحابة صدر ويتحمّلون كلّ مشقّة فى هذا الطريق لأنّهم متوجّهون إلى كعبة الحبيب، فجميع ما يجدونه من وخز الأشواك فى الطريق يكون بالنسبة لهم كفراش الحرير وتتبدّل المرارة إلى عذوبة.

ثمّ يستعرض الإمام عليه السلام المثال الثانى فيما يخصّ أهل الدنيا والمتشبّثين بزخارفها وملذّاتها ويقول: «وَمَثَلُ مَنِ اغْتَرَّ بِهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ كَانُوا بِمَنْزِلٍ خَصِيبٍ، فَنَبَا بِهِمْ إِلَى مَنْزِلٍ جَدِيبٍ، فَلَيْسَ شَیْءٌ أَكْرَهَ إِلَيْهِمْ وَلَا أَفْظَعَ ۶۴۳] عِنْدَهُمْ مِنْ مُفَارَقَةِ مَا كَانُوا فِيهِ، إِلَى مَا يَهْجُمُونَ عَلَيْهِ، وَيَصِيرُونَ إِلَيْهِ».

أجل، فهم يعلمون أنّ مصيرهم فى النهاية النار والعذاب الأليم، فتكون الدنيا بالنسبة لهم بجميع مشاكلها وآلامها عذبة ومريحة جدّاً، ولهذا السبب يخافون من الموت ويخشون حلول الأجل، خوفاً من المستقبل المظلم، كما أخبر القرآن الكريم عن طائفة من بنى اسرائيل ممّن يعيشون حبّ الدنيا: «وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلى حَياةٍ وَمِنَ الَّذينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَما هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذابِ

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۴۹۲

أَنْ يُعَمَّرَ»[۶۴۴].

وكذلك ورد فى حديث معروف عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله أنّه قال: «إِنَّ الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ وَالْمَوْتُ جِسْرُ هَؤُلَاءِ إِلَى جِنَانِهِمْ وَجِسْرُ هَؤُلَاءِ إِلَى جَحِيمِهِمْ»[۶۴۵].

وفى هذا الصدد رواية عن الإمام الحسن المجتبى عليه السلام عندما سأله أحدهم: «مَا بَالُنَا نَكْرَهُ الْمَوْتَ وَلَا نُحِبُّهُ؟». فأجابه: «إِنَّكُمْ أَخْرَبْتُمْ آخِرَتَكُمْ وَعَمَرْتُمْ دُنْيَاكُمْ فَأَنْتُمْ تَكْرَهُونَ النُّقْلَةَ مِنَ الْعُمْرَانِ إِلَى الْخَرَابِ»[۶۴۶].

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۴۹۳

القسم الخامس عشر

اشارة

يَا بُنَيَّ اجْعَلْ نَفْسَكَ مِيزَاناً فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ غَيْرِكَ، فَأَحْبِبْ لِغَيْرِكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ، وَاكْرَهْ لَهُ مَا تَكْرَهُ لَهَا، وَلَا تَظْلِمْ كَمَا لَاتُحِبُّ أَنْ تُظْلَمَ، وَأَحْسِنْ كَمَا تُحِبُّ أَنْ يُحْسَنَ إِلَيْكَ، وَاسْتَقْبِحْ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَسْتَقْبِحُهُ مِنْ غَيْرِكَ، وَارْضَ مِنَ النَّاسِ بِمَا تَرْضَاهُ لَهُمْ مِنْ نَفْسِكَ، وَلَا تَقُلْ مَا لَاتَعْلَمُ وَإِنْ قَلَّ مَا تَعْلَمُ، وَلَا تَقُلْ مَا لَاتُحِبُّ أَنْ يُقَالَ لَكَ.

الشرح والتفسير: نظرة واحدة لمصلحة الفرد والجماعة

يشير الإمام عليه السلام فى هذه الفقرة من وصيّته لأحد أهمّ الأصول الأخلاقية والمثل الإنسانية ويقول: «يَا بُنَيَّ اجْعَلْ نَفْسَكَ مِيزَاناً فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ غَيْرِكَ».

والميزان عادة ذو كفّتين، والوزن الصحيح يتمّ عندما تكون الكفّتان متساويتين فى الخطّ الافقى، وهذا الكلام إشارة إلى أنّه ينبغى عليك أن تحبّ للآخرين ما تحبّه لنفسك، وما تكره لنفسك فينبغى أن تكرهه للآخرين لتتساوى كفّتا الميزان فى عرض واحد.

ثمّ يوضّح الإمام عليه السلام هذا الأصل الأخلاقى المهم فى سبع جمل ويبيّن أبعاده وزواياه المختلفة:

يقول الإمام عليه السلام فى الجملة الاولى والثانية: «فَأَحْبِبْ لِغَيْرِكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ، وَاكْرَهْ لَهُ مَا تَكْرَهُ لَهَا».

وفى الجملة الثالثة: «وَلَا تَظْلِمْ كَمَا لَاتُحِبُّ أَنْ تُظْلَمَ».

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۴۹۴

وفى الجملة الرابعة: «وَأَحْسِنْ كَمَا تُحِبُّ أَنْ يُحْسَنَ إِلَيْكَ».

ويقول فى الجملة الخامسة: «وَاسْتَقْبِحْ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَسْتَقْبِحُهُ مِنْ غَيْرِكَ».

ثمّ يضيف الإمام عليه السلام فى الجملة السادسة: «وَارْضَ مِنَ النَّاسِ بِمَا تَرْضَاهُ لَهُمْ مِنْ نَفْسِكَ».

وأخيراً وفى الجملة السابعة يقول: «وَلَا تَقُلْ مَا لَاتَعْلَمُ وَإِنْ قَلَّ مَا تَعْلَمُ، وَلَا تَقُلْ مَا لَاتُحِبُّ أَنْ يُقَالَ لَكَ».

وهو إشارة إلى أنّك كما لا تحبّ أن يستغيبك الناس أو يتّهمونك بأمر معيّن أو يخاطبونك بكلمات نابية ويذكرونك بألقاب قبيحة، أو يتحدّثون عنك بكلمات تسوؤك وتثير غضبك، فينبغى عليك أن لا تتحدّث عن الآخرين بآليّات الغيبة والتهمة والسبّ والشتم وما إلى ذلك، أو تتلّفظ بكلمات لا مسؤولة تؤذى الآخرين وتسىء إليهم.

والحقيقة أنّ هذا الأصل الأخلاقىّ المهمّ بالتفاصيل والأغصان السبعة التى ذكرها الإمام عليه السلام لو طبّق فى أىّ مجتمع وعمل به الناس فى تواصلهم وتعاملهم فيما بينهم، لساد الصلح والأمن فى أجواء ذلك المجتمع وزالت كلّ أشكال النزاع والصراع، ووصلت الملفّات القضائية فى المحاكم إلى الحدّ الأدنى، وبلغت المحبّة والتعاون والتكاتف الحدّ الأقصى فى واقع الحياة والمجتمع، لأنّ جميع المشاكل الاجتماعية تنشأ من أنّ البعض يريد كلّ شىء لنفسه ولا يفكّر إلّافى نفعه وراحته وسعادته، ويتوقّع من الآخرين أن يتعاملوا معه بالقيم والعدل ولكنّه لا يجد فى نفسه أىّ التزام بهذه القيم، ويريد أن يكون حرّاً تجاه الآخرين، أو لا يقيم وزناً لحيثية الآخرين وراحتهم وسعادتهم، أو يهتمّ براحة الآخرين ولكن لا بمقدار ما يهتمّ لنفسه، فيريد لنفسه الحدّ الأقصى من النفع والسعادة والراحة، وللآخرين الحدّ الأدنى.

وما ذكره الإمام عليه السلام فى بيان هذا الأصل الأخلاقى لم يرد بهذه السعة والشمول فى كلام أىّ شخصية علمية أخرى، رغم أنّ جذور هذا الأصل كما يقول الشيخ

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۴۹۵

مغنية فى شرحه لنهج البلاغة ذيل هذا الكلام للإمام عليه السلام، موجود بشكل إجمالى فى تراث القدماء.

يقول مغنية: «ولا نعرف أوّل من نطق بهذه الذهبية ... وأيّاً كان فهى لجميع الناس، لأنّ الحبّ معناه الأخوة والإنسانية والتكامل والتضامن والقوة والنجاح، وبالحبّ تستقيم الحياة، ولا معنى لحياة بلا حبّ، وأيضاً لا معنى للكراهية إلّاالحرب والشقاق والفشل والتخلف»[۶۴۷].

وقد ورد فى تعاليم الإسلام هذا المضمون أيضاً وطرحه النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله بصياغة جميلة ورائعة، فقد ورد فى الحديث الشريف أنّ النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله كان راكباً دابتّه وهو يريد بعض غزواته، فجاء إليه أعرابىّ فأخذ يغمز راحلته فقال: «يا رَسُولَ اللَّهِ عَلِّمْنى عَمَلًا أدْخُلُ بِهِ الْجَنَّةِ».

فقال صلى الله عليه و آله: «مَا أَحْبَبْتَ أَنْ يَأْتِيَهُ النَّاسُ إِلَيْكَ فَأْتِهِ إِلَيْهِمْ وَمَا كَرِهْتَ أَنْ يَأْتِيَهُ النَّاسُ إِلَيْكَ فَلَا تَأْتِهِ إِلَيْهِمْ خَلِّ سَبِيلَ الرَّاحِلَةِ»[۶۴۸].

وجاء فى حديث آخر فى سيرة النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله أنّه جاء شابّ إلى النبىّ صلى الله عليه و آله فقال له: أتأذن لى بالزنا، فنهره الأصحاب وأغلظوا عليه، فأدناه النبىّ صلى الله عليه و آله منه وقال له:

«أتُحِبُّ أن يُزْنى بامِّكَ أو اخْتِكَ أو بِنْتِكَ أو خَالَتِكَ أو عَمَّتِكَ؟» قال الشابّ: لا يارسول اللَّه، فقال له: «كُلُّ النّاسِ كذلِك»، ثمّ وضع يده المباركة على صدره: «اللَّهُمَّ اغْفَرْ ذَنْبَه وَطَهِّرْ قَلْبَهُ وَحَصِّنْ فَرْجَهُ» وبعد ذلك لم يره أحد وهو جالس إلى امرأة أجنبية[۶۴۹].

وينبغى الالتفات إلى هذه النقطة أيضاً، وهى أنّ الإمام عليه السلام فى العبارة السابعة من الكلام المذكور يقول على سبيل المقدّمة:

«وَلَا تَقُلْ مَا لَاتَعْلَمُ وَإِنْ قَلَّ مَا تَعْلَمُ». وهذا

نفحات الولاية، ج٩، ص: ۴۹۶

إشارة إلى أنّ معلوماتك وإن كانت محدودة وقليلة فاقنع بها ولا تتدخّل فى أمور لا تعلم بها، فإنّ ذلك سيقودك إلى متاهات الخطأ والانحراف.

***

نفحات الولاية، ج٩، ص: ۴۹۷

القسم السادس عشر

اشارة

وَاعْلَمْ أَنَّ الْإِعْجَابَ ضِدُّ الصَّوَابِ، وَآفَةُ الْأَلْبَابِ، فَاسْعَ فِي كَدْحِكَ، وَلَا تَكُنْ خَازِناً لِغَيْرِكَ، وَإِذَا أَنْتَ هُدِيتَ لِقَصْدِكَ فَكُنْ أَخْشَعَ مَا تَكُونُ لِرَبِّكَ.

الشرح والتفسير: لا تكن خازناً لغيرك

فى هذا المقطع من الوصية النورانية يشير الإمام عليه السلام إلى أربع فضائل أخرى ويوصى بها ولده وفلذّة كبده الإمام الحسن المجتبى عليه السلام.

بداية يقول: «وَاعْلَمْ أَنَّ الْإِعْجَابَ ضِدُّ الصَّوَابِ، وَآفَةُ الْأَلْبَابِ».

وهذا يعنى أنّ الإنسان المعجب بنفسه لا يدرك الحقائق الموضوعية عن نفسه وعن الآخرين، فهذه الصفة الذميمة تسدل حجاباً على عقله، وليست فقط تغطّى عيوبه بل يرى عيوبه ورذائله نقاط قوّة وعناصر كمال لنفسه، وأحياناً يعيش عمره فى هذا الوهم ويغادر الدنيا دون أن يتحرك لإصلاح الخلل والعيب.

وعلى حدّ تعبير الشيخ مغنية فى شرحه لنهج البلاغة، أنّ العجب كالخمر من حيث إنّهما يسكران الإنسان، والسكران حاله حال المجانين وينبغى الابتعاد عنه والفرار منه.

وقد ورد فى القرآن الكريم والروايات الإسلاميّة فى ذمّ العجب والغرور نصوص كثيرة، منها ما ورد فى الآية ٨ من سورة فاطر: «أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشاءُ وَيَهْدِى مَنْ يَشاءُ فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَراتٍ إِنَّ اللَّهَ عَليمٌ بِما يَصْنَعُونَ»، فهذا الشخص بسبب العجب يرى سوء عمله حسناً وكأنّه يرى الحقيقة

نفحات الولاية، ج٩، ص: ۴۹۸

والواقع، ولكنّ اللّه تعالى يقول عنه أنّه ضالّ وغير جدير بالهداية ويوصى النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله أن لا يتحسّر ويأسف على مثل هؤلاء.

وقد وردت فى كلمات أميرالمؤمنين عليه السلام تعبيرات وكلمات عجيبة عن العجب والغرور، فى مورد يقول: «العُجْبُ آفَةُ الشَّرَفِ»[۶۵۰] وفى مورد آخر يقول: «آفَةُ اللُّبِ العُجْبُ»[۶۵۱].

وفى مورد آخر يقول: «العُجْبُ يُفْسِدُ العَقْلَ»[۶۵۲].

وفى مورد آخر يقول: «ثَمَرَةُ العُجْبِ البَغْضَاءُ»[۶۵۳].

وأخيراً يقول: «العُجْبُ رَأْسُ الحَمَاقَةِ»[۶۵۴].

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام يواصل كلامه ويستعرض الوصيّة الثانية ويقول: «فَاسْعَ فِى كَدْحِكَ».

نفحات الولاية ؛ ج۹ ؛ ص۴۹۸

ذا هو الأمر الذى ورد التأكيد عليه كثيراً فى الروايات الإسلاميّة إلى درجة أننا نقرأ فى الحديث النبوىّ المعروف: «مَلْعُونٌ مَنْ أَلْقَى كَلَّهُ عَلَى النَّاسِ»[۶۵۵].

لو أنّ جميع المسلمين وبخاصّة الشبّان عملوا بهذه التوصية فلا أحد سيكون محتاجاً للآخرين سوى العجزة والمعوقين، وبديهىّ أنّ المجتمع الإسلامى سيتحرّك فى خطّ الرقىّ والتقدّم ويحرز حالة من الإزدهار الاقتصادى والحضارى بدرجات عالية، بل إنّ البلدان الإسلاميّة سوف لا تكون أداة طيّعة للبلدان الأجنبية، لأنّ ذلك لا ينتج لهم سوى الذلّة والمهانة والتبعيّة.

وذهب بعض شرّاح نهج‌البلاغة إلى معنى آخر لهذه العبارة وقالوا: إنّ المقصود

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۴۹۹

منها السعى والكدح فى طريق الإنفاق، فكلمة «كدح» تعنى أنّ الإنسان يكدح ويتعب نفسه فى البذل، وفى هذه الصورة تكون هذه العبارة مقدّمة لما يأتى بعدها، ولكن يبدو أنّ التفسير الأوّل أصحّ.

ثمّ يبيّن الإمام عليه السلام التوصية الثالثة، ويقول: «وَلَا تَكُنْ خَازِناً لِغَيْرِكَ».

ويشير بذلك إلى أنّ الأشخاص الذين يتعبون أنفسهم فى جمع الأموال والثروات ولا ينفقونها فى سبيل اللّه، هم من المساكين الذين يتعبون أنفسهم فى جمع وحفظ الأموال وينتفع بها الورثة، وفى القيامة يحاسبون عليها بينما يلتذّ بها وينتفع بها الآخرون، أى الورثة الذين لا يعيشون أحياناً أىّ مودّة واهتمام بالمورث وصاحب المال، ولا ينفقون منها فى سبيل اللّه لحساب صاحبها، بل أحياناً يوبخونه ويذمّونه بأنه لم يترك لهم ثروة كافية، وحتى لو كان الورثة من الأشخاص الصالحين واستثمروا هذه الأموال فى طريق الطاعة والصلاح، فمع ذلك ستكون حسرة على صاحب المال لأنّه أتعب نفسه من أجلها بينما ربح ثوابها الآخرون، وهذا هو ما وردت الإشارة إليه فى الروايات الإسلاميّة.

يقول الإمام الصادق عليه السلام فى تفسير هذه الآية الشريفة: «كَذلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمالَهُمْ حَسَراتٍ عَلَيْهِمْ»[۶۵۶]. قال: «هُوَ الرَّجُلُ يَدَعُ مَالَهُ لَايُنْفِقُهُ فِى طَاعَةِ اللَّهِ بُخْلًا ثُمَّ يَمُوتُ فَيَدَعُهُ لِمَنْ يَعْمَلُ فِيهِ بِطَاعَةِ اللَّهِ أَوْ فِى مَعْصِيَةِ اللَّهِ فَإِنْ عَمِلَ بِهِ فِى طَاعَةِ اللَّهِ رَآهُ فِى مِيزَانِ غَيْرِهِ فَرَآهُ حَسْرَةً وَقَدْ كَانَ الْمَالُ لَهُ وَإِنْ كَانَ عَمِلَ بِهِ فِى مَعْصِيَةِ اللَّهِ قَوَّاهُ بِذَلِكَ الْمَالِ حَتَّى عَمِلَ بِهِ فِى مَعْصِيَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»[۶۵۷].

ثمّ يتعرض الإمام عليه السلام لبيان التوصية الرابعة ويقول: «وَإِذَا أَنْتَ هُدِيتَ لِقَصْدِكَ فَكُنْ أَخْشَعَ مَا تَكُونُ لِرَبِّكَ».

وهذا يعنى أنّ جميع النعم والمواهب الإلهيّة تستحقّ من العبد الشكر، وأىّ نعمة

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۵۰۰

أعظم على الإنسان من الهداية لطريق الخير والصلاح مع أنّ مجاميع كثيرة من الناس ساروا فى خطّ الضلالة والمتاهة، وشكر كلّ نعمة يجب أن يتناسب مع تلك النعمة، وشكر نعمة الهداية يستلزم الخضوع للحقّ تعالى وإطاعة أوامره ونواهيه.

***

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۵۰۱

القسم السابع عشر

اشارة

وَاعْلَمْ أَنَّ أَمَامَکَ طَرِيقاً ذَا مَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ، وَمَشَقَّةٍ شَدِيدَةٍ، وَأَنَّهُ لَاغِنَى بِکَ فِيهِ عَنْ حُسْنِ الارْتِيَادِ، وَقَدْرِ بَلَاغِکَ مِنَ الزَّادِ، مَعَ خِفَّةِ الظَّهْرِ، فَلَا تَحْمِلَنَّ عَلَى ظَهْرِکَ فَوْقَ طَاقَتِکَ، فَيَکُونَ ثِقْلُ ذَلِکَ وَبَالًا عَلَيْکَ، وَإِذَا وَجَدْتَ مِنْ أَهْلِ الْفَاقَةِ مَنْ يَحْمِلُ لَکَ زَادَکَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَيُوَافِيکَ بِهِ غَداً حَيْثُ تَحْتَاجُ إِلَيْهِ فَاغْتَنِمْهُ وَحَمِّلْهُ إِيَّاهُ، وَأَکْثِرْ مِنْ تَزْوِيدِهِ وَأَنْتَ قَادِرٌ عَلَيْهِ، فَلَعَلَّکَ تَطْلُبُهُ فَلَا تَجِدُهُ، وَاغْتَنِمْ مَنِ اسْتَقْرَضَکَ فِي حَالِ غِنَاکَ، لِيَجْعَلَ قَضَاءَهُ لَکَ فِي يَوْمِ عُسْرَتِکَ.

الشرح والتفسير: الآخرون يحملون متاعک إلى الآخرة!

فى هذه الفقرة من الوصية يتحدّث الإمام عليه السلام عن طول سفر الآخرة وحاجة الإنسان الشديدة للزاد والمتاع لهذا السفر من الطاعات وأعمال الخير وخاصّة الإنفاق فى سبيل اللّه.

بداية يقول: «وَاعْلَمْ أَنَّ أَمَامَکَ طَرِيقاً ذَا مَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ، وَمَشَقَّةٍ شَدِيدَةٍ».

إنّ طريق الدنيا مهما كانت طويلة وشاقّة فإنّها بالنسبة لطريق الآخرة سهلة وميسورة، وطريق الآخرة مليء بالمنعطفات والمطبّات وتحتاج لمجاهدة النفس وتربيتها على الفضائل الأخلاقية، وأحياناً يستغرق سلوك هذا الطريق سنوات طوال.

وبعد هذا التحذير ينبّه الإمام عليه السلام إلى لزوم تهيئة الزاد والمتاع لهذا السفر المليء

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۵۰۲

بالمخاطر ويقول: «وَأَنَّهُ لَاغِنَى بِکَ فِيهِ عَنْ حُسْنِ الارْتِيَادِ[۶۵۸]، وَقَدْرِ بَلَاغِکَ ۶۵۹] مِنَ الزَّادِ، مَعَ خِفَّةِ الظَّهْرِ».

إنّ الأصل والأساس فى هذا الزاد والمتاع هو ما ورد فى القرآن الكريم يقول:

«وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوى [۶۶۰].

وعبارة: «حُسْنِ الْارْتِيادِ» مع الالتفات إلى أنّ كلمة «الارتياد» تعنى الطلب، فالمراد من العبارة حسن الطلب، أو بكلمة أخرى التدبير وإبتغاء المنهج الصحيح فى سلوك الطريق (أى فى تهيئة الزاد والمتاع لسفر الآخرة).

وعبارة: «خِفَّةِ الظَّهْرِ» إشارة إلى ما ذكره القرآن الكريم، حيث يقول: «وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقالَهُمْ وَأَثْقالًا مَّعَ أَثْقالِهِم»[۶۶۱]، فالإمام عليه السلام يوصى ولده أن لا يكون مثل هؤلاء الأشخاص الذين يحملون أوزارهم وأوزار الآخرين على ظهورهم، فالمؤمن يسعى لتخفيف حمله ما أمكنه ذلك.

وسبق أن ذكرنا فى شرح الخطبة الحادية والعشرين أنّ الإمام عليه السلام تحدّث عن هذا المضمون بعبارة وجيزة جدّاً وعميقة المغزى وقال: «تَخَفَّفُوا تَلْحَقُوا»، فى الماضى وعندما كانت القوافل تسير فى طرق صعبة وتصل إلى منعطفات خطيرة فإنّ المثقلين يعجزون عن مواصلة الطريق، وبما أنّ القافلة لا تستطيع التوقّف بسببهم، فإنّها تستمرّ فى مسيرتها، ويبقى هؤلاء وحدهم فى الصحراء ويكون مصيرهم نهباً لقطاع الطرق وطعاماً لذئاب البرارى.

وبعد هذه المقدّمة الوجيزة والعميقة المعنى يطرح الإمام عليه السلام مسألة الإنفاق فى

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۵۰۳

سبيل اللّه وأنّه أهمّ زاد ومتاع ليوم القيامة ويقول: «فَلَا تَحْمِلَنَّ عَلَى ظَهْرِکَ فَوْقَ طَاقَتِکَ، فَيَکُونَ ثِقْلُ ذَلِکَ وَبَالًا عَلَيْکَ».

ويشير بذلك إلى أنّك لا تدّخر لنفسك أكثر ممّا تحتاجه فى حياتك ومعاشك بحيث تستطيع الإجابة يوم القيامة عنه، لأنّ ما تجمعه من هذه الدنيا سيكون ثقيلًا عليك فى الآخرة، فالحمل الذى لا تنتفع به فى هذا المسار سوف لا يجديك سوى التعب والعناء.

ثمّ يدعو الإمام عليه السلام للإنفاق فى سبيل اللّه بعبارات رائعة وجذّابة فيقول: «وَإِذَا وَجَدْتَ مِنْ أَهْلِ الْفَاقَةِ مَنْ يَحْمِلُ لَکَ زَادَکَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَيُوَافِيکَ بِهِ غَداً حَيْثُ تَحْتَاجُ إِلَيْهِ فَاغْتَنِمْهُ وَحَمِّلْهُ إِيَّاهُ، وَأَکْثِرْ مِنْ تَزْوِيدِهِ وَأَنْتَ قَادِرٌ عَلَيْهِ».

ثمّ يضيف: «فَلَعَلَّکَ تَطْلُبُهُ فَلَا تَجِدُهُ ۶۶۲]».

وفى ختام هذا المقطع من الوصية يستخدم الإمام عليه السلام عبارات أخرى لترغيب المخاطب إلى الإنفاق فى سبيل اللَّه ويقول: «وَاغْتَنِمْ مَنِ اسْتَقْرَضَکَ فِي حَالِ غِنَاکَ، لِيَجْعَلَ قَضَاءَهُ لَکَ فِي يَوْمِ عُسْرَتِکَ».

وحصيلة الكلام أنّ الإنسان العاقل ينبغى أن يستثمر وجود نمطين من الناس:

الشخص الذى يتبرّع بحمل زاد الإنسان على كتفه مجاناً ويوصله بفرح وسرور إلى المنزل المقصود، والآخر الشخص الذى يستقرض من الإنسان بعض أمواله فى حال عدم حاجته إليه ويسدّده له فى وقت هو بأمسّ الحاجة إليه، أجل، هكذا حال الأشخاص الذين يتحرّكون فى الإنفاق فى سبيل اللَّه، وهذا التعبير عن هؤلاء يعتبر أبلغ وأجمل تعبير يجسّد فى طياته القيم الأخلاقية الرفيعة.

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۵۰۴

والتعبير الثانى مقتبس من القرآن الكريم ويقول: «مَنْ ذَا الَّذى يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضاعِفَهُ لَهُ أَضْعافاً كَثيرَة»[۶۶۳]، وطبعاً فالآية الشريفة تضيف نقطة أخرى على مسألة القرض، وهى أنّ اللَّه تعالى هو الذى يستقرض من عباده، ثمّ يسدد لهم أضعافاً مضاعفة.

والتعبير الأول يحتمل أن يكون من الآيات الشريفة فى سورة البلد، تقول الآيات: «فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ* وَما أَدْراكَ مَا الْعَقَبَةُ* فَكُّ رَقَبَةٍ* أَوْ إِطْعامٌ فِي يَوْمٍ ذى مَسْغَبَةٍ ...»[۶۶۴].

والجدير بالالتفات أنّ المرحوم الصدوق ينقل فى كتابه علل الشرائع رواية رائعة مناسبة للكلام الوارد فى الوصية مورد البحث، يقول سفيان بن عُيَيْنَة قال: رأى الزهرىّ (من التابعين المعروفين) علىّ بن الحسين عليه السلام ليلة باردة مطيرة وعلى ظهره دقيق وهو يمشى، فقال له: يابن رسول اللَّه ما هذا؟ قال: «أُرِيدُ سَفَراً أُعِدُّ لَهُ زَاداً أَحْمِلُهُ إِلَى مَوْضِعٍ حَرِيزٍ»، فقال الزهرىّ: فهذا غلامى يحمله عنك، فأبى قال: أنا أحمله عنك فإنّى أرفعك عن حمله، فقال علىّ بن الحسين: «لَكِنِّي لَاأَرْفَعُ نَفْسِي عَمَّا يُنْجِينِي فِي سَفَرِي وَيُحْسِنُ وُرُودِي عَلَى مَا أَرِدُ عَلَيْهِ أَسْأَلُکَ بِحَقِّ اللَّهِ لَمَّا مَضَيْتَ لِحَاجَتِکَ وَتَرَكْتَنِي». فانصرف عنه، فلمّا كان بعد أيّام قال له: يابن رسول اللَّه لست أرى لذلك السفر الذى ذكرته أثراً، قال: «بَلَى يَا زُهْرِيُّ لَيْسَ مَا ظَنَنْتَ وَلَكِنَّهُ الْمَوْتُ وَلَهُ كُنْتُ أَسْتَعِدُّ إِنَّمَا الْاسْتِعْدَادُ لِلْمَوْتِ تَجَنُّبُ الْحَرَامِ وَبَذْلُ النَّدَى وَالْخَيْرِ»[۶۶۵].

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۵۰۵

القسم الثامن عشر

اشارة

وَاعْلَمْ أَنَّ أَمَامَکَ عَقَبَةً كَئُوداً، الْمُخِفُّ فِيهَا أَحْسَنُ حَالًا مِنَ الْمُثْقِلِ، وَالْمُبْطِئُ عَلَيْهَا أَقْبَحُ حَالًا مِنَ الْمُسْرِعِ، وَأَنَّ مَهْبِطَکَ بِهَا لَامَحَالَةَ إِمَّا عَلَى جَنَّةٍ أَوْ عَلَى نَارٍ، فَارْتَدْ لِنَفْسِکَ قَبْلَ نُزُولِکَ، وَوَطِّئِ الْمَنْزِلَ قَبْلَ حُلُولِکَ، «فَلَيْسَ بَعْدَ الْمَوْتِ مُسْتَعْتَبٌ»، وَلَا إِلَى الدُّنْيَا مُنْصَرَفٌ.

الشرح والتفسير: ضع عن كتفك همّ يومك!

يعود الإمام عليه السلام فى هذا المقطع من الوصية النورانية ليتحدّث مرّة أخرى فى مسألة سفر القيامة الطويل والملىء بالمخاطر والعقبات، ويبيّن معالم هذا المسير بدقّة متناهية، ويتحدّث عن وسيلة النجاة فيه.

بداية يقول: «وَاعْلَمْ أَنَّ أَمَامَکَ عَقَبَةً كَؤُوداً[۶۶۶]، الْمُخِفُّ ۶۶۷] فِيهَا أَحْسَنُ حَالًا مِنَ الْمُثْقِلِ ۶۶۸]، وَالْمُبْطِئُ عَلَيْهَا أَقْبَحُ حَالًا مِنَ الْمُسْرِعِ».

والمراد من العقبة الكؤود والمنعطف الخطير فى هذا المسار إمّا الموت وسكراته، أو عالم البرزخ، أو جسر الصراط (ويحتمل أن يكون

جميع ذلك).

وبـديهىّ أنّه لإحراز السـلامة فى عملية العبور من هذه المآزق والمنعطفات الخطيرة ينبغى التخفيف من الأثقال، والإسـراع فى المسـير، لأنه فى مثل هذه

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۵۰۶

المنعطفات الخطيرة يكثر قطاع الطرق أو الحيوانات المفترسة التى يواجهها الإنسان فى هذا الطريق وتعيقه عن إكمال المسير.

وهـذا التعبير أيضـاً مقتبس من القرآن الكريم حيث يقول: «فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ* مـا أَدْراكَ مَا الْعَقَبَةُ* فَكُّ رَقَبَةٍ* أَوْ إِطْعامٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ...»[۶۶۹].

وذهب بعض المفسّـرين فى شـرح هـذه الآيـات أنّ العقبـة تعنى هـوى النفس، وذهب آخرون إلى المـآزق والمنعطفـات الخطيرة يـوم القيامة، وكلام الإمام عليه السلام هنا يتناسب مع الثانى.

ويواصل الإمام عليه السلام حديثه عن هذا المسير المعنوى ويقول: «وَأَنَّ مَهْبِطَكَ بِهَا لَا مَحَالَةَ إِمَّا عَلَى جَنَّةٍ أَوْ عَلَى نَارٍ».

ثمّ يضيف: «فَارْتَدْ[۶۷۰] لِنَفْسِـكَ قَبْلَ نُزُولِكَ، وَوَطِّئِ الْمَنْزِلَ قَبْلَ حُلُولِكَ، فَلَيْسَ بَعْـدَ الْمَوْتِ مُسْـتَعْتَبٌ ۶۷۱] وَلَا إِلَى الدُّنْيَا مُنْصَـرَفٌ ۶۷۲]».

والجدير بالذكر أنّ جملة: «لَيْسَ بَعْدَ الْمَوْتِ مُسْتَعْتَبٌ» قالها لأول مرّة رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فقد ورد فى الحديث الشريف عنه صلى الله عليه و آله: «لَيْسَ بَعْدَ الْمَوْتِ مُسْتَعْتَبٌ أَكْثِرُوا مِنْ ذِكْرِ هَادِمِ اللَّذَّاتِ وَمُنَغِّصِ الشَّهَوَاتِ»[۶۷۳].

وجملة: «وَلَا إِلَى الـدُّنْيَا مُنْصَرَفٌ»، تعكس حقيقة جليلة أشارت إليها الآيات القرآنية والروايات الشـريفة بشـكل واسع، القرآن الكريم يقول: «حَتَّى إذا جاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قالَ رَبِّ ارْجِعُونِ* لَعَلِّى أَعْمَلُ صالِحاً فيما تَرَكْتُ كَلَّا ...»[۶۷۴].

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۵۰۷

ونقرأ فى الخطبة ۱۸۸ من نهج‌البلاغة فى حديث الإمام عليه السلام عن الموتى ويقول:

«لَا عَنْ قَبِيحٍ يَسْتَطِيعُونَ انْتِقَالًا وَلَا فِى حَسَنٍ يَسْتَطِيعُونَ ازْدِيَاداً».

أجل، إنّ هـذا المنزل فى يوم القيامـة وما بعد الموت غير قابل للعودة، كما أنّ الوليد المعوق لا يسـتطيع أبداً العودة إلى رحم امّه لينمو من جديد بشـكل صـحيح ولا يمكن للثمرة التى انفصـلت عن الشجرة أن تعود إلى غصنها، فالأشخاص الذين يغادرون هذا العالم إلى عالم البرزخ لا يستطيعون أبداً العودة إلى الدنيا، وأهل البرزخ بدورهم عندما ينتقلون إلى القيامة لا يستطيعون العودة إلى عالم البرزخ، وهذا تحذير لنا جميعاً بأن نعلم أنّنا ربّما سـنواجه لحظة وينتهى كلّ شـيء وتوصد أمامنا أبواب التوبة ولانسـتطيع تحصيل الزاد والمتاع، فنغادر الدنيا بقلوب مليئة بالحسرات.

***

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۵۰۹

القسم التاسع عشر

اشارة

وَاعْلَمْ أَنَّ الَّذِى بِيَدِهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ أَذِنَ لَكَ فِى الـدُّعَاءِ، وَتَكَفَّلَ لَكَ بِالْإِجَابَةِ، وَأَمَرَكَ أَنْ تَسْأَلَهُ لِيُعْطِيَكَ، وَتَسْتَرْحِمَهُ لِيَرْحَمَكَ، وَلَمْ يَجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ مَنْ يَحْجُبُكَ عَنْهُ، وَلَمْ يُلْجِئْكَ إِلَى مَنْ يَشْفَعُ لَكَ إِلَيْهِ، وَلَمْ يَمْنَعْكَ إِنْ أَسَأْتَ مِنَ التَّوْبَةِ، وَلَمْ

يُعَاجِلْكَ بِالنِّقْمَةِ، وَلَمْ يُعَيِّرْكَ بِالْإِنَابَةِ، وَلَمْ يَفْضَحْكَ حَيْثُ الْفَضِيحَةُ بِكَ أَوْلَى وَلَمْ يُشَدِّدْ عَلَيْكَ فِي قَبُولِ الْإِنَابَةِ، وَلَمْ يُنَاقِشْكَ بِالْجَرِيمَةِ وَلَمْ يُؤْيِسْكَ مِنَ الرَّحْمَةِ، بَلْ جَعَلَ نُزُوعَكَ عَنِ الذَّنْبِ حَسَنَةً، وَحَسَبَ سَيِّئَتَكَ وَاحِدَةً، وَحَسَبَ حَسَنَتَكَ عَشْراً، وَفَتَحَ لَكَ بَابَ الْمَتَابِ، وَبَابَ الاسْتِعْتَابِ، فَإِذَا نَادَيْتَهُ سَمِعَ نِدَاكَ، وَإِذَا نَاجَيْتَهُ عَلِمَ نَجْوَاكَ، فَأَفْضَيْتَ إِلَيْهِ بِحَاجَتِكَ، وَأَبْثَثْتَهُ ذَاتَ نَفْسِكَ، وَشَكَوْتَ إِلَيْهِ هُمُومَكَ، وَاسْتَكْشَفْتَهُ كُرُوبَكَ، وَاسْتَعَنْتَهُ عَلَى أُمُورِكَ، وَسَأَلْتَهُ مِنْ خَزَائِنِ رَحْمَتِهِ مَا لَايَقْدِرُ عَلَى إِعْطَائِهِ غَيْرُهُ، مِنْ زِيَادَةِ الْأَعْمَارِ، وَصِحَّةِ الْأَبْدَانِ، وَسَعَةِ الْأَرْزَاقِ. ثُمَّ جَعَلَ فِي يَدَيْكَ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِهِ بِمَا أَذِنَ لَكَ فِيهِ مِنْ مَسْأَلَتِهِ، فَمَتَى شِئْتَ اسْتَفْتَحْتَ بِالدُّعَاءِ أَبْوَابَ نِعْمَتِهِ، وَاسْتَمْطَرْتَ شَآبِيبَ رَحْمَتِهِ، فَلَا يُقَنِّطَنَّكَ إِبْطَاءُ إِجَابَتِهِ، فَإِنَّ الْعَطِيَّةَ عَلَى قَدْرِ النِّيَّةِ، وَرُبَّمَا أُخِّرَتْ عَنْكَ الْإِجَابَةُ، لِيَكُونَ ذَلِكَ أَعْظَمَ لِأَجْرِ السَّائِلِ، وَأَجْزَلَ لِعَطَاءِ الْآمِلِ. وَرُبَّمَا سَأَلْتَ الشَّيْءَ فَلَا تُؤْتَاهُ، وَأُوتِيتَ خَيْراً مِنْهُ عَاجِلًا أَوْ آجِلًا، أَوْ صُرِفَ عَنْكَ لِمَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ، فَلَرُبَّ أَمْرٍ قَدْ طَلَبْتَهُ فِيهِ هَلَاكُ دِينِكَ لَوْ أُوتِيتَهُ، فَلْتَكُنْ مَسْأَلَتُكَ فِيمَا يَبْقَى لَكَ جَمَالُهُ، وَيُنْفَى عَنْكَ وَبَالُهُ؛ فَالْمَالُ لَايَبْقَى لَكَ وَلَا تَبْقَى لَه.

نفحات الولايهٔ، ج۹، ص: ۵۱۰

الشرح والتفسير: فتح أبواب التوبة والدعاء أمام الإنسان

فى هـذا المقطع من الوصيهٔ النورانيهٔ يشير الإمام عليه السلام إلى عدّهٔ مواضيع مهمّهٔ ويقول: ينبغى عليك أن تهتمّ بمسألهٔ الدعاء، فالدعاء يمثّل قضيهٔ مصيريهٔ فى حياتك: «وَاعْلَمْ أَنَّ الَّذِى بِيَدِهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ أَذِنَ لَكَ فِى الدُّعَاءِ، وَتَكَفَّلَ لَكَ بِالْإِجَابَةِ، وَأَمَرَكَ أَنْ تَسْأَلَهُ لِيُعْطِيَكَ، وَتَسْتَرْحِمَهُ لِيَرْحَمَكَ».

وفى هذه العبارات يشير الإمام عليه السلام إلى نقاط عدّهٔ لتشويق المخاطب للدعاء، فيقول أوّلًا: يجب أن تطلب حاجاتك ممّن يملك جميع الأمور وبيده مقاليد السماوات والأرض ويستطيع أن ينعم عليك بالرزق والعطايا، وبكلمهٔ واحدهٔ أن تدعو من يملك جميع الكائنات، وعلى ضوء ذلك تكون فى طلبك ودعائك قريباً من الإجابهٔ.

وفى الجملهٔ الثانيهٔ يقول: إنّ اللَّه تعالى أذن لك بالدعاء، أى فى الحقيقهٔ أنّه دعاك لتأتى إلى ساحهٔ قدسه وتسأله من فضله وكرمه وتدعوه وتناجيه، وهذا يمثّل غايهٔ اللطف والرحمهٔ بحيث أنّه تعالى دعا المحتاجين إليه وقال: تعالوا إلىَّ واطلبوا منّى، وهذا المعنى أشارت إليه الآيات القرآنيهٔ فى قوله تعالى: «قُلْ ما يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّى لَوْ لا دُعاؤُكُم»[۶۷۵].

وفى الجملهٔ الثالثهٔ يقول: إنّ اللَّه تعالى قد ضمن لك استجابهٔ الدعاء، وهذا أيضاً إشارهٔ لقوله تعالى: «ادْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُم»[۶۷۶] وغيرها من الآيات الشريفهٔ.

وفى الجملهٔ الرابعهٔ يتوسّع الإمام عليه السلام فى هذا الموضوع وأنّ اللَّه تعالى قد تجاوز مسألهٔ الإذن فى الدعاء، بل أمرك أن تسأله وتدعوه وتطلب من لطفه ورحمته ويعطيك وينعم عليك ويرحمك، وهذا ما ورد فى الآيات الشريفهٔ، نظير: «وَاسْئَلُوا

نفحات الولايهٔ، ج۹، ص: ۵۱۱

اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَليماً»[۶۷۷].

وفى الجملهٔ الخامسهٔ يقول الإمام عليه السلام: «وَلَمْ يَجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ مَنْ يَحْجُبُكَ عَنْهُ، وَلَمْ يُلْجِئْكَ إِلَى مَنْ يَشْفَعُ لَكَ إِلَيْهِ».

وهذا إشارهٔ إلى أنّ الدين الإسلامىّ يقوم على أساس أن البشر يستطيعون إقامهٔ علاقهٔ مباشرهٔ مع اللَّه تعالى بدون توسّط أحدٍ من العباد، كما هو الحال فى الصلاهٔ التى نصلّيها كلّ يوم، فإنّنا من بدايتها إلى انتهائها وبخاصّهٔ فى سورهٔ الفاتحهٔ نتحدّث مع اللَّه تعالى بشكل مباشر بدون أيهٔ واسطهٔ بيننا، وهذا يعدّ افتخاراً كبيراً للإسلام والمسلمين حيث فتح الإسلام طريق الارتباط المباشر مع اللَّه للجميع، والآيات القرآنيهٔ شاهدهٔ على هذا المعنى، لا سيّما الآيات الشريفهٔ التى تبتدىء بكلمهٔ «ربّنا».

على العكس من ذلك بعض المذاهب الباطلهٔ التى تشترط وجود واسطهٔ من المرشد وشيخ الطريقهٔ بين العبد وربّه وأحياناً لا يجيدون

إقامة ارتباط مباشر مع اللَّه تعالى.

وهنا يثار هـذا السؤال، وهو أنّ مسألة الشـفاعة فى الإسـلام، أى شـفاعة النبىّ الأكرم صـلى الله عليه و آله والإمام المعصوم عليه السـلام وصالح المؤمنين، وردت بكثرة فى الآيات القرآنية والروايات الشريفة حيث تدلّ على شفاعة الشفعاء فى الدنيا والآخرة، ألا تتنافى مثل هذه الشفاعة مع الارتباط المباشر مع اللَّه تعالى؟

والجواب على هذا السؤال يتّضح بالالتفات إلى نقطتين:

الاولى: إنّ هذاالمعنى لا ينفى وجود الارتباط المباشـر، بل إنّ الارتباط المباشر باللَّه تعالى محفوظ فى محلّه، والمسلمون يرتبطون باللَّه فى كـلّ يوم وليلـة بشـكل مباشـر فى صـلاتهم ودعائهم، والشـفاعة بـدورها لها مكانـة خاصّـة وثابتـة، وبعبارة أخرى أنّ كلا الطريقين يوصلان الإنسان برحمة اللَّه ولطفه ولا تقاطع بينهما حيث

نفحات الولاية، ج ۹، ص: ۵۱۲

يجتمعان فى إيصال العبد لربّه.

الثانية: وردت فى الآيات القرآنية الإشارة إلى هذه النقطة فى أكثر من مورد وهى أنّ الشفاعة بدورها إنّما تتحقّق بإذن اللَّه، وعلى ضوء ذلك فالشـخص الـذى يتوسّل بالنبىّ الأكرم صـلى الله عليه و آله والأئمّة المعصومين عليهم السـلام ويطلب منهم الشـفاعة، يجب عليه إلى جانب ذلك أن يطلب من اللَّه الإذن لهم بالشفاعة، فإذن الشفاعة يعتبر مكمل للارتباط المباشر باللَّه تعالى.

وببيـان آخر، إنّنى أطلب قضـاء حوائجى من اللَّه تعـالى مباشـرة، ولكن أحيانـاً تكون الحاجـة معقـدة ومهمّـة، أو إنّنى ملوّث بالـذنوب بدرجـة أشـعر معها أنّنى لا أسـتطيع نيل بغيتى وتحقيق مرادى لوحـدى ومن خلال الدعاء فقط، هنا أتوسّل بالأولياء الإلهيين الذين لهم مكانـة واعتبـار عنـد اللَّه تعـالى أن يشـفعوا لى عنـد اللَّه تعالى بإذن اللَّه، على سبيل المثال، نرى أنّ إخوة يوسف بعـد ما ارتكبوا تلكم الجرائم فى أخيهم شـعروا بأنّ ذنبهم عظيم إلى درجة أنّهم لا يسـتطيعون طلب العفو بشكل مباشر من أخيهم يوسف عليه السلام أو من اللَّه تعالى، وبذلك توسّلوا بأبيهم وقالوا: «يا أَبانَا اسْتَغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا إِنَّا كُنَّا خاطِئين»[۶۷۸].

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام بعد أن يطرح مسألة الدعاء يتعرّض لمسألة التوبة ويتحدّث عنها بكلمات بليغة وزاخرة بالمضامين العالية ويبيّن أنّ اللطف الإلهىّ يشمل المذنبين التائبين، ويؤكّد هذا المعنى فى ثمان جمل:

۱. «وَلَمْ يَمْنَعْكَ إِنْ أَسَأْتَ مِنَ التَّوْبَةِ»، حيث فتح أمامك أبواب التوبة مع إساءتك.

۲. «وَلَمْ يُعَاجِلْكَ بِالنِّقْمَةِ»، فأخّر العقوبة لعلّك تتوب من ذنبك.

۳. «وَلَمْ يُعَيِّرْكَ بِالْإِنَابَةِ»، كما هو حال الأشخاص الذين يعيشون حبّ الانتقام من التائبين ويواجهونهم باللوم والتوبيخ والتقريع.

نفحات الولاية، ج ۹، ص: ۵۱۳

۴. «وَلَمْ يَفْضَحْكَ حَيْثُ الْفَضِيحَةُ بِكَ أَوْلَى ، وليس كما يتعامل بعض أصـحاب النفوس الضعيفة الذين يتحرّكون على مستوى فضح الطرف المقابل بأدنى زلّة.

۵. «وَلَمْ يُشَدِّدْ عَلَيْكَ فِى قَبُولِ الْإِنَابَةِ»، بخلاف ما يتعامل به أصحاب الشخصيات الهزيلة مع الآخرين.

۶. «وَلَمْ يُنَاقِشْكَ ۶۷۹] بِالْجَرِيمَةِ»، بل يصفح عنك ومن دون استعتاب ومؤاخذة.

۷. «وَلَمْ يُؤْيِسْكَ مِنَ الرَّحْمَةِ، بَلْ جَعَلَ نُزُوعَكَ ۶۸۰] عَنِ الذَّنْبِ حَسَنَةً، وَحَسَبَ سَيِّئَتَكَ وَاحِدَةً، وَحَسَبَ حَسَنَتَكَ عَشْراً»، ومهما كان ذنبك عظيماً ووزرك ثقيلًا فإنّ اللَّه تعالى فتح باب العودة والتوبة والإنابة إليك، وجعل هذه العودة حسنة لك، والأهمّ من ذلك أنّه جعل سيئتك واحدة، وضاعف حسنتك إلى عشر حسنات.

۸. «وَفَتَحَ لَكَ بَابَ الْمَتَابِ، وَبَابَ الاسْتِعْتَابِ ۶۸۱]»، أى أنّ اللَّه تعالى فتح باب العودة إليه دائماً.

هـذه العبـارات فى الحقيقـة مقتبسـة من الآيـات القرآنيـة الكريمـة التى تتحـدّث عن التوبـة وآثارهـا والألطاف الإلهيّـة بالنسـبة للتائبين

والمنيبين.

والقرآن الكريم يقول: «وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَميعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ»[۶۸۲].

وفى مورد آخر يتحدّث عن قبول التوبة ويقول: «وَهُوَ الَّذِى يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبادِهِ وَيَعْفُوا عَنِ السَّيِّئاتِ»[۶۸۳].

وفى مورد آخر يتحدّث عن عدم تعجيل العقوبة للمذنبين ويقول: «وَرَبُّكَ الْغَفُورُ

ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤاخِذُهُمْ بِما كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذابَ»[۶۸۴].

وفيما يخصّ عدم اليأس من رحمة اللَّه يتحدّث القرآن الكريم بعبارات زاخرة باللطف ومفعمة بالمحبّة، يقول للنبىّ صلى الله عليه و آله: «قُلْ يا عِبادِىَ الَّذينَ أَسْرَفُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَميعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحيمُ»[۶۸۵].

وبالنسبة لتبديل السيئات بالحسنات يقول تعالى: «إِلَّا مَنْ تابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صالِحاً فَأُوْلئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئاتِهِمْ حَسَناتٍ»[۶۸۶].

وما يخصّ كتابة السيئات بمقدارها وكتابة الحسنات بعشر أمثالها يقول تعالى:

«مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثالِها وَمَنْ جاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزى إِلَّا مِثْلَها وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ»[۶۸۷].

ومن المعلوم أنّ التوبة تعتبر أوّل خطوة فى طريق السلوك إلى اللَّه تعالى ومن هنا يعتبر السالكون إلى اللَّه التوبة أوّل منزل من منازل هذا الطريق، وعندما نرى أنّ الإمام عليه السلام يذكر التوبة بعد الدعاء، فذلك لأنّ التوبة أيضاً نوع من الدعاء، أى الدعاء لطلب العفو والرحمة من اللَّه تعالى، وما لم يتقدّم الإنسان بهذه الخطوة، لن يغسل عن روحه وقلبه غبار الذنوب، وما لم يزح حجاب المعصية عن عين قلبه، فإنّ سلوك هذا الطريق يكون عسيراً أو غير ممكن.

ونقرأ فى الأدعية وروايات المعصومين عليهم السلام أيضاً إشارات كثيرة وتعبيرات لطيفة عن هذا الموضوع، وذلك ما ورد فى مناجاة التائبين (وهى أوّل مناجاة من المناجَيات الخمسة عشر للإمام زين العابدين عليه السلام) فنقرأ: «إلهى أَنْتَ الَّذِى فَتَحْتَ لِعِبَادِكَ بَاباً إِلَى عَفْوِكَ سَمَّيْتَهُ التَّوْبَةَ فَقُلْتَ: «تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحاً» فَمَا عُذْرُ مَنْ أَغْفَلَ دُخُولَ الْبابِ بَعْدَ فَتْحِه».

أجل، فالإمام عليه السلام بوصفه مرشداً مطّلعاً مجرّباً يأخذ بيد ولده الشابّ ويسير به فى هذا الطريق من منزل لآخر إلى حيث الوصول إلى منزل القرب الإلهى.

ثمّ يواصل الإمام عليه السلام كلامه لولده ويوصيه بالدعاء والمناجاة للّهوطلب الحاجة إليه، ويقول: «فَإِذَا نَادَيْتَهُ سَمِعَ نِدَاكَ، وَإِذَا نَاجَيْتَهُ عَلِمَ نَجْوَاكَ، فَأَفْضَيْتَ ۶۸۸] إِلَيْهِ بِحَاجَتِكَ، وَأَبْثَثْتَهُ ۶۸۹] ذَاتَ نَفْسِكَ، وَشَكَوْتَ إِلَيْهِ هُمُومَكَ، وَاسْتَكْشَفْتَهُ كُرُوبَكَ، وَاسْتَعَنْتَهُ عَلَى أُمُورِكَ».

ففى هذه الفقرة من كلام الإمام عليه السلام يعلّم الإمام ولده كيفية المناجاة والابتهال مع إلى اللَّه تعالى ويقول: اطلب حاجتك منه تعالى وافتح له قلبك وأبرز له هواجسك ومكنوناتك، وتحدّث معه عن معاناتك وهمومك، واطلب منه المعونة فى جميع أمورك، فهذه الأمور الخمسة تشكّل محاور مناجاة العباد مع ربّهم وقد أشار إليها الإمام عليه السلام بعبارات بليغة وموجزة.

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام بيّن لولده كيفية الطلب من اللَّه تعالى وعدّد له مواهبه ونعمه المهمّة التى ينبغى للإنسان أن يطلبها من اللَّه تعالى دائماً ويقول: «وَسَأَلْتَهُ مِنْ خَزَائِنِ رَحْمَتِهِ مَا لَايَقْدِرُ عَلَى إِعْطَائِهِ غَيْرُهُ، مِنْ زِيَادَةِ الْأَعْمَارِ، وَصِحَّةِ الْأَبْدَانِ، وَسَعَةِ الْأَرْزَاقِ».

فهنا نرى الإمام عليه السلام بعد أن يؤكّد على أنّ اللَّه تعالى يملك مواهبَ ونعماً فى خزائن رحمته ولا يستطيع أىّ مخلوق إعطاء هذه النعم للإنسان، يشير الإمام عليه السلام إلى ثلاث من هذه النعم:

۱. العمر الطويل، الذى يتيح للإنسان أن يتحرّك على مستوى بناء ذاته وتزكية نفسه وزيادة حسناته.

۲. الصحّة والسلامة، وبدون هذه الصحّة والسلامة فلا يترتّب على زيادة العمر

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۵۱۶

سوی مزید من الألم والمعاناة وأحیاناً یؤدی إلی الابتعاد عن اللَّه والإعراض عن رحمته.

۳. الرزق الوفیر، لأنّ الإنسان بدون إمکانات مالیة غیر قادر علی أداء الکثیر من الحسنات والخیرات، من قبیل صلة الرحم، کفالة الأیتام، إعانة المحتاجین، بناء المدارس، المستشفیات، نشر علوم الإسلام ومعارف أهل البیت علیهم السلام، ضیافة المؤمنین وما إلی ذلک.

وطبعاً هذا فی صورة أن یکون المقصود من الأرزاق فی هذه العبارة الأرزاق المادیة، ولکن إذا توسّعنا فی مفهوم الرزق بحیث یشمل العلوم والمعارف، النفوذ الإجتماعی، القوی الجسمیة والنفسیة وما شاکل ذلک، فسوف یکون المطلب أوضح وأبین.

وممّا لا شک فیه أنّ طول العمر وصحة البدن وسعة الرزق تتصل بشکل وثیق بسعی الإنسان وجهده بأن یراعی المسائل الصحیة ویجتنب عوامل الضرر وموجبات المرض، ویتحرک فی واقع الحیاة بطلب الرزق، ولکن بشکل عام فإنّ هذه الأمور مرتبة بمشیئة اللَّه تعالی، والعوامل التی یفرضها ویقرّرها الباری فی عالم الغیب وهی خافیة علینا، وعلی حدّ تعبیر الإمام علیه السلام: إنّها من خزائن رحمة اللَّه تعالی الذی لا یقدر علی إعطائک غیره.

ویشیر القرآن الکریم إلی هذا الموضوع أیضاً فی حدیثه عن دعاء النبیّ إبراهیم علیه السلام وقوله: «الَّذِی خَلَقَنِی فَهُوَ یَهْدِینِ* وَالَّذِی هُوَ یُطْعِمُنِی یَسْقِینِ* وَإذا مَرِضْتُ فَهُوَ یَشْفِینِ* وَالَّذِی یُمِیتُنِی ثُمَّ یُحْیِینِ»[۶۹۰].

ومن المعلوم أنّ المواهب الإلهیّة لا تنحصر بزیادة العمر وصحة البدن وسعة الرزق، ولکن لا شکّ أنّ الأرکان الأصلیة لهذه النعم والمواهب الإلهیّة تتمحور حول هذه الأمور الثلاثة، لأنّ الأصل والعمدة فی أعمال الخیر ینبثق من هذه الأمور.

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۵۱۷

وفی بیان مفاتیح هذه الخزائن الإلهیّة یقول الإمام علیه السلام: «ثُمَّ جَعَلَ فِی یَدَیْکَ مَفَاتِیحَ خَزَائِنِهِ بِمَا أذِنَ لَکَ فِیهِ مِنْ مَسْأَلَتِهِ».

ویتبیّن من هذا الکلام أنّ الدعاء والابتهال إلی اللَّه تعالی له تأثیر کبیر فی نیل المطلوب والانتفاع بالنعم المتوفّرة فی هذه الخزائن اللامتناهیة ویتبیّن أیضاً دور الدعاء فی فتح أبواب هذه الخزائن الغیبیة.

وطبعاً فالدعاء یستلزم توفّر شروطه، منها أن یبذل الإنسان جهده بما لدیه من إمکانات فی هذا السبیل، ثمّ یتوسّل بالدعاء لما لیس له قدرة علیه وما هو خارج عن إمکاناته.

ثمّ یخرج الإمام علیه السلام بهذه النتیجة: «فَمَتَی شِئْتَ اسْتَفْتَحْتَ بِالدُّعَاءِ أَبْوَابَ نِعْمَتِهِ، وَاسْتَمْطَرْتَ شَآبِیبَ ۶۹۱] رَحْمَتِهِ».

ومعلوم أنّ خزائن اللَّه تمثّل مجموعة النعم المادیة والمعنویة للمخلوقات، وأنّ مفتاح أبواب هذه الخزائن هو الدعاء، وبکلمة أخری أنّ الإمام علیه السلام شبّه نعم اللَّه تعالی بمطر الرحمة حیث یستطیع الإنسان أن یستمطر هذه الرحمة الإلهیّة من سماء القدرة الإلهیّة المطلقة واللطف الإلهیّ العمیم علی أرض وجوده ویروی ظمأ قلبه وعطش روحه.

وجاء فی حدیث آخر عن أمیرالؤمنین علیه السلام: «الدُّعَاءُ مَفَاتِیحُ النَّجاحِ وَمَقَالِیدُ الْفَلَاحِ وَخَیْرُ الدُّعَاءِ مَا صَدَرَ عَنْ صَدْرٍ نَقِیٍّ وَقَلْبٍ تَقِیٍّ»[۶۹۲].

وهنا یثار سؤال مهمّ ومعروف، والإمام علیه السلام یجیب عنه بلا فصل، وهو: لماذا لا تستجاب الکثیر من أدعیتنا، أو تتأخّر الإجابة مدّة طویلة، فلو کان الدعاء یفتح أبواب رحمة اللَّه، فلماذا لا یفتح هذا المفتاح الباب أو یستغرق فتحها مدّة من الزمان؟ فی حین أنّ الآیات الشریفة التی تعتبر الدعاء مفتاح الإجابة مطلقة وشاملة

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۵۱۸

لجمیع الحالات، ففی مورد یقول القرآن الکریم: «ادْعُونِی أَسْتَجِبْ لَکُم»[۶۹۳]، وفی مورد آخر یقول: «وَإذا سَأَلَکَ عِبادی عَنِّی فَإِنِّی قَرِیبٌ أُجِیبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إذا دَعان»[۶۹۴].

ويجيب الإمام عليه السلام عن هذا السؤال بالإشارة إلى أربع نقاط:

الاولى: أحياناً تكون نيّة الداعى ملوّثة ولا يصدر الدعاء عن قلب نقىّ وطاهر من الذنوب، يقول: «فَلَا يُقَنِّطَنَّكَ إِبْطَاءُ إِجَابَتِهِ، فَإِنَّ الْعَطِيَّةَ عَلَى قَدْرِ النِّيَّةِ».

وهذا الحديث الشريف الذى قرأناه آنفاً مذكور فى كتاب الكافى وأنّ الدعاء إنّما يستجاب إذا صدر من قلب نقىّ وطاهر، وعلى هذا الأساس إذا لم تستجب بعض الأدعية ويستجاب البعض الآخر، فذلك ناشىء من تلوّث النيّة، والروايات التى تقرّر أنّ أحد شرائط استجابة الدعاء التوبة من الذنوب، تشير إلى هذا المعنى أيضاً.

وأشار الإمام عليه السلام إلى المانع الثانى فى قوله: «وَرُبَّمَا أُخِّرَتْ عَنْكَ الْإِجَابَةُ، لِيَكُونَ ذَلِكَ أَعْظَمَ لِأَجْرِ السَّائِلِ، وَأَجْزَلَ لِعَطَاءِ الْآمِلِ».

وببيان آخر أنّ اللّه تعالى قد يؤخّر استجابة دعاء عبده ليبقى العبد فترة أطول أمام باب بيته، وبالتالى يحصل على مواهب أكثر وأوفر وذلك بسبب محبّة اللّه لهذا العبد.

ثمّ يشير الإمام عليه السلام إلى المانع الثالث من استجابة الدعاء ويقول: «وَرُبَّمَا سَأَلْتَ الشَّيْءَ فَلَا تُؤْتَاهُ، وَأُوتِيتَ خَيْراً مِنْهُ عَاجِلًا أَوْ آجِلًا».

وهو إشارة إلى أنّك ربّما تطلب شيئاً قليلًا وتافهاً من اللّه تعالى ولكنّ اللّه بمقتضى عظمته وسعة رحمته لا يستجيب لك ولا يعطيك ما تطلب، بل يعطيك خيراً منه عاجلًا أو آجلًا، كالشخص الذى يتوجّه لشخص كريم فيطلب منه داراً وضيعة مثلًا ولكن ذلك الكريم لا يقبل ويمتنع عن إعطائه ما يريد، لأنّه سيعطيه فيما بعد داراً أوسع وأفضل ممّا طلب.

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۵۱۹

ثمّ يبيّن الإمام عليه السلام السبب الرابع لعدم استجابة الدعاء، والذى يعتبر أهمّ سبب فى ذلك، يقول: «أَوْ صُرِفَ عَنْكَ لِمَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ، فَلَرُبَّ أَمْرٍ قَدْ طَلَبْتَهُ فِيهِ هَلَاكُ دِينِكَ لَوْ أُوتِيتَهُ».

فالكثير من الناس وبسبب عدم اطّلاعهم على عواقب الأمور يطلبون مسائل وحاجات من اللّه تعالى بإصرار وإلحاح، فى حين أنّ هذا الطلب فيه هلاكه وفساده، وبما أنّ اللّه تعالى عالم بعواقب الأمور، فإنّه لا يستجيب مثل هذا الدعاء، ولكنّه لا يخيّب أمل عبده، فيعطيه ما فيه فلاحه ونفعه.

ويشير القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة أيضاً ويقول: «وَعَسى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ»[۶۹۵]. ونقرأ فى حديث شريف عن النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله أنّه قال: «قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: إِنَّ مِنْ عِبَادِيَ الْمُؤْمِنِينَ عِبَاداً لَايَصْلُحُ لَهُمْ أَمْرُ دِينِهِمْ إِلَّا بِالْغِنَى وَالسَّعَةِ وَالصِّحَّةِ فِي الْبَدَنِ فَأَبْلُوهُمْ بِالْغِنَى وَالسَّعَةِ وَصِحَّةِ الْبَدَنِ فَيُصْلِحُ عَلَيْهِمْ أَمْرَ دِينِهِمْ وَإِنَّ مِنْ عِبَادِيَ الْمُؤْمِنِينَ لَعِبَاداً لَايَصْلُحُ لَهُمْ أَمْرُ دِينِهِمْ إِلَّا بِالْفَاقَةِ وَالْمَسْكَنَةِ وَالسُّقْمِ فِي أَبْدَانِهِمْ فَأَبْلُوهُمْ بِالْفَاقَةِ وَالْمَسْكَنَةِ وَالسُّقْمِ فَيُصْلِحُ عَلَيْهِمْ أَمْرُ دِينِهِمْ»[۶۹۶].

وهناك نماذج جليّة على امتداد التاريخ وحتّى فى زمان صحابة النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله وأئمّة الهدى عليهم السلام تحكى عن وجود بعض الأفراد من ذوى الذهنية الضيّقة يطلبون من اللّه تعالى وبإصرار ويتوسّلون إليه بالنبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله أو الأئمّة المعصومين عليهم السلام أن يوسّع فى رزقهم، وبعد الإصرار والطلب من النبىّ صلى الله عليه و آله أو الإمام أن يدعو لهم بسعة الرزق تفضى بهم سعة الرزق إلى حالة من الطغيان والتمرّد، بل ينطق بعض هؤلاء بكلمات يستشمّ منها الإرتداد عن الدين والإيمان كما فى القصة المعروفة عن ثعلبة بن حاطب الأنصارى الذى كان يصرّ على النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله أن يدعو له بالمال الوفير،

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۵۲۰

وكان النبىّ يعلم بحاله ومستقبله وكان يقول له: «قَلِيلٌ تُؤَدِّي شُكْرَهُ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ لَا تُطِيقُه»، أليس من الأفضل أن تتأسّى بالنبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله وتقنع بحياة بسيطة؟ ولكنّ ثعلبة بقى مصرّاً على طلبه، وأخيراً دعا له النبىّ وحصل على ثروة كبيرة من ميراث خلّفه

له أحد أرحامه، فاشترى بهذا المال ماشية، وازدادت وكثرت تدريجياً حتّى أصبح من العسير الاحتفاظ بها فى المدينة، فاضطرّ ثعلبة إلى الخروج إلى خارج المدينة وعلق بحياته المادية حتّى ترك صلاة الجماعة والجمعة خلف النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله خلافاً لعادته السابقة حيث كان يشترك فى جميع صلوات النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله.

وبعد مدّة أرسل إليه النبىّ من يقبض منه زكاة أمواله، فامتنع ثعلبة من دفع الزكاة واعترض على أصل تشريع هذا الحكم الإلهىّ وقال: هل هذا إلّاالجزية التى تؤخذ من أهل الكتاب، نحن أسلمنا لئلّا ندفع الجزية، وعندما وصل خبره إلى النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله قال: «يا وَيْحَ ثَعْلَبَةَ»[۶۹۷].

ثمّ يواصل الإمام عليه السلام كلامه فى مسألة الدعاء ويصل إلى نتيجة مهمّة ويقول:

«فَلْتَكُنْ مَسْأَلَتُكَ فِيمَا يَبْقَى لَكَ جَمَالُهُ، وَيُنْفَى عَنْكَ وَبَالُهُ؛ فَالْمَالُ لَايَبْقَى لَكَ وَلَا تَبْقَى لَهُ».

تأمّل: شروط استجابة الدعاء

قد يتصوّر البعض أنّ عبارات من قبيل: «ادْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُم»[۶۹۸] مطلقة وغير مقيّدة بأىّ قيد وشرط وأنّ الإنسان عندما يدعو بأىّ دعاء فعليه أن يتوقّع الإجابة

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۵۲۱

وأنّ اللَّه تعالى سيستجيب له هذا الدعاء بلطفه وكرمه، فى حين أنّ الأمر ليس كذلك، فقد ورد فى روايات عدّة عن الأئمّة المعصومين عليهم السلام شروط عدّة لاستجابة الدعاء، منها التوبة وصفاء القلب، يقول الإمام الصادق عليه السلام:

«إِيَّاكُمْ أَنْ يَسْأَلَ أَحَدٌ مِنْكُمْ رَبَّهُ شَيْئاً مِنْ حَوَائِجِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ حَتَّى يَبْدَأَ بِالثَّنَاءِ عَلَى اللَّهِ وَالْمِدْحَةِ لَهُ وَالصَّلَاةِ عَلَى النبىّ وَآلِهِ ثُمَّ الْاعْتِرَافِ بِالذَّنْبِ وَالتَّوْبَةِ ثُمَّ الْمَسْأَلَةِ»[۶۹۹].

والشرط الآخر أن يعيش الداعى حياة الطهر والنقاء، خاصّة من الأطعمة المحرّمة والكسب الحرام كما ورد عن النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله قوله: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُسْتَجَابَ دُعَاؤُهُ فَلْيُطَيِّبْ مَطْعَمَهُ وَمَكْسَبَه»[۷۰۰].

فى حين أنّ الكثير من الناس فى حال الدعاء لا يعيشون حالة التوبة ولا يجتنبون الأطعمة المحرّمة أو الملوّثة، ثمّ يتوقّعون أن يستجيب اللَّه تعالى لهم دعاءهم.

وكذلك من شروط الدعاء السعى وبذل الجهد فى طريق الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، فالأشخاص الذين يشاهدون مظاهر المنكر والذنب ولا- يثير ذلك فيهم أىّ ردّة فعل، فلا يحقّ لهم أن يتوقّعوا استجابة دعائهم، كما ورد فى الحديث الشريف عن النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله أنّه قال: «وَلَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ أَوْ لَيُسَلِّطَنَّ اللَّهُ شِرَارَكُمْ عَلَى خِيَارِكُمْ فَيَدْعُو خِيَارُكُمْ فَلَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ»[۷۰۱].

وجاء فى الحديث الشريف أنّ رجلًا جاء إلى أميرالمؤمنين عليه السلام وشكا إليه عدم استجابة دعائه، وقال: لماذا ندعو فلا يستجاب لنا؟ فذكر الإمام عليه السلام فى هذا الحديث الشريف ثمانية شروط لاستجابة الدعاء، وقد ورد بعضها فى الأحاديث المذكورة

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۵۲۲

أعلاه ۷۰۲].

ولمزيد من التوضيح راجع كتاب «المفاتيح الجديدة» ص ۲۱ إلى ۲۵ والتفسير الأمثل فى ذيل الآية الشريفة: «وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى ...»[۷۰۳].

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۵۲۳

القسم العشرون

اشارة

وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّکَ إِنَّمَا خُلِقْتَ لِلْآخِرَةِ لَالِلدُّنْیا، وَلِلْفَنَاءِ لَالِلْبَقَاءِ، وَلِلْمَوْتِ لَا لِلْحَیَاةِ، وَأَنَّکَ فِی قُلْعَةٍ وَدَارِ بُلْغَةٍ، وَطَرِیقٍ إِلَی الْآخِرَةِ، وَأَنَّکَ طَرِیدُ الْمَوْتِ الَّذِی لَایَنْجُو مِنْهُ هَارِبُهُ، وَلَا یَفُوتُهُ طَالِبُهُ، وَلَا بُدَّ أَنَّهُ مُدْرِکُهُ، فَکُنْ مِنْهُ عَلَی حَذَرِ أَنْ یُدْرِکَکَ وَأَنْتَ عَلَی حَالٍ سَیِّئَةٍ، قَدْ کُنْتَ تُحَدِّثُ نَفْسَکَ مِنْهَا بِالتَّوْبَةِ، فَیَحُولَ بَیْنَکَ وَبَیْنَ ذَلِکَ، فَإِذَا أَنْتَ قَدْ أَهْلَکْتَ نَفْسَکَ.

الشرح والتفسیر: الغایة من الخلق

یتحدّث الإمام علیه السلام فی هذه الفقرة من الوصیة عن عدّة أمور مهمّة حول الغایة من خلق الإنسان وحقیقة الدنیا والحیاة وموقف الإنسان فی مقابل الموت، حیث تمثّل کلّ هذه التوصیات تحذیراً لولده وجمیع الأشخاص الذین یقرأون هذه الوصیّة.

بدایة یقول: «وَاعْلَمْ یَا بُنَیَّ أَنَّکَ إِنَّمَا خُلِقْتَ لِلْآخِرَةِ لَالِلدُّنْیا وَلِلْفَنَاءِ لَالِلْبَقَاءِ وَلِلْمَوْتِ لَالِلْحَیَاةِ».

فی منظار الإسلام والأدیان الإلهیّة أنّ الهدف من خلق الإنسان لیس هو الحیاة فی هذه الدنیا، بل إنّ هذه الحیاة تعتبر ممرّاً وقنطرةً یعبر منها الإنسان إلی الآخرة، وسوقاً للتجارة لکسب الزاد والمتاع، ونهایة هذه الحیاة الدنیویة ستنتهی إلی الموت والفناء، ولا یبقی حتی الأنبیاء الإلهیّون.

وبالنسبة للغرض من خلق الإنسان وردت تعبیرات مختلفة فی الآیات والروایات الشریفة، والقرآن الکریم یقول فی سورة الذاریات: «وَما خَلَقْتُ الْجِنَ

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۵۲۴

وَالْإِنْسَ إِلَّا لِیَعْبُدُونِ»[۷۰۴].

وعلی هذا الأساس فإنّ الهدف من خلق الإنسان کما تبیّن الآیة الشریفة هو العبودیّة والعبادة للّه‌تعالی.

ویقول فی الآیة الثانیة من سورة الملک: «الَّذِی خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَیاةَ لِیَبْلُوَکُمْ أَیُّکُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا».

ومن المعلوم أنّ الاختبار الإلهیّ یهدف إلی تحسین عمل الإنسان فی واقع الحیاة والعبودیّة لتهذیب النفوس، ونتیجة کلّ ذلک نیل السعادة الأبدیّة فی الآخرة، ومن هذا المنطلق تعود جمیع الأهداف إلی هدف واحد.

ثمّ یشیر الإمام علیه السلام إلی النقطة الثانیة، یعنی حقیقة الدنیا ومکانتها فی الرؤیة الکونیة ویقول: «وَأَنَّکَ فِی قُلْعَةٍ[۷۰۵] وَدَارِ بُلْغَةٍ[۷۰۶]، وَطَرِیقٍ إِلَی الْآخِرَةِ».

وهنا یبیّن الإمام علیه السلام الهدف من خلق الإنسان وکذلک ماهیة الحیاة الدنیویة، فالهدف من خلق الإنسان ضمان الحیاة السعیدة فی الآخرة لا مجرّد الحیاة فی هذه الدنیا، ومن هنا فإنّ نهایة الحیاة الدنیا هی الفناء لا البقاء، وعلی حدّ تعبیر القرآن:

«وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِیَ الْحَیَوانُ»[۷۰۷]، وهذا المعنی انعکس فی الکثیر من الآیات القرآنیة.

أمّا تعبیر الإمام علیه السلام عن الدنیا بأنّها «قُلْعة» (وهی المحلّ والمنزل الذی ینبغی مغادرته)، وعبارة «بُلغة» (المحلّ الذی ینبغی التزوّد منه وتحصیل الزاد والمتاع) فهذه الحقیقة انعکست أیضاً فی الآیات القرآنیة من قبیل قوله تعالی: «إِنَّکَ مَیِّتٌ

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۵۲۵

وَإِنَّهُمْ مَیِّتُونَ»[۷۰۸].

«کُلُّ نَفْسٍ ذائِقَةُ الْمَوْتِ»[۷۰۹].

«کُلُّ مَنْ عَلَیْها فانٍ»[۷۱۰].

فكلّ هذه الآيات ناظرة إلى هذا المعنى، وكذلك قوله تعالى:

«وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى [۷۱۱] يشير أيضاً إلى دار «دار بلغة».

وعنـدما ننظر إلى الدنيا والآخرة من هذه الزاوية وبهذا المنظار الذى بيّنه الإمام عليه السـلام فى هذه العبارة، فإنّ رؤيتنا للحياة سـتتبدّل، فلا يبقى أثر للحرص والطمع، وسوف تزول الآمال الطويلـة والطموحات الموهومـة، وينتهى التكالب على حطام الدنيا والنزاع مع أهلها لجمع الأـموال والثروات ولاـ يبقى معنى للبخـل واكتنـاز الأـموال، بل كلّ شـىء يكون للّهوفى سبيل اللّه ومن أجل نيل رضا اللّه تعالى ولتحقيق السعادة الأبدية فى الآخرة.

ويشـير الإمام عليه السلام فى النقطة الثالثة إلى هذه الحقيقة، وهى أنّ الموت من ورائك وسوف تقع فى شباكه حتماً، فلا مفرّ منه لكلّ حيّ: «وَأَنَّکَ طَرِيدُ[۷۱۲] الْمَوْتِ الَّذِی لَا يَنْجُو مِنْهُ هَارِبُهُ، وَلَا يَفُوتُهُ طَالِبُهُ، وَلَا بُدَّ أَنَّهُ مُدْرِکُهُ».

والتعبير ب «طريـد» يعنى الشـخص الهارب ممّن يتعقّبه، أو الصـيد الـذى يتعقّبه الصـيّاد، وهـذا تعبير بليغ جـدّاً، وكأنّ الإنسان فى بداية عمره يفرّ من الموت الذى يريد اصـطياده، فتارةً يصـطاده فى مرحلة الطفولة، وأخرى فى مرحلة الشـباب، وثالثة فى مرحلة الشـيخوخة، فلاـ أحـد يسـتطيع النجـاة والهرب مـن هـذا الصـياد كمـا يقـول القرآن الكريـم: «أَيْنَمـا تَكُونُـوا يُـدْرِكْكُمُ الْمَـوْتُ وَلَـوْ كُنْتُمْ فِی بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ»[۷۱۳].

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۵۲۶

وفى آية أخرى يقول: «قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ»[۷۱۴].

أجل، فالإنسان مهما شكّ فى أىّ شىء فإنّه لا يستطيع الشكّ فى هذه الحقيقة الحاسمة، وهى أنّه سيأتى اليوم الذى لابدّ أن يرحل من هـذا العـالم، وهـذا اليوم غير معلوم، لاـ فى تاريخه ولا فى الساعـة أو الدقيقـة، فربّما يكون بعيـداً وربّما يكون قريباً جـدّاً، اليوم أو غـد، والملفت أنّه لاـ يوجـد أىّ اسـتثناء لهـذا القـانون، فأصـحاب القـدرة والثروة والأطبّاء الحاذقون وحتّى الأنبياء والأولياء يخضـعون لهـذا القانون، والقرآن الكريم يخاطب النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله بقوله: «إِنَّکَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ»[۷۱۵].

ثمّ إنّ الإمام عليه السـلام يشـير إلى نقطـة مهمّـة هى آخر تحذير فى هذا المقطع من الوصـيّة ويقول: «فَكُنْ مِنْهُ عَلَى حَذَرِ أَنْ يُدْرِكَکَ وَأَنْتَ عَلَى حَالٍ سَيِّئَةٍ، قَدْ كُنْتَ تُحَدِّثُ نَفْسَکَ مِنْهَا بِالتَّوْبَةِ، فَيَحُولَ بَيْنَکَ بَيْنَ ذَلِکَ، فَإِذَا أَنْتَ قَدْ أَهْلَكْتَ نَفْسَکَ».

وفى هـذا التحـذير والإنـذار يلفـت الإمـام عليه السـلام نظر ولـده إلى هـذه الحقيقـة، وهى أنّ زمـان المـوت مبهم وغير معلـوم فى كلّ الأحوال، فأحياناً يرتكب الإنسان معصـيةً وينوى التوبـة وتطهير صـحيفة أعماله من لوث هذه المعصـية بعد ذلك، ولكنّ الموت يفاجئه بغتة ويسـلب منه هذه الفرصة، وكلّنا رأينا أو سـمعنا فى حياتنا بعض الأشخاص الذين أرادوا القيام بأعمال حسنة أو سيئة ولكنّ الموت باغتهم فى تلك اللحظة فلم يستطيعوا إنجاز ما عزموا عليه، ولم ينالوا بغيتهم.

وفى هـذه الأيّام التى نكتب فيها شـرحاً لهذه الوصـيّة سـمعنا خبراً من أجهزة الإعلام أنّ مهرجاناً اقيم فى بلدنا لأحد العلماء المعروفين، وقد اشترك فى ذلك المهرجان جماعة من الشخصيات والمدعوين وجلس ذلك العالم وهو ينتظر بفارغ الصبر استلام الجائزة، وفجأة فى ذلك المكان حان أجله واصيب بسكتة قلبية، وانتهى كلّ شىء[۷۱۶].

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۵۲۷

ونقرأ فى رواية المفضّل المعروفة أنّ الإمام الصادق عليه السـلام يقول للمفضّل: إذا كنت تسأل لماذا جعل اللّه تعالى مدّة حياة الإنسان مستورة وخفيّـة وربّمـا حـان أجله فى ساعـة يمـارس فيهـا الإـثم ويقترف المعصـية؟ فالجواب: الغرض من ذلك أنّ الإنسان، مع أنّه لا يعرف زمـان موته، إلّـاأنّه يتحرّک فى خطّ المعصـية وارتكاب الإثم، ولو كان يعلم زمان موته وحـدود أجله، وكان يأمل بطول البقاء، فإنّه سـيتجرّأ على المعاصـى أكثر، ومن هنا فإنّ توقّع الموت فى كلّ لحظـة وعلى أيّـة حال أفضل من اطمئنانه بالبقاء، وعنـدما نرى أنّ هذا الانتظار لا ينفع مع بعض الناس فإنّه مؤثّر قطعاً فى البعض الآخر، حيث يبتعدون عن الذنوب والمعاصى ويتحرّكون فى خطّ الطاعة

والمسؤولية والأعمال الصالحة، وينفقون أموالهم على الفقراء والمساكين ويهتمّون ببناء آخرتهم وإعمارها[۷۱۷].

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۵۲۹

القسم الحادى والعشرون

اشارة

يَا بُنَىَّ أَكْثِرْ مِنْ ذِكْرِ الْمَوْتِ، وَذِكْرِ مَا تَهْجُمُ عَلَيْهِ، وَتُفْضِى بَعْدَ الْمَوْتِ إِلَيْهِ، حَتَّى يَأْتِيَکَ وَقَدْ أَخَذْتَ مِنْهُ حِذْرَکَ، وَشَدَدْتَ لَهُ أَزْرَکَ، وَلَا يَأْتِيَکَ بَغْتَةً فَيَبْهَرَکَ. وَإِيَّاکَ أَنْ تَغْتَرَّ بِمَا تَرَى مِنْ إِخْلَادِ أَهْلِ الدُّنْيَا إِلَيْهَا، وَتَكَالُبِهِمْ عَلَيْهَا، فَقَدْ نَبَّأَکَ اللَّهُ عَنْهَا، وَنَعَتْ هِيَ لَکَ عَنْ نَفْسِهَا، وَتَكَشَّفَتْ لَکَ عَنْ مَسَاوِيهَا، فَإِنَّمَا أَهْلُهَا كِلَابٌ عَاوِيَةٌ، وَسِبَاعٌ ضَارِيَةٌ، يَهِرُّ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ، وَيَأْكُلُ عَزِيزُهَا ذَلِيلَهَا، وَيَقْهَرُ كَبِيرُهَا صَغِيرَهَا. نَعَمٌ مُعَقَّلَةٌ، وَأُخْرَى مُهْمَلَةٌ، قَدْ أَضَلَّتْ عُقُولَهَا، وَرَكِبَتْ مَجْهُولَهَا. سُرُوحُ عَاهَةٍ بِوَادٍ وَعْثٍ، لَيْسَ لَهَا رَاعٍ يُقِيمُهَا، وَلَا مُسِيمٌ يُسِيمُهَا. سَلَكَتْ بِهِمُ الدُّنْيَا طَرِيقَ الْعَمَى وَأَخَذَتْ بِأَبْصَارِهِمْ عَنْ مَنَارِ الْهُدَى فَتَاهُوا فِى حَيْرَتِهَا، وَغَرِقُوا فِى نِعْمَتِهَا وَاتَّخَذُوهَا رَبّاً، فَلَعِبَتْ بِهِمْ وَلَعِبُوا بِهَا، وَنَسُوا مَا وَرَاءَهَا.

الشرح والتفسير: الدنيا الخدّاعة وأهلها

فى هذا المقطع من الوصيّة يحذّر الإمام عليه السلام ولده من الركون إلى الدنيا ويؤكّد عليه أن يذكر الموت ويستعدّ له ولا يغترّ بأفعال وسلوكيات أهل الدنيا.

بداية يقول: «يَا بُنَىَّ أَكْثِرْ مِنْ ذِكْرِ الْمَوْتِ، وَذِكْرِ مَا تَهْجُمُ عَلَيْهِ، وَتُفْضِى بَعْدَ الْمَوْتِ إِلَيْهِ، حَتَّى يَأْتِيَکَ وَقَدْ أَخَذْتَ مِنْهُ حِذْرَکَ ۷۱۸]، وَشَدَدْتَ لَهُ أَزْرَکَ ۷۱۹]، وَلَا يَأْتِيَکَ

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۵۳۰

بَغْتَةً فَيَبْهَرَکَ ۷۲۰]».

وهذه هى الحقيقة الواضحة التى يعيش غالبية الناس الغفلة عنها، فالجميع يعلم أنّ عمر الإنسان ليس له تاريخ محدّد حسب الظاهر، وأنّه ربّما يواجه الموت فى كلّ لحظة وفى كلّ زمان، بسبب الحوادث الخارجية أو الحوادث الباطنية (الأمراض المفاجئة) على مستوى الفرد والجماعة، والكثير من الناس يدركون هذه الحقيقة ويرون ظاهرة الموت، إلّاأنّهم غافلون عنها، وأحياناً يغرقون فى تفكير عميق عندما يشتركون فى مجالس العزاء لأحد المفقودين من أعزّائهم وأرحامهم، وربّما قرّروا فى تلك اللحظة التهيّؤ لسفر الآخرة والاهتمام لتحصيل الزاد لهذا السفر المصيرىّ، ولكنّهم ما أن يخرجوا من ذلك المجلس حتّى يوضع هذا القرار فى زاوية النسيان.

ويؤكّد الإمام عليه السلام فى كلامه هذا على أنّك لاينبغى أن تنسى هذه الحقيقة الملموسة، وعليك بالاستعداد لاستقبال الموت، واحذر من أن يباغتك فجأة وأنت غير مستعدّ له.

ومرّ علينا قول الإمام عليه السلام فى الخطبة ۱۱۴ فى نهج‌البلاغة: «فَبَادِرُوا الْعَمَلَ وَخَافُوا بَغْتَةَ الْأَجَلِ».

وفى الديوان المنسوب للإمام أميرالمؤمنين علىّ عليه السلام نقرأ أشعاراً عميقة المعنى فى هذا المجال منها:

يا مَنْ بِدُنْياهُ اشْتَغَلقَدْ غَرَّهُ طُولُ الْأَمَل

الْمَوْتُ يَأْتِى بَغْتَةًوَالْقَبْرُ صُنْدُوقُ الْعَمَل

ويواصل الإمام عليه السلام كلامه فى تحذير ولده من الاغترار بالدنيا والانخداع بأعمال أهلها فإنّهم كالحيوانات المفترسة يتكالبون على ملذّاتها وزخارفها، ويقول: «وَإِيَّاکَ أَنْ تَغْتَرَّ بِمَا تَرَى مِنْ إِخْلَادِ[۷۲۱] أَهْلِ الدُّنْيَا إِلَيْهَا، وَتَكَالُبِهِمْ ۷۲۲] عَلَيْهَا».

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۵۳۱

ثمّ يذكر دليلين لهذا الكلام ويقول: «فَقَدْ تَنَأَّكَ اللَّهُ عَنْهَا وَنَعَتْ ۷۲۳] هِیَ لَکَ عَنْ نَفْسِهَا، وَتَکَشَّفَتْ لَکَ عَنْ مَسَاوِیهَا».

وهنا آیات عدّة فی القرآن الکریم تتحدّث عن وهمیّة الدنیا وعدم ثباتها، منها:

«وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَیاةِ الدُّنْیا کَماءٍ أَنْزَلْناهُ مِنَ السَّماءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَباتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشیماً تَذْرُوهُ الرِّیاحُ وَکانَ اللَّهُ عَلی کُلِّ شَیْءٍ مُّقْتَدِراً»[۷۲۴].

وهذا المثال ناظر للأشخاص الذین یطوون مراحل العمر المختلفة (الطفولة والشباب والشیخوخة)، ولکنّ الکثیر منهم لا یصلون لمراحل متقدّمة، بل یحین أجلهم ویغادرون الدنیا فی المراحل الاولی أو المتوسطة لأسباب وعوامل مختلفة.

وأمّا قوله: «وَنَعَتْ هِیَ لَکَ عَنْ نَفْسِهَا، وَتَکَشَّفَتْ لَکَ عَنْ مَسَاوِیهَا»، فالمقصود أنّ الدنیا تحدّثت معک بلسان الحال، وهذا ما ورد فی کلام آخر للإمام أمیرالمؤمنین علیه السلام حیث قال: «أَیُّهَا الذَّامُّ لِلدُّنْیَا الْمُغْتَرُّ بِغُرُورِهَا الْمَخْدُوعُ بِأَبَاطِیلِهَا ...

مَتَی غَرَّتْکَ! أَ بِمَصَارِعِ آبَائِکَ مِنَ الْبِلَی، أَمْ بِمَضَاجِعِ أُمَّهَاتِکَ تَحْتَ الثَّرَی »[۷۲۵].

وکما قال الشاعر:

هِیَ الدُّنْیا تَقُولُ لِمَنْ عَلَیْهاحَذارِ حَذارِ مِنْ بَطْشی وَفَتْکی

فَلا یَغْرُرْکُمْ حُسْنُ ابْتِسامِیفَقَولی مُضْحِکٌ وَالْفِعْلُ مُبْکی ۷۲۶]

أجل، فبریق الدنیا یثیر فی الإنسان النشاط والحرکة، ولکن عندما یتعمّق الإنسان فی حالاتها، یری کثرة المتغیّرات فیها، وعدم وفائها وعدم ثباتها علی حال، ویقوده التفکّر والتدبّر فی أمرها للبکاء والحزن.

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۵۳۲

ویستطرد الإمام علیه السلام فی کلامه فی بیان الدنیا وحالاتها، فیقسّم أهل الدنیا إلی أربع طوائف ویقول: «فَإِنَّمَا أَهْلُهَا کِلَابٌ عَاوِیَةٌ[۷۲۷]، وَسِبَاعٌ ضَارِیَةٌ[۷۲۸]، یَهِرُّ[۷۲۹] بَعْضُهَا عَلَی بَعْضٍ، وَیَأْکُلُ عَزِیزُهَا ذَلِیلَهَا، وَیَقْهَرُ کَبِیرُهَا صَغِیرَهَا، نَعَمٌ ۷۳۰] مُعَقَّلَةٌ[۷۳۱]، وَأُخْرَی مُهْمَلَةٌ[۷۳۲]».

والحقیقة أنّ هذا التقسیم رائع ودقیق جدّاً:

إنّ الإمام علیه السلام یشبّه طائفة من الناس من أهل الدنیا بالکلاب التی اجتمعت حول جیفة وکلّ واحد منها یرید الاستحواذ علیها، فینبح علی سائر الکلاب ویرید إبعادها عن هذه الجیفة، والمصداق البارز لهذه الطائفة الأثریاء والمترفین الذین یعیشون الغفلة عن اللَّه تعالی ویسعون دوماً لجمع الثروات واکتناز الأموال وإقصاء الآخرین عن طریقهم، فأحیاناً یصرخون بوجوههم، وأُخری یلتجئون إلی المحاکم ویسعون من خلال المحامین المنحازین أن یستحوذوا علی أموال الآخرین بصیغ قانونیة، ونری مثل هذه الحالة من التنافس بین الحکومات والدول من خلال الحرب الباردة وأجهزة الإعلام الکاذب حیث یسعون لاحتکار أسواق بلدان العالم الثالث والهیمنة والسیطرة علی ثروات الشعوب الأخری.

وطائفة من أهل الدنیا یتمثّلون فی عصرنا بالحکومات الاستکباریة وأصحاب القدرة والنفوذ، (أو الأثریاء الذین یدعمون مثل هذه الحکومات) فنراهم یعیشون دوماً حالات التنافس غیر المشروع ویسعون لنهب مصادر الثروة من الآخر، وفی کثیر من الأحایین یشعلون الحروب المدمّرة من أجل التوصّل إلی مقصودهم، ویسفکون دماء الآف الأبریاء ویدمّرون المدن والقری، أجل، هؤلاء الذئاب العاویة

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۵۳۳

یتصارعون فیما بینهم علی جیفة الدنیا، ویسحق الأقویاء منهم حقوق الضعفاء، ویتحرّک الکبار فی إزاحة الصغار من طریقهم.

أمّا الطائفة الثالثة، فهم جماعة لا یملکون شیئاً من النفوذ والقدرة، ولکن نراهم لا یمتنعون من أیة ذلّة من أجل تحقیق متاع الدنیا،

فيتعاملون مع أصحاب النفوذ والمستكبرين من موقع العبودية والخنوع والخضوع.

الطائفة الرابعة تعيش كالحيوانات المتمرّدة والمتوحّشة التى تعيش فى البرارى والقفار، وعلى حدّ تعبير الإمام عليه السلام فى كلامه: «قَدْ أَضَلَّتْ عُقُولَهَا، وَرَكِبَتْ مَجْهُولَهَا سُرُوحُ ۷۳۳] عَاهَةٍ[۷۳۴] بِوَادٍ وَعْثٍ ۷۳۵]».

ثمّ يضيف: «لَيْسَ لَهَا رَاعٍ يُقِيمُهَا، وَلَا مُسِيمٌ ۷۳۶] يُسِيمُهَا، سَلَكَتْ بِهِمُ الدُّنْيَا طَرِيقَ الْعَمَى وَأَخَذَتْ بِأَبْصَارِهِمْ عَنْ مَنَارِ الْهُدَى فَتَاهُوا[۷۳۷] فِى حَيْرَتِهَا، وَغَرِقُوا فِى نِعْمَتِهَا، اتَّخَذُوهَا رَبّاً، فَلَعِبَتْ بِهِمْ وَلَعِبُوا بِهَا، وَنَسُوا مَا وَرَاءَهَا».

هؤلاء هم الفئة التى تعيش فى كلّ زمان بخاصّية فى عالمنا المعاصر، حيث تتّخذ من العالم ميداناً لجولاتها وتتحرّك فى كلّ مكان على مستوى الإفساد والتخريب، ويعيشون حالة الشغف اللامحدود بالمال والثروة والجاه والمقام، قد أعموا عيونهم عن رؤية الحقائق، وأصمّوا آذانهم عن سماعهم كلمة الحقّ وغرقوا فى النعم المادية من الذهب والثروات والمجوهرات والدرهم والدينار، وهؤلاء عبدة الدرهم والدينار الذين يشعلون نار الحرب من أجل تحقيق مطامعهم الدنيوية، وأحياناً يصنعون أسلحة الدمار الشامل ويبيعونها بأثمان باهظة لهذا وذاك ويوقدون نار الفتنة بينهم، فهؤلاء أضحوا العوبة بيد الدنيا والدنيا العوبة بيدهم، ومن هذه الجهة نسوا اللّه

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۵۳۴

والمعاد واليوم الآخر تماماً.

والإمام عليه السلام فى هذه الكلمات يحذّر ولده وفلذة كبده من هذه الطوائف الأربع ويدعوه بالابتعاد عنهم، ليس لكونه ابن الإمام فقط، فالمخاطب للإمام عليه السلام يمتدّ ليشمل جميع أفراد البشر.

و «عقول فى جملة «قَدْ أَضَلَّتْ عُقُولَهَا» جمع عقل وهو الفهم والدراية، ولكنّ البعض ذهب إلى أنّها جمع عقال (وهو الحبل الذى يعقل به الجمل) وحينئذٍ يكون مفهوم العبارة: هؤلاء قد أضلّوا الضوابط التى تضبط أمورهم فى الحياة، وبذلك يعيشون الحيرة والتيه فى صحراء الحياة، ولكن مع الالتفات إلى الجملة الثانية «وَرَكِبَتْ مَجْهُولَهَا» فإنّ المعنى الأوّل أنسب، مضافاً إلى أنّ «عقول» جمع عقل لا جمع عِقال، لأنّ جمع عقال «عُقل» على وزن قفل و «عُقُل» على وزن كُتب.

وعلى أيّة حال فالتقسيم الذى ذكره الإمام عليه السلام لأصناف أهل الدنيا وطوائفهم المختلفة يعتبر تقسيماً دقيقاً ورائعاً بحيث يستطيع المرء تشخيص هذه الفئات بسهولة ويتحرّك بحذر ويقظة بعيداً عنهم، وهذه الطوائف والفئات:

۱. فئة الفوضويين وأصحاب وسائل الإعلام المضلّلة.

۲. فئة الوحوش الذين يتكالبون على ثروات الدنيا ويرومون السيطرة عليها.

۳. فئة العبيد الذين يتحرّكون فى خطّ الذلّة والمهانة من أجل التوصّل إلى المال والمقام.

۴. فئة الأراذل وأتباع الشهوات الذين تركوا عقولهم وساروا فى متاهات الحياة، وهؤلاء يعبدون الذهب والفضة والدرهم والدينار، وغايتهم من الحياة إشباع الغرائز وطلب الملذّات الرخيصة.

ج ج

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۵۳۵

القسم الثانى والعشرون

اشارة

رُوَيْداً يُسْفِرُ الظَّلَامُ، كَأَنْ قَدْ وَرَدَتِ الْأَظْعَانُ، يُوشِكُ مَنْ أَسْرَعَ أَنْ يَلْحَقَ! وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّ مَنْ كَانَتْ مَطِيَّتُهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، فَإِنَّهُ يُسَارُ بِهِ وَإِنْ كَانَ وَاقِفاً، وَيَقْطَعُ الْمَسَافَةَ وَإِنْ كَانَ مُقِيماً وَادِعاً.

الشرح والتفسير: السائرون بمركب الليل والنهار

فى هـذا المقطع من الوصـيۀ يحـذّر الإمـام عليه السـلام مرّة أخرى ولـده العزيز من هجـوم المـوت ونهايـۀ العمر، ويقول: رُوَيْـداً[۷۳۸] يُسْفِرُ[۷۳۹] الظَّلَامُ».

والمقصود من الظلام فى هـذه العبارة الجهل بحال الدنيا وتقلّباتها حيث يتصوّر بعض الجهّال ثباتها وديمومۀ حالاتها، ولكن لا تمضـى فترة حتّى يواجهون الموت بهيئته الموحشۀ.

ثمّ يشبّه الإمـام عليه السـلام، أهـل هـذا العـالم بالمسـافرين الـذين يتحرّكون باتّجـاه المنزل المقصود ويقول: «كَأَنْ قَدْ وَرَدَتِ الْأَظْعَانُ [۷۴۰]».

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۵۳۶

ثمّ يضيف: «يُوشِكُ ۷۴۱] مَنْ أَسْرَعَ أَنْ يَلْحَقَ»، فمن يسير بسرعة فى هذا السفر يوشك أن يصل إلى الموت.

والمراد من «مَنْ أَسْرَعَ جميع أفراد البشر لا طائفة خاصّة، لأنّ جميع الناس يتحرّكون بسرعة باتّجاه المنزل النهائى، وهو نهاية الحياة.

ويطرح الإمـام عليه السـلام تشبيهـاً جميلًا عن النـاس فى هـذا العالم ويقول: «وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّ مَنْ كَانَتْ مَطِيَّتُهُ ۷۴۲] اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، فَإِنَّهُ يُسَارُ بِهِ وَإِنْ كَانَ وَاقِفاً، وَيَقْطَعُ الْمَسَافَةَ وَإِنْ كَانَ مُقِيماً وَادِعاً[۷۴۳]».

وهو إشارة إلى أنّ الحركـۀ باتّجاه نهايـۀ العمر هى حركـۀ إجباريّـۀ وحتميّـۀ لا اختياريّـۀ، فالجميع يركبون مطيّـۀ الزمان ويتحرّكون بيد التقدير الإلهىّ، وسرعان ما يصلون- شاؤوا أم أبوا- إلى نقطۀ النهاية، وإن كان الكثير منهم يعيشون الغفلۀ عن هذا المصير.

وهنـاك تعـابير أخرى وردت فى سـائر كلمـات الإمـام عليه السـلام فى هـذا المجـال، منهـا قـوله: «أَهْلُ الـدُّنْيا كَرَكْبٍ يُسَـارُ بِهِمْ وَهُمْ نِيامٌ»[۷۴۴].

ويقول فى مورد آخر: «نَفَسُ الْمَرْءِ خُطَاهُ إِلَى أَجَلِهِ»[۷۴۵].

وفى حديث آخر يقول أميرالمؤمنين عليه السلام: «إنّ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ يَعْمَلانِ فِيكَ فَاعْمَلْ فيهِما وَيَأْخُذانِ مِنْكَ فَخُذْ مِنْهُما»[۷۴۶].

وينقـل ابن أبىالحديـد فى هـذا المورد قصّـۀ جميلـۀ عن أسـتاذه ويقول: واسـتقرأنى أبو الفرج محمّـد بن عبّاد (رحمه اللَّه) وأنا يومئذ حدث، هذه الوصيّۀ فقرأتها عليه من

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۵۳۷

حفظى، فلما وصلت إلى هذا الموضع صاح صيحةً شديدة وسقط، وكان جبّاراً قاسى القلب (أى لا يتأثّر بسرعة بالمواعظ)[۷۴۷].

تأمّل: السالكون إلى العالم الآخر!

فى هـذه العبـارات يشبّه الإمـام عليه السـلام النـاس بالمسـافرين الـذين يركبـون مراكب سـريعۀ، وهـذه المراكب تقودهم إلى المنزل المقصـود والنهـائىّ، ولاـ شـكّ أنّ جماعـۀ من هؤلاـء المسـافرين يتوقّفـون فى محطّـات وسـط الطريق، وجماعـۀ أخرى يسـتمرّون فى مسيرتهم إلى آخر عمرهم الطبيعى، والعجيب أن لا أحد يعلم فى أىّ محطۀ يتوقّف وينزل.

وهناك أمران مسلّمان فى هذا السفر، أحدهما: أنّ هذا السفر غير اختيارىّ وأنّه يملك نهايۀ مقرّرة سلفاً، فجماعۀ يطوون هذا السفر فى حال الغفلـۀ والسـكر والنوم، وجماعـۀ آخرون يتحرّكون من موقع اليقظـۀ والانتباه، وهناك جماعۀ ثالثۀ يتحرّكون بحالۀ من اليقظۀ تارة والغفلـۀ تـارة أخرى، وبعـد نزولهم فى محطّـات الطريق سـيجدون نعمـاً وفيرة وبركـات كثيرة فى كلّ محطـۀ، فيتزوّدون منها لمواصـلۀ المسيرة، فأمّـا من يطوى طريقه فى حال الغفلـۀ والنوم، أو لا يـدرك جيّـداً مواقعه فى هـذا الطريق، وكما ورد فى الحـديث الشـريف: «النّاسُ نِيامٌ إذا ماتُوا انْتَبِهُوا»[۷۴۸]، فإنّهم يصلون إلى المنزل النهائى بأيدٍ خاليۀ وجعبۀ خاويۀ.

والأـمر الآخر: إنّ الأنبياء والرسل الإلهيين مكلّفون بتحـذير هؤلاء المسافرين وإثارة انتباهم فى هـذا الطريق ويهتفون بالغافلين والنائمين

أن يستيقظوا من غفلتهم وينتبهوا من غفوتهم ويتزوّدوا من المنازل والمحطّات فى أثناء الطريق بما يحتاجونه

نفحات الولايهٔ، ج۹، ص: ۵۳۸

لمواصلهٔالمسير، لأنّهم عندما يصلون إلى المقصد فلا يمكنهم حينئذٍ توفير ما يحتاجون من وسائل ومتاع، والأهمّ من ذلك أنّ طريق العودهٔ من هذا المسير موصدهٔ وممتنعهٔ.

فجماعهٔ يؤمنون بهذه التوصيات والنصائح ويستقبلون كلام الأنبياء والأولياء بكلّ عواطفهم وقلوبهم، وجماعهٔ أخرى يتعاملون مع هذه التعاليم السماويهٔ من موقع الانكار، أو يستمعون إليها من غير تطبيق، وعندما يصلون إلى المقصد سيجدون الحقيقهٔ الحاسمهٔ أمامهم، فترتفع أصواتهم بالحسرهٔ ويقولون: «يا لَيْتَنا نُرَدُّ وَلا نُكَذِّبَ بِآياتِ رَبِّنا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنين»[۷۴۹]، ولكن، ولات حين مناص.

نفحات الولايهٔ، ج۹، ص: ۵۳۹

القسم الثالث والعشرون

اشارهٔ

وَاعْلَمْ يَقِيناً أَنَّكَ لَنْ تَبْلُغَ أَمَلَكَ، وَلَنْ تَعْدُوَأَجَلَكَ، وَأَنَّكَ فِى سَبِيلِ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ. فَخَفِّضْ فِىالطَّلَبِ. وَأَجْمِلْ فِىالْمُكْتَسَبِ، فَإِنَّهُ رُبَّ طَلَبٍ قَدْ جَرَّ إِلَى حَرَبٍ؛ فَلَيْسَ كُلُّ طَالِبٍ بِمَرْزُوقٍ، وَلَا كُلُّ مُجْمِلٍ بِمَحْرُومٍ. وَأَكْرِمْ نَفْسَكَ عَنْ كُلِّ دَنِيَّةٍ وَإِنْ سَاقَتْكَ إِلَى الرَّغَائِبِ، فَإِنَّكَ لَنْ تَعْتَاضَ بِمَا تَبْذُلُ مِنْ نَفْسِكَ عِوَضاً. وَلَا تَكُنْ عَبْدَ غَيْرِكَ وَقَدْ جَعَلَكَ اللَّهُ حُرّاً. وَمَا خَيْرُ خَيْرٍ لَايُنَالُ إِلَّا بِشَرٍّ، وَيُسْرٍ لَايُنَالُ إِلَّا بِعُسْرٍ؟! وَإِيَّاكَ أَنْ تُوجِفَ بِكَ مَطَايَا الطَّمَعِ، فَتُورِدَكَ مَنَاهِلَ الْهَلَكَةِ. وَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَلَّا يَكُونَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ ذُو نِعْمَةٍ فَافْعَلْ، فَإِنَّكَ مُدْرِكٌ قَسْمَكَ، وَآخِذٌ سَهْمَكَ، وَإِنَّ الْيَسِيرَ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ أَعْظَمُ وَأَكْرَمُ مِنَ الْكَثِيرِ مِنْ خَلْقِهِ وَإِنْ كَانَ كُلٌّ مِنْهُ.

الشرح والتفسير: لا تذلّ نفسک أبداً

فى هذا المقطع من الوصيّهٔ يشير الإمام عليه السلام إلى ستّ نقاط مهمّهٔ تمثّل كلّ واحدهٔ منها نصيحهٔ للسائرين فى طريق الحقّ والمعنويهٔ، ولكن قبل ذلک يذكر الإمام عليه السلام مقدّمهٔ ويقول: «وَاعْلَمْ يَقِيناً أَنَّكَ لَنْ تَبْلُغَ أَمَلَكَ، وَلَنْ تَعْدُوَ أَجَلَكَ»، أنت لا تستطيع أن تتجاوز ما تقرّر من عمرک، فأنت تسير فى نفس الطريق الذى سار فيه القدماء، فأولئک ماتوا وذهبوا لحال سبيلهم وأنت سوف تلحق بهم.

ثمّ يستنتج الإمام عليه السلام هذه التوصيهٔ: «فَخَفِّضْ ۷۵۰] فِى الطَّلَبِ وَأَجْمِلْ ۷۵۱] فِى

نفحات الولايهٔ، ج۹، ص: ۵۴۰

الْمُكْتَسَبِ».

جملهٔ: «لَنْ تَبْلُغَ أَمَلَكَ تبيّن حقيقهٔ واضحهٔ وهى أنّ كلّ إنسان فى هذا العالم لن يستطيع أنّ يحقّق جميع آماله وطموحاته فى أرض الواقع والحياهٔ، ومن هذا المنطلق لا معنى للحرص فى طلب الرزق والإصرار فى تحصل المكتسبات الدنيويهٔ.

وجملهٔ «وَلَنْ تَعْدُوَ أَجَلَكَ إشارهٔ إلى أنّ عمر الإنسان محدود على أيّهٔ حال ولا أحد يستطيع أن يغادر هذا العالم قبل وقته المقرّر وقبل حلول أجله، فإذا كان الأمر كذلک، فلماذا يحرص الإنسان على اكتساب الأموال ويستنزف طاقاته أكثر من اللازم فى اقتناء الماديات.

ولفظتا: «خَفِّضْ و «أَجْمِلْ كلاهما تشيران إلى هذه الحقيقهٔ، وهى لزوم ترک الحرص لاكتساب الرزق، فالمفروض أن يسلک الإنسان طريق الاعتدال والتأنىّ فى الطلب، وهذا التعبير لا يعنى أبداً ترک السعى وبذل الجهد لاكتساب الرزق الحلال.

ويواصل الإمام عليه السلام كلامه فى بيان هذه الحقائق من موقع الاستدلال عليها يقول:

«فَإِنَّهُ رُبَّ طَلَبٍ قَدْ جَرَّ إِلَى حَرَبٍ ۷۵۲]؛ فَلَيْسَ كُلَّ طَالِبٍ بِمَرْزُوقٍ، وَلَا كُلَّ مُجْمِلٍ بِمَحْرُوم».

ومثل هذا المضمون ورد فى حديث شريف عن النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله أنّه قال:

«اجْمِلُوا فى طَلَبِ الدُّنْيا فَإنَّ كُلًّا مُيَسَّرٌ لِما خُلِقَ لَهُ»[۷۵۳].

وعبارة: «رُبَّ طَلَبٍ قَدْ جَرَّ إلى حَرَبٍ تعتبر على حدّ قول بعض الكتّاب، من أمثال العرب، والمقصود أنّ السعى الكثير ربّما يؤدّى إلى عكس الغرض، وفى ذلك يقول الشاعر:

اقسمُ باللّهِ لَمَصُّ النَّوىوَشربُ ماء القُلَبِ المالحة

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۵۴۱

أحسنُ بالإنسانِ مِن ذلّةٍوَمِن سُؤالِ الأوجهِ الكالحة

فاستغنِ باللّه تكن ذا غنىً مغتبطاً بالصفقة الرّابحة[۷۵۴]

ويقول الآخر:

لا تَبخَلَنّ بِدُنيا وَهى مُقبلةٌفَلَيسَ يَنقُصها التَّبذِيرُ والسَّرفُ

وَإن تَوَلّتْ فَأحرى أن تَجودَ بِهافَالحمدُ مِنها إذا مَا أدبَرتْ خَلفُ ۷۵۵]

وقوله: «فَلَيْسَ كُلُّ طَالِبٍ ... وَلَا كُلُّ مُجْمِلٍ ...» فى الواقع بمثابة الدليل على ما ورد فى العبارات السابقة فى لزوم رعاية الاعتدال فى طلب الرزق وتشير إلى هذه الحقيقة، وهى أنّ السعى الحثيث لا يعنى دوماً زيادة الرزق، ولا أنّ رعاية الاعتدال والتأنىّ قلّة الرزق، بل إنّ اللطف الإلهى يقرّر أنّ من توكّل على اللّه وترك الحرص والطمع وسعى فى طلب الرزق بشكل معتدل، فإنّه سيعيش حياة أفضل مقترنة بالسكينة والاستقرار أكثر، ومثل هؤلاء يفتحون المجال للآخرين ليتحرّكوا فى طلب الرزق ولا يتعاملون مع الناس من موقع الإقصاء والتهميش أو يضيّقون الخناق عليهم فى هذا السبييل.

ويتحدّث الإمام عليه السلام فى التوصية الثانية ويقول: «وَأَكْرِمْ نَفْسَكَ عَنْ كُلِّ دَنِيَّةٍ[۷۵۶] وَإِنْ سَاقَتْكَ إِلَى الرَّغَائِبِ ۷۵۷]، فَإِنَّكَ لَنْ تَعْتَاضَ ۷۵۸] بِمَا تَبْذُلُ مِنْ نَفْسِكَ عِوَضاً».

وهذا إشارة إلى أنّ بعض الرغبات والذنوب النفسانية تتطلّب أحياناً تنازل الإنسان عن كرامته وشخصيّته، فالجدير بالإنسان الذى يعيش الكرامة والحرية أن لا يخضع لمثل هذه الرغبات، ولا يرد نفسه فى هذا المسير، فلا ينبغى للإنسان أن

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۵۴۲

يهين نفسه ويحقّق رغباته عن الشخصية أو يتنازل عن طموحاته المعنوية لحساب الميول المادية والدنيوية.

وكما قال الشاعر:

مَا اعْتاضَ باذِلٌ وَجهِهُ بِسُؤالِهِعِوَضاً وَلَوْ نالَ الْغِنى بِسُؤالِ

وَإِذَا النَّوالُ إِلَى السُّؤالِ قَرَنْتَهُرَجَحَ السؤالُ وَخَفّ كُلُّ نَوالٍ

وهذا يعنى أنّ الإنسان إنّما يريد المال لحفظ حيثيته وسمعته، ولكن لا ينبغى أن ينفق من حيثيته وماء وجهه لكسب المال، ولا يجدر بالإنسان أن يلهث وراء الأمور الماديّة على حساب اهتزاز شخصيته وسمعته.

ويواصل الإمام عليه السلام توصياته لولده ويقول فى التوصية الثالثة، ويقول: «وَلَا تَكُنْ عَبْدَ غَيْرِكَ وَقَدْ جَعَلَكَ اللَّهُ حُرّاً».

وهذه العبارة من أهمّ وأروع وصايا الإمام عليه السلام التى ينبغى أن تكتب بماء الذهب وتجعل نصب العين دائماً، أجل إنّ اللّه تعالى

خلق الإنسـان حرّاً ولا ـ ينبغى أن يسـتبدل هـذه الحريـة بـأىّ أثمان ماديّة، بل أحياناً ينبغى أن يعيش الإنسان بإمكانات محـدودة ويقنع بالمعاناة والمشقّة حفظاً لماء الوجه ولا يذلّ نفسه ويخضع لمشيئة الآخرين ويتعامل معهم من موقع الخنوع.

وهذا الكلام صادق بالنسبة للأفراد والشـعوب كذلك، فما أكثر الشـعوب والأقوام الضعيفة والمتخلّفة المستعدّة لبذل حريتها وكرامتها من أجل عوض زهيد، والمسـتكبرون وقوى الاسـتعمار يعرفون نقطة الضـعف هذه فى الشعوب المتخلفة ويعملون على تكريس واقعها المتخلّف للإستيلاء على ثرواتها واستعبادها، بل إنّهم يتحرّكون على مستوى فرض ثقافتهم الخاطئـة على هـذه الشـعوب مقابل بعض المساعدات الاقتصادية الزهيدة، وأحياناً يسلبون منهم دينهم وإيمانهم.

ولكنّ الأشخاص الذين يعيشون قوّة الشخصية، والشعوب الحرّة يرجّحون الموت على حياة العبودية والذلّة.

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۵۴۳

وهذه التوصية فى الحقيقة من نتائج ولوازم التوصية السابقة التى يقول فيها الإمام عليه السلام: «وَأَكْرِمْ نَفْسَكَ عَنْ كُلِّ دَنِيَّةٍ ...».

وأحد المصاديق البارزة لهذا الموضوع هو ما تجلّى فى نهضة الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه فى كربلاء حيث قال الإمام الحسين عليه السلام فى هذه الواقعة التاريخية الهامة «ألا وَإنَّ الدعىَّ بْنَ الدَّعى قَدْ رَكَز بَيْنَ اثْنَتَيْنِ بَيْنَ السِلّةِ وَالذِّلَّةِ وَهَيْهاتَ مِنَّا الذِّلَّةُ»[۷۵۹].

ويطرح الإمـام الصادق عليه السـلام هـذا المضـمون بكامل أبعاده وجهاته ويبيّن أنّ الشخصـية الحرّة ينبغى أن تتوفّر فيها خمس خصال قال: «خَمْسُ خِصَالٍ مَنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ شَىْءٌ مِنْهَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ كَثِيرُ مُسْتَمْتَعٍ: أَوَّلُهَا الْوَفَاءُ وَالثَّانِيَةُ التَّدْبِيرُ وَالثَّالِثَةُ الْحَيَاءُ وَالرَّابِعَةُ حُسْنُ الْخُلُقِ وَالْخَامِسَةُ وَهِىَ تَجْمَعُ هَذِهِ الْخِصَالَ الْحُرِّيَّةُ»[۷۶۰].

وفى التوصية الرابعة يقول الإمام عليه السلام: «وَمَا خَيْرُ خَيْرٍ لَايُنَالُ إِلَّا بِشَرٍّ، وَيُسْرٍ لَا يُنَالُ إِلَّا بِعُسْرٍ».

وهذا يعنى أنّ البعض ومن أجل التوصّل إلى غايتهم ومقصودهم يسـتخدمون كلّ وسيلة تتيح لهم ذلك وتيسّر لهم تحقيق مطلبهم، فى حين أنّ تعاليم الإسـلام تقرّر أنّ التوصّل إلى الغايات والأهداف لابدّ أن يكون من طريق مشـروع وصحيح، وببيان آخر، (الغاية لا تبرّر الوسيلة) وكـذلك لا ينبغى لغرض تحصـيل السـعادة والراحة التوجّه إلى المقدّمات والوسائل التى تضـيق الخناق على الإنسان وتجعله يعيش الضغوط النفسية والمالية.

وقد فسّرنا العبارة أعلاه بشكل جملة خبرية، ولكن البعض فسّرها بصيغة الجملة الاستفهاميّة، وطبقاً لهذا التفسير سيكون معنى العبارة: ماذا ينفع ذلك الخير الذى لا يحصل عليه الإنسان إلّابطريق الشرّ؟ وماذا تنفع الراحة التى تتأتّى بطريق المعاناة

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۵۴۴

والعسر؟ ومن الواضح أنّ نتيجة كلا التفسيرين واحد رغم تفاوت البيان وصياغة البلاغة.

ويشبه هذا المعنى ما ورد فى كلمات الإمام عليه السلام القصار، حيث يقول: «مَا خَيْرٌ بِخَيْرٍ بَعْدَهُ النَّارُ وَمَا شَرٌّ بِشَرٍّ بَعْدَهُ الْجَنَّةُ»[۷۶۱].

ويسـتطرد الإمام عليه السلام فى بيان وصيته ويخاطب ولده فى خامس توصية من هذه التوصيات: «وَإِيَّاكَ أَنْ تُوجِفَ ۷۶۲] بِكَ مَطَايَا الطَّمَعِ، فَتُورِدَكَ مَنَاهِلَ ۷۶۳] الْهَلَكَةِ».

وهنـا يشبّه الإمـام عليه السـلام موارد الطمع بمنزلـة المطايـا والـدوابّ الجامحـة والمتمرّدة التى إذا ركبهـا الإنسان فسوف يفقـد زمامه واختياره وربّما تقوده إلى وادى الهلكـة، والتعبير «مَناهِلَ الْهَلَكَةِ» فيه إشارة لطيفة إلى هذه الحقيقة، وهى أنّ الإنسان يتوجّه لمنبع الماء لإرواء عطشه، ولكنّ المنبع الـذى تقوده إليه مطايـا الطمع ليس فقـط لا يروى عطشه منها، بل لا يوجـد ماء أساساً وتوجـد بـدله موارد الهلكة.

وقد جرّبنا فى حياتنا مرات عديدة هذا، والتاريخ بدوره يشـهد على صـحة هذا الكلام وهو أنّ الأشـخاص الذين يعيشون حالات الطمع يواجهون الفشـل والإخفـاق فى حياتهم، لأنّ الطمع يعمى عين الإنسان عن رؤيـة الحقيقـة ويصمّ اذنه عن سـماع النصـحية، ولا يسـمح بتشـخيص الطريق القويم من المتاهة، ومحلّ النجاة من الهاوية، بل يمكن القول إنّ أغلب الأشخاص الذين يشتغلون فى الشأن التجارى

وأمثال ذلك، والذين يواجهون الإخفاق والإفلاس فى نهاية المطاف فالسبب فى ذلك يعود إلى حالة الطمع والجشع فيهم.

ويشبه هـذا المعنى ما ورد الحديث الشريف عن الإمام الصادق عليه السلام المذكور فى كتاب بحار الأنوار حيث يقول: «الطَّمَعُ خَمْرُ الشَّيْطَانِ يَسْتَقِى بِيَدِهِ لِخَوَاصِّهِ فَمَنْ

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۵۴۵

سَكِرَ مِنْهُ لَايَصْحُو إِلَّا فِى أَلِيمِ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ مُجَاوَرَةِ سَاقِيه»[۷۶۴].

وفى حديث آخر يقول رسول اللَّه صلى الله عليه و آله «الطَّمَعُ يُذْهِبُ الْحِكْمَةَ مِنْ قُلُوبِ الْعُلَماءِ»[۷۶۵].

ونقرأ فى حديث آخر عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه قال: «مَا هَدَمَ الدِّينَ مِثْلُ الْبِدَعِ، وَلَا أَفْسَدَ الرَّجُلَ مِثْلُ الطَّمَع»[۷۶۶].

ثمّ ينطلق الإمام ليبيّن التوصية السادسة والأخيرة فى هذا المقطع من الوصية ويقول: «وَإِن اسْتَطَعْتَ أَلَّا يَكُونَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ ذُو نِعْمَةٍ فَافْعَلْ، فَإِنَّكَ مُدْرِكٌ قَسْمَكَ، وَآخِذٌ سَهْمَكَ، وَإِنَّ الْيَسِيرَ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ أَعْظَمُ وَأَكْرَمُ مِنَ الْكَثِيرِ مِنْ خَلْقِهِ وَإِنْ كَانَ كُلٌّ مِنْهُ».

ويستند الإمام عليه السلام فى هذا التوصية إلى مسألة أخلاقية مهمّة وهى أنّ الإنسان مهما أمكن لا ينبغى أن يقيّد نفسه رهن إحسان الآخرين ومنّتهم، بل يجب عليه الاعتماد على ما يملكه من إمكانات وطاقات لينال حصّته من النعم والمقدرات الإلهيّة، فإذا نال نصيباً أقلّ من هذا الطريق، فإنّه أفضل من النصيب الأوفر إذا كان من خلال الاستعانة بالآخرين وقبول منّتهم، وفى الحقيقة النصيب الأقلّ مع حفظ كرامة الإنسان وشخصيته ومقامه يعتبر فى الحصيلة أكثر من تلك الحصّة الأخرى، لأنّ الإنسان فى هذه الحالة يحفظ شخصيته وكرامته ولا يبذل منها شيئاً لا يمكن إرجاعه بعد ذلك.

وعلى رغم أنّ عبارة الإمام عليه السلام فى هذه الفقرة مطلقة وتشمل عدم الخضوع لمنّة أىّ شخص حتّى لو كان من المحبّين والمشفقين عليه، كالأب والابن والأخ الذين يتقبّلون أىّ طلب ويستجيبون لأىّ حاجة برحابة صدر، ولكن من الواضح أنّ

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۵۴۶

الإمام عليه السلام فى هذا الكلام يرى أنّ شخصية الإنسان تتعرّض بالسؤال والطلب من الآخرين إلى الخلل والاهتزاز، وعادة ما يقترن السؤال مع الذلّة أو المنّة.

والشاهد على هذا الكلام ما ورد فى الحديث الشريف عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه:

«قَالَ يَوْماً رَجُلٌ عِنْدَهُ: اللَّهُمَّ أَغْنِنَا عَنْ جَمِيعِ خَلْقِكَ. فَقَالَ: أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: لَاتَقُلْ هَكَذَا، وَلَكِنْ قُل: اللَّهُمَّ أَغْنِنَا عَنْ شِرَارِ خَلْقِكَ، فَإِنَّ الْمُؤْمِنَ لَايَسْتَغْنِى عَنْ أَخِيهِ»[۷۶۷].

ونقرأ فى حديث آخر عن الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه قال لولده الإمام الحسن:

«يَا بُنَيَّ إِذَا نَزَلَ بِكَ كَلَبُ الزَّمَانِ وَقَحْطُ الدَّهْرِ فَعَلَيْكَ بِذَوِى الْأُصُولِ الثَّابِتَةِ وَالْفُرُوعِ النَّابِتَةِ مِنْ أَهْلِ الرَّحْمَةِ وَالْإِيثَارِ وَالشَّفَقَةِ، فَإِنَّهُمْ أَقْضَى لِلْحَاجَاتِ وَأَمْضَى لِدَفْعِ الْمُلِمَّات»[۷۶۸].

وببيان آخر أنّ الإنسان كثيراً ما يكون قادراً على أداء عمل معيّن ولكن بسبب الكسل وطلب الراحة فإنّه يطلب المعونة من الآخرين ويضع كَلّه عليهم، وهذا العمل مذموم وقبيح، ولكن فى بعض الموارد لا يتيسّر العمل ونيل المقصود إلّابآلية التعاون والتكاتف، ففى مثل هذه الموارد لا إشكال فى طلب المساعدة من الآخرين، لأنّ حياة الإنسان مقترنة دوماً بعنصر التعاون فى حركة المجتمع.

وجملة: «وَإِنْ كَانَ كُلٌّ مِنْهُ فى الحقيقة إشارة إلى التوحيد الأفعالى للذات المقدّسة وأنّه على فرض أن يطلب الإنسان المعونة والمساعدة من الآخرين (فيما لا ينبغى طلب المعونة فيه) ثمّ يمدّون له يد العون، فلو دقّقنا النظر فى هذا المورد أيضاً لرأينا أنّه حتّى هذا المورد من قِبل اللَّه تعالى، لأنّ الإنسان لا يملك شيئاً فى واقعه حتى يعطيه لغيره، فما يملك فهو من اللَّه تعالى وما حصل عليه فإنّه قد اكتسبه بإذن اللَّه وبما أودع اللَّه فيه من قوّة وقدرة.

يقول المرحوم مغنية فى شرح نهج‌البلاغة ذيل هذه التوصية لأميرالمؤمنين عليه السلام

نفحات الولايهٔ، ج۹، ص: ۵۴۷

نقلًا عن الشيخ محمد عبده العالم المصرى المعروف، فى جمل قصيرهٔ وعميقهٔ المضمون، يقول: لا يوجد كلام يقع مؤثّراً فى قلب الإنسان أفضل من هذا الكلام، الكلام الذى يتسبّب بقوّهٔ التأثير وإصابهٔ الحقّ بحيث ينقل القارىء المؤمن من هذه الدنيا وأهلها ويجعل جميع همّه متوجّهاً إلى اللَّه تعالى.

وكما يقول الشاعر:

وَيحَكِ يا نَفسُ دَعِي مَا عِشتِ ذُلَّ الطَّمعِ

وَارضى بِما جرى بِهِ حُكمُ القَضاءِ واقنَعِي

إيّاكِ والميلَ إلى شَيطانكِ المُبتَدِع

واقتَصِدى واقتَصِرى كى تَرتَوى وَتَشبَعى

أينَ السّلاطِينُ الالى مِنْ حِميَرٍ وتُبَّع

شَادُوا الحُصُونَ فَوق كُلِّ كُلِّ شَاهِقٍ مُرتفعِ

لَم يَبقَ مِنْ دِيارِهِم غيرَ رُسُومٍ خُشَّعِ

كَفى بذاك واعظاًوزاجراً لِمَن يعى

حَسبُكِ يا نَفسُ اقبَلى نُصْحى وَلا تُضيّعى ۷۶۹].

نفحات الولايهٔ، ج۹، ص: ۵۴۹

القسم الرابع والعشرون

اشارهٔ

وَتَلَافِيكَ مَا فَرَطَ مِنْ صَمْتِكَ أَيْسَرُ مِنْ إِدْرَاكِكَ مَا فَاتَ مِنْ مَنْطِقِكَ، وَحِفْظُ مَا فِى الْوِعَاءِ بِشَدِّ الْوِكَاءِ، وَحِفْظُ مَا فِى يَدَيْكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ طَلَبِ مَا فِى يَدَىْ غَيْرِكَ. وَمَرَارَةُ الْيَأْسِ خَيْرٌ مِنَ الطَّلَبِ إِلَى النَّاسِ، وَالْحِرْفَةُ مَعَ الْعِفَّةِ خَيْرٌ مِنَ الْغِنَى مَعَ الْفُجُورِ، وَالْمَرْءُ أَحْفَظُ لِسِرِّهِ، وَرُبَّ سَاعٍ فِيمَا يَضُرُّهُ! مَنْ أَكْثَرَ أَهْجَرَ، وَمَنْ تَفَكَّرَ أَبْصَرَ. قَارِنْ أَهْلَ الْخَيْرِ تَكُنْ مِنْهُمْ، وَبَايِنْ أَهْلَ الشَّرِّ تَبِنْ عَنْهُمْ، بِئْسَ الطَّعَامُ الْحَرَامُ! وَظُلْمُ الضَّعِيفِ أَفْحَشُ الظُّلْمِ! إِذَا كَانَ الرِّفْقُ خُرْقاً كَانَ الْخُرْقُ رِفْقاً. رُبَّمَا كَانَ الدَّوَاءُ دَاءً، وَالدَّاءُ دَوَاءً، وَرُبَّمَا نَصَحَ غَيْرُ النَّاصِحِ، وَغَشَّ الْمُسْتَنْصَحُ. وَإِيَّاكَ وَالاتِّكَالَ عَلَى الْمُنَى فَإِنَّهَا بَضَائِعُ النَّوْكَى وَالْعَقْلُ حِفْظُ التَّجَارِبِ، وَخَيْرُ مَا جَرَّبْتَ مَا وَعَظَكَ. بَادِرِ الْفُرْصَةَ قَبْلَ أَنْ تَكُونَ غُصَّةً. لَيْسَ كُلُّ طَالِبٍ يُصِيبُ، وَلَا كُلُّ غَائِبٍ يَئُوبُ. وَمِنَ الْفَسَادِ إِضَاعَةُ الزَّادِ، وَمَفْسَدَةُ الْمَعَادِ. وَلِكُلِّ أَمْرٍ عَاقِبَةٌ، سَوْفَ يَأْتِيكَ مَا قُدِّرَ لَكَ.

التَّاجِرُ مُخَاطِرٌ، وَرُبَّ يَسِيرٍ أَنْمَى مِنْ كَثِيرٍ! لَاخَيْرَ فِى مُعِينٍ مَهِينٍ، وَلَا فِى صَدِيقٍ ظَنِينٍ. سَاهِلِ الدَّهْرَ مَا ذَلَّ لَكَ قَعُودُهُ، وَلَا تُخَاطِرْ بِشَىْءٍ رَجَاءَ أَكْثَرَ مِنْهُ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَجْمَحَ بِكَ مَطِيَّةُ اللَّجَاجِ.

الشرح والتفسير: سبع وعشرون موعظهٔ ثمينهٔ

يستعرض الإمام عليه السلام فى هذا المقطع من وصيته النورانيهٔ مجموعهٔ منسجمهٔ ومتجانسهٔ من النصائح المتنوّعهٔ لولده الإمام الحسن المجتبى عليه السلام والتى تتضمّن كلّ

نفحات الولايهٔ، ج۹، ص: ۵۵۰

واحدهٔ منها نقطهٔ مهمّهٔ فى حياهٔ الإنسان وسلوكه الأخلاقى، وتشكّل بمجموعها منهاجاً مفصّلًا لتحقيق الحياهٔ السعيدهٔ لكلّ فرد.

بدايهً يقول الإمام عليه السلام: «وَتَلَافِيکَ ٧٧٠] مَا فَرَطَ[٧٧١] مِنْ صَمْتِکَ أَيْسَرُ مِنْ إِدْرَاکِکَ مَا فَاتَ مِنْ مَنْطِقِکَ».

وهذا يعنى أنّ الإنسان إذا امتنع عن التحدّث بشىء ثمّ علم بعد ذلك أنّ صمته كان خطأً فإنّه يستطيع فوراً تلافى هذا النقص وتدارك هـذا الخلل، فى حين أنّه إذا كان قـد تحـدّث بكلام ثمّ فهم بعـدُ أنّ هذا الكلام خطأ، فإنّ تدارك هذا الخطأ غير ممكن، كالماء الذى اريق على الأرض، فإنّ جمعه غير ممكن حينئذٍ.

ويستعرض الإمام عليه السـلام فى إدامهٔ كلامه الطريق الصـحيح للوصول إلى هذا المقصود بذكر المثال، ويقول: «وَحِفْظُ مَا فِى الْوِعَاءِ بِشَدِّ الْوِكَاءِ».

«الوعاء» الظرف الذى يوضع فيه الشـىء، والمراد به هنا القلب وروح الإنسان، «الوكاء» الحبل الذى تشدّ به فوهة القربهٔ، وهو إشارهٔ إلى لسان الإنسان وفمه، فلو أنّ الإنسان ملك لسانه ومنطقه، فإنّه لا تصـدر منه كلمات نابيـهٔ ولا مسؤولـهٔ قـد توجب له النـدم بعد صدورها منه.

ثمّ يتطرق الإمام عليه السلام للتوصيهٔ الثانيهٔ ويقول: «وَحِفْظُ مَا فِى يَدَيْکَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ طَلَبِ مَا فِى يَدَىْ غَيْرِکَ».

وهو إشـارهٔ إلى أنّ الكثير من الناس وبسـبب حالات الإسـراف والتبـذير فى الأموال، يفقـدون ما لـديهم من ثروهٔ، ويضـحون محتاجين للآخرين، ويفقدون عزّتهم ومكانتهم، ولو أنّ الإنسان سـلك طريق الاعتدال والاقتصاد فى حياته فإنّه لا يحتاج إلى الآخرين، ومن هذا المنطلق فإنّه التوصيهٔ المذكورهٔ لا تدعو للبخل أبداً، بل تعنى الدعوهٔ للاعتدال وترك الإسراف والتبذير.

نفحات الولايهٔ، ج۹، ص: ۵۵۱

ثمّ يتطرق الإمام عليه السـلام للتوصـيهٔ الثالثهٔ التى ترتبط بما قبلها ويقول: «وَمَرَارَهُٔ الْيَأْسِ خَيْرٌ مِنَ الطَّلَبِ إِلَى النَّاسِ». أى «اليأس» ممّا فى أيدى الناس أفضل من الطلب إليهم.

والمراد من «اليأس» فى هـذه العبارهٔ هو حالهٔ من قطع الأمل بالآخرين من موقع الاختيار بحيث إنّ الإنسان يوصد على نفسه باب الطلب من الناس، وهـذا العمل وإن كان صـعباً وشاقّاً، ولكنّه يمنـح الإنسان العزّهٔ والشـرف والكرامـهٔ، ولهذا يقول الإمام عليه السـلام، إنّ مثل هذه المرارهٔ أفضل من حلاوهٔ الطلب والسؤال إلى الناس.

وعبارهٔ «الْيأس عَمّا فى أيْدِى النَّاسِ بوصـفها قيمهٔ وفضـيلهٔ أخلاقيهٔ وردت فى روايات عدّهٔ عن الأئمّهٔ المعصومين عليهم السـلام منها ما ورد فى روايهٔ عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «وَخَيْرُ الْمَالِ الثِّقَهُٔ بِاللَّهِ وَالْيَأْسُ عَمَّا فِى أَيْدِى النَّاسِ»[٧٧٢].

وهـذا الكلام لا يعنى أنّ الإنسان يعرض عن التعاون والتكاتف مع الناس فى أمور الحياهٔ، وأنّ الحياهٔ الاجتماعيـهٔ لا تقوم إلّاعلى أساس التعاون، بل المراد أن لا ينظر المرء إلى أموال الناس بعين الطمع ولا يجعل الناس كَلّاً، بل يسعى لكسب معاشه بنفسه.

وكما يقول الشاعر:

وَإنْ كانَ طَعْمُ الْيَأْسِ مُرّاً فَإنَّهُ أَلَذُّ وَأَحْلى مِنْ سُؤالِ الْأَراذِلِ

ثمّ يبيّن الإمام عليه السلام فى التوصيهٔ الرابعهٔ ويقول: «وَالْحِرْفَهُٔ مَعَ الْعِفَّهِٔ خَيْرٌ مِنَ الْغِنَى مَعَ الْفُجُورِ».

العفّهٔ فى اللغهٔ وموارد اسـتعمالها عند علماء الأخلاق لا تعنى ضـبط النفس من حيث الغريزهٔ الجنسـيهٔ، بل ضـبط النفس عن كلّ ذنب، وجـاءت فى الجملـهٔ أعلاه بهـذا المعنى، لأنّ البعض لا يمتنع من اقتراف أىّ ذنب ومعصـيهٔ فى جمع الثروهٔ والمال من هـذه الجهـهٔ أو تلك، أمّا المؤمنون الذين يعيشون الطهر والنقاء القلبى ربّما يجمعون

نفحات الولايهٔ، ج۹، ص: ۵۵۲

ثروهٔ أقلّ، من خلال الطرق المشروعهٔ والبعيدهٔ عن كلّ أنواع الإثم والعدوان، والإمام يقول: إنّ هذا الأخير أفضل وأرجح من السابق.

ويستطرد الإمام عليه السلام فى بيان التوصية الخامسة ويقول: «وَالْمَرْءُ أَحْفَظُ لِسِرِّهِ»، لأنّ الإنسان أكثر اهتماماً وتشدّداً لحفظ أسراره من الآخرين، لأنّ إفشاء هذه الأسرار يوجب له الضرر والخسارة، وقد يتسبب فى هتك حرمته وفضح شخصيته، فى حين أنّ الآخرين ربّما لا يتضرّرون من إفشاء سرّه، ومن هذا المنطلق إذا أراد الإنسان حفظ أسراره، فيجب أن يضعها فى مكنون صدره ويحكم إغلاق بابه، كما ورد ذلك فى كلمات الإمام عليه السلام القصار: «صَدْرُ الْعاقِلِ صُنْدُوقُ سِرِّهِ».

وفى التوصية السادسة يقول الإمام عليه السلام: «وَرُبَّ سَاعٍ [۷۷۳] فِيمَا يَضُرُّهُ».

وهذا إشارة إلى أنّ سعى الإنسان يجب أن يكون مدروساً ومحسوباً، وببيان آخر، أنّ السعى يجب أن يقترن بالتدبير، حتى لا ينعكس الأمر عليه ويقطع أصله بسيفه، وهذا يعدّ من أسوء أنواع المصائب.

وفى التوصية السابعة يقول الإمام عليه السلام: «مَنْ أَكْثَرَ أَهْجَرَ[۷۷۴]».

أجل، فأحد فوائد الصمت، عدم التورّط فى شباك الكلام الركيك والموهن، وقد ثبت بالتجربة أنّ الأشخاص الثرثارين يتحدّثون بكلمات كثيرة ليس لها معنى ولا مفهوم، لأنّ الكلام المحسوب والمدروس يحتاج إلى فكر ومطالعة، فى حين أنّ الثرثارين ليس لديهم مجال للتفكير، والإمام فى غرر الحكم يبيّن العواقب السيئة الكثيرة لظاهرة الثرثرة وما يترتّب عليها ويقول: «مَنْ كَثُرَ كَلامُهُ زَلَّ»[۷۷۵]، وهذا الأمر يؤدّى إلى سقوط شخصيته من أعين الناس ويتسبّب فى ذلّته وفضيحته، بخلاف الأشخاص الذين يتحدّثون بكلام قليل ومدروس، فإنّ ذلك من شأنه أن يمنحهم

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۵۵۳

مكانة مرموقة وسمعة حسنة فى أنظار الناس وكما يقول الشاعر:

وَالصَّمتُ أجملُ للفتىمَا لَم يَكُن عىّ يُشينُه

وَالقَولُ ذو خَطلٍ إذامَا لَم يَكُن لبّ تُعينُه

وفى الوصية الثامنة يقول الإمام عليه السلام: «وَمَنْ تَفَكَّرَ أَبْصَرَ»، أى أبصر حقائق الحياة وسلك الطريق القويم فى حياته.

إنّ أهمّيّة التفكّر فى أمور الدنيا والآخرة ليست شيئاً خافياً على أحد، فجميع الأفراد الذين حقّقوا نجاحاً فى حياتهم سلكوا هذا الطريق. يقول القرآن الكريم فى هذا المجال: «كَذلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآياتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ* فِى الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ»[۷۷۶].

وفى التوصية التاسعة يقول الإمام عليه السلام: «قَارِنْ أَهْلَ الْخَيْرِ تَكُنْ مِنْهُمْ، وَبَايِنْ أَهْلَ الشَّرِّ تَبِنْ عَنْهُمْ».

وهذا إشارة إلى أنّ تأثير المجالسة والمعاشرة لا يقبل الإنكار، فمجالسة الأشرار تقود الإنسان إلى وادى الهلكة والشقاء، بينما مجالسة الأخيار تقوده نحو فضاء السعادة والنجاة، وفى الآيات القرآنية إشارات جليّة على هذا المعنى، يقول تعالى:

«وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلى يَدَيْهِ يَقُولُ يا لَيْتَنِى اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبيلًا* يا وَيْلَتى لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلاناً خَليلًا* لَقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جاءَنِى وَكانَ الشَّيْطانُ لِلْإِنْسانِ خَذُولًا»[۷۷۷].

وجاء فى الحديث الشريف المشهور عن النبىّ الأكرم عليه السلام يقول: «الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ وَقَرِينِهِ»[۷۷۸].

وهذا هو المعيار الأفضل لمعرفة شخصية الإنسان المعقّدة والغامضة من خلال

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۵۵۴

النظر إلى قرينه وصديقه، كما ورد ذلك فى حديث عن الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام:

«فَمَنِ اشْتَبَهَ عَلَيْكُمْ أَمْرُهُ وَلَمْ تَعْرِفُوا دِينَهُ فَانْظُرُوا إِلَى خُلَطَائِهِ فَإِنْ كَانُوا أَهْلَ دِينِ اللَّهِ فَهُوَ عَلَى دِينِ اللَّهِ وَإِنْ كَانُوا عَلَى غَيْرِ دِينِ اللَّهِ فَلَا حَظَّ لَهُ مِنْ دِينِ اللَّهِ»[۷۷۹].

ويقول عليه السلام فى التوصية العاشرة: «بِئْسَ الطَّعَامُ الْحَرَامُ».

ويتحدّث القرآن الكريم عن الأشخاص الذين يأكلون أموال اليتامى بأنّهم يأكلون النار فى بطونهم: «إِنَّ الَّذينَ يَأْكُلُونَ أَمْوالَ الْيَتامى

ظُلْماً إِنَّما يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ ناراً»[۷۸۰]. وهكذا بالنسبة للأطعمة المحرّمة فإنّها تشبه أموال اليتامى من هذه الجهة، وقد ورد فى الروايات أنّ من جملة موانع استجابة الدعاء، تناول الأطعمة الحرام، وقد أشرنا قبل ذلك إلى حديث نبوىّ فى هذا المجال.

ويواصل الإمام عليه السلام بيان توصيات ولده ويقول فى التوصية الحادية عشر: «وَظُلْمُ الضَّعِيفِ أَفْحَشُ الظُّلْمِ»، لأنّه غير قادر على الدفاع عن نفسه، وينقل الكلينى فى كتاب الكافى عن الإمام الباقر عليه السلام أنّ قال: «لَمَّا حَضَرَ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ الْوَفَاةُ ضَمَّنِي إِلَى صَدْرِهِ ثُمَّ قَالَ: يَا بُنَيَّ أُوصِيكَ بِمَا أَوْصَانِي بِهِ أَبِي عليه السلام حِينَ حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ وَبِمَا ذَكَرَ أَنَّ أَبَاهُ أَوْصَاهُ بِهِ، قَالَ: يَا بُنَيَّ إِيَّاكَ وَظُلْمَ مَنْ لَايَجِدُ عَلَيْكَ نَاصِراً إِلَّا اللَّهَ»[۷۸۱].

وبديهىّ أنّ الظلم قبيح تجاه كلّ إنسان، ولكن إذا ظلم رجل شخصاً ثريّاً وسرق مقداراً من ماله، فرغم أنّ هذا العمل يعدّ مخالفة أخلاقية، إلّاأنّه لا يتسبّب فى إلحاق أذىً وضرر كبير لصاحب المال، بخلاف ما لو سرق من فقير ماله.

وفى التوصية الثانية عشر يقول الإمام عليه السلام: «إِذَا كَانَ الرِّفْقُ خُرْقاً[۷۸۲] كَانَ الْخُرْقُ رِفْقاً. رُبَّمَا كَانَ الدَّوَاءُ دَاءً، وَالدَّاءُ دَوَاءً».

إنّ أصل مناهج الحياة يقوم على أساس المداراة والليونة والانعطاف، فأحياناً

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۵۵۵

يوجد بعض الأشخاص من سيّئى الاستفادة من هذا السلوك الإنسانى، فتزداد حالات العنف فيهم، فمع مثل هؤلاء الأشخاص يكون استخدام العنف الطريق الوحيد لإصلاحهم، والجملة اللاحقة فى الحقيقة بمثابة علّة لهذه الجملة، فهناك موارد يكون الدواء فيها مزيداً فى العلّة والمرض، ويكون تحمّل الألم دواءً وعلاجاً لهذا المريض كما قال الشاعر:

ألا فاصبر عَلَى الحَدثِ الجَليلِوَداوِ جَواكَ بالصّبرِ الجَميلِ

وَلا تَيأس فإنّ اليأسَ كُفرٌلَعلَ اللّهَ يُغنى مِن قليلِ

وإنّ العُسرَ يَتبعُهُ يَسارٌوَقَولُ اللّهِ أصدقُ كُلّ قيلِ

وهذا يعنى أنّ الجراح التى يتوقّف علاجها على الكىّ بالنار، فمن المعلوم أنّ استخدام الرقى والأدوية مرّة أخرى تكون عبثاً، وربّما تتسبّب فى زيادة المرض، وبعكس ذلك تارة يكون المرض عارضاً على الإنسان بحيث يتسبّب فى شفاء المريض من أمراض أهمّ وأخطر.

وفى الوصية الثالثة عشر يقول الإمام عليه السلام: «وَرُبَّمَا نَصَحَ غَيْرُ النَّاصِحِ، وَغَشَّ ۷۸۳] الْمُسْتَنْصَحُ ۷۸۴]».

وهذا إشارة إلى أنّه لا ينبغى إساءة الظنّ بكلام الأشخاص ممّن ليسوا من أهل النصح، وأحياناً تصدر منهم كلمات حكيمة ونصيحة نافعة، على العكس من ذلك تارة يصدر من أهل النصح والصلاح خيانة فى نصيحتهم بسبب الخطأ أو الحسد أو عوامل أخرى، وعلى ضوء ذلك لا ـ ينبغى أن نقبل كلامهم بدون تدبّر، بل ينبغى فى كلا الحالتين العودة إلى حكم العقل والعمل على تمييز الكلام النافع من غير النافع لهؤلاء الناصحين من خلال الشواهد والقرائن.

ينقل العلّامة المجلسى فى بحار الأنوار رواية مشهورة وجميلة فى هذا المجال،

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۵۵۶

عن أبى جعفر الباقر عليه السلام قال: لمّا دعا نوح عليه السلام ربّه عزّ وجلّ على قومه أتاه إبليس لعنه اللّه فقال: يا نوح إنّ لك عندى يداً اريد أن اكافيك عليها، فقال له نوح عليه السلام: إنّه يبغض إلىّ أن يكون لك عندى يدٌ فما هى؟ قال: بلى، دعوتَ على قومك فأغرقتهم، فلم يبق أحد اغويه، فأنا مستريح حتّى يظهر قرن آخر واغويهم، فقال نوح عليه السلام:

ماالذى تريد أن تكافئنى به؟ (وفى بعض الروايات أن اللّه عزّ وجلّ أوحى إلى نوح أن كلّمه واسأله فإنّى سانطقه بمحجّة عليه، إلّاأنّ نوح عليه السلام لم يقبل أن يكلّمه)[۷۸۵] قال إبليس: «اذْكُرْنِي فِي ثَلَاثِ مَوَاطِنَ فَإِنِّي أَقْرَبُ مَا أَكُونُ إِلَى الْعَبْدِ إِذَا كَانَ فِي إِحْدَاهُنَّ: اذْكُرْنِي إِذَا غَضِبْتَ، وَاذْكُرْنِي إِذَا حَكَمْتَ بَيْنَ اثْنَيْنِ، اذْكُرْنِي إِذَا كُنْتَ مَعَ امْرَأَةٍ خَالِياً لَيْسَ مَعَكُمَا أَحَدٌ»[۷۸۶].

وهذا الحديث فى الحقيقة يبيّن أحد المصاديق الواضحة لكلام الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام.

وفى التوصية الرابعة عشر يقول الإمام عليه السلام: «وَإِيَّاکَ وَالاتِّکَالَ عَلَى الْمُنَى فَإِنَّهَا بَضَائِعُ النَّوْکَى ۷۸۷]».

المقصود من كلمـة «المُنى الآمال الطويلة والعريضة التى هى إلى الخيالات والأوهام أقرب، والأشـخاص الذين يعيشون هذه الحالة من الاعتماد على الآمال البعيـدة والطموحات الخياليـة فإنّهم يستنزفون قواهم الفعّالـة ويهدرون طاقاتهم الحيوية، ثمّ لا يصـلون إلى شـىء، ومن جهـة أخرى الاعتماد على هذه الآمال يسـتنزف عصارة فكر الإنسان وعمره لحساب الوهم ويصـرفه عن التفكير فى المعاد والحياة الآخرة.

وهذا ما ورد فى الحديث المشهور عن النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله وكذلك عن الإمام

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۵۵۷

أميرالمؤمنين عليه السـلام فى نهج‌البلاغـة، قـال: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ اثْنَانِ اتِّبَاعُ الْهَوَى وَطُولُ الْأَمَلِ فَأَمَّا اتِّبَاعُ الْهَوَى فَيَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ وَأَمَّا طُولُ الْأَمَلِ فَيُنْسِى الْآخِرَةَ»[۷۸۸].

وفى التوصية الخامسة عشر يقول الإمام عليه السلام: «وَالْعَقْلُ حِفْظُ التَّجَارِبِ».

إشـارة إلى أنّ الإنسان عنـدما يجمع التجارب التى اكتسـبها من واقع الحياة ومن الآخرين، ومع الالتفات إلى القاعـدة المعروفـة: «حُكْمُ الْأَمْثالِ فيما يَجُوزُ وَفيما لايَجُوزُ واحِـد»، والحـديث المعروف: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَايُلْـدَغُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ»[۷۸۹] فـإنّ ذلك من شأنه أن يمنح الإنسان القدرة على مواجهة الحوادث والمستجدّات بأساليب صـحيحة، ويتعاطى معها من خلال ما اكتسبه من تجارب قديمة، وبالتالى يستطيع تفادى الكثير من الأخطاء والتخلّص من الكثير من الأزمات.

إنّ الكثير من القواعـد العقليّـة الكليّـة مسـتوحاة من هـذه التجارب الجزئية، (وفقاً لقاعدة الاسـتقراء المنطقية) وطبعاً فهذه التجارب تارة تتعلّق بالإنسان نفسه، وأخرى يسـتقيها الإنسان من تجارب الآخرين، وهـذا كما يسـمّى «نُورٌ عَلى نُورٍ»، ومن هـذه الجهـة يهتمّ المـدراء والقادة بمطالعة تاريخ القدماء ليستوحوا منه الدروس والعبر.

وخلاصة الكلام أنّ الإنسان إذا تحرّك فى حياته على مستوى حفظ تجاربه والاسـتفادة من تجارب الآخرين، فإنّه يسـتطيع استخدامها فى الموارد المشابهـة دون أن يكرّر أخطـاءه الماضـية، وكـذلك يسـتخلص قانونـاً كلياً من الموارد الجزئيـة لنفسه وللآخرين فى جميع شؤون الحياة.

ورد فى رسالة الإمام عليه السلام المرقّمة ۷۸ من نهج‌البلاغة تعبيراً أشدّ فى هذا المجال، يقول عليه السلام: «فَإِنَّ الشَّقِيَّ مَنْ حُرِمَ نَفْعَ مَا أُوتِيَ مِنَ الْعَقْلِ وَالتَّجْرِبَةِ».

والتوصية السادسة عشر يقول الإمام عليه السلام: «وَخَيْرُ مَا جَرَّبْتَ مَا وَعَظَکَ».

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۵۵۸

وهـذا إشارة إلى أنّ التجارب تارة تمنـح الإنسان نفعاً مادياً، وأخرى نفعاً معنوياً، وأنّ أفضل التجارب هو ما نفع الإنسان على المسـتوى المعنوى والأخلاقى.

وفى كلمات الإمام عليه السلام القصار: «لَمْ يَذْهَبْ مِنْ مَالِكَ مَا وَعَظَکَ»[۷۹۰].

وفى التوصية السابعة عشر يقول عليه السلام: «بَادِرِ الْفُرْصَةَ قَبْلَ أَنْ تَكُونَ غُصَّةً».

والفرصـة يعنى توفير المقـدّمات للتوصّل إلى المقصود، وأحياناً يكون للإنسان مقصـد مهمّ ولكن لم تتوفّر مقـدّماته، وفجأة وفى لحظة تتهيّأ وتتوفّر هـذه المقـدّمات، فحينئذٍ ينبغى عليه المسارعة فى الاسـتفادة من هذه اللحظة قبل فوات الأوان، وإيصال نفسه إلى المقصد، فـإذا غفـل عن ذلك وأفلت الفرصـة من يـديه، فربّما لا تتوفّر أبـداً فى المسـتقبل تلك الظروف لتحقيق الغايـة والوصول إلى الهـدف، والفرص مثل الرياح الموافقـة التى تهبّ باتّجاه المقصد، فلو لـم ينتفع الملّاح فى السـفينة الشـراعية من هذه الفرصة، فربّما يبقى ساعات

وأيّاماً على سطح البحر دون أن يتحرّك فى المسير الصحيح، ويتحوّل ضياع تلك الفرصة إلى غصّة.

وجاء فى الحديث المشهور عن النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله أنّه قال: «إِنَّ لِرَبِّكُمْ فِى أَيَّام دَهْرِكُمْ نَفَحاتٍ أَلَا فَتَعَرَّضُوا لَهَا»[٧٩١].

وورد فى حديث آخر عنه صلى الله عليه و آله قال: «مَنْ فُتح لَهُ بابٌ مِنَ الْخَيْرِ فَلْيَنْتَهِزْهُ فَإِنَّهُ لا يَدْرى مَتى يُغلَقُ عَنْهُ»[٧٩٢].

وقد وردت بهذا المضمون روايات كثيرة عن المعصومين عليهم السلام وفى عبارات الأعاظم، ونختم هذا الفصل بحديث عن أميرالمؤمنين عليه السلام حيث يقول: «أَشَدُّ الْغُصَصِ فَوْتُ الْفُرَصِ»[٧٩٣].

نفحات الولاية، ج٩، ص: ٥٥٩

وفى التوصية الثامنة عشر يقول الإمام عليه السلام: «لَيْسَ كُلُّ طَالِبٍ يُصِيبُ، وَلَا كُلُّ غَائِبٍ يَؤوبُ».

وهاتان الجملتان بمثابة العلّة للتوصية بالمبادرة واستغلال الفرص قبل فوات الأوان، لأنّ الإنسان إنّما يصل إلى مقصوده فيما لو سعى لتوفير الأرضية اللازمة والظروف المناسبة للنجاح، وفى غير هذه الصورة فإنّ سعيه سيكون عقيماً، وكلمة «غائب» يمكن أن تشير إلى الفرص الضائعة التى لا تعود أبداً، وفى ذات الوقت يمكن أن تكون توصية مستقلّة وإشارة إلى أنّ الإنسان لا ينبغى أن يتوقّع أن يصل إلى نتيجة من سعيه وعمله دائماً، وببيان آخر أن لا يصاب باليأس والقنوط ممّا يواجهه من إخفاقات فى حركة الحياة.

نفحات الولاية ؛ ج‏٩ ؛ ص٥٥٩

ى الوصية التاسعة عشر يقول الإمام عليه السلام: «وَمِنَ الْفَسَادِ إِضَاعَةُ الزَّادِ وَمَفْسَدَةُ الْمَعَادِ».

والمقصود من الزاد هنا هو زاد التقوى والمتاع لسفر الآخرة، فلو أنّ الإنسان أضاع هذا الزاد فإنّه سيفسد معاده وتضيع آخرته.

وفى التوصية العشرين يقول: «وَلِكُلِّ أَمْرٍ عَاقِبَةٌ».

وذلك إشارة إلى أنّ الإنسان عندما يقدم على أىّ عمل، يجب أن يتدبّر فى عاقبته، ولا يتحرّك فى طريق ويقوم بعمل دون تفكير ومحاسبة، فلو كانت عاقبته حسنة فإنّه يقدم عليه وإلّا فلا.

وجاء فى غرر الحكم عن الإمام أميرالمؤمنين علىّ عليه السلام هذه العبارة مع إضافة، يقول: «وَلِكُلِّ أمْرٍ عاقِبَةٌ حُلْوَةٌ اوْ مُرَّةٌ»[٧٩٤].

وفى التوصية الحادية والعشرين يقول الإمام عليه السلام: «سَوْفَ يَأْتِيكَ مَا قُدِّرَ لَكَ».

والمقصود أنّه لا ينبغى أن يعيش الإنسان الحرص بدون مبرّر، وهذا لا يعنى أنّ الإنسان يترك السعى لطلب المعاش وتحسين ظروف الحياة، بل الغرض من ذلك أن

نفحات الولاية، ج٩، ص: ٥٦٠

يجتنب الجهد العقيم والسعى غير المثمر، وجميع الروايات التى تشير إلى تقدير الرزق، ناظرة إلى هذا المعنى.

وفى التوصية الثانية والعشرين يضيف الإمام عليه السلام: «التَّاجِرُ مُخَاطِرٌ[٧٩٥]».

فالتاجر لا- ينتفع ويربح من تجارته دائماً، وكما يقال إنّ التجارة نوع من الحظّ، ومن هنا فالإنسان ينبغى أن يتحلّى بالشجاعة ويتوكّل على اللّه ولا يخشى من الأضرار المحتملة ولا يفقد أمله من مواجهة الضرر والخسارة، فالتاجر يجب أن يسعى ويبذل جهده فى هذا السبيل مع التدبّر فى معطيات هذا المسير ومخاطره، ولكن إذا واجه ضرراً وخسارة، فلا ينبغى له أن يتألم ويحزن.

ويحتمل أن تكون هذه الجملة إشارة إلى الأبعاد المعنوية للتجارة، لأنّ التاجر تتلوّث أمواله أحياناً بالحرام وتواجه سعادته الخطر من ذلك، وعلى ضوء ذلك يجب عليه الانتباه من الوقوع فى هذه الأخطار وخاصّة فى عصرنا الحاضر الذى ازدادت فيه الأموال الحرام والتجارة غير المشروعة وأحياناً تسدل الأرباح الوفيرة حجاباً على عقل الإنسان وتقود التاجر إلى التورّط فى مهاوى الذنوب والانحراف.

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام يستعرض التوصية الثالثة والعشرين ويقول: «وَرُبَّ يَسِيرٍ أَنْمَى مِنْ كَثِيرٍ».

إشارة إلى أنّ الإنسان لا ينبغى أن ينظر إلى كمية الأعمال والأفعال، بل المهمّ الكيفية والنوعية، فكم من الأعمال القليلة وبكيفية أفضل وإخلاص أوفر تعطى ثماراً أكثر، يقول القرآن الكريم: «الَّذِى خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَياةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا»[۷۹۶].

وهنا احتمال آخر فى تفسير هذه الجملة، وهى أنّ الإنسان لا ينبغى أن يهتمّ فى حياته المادّيّة بزيادة رأس ماله وثروته، وربّما يكون الرأسمال القليل حلالًا

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۵۶۱

وطاهراً، وفى التالى ينمو ويزداد بشكل أكبر، يقول القرآن الكريم: «وَما آتَيْتُمْ مِنْ رِّباً لِّيَرْبُوَا فِى أَمْوالِ النَّاسِ فَلا يَرْبُوا عِنْدَ اللَّهِ وَما آتَيْتُمْ مِّنْ زَكاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ»[۷۹۷].

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام يطرح التوصية الرابعة والعشرين ويقول: «لَا خَيْرَ فِى مُعِينٍ مَهِينٍ ۷۹۸]، وَلَا فِى صَدِيقٍ ظَنِينٍ ۷۹۹]»، لأنّ الصديق المهين إذا كان يعيش الحقارة والدناءة فإنّ عمله هذا سيكون مقترناً غالباً بالمنّ، مضافاً إلى أنّ شخصية الإنسان ستواجه الاهتزاز فى أنظار الناس، لأنّه يتخّذ من الشخص الدنىء معيناً ورفيقاً، والصديق المتّهم وإن أدّى حقّ الصداقة والزمالة، فإنّه يتسبّب فى توجّه التهمة إلى صديقه ويسىء إلى سمعته، وهنا ينبغى على العاقل أن يغضّ نظره عن معونته وعطائه.

وفى التوصية الخامسة العشرين يقول الإمام عليه السلام: «سَاهِلِ ۸۰۰] الدَّهْرَ مَا ذَلَّ لَكَ قَعُودُهُ».

وهو إشارة إلى أنّه من الممكن أن لا تعود مثل هذه الفرصة فى المستقبل، ويحتمل أيضاً فى تفسير هذه الجملة أنّ الدهر إذا تعامل معك من موقع المداراة فعليك أن تداريه أيضاً وكما قال الشاعر:

إذا الدَّهْرُ أعْطاكَ الْعِنانَ فَسِرْ بِهِرُوَيْداً وَلا تَعْنَفْ فَيُصْبِحُ شامِساً

وفى التوصية السادسة والعشرين يقول الإمام عليه السلام: «وَلَا تُخَاطِرْ بِشَيْءٍ رَجَاءَ أَكْثَرَ مِنْهُ».

فأحياناً تتوفّر نعم كثيرة لدى الإنسان، ولكن حالة الطمع وطلب المزيد تدفعه من أجل اكتساب المزيد من النعم والثروات، أن يخاطر بحياته وبإمكاناته، وهذا العمل يتقاطع مع العقلانية، من قبيل أنّ الإنسان يضع ماله بيد أشخاص لا يعرفون

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۵۶۲

شيئاً من أمر التجارة والمضاربة، طمعاً فى ما وعدوه من أرباح وفيرة، فتكون النتيجة أنّه ليس فقط لا يربح شيئاً، بل يفقد أصل رأس ماله أيضاً.

وأخيراً وفى التوصية السابعة والعشرين (فى هذا المقطع من الوصيّة) يقول الإمام عليه السلام: «وَإِيَّاكَ أَنْ تَجْمَحَ ۸۰۱] بِكَ مَطِيَّةُ اللَّجَاجِ».

اللجاج هو أن الإنسان يصرّ على كلامه الباطل أو سلوكه المنحرف الذى ثبت له بطلانه، خوفاً من اهتزاز شخصيته أمام الآخرين، فى حين أنّ الإنسان فى مثل هذه الموارد لو تعامل مع الحقيقة من موضع التواضع والإذعان لها، فإنّه سيكسب المزيد من السمعة فى أنظار الناس.

قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: «إِيَّاكَ وَاللَّجَاجَةَ فَإِنَّ أَوَّلَهَا جَهْلٌ وَآخِرَهَا نَدَامَةٌ»[۸۰۲].

وفى حديث آخر يقول الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام: «لا مَرْكَبَ أَجْمَحَ مِنَ اللَّجاجِ»[۸۰۳].

والحقيقة أنّه لو قرأ الإنسان هذه الوصايا السبع والعشرين فقط فى هذه الوصيّة والتى وردت بعبارات موجزة وعميقة المحتوى، وتحرّك على مستوى تطبيقها وتجسيدها فى واقع الممارسة والعمل، فسوف يعيش السعادة المنشودة، ولو أنّ المجتمع جسّد هذه المواعظ والنصائح فلا شكّ أنّ مثل هذا المجتمع سيعيش الحيوية والنشاط والسعادة والإزدهار.

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۵۶۳

القسم الخامس والعشرون

اشارة

احْمِلْ نَفْسَکَ مِنْ أَخِیکَ عِنْدَ صَرْمِهِ عَلَی الصِّلَهِ، وَعِنْدَ صُدُودِهِ عَلَی اللَّطَفِ وَالْمُقَارَبَهِ، وَعِنْدَ جُمُودِهِ عَلَی الْبَذْلِ، وَعِنْدَ تَبَاعُدِهِ عَلَی الدُّنُوِّ، وَعِنْدَ شِدَّتِهِ عَلَی اللِّینِ، وَعِنْدَ جُرْمِهِ عَلَی الْعُذْرِ، حَتَّی کَأَنَّکَ لَهُ عَبْدٌ، وَکَأَنَّهُ ذُو نِعْمَهٍ عَلَیْکَ وَإِیَّاکَ أَنْ تَضَعَ ذَلِکَ فِی غَیْرِ مَوْضِعِهِ، أَوْ أَنْ تَفْعَلَهُ بِغَیْرِ أَهْلِهِ. لَا تَتَّخِذَنَّ عَدُوَّ صَدِیقِکَ صَدِیقاً فَتُعَادِیَ صَدِیقَکَ، وَامْحَضْ أَخَاکَ النَّصِیحَهَ، حَسَنَهً کَانَتْ أَوْ قَبِیحَهً، وَتَجَرَّعِ الْغَیْظَ فَإِنِّی لَمْ أَرَ جُرْعَهً أَحْلَی مِنْهَا عَاقِبَهً، وَلَا أَلَذَّ مَغَبَّهً. وَلِنْ لِمَنْ غَالَظَکَ، فَإِنَّهُ یُوشِکُ أَنْ یَلِینَ لَکَ، وَخُذْ عَلَی عَدُوِّکَ بِالْفَضْلِ فَإِنَّهُ أَحْلَی الظَّفَرَیْنِ. وَإِنْ أَرَدْتَ قَطِیعَهَ أَخِیکَ فَاسْتَبْقِ لَهُ مِنْ نَفْسِکَ بَقِیَّهً یَرْجِعُ إِلَیْهَا إِنْ بَدَا لَهُ ذَلِکَ یَوْماً مَا. وَمَنْ ظَنَّ بِکَ خَیْراً فَصَدِّقْ ظَنَّهُ.

الشرح والتفسیر: الإحسان فی مقابل الإساءة!

ینطلق الإمام علیه السلام فی هذا المقطع من الوصیة لبیان وظیفة الإنسان فی مقابل إخوانه وأصدقائه وکیفیة التواصل معهم من موقع حسن الخلق، وذلک بتقدیم عدّة توصیات، یقول بدایةً:

«احْمِلْ نَفْسَکَ مِنْ أَخِیکَ عِنْدَ صَرْمِهِ ۸۰۴] عَلَی الصِّلَهِ، وَعِنْدَ صُدُودِهِ ۸۰۵] عَلَی

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۵۶۴

اللَّطَفِ ۸۰۶] وَالْمُقَارَبَهِ، وَعِنْدَ جُمُودِهِ ۸۰۷] عَلَی الْبَذْلِ، وَعِنْدَ تَبَاعُدِهِ عَلَی الدُّنُوِّ، وَعِنْدَ شِدَّتِهِ عَلَی اللِّینِ، وَعِنْدَ جُرْمِهِ عَلَی الْعُذْرِ، حَتَّی کَأَنَّکَ لَهُ عَبْدٌ، وَکَأَنَّهُ ذُو نِعْمَهٍ عَلَیْکَ».

فی هذه التوصیة یحذّر الإمام علیه السلام ولده من الردّ بالمثل فیما یواجهه من نفور ولامبالاة من أصدقائه، وضمناً یوصیه بستّ جمل بلیغة تتضمّن بلاغة الجناس، بأنّ الردّ بالمثل من شأنه أن یهدّد أساس المودّة والصداقة بین الأصدقاء، فیفقد المرء صدیقه بسبب ذلک، ولکن کلّما تعامل مع الإساءة بالإحسان ومع اللامبالاة بالمودّة، فسوف یدرک صدیقه خطأه ویخجل من نفسه ویتحرّک علی مستوی جبر الخلل وتقویة وترسیخ دعائم المحبّة والمودّة أکثر فأکثر.

والعبارات التی یستخدمها الإمام علیه السلام فی هذه الفقرات تمثّل فی الحقیقة شرحاً لما ورد فی القرآن الکریم فی قوله: «ادْفَعْ بِالَّتِی هِیَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِی بَیْنَکَ وَبَیْنَهُ عَداوَهٌ کَأَنَّهُ وَلِیٌّ حَمیمٌ* وَما یُلَقَّاها إِلَّا الَّذِینَ صَبَرُوا وَما یُلَقَّاها إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظیم»[۸۰۸].

ورغم أنّ هذه الآیة نزلت فی مورد الأعداء، ولکن ممّا لا شک فیه أنّها صادقة علی الأصدقاء أیضاً، فسیرة النبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله وأئمّة الهدی علیهم السلام وعلماء الدین الکبار تشیر إلی هذه الحقیقة أیضاً إلّافی موارد استثنائیة، وأنّهم کانوا لا یواجهون العدوان والإساءة من الأصدقاء والأعداء بالمثل، إلّافی موارد خاصّة ونادرة.

وبما أنّ بعض السذّج وذوی الفکر الضیّق ربّما یسیئون هذا السلوک الإنسانی معهم، فالإمام علیه السلام استثنی هذه الفئة من هذه القاعدة وقال: «وَإِیَّاکَ أَنْ تَضَعَ ذَلِکَ فِی غَیْرِ مَوْضِعِهِ، أَوْ أَنْ تَفْعَلَهُ بِغَیْرِ أَهْلِهِ».

والفرق بین جملة «وَإِیَّاکَ أَنْ تَضَعَ ...» وجملة «أَوْ أَنْ تَفْعَلَهُ ...» أنّ الجملة الثانیة

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۵۶۵

تشیر إلی الأشخاص الذین یعیشون الحقد والعناد، وأنّ الاحسان إلیهم فی مقابل إساءتهم قد تتسبّب فی زیادة جرأتهم وعدوانهم، فیکون الإحسان إلیهم کالإحسان إلی الذئب، ولکنّ الجملة الاولی ناظرة إلی الأشخاص الذین لا یعیشون مثل هذه الحالة، ولکن ربّما یقودهم الإحسان إلیهم فی مقابل إساءتهم أن یتصوّروا خطأً أنّهم أخیار وأنّ عملهم جیّد ولیس فیه إشکال.

والتعبیر ب «احْمِلْ فی بدایة هذه التوصیة إشارة إلی أنّ عملیة الإحسان فی مقابل الإساءة وإن کانت صعبة علی الإنسان، ولکن ینبغی

عليه أن يتحمّل ذلک ويحمل هذه القضية على نفسه.

ويقول الإمام عليه السلام فى التوصية الثانية: «لَا تَتَّخِذَنَّ عَدُوَّ صَدِيقِکَ صَدِيقاً فَتُعَادِىَ صَدِيقَکَ».

فهـذا العمل يعدّ من جملة النفاق، حيث يطرح الإنسان المودّة مع صديقه ومع عدوّ صديقه أيضاً، فهذا هو اسلوب الأشـخاص الذين لا يعيشون واقع الصداقة وحقيقة المودّة، وغرضـهم من ذلک الانتفاع والمصـلحة الشخصـية من كلا الطرفين، فلا يمتنعون فى هذا السبيل من الوقوع فى مثل هذا التناقض والسلوک والعواطف.

وطبعاً هـذا فى مورد تكون عـداوة العدوّ ناشـئة من ظلمه وعدوانه، لا أنّ الصديق مقصّر وقد ارتكب إساءة فى حقّه بحيث أدّى ذلک إلى معاداته.

وكـذلک يصـدق هـذا الكلام فى مورد لا يكون الغرض من إقامـة علاقـة مع عدوّ الصديق إصـلاح ذات البين، فإن كان المقصود من المودّة معه إصلاح ذات البين فإنّه ليس فقط عمل غير ذميم بل عمل إنسانى ممدوح.

وممّا يجدر ذكره أنّ توصـية الإمام عليه السلام فى هذا الباب لا تتناول الأشخاص فقط، بل تشمل الفئات والشعوب والدول أيضاً، رغم أنّ الكثير من الدول فى العالم المعاصر يطرحون المودّة والصداقة مع كلا طرفى النزاع دون أن يقصدوا من ذلک المصالحة بينهما، بل هدفهم من ذلک استغلال هاتين الدولتين المتخاصمتين لضمان

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۵۶۶

مصالحهم الشخصـية، فيقيمون روابط سياسية واقتصادية مع الأصدقاء ومع الأعداء على حدّ سواء، واللافت للنظر أنّهم لا يخفون ذلک، بل يصرّحون بإقامة مثل هذه العلاقة العميقة معنا، وكذلک مع أعدائنا فى ذات الوقت.

ففى روايـة أنّ رجلًا قـدم على أميرالمؤمنين عليه السـلام فقال: ياأميرالمؤمنين إنّى احبّک واحبّ فلاناً، وسـمّى بعض أعـدائه فقال عليه السلام: «أمّا الآنَ فأنتَ أعْوَر، فإمّا أنْ تَعْمى وإمّا أن تُبْصِر»[۸۰۹].

وفى بعض الروايات أنّه ذكر معاوية.

وجاء فى حديث آخر عن الإمام الصادق عليه السـلام قاله له رجل: إنّ فلاناً يواليكم إلّا أنّه يضعف عن البراءة من عدوّكم، فقال الإمام عليه السلام: «هَيْهَاتَ، كَذَبَ مَنِ ادَّعَى مَحَبَّتَنَا وَلَمْ يَتَبَرَّأْ مِنْ عَدُوِّنَا»[۸۱۰].

ويقول القرآن الكريم مخاطباً النبىّ الأـكرم صـلى الله عليه و آله: «لاـ تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كانُوا آباءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوانَهُمْ أَوْ عَشيرَتَهُم»[۸۱۱].

ثمّ يقول الإمام عليه السلام فى هذه الفقرة من الوصيّة: «وَامْحَضْ ۸۱۲] أَخَاکَ النَّصِيحَةَ، حَسَنَةً كَانَتْ أَوْ قَبِيحَةً».

وهو إشارة إلى أنّ بعض الأصدقاء يمتنعون أحياناً من بذل النصـيحة خوفاً من إزعاجنا وامتعاضنا فيخفون الحقائق عنّا، فهؤلاء فى الواقع ليسوا مخلصـين فى نصحهم ومودّتهم، لأنّه لو نصحوا شخصاً وحذّروه من مغبّة عمل معين واستاء مؤقتاً من ذلک، ولكنّه سلم من خطر أو ضرر بسبب هذه النصيحة، فإنّ ذلک أفضل بكثير

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۵۶۷

من اختيار السكوت وتركه يواجه المشاكل والأخطار بسبب ذلک السلوک الخاطىء.

وللأسف فإنّ الكثير من الأشخاص، وبسبب هذه الملاحظات، يصرفون النظر عن تقديم النصح فى الموقع المناسب، فيبتلون بسخط اللَّه تعالى والخيانة لخلق اللَّه.

ولذا يقول الإمام الصادق عليه السلام فى حديث شريف: «أَحَبُّ إِخْوَانِى إِلَىَّ مَنْ أَهْدَى إِلَىَّ عُيُوبِى»[۸۱۳].

يعنى أنّ الإنسـان العاقـل ليس فقـط لا يتألم من بيان عيوبه من قِبل الآخرين، بل ينبغى أن يحثّهم على بيانها وذكرها، ليسـتطيع إصـلاح العيب والخلل.

وفی حـدیث آخر عن الإمام الباقر علیه السـلام أنّه قال لأحـد أصـحابه: «اتَّبِعْ مَنْ یُبْکِیکَ وَهُوَ لَکَ نَاصِحٌ وَلَا تَتَّبِعْ مَنْ یُضْحِکُکَ وَهُوَ لَکَ غَاشٌّ»[۸۱۴].

ویقول الإمام علیه السلام فی التوصیهٔ الرابعهٔ: «وَتَجَرَّعِ الْغَیْظَ فَإِنِّی لَمْ أَرَ جُرْعَهً أَحْلَی مِنْهَا عَاقِبَهً وَلَا أَلَذَّ مَغَبَّهً[۸۱۵]».

فهنا نری أنّ الإمام علیه السـلام یشـبّه الغضب بالـدواء المرّ الـذی یتجرّعه الإنسان علی مضـض ولهـذا یتناوله جرعـهٔ بعـد جرعهٔ، ولکنّ عاقبته الشـفاء من المرض، ونهایته حلوهٔ ومریحهٔ، وهکذا حال کظم الغیض وتجرّع الغضب، لأنّه ینقذ الإنسان من الوقوع فی هوّهٔ الندم والخجل والأضرار الکثیرهٔ المترتّبهٔ علی حالهٔ السخط والحدّهٔ فی صورهٔ عدم ضبط الإنسان لنفسه.

وفی الکـافی عن الإمام الباقر علیه السـلام أنّه قال: «قالَ لِی أبی: یَا بُنَیَّ مَا مِنْ شَـیْءٍ أَقَرَّ لِعَیْنِ أَبِیکَ مِنْ جُرْعَـهِ غَیْظٍ عَاقِبَتُهَا صَبْرٌ وَمَا مِنْ شَیْءٍ یَسُرُّنِی أَنَّ لِی بِذُلِّ نَفْسِی حُمْرَ

نفحات الولایهٔ، ج۹، ص: ۵۶۸

النَّعَم»[۸۱۶].

وفی حدیث آخر عن الإمام الصادق علیه السلام یقول: «مَنْ کَظَمَ غَیْظاً وَلَوْ شَاءَ أَنْ یُمْضِیَهُ أَمْضَاهُ مَلَأَ اللَّهُ قَلْبَهُ یَوْمَ الْقِیَامَهِ رِضَاهُ»[۸۱۷].

ویضیف الإمام علیه السلام فی التوصیهٔ الخامسهٔ ویقول: «وَلِنْ ۸۱۸] لِمَنْ غَالَظَکَ ۸۱۹] فَإِنَّهُ یُوشِکُ أَنْ یَلِینَ لَکَ».

الکثیر من الأشـخاص یسلکون سبیل العنف فی حال الغضب والسخط، وتزداد وتیرهٔ الحدّهٔ وتتفاقم حالهٔ الغضب حتّی تصل أحیاناً إلی مواقع الخطر، ولکن إذا أمسـک الإنسـان زمـام نفسه وکظم غیظه وضـبط حـدّهٔ الغضب بـإرادته، وبـدلًا من اسـتخدام آلیـهٔ العنف فـإنّه یسـتخدم آلیـهٔ المـداراهٔ والانعطاف، فلیس فقط تزول حالهٔ الصـراع والنزاع مع الطرف الآخر، بل تحلّ المودّهٔ والمحبّهٔ محلّها، کما ورد هـذا المعنی فی القرآن الکریم حیث تؤکّـد الآیـهٔ الشـریفهٔ علی لزوم الإحسان فی مقابل الإساءهٔ لتحویل الطرف المقابل من عـدوّ إلی صـدیق وتقول: «ادْفَعْ بِالَّتِی هِیَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِی بَیْنَکَ وَبَیْنَهُ عَـداوَهٌ کَأَنَّهُ وَلِیٌّ حَمیمٌ* وَما یُلَقَّاها إِلَّا الَّذینَ صَبَرُوا وَما یُلَقَّاها إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظیمٍ»[۸۲۰].

ثمّ یتحدّث الإمام علیه السلام فی التوصیهٔ السادسهٔ عن التفضّل علی العدوّ، ویقول:

(وَخُذْ عَلَی عَدُوِّکَ بِالْفَضْلِ فَإِنَّهُ أَحْلَی الظَّفَرَیْنِ»، أی الظفر عن طریق العنف والقوّهٔ، والظفر عن طریق المحبّهٔ والمودّهٔ.

وهذه الجملهٔ فی الحقیقهٔ تأکید علی ما تقدّم من توصیات، ولکنّها تتمتع ذات جمال أخّاذ فی صیاغتها، یقول: ربّما تنتصر علی عدوّک بآلیات العنف والقوهٔ، ولکن

نفحات الولایهٔ، ج۹، ص: ۵۶۹

یمکنـک أن تحقّق هـذا النصـر من خلاـل إبراز المحبّـهٔ والمودّهٔ، ومعلوم أنّ الطریق الثـانی أحلی وأحسن عاقبـهٔ، لأنّـک فی المسـتقبل ستعیش فـارغ الـذهن عن خوف الانتقام من العـدوّ فی حین أنّک إذا انتصـرت علیه باسـتعمال القوّهٔ، فسوف تتوقّع فی کلّ وقت ظهور نزاع جدیـد باسـتخدام القوّهٔ من قِبـل العـدوّ، وبعبـارهٔ أخری، أنّ العـدوّ سـیبقی فی الطریق الأـول عـدوّاً، فی حین أنهّ فی الطریق الثانی سیتبدّل إلی صدیق.

ینقل أبوالفرج الاصـفهانی فی کتاب مقاتل الطالبیین قصّهٔ جمیلهٔ فی هذا المجال عن الإمام موسـی بن جعفر علیه السـلام قال: إنّ رجلًا من ولـد عمر بن الخطّـاب کان بالمدینـهٔ یؤذی أبا الحسن موسـی علیه السـلام ویسبّه إذا رآه، ویشـتم علیّاً علیه السـلام، فقال له بعض جلسـائه یومـاً: دعنا نقتل هـذا الفاجر، فنهاهم الإمام موسـی الکاظم علیه السـلام عن ذلک أشـدّ النهی وزجرهم أشـدّ الزجر، فسأل عن العمری، فذُکر له أنّه یزرع بناحیهٔ من نواحی المدینهٔ، فرکب إلیه فوجده فی مزرعهٔ له، فدخل المزرعهٔ بحماره، فصاح به العمری:

لاـ توطئ زرعنـا، فتوطّأه أبو الحسن موسـی علیه السـلام بالحمار حتّی وصل إلیه، فنزل وجلس عنـده وباسـطه وضاحکه وقال له: «کَمْ غَرِمتَ فِی زَرْعِکَ هذا؟» (أی صرفت علی زرعک).

فقال العمرى: مائة دينار، فقال الإمام عليه السلام: «وَكَمْ تَرجُو أن تُصِيبَ؟» (أى تربح من الزرع).

قال العمرى: لست أعلم الغيب، فقال الإمام عليه السلام له: «إنّما قُلتُ لکَ کَمْ تَرجُو أن يَجِيئُکَ فِيه»، قال العمرى: أرجو أن يجيئنى فيه مائتا دينار.

فأخرج الإمام الكاظم عليه السلام صرّة فيها ثلاثمائة دينار وقال: «هذا زَرْعُکَ على حَالِهِ واللَّهُ يَرزُقُک فِيه ما تَرْجُو».

فقام العمرى فقبّل رأسه وسأله أن يصفح عن فرطه (أى ما فرّط فى حقّ الإمام عليه السلام) فتبسّم إليه أبو الحسن عليه السلام وانصرف.

قال الراوى: وراح الإمام الكاظم عليه السلام إلى المسجد فوجد العمرّى جالساً، فلمّا

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۵۷۰

نظر إليه قال: «اللَّهُ أعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسالَتَه»، فوثب أصحاب العمرّى إليه، فقالوا له:

ما قصّتك، قد كنت تقول غير هذا؟

قال العمرى: قد سمعتم ما قلت الآن، وجعل يدعو لأبى الحسن الإمام الكاظم عليه السلام، فخاصموه وقاطعهم، فلمّا رجع أبوالحسن عليه السلام إلى داره، قال لجلسائه الذين سألوه فى قتل العمرى: أيّما كان خيراً، ما أردتم أو ما أردت، إنّنى أصلحت أمره بالمقدار الذى عرفتم وكفيت شرّه ۸۲۱].

ويقول الإمام فى التوصية السابعة: «وَإِنْ أَرَدْتَ قَطِيعَةَ أَخِيکَ فَاسْتَبْقِ لَهُ مِنْ نَفْسِکَ بَقِيَّةً يَرْجِعُ إِلَيْهَا إِنْ بَدَا لَهُ ذَلِکَ يَوْماً مَا».

وهذا يعنى أنّ الإنسان ينبغى أن يسير فى مسألة الصداقة فى خطّ الاعتدال، ولا يفشى أسراره كلّها لصديقه، حتّى لا يتورّط فيما لو انقلبت هذه الصداقة يوماً ما إلى عداوة ويواجه الضرر والخسارة، وهكذا بالنسبة للحالة الأخرى، فالإنسان لا ينبغى أن يقطع صلته تماماً مع صديقه ويهدم كلّ الجسور خلفه، لأنّه ربّما يندم ويريد إعادة العلاقة مع الطرف الآخر، ولكنّه لا يجد طريقاً لمدّ جسور الثقة معه.

وهذا المضمون ورد بشكل أشمل فى كلام آخر لأميرالمؤمنين عليه السلام (طبقاً لما ورد فى بحارالانوار) قال: «أَحْبِبْ حَبِيبَکَ هَوْناً مَا فَعَسَى أَنْ يَكُونَ بَغِيضَکَ يَوْماً مَا وَأَبْغِضْ بَغِيضَکَ هَوْناً مَا فَعَسَى أَنْ يَكُونَ حَبِيبَکَ يَوْماً مَا»[۸۲۲].

وينقل ابن أبي‌الحديد عن بعض العلماء هذا المعنى ببيان آخر قال: «إذا هَوَيْتَ فَلا تَكُنْ غالِياً وَإذا تَرَكْتَ فَلا تَكُنْ قالِياً»[۸۲۳].

وفى التوصية الثامنة والأخيرة من هذا المقطع من الوصية يقول الإمام عليه السلام: «وَمَنْ ظَنَّ بِکَ خَيْراً فَصَدِّقْ ظَنَّهُ».

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۵۷۱

وهو إشارة إلى أنّ شخصاً لو كان يظن أنّک من أهل الخير والبذل والعطاء وطلب منک شيئاً أو استعان بک على أمر، فعليک أن تصدّق ظنّه وتثبت له أنّک عند حسن ظنّه.

ومثل هذا السلوک يمتاز بمزيّتين؛ فمن جهة يكرّس حسن ظنّ الناس بالشخص، ومن جهة أخرى يقوده حسن الظنّ فى طريق الخير والصلاح.

وقد يصادف كثيراً أن يأتى بعض الأشخاص لدى المرء ويقولون: إننا نواجه مشكلة ونعتقد أنّ حلّها بيدک، فهنا يجب على الإنسان أن يسعى لحلّ مشكلة هؤلاء ويؤكّد لهم صدق ظنّهم ولا يتبدّل حسن الظنّ إلى سوء الظن.

***

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۵۷۳

القسم السادس والعشرون

اشارة

وَلَا تُضِيعَنَّ حَقَّ أَخِيكَ اتِّكَالًا عَلَى مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ، فَإِنَّهُ لَيْسَ لَكَ بِأَخٍ مَنْ أَضَعْتَ حَقَّهُ. وَلَا يَكُنْ أَهْلُكَ أَشْقَى الْخَلْقِ بِكَ، وَلَا تَرْغَبَنَّ فِيمَنْ زَهِدَ عَنْكَ، وَلَا يَكُونَنَّ أَخُوكَ أَقْوَى عَلَى قَطِيعَتِكَ مِنْكَ عَلَى صِلَتِهِ، وَلَا تَكُونَنَّ عَلَى الْإِسَاءَةِ أَقْوَى مِنْكَ عَلَى الْإِحْسَانِ. وَلَا يَكْبُرَنَّ عَلَيْكَ ظُلْمُ مَنْ ظَلَمَكَ، فَإِنَّهُ يَسْعَى فِي مَضَرَّتِهِ وَنَفْعِكَ، وَلَيْسَ جَزَاءُ مَنْ سَرَّكَ أَنْ تَسُوءَهُ.

الشرح والتفسير: لا تضيّع حقّ الصديق

فی هذا المقطع من الوصیة النیّرة یطرح الإمام علیه السلام کما فی القسم السابق، ستّ نصائح مهمّة فی عبارات موجزة لولده الإمام الحسن المجتبی علیه السلام یقول أوّلًا: «وَلَا تُضِيعَنَّ حَقَّ أَخِيكَ اتِّكَالًا عَلَى مَا بَيْنَكَ بَيْنَهُ، فَإِنَّهُ لَيْسَ لَكَ بِأَخٍ مَنْ أَضَعْتَ حَقَّهُ».

وهذا یعنی أنّ جمیع الإخوة والأصدقاء یتوقّعون من أصدقائهم احترام حقوقهم، ولو شاهدوا خلاف ذلک فإنّ من شأنه تعریض أرکان الاخوّة والصداقة إلی الاهتزاز، ولکن للأسف فإنّ بعض الأشخاص یفکّرون بخلاف هذه الطریقة ویحسبون أنّهم إذا لم یراعوا حقّ الأخ والصدیق والرفیق، فذلک لیس بالأمر المهمّ ویتوقّعون من الطرف الآخر القبول والإغماض، فی حین أنّ هذا خطأ کبیر، لأنّ مثل هذه السلوکیات الجافّة وهذه اللامبالاة للحقوق إذا لم تؤثّر عاجلًا فی إضعاف وشائج المودة، فإنّها بالتدریج تعرّض دعائم الاخوّة والصداقة إلی الضعف والاهتزاز.

وهذا الکلام من قبیل ما لو أنّ شخصاً مدیناً لعدد کبیر من الناس وکان یسعی

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۵۷۴

لإرضاء الآخرین وکسب ودّهم، ویغفل عن مطالبات أصدقائه ویعتقد أنّ هذه اللامبالاة بحقوقهم لا یترتّب علیها شیء.

وفی التوصیة الثانیة یضیف الإمام علیه السلام ویقول: «وَلَا يَكُنْ أَهْلُكَ أَشْقَى الْخَلْقِ بِكَ».

أی لا ینبغی أن تتعامل مع أهلک بآلیات الإساءة بحیث یقفون منک موقفاً سلبیاً ویتمنّون موتک وزوال النعمة عنک.

وهناک احتمال آخر فی تفسیر هذه الجملة أیضاً، وهو أنّه لا ینبغی أن تبذل کلّ اهتمامک لأصدقائک وتغفل عن أهلک واسرتک وتترکهم یعیشون فی حالة من الشقاء والمعاناة.

الکثیر من الأشخاص یصرفون جلّ أوقاتهم مع الأصدقاء والزملاء ویعیشون معهم غالباً فی أجواء المحبّة ویبذلون لهم کلّ مساعدة، ولکنّهم یحرمون اسرتهم من هذه المودّة والصفاء أو القیام بمسؤولیات الاسرة.

ونقرأ فی حدیث عن الإمام أبی الحسن علیّ بن موسی الرضا علیهما السلام قال: «يَنْبَغِي لِلرَّجُلِ أَنْ يُوَسِّعَ عَلَى عِيَالِهِ كَيْلَا يَتَمَنَّوْا مَوْتَه»، فجدیر بالإنسان عندما یحصل علی نعمة أن یرفه علی عیاله ولا یضیّق علیهم، حتّی لا یقفوا منه موقفاً سلبیاً.

ثمّ إنّ الإمام علیه السلام فی ذیل هذه الروایة یقول: «الأسِيرُ (العائلة) عيالُ الرَّجُلِ وَيَنبغِي للرّجلِ إذا زِيدَ فِي النّعمةِ أنْ يَزيدَ اسَراءَهُ فِي السِّعةِ عَليهُم، ثمّ قال: إنّ فُلاناً أنعَم اللَّهُ عَليهِ النّعمةَ، فَمَنعَها اسَراءَهُ وَجَعلَها عندَ فُلانٍ، فَذهبَ اللَّهُ بِها»[۸۲۴].

وفی التوصیة الثالثة یقول الإمام علیه السلام: «وَلَا تَرْغَبَنَّ فِيمَنْ زَهِدَ[۸۲۵] عَنْكَ».

لأنّ مثل هذه العلاقة تقود الإنسان إلی مهاوی الذلّة والمهانة، وصحیح أنّه طبقاً للتوصیات السابقة فأنّه یجب علی الإنسان أن یحتفظ بالعلاقة مع الشخص الذی

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۵۷۵

قطع علاقته به؛ ولکن هذا المعنی إنّما یصحّ فیما لو وقف الطرف المقابل موقفاً إیجابیاً منه، ولکن إذا تعامل معه من موقع التحقیر واللامبالاة، فلا ینبغی علی الإنسان أن یذّل نفسه ویتوجّه إلیه ویتوسّل به، بل ینبغی أن یغضّ النظر عنه، فالإنسان کما یقول المثل یجب أن یضحّی لمن یهتمّ به.

وفى التوصية الرابعة يقول الإمام عليه السلام: «وَلَا يَكُونَنَّ أَخُوكَ أَقْوَى عَلَى قَطِيعَتِكَ مِنْكَ عَلَى صِلَتِهِ، وَلَا تَكُونَنَّ عَلَى الْإِسَاءَةِ أَقْوَى مِنْكَ عَلَى الْإِحْسَانِ».

وهذا إشارة إلى أنّ الطرف المقابل مهما سعى لقطع العلاقة معك، فينبغى عليك أن تصرّ على توثيقها وتقويتها، وكلّما رأيت منه إساءة، فيجب أن تقابلها بالإحسان.

وطبعاً هذا فى مورد الأشخاص الذين تؤثّر فيهم المحبّة والإحسان، وعلى هذا الأساس لا تتنافى مع الجمل السابقة.

وفى التوصية الخامسة يقول الإمام عليه السلام: «وَلَا يَكْبُرَنَّ عَلَيْكَ ظُلْمُ مَنْ ظَلَمَكَ، فَإِنَّهُ يَسْعَى فِى مَضَرَّتِهِ وَنَفْعِكَ».

وهذا يعنى أنّ الإنسان لا ينبغى أن يستاء كثيراً فى مقابل حالات الظلم التى يواجهها، ولا يدع لليأس أن يتخّذ طريقاً له فى حياته، بل عليه أن يعتقد بأنّ هذا الظالم الذى قصّر فى حقّه وظلمه، إنّما يظلم نفسه وينفع المظلوم فى نهاية المطاف حيث يحمل وزر المظلوم على ظهره يوم القيامة، والحقيقة أنّ ضرر الظلم يصيب مرتكبه ويخفّف عن كاهل المظلوم وزره.

وهذا الكلام يشبه ما ورد فى الروايات فى باب الغيبة وأنّ أحد العلماء سمع رجلًا يغتابه ويتحدّث عنه بسوء، فأهدى إليه هدية، فتعجّب ذلك الرجل فقال له هذا العالم: سمعت أنّ حسناتك قد انتقلت إلى صحيفة أعمالى، وقد تقبّلتَ سيّئاتى، وأنا بدورى أشكرك على هذه الخدمة وهذا الإحسان إلىَّ.

وهذا الكلام لا يعنى أنّ الإنسان ينبغى أن يلتزم الصمت فى مقابل الظالمين ولا يتصدّى لهم بالاعتراض، لأنّنا نعلم أنّ شعار الإسلام هو: «لا تَظْلِمُونَ وَلا

تُظْلَمُونَ»[٨٢۶]، ونعلم أنّ الإمام علىّ عليه السلام ذكر فى وصيته لأبنائه وهو فى فراش الشهادة قال: «كُونَا لِلظَّالِمِ خَصْماً وَلِلْمَظْلُومِ عَوْناً»[٨٢٧] بل المقصود أنّ الإنسان عندما يقع مظلوماً ولا يملك القدرة على ردّ الظلم والتصدّى للظالم، لا ينبغى له اليأس والتشاؤم وإطلاق كلمات اللعن والتأوّه، والشاهد على هذا الكلام ما ورد فى الحديث المشهور عن النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله عندما سرق أحدهم عقد عائشة وأخذت عائشة بلعن السارق، فقال لها النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله: «لا تَمْسَحِى عَنْهُ بِدُعائِكَ»[٨٢٨]، أى لا تدرئى عنه العذاب بهذا اللعن، فعليك بضبط نفسكِ ولسانكِ عنه واعلمى أنّه قد ظلم نفسه وإنّ اللَّه تعالى سيثيبكِ على صبركِ وتحمّلكِ.

وهنا توجد نقطة دقيقة ينبغى الالتفات إليها، وهى أنّ الظالم كالسارق مثلًا، عندما يورد الضرر والخسارة المالية على المظلوم من جهة ويجعله يعيش الحزن والألم الروحىّ من جهة أخرى، فإنّ اللَّه تعالى يثيبه على كلا الأمرين، ولكن لو دعا المظلوم على من ظلمه وأخذ يلعنه باستمرار ليشفى غيض قلبه ويهدّىء من غيضه، فمن الطبيعى أن يخفّف ذلك من عذاب الظالم.

فيتبيّن ممّا تقدّم أنّ ما ذهب إليه بعض شرّاح نهج‌البلاغة كابن أبى‌الحديد من اتّخاذ السكوت فى مقابل ظلم الظالمين كقاعدة كليّة، خطأ كبير، بل ينبغى القول أنّ هذا المورد يعدّ استثناءً وناظر إلى موارد خاصّة، وأمّا الأصل الكلّى فى الإسلام فهو أن لا يقع الإنسان مظلوماً ولا ظالماً.

وأخيراً يقول الإمام عليه السلام فى التوصية السادسة من هذا المقطع من الوصية:

«وَلَيْسَ جَزَاءُ مَنْ سَرَّكَ أَنْ تَسُوءَهُ».

وهذه النصيحة مقتبسة من القرآن الكريم حيث قال: «هَلْ جَزاءُ الْإِحْسانِ إِلَّا

الْإِحْسانُ»[٨٢٩].

وذهب بعض الشرّاح إلى أنّ هذه الجملة لا تعتبر كلاماً مستقلًّا، وقالوا: إنّها استمرار للتوصية السابقة، وأنّ الإمام عليه السلام يقول: إنّ

الظالم إنّما یضرّ نفسه وینفعک، ومن هذا منطلق فالشخص الذی أوصل إلیک النفع لا ینبغی أن تسوءه (من خلال الدعاء علیه وإظهار التظلّم بشکل متکرّر).

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۵۷۹

القسم السابع والعشرون

اشارة

وَاعْلَمْ یَا بُنَیَّ أَنَّ الرِّزْقَ رِزْقَانِ: رِزْقٌ تَطْلُبُهُ، وَرِزْقٌ یَطْلُبُکَ، فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَأْتِهِ أَتَاکَ. مَا أَقْبَحَ الْخُضُوعَ عِنْدَ الْحَاجَةِ، وَالْجَفَاءَ عِنْدَ الْغِنَی إِنَّمَا لَکَ مِنْ دُنْیَاکَ مَا أَصْلَحْتَ بِهِ مَثْوَاکَ، وَإِنْ کُنْتَ جَازِعاً عَلَی مَا تَفَلَّتَ مِنْ یَدَیْکَ، فَاجْزَعْ عَلَی کُلِّ مَا لَمْ یَصِلْ إِلَیْکَ. اسْتَدِلَّ عَلَی مَا لَمْ یَکُنْ بِمَا قَدْ کَانَ، فَإِنَّ الْأُمُورَ أَشْبَاهٌ؛ وَلَا تَکُونَنَّ مِمَّنْ لَاتَنْفَعُهُ الْعِظَةُ إِلَّا إِذَا بَالَغْتَ فِی إِیلَامِهِ، فَإِنَّ الْعَاقِلَ یَتَّعِظُ بِالْآدَابِ، الْبَهَائِمَ لَاتَتَّعِظُ إِلَّا بِالضَّرْبِ. اطْرَحْ عَنْکَ وَارِدَاتِ الْهُمُومِ بِعَزَائِمِ الصَّبْرِ وَحُسْنِ الْیَقِینِ. مَنْ تَرَکَ الْقَصْدَ جَارَ، وَالصَّاحِبُ مُنَاسِبٌ، وَالصَّدِیقُ مَنْ صَدَقَ غَیْبُهُ. الْهَوَی شَرِیکُ الْعَمَی وَرُبَّ بَعِیدٍ أَقْرَبُ مِنْ قَرِیبٍ، وَقَرِیبٍ أَبْعَدُ مِنْ بَعِیدٍ، وَالْغَرِیبُ مَنْ لَمْ یَکُنْ لَهُ حَبِیبٌ. مَنْ تَعَدَّی الْحَقَّ ضَاقَ مَذْهَبُهُ، وَمَنِ اقْتَصَرَ عَلَی قَدْرِهِ کَانَ أَبْقَی لَهُ. وَأَوْثَقُ سَبَبٍ أَخَذْتَ، بِهِ سَبَبٌ بَیْنَکَ وَبَیْنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ. وَمَنْ لَمْ یُبَالِکَ فَهُوَ عَدُوُّکَ. قَدْ یَکُونُ الْیَأْسُ إِدْرَاکاً، إِذَا کَانَ الطَّمَعُ هَلَاکاً. لَیْسَ کُلُّ عَوْرَةٍ تَظْهَرُ، وَلَا کُلُّ فُرْصَةٍ تُصَابُ، وَرُبَّمَا أَخْطَأَ الْبَصِیرُ قَصْدَهُ، وَأَصَابَ الْأَعْمَی رُشْدَهُ. أَخِّرِ الشَّرَّ فَإِنَّکَ إِذَا شِئْتَ تَعَجَّلْتَهُ، وَقَطِیعَةُ الْجَاهِلِ تَعْدِلُ صِلَةَ الْعَاقِلِ. مَنْ أَمِنَ الزَّمَانَ خَانَهُ، وَمَنْ أَعْظَمَهُ أَهَانَهُ.

لَیْسَ کُلُّ مَنْ رَمَی أَصَابَ. إِذَا تَغَیَّرَ السُّلْطَانُ تَغَیَّرَ الزَّمَانُ. سَلْ عَنِ الرَّفِیقِ قَبْلَ الطَّرِیقِ، وَعَنِ الْجَارِ قَبْلَ الدَّارِ. إِیَّاکَ أَنْ تَذْکُرَ مِنَ الْکَلَامِ مَا یَکُونُ مُضْحِکاً، وَإِنْ حَکَیْتَ ذَلِکَ عَنْ غَیْرِکَ.

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۵۸۰

الشرح والتفسیر: ثمان وعشرون موعظة أخری

فی المقطع السابع والعشرین من هذه الوصیة الرائعة یشیر الإمام علیه السلام إلی ثمان وعشرین موضوعاً مهمّاً من موقع النصیحة، وبذلک یزید من ثراء وعمق هذه الوصیة.

الاولی: یتحدّث الإمام علیه السلام أولًا عن مسألة الرزق حیث یتحرّک الکثیر من الناس طلباً له بحالة من الحرص والولع ویقول: «وَاعْلَمْ یَا بُنَیَّ أَنَّ الرِّزْقَ رِزْقَانِ: رِزْقٌ تَطْلُبُهُ، وَرِزْقٌ یَطْلُبُکَ، فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَأْتِهِ أَتَاکَ».

وهذه الجملة، بقرینة ما ورد فی جملة مشابهة لها وأکثر تفصیلًا فی کلمات الإمام علیه السلام القصار[۸۳۰]، ناظرة إلی أنّ الإنسان لا ینبغی أن یعیش الحرص والوله بالرزق، ولا ینبغی أیضاً أن یتکاسل فی طلبه.

ومراد الإمام علیه السلام من الرزق الذی یجب علی الإنسان أن یطلبه، هو الکسب والعمل الیومیّ فی طلب المعاش، مثل، الزراعة، الصناعة، التجارة وأمثال ذلک، ومراده من الرزق الذی یطلب الإنسان ویأتیه وإن أعرض عنه الإنسان أو لم یطلبه، الهدایا أو التجارة والأرباح التی یصیبها الإنسان من غیر احتساب، وعلی ضوء ذلک إذا ضاق علیه القسم الأول من الرزق فلا ینبغی أن ییأس من لطف اللَّه بل یتوقّع، مع استمراره فی الحرکة والسعی والکسب، أن یرزقه اللَّه من حیث لا یحتسب.

وعندما یری الإنسان فی عالم الخلقة موارد کثیرة من الرزق من النوع الثانی، فإنّ هذا الأمل سیقوی ویتعمّق فی قلبه، ففی یوم کان الجنین فی عالم الرحم یأتیه رزقه من خلال المشیمة والحبل السرّی المتّصل برحم الام، وبعد ولادته یأتیه رزقه من صدر امّه لإدامة حیاته وما یحتاجه بعد ولادته من الغذاء، یقول القرآن الکریم: «وَما مِنْ دَابَّةٍ فِی الْأَرْضِ إِلَّا عَلَی اللَّهِ رِزْقُها وَیَعْلَمُ مُسْتَقَرَّها وَمُسْتَوْدَعَها

كُلٌّ فِی كِتابٍ مُبینٍ»[٨٣١].

نفحات الولایة، ج٩، ص: ٥٨١

وعندما یسیر الإنسان فی خطّ التقوى والورع ویجتنب الأموال والأرباح المحرّمة، فإنّ اللَّه تعالى یبشّره بسعة الرزق ویقول: «وَمَنْ یَتَّقِ اللَّهَ یَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً* وَیَرْزُقْهُ مِنْ حَیْثُ لا یَحْتَسِب»[٨٣٢].

ومن جهة أخرى نشاهد فی عالم الخلقة وجود أرزاق كثیرة وضروریة لحیاة الإنسان وبشكل وافر، بمقتضى رحمانیة اللَّه تعالى لجمیع أفراد البشر أعمّ من المؤمن والكافر، فنور الشمس وبركات الأرض، والأمطار، والاوكسجین فی الفضاء ممّا لا یستطیع الإنسان فی الحیاة بدونها، فكلّها من الأرزاق والنعم الإلهیّة التی أنعم اللَّه بها على الإنسان ممّا لم یطلبه ویتحرّك فی سبیل كسبه.

ویقول القرآن الكریم أیضاً: «وَفِی السَّماءِ رِزْقُكُمْ وَما تُوعَدُونَ»[٨٣٣].

ویقول أیضاً: «وَما أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّماءِ مِنْ رِّزْقٍ فَأَحْیا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها»[٨٣٤].

وبالرغم من أنّ هذه الآیة الشریفة، ومن خلال القرائن الموجودة فیها، ناظرة فقط إلى قطرات المطر، ولكن الآیة السابقة لها تملك مفهوماً أوسع وأشمل بحیث تشمل نور الشمس الذی یعدّ العلّة الرئیسیة لكلّ حركة فی الكرة الأرضیة كحركة الریاح والهواء الذی یعتبر مصدر حیاة جمیع الأحیاء أیضاً.

وفی تاریخ القدماء نقرأ أحیاناً بعض القصص التی تكشف عن الحوادث التی تعتبر مصداقاً حیّاً فی الرزق الذی یطلب الإنسان دون أن یطلبه أو یتوقّعه، فمن ذلك ما ذكره ابن أبیالحدید فی شرحه لهذه الجملة عن عماد الدولة (من سلاطین آل بویه): والقصة هی: دخل عماد الدولة أبوالحسن بن بویه مدینة شیراز بعد أن هزم ابن یاقوت وأجلاه عنها، وهو فقیر لا مال له، فساخت إحدى قوائم فرسه فی الأرض، فنزل عنها وابتدرها غلمانه وخلّصوها، فظهر لهم فی ذلك الموضع نقب

نفحات الولایة، ج٩، ص: ٥٨٢

وسیع، فأمرهم بحفره، فوجدوا فیه أموالًا عظیمة وذخائر لابن یاقوت، ثمّ استلقى یوماً آخر على ظهره فی داره بشیراز التی كان ابن یاقوت یسكنها، فرأى حیة فی السقف، فأمر غلمانه بالصعود إلیها وقتلها، فهربت منهم ودخلت فی خشب الكنیس، فأمر من یقلع الخشب وتستخرج وتقتل، فلما قلعوا الخشب وجدوا فیها أكثر من خمسین ألف دینار ذخیرة لابن یاقوت.

واحتاج أن یفصّل ویخیط ثیاباً له ولأهله، فقیل: هاهنا خیّاط حاذق كان یخیط لابن یاقوت، وهو رجل منسوب إلى الدین والخیر، إلّاأنّه أصمّ لا یسمع شیئاً أصلًا، فأمر بإحضاره فاحضر وعنده رعب وهلع، فلمّا أدخله إلیه كلّمه فقال: أرید أن تخیط لنا كذا وكذا قطعة من ثیاب، فارتعد الخیاط واضطرب كلامه وقال: واللَّه یا مولانا ما له عندی إلّاأربعة صنادیق لیس غیرها، فلا تسمع قول الأعداء فیّ، فتعجّب عماد الدولة وأمر بإحضار الصنادیق فوجدها كلّها ذهباً وحلیة وجواهر، ودیعة لابن یاقوت ٨٣٥].

الثانیة: والنصحیة الثانیة للإمام علیه السلام یقول: «مَا أَقْبَحَ الْخُضُوعَ عِنْدَ الْحَاجَةِ، وَالْجَفَاءَ عِنْدَ الْغِنَى».

وهذا إشارة إلى أنّ الأشخاص من ضعفاء النفوس عندما یحتاجون إلى هذا وذاك، فإنّهم یعرضون حاجتهم بالكثیر من حالات الذلّة بحیث تتعرّض شخصیتهم للاهتزاز، ولكن عندما یعیشون القدرة وعدم الحاجة، فإنّهم یتعاملون مع المحتاجین من موقع الازدراء واللامبالاة، وكلا هاتین الصفتین من الرذائل الأخلاقیة، فینبغی للإنسان عند الحاجة أن یحفظ مناعة الطبع والعزّة فی نفسه، وعند القدرة وعدم الحاجة لا یبخل فی اللطف وإظهار المحبّة والتواضع للمحتاجین.

وذهب بعض شرّاح نهج‌البلاغة[٨٣٦] إلى أنّ هذا الكلام ناظر إلى مورد فی الآیة

نفحات الولایة، ج٩، ص: ٥٨٣

الشریفة: «حَتَّى إِذا كُنْتُمْ فِی الْفُلْكِ وَجَرَیْنَ بِهِمْ بِرِیحٍ طَیِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِها جاءَتْها رِیحٌ عاصِفٌ جاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِیطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِینَ لَهُ الدِّینَ لَئِنْ أَنْجَیْتَنا مِنْ هذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِینَ* فَلَمَّا أَنْجاهُمْ إِذا هُمْ یَبْغُونَ فِی الْأَرْضِ بِغَیْرِ

الْحَقِّ»[۸۳۷].

وعلی هـذا الأساس فإنّ العبارات أعلاه ناظرة إلی العلاقـة بین الخلق والخالق فی حین أنّ الأمر لیس کـذلک، والظاهر أنّ هـذه الجمل والعبارات ناظرة إلی العلاقة بین المخلوقین أنفسهم، لأنّ الخضوع أمام الخالق محمود علی أیّة حال.

ولا ـ یخفی أنّ المراد من الخضوع فی هـذا المورد لیس هو التواضع المعقول، بل التواضع المقترن بالذلّـة والحقارة، والمراد من الجفاء، إظهار الکراهیة وعدم الاحترام، وأمثال ذلک.

ونقرأ فی الحدیث الشریف عن الإمام أمیرالمؤمنین علیه السلام قوله: «مَا أَحْسَنَ تَوَاضُعَ الْأَغْنِیَاءِ لِلْفُقَرَاءِ طَلَباً لِمَا عِنْدَ اللَّهِ وَأَحْسَنُ مِنْهُ تیهُ الفُقَرَاءِ عَلَی الْأَغْنِیَاءِ اتِّکَالًا عَلَی اللَّهِ»[۸۳۸].

ویقول أحد الشعراء فی هذا المجال:

خُلْقانِ لاأرْضاهُما لِفَتی تیهُ الْغِنی وَ مَذَلَّةُ الْفَقْرِ

فَإذا غَنَیْتَ فَلا تَکُنْ بَطِراًوَ إذا افْتَقَرْتَ فَته عَلَی الدَّهْرِ

الثالثة: «إِنَّمَا لَکَ مِنْ دُنْیَاکَ، مَا أَصْلَحْتَ بِهِ مَثْوَاکَ ۸۳۹]».

وهـذا إشارة إلی أنّ الثروات الدنیویة تذهب وتروح، وأحیاناً قد یترک الإنسان آلافاً مؤلّفة منها للورثة، ویبقی حسابها ووزرها علیه فی الآخرة، ویتمتّع بها الآخرون فی الدنیا، فهذه الأموال لا تعتبر مالًا حقیقیاً للإنسان، والمقدار الذی یعتبر

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۵۸۴

ملکه فی‌الحقیقة هو ما استخدمه لإصلاح آخرته وأرسله أمامه إلی حیاته بعد الموت.

ونقرأ فی الکلمات القصار للإمام علیه السلام قوله: «لِکُلِّ امْرِئٍ فِی مَالِهِ شَرِیکَانِ:

الْوَارِثُ وَالْحَوَادِثُ»[۸۴۰].

ونقرأ فی حدیث آخر عن النبیّ الأکرم صـلی الله علیه و آله قوله: «یَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَالِی مَالِی وَهَلْ لَکَ مِنْ مَالِکَ إِلَّا مَا أَکَلْتَ فَأَفْنَیْتَ، أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَیْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَیْتَ وَمَا عَدَا ذَلِکَ فَهُوَ مَالُ الْوَارِثِ»[۸۴۱].

یعنی أنّ المـال الحقیقی للإنسـان یکون علی قسـمین: قسم یسـتفید منه بمصـارفه ومعیشـته فی الـدنیا، وقسم آخر یجعله ذخیرة لآخرته ویوم معاده، وسائر أمواله موهومة ربّما تسلب منه فی بعض الحوادث، ولو بقی منها شیء فهو نصیب الورثة.

الرابعة: یشیر الإمام علیه السـلام هنا إلی نقطة أخری، وجدیر بالإنسان أن یتذکّرها کلّ یوم وهی قوله: «وَإِنْ کُنْتَ جَازِعاً عَلَی مَا تَفَلَّتَ ۸۴۲] مِنْ یَدَیْکَ، فَاجْزَعْ عَلَی کُلِّ مَا لَمْ یَصِلْ إِلَیْکَ».

الکثیر من الأشـخاص عنـدما یفقـدون المال والمقام الذی کانوا یملکونه تراهم یرتفع عویلهم وصـراخهم ویتحسّـرون علی ذلک أیّاماً طوالًا، وربّما شـهوراً وأعواماً مدیدة، ولکنّهم بالنسـبة للأموال والمقامات التی لم یحصـلوا علیها أبداً لا یعیشون تجاهها هذه الحالة، فی حین أنّنـا إذا دقّقنـا النظر فإنّ کلا الحالین سواء، فالتقـدیر الإلهیّ قضـی بأنّ هـذا المال أو المقام یکون من نصـیبی لمـدّة سـنة أو عـدّة سنوات ثم یزول إلی غیری، بحسب الأسباب الظاهریة أو الغیبیة، فما الفرق بین البقاء والحدوث؟ فإذا لم نجزع علی غیر المقدّر حدوثه فلماذا لا نعیش هذه الحالة فی حال فقدانه؟ وطبعاً أحیاناً یتصوّر الإنسان أنّ هذا المال أو المقام لابدّ أن یبقی عنده

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۵۸۵

أکثر من المـدّة المقـدرّة، ولکن بحسب عـالم الأسـباب والمسبّبات فـإنّ هـذا التصوّر مجرّد خیـال باطـل، والتأسّف علیه مثـل تأسّـف الشخص الذی رأی فی منامه أنّه یملک مالًا ومقاماً وعندما یستیقظ فإنّه یجزع علی ما ذهب من یده فی منامه.

الخامسة: یشیر الإمام علیه السلام فی هذه التوصیة إلی نقطة مهمة أخری ویقول:

«اسْتَدِلَّ عَلَی مَا لَمْ یَکُنْ بِمَا قَدْ کَانَ، فَإِنَّ الْأُمُورَ أَشْبَاهٌ».

وهـذا يعنى وجود سلسلة من القوانين الكليـة الحاكمـة على عـالم الوجود وعلى المجتمعـات البشـرية، ولهـا فى كلّ زمانٍ مصاديق فى أرض الواقع، ولكن كـلّ هـذه المصـاديق والموارد مشـمولة لتلك القوانين الكليـة، وعليه فالإنسان بإمكانه- من خلال مطالعـة حالات القـدماء والمجتمعات الماضـية بل وحتّى مراجعة ما واجهه من حوادث ومتغيّرات فى سـنوات عمره الماضـية- أن يتعرّف على المسائل التى تواجهه فى الحاضر والمستقبل من خلال المقارنه، لئلّا يتورّط بعناصر الخطأ والضرر والخسران.

وهـذا الكلاـم يشـبه مـا ورد عـن الإمـام عليـه السـلام فى خطبـة أخرى حيـث قـال: «عِبَـادَ اللَّهِ إنَّ الـدَّهْرَ يَجْرِى بِالْبَـاقِينَ كَجَرْيِهِ بِالْمَاضِين»[۸۴۳]، وهذا الكلام متداول فى تعبيراتنا اليوميّة حينما نقول: التاريخ يعيد نفسه.

وفى ذيل الخطبة يتحدّث الإمام عليه السـلام عن كيفية تكرار التاريخ، وقد تحدّثنا فى شـرحها تحت سـتّة عناوين: الزوال السريع للنعم، عدم ثبات الحوادث فى العالم، عدم وفاء الدنيا وأهلها، الغرور والإخفاقات الناشئة عنه، تغيّر الحالات والروحيات لدى الأفراد بحيث إنّ أقرب المقرّبين ربّمـا يتحوّل إلى أخطر الأعـداء، وأخيراً أنّ الـذى يبقى ويعـدّ ذكرى جميلـة للإنسان فى هـذا العالم، أشـكال الإحسان والمحبّة والإخلاص، وما يؤدّى إلى اللعن ويسبّب السمعة السيئة للإنسان هو الظلم والجور وسلب الحقوق.

نفحات الولايه، ج ۹، ص: ۵۸۶

أجل، هـذه الأمور كلّها تتكرّر حالياً كما وقعت فى السابق، ومن هنا فإنّ العقلاء من الناس هم الذين يطالعون ماضـيهم وتاريخ القدماء من بعمق وتمعّن ويستلهموا منها الدروس والعبر.

السادسة: يقول: «وَلَا تَكُونَنَّ مِمَّنْ لَاتَنْفَعُهُ الْعِظَةُ إلَّا إذَا بَالَغْتَ فِى إيلَامِهِ، فَإنَّ الْعَاقِلَ يَتَّعِظُ بِالْآدَابِ، وَالْبَهَائِمَ لَاتَتَّعِظُ إلَّا بِالضَّرْبِ».

وهو إشـارة إلى أنّ النـاس على نحوين: فبعض يتّعـظ بـأدنى تفكير وتنبيه ويلتفت إلى خطئه ويسـعى لإصـلاحه، هؤلاـء هم الأشـخاص الواقعيون، ولكنّ البعض الآـخر لا يتّعظ بسـهولة إلّاإذا وصـلت السـكّين إلى العظم فما لم يشـعروا بالتوبيـخ والتحقير والـذمّ أو يواجهوا الضـرر والخسـارة نتيجـة أعمالهم، فإنّهم لا يرعون عن غيّهم، فهؤلاء حالهم حال الأنعام والبهائم التى لا تتعلّم إلّابالضـرب، ولا تسـكن وتترك الجموح إلّا بالسوط.

السابعة: يشير الإمام عليه السلام إلى توصية مهمّة أخرى ويقول: «اطْرَحْ عَنْكَ وَارِدَاتِ الْهُمُومِ بِعَزَائِمِ الصَّبْرِ وَحُسْنِ الْيَقِينِ».

إشارة إلى أنّ الحياة عبارة عن مجموعـة من الحوادث المرّة والحلوة، وكلّ وقت تهجم على الإنسان الغموم والأحزان، تارة على شـكل هموم اجتماعية وأخرى سياسية وثالثة مادية أو عائلية، فالإنسان إذا رضخ وخنع أمام هجوم هذه الهموم فسوف يعيش الإخفاق والفشل فى حياته، ولكنّه يستطيع التغلّب على هذه الهموم والتحدّيات بالاستعانة بقوّتين:

الاولى: قوّة الصبر والاسـتقامة، وأن يعلم أنّه سواء صبر أو لم يصبر، فإنّ مثل هذه الحوادث خارجة عن اختياره، فإذا كانت هذه الهموم ناشـئة من جهله وتساهله فى الأمور، فعليه تغيير المسار وإصـلاح الخلل، فلو التزم بآليـة الصبر فإنّه يكون عند اللَّه مأجوراً وسـليماً أيضاً، وإن ترك الصبر فإنّ حوادث الدهر تستمرّ فى مسيرتها ويفقد الأجر والثواب.

نفحات الولايه، ج ۹، ص: ۵۸۷

والأـخرى، أن يجّهز الإنسان نفسه بقوّة اليقين، وعلى حـدّ تعبير القرآن الكريم يقول: «قُلْ لَّنْ يُصيبَنا إلَّا ما كَتَبَ اللَّهُ لَنا»[۸۴۴]، ومعلوم أنّ التقـديرات الإلهيّـة تنطلق من موقع الحكمـة والتـدبير الإلهى، سواء علمنا بهـذه الحقيقة أم لم نعلم، وبالتالى نسـتطيع بهاتين القوّتين التصدّى لواردات الهموم وتسكين خلجات النفس وترطيب أجواء الحياة.

ينقل المرحوم مغنية فى شـرحه لنهج البلاغة قصة مفيدة ويقول: ومن جملة ما قرأت أنّ رجلًا أحس بضـعف وانحراف فى صحّته، ولمّا عرض نفسه على الطبيب قال له أنّه مريض بسـرطان الـدم، وأنّه يموت بعـد مدة قصـيرة، فلم ينزعج وتحدّى المرض، وقال فى نفسه: لا فرق بين أن أموت فجأة أو بإنذار سابق، ومضـى فى عمله كأن لم يكن شـىء، استـمرّ فيه حتى الآن، ولو أنّه استسـلم للوساوس لخارت قواه وأمسى طريح الفراش ينتظر الموت فى كلّ لحظة، ومعنى هذا أنّه يموت فى اليوم مرّات، ولمّا قيل له: كيف تعمل وأنت على هذه

الحال؟ قال: اجرّب الحكمة القائلة: خير الدواء العمل ٨٤٥].

ويقول لقمان الحكيم أيضاً فى مواعظه الجميلة لولده: «وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ»[٨٤٦].

الثامنة: يقول: «مَنْ تَرَكَ الْقَصْدَ جَارَ».

وهذا يعنى أنّ إحراز السلامة فى الدين والدنيا يمرّ من خلال الاعتدال، وأنّ كلّ إسراف وتفريط يقود الإنسان إلى دروب الضلالة والشقاء والإخفاق، وأنّ الصراط المستقيم الذى ندعو اللَّه تعالى كلّ يوم فى صلاتنا أن يهدينا إليه، هو صراط الاعتدال والاستقامة.

نفحات الولاية، ج٩، ص: ٥٨٨

التاسعة: «وَالصَّاحِبُ مُنَاسِبٌ ٨٤٧]». أى حاله حال أقرباء الإنسان وأرحامه.

وهذا إشارة إلى أنّ رابطة الصداقة تارة تكون قوية إلى درجة أنّها تحلّ محلّ رابطة القرابة والنسب، بل تارة تكون أقوى من ذلك، وهناك مثل معروف يقول أنّه سئل شخص: أيّهما أفضل الصديق أم الأخ؟ فقال: الأخ الصديق أفضل، وهناك مثل معروف أيضاً لدى العرب حيث يقال: «الصَّديقُ نَسيبُ الرُّوحِ وَالْأَخُ نَسيبُ الْبَدَنِ»[٨٤٨].

وقد نستوحى من هذا الكلام هذه النتيجة، وهى أنّ ذات الحقوق المقرّرة للأرحام والأقرباء ينبغى أخذها بنظر الاعتبار من الأصدقاء الجيّدين أيضاً.

العاشرة: يقول: «وَالصَّدِيقُ مَنْ صَدَقَ غَيْبُهُ».

وهو إشارة إلى الأشخاص الذين يظهرون المحبّة والعشق والعلاقة فى حضور المرء، ولكن ربّما لا يكون ذلك علامة حقيقية على صدقهم وصداقتهم، فالصديق الواقعى إنّما يتبيّن فى غياب صديقه ويراعى حقوقه فى غيبته كما فى حال حضوره ويتحدّث عنه فى غيبته كما يتحدّث أمامه.

الحادية عشر: يشير الإمام عليه السلام فى هذه التوصية إلى نقطة مهمّة أخرى ويقول:

«وَالْهَوَى شَرِيكُ الْعَمَى»، فكما أنّ الأعمى لا يرى ما حوله من الأجسام حتّى لو كانت قريبة منه ومجاورة له، فإنّ اتّباع الدنيا والسالكين فى خطّ الأهواء محرومون من الحقائق الجليّة، لأنّ حجاب الهوى يعتبر أشدّ الحجب ظلاماً ولا توجد آفة للمعرفة أضرّ وأسوء من هذه الآفة.

يقول القرآن الكريم: «أ فَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلهَهُ هَواهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلى بَصَرِهِ غِشاوَةً فَمَنْ يَهْديهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أ فَلا تَذَكَّرُونَ»[٨٤٩].

نفحات الولاية، ج٩، ص: ٥٨٩

ويصرّح الإمام عليه السلام فى رسالة له لأحد أصحابه بهذه الحقيقة ويقول: «فَارْفُضِ الدُّنْيَا فَإِنَّ حُبَّ الدُّنْيَا يُعْمِى وَيُصِمُّ وَيُبْكِمُ وَيُذِلُّ الرِّقَابَ»[٨٥٠].

الثانية عشر: يقول الإمام عليه السلام: «وَرُبَّ بَعِيدٍ أَقْرَبُ مِنْ قَرِيبٍ، وَقَرِيبٍ أَبْعَدُ مِنْ بَعِيدٍ».

وهو إشارة إلى أنّ العلاقات الجسدية لا تدلّ دائماً على العلاقة القلبية والتجانس الفكرى بين الأقرباء، فأحياناً يكون البعيد أقرب إلى الإنسان من قريبه، فالمهمّ وجود ارتباط قلبىّ وعلاقة روحية بين الطرفين، فلو لم يجد الإنسان مثل هذه العلاقة لدى أرحامه وأقربائه فبإمكانه البحث عنها فى غيرهم.

ونقرأ فى القرآن الكريم: «يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْواجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ»[٨٥١].

الثالثة عشر: يقول الإمام عليه السلام: «وَالْغَرِيبُ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَبِيبٌ».

الأمر الذى يخرج الإنسان من عتمة الغربة، المحبّة، والأشخاص الذين لا يعيشون المحبّة من قبل الآخرين يواجهون الوحشة والوحدة، ولهذه الغربة عوامل مختلفة، فأحياناً يقود الكبر والغرور والأنانية صاحبها إلى زاوية الوحدة وتبعد الناس عنه، وأخرى عناصر الحسد

والحدّة، وتارة حالات عدم الوفاء وعوامل أخرى.

ومن هـذا المنطلق، ولأجل التخلّص من وحشـة الغربـة، ليس لنا طريق سوى تطهير نفوسـنا من الرذائل الأخلاقية والتحلّى بالفضائل التى توفّر لنا أصدقاءً مخلصين وإخوة صالحين.

الرابعة عشر: فى هذه التوصية يشير الإمام عليه السلام إلى نقطة فى غاية الأهميّة ويقول: «مَنْ تَعَدَّى الْحَقَّ ضَاقَ مَذْهَبُهُ»، لأنّ طريق الحقّ واسع ومعبّد ونورانى، أمّا

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۵۹۰

طريـق الباطـل فملىء بـالعثرات والمطبّـات والمنعطفـات الخطيرة والمـآزق الضـيّقة، والسـائرون فى طريـق الحقّ يتحرّكون بسـرعة نحو مقصـدهم وهـدفهم، لأنّ عالم الوجود يتحرّك فى طريق الحقّ، ومَن كان منسـجماً مع عالم الوجود فإنّه يتحرّك فى‌هذا المسـير أيضاً، ولكن السـالكون طريق الباطـل كمن يسـبح عكس التّيـار، ومَن يخـالف مسار الطبيعـة وقوانين الوجود، يوقع نفسه فى مآزق عمليـة ولا يصل إلى نتيجة.

أضف إلى ذلك فإنّ مسير الحقّ كالجادّة الواضـحة التى نصـبت عليها علامات المرور التى ترشـد السالكين فيه لمعرفة وضع المسـير، ولكن طريق الباطل يفتقر لكلّ هذه الأمور، ولذلك يقود السالك فيه إلى مهاوى الضلالة ومتاهات الحيرة.

الخامسة عشر: يشير الإمام عليه السلام فى هذه الفقرة إلى موضوع معروف ومهمّ ويقول: «وَمَنِ اقْتَصَرَ عَلَى قَدْرِهِ كَانَ أَبْقَى لَهُ».

وبهذا المضـمون وردت عبارة أخرى للإمام أميرالمؤمنين عليه السلام فى كتاب غرر الحكم، قال: «رَحِمَ اللَّهُ امْرَءً عَرَفَ قَدْرَهُ وَ لَمْ يَتَعَدَّ طَوْرَهُ»[۸۵۲].

والتجربـة تشـير إلى أنّ الأشـخاص الـذين تجاوزوا حـدودهم ولم يعرفوا قـدرهم، أثاروا الناس ضـدّهم، بحيث أنّ الناس ليس فقط لم يعترفوا لهم بمقامهم الزائف الذى يدّعون، بل سلبوا منهم موقعهم الذى يستحقّون، والسبب واضح، لأنّ الناس يرون فى هؤلاء المدّعين الطوبائيين والذين يعيشون حالات النرجسـية والغرور أنّهم أشـخاص انتهازيون وخونة، وأحياناً حمقى وسـفهاء، ولهذا لا يحسـبون لهم أيـة قيمـة، ولكنّ الأشـخاص الـذين يعيشون الصـدق والنزاهة والقانعين بحقّهم، يعتبرهم الناس شخصـيات محترمة ويمنحونهم المكانة اللائقة ويراعون حقّهم فى واقع الحياة الاجتماعية.

السادسة عشر: يقول الإمام عليه السلام: «وَأَوْثَقُ سَبَبٍ أَخَذْتَ بِهِ سَبَبٌ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ».

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۵۹۱

وهو إشـارة إلى أنّ التمسّـك بالوسائـل الماديّة واللجوء إلى المخلوقين والطلب منهم، طريق لا يعتمـد عليه، وربّما لا يوصل إلى نتيجة مطلوبة، فهذه الأسباب لا يوثق بها فى تحصل المراد، والأصل الثابت والأساس القائم والخالد هو البارى تعالى الذى لا يمكن لأىّ‌شىء مخالفة مشيئته وقدرته المطلقة، وعلى ضوء ذلك فالشخص الذى يلتجىء إلى الذات المقدّسة فإنّه يلتجىء إلى حرز حريز وملاذ أمين غير قابـل للزوال والاـهتزاز، وهـذا هـو التوحيـد الأفعـالى الـذى يقرّر: «لاـ مُؤَثِّرَ فِى الوُجُودِ إلّا اللَّهُ». والقرآن الكريم يقول: «فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقى [۸۵۳].

وذهب بعض إلى أنّ المراد من الوسـيلة الإيمان والقرآن الكريم، ولكن من الواضـح أنّ الجملـة لها مفهوم واسع تشـمل جميع الوسائل التى تقرّب الإنسان إلى للّه تعالى.

ومعلوم أنّ هـذا الكلاـم لاـ يعنى أن نـترك عـالم الأسـباب والمسبّبات، ولاـ يعنى أيضـاً ترك التوسّـل بـالمعصومين، لأننـا إذا توسّـلنا بالمعصومين وبالأسباب الطبيعية وكان نظرنا إلى ما ورائها من القدرة الإلهيّة، وكان نظرنا إلى مسبّب الأسباب، فمثل هذا التوسّل وطلب الشفاعة من هؤلاء الأولياء يمثّل تقرّباً إلى اللّه تعالى وهو من المصاديق البارزة للعلاقة الوثيقة مع الذات المقدّسة.

السابعة عشر: يقول الإمام عليه السلام: «وَمَنْ لَمْ يُبَالِكَ فَهُوَ عَدُوُّكَ».

وطبعاً فالمراد الشخص الـذى يرتبط مع الإنسان بنحو من الارتباط، وربّما ادّعى المحبّة والمودّة، ولكن عنـدما تحين لحظة الدفاع عن الحقّ والعرض والسمعة، فإنّه يواجه هذا الموقف من موقع اللامبالاة وبحالة من البرودة، وهذا يشير إلى أنّه غير صادق فى إظهار المحبّة والصداقة، بل يضمر نوعاً من العداوة فى داخله ونفسه.

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۵۹۲

وعلى ضوء ذلك، فلا داعى لحمل هذه الجملة على أنّها ناظرة للعلاقة بين الناس والحكّام، والقول بأنّ بعض الناس- فيما يتّصل بالشأن السياسىّ والاجتماعى وما إلى ذلك- لا يتحرّكون على مستوى الانسجام مع برنامج الحكومة ويتعاملون مع الخطط والمناهج التى تقرّرها الدولة من موقع اللامبالاة وعدم الاهتمام، فهؤلاء فى الحقيقة مخالفون لهذا النظام وأعداء لذلك المنهج ۸۵۴]، وبخاصّة إذا رأينا أنّ أجواء هذه الوصية لا يرتبط بمقولة العلاقة بين الحاكم والمحكومين، بل بين أفراد المجتمع أنفسهم.

الثامنة عشر: يقول الإمام عليه السلام فى هذه التوصية المثمرة: «قَدْ يَكُونُ الْيَأْسُ إِدْرَاكاً، إِذَا كَانَ الطَّمَعُ هَلَاكاً».

وهذا يعنى أنّ الإنسان أحياناً يسعى للتوصّل إلى هدفه وغايته، ويطمع أن ينال بغيته، فى حين أنّ اللَّه تعالى يعلم أنّ ذلك مضرٌّ له وفيه خسارته، وبذلك يحرمه من تحقيق غايته، وفى هذا المورد، وإن لم يصل هذا الشخص ظاهراً إلى غايته وهدفه، إلّا أنّه فى الحقيقة حصل على الهدف الحقيقى وهو السلامة والمنفعة الحقيقية الكامنة فى وجدانه، وعلى ذلك لا ينبغى أن يعيش الإنسان حالات اليأس وفقدان الأمل فى عدم الوصول إلى النتيجة ويحسب أنّ ذلك خسارة وإخفاقاً، بل تعدّ هذه الظاهرة فى كثير من الموارد نجاحاً وتوفيقاً.

التاسعة عشر: يقول الإمام عليه السلام: «لَيْسَ كُلُّ عَوْرَةٍ تَظْهَرُ».

هناك احتمالات عدّة فى تفسير هذه العبارة: الاحتمال الأول: إنّه إذا كنت تعتقد بأنّ البعض ذو شخصية كاملة حسب الظاهر ولا نقص ولا عيب فيه، فلا تغترّ بهذه الحالة الظاهرية، لأنّه ربّما كانت هناك عيوب خفيّة لم تظهر لك، وعليه ينبغى الاحتياط على كلّ حال، وهذا ما ذهب إليه جماعة من شرّاح نهج‌البلاغة.

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۵۹۳

الاحتمال الثانى: إنّ الإنسان إذا رأى فى نفسه أنّه سليم من كلّ عيب ونقص ظاهراً، فلا يغترّ بذلك، لأنّ الكثير من العيوب لا تظهر للإنسان إلّابالتأمّل والتفكّر والدقّة، كما ذكروا فى حالات بعض العظماء أنّه بعد ثلاثين سنة مثلًا انتبه فجأة ومن خلال حادثة معيّنة، إلى وجود بعض العيوب فى نفسه.

الاحتمال الثالث: إذا كانت لديك عيوب ونقاط ضعف وترى أنّك أدنى وأقلّ مرتبة من الآخرين بسبب ذلك، فلا تقلق، بل عليك بإصلاح نفسك وسدّ هذه الثغرات فى شخصيتك، لأنّ الآخرين يملكون عيوباً أيضاً ويسعون لإخفائها عن الآخرين.

وبديهىّ أنّ هذه التفاسير لا تتقاطع فيما بينها، وربّما تجتمع كلّها فى مفهوم هذه الجملة، وإن كان التفسير الأول أنسب حسب الظاهر.

العشرون: يقول الإمام عليه السلام: «وَلَا كُلُّ فُرْصَةٍ تُصَابُ».

يعنى إذا فقدت فرصة فلا تحزن، لأنّ الفرصة أحياناً تأتى بشكل مفاجىء بحيث أنّ الإنسان لا يوفّق للاستفادة منها، رغم أنّه لابدّ من السعى الجادّ لاستغلال الفرص، ولو أنّ الناس استطاعوا استغلال جميع الفرص بدون أن تزول فرصة، فإنّ حياة البشر ستتغيّر وتختلف كثيراً عمّا عليه الآن.

وهذ الكلام النورانى يمنحنا درساً كبيراً، لأننا كثيراً ما رأينا بعض الأشخاص الذين يعيشون التحسّر طيلة عمرهم على فقدان فرصة، ويقولون: إذا كنت قد عملت ذلك العمل فى اليوم الفلانى فسأكون كذا وكذا، أو ليت أنّى كنت مستيقظاً فى تلك الساعة ولم أفقد تلك الفرصة، هؤلاء وبدلًا من التفكير بالمستقبل يتحسّرون دائماً على الماضى.

الحادية العشرون: فى هذا التوصية يطرح الإمام عليه السلام موضوعاً مهمّاً آخر ويقول: «وَرُبَّمَا أَخْطَأَ الْبَصِيرُ قَصْدَهُ، وَأَصَابَ الْأَعْمَى

رُشْدَهُ».

وهـذا يشير إلى لزوم التـدبّر فى أعمال أهل الخبرة والمطّلعين من الناس، فلا تتصوّر أنّهم يتحرّكون فى مسيرهم بـدون ارتكاب خطأ، وكذلك عليك بالدقّة فى

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۵۹۴

أعمال الجهلة والسطحيين من النـاس ولاـ تظنّ أنّهم جميعـاً على خطأ فى مسـيرهم، فربّمـا لا يصل الخبير إلى مقصوده بسبب بعض العوامل، فى حين يحصل الجاهل على غايته.

ونقرأ فى روايـة عن الإمـام علىّ بن موسـى الرضـا عليهمـا السـلام عن آبائه عن جـدّه رسول اللّه صـلى الله عليه و آله أنّه قال: «كَلِمَتَانِ غَرِيبَتَانِ فَاحْتَمِلُوهُمَا، كَلِمَةُ حِكْمَةٍ مِنْ سَفِيهٍ فَاقْبَلُوهَا وَكَلِمَةُ سَفَهٍ مِنْ حَكِيمٍ فَاغْفِرُوهَا»[۸۵۵].

وجاء فى الأمالى، فى ذيل هذا الحديث: «فَإِنَّهُ لَاحَكِيمَ إِلَّا ذُو عَثْرَةٍ وَلَا سَفِيهَ إِلَّا ذُو تَجْرِبَةٍ»[۸۵۶].

الثانية والعشرون: يقول الإمام عليه السلام: «أَخِّرِ الشَّرَّ فَإِنَّكَ إِذَا شِئْتَ تَعَجَّلْتَهُ».

وهـذا يعنى أنّ الخير يحتـاج إلى مقـدّمات، وأنّ الإنسان يجب أن يتعجّل هـذه المقـدّمات، فى حين أنّ الشـرّ فى كلّ زمان وفى جميع الظروف لا يحتاج إلى مقدّمات بل هو ممكن الصدور من أىّ شخص.

وربّما يراد من هـذه العبارة أنّك لا تتعجّل فى العقوبة والتوبيخ والمؤاخذة لو كنت على حقّ، لأنّ ذلك متيسّـِر فى كلّ زمان، وستشـعر بالندم بعد ذلك، فى حين أنّ طريق العودة موصد.

ويحتمل أيضاً فى تفسير العبارة مورد البحث أنّ هـذه الجملة كناية عن ترك كلّ أشـكال الشـرّ والإساءة بدون حقّ، من قبيل أن يقول أحـد الأشـخاص مثلًا: لقـد تـألمت بشـدّة إلى درجـة أنّنى قرّرت الانتحـار، فنحن نقول له: إنّ الانتحار لا يفوتك، وأنّه ممكن فى كلّ زمـان، فتعال لنعثر على طريق لإصـلاح مشـكلاتك والبحث عن الحلول الناجعـة لها، ومعلوم أنّ مفهوم هـذا الكلام لا يعنى أنّ عليك الانتحار بعد ذلك، بل هو كناية عن تركه.

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۵۹۵

الثالثة والعشرون: يقول الإمام عليه السلام: «وَقَطِيعَةُ الْجَاهِلِ تَعْدِلُ صِلَةَ الْعَاقِلِ».

هـذه العبارة إشارة إلى أنّه كما ينتفع الإنسان من الارتباط مع العقلاء فإنّه ينتفع كذلك من القطيعة مع الجّهال (وطبقاً لهذا المعنى فإنّ الجاهل والعاقل بمنزلة المفعول لقطيعة وصلة).

ويحتمل أيضاً فى تفسير هـذه العبارة أنّ الجاهل إذا قطع علاقته معك فلا تحزن لذلك لأنّه بمنزلة أن يقوم عاقل بايجاد رابطة معك، وبالتالى فأنت تتخلّص من شرّه وضرره بقطع علاقته معك (وطبقاً لهذا التفسير فإنّ الجاهل والعاقل فى هذه العبارة لهما موقع الفاعل).

الرابعة والعشرون: يقول الإمام عليه السلام: «مَنْ أَمِنَ الزَّمَانَ خَانَهُ، وَمَنْ أَعْظَمَهُ أَهَانَهُ».

والجملـة الاولى إشارة إلى أنّ أىّ نعمة من نعم الدنيا لا يمكن أن يعتمد عليها، فأشـكال النجاحات، والانتصارات، والثروات، والجمال والحُسن، المحبوبيـة والمكانـة الاجتماعيـة، وسائر المواهب الماديـة الأخرى معرّضة للزوال فى كلّ لحظة، والأشـخاص الذين يعتمدون على هـذه الأمور فسوف يواجهون فجأة خيانـة الـدنيا لهم، وسـتؤخذ منهم هـذه النعم والمواهب واحدة بعد الأخرى، وهذا من قبيل أنّ الإنسان يبنى فى مسير السيل داراً فخمة، يحتمل فى كلّ لحظة أن يأتى سيل عظيم ويجرف معه تلك الدار وينقضها، وعلى ضوء ذلك فالمراد من الزمان هنا الدنيا والمواهب المادية والنعم الدنيوية.

والمراد من الجملـة الثانيـة أنّ الإنسـان يرى أهميّـة الـدنيا فى عينه ويتحرّك لتحصـيل النعم الماديـة فيهـا بأىّ طريق كان وبأيّـة وسـيلة، وبديهى أنّ مثل هذا الشخص سيعيش الذلّة والمهانة ويسقط فى أنظار الناس.

ويحتمـل أيضـاً فى تفسـير الجملتين أعلاـه أنّ المقصود من الزمان، أهل الزمان، يعنى أنّ الإنسان لا ينبغى له أن يثق بجميع أهل زمانه،

لأنّه ربّما يطعن من الخلف ويواجه الغدر والخيانة، والمراد من تعظيم الزمان هو تعظيم أهل الزمان وبخاصّة

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۵۹۶

أصحاب القدرة والثروة وصنّاع القرار والمستكبرين، فالاعتماد على هؤلاء وتعظيمهم يتسبّب فى إضعاف شخصية الإنسانة وسقوطه، ولذلك نرى أنّ الكثير من الأكابر والعلماء السابقين كانوا يحرّمون الاقتراب من الحكّام الجائرين والطواغيت، ويحذّرون الشخصيات المحترمة من إقامة علاقة وطيدة مع السلاطين، وما نرى فى ترجمة حال الأكابر القدماء من شكواهم من فساد الزمان، فمقصودهم فساد أهل زمانهم ۸۵۷].

ونقرأ فى الأشعار المنسوبة لعبدالمطّلب:

يَعِيبُ النَّاسُ كُلُّهُمُ زَمَاناًوَمَا لِزَمَانِنَا عَيْبٌ سِوَانَا

نَعِيبُ زَمَانَنَا وَالْعَيْبُ فِينَاوَلَوْ نَطَقَ الزَّمَانُ بِنَا هَجَانَا

وَإِنَّ الذِّئْبَ يَتْرُكُ لَحْمَ ذِئْبٍوَيَأْكُلُ بَعْضُنَا بَعْضاً عِيَاناً[۸۵۸]

الخامسة والعشرون: يقول الإمام عليه السلام فى هذه العبارة من وصيّته الرائعة: «لَيْسَ كُلُّ مَنْ رَمَى أَصَابَ».

وهو إشارة إلى أنّه لا ينبغى للأنسان أن يتوقّع الوصول إلى مقصده وتحقيق هدفه دائماً بحيث لو أنّه لم يحقّق النتيجة المرجوّة يصاب باليأس، أو أنّ الأشخاص الذين يرتكبون بعض الأخطاء التى تعيقهم عن تحقيق هدفهم، يقعون ضحيّة الذمّ والتقريع والتوبيخ، فالبشر غير معصوم ويحتمل فى حقّه الخطأ والاشتباه (سوى المعصومين عليهم السلام).

والغرض من هذا الكلام تسلية الخاطر وتقوية الإرادة من بعض الإخفاقات التى يواجهها الإنسان فى حركة الحياة والاحتفاظ بالأصدقاء والمدراء وعدم نبذهم بسبب بعض الأخطاء والهفوات.

ويحتمل أيضاً أنّ المقصود من هذه العبارة أنّ كلّ رامٍ لا يوفّق لإصابة الهدف، بل

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۵۹۷

الرامى الماهر والمجرّب هو الذى ينجح فى إصابة الهدف.

ولا يبعد أن يكون المقصود من هذه العبارة كلا المعنيين المذكورين.

السادسة والعشرون: فى هذه التوصية المباركة يتعرّض الإمام عليه السلام لمسألة تغيير الأوضاع وتبدّل الظروف فى زمانه ويقول: «إِذَا تَغَيَّرَ السُّلْطَانُ تَغَيَّرَ الزَّمَانُ».

وهذا يعنى أنّ أوضاع المجتمع تدور حول محور وضع الحكّام وأصحاب السلطة والقدرة، فليس فقط أنّ «النّاسُ عَلى دينِ مُلُوكِهِم» يمثّل حقيقة واقعية، بل إنّ أغلب حركات وسكنات الناس تدور حول محور نوع الحكومات ونمط إدارة النظام السياسى، فلو كان الحكّام من أهل الخبرة والتقوى والعدالة، فإنّ الناس يتحرّكون فى خطّ التقوى والعدالة، وإن كانوا من الظلمة والقساة وأهل الجور، فإنّ ذلك سينعكس على جميع روحيات المجتمع ونفسيات أفراده، ولهذا السبب كان الأنبياء الإلهيون يسعون قبل كلّ شىء لإقامة الحكومة العادلة ليتيسّر لهم إصلاح الناس فى ظلّ مثل هذه الحكومة، أمّا الأشخاص الذين يعتقدون بفصل الدين عن السياسة، فهم بعيدون جدّاً عن الحقيقة والصواب، لأنّ ترويج الدين ونشر التعاليم السماوية لا يمكن بدون إصلاح الحكومة، ومن هنا فإنّ النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله تحرّك على مستوى تشكيل الحكومة الإسلاميّة فى أوّل فرصة سنحت له ليستطيع التأثير فى الامّة وتبليغ الرسالة بشكل صحيح من خلال آليات القدرة ويعمل على استبدال الثقافة الجاهلية بثقافة سليمة وإنسانية، وبخاصّة ما نراه فى عالما المعاصر من تأثير وسائل الإعلام فى أفكار الناس وكذلك البرامج المتعلّقة بالتعليم والتربية من المراحلة الابتدائية إلى المستويات العالية كلّها بيد الحكومات أو العناصر المرتبطة بالحكومة، فهل يمكن بدون الأخذ بزمام هذه الأمور من إصلاح المجتمع وتطهيره من

عناصر الفساد والرذيلة؟

ويتبيّن ممّا تقدّم آنفاً أنّ المراد من الزمان، تغيير أفراد المجتمع، والمراد من تغيير السلطان تغيير حالات السلطان.

نفحات الولاية، ج٩، ص: ٥٩٨

قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: «صِنْفَانِ مِنْ أُمَّتِي إذَا صَلَحَا صَلَحَتْ أُمَّتِي وَإذَا فَسَدَا فَسَدَتْ أُمَّتِي، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَنْ هُمَا؟ قَالَ الْفُقَهَاءُ وَالْأُمَرَاءُ»[٨٥٩].

وجاء في بعض المصادر التاريخية أنّ انوشيروان استدعى يوماً عمّاله على القرى والقصبات وبيده درّة ثمينة يقلّبها، فقال: أيّ شيء أضرّ بارتفاع السواد وادّعى إلى محقّه؟ أيّكم قال ما في نفسي جعلت هذه الدرّة في فيه.

فقال بعضهم: انقطاع الشرب، وقال بعضهم: احتباس المطر، وقال بعضهم: استيلاء الجنوب وعدم الشمال، (غلبة رياح الجنوب وعدم هبوبها من الشمال)، فقال لوزيره (بوذرجمهر): قل أنت فإنّي أظنّ عقلك يعادل عقل الرعيّة كلّها أو يزيد عليها، فقال:

تغيّر رأي السلطان في رعيّته، وإضمار الحيف لهم والجور عليهم.

فقال: للَّهأبوك بهذا العقل أهّل آبائي أجدادي لما أهّلوك له، فدفع إليه الدرّة وجعلها في فيه ٨٦٠].

السابعة والعشرون: يقول الإمام عليه السلام: «سَلْ عَنِ الرَّفِيقِ قَبْلَ الطَّرِيقِ، وَعَنِ الْجَارِ قَبْلَ الدَّارِ».

وقد أثبتت التجربة صحّة كلام الإمام عليه السلام هذا، فالناس قد جرّبوا ذلك مراراً لأنّ الستار والحجاب يزول غالباً في السفر وتبرز بواطن الأشخاص ومكنوناتهم، فلو كان رفيق السفر شخصاً وقحاً وغير متورّع أو كان بخيلًا وسيّء الخلق مع الآخرين، فإنّ ذلك من شأنه أن يسلب الراحة والهناء من أصدقائه في السفر، وهكذا بالنسبة إلى الجار السيّء فإنّه يسلب الراحة من الإنسان حتّى وهو في داره.

ونقرأ في حديث شريف عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: «كانَ إذا سافَرَ يَقُولُ: مَنْ كانَ يُسيءُ إلى جارِهِ فَلا يَصْحَبْنا لِأنّ الْجارَ رَفيقٌ مُلازِمٌ»[٨٦١].

نفحات الولاية، ج٩، ص: ٥٩٩

يقول المرحوم التستري في شرحه لنهج البلاغة نقلًا عن كتاب تاريخ بغداد: كان لمحمّد بن ميمون أبيحمزة السكري ٨٦٢] (من مشاهير عصره) جار أراد أن يبيع داره، فقيل له: بكم، قال: بألفين (دينار) عن الدار، وألفين (دينار) عن جوار أبي حمزة، فبلغ ذلك أبا حمزة فوجّه إليه أربعة آلاف (دينار)، فقال: خذ هذه ولا تبع دارك ٨٦٣].

الثامنة والعشرون: يقول الإمام عليه السلام في هذه الفقرة الأخيرة من وصيّته الزاخرة بالقيم والنصائح المفيدة: «إيَّاكَ أنْ تَذْكُرَ مِنَ الْكَلَامِ مَا يَكُونُ مُضْحِكاً، وَإنْ حَكَيْتَ ذَلِكَ عَنْ غَيْرِكَ».

لأنّ مثل هذا الكلام يزيل هيبة الإنسان من جهة، ومن جهة أخرى يقترن غالباً بالغيبة أو السخرية من الآخرين من ذوي الوجاهة في المجتمع، ومن هنا سيكون مثل هذا الكلام باعثاً للإضرار بالإنسان في الدنيا وفي الآخرة، سواء كان هذا الكلام من عنده أو نقلًا عن شخص آخر، فلا فرق في الغيبة أو السخرية أن تكون من إبداع الشخص نفسه أو حكاية عن غيره.

وطبعاً فإنّ هذا لا يعني أنّ الإنسان يجب أن يترك كلّ أشكال المزاح المشروع والفكاهة اللطيفة، أو أن يجلس في المجالس بوجه عبوس ومكفهرّ، لأننا نعلم أنّ النبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله وأئمّة أهل البيت عليهم السلام والعلماء الكبار كانوا يمزحون فيما بينهم ويتحدّثون باللطائف والفكاهة أحياناً، بل وردت التوصية بالمزاح في السفر أكثر للتخفيف من ضغط المشاكل والصعوبات التي يواجهها الإنسان في سفره، يقول العلّامة السيد بحر العلوم في أشعاره الفقهية:

وَ اكْثِرِ الْمِزاحَ فِي السَّفرِ إذالَمْ يُسْخِطِ الرَّبَّ وَ لَمْ يَجْلِبْ أذىً

وهذا الكلام مقتبس من الحديث النبويّ الشريف، قال النبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله: «وَأَمَّا

نفحات الولاية، ج٩، ص: ٦٠٠

الَّتِی فِی السَّفَرِ فَبَذْلُ الزَّادِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ وَالْمِزَاحُ فِی غَیْرِ الْمَعَاصِی»[۸۶۴].

وخلاصة الکلام أنّ هذه الأمور تعتبر حسنة وجمیلة إذا کانت فی حدّ الاعتدال، وإن تجاوزت الحدّ أو أدّت إلی إهانة الآخرین وظهور المتکلّم بمظهر المهرّج فی أنظار الناس أو قاده هذا الکلام إلی ارتکاب الذنوب ممّا یسخط اللّه تعالی؛ فمثل هذا الکلام والمزاح یکون منهیّاً عنه فی الشرع والعرف.

والإنصاف أنّ من بین هذه النصائح الثمانیة والعشرین التی ذکرها الإمام علیه السلام فی عبارات قصیرة وعمیقة المعنی وتمثّل کلّ واحدة منها درساً مهمّاً فی حرکة الحیاة المادیة والمعنویة للإنسان؛ تعتبر من أروع ما ورد فی النصائح والمواعظ وجدیر أن تکتب بماء الذهب وتعلّق أمام أنظار الجمیع، سلام اللّه وصلواته علی روحک الطاهرة وکلماتک الزاهرة یا أمیرالمؤمنین علیه السلام.

القسم الثامن والعشرون

اشارة

وَإِیَّاکَ وَمُشَاوَرَةَ النِّسَاءِ فَإِنَّ رَأْیَهُنَّ إِلَی أَفْنٍ، وَعَزْمَهُنَّ إِلَی وَهْنٍ. وَاکْفُفْ عَلَیْهِنَّ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ بِحِجَابِکَ إِیَّاهُنَّ، فَإِنَّ شِدَّةَ الْحِجَابِ أَبْقَی عَلَیْهِنَّ، وَلَیْسَ خُرُوجُهُنَّ بِأَشَدَّ مِنْ إِدْخَالِکَ مَنْ لَایُوثَقُ بِهِ عَلَیْهِنَّ، وَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَلَّا یَعْرِفْنَ غَیْرَکَ فَافْعَلْ. وَلَا تُمَلِّکِ الْمَرْأَةَ مِنْ أَمْرِهَا مَا جَاوَزَ نَفْسَهَا، فَإِنَّ الْمَرْأَةَ رَیْحَانَةٌ، لَیْسَتْ بِقَهْرَمَانَةٍ. وَلَا تَعْدُ بِکَرَامَتِهَا نَفْسَهَا، وَلَا تُطْمِعْهَا فِی أَنْ تَشْفَعَ لِغَیْرِهَا.

وَإِیَّاکَ وَالتَّغَایُرَ فِی غَیْرِ مَوْضِعِ غَیْرَةٍ، فَإِنَّ ذَلِکَ یَدْعُو الصَّحِیحَةَ إِلَی السَّقَمِ وَالْبَرِیئَةَ إِلَی الرِّیَبِ.

الشرح والتفسیر: السلوک العادل والحکیم مع المرأة

وفی القسم الثامن والعشرین من هذه الوصیة التاریخیة یتحدّث الإمام علیه السلام بالقضایا التاریخیة المتعلّقة بالنساء ویوصی ولده بثمان وصایا.

بدایة یقول: «وَإِیَّاکَ وَمُشَاوَرَةَ النِّسَاءِ فَإِنَّ رَأْیَهُنَّ إِلَی أَفْنٍ ۸۶۵] وَعَزْمَهُنَّ إِلَی وَهْنٍ».

ویبیّن الإمام علیه السلام فی مطاوی هذه النصائح والتوصیات الثمان العلّة وراء هذه التوصیات والتی بإمکانها الإجابة عن جمیع الأسئلة وعلامات الاستفهام التی تثار حول هذه التوصیات، فالإمام یقول: لأنّ المرأة ریحانة ولیست بقهرمانة (مدیرة ومسیطرة).

ومن المعلوم أنّ مثل هذا الکائن اللطیف لا یستطیع أن یکون طرفاً للمشورة فی

المسائل المهمة، ومعلوم أیضاً أنّ کلّ حکم عام له استثناءات، وما من عام إلّاوقد خصّ، وفی هذا المورد ثمة نساء یملکن من العزم والإرادة والرأی الثاقب بحیث یوازین الرجال من أهل الخبرة، أضف إلی ذلک أنّ القضایا العاطفیة والأحاسیس النفسانیة تتغلّب علی النساء، وهذا هو الأمر الذی یؤثّر علیهن فی مقام المشاورة.

ثمّ یتعرّض الإمام علیه السلام للتوصیة الثانیة ویقول: «وَاکْفُفْ عَلَیْهِنَّ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ بِحِجَابِکَ إِیَّاهُنَّ، فَإِنَّ شِدَّةَ الْحِجَابِ أَبْقَی عَلَیْهِنَّ».

ومثل هذه التوصیة وردت فی الآیة ۳۱ من سورة النور: «وَقُلْ لِلْمُؤْمِناتِ یَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصارِهِنَّ وَیَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ».

وهذا یشیر إلی حقیقة مخالفة لتصوّر الکثیر من الناس، فجمیع أشکال الفتنة وحالات الإرباک فی الأخلاق والمجتمع، لا تنطلق من نظر الرجال إلی النساء، بل إنّ الکثیر منها ناتج عن نظر النساء إلی الرجال ووسوستهنّ وترغیبهنّ، والإمام علیه السلام قدّم هذه التوصیة وأمر بلزوم حجبهنّ لمنع مثل هذه الفتنة.

وبديهى أنّ هذا الأمر السلبى لا يشمل جميع النسوة بل ناظر إلى النسوة الضعيفات الإيمان أو المتحلّلات خلقياً.

وفى التوصية الثالثة يقول: «وَلَيْسَ خُرُوجُهُنَّ بِأَشَدَّ مِنْ إِدْخَالِكَ مَنْ لَايُوثَقُ بِهِ عَلَيْهِنَّ»، فلا ينبغى إدخال الأشخاص غير الموثوقين فى خلقهم والتزامهم الدينى عليهنّ، فذلك أشدّ وأشنع من خروجهنّ إلى الملأ العام.

وفى التوصية الرابعة التى تعتبر تتّمة للتوصية السابقة يقول الإمام عليه السلام: «وَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَلَّا يَعْرِفْنَ غَيْرَكَ فَافْعَلْ».

وهو إشارة إلى هذه الحقيقة، وهى أنّ من الضرورىّ أن يطلبن حاجتهنّ منك فقط لا من غيرك، وحتّى لو أردن شيئاً من الآخرين فذلك يكون عن طريقك وبواسطتك، أى أنّ أىّ ارتباط بين النساء والآخرين ربّما يتبدّل فى كثير الموارد إلى علاقة فاسدة، ولابدّ من قطع مثل هذا الارتباط، فعليك بتحكيم وتوثيق علاقتك بأهلك

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۶۰۳

ونسائك فى جميع الموارد، ومن هذا المنطلق تتمّ الاستجابة من جهة إلى جميع ما يطلبن، ومن جهة أخرى يتمّ قطع الروابط غير السليمة مع الآخرين.

ويستعرض الإمام عليه السلام التوصية الخامسة بقوله: «وَلَا تُمَلِّكِ الْمَرْأَةَ مِنْ أَمْرِهَا مَا جَاوَزَ نَفْسَهَا، فَإِنَّ الْمَرْأَةَ رَيْحَانَةٌ، وَلَيْسَتْ بِقَهْرَمَانَةٍ[۸۶۶]».

وهذا يعنى أنّ النساء وبسبب ما يملكن من الحالات العاطفية واللطائف الروحية لا يستطعن تولى الأمور الصعبة وإدارة القضايا المعقدّة، وعلى ضوء ذلك لابدّ من تحديد دائرة عملهنّ فى المسائل الخاصّة بهنّ لا المسائل المتعلّقة بالآخرين وبخاصّة ما يتّصل بالمناصب الحسّاسة والثقيلة فى المجتمع الإسلامى.

أمّا العلة التى ذكرها الإمام عليه السلام لمثل هذه التوصيات فهى علّة حسّاسة ودقيقة جدّاً تنسجم وتتناغم مع البناء الروحى والجسمى للمرأة، رغم أنّ بعض المتأثّرين بالغرب غير مستعدّين لقبول هذه الحقيقة، ولكنّهم على مستوى العمل يسعون لتجسيد هذه التوصيات فى واقعهم العائلى، حتّى فى الغرب ومع طرح شعار المساواة بين الرجال والنساء لعقود من الزمان فإنّهم على مستوى العمل والممارسة يسلكون سبيلًا آخر، بحيث قلّما تستطيع إمرأة استلام مقاليد الأمور فى المناصب الحسّاسة، ونسبة النسوة اللاتى يحرزن مثل هذه المناصب الحسّاسة إلى النسوة اللاتى لا يستطعن ذلك، ربّما لا تصل حتّى إلى ۵٪.

وخلاصة الكلام أنّ رعاية العدالة بين النساء والرجال ورفع أشكال التميز والإجحاف رغم أنّه يعتبر حقيقة ملموسة، ولكن لا يمكن تنظيم قوانين المجتمع بحيث تتقاطع مع التكوين النفسى والجسمى للمرأة، وإطلاق الشعارات التى تدعو لمثل هذه المساواة، هى مجرّد شعارات برّاقة ومضلّلة ويقصد بها الرياء والتظاهر ولا تتّصل بالحقائق الموضوعية على أرض الواقع النفسىّ للمرأة.

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۶۰۴

وفى التوصية السادسة يقول الإمام عليه السلام: «وَلَا تَعْدُ[۸۶۷] بِكَرَامَتِهَا نَفْسَهَا».

وهذا يعنى أنّها كلّما تتعامل مع الآخرين من موقع الاحترام والإكرام ربّما تتولّد علاقة عاطفية بينهما، هذه الرابطة يمكن أن تكون منشأ للفساد فى المستقبل.

وفى التوصية السابعة التى ترتبط بما سبقها من توصية، يقول الإمام عليه السلام: «وَلَا تُطْمِعْهَا فِى أَنْ تَشْفَعَ لِغَيْرِهَا»، لأنّ مثل هذه الشفاعات ربّما تكون أيضاً منشأ للعلاقة العاطفية، فيكون ضررها وفسادها أكثر من نفسها.

والخلاصة أنّه لابدّ من حفظ احترام المرأة ولكن بحدودها، ولا تتجاوز إلى غيرها، سواءً على مستوى قبول شفاعتها أو بدون ذلك، لأنّ لهذه الأمور آثاراً سلبية على المستوى النفسىّ وتبعث على تشجيعهن لإيجاد العلاقة مع الآخرين.

ويذهب بعض شرّاح نهج‌البلاغة فى تفسير جملة: «وَلَا تَعْدُ بِكَرَامَتِهَا نَفْسَهَا» أنّ المقصود أن لا يحترمها الرجل أكثر من اللازم، بل يقتصر تكريمهنّ بمقدار معيّن، ولكن هذا التفسير لا يتناسب مع سياق هذه الجملة وكلماتها، والظاهر أنّ المراد منها هو ما تقدّم آنفاً.

وفى التوصية الثامنة (والأخيرة فى هذا المقطع من هذه الوصيّة) يقول الإمام عليه السلام:

«وَإِيَّاکَ وَالتَّغَايُرَ[۸۶۸] فِی غَيْرِ مَوْضِعِ غَيْرَةٍ، فَإِنَّ ذَلِکَ يَدْعُو الصَّحِيحَةَ إِلَى السَّقَمِ، وَالْبَرِيئَةَ إِلَى الرِّيَبِ ۸۶۹]».

ممّا لا ـ شـكّ فيه أنّ كلّ إنسان وبخاصّـة النساء، لا يرتكبون مخالفـة حفظاً للسـمعة، والاهتمام بالوجاهـة لـدى الناس، ولكن إذا عاش الأقربـاء والأزواج حالات الغيرة اللامبرّرة وأساؤوا الظنّ بهنّ إلى درجـة الاتّهام فإنّ ذلك من شأنه خرق حجاب العفّة وخلق حالـة من اللامبالاة بالقيم والعرف لديهنّ، فتقول هذه المرأة: الآن وقد فضحنى

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۶۰۵

واتّهمنى زوجى بـدون مبرّر فمـا الـداعى لأن أحفـظ نفسـى واهتمّ بسـمعتى وعفّتى، فلأفعـل ما أشاء فليكن ما يكون، وهـذا الكلام لا يختصّ بالنساء فقط، بل يمتـدّ ليشـمل الأبناء، الشركاء، الخـدم والأصدقاء أيضاً، فكلّ سوء الظنّ غير المبرّر يبعث على تشـجيع الطرف الآخر للتلوّث والسـقوط فى مهاوى الفساد والرذيلـة، وسـبق أن ذكرنا أنّ كلّ شـىء جيّد وحسن إذا كان بصورة الاعتدال حتّى حالات الغيرة والتعصب لحفظ القيم.

تأمّل: مكانة المرأة فى المجتمع

وهنا لابدّ من الإشارة إلى أمرين:

۱. ثمّـة شـعارات كثيرة فى عالمنا المعاصـر بالنسـبة لمقولة المساواة بين الرجل والمرأة، حيث تنعقد مؤتمرات دولية ومعاهدات ولوائح تزداد يومـاً بعـد آخر، والتأكيـد على عـدم وجود أىّ تفـاوت بين الجنسـين، ومن هـذا المنطلق بإمكـان كـلّ من الرجـل والمرأة تحمّل المسؤوليات الإجتماعيـة، سواءً ما يتصل بالقضاء أو قيادة الجيش أو إدارة الحرب، أو الرحلات الفضائيـة، أو الرحلات العلميـة للتحقيق والبحث فى أعماق البحار، والخلاصة أن يتولّى الرجل والمرأة جميع أشكال الإدارة على جميع الصعد والمستويات.

والعجيب هنا، أنّهم عندما تصل النوبة لمرحلة التطبيق والعمل فإنّ الفوارق تبرز بشـكل جلىّ، فالرجال يستلمون الإدارة على المستويات العليا والمتوسـطة إلّافى موارد نادرة ومحدودة جدّاً، فلا يسـمحون للنساء بتولّى هذه المناصب الحسّاسة والورود إلى هذه الميادين، ولا يختلف الحال أيضاً فى البلـدان الاوربيـة والأمريكيـة، فعندما يسألون أنّ هذه الظاهرة تتضـمّن تناقضاً فى القول والعمل، ولماذا يختلف مستوى التطبيق عن تلكم الادّعاءات الرنّانة والشعارات البراقة؟ فلا جواب لديهم.

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۶۰۶

وهـذا التناقض وليد التفاوت بين الحقائق الموجودة على الأرض والشـعارات التى تطلق فى عالمنا المعاصـر وفى المحافل والمؤتمرات، فمن أجل كسب آراء النساء فى الانتخابات السياسية وإسكات اعتراضهنّ يرفعون شعار المساواة ويصرّون عليه بحجّة الدفاع عن حقوق المرأة، ولكنّهـم فى مرحلـة العمـل يجـدون أنفسـهم مرغمين لقبـول هـذه الحقيقـة، وهى أنّ بنيـة النسـاء من حيث المستوى الجسـمى والنفسـى يختلف عن الرجال، فكلّ واحـد من الجنسـين خلق لمسؤوليـة معيّنـة وكلّ واحد منهما إنسان يملك حقوقاً فردية واجتماعية، ولكن أن نقول أنّهما يملكان قابليات وملكات متساوية وقادرون على تولّى جميع المسؤوليات، فهو خطأ كبير.

يقول الفيزيائى والجرّاح الفرنسـى المعروف (الكسـيس كارل) الذى ألّف كتباً معروفة وله شهرة عالمية، يقول فى كتابه «الانسان ذلك المجهول»: إنّ الرجـل والمرأة بحكم قـانون الخلقـة، يختلفـان فى التشـكيلة البنيويـة، وهـذا الاختلاـف والتفـاوت يسرى إلى الوظائف والحقوق ... ولعـدم الالتفات إلى هذه النقطة الأصـلية والمهمّة فإنّ أنصار حقوق المرأة يتصوّرون أنّ كلا الجنسـين بإمكانهما امتلاك مستوى واحـد من حيث التعليم والتربيـة و المشاغـل والمسؤوليات المختلفـة، فالمرأة فى الحقيقـة تختلف عن الرجل من جهات عـدّة، فكـلّ خليـة مـن خلايـا البـدن، وكـذلك الأـجهزة وخاصّـة الشـبكة العصبيـة، تحمـل علاـئم جنس صاحبهـا، ثمّ يضـيف: إنّ القـوانين الفسـيولوجية أيضاً، حالها حال القوانين الفلكيـة وعالم الطبيعـة، ثابتة وغير قابلة للتغيير، ولا يمكن إيجاد التغيير فيها برغبة البشـر، فنحن

مجبورون على قبولها كما هى عليه (لا كما نريد).

ثمّ يختم كلامه بهذه العبارة: ينبغى على النساء أن يتحرّكن باتّجاه مواهبهنّ الطبيعية ويسرن فى طريقهنّ الخاصّ بهنّ بعيداً عن حالات التقليد الأعمى للرجال، ووظيفة المرأة فى سبيل تكامل البشرية أكثر بكثير من الرجال، ولا ينبغى التسامح

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۶۰۷

والتساهل فى هذا الأمر[۸۷۰].

والملفت أنّه فى سنة ۱۹۹۵ اجتمع عشرات الآلاف من أعضاء مؤسّسات الحقوق الرسمية وغير الرسمية فى بكّين عاصمة الصين لتدوين وثيقة على أساس المعاهدات الدولية لمحو جميع أشكال التميز ضدّ النساء، وإمضاء هذه المعاهدة التى تمّ تنظيمها مسبقاً، ولكن بعض مواد هذه اللائحة كانت من البطلان والزيف لدرجة أنّ الكثير من المنظّمات والمجامع فى العالم اعترضت عليها، وبعض المشتركين فى ذلك المؤتمر تركوا الجلسة، ومنهم السيدة شارون هير النائبة فى برلمان كندا ورئيسة الهيئة الكندية المشاركة فى ذلك المؤتمر، حيث قامت من مكانها وتوجّهت بالخطاب إلى الصحفيين وقالت: «إنّ التساوى المقصود فى وثيقة بكّين لا ـ يأتى بالتساوى الحقيقى للنساء، وأنا أعود لبلدى بأوّل طائرة وأسعى لحفظ الفوارق بين الرجل والمرأة (وبتبعها المسؤوليات المختلفة)، فهذا التفاوت موجود فى أصل الخلقة، وهذه الفوارق هى التى ستحفظنا»[۸۷۱].

وتفصيل هذه المسألة خارج عن عهدة هذا البحث المختصر، ويكفى القول إجمالًا بأنّ هذه الشعارات البرّاقة ليس أنها لاتحلّ مشكلة لنساء العالم، فحسب بل تترتّب عليها آثار مخرّبة أيضاً[۸۷۲].

وعلى ضوء ذلك ينبغى القبول بالحقائق المتعلّقة بكلا الجنسين بعيداً عن الشعارات الخاوية وتخطيط المناهج والبرامج على أساسها ووضع كلّ واحد من الجنسين فى موقعه الاجتماعى اللائق به بدون أن نقبل بأىّ ظلم وتحقير للنساء.

۲. ما ورد فى كلمات الإمام علىّ عليه السلام فى هذه الوصية وفى بعض خطبه والكلمات القصار كان مورد بحث ونقاش من جهة بعض الكتّاب والمفكّرين، فهل

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۶۰۸

أنّ مفهوم هذه العبارات فى رسائل الإمام عليه السلام وخطبه يعكس موقفاً سلبياً من المرأة؟

وعندما نبحث فى جذور هذه الخطب والرسائل ونقارن بينها وبين الحوداث التاريخية فى ذلك الوقت، فسوف يتبيّن أنّ كلّ هذه التعبيرات غير ناظرة لجميع النسوة، بل إشارة لفئة خاصّة من النسوة ممّن كانت مصدر مفاسد اجتماعية وعائلية، وبخاصّة مع الالتفات إلى أنّ بعض كلمات الإمام علىّ عليه السلام فى هذا الشأن صدرت بعد واقعة الجمل، ونعلم أنّ حرب الجمل، وهى الحرب التى راح ضحيتها وفقاً لرواية، سبعة عشر ألف مسلم، قد أشعل فتيلها إمرأة أو أنّها اشتركت وساهمت فى إشعالها.

وعلى ضوء ذلك، فنظر الإمام عليه السلام فى هذه المقولات يتّجه لمثل هؤلاء النسوة، وبكلمة أخرى أنّ خطاب الإمام عليه السلام فى هذه الموارد ليس موجبة كليّة بل موجبة جزئية.

والشاهد على هذا الكلام رؤية القرآن فى ما يخصّ النساء، وعلى سبيل المثال نشير إلى قوله تعالى: «وَمِنْ آياتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْواجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْها وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ»[۸۷۳].

فلو كانت النسوة جميعهنّ ناقصات العقول، فكيف تتحقّق هذه السكينة والمودّة والرحمة بين الزوجين؟

وفى آية أخرى يقول تعالى: «هُنَّ لِباسٌ لَّكُمْ وَأَنْتُمْ لِباسٌ لَّهُن»[۸۷۴].

فلو كانت النساء يملكن صفات سلبية فقط فكيف، يعبّر القرآن على أنّهنّ زينة لأزواجهنّ والعامل فى حفظ هؤلاء الأزواج؟

وفى آية آخرى نقرأ: «مَنْ عَمِلَ صالِحاً مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَياةً

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۶۰۹

طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ ما كانُوا يَعْمَلُونَ»[۸۷۵].

وفى الآيـة ۳۵ من سورة الأحزاب يستعرض القرآن الكريم عشر فئات من المؤمنين الصالحين والنساء الصالحات ويعدهم فى نهاية المطاف بأجر عظيم: «إِنَّ الْمُسْلِمينَ وَالْمُسْلِماتِ وَالْمُؤْمِنينَ وَالْمُؤْمِناتِ وَالْقانِتينَ وَالْقانِتاتِ وَالصَّادِقينَ وَالصَّادِقاتِ وَالصَّابِرينَ وَالصَّابِراتِ وَالْخاشِعينَ وَالْخاشِعاتِ وَالْمُتَصَدِّقينَ وَالْمُتَصَدِّقاتِ وَالصَّائِمينَ وَالصَّائِماتِ وَالْحافِظينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحافِظاتِ وَالذَّاكِرينَ اللَّهَ كَثيراً وَالذَّاكِراتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظيماً».

وثمّة بحوث كثيرة فى هذا المجال لا يسع المقام استعراضها لأنّها خارجة عن موضوعنا، ولكنّنا لحسن الختام نعود لكلام الإمام علىّ عليه السلام فى هذا المقطع من الوصيّة حيث قال: «إنّ الْمَرْأَةَ رِيْحانَةٌ وَلَيْسَتْ بِقَهْرِمانَةٌ». ونعلم أنّ الورد والرياحين تملك فى حدّ ذاتها مزايا كثيرة، فهى عنصر لخلق السكينة والراحة النفسية، وكذلك تعتبر زينة، ولها فوائد كثيرة أخرى، ولكن فى ذات الوقت فهى كائن لطيف ورقيق بحيث إذا تركت بدون رعاية كافية فسوف يصيبها الذبول والجفاف، فالحقيقة أنّ هذه الجملة إشارة إلى أنّ المشاعر والعواطف للنساء هى الغالبة، فى حين أنّ العقل للرجال غالب على العواطف والأحاسيس، وبديهى أنّ هذين الجنسين بهذه الخصوصيات إذا اجتمعا وعملا سوياً فإنّ ذلك من شأنه تقوية نظام الاسرة وتعميق وشائج العلاقة بين أفراد المجتمع.

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۶۱۱

القسم التاسع والعشرون

اشارة

وَاجْعَلْ لِكُلِّ إِنْسَانٍ مِنْ خَدَمِكَ عَمَلًا تَأْخُذُهُ بِهِ، فَإِنَّهُ أَحْرَى أَلَّا يَتَوَاكَلُوا فِى خِدْمَتِكَ وَأَكْرِمْ عَشِيرَتَكَ، فَإِنَّهُمْ جَنَاحُكَ الَّذِى بِهِ تَطِيرُ، وَأَصْلُكَ الَّذِى إِلَيْهِ تَصِيرُ، وَيَدُكَ الَّتِى بِهَا تَصُولُ.

الشرح والتفسير: تقسيم المسؤوليات

فى هذا المقطع من الوصية يؤكّد الإمام على توصيتين مهمّتين فى مجال الإدارة والتعاون، وفى الحقيقة أنّ هذه التوصية لا تتعلّق بولده البارّ، بل بجميع أفراد البشر بوصفه والداً شفيقاً لجميع الناس.

بدايةً يقول الإمام عليه السلام: «وَاجْعَلْ لِكُلِّ إِنْسَانٍ مِنْ خَدَمِكَ عَمَلًا تَأْخُذُهُ بِهِ، فَإِنَّهُ أَحْرَى أَلَّا يَتَوَاكَلُوا[۸۷۶] فِى خِدْمَتِكَ».

إنّ تقسيم العمل يعدّ من أهم أصول ومبادىء الإدارة الناجحة، لأنّه بدون ذلك فإنّ العمّال والموظفين يتواكلون غالباً ويتوقّعون من الآخرين أن يقوموا بالمسؤوليات الملقاة على عاتقهم، وعندما يتأخّر العمل ويتباطأ الإنتاج فإنّ كلّ فرد منهم يستطيع تبرير عمله فى مقابل مؤاخذة ربّ العمل بأنّه كان يظن أنّ هذا العمل من مسؤولية آخرين، وإذا سئل الآخرون عن ذلك فإنّهم يجيبون بنفس الجواب، ولكن عندما يتمّ تقسيم العمل والمسؤوليات، فإنّ كلّ شخص يعلم أنّه مسؤول عن

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۶۱۲

عمله الخاصّ ويبذل جهده للقيام به بأفضل وجه، وهذه التوصية تدلّ على أنّ الإمام عليه السلام ملتفت تماماً لمبادىء الإدارة، ژويوصى بها ولده.

وفى عصر النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله كانت هذه المسألة على رأس الأولويات، سواء فى الحرب أو فى غيرها، فيتمّ انتخاب رجل لقيادة ميمنة الجيش وآخر لقيادة الميسرة وثالث يكون مقرّه فى قلب الجيش، وهو الذى يعيّن المسؤوليات ويصدر الأوامر، وهكذا بالنسبة لجمع الزكاة، فثمّة عمّال مأمورون بهذه المهمّة، وكذلك لكسب المعلومات عن وضع العدو حيث يتمّ إختيار أفراد خاصّين

لهـذا الغرض، وهكـذا فى سـائر أمور إدارة البلـد الإسـلامى فى جميع أبعاده السياسـية والاجتماعيـة والثقافيـة وما إلى ذلك، حيث يتمّ اختيار أفراد واعين وملتزمين يقومون بهذه المهام.

وفى التوصـية الثانية يقول الإمام عليه السـلام: «وَأَكْرِمْ عَشِيرَتَكَ، فَإِنَّهُمْ جَنَاحُكَ الَّذِى بِهِ تَطِيرُ، وَأَصْلُكَ الَّذِى إِلَيْهِ تَصِيرُ، وَيَدُكَ الَّتِى بِهَا تَصُولُ [۸۷۷]».

ونرى أنّ الإمـام عليه السـلام فى هـذه العبارة يشـبّه الأقرباء والأرحام بثلاثـة أشـياء كلّ واحـدٍ منها ناظر إلى زاويـة خاصّـة، فثمّـة تشبيه بالجناح وتشبيه بالأصل وثالث باليد.

والتشبيه الأول يشير إلى التقـدّم والإزدهار والرقىّ فى ظلّ التكاتف والتعاون بين أفراد العشـيرة، والتشبيه الثانى يشـير إلى عدم الشـعور بالوحدة فى مقابل التحدّيات المفروضة، والتشبيه الثالث يشير إلى مواجهة الأعداء والتصدّى لهم بمساعدة أفراد العشيرة والأقرباء.

وفى الحقيقـة أنّه كمـا أنّ المجتمع الكبير فى ظلّ التكاتف والتعاون بين أفراده يصل إلى مراتب متقدّمـة من التطور والرقى والإزدهار، فكـذلك المجتمـع الصـغير المتكوّن من العشـيرة والأقربـاء الموجودين فى قلب المجتمع الكـبير، فـإنّه بالتعـاون والتكـاتف بين أفراده، يعيش المجتمع التآخى والنجاح والتغلّب على الصـعاب، وحتى القبائل فى الجاهليـة أيضاً أدركـت هـذه الحقيقة، ولذلك كانت العلاقة القبلية

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۶۱۳

واعتماد الفرد على قبيلته يساهم بشكل أساس فى التغلّب على المشاكل والأزمات التى تواجه العرب فى عصر الجاهلية، وطبعاً مع فارق أنّ العرب فى عصـر الجاهلية كانوا يدافعون عن القبيلة، والقبيلة تدافع عن أفرادها بدون النظر إلى مسألة الحقّ والباطل، والعدل والظلم، أى بـدون قيـد أو شـرط، ولكن فى الإسـلام أضـحى هـذا الدفاع المتقابل بين الفرد وقبيلته محدوداً بحدود الحقّ والعدالة، فالدفاع عن الباطل أضحى مرفوضاً حتّى فى مقابل الأخ والام والأخت وأمثالهم.

وفى القسم الرابع من الخطبة ۳۲ وفى الجزء الثانى من هذا الكتاب ثمّة بحث متعمّق فى هذا المجال.

ويورد ابن أبىالحديـد بعض النماذج من دفاع القبيلـة عن أفرادها المظلومين ويبيّن أنّ هـذه الحماية كانت مؤثّرة كثيراً، ومن ذلك أنّ الفرزدق كان لا ينشـد بين يـدى الخلفاء والامراء إلّاقاعـداً، فـدخل على سـليمان بن عبـدالملك يوماً، فأنشده فخراً به وبآبائه، وقال من جملته:

تاللَّهِ ما حمَلتْ مِن ناقةٍ رَجُلًامِثلى إذا ريح لفّتنى على الكورى

فقـال سـليمان: هـذا المـدح لى أم لك؟ قال: لى ولك ياأميرالمؤمنين. فغضب سـليمان وقال: قم فأكمل ولا تنشـد بعـده إلّاقائماً، فقال الفرزدق: لاـ واللَّه أو يسـقط على الأـرض أكثرى شـعراً، فقال سـليمان: ويلى على الأحمق ابن الفاعلـة، لا يكنّى، وارتفع صوته، فسـمع ضوضاء بالباب، فقال سـليمان: ما هـذا؟ قيل: بنو تميم على الباب، قالوا: لاينشـد الفرزدق قائماً وأيدينا فى مقابض سـيوفنا، قال: فلينشـد قاعداً[۸۷۸].

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۶۱۵

القسم الثلاثون (القسم الأخير)

اشارة

اسْتَوْدِعِ اللَّهَ دِينَكَ وَدُنْيَاكَ، وَاسْأَلْهُ خَيْرَ الْقَضَاءِ لَكَ فِى الْعَاجِلَةِ وَالْآجِلَةِ، وَالدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَالسَّلَامُ.

الشرح والتفسير: ضع كلّ وديعة عند اللَّه

وأخيراً يتحدّث الإمام عليه السلام فى آخر هذه الوصية وأقصرها مخاطباً ولده ويذكر توصيتين تجمعان كلّ شى فى ثناياهما.

يقول الإمام عليه السلام بدايةً: «اسْتَوْدِعِ ۸۷۹] اللَّهَ دِينَکَ وَدُنْيَاکَ».

ثمّ يضيف: «وَاسْأَلْهُ خَيْرَ الْقَضَاءِ لَکَ فِى الْعَاجِلَةِ وَالْآجِلَةِ، وَالدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَالسَّلَامُ».

وبديهىّ أنّه لا أحد أفضل وأحسن من اللَّه تعالى لحفظ دين الإنسان ودنياه، ولا أحد أحسن منه فى تأمين أفضل المقدّرات والعطايا لدنيا الإنسان وآخرته، فالذات المقدّسة مصدر جميع الخيرات ومنبع كافّة البركات، وكلّ ما يملكه المخلوقون فهو صادر منه، كما نقرأ فى القرآن الكريم: «بِيَدِکَ الْخَيْرُ إِنَّکَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ»[۸۸۰].

ولا شکّ أنّ الإنسان يواجه فى دنياه ودينه الكثير من الآفات والمزالق والمآزق،

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۶۱۶

وطبعاً فإنّ الآفات التى تمسّ الدين أكثر، وهذه الآفات إلى درجة من الكثرة والتنوّع بحيث أنّ التغلّب عليها لا- يتيسّر للإنسان إلّابالاستعانة بالذات المقدّسة واللجوء إلى صاحب القدرة المطلقة

قال الشاعر:

تَوكَّل عَلَى الرّحمنِ فِى الأمرِ كُلِّهُفَما خَابَ حَقّاً مَنْ عَلَيهِ تَوكّلا

وَكُنْ وَاثِقاً بِاللَّهِ وَاصبِرْ لِحُكمِهِتَفُزْ بِالّذى تَرجُوهُ مِنْهُ تَفَضُّلا[۸۸۱]

***

نكتب هذه الكلمات الأخيرة من الجزء التاسع ونحن على أعتاب إطلالة عيد الغدير الأغرّ من سنة ۱۴۲۸ ه ق، وختاماً نترنم بهذا الدعاء الرائع ونقول:

«الْحَمْدُللَّهِ الَّذى جَعَلَنا مِنَ الْمُتَمَسِّكِينَ بِولايَةِ مَوْلانا أميرالْمُؤْمِنِينَ وَالْأَئِمَّةِ الْمَعْصُومينَ عليهم السلام».

نهاية الجزء التاسع

---

[۱] (۱). سند الرسالة:

طبقاً لنقل ابن أبى‌الحديد وما ورد فى الروايات أنّ الإمام علىّ عليه السلام عندما تحرك من المدينة باتجاه البصرة وصل فى مسيره إلى منطقة الربذة، وهناک أرسل محمد بن جعفر بن أبى طالب و(امّه أسماء بنت عميس) مع محمد بن أبى بكر بهذه الرسالة إلى أهل الكوفة، وقد وردت بعض الاضافات فى ذيل هذه الرسالة وفقاً لنقل ابن أبى‌الحديد حيث يشير إلى وجود مصدر آخر لهذه الرسالة.

وأورد(ابن قتيبة) فى كتاب« الإمامة والسياسة» هذه الرسالة مع بعض الإضافات، ونقلها الشيخ المفيد فى كتاب،« الجمل» الذى تمّ تأليفه قبل السيد الرضى، ولكنه قال: إنّ الإمام علىّ عليه السلام أرسل هذه الرسالة بواسطة الإمام الحسن عليه السلام وعمّار بن ياسر إلى أهالى الكوفة.

وذكرها المرحوم الشيخ الطوسى أيضاً فى الأمالى مع بعض التفاوت، ومن الواضح أنّ السيد الرضى لم ينقل جميع ما ورد فى الرسالة، بل اقتطف منها ما ذكره فى كتابه(انظر: مصادر نهج‌البلاغة، ج ۳، ص ۱۹۴).

[۲] (۱).« الجبهـة» فى الأصل بمعنى أعلى الوجه، وما بين الجبينين، وبما أنّ هـذا المكان يعـدّ من الأعضاء الشـريفة والبارزة فى البدن فتطلق هذه الكلمة على الجماعة القوية الذين يتحركون لجلب الخير أو دفع الشر، وكذلك تطلق على رئيس الجمعية.

[۳] (۱).« استعتاب» من مادة« عتبى» بمعنى اللوم والتوبيخ، وبهذا المفهوم نعاتب الطرف الآخر حتى يرضـى، ثماستعمل بمعنى طلب الرضا.

[۴] (۲).« وجيف» من مـادة« وجف» على وزن« وقف» تعنى الاضـطراب والاـهتزاز، وبمـا أنّ الإنسـان بمسيره السـريعيواجه حالـة من الاهتزاز والاضطراب فى حركته، استعملت هذه المفردة بمعنى السرعة أيضاً.

[۵] (۳).« حِداء» وكذلك« حُداء» على وزن« دعاء» بمعنى اطلاق الصوت فى مسير القافلة لتسريع حركة الابل ثم اطلقت على كلّ ما يبعث على التحرك لأداء عمل معين.

« عنيف» من مادة« عنف» وتعنى الغلظة والشدّة فى الاسلوب والعمل.

[۶] (۱).« فلتة» تعنى صدور العمل بشـكلّ عفوى وبدون تدبير مسبق، و« فلتات اللسان» الكلام الذى يصدر من الإنسان من موقع الغفلة والعفوية بدون تأمل.

[۷] (۲).« اتيـح» من مادة« تيح» على وزن« شـىء» بمعنى الاسـتعداد لأداء عمل معين، وجملة« فاتيح له قوم» تعنى أنّ جماعة من الناس استعدوا لقتل عثمان.

[۸] (۳). وفى هذه الصورة يكون ضـمير« اسْتِعْتابَه» ضـمير للفاعل ومفعوله محذوف، يعنى« اسْتِعْتابَهُ مِنَ الناسِ» فىحين على التفسير الأول يكون الضمير مفعولًا ويتناسب أكثر مع الجملة اللاحقة.

[۹] (۴). بحار الأنوار، ج ۳۱، ص ۱۹۴.

[۱۰] (۱). إنّ قصـة قتل عثمان ومعركة الجمل وأبعادها وعواملها وتداعياتها تعتبر قصة ذات تفاصـيل وفروع كثيرة ومطولة، وقد سـبق أن استعرضـنا فى الأجزاء السابقـة لهـذه المجموعـة بعض الأبعاد المهمّـة لهذه الواقعة التاريخية، وهنا نذكر قائمة للقراء الأعزاء لمصادر هذه الواقعة فى هذا الكتاب يتسنى لهم مراجعتها والإحاطة بكافّة أبعاد وخفايا هذه الواقعة:

أ) عوامل ثورة المسلمين ضد عثمان، ج ۱، ص ۳۷۱ إلى ۳۷۶.

ب) حوادث معركة الجمل، ج ۱، ص ۳۸۹ إلى ۳۹۱.

ج) قتل عثمان وعدم مشاركة الإمام علىّ عليه السلام ودور طلحة والزبير فى تحريك الجمهور، ج ۲، ص ۳۰.

د) تحليل آخر حول قضية مقتل عثمان، ج ۲، ص ۲۳۲ تا ۲۴۱.

ه) دور طلحة والزبير فى معركة الجمل، ج ۲، ص ۲۵۱.

و) الأعمال التى قام بها عثمان وأدت إلى سخط الناس عليه، ج ۲، ص ۴۸۸.

ز) بحث آخر حول دور طلحة وتحريك الناس على قتل عثمان، ج ۶، ص ۵۲۷.

[۱۱] (۱). شرح نهجالبلاغة لابن أبىالحديد، ج ۱۴، ص ۸- ۲۱.

[۱۲] (۲). الإصابة، ج ۱، ص ۱۷.

[۱۳] (۱). سورة البقرة، الآية ۱۳۴.

[۱۴] (۱). ورد فى تنزيه الصحابة توضيحات أخرى فى ذيل الخطبة الثالثة، ج ۱، ص ۳۷۶ وما بعدها وفى ج ۴، ص ۳۲۰ وذيل الخطبة ۹۷، و ج ۵، ص ۵۱۸ وذيل الخطبة ۱۳۵، وكذلك ورد فى كتاب« الشيعة تجيب»، بحث مفصل ووافى حول هذا الموضوع.

[۱۵] (۱).« جاشَتْ» من مادة« جيش» على وزن« حيف» بمعنى الغليان والهيجان.

[۱۶] (۲).« مِرْجَل» بمعنى القِـدر سواء كان مصـنوعاً من الفخار أو من النحاس وما إلى ذلك، ولـذلك عندما يسـيطر الغضب والحدّة

على الإنسان يقال:« جاشت مراجله».

[۱۷] (۳).« قطب» فى الأصل بمعنى الحديدة التى توضع فى وسط حجر الطاحونة كمحور لدوران الحجر العلوى حوله، ثم اطلق على كلّ أمر يكون له دور محورى فى قضية معينة.

[۱۸] (۱). تاريخ الطبرى، ج ۳، ص ۵۱۳.

[۱۹] (۱). شرح نهج‌البلاغة لابن أبى‌الحديد، ج ۱۴، ص ۲۴.

[۲۰] (۲). المصدر السابق، ج ۱۷، ص ۲۴.

[۲۱] (۱). سند الرسالة:

إنّ ما أورده السيّد الرّضى فى هذه المقام يمثّل مقطعاً من رسالة مطّولة نسبياً أرسلها الإمام عليه السلام بعد فتح البصرة إلى أهالى الكوفة:« مِنْ عَبدِ اللَّهِ على بن أبى طالبِ إلى قُرظَةَ بن كَعبٍ(أحد صحابة النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله المشهورين الذى ارسل إلى الكوفة) وَمَنْ قِبله مَنَ المُسلِمِينَ سَلام عَليكُم فإنّى أُحمد إليكمُ اللَّهَ الذى لا إله إلّاهُو ...».

وقد كتب هذه الرسالة كاتب الإمام عليه السلام عبيداللّه بن رافع فى سنة ۳۶ من الهجرة، وقد أوردها الشيخ المفيد فى كتابه« النصرة» من كتاب« الجمل» للواقدى(مصادر نهج‌البلاغة، ج ۳، ص ۱۹۵).

وقد جاء فى كتاب نهج‌البلاغة الكامل، ص ۷۸۸، أنّ الإمام عليه السلام أرسل هذه الرسالة بعد فتح البصرة مع« زحر بن قيس الجعفى» إلى أهالى الكوفة ومطلع الرسالة:« مِنْ عَبدِ اللَّهِ على بن أبى‌طالبِ أمِيرالمُؤمِنين إلى أهل الكوفة».

[۲۲] (۱). نهج‌البلاغة، الخطبة ۱۳ و ۱۴.

[۲۳] (۱). بحارالانوار، ج ۳۵، ص ۲۵۲، ح ۱۹۸.

[۲۴] (۱). سند الرسالة:

لقد نقل المرحوم الصدوق فى« الأمالى»(قبل نهج‌البلاغة) قصّة هذه الرسالة، ولا تختلف عمّا ورد فى« نهج‌البلاغة» إلّابتفاوت يسير، والأشخاص الذين أوردوا هذه الرسالة بعد السيّد الرضىّ نقلوها مع بعض الاختلاف ممّا يشير إلى وجود مصادر أخرى لهذه الرسالة قبل« نهج‌البلاغة» للسيّد الرضىّ ومن ذلك ما أورده سبط ابن الجوزى فى« تذكرة الخواص»، وكذلك القاضى القضاعى فى« دستور معالم الحكم» والشيخ البهائى فى كتاب« الأربعين»(مصادر نهج‌البلاغة، ج ۳، ص ۱۹۹).

[۲۵] (۱). ورد فى بعض النسخ« مِنْ غَيْرِ مالِكِها» وهو إشارة إلى عملية الغصب، ولكن مع الالتفات إلى جملة« مِنْ غَيْرِحَلالِكَ» يبدو أنّ الكاف فى« غَيْرِ مالِك» للخطاب.

[۲۶] (۱). نهج‌البلاغة، الكلمات القصار، ۲۴۰.

[۲۷] (۲). سورة البقرة، الآية ۲۶.

[۲۸] (۱).« ازعج» من« إزعاج» يعنى دفعه ورفعه لتحريكه.

[۲۹] (۲).« خطّة» فى الأصل بمعنى الأرض التى يختارها الإنسان ويضع لها علامات وحدوداً للدلالة على حيازتها، وهى فى الأصل من مادة« خطّ»، ثم استخدمت بمعنى المنطقة والناحية، وجاءت فى الجملة أعلاه بهذا المعنى الأخير.

[۳۰] (۳).« داوعى» جمع« داعية» بمعنى السبب والعلّة.

[۳۱] (۴).« المغوى» اسم فاعل من« الإغواء» بمعنى المضِلّ.

[۳۲] (۵).« يشرع» من مادة« شرع» وتستخدم فى هذه الموارد بمعنى الانفتاح.

[۳۳] (۱). نهج‌البلاغة، الخطبة ۲۲۶.

[۳۴] (۱).« ضراعة» تعنى الذلّة(ولها معنى مصدرى وكذلك اسم المصدر)؛ وهذه المفردة تعنى أيضاً التواضع.

[۳۵] (۱).« إشخاص» بمعنى إحضار، إرسال وسوق، وفى العبارة أعلاه الأنسب هو المعنى الأول.

[۳۶] (۱). سورة غافر، الآية ۷۸.

[۳۷] (۲). من جملة القرائن المؤيدة لهذا الرأى وجود قرينتين:

أ) ورد فى الرسالة أعلاه فى كتاب دستور معالم الحكم لابن سلامة، ص ۱۳۷ أنّها تنتهى إلى« وتبع وحمير» بدون جملة« إشخاصهم ...» فى حين أنّ الرسالة متواصلة.

ب) ورد فى كتاب حلية الأولياء، ج ۸، ص ۱۰۲ جملة« إشخاصهم» بهذه الصورة:(وأشخصهم ...) والذى يشير إلى أنّها جملة منفصلة عن الجملة السابقة.

[۳۸] (۳). سورة آل عمران، الآية ۱۸۵.

[۳۹] (۱). وسائل‌الشيعة، ج ۱۸، ص ۶، ح ۱، الباب ۳ من أبواب صفات القاضى.

[۴۰] (۲). الكافى، ج ۷، ص ۳۸۵، ح ۵.

[۴۱] (۱). منهاج البراعة فى شرح نهج‌البلاغة، ج ۱۷، ص ۱۵۸؛ سفينة البحار، مادة شرح.

[۴۲] (۲). تاريخ الطبرى، ج ۴، ص ۲۷۴ فى باب حوادث سنة ۶۰ ه.

[۴۳] (۱). انظر: الاصابة فى معرفة الصحابة، ج ۲، ص ۷۰، ترجمة حال الحسين بن على عليه السلام.

[۴۴] (۲). يستفاد من التواريخ أنّ شريحاً عاد بنفسه فى زمان الحجاج، ولكنّه استقال من منصبه بعد ذلك ووافق الحجاج على استقالته. ولمزيد من التوضيح راجع: الاستيعاب، ص ۵۹۰ و شرح نهج‌البلاغة لابن أبى‌الحديد، ص ۲۸ و ۲۹.

[۴۵] (۱). سند الرسالة:

هذه الرسالة التى أوردها الشريف الرضى تمثّل مقطعاً من الرسالة التى أرسلها الإمام عليه السلام لبعض امراء جيشه وقد ذكرها سبط ابن الجوزى فى كتاب تذكرة الخواص بشكل موسع ومختلف، ومن الواضح تماماً أنّه اقتبسها من مصدر آخر غير نهج‌البلاغة، ولكن ابن الجوزى فى أول الباب السادس من كتابه يقول: كل كلام أنقله عن على ابن أبى‌طالب فى هذا الكتاب نقلًا باسنادى المتصل إلى الإمام عليه السلام نفسه.(مصادر نهج‌البلاغة، ج ۳، ص ۲۰۱).

[۴۶] (۱). الجمل، ص ۱۲۲.

[۴۷] (۲).« توافت» من مادة« وفا» وتعنى المصافحة والاجتماع والتلاقى، والمراد من الجملة أعلاه أنّه إذا اجتمعت‌الحوادث وتظافرت فيما بينها واستمر المخالفون على تمردهم.

[۴۸] (۱).« انهد» صيغة أمر من« النهود» بمعنى الظهور والارتفاع والقيام بأداء عمل معين.

[۴۹] (۲).« تقاعس» من مادة« قعس» على وزن« فحص» وبمعنى التماهل والتواكل وإلقاء المسؤولية على الآخرين والتراجع عن القيام بالوظيفة والتكليف أو الحرب.

[۵۰] (۳).« المتكاره» تعنى الشخص الذى يكره القيام بعمل معين ويعيش حالة السخط وعدم الرضا منه، وهى من مادة« كره».

[۵۱] (۴).« مغيبة»:« مغيب» و« مشهد» مصدر ميمى بمعنى الغيبة والحضور.

[۵۲] (۵). سورة التوبة، الآية ۴۷.

[۵۳] (۱). نهج‌البلاغة، الخطبة ۱۷۲.

[۵۴] (۲). ولمزيد من التوضيح انظر: تاريخ الطبرى، ج، ۳ فى باب حوادث سنة ۳۶ و شرح نهج‌البلاغة لابن أبى‌الحديد، ج ۹، ص ۳۰۵ إلى ۳۲۳.

[۵۵] (۱). سورة التوبة، الآية ۴۷.

[۵۶] (۲). سورة التوبة، الآية ۴۸.

[۵۷] (۳). سورة البقرة، الآية ۲۴۹.

[۵۸] (۱). سند الرسالة:

من جملة الأشخاص الذين أوردوا هذه الرسالة: نصر بن مزاحم فى كتاب صفين، نقل هذه الرسالة من مطلع كلام الإمام عليه السلام، ومع الأخذ بالحسبان أنّ نصر بن مزاحم كان يعيش قبل السيّد الرضىّ بقرنين من الزمان تقريباً، مضافاً إلى أنّه ذكر هذه الرسالة بشكل كامل، فيتبيّن من ذلك أنّه نقلها من مصادر أخرى.

ونقلها أيضاً« ابن عبد ربّه» مع بعض الإضافات وابن قتيبة فى كتابه الإمامة والسياسة باختصار يسير بالنسبة لما أورده نصر بن مزاحم.(مصادر نهج‌البلاغة، ج ۳، ص ۲۰۲).

[۵۹] (۱). نهج‌البلاغة الكامل، ص ۸۰۳؛ وقعة صفين، ص ۲۰.

[۶۰] (۲).« طعمة» تعنى الشىء المطعوم والمأكول، ولكن تأتى على سبيل الكناية، مثلًا يقال عن الشخص الفلانىخبيث الطعمة، يعنى أنّ كسبه وعمله غير مشروع، وفى الرسالة أعلاه وردت بمعنى ما يعتاش به الإنسان.

[۶۱] (۳). سورة النساء، الآية ۵۸.

[۶۲] (۴). انظر: تفسير نور الثقلين، ذيل الآية المذكورة؛ والكافى، ج ۱، ص ۲۷۶ باب أنّ الإمام يعرف الإمام الذى يكون من بعده.

[۶۳] (۱).« تفتات» فى الأصل من مادة« فوت»، التى تأتى أحياناً بمعنى فقد الشىء وأخرى بمعنى السبق، وطبقاً للمعنى الثانى عندما تأتى من باب افتعال تعنى الاستبداد والتزمت بالرأى، وكأنّه يسبق الآخرين فى اختيار مقصوده، ويحتمل أيضاً أنّ هذه المفردة من مادة« فأت»(بالهمزة)، وتأتى أيضاً بمعنى التفرد والاستبداد.

[۶۴] (۲).« رعية» صفة مشبهة بمعنى المراعاة، من مادة« رعى» وهى فى الأصل تعنى رعى الأغنام والذى يقترن عادة بالمراعاة والمحافظة عليها، وهذا التعبير يشير إلى أنّ الدولة فى الحكومة الإسلاميّة مكلّفة بخدمة الناس والمحافظة عليهم ومراعاة حقوقهم، وقد ورد فى الحديث النبوى المعروف:« كُلُّكُمْ راعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْـئُولٌ عَنْ رَعَيَّتِهِ» وهو إشارة إلى هذا المعنى، أى أنّ جميع الناس يجب أن يرعى أحدهم الآخر ويتعامل معه من موقع المسؤولية ومراعاة الحقوق والواجبات، والحديث المذكور ورد فى بحار الأنوار و جامع الأخبار وفى كتب أهل السنّة صحيح البخارى و مسند أحمد ومصادر أخرى).

[۶۵] (۱). سورة النور، الآية ۳۳.

[۶۶] (۲). شرح نهج‌البلاغة العلّامة التسترى، ج ۸، ص ۷.

[۶۷] (۱). انظر: الكافى، ج ۸، ص ۱۶۷، ح ۱۸۷.

[۶۸] (۲). بحارالانوار، ج ۲۹، ص ۴۲۰ ولمزيد التوضيح فى ترجمة الأشعث راجع الجزء الأول من هذا الكتاب، ذيل الخطبة ۱۹.

[۶۹] (۱). انظر إلى كتاب تاريخ اليعقوبى، ج ۲، ص ۲۳۳ و تاريخ الطبرى فى حوادث سنة ۲۲ و كذلك معجم البلدان الحموى، ج ۱، ص ۱۲۸ وفتوح البلدان للبلاذرى، ج ۲، ص ۴۰۰.

[۷۰] (۱). سند الرسالة: تمثّل هذه الرسالة مقطعاً من رسالة مطولّة أرسلها الإمام عليه السلام لمعاوية وبعثها مع« جرير بن عبداللَّه البجلى» وفى جملة الأشخاص الذين نقلوا هذه الرسالة قبل السيّد الرضى، نصر بن مزاحم فى كتاب صفين، ابن قتيبة فى الإمامة والسياسة، وابن عبد ربه فى العقد الفريد. مضافاً أنّ الطبرى فى تاريخه ينقل هذه الرسالة ويذكر قصّة مفصّلة عنها فى الجزء الثالث من تاريخه فى حوادث سنة ۳۶. وابن عساكر فى تاريخ مدينة دمشق فى شرح حال معاوية(مصادر نهج‌البلاغة، ج ۳، ص ۲۰۹).

[۷۱] (۱).« تتجنى» فى الأصل من ال« جناية»، وإذا كانت من باب تفعّل فإنّها تعنى أنّ شخصاً يريد أن يلقى بالجريمةعلى الآخر فى حين أنّ ذلك الشخص لم يرتكبها وهذا هو معنى التهمة.

[۷۲] (۲).« تجنّ» هـذه المفردة فعـل أمر من« تجنّى» كما سبق ذكره ومفهوم الجملـة أنّك يا معاويـة تعلم بأنّ انتساب قتل عثمان إلىّ مجرّد تهمة فإذا كان الأمر كذلك فقل ما شئت وتحدّث بما بدا لك.

[۷۳] (۱). ولمزيد من هذه الأدلة القرآنية والروائية والعقلية راجع نفحات القرآن، ج ۹.

[۷۴] (۱). سورة الأنعام، الآيتان ۷۷ و ۷۸.

[۷۵] (۱). شرح نهج‌البلاغة لابن أبي‌الحديد، ج ۱۴، ص ۳۶ و ۳۷.

[۷۶] (۱). سـند الرسالة: من جملة الأشخاص الذين نقلوا هذه الرسالة قبل السيّد الرضيّ ابن أعثم الكوفي في كتاب الفتوح والمبرد في الكامـل ونصـر بن مزاحم في كتاب صـفين، هؤلاء نقلوا الرسالـة مورد البحث بتفاوت يسـير، وهـذه الرسالـة في الحقيقـة رسالـة جوابية أرسـلها الإمام عليه السـلام إلى معاويـة جواباً على رسالته المليئة بالعبارات الوقحة والكلمات المنكرة في أثناء معركة صـفين، بل كتبها في آواخر هذه الحرب(مصادر نهج‌البلاغة، ج ۳، ص ۲۱۱).

[۷۷] (۲). سيأتي ذكر رسالة معاوية في نهاية هذا البحث.

[۷۸] (۱). سورة الزمر، الآية ۶۵.

[۷۹] (۲).« موصّلة» تعني أمور متنافرة وغير مرتبطة تمّ جمعها في مورد واحد، وهي من مادة« وصل» أي ربط.

[۸۰] (۳).« محبّرة» وتعني تزيين الشيء من مادة« حبر» على وزن« ابر» وتعني بفتح الأول التزين و« حبر» بكسر الأول تعني الجمال.

[۸۱] (۴).« نمّق» من« التنميق» بمعنى التزيين؛ ولكن الثلاثي لها« نمق» على وزن« نقد» تعني الكتابة، وعندما تأتي من باب التفعيل تعني التزيين.

[۸۲] (۱).« أمضـيت» من« الإمضـاء» وتعني الإرسال والإجراء والتنفيـذ لشـيء، وبما أنّ إمضاء السـند أو الوثيقـة يعتبر نوعاً من إنفاذها وإجرائها، فهذه المفردة تطلق على هذا العمل.

[۸۳] (۲).« هجر» من مادة« هجر» على وزن« زجر» وتعني الهذيان.

[۸۴] (۳).« لاغط» من مادة« لغط» على وزن« وقت» بمعنى إثارة الفوضى واللغو والشغب.

[۸۵] (۴).« خابط» من مادة« خبط» على وزن« وقت» وتعني المتحير والسائر بدون هدف معين.

[۸۶] (۱).« النظر» تعني هنا التأمل والتدبر، يعني أنّ البيعة بعد انعقادها غير قابلة للتأمل والتشويه(هذا في صورة أن‌تكون« في» متعدية.

[۸۷] (۲).« مروّى» الشـخص الـذي يشك ويتردد في أمر ويفكر ويتأمل فيه وهي من« الترويـة»، وتأتي أحياناً بمعنى‌شـرب الماء وإزالة الظمأ، وأخرى بمعنى المطالعة والتأمل في شيء.

[۸۸] (۳).« مداهن» تعني المتملق والمنافق والمتزلف.

[۸۹] (۱). مصادر نهج‌البلاغة، ج ۳، ص ۲۱۱ ونقل ابن أبي‌الحديد هذه الرسالة أيضاً مع اختلاف يسير في: ج ۱۴، ص ۴۲.

[۹۰] (۱). سورة الحجرات، الآية ۹.

[۹۱] (۱). سورة غافر، الآية ۲۶.

[۹۲] (۱). سند الرسالة:

من الأشـخاص الـذين نقلوا هـذه الرسالـة قبل السـيّد الرضـيّ، نصـر بن مزاحم في كتاب صـفين وابن عبـد ربه في كتاب العقد الفريد(مصادر نهج‌البلاغة، ج ۳، ص ۲۱۱).

[۹۳] (۱).« الفصل» في الأصل بمعنى الفرقة والانفصال، ويطلع على الحكم القطعي الذي يصدر من القاضـي وغيرالقاضي، لأنّه يفصل بين المتخاصمين ويميّز المسائل المشتبه بها.

[۹۴] (۲).« مجلية» من« الإجلاء» بمعنى إخراج من الوطن وأصـله من« جلاء» بمعنى الوضوح والظهور، ولذلك يطلق على الخروج من

المدينة وكأنّ الشخص كان مختفياً فيها ومع خروجه يظهر ويبرز إلى العيان، و« الجلاء» بمعنى تلميع الشيء وصقله، وكذلك نوع من ظهور اللون الحقيقى المستور تحت الصدأ.

[۹۵] (۱).« مخزية» من مادة« خزى» من باب افعال و« الخزى» تعنى الفضيحة والذلة، ولعل أصلها من الفضيحة التى تسبب الذلة، وذهب جماعة من أرباب اللغة إلى أنّ جذره الأصلى سوء حال النتائج من وقوع البلاء والفضيحة والذلّة.

[۹۶] (۲).« فانبذ» من مادة« نبذ» على وزن« نصر» فى الأصل بمعنى القاء الشيء بعيداً لعدم اعتباره أو لكونه غير ذى قيمة، وأحياناً تأتى بمعنى الاعلام وكأنّ المتكلّم يطرح الكلمات إلى الطرف المقابل سواء كان هذا امضاء لعهد أو اعلاناً لحرب أو شيئاً آخر، وفى الجملة أعلاه ورد بمعنى إعلان الحرب.

[۹۷] (۱). سند الرسالة:

يقول مؤلف كتاب مصادر نهج‌البلاغة بعد بيان كيفية كتابة هذه الرسالة، هذه القصّة مشهورة فى كتاب صفين لنصر بن مزاحم، وأمّا ما ذكره السيد الرضى فيمثّل قسماً ختامياً للرسالة، ثم أضاف: وقد نقل هذه الرسالة كتّاب آخرون أيضاً فى كتبهم، ومنهم:

۱. ابن عبد ربه فى العقد الفريد.

۲. البلاذرى فى كتاب انساب الأشراف.

۳. الشيخ المفيد فى كتاب الفصول المختارة وقد أورد مقطعاً منها.

۴. الخطيب الخوارزمى فى كتاب المناقب(والجدير بالذكر أنّ الثلاثة المتقدمين كانوا يعيشون قبل السيد الرضى)(مصادر نهج‌البلاغة، ج ۳، ص ۲۱۷).

[۹۸] (۱). شرح نهج‌البلاغة لابن أبى‌الحديد، ج ۱۵، ص ۷۳ إلى ۷۵.

[۹۹] (۱).« اجتياح» تعنى الإهلاك، وهدم وتخريب، وأصلها من« جوح» على وزن« قوم» وتأتى بهذا المعنى المذكور.

[۱۰۰] (۲).« هموم» جمع« همّ» بمعنى الأحزان، وأشكال القلق والاضطراب، التخطيط والتدبير، وهنا وردت بمعنى التآمر من قِبل قريش ضد النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله وهو يفضى إلى الغم والحزن الشديد، وأصل هذه المفردة بمعنى القصد، وبما أنّ القصد فى كثير من الموارد يقترن بالقلق والحزن، فجاء بمعنى القلق والحزن أيضاً.

[۱۰۱] (۱).« الأفاعيل» جمع« أفعال» وهو جمع« فعل»، وفى هذه الموارد وردت بمعنى الأعمال الكبيرة وأشكال التآمروالدسيسة.

[۱۰۲] (۲).« العذب» بمعنى الرواء الهنيء، وتارة يقصد به البعد الظاهرى، والبعد الباطن والمعنوى.

[۱۰۳] (۳).« احلسونا» أصلها« حلس» على وزن« حرص» وتعنى القماش الناعم الذى يوضع تحت أقتاب الإبل، وفى الحقيقة يلتصق ببدن الإبل، ثم اطلق على كل شيء يلازم شيئاً آخر، مثلًا، يقال: فلان حلس البيت؛ يعنى أنّه لا يخرج من بيته، والجملة أعلاه« أَحْلَسُونَا الْخَوْفَ» تعنى أنّ الأعداء فرضوا علينا حالات الخوف والرعب الدائم.

[۱۰۴] (۴).« وعر» الأرض الصعبة والمليئة بالأحجار وغير المعبدة.

[۱۰۵] (۵).« اوقدوا» أصلها من« الإيقاد» بمعنى اشعال النار وهى من« الوقود» بمعنى إشعال الشيء.

[۱۰۶] (۶). خلافاً لما يتوهم البعض من أنّ شعب أبى طالب هو محل قبر أبى طالب الذى يقع الآن على مقربة من جسرالحجون، لأنّه تفصله فاصلة كبيرة مع المسجد الحرام والكعبة، وشعب أبى طالب كان وادياً إلى جانب جبل أبى‌قبيس، ولذلك ورد فى التواريخ أنّ صوت بكاء أطفال المسلمين من شدّة جوع والآلام الآخرى كان يسمع ليلًا فى المسجد الحرام من ذلك الوادى.

[۱۰۷] (۱).« ذب» بمعنى دفع وأبعد ودافع.

[۱۰۸] (۱). منهاج البراعة فى شرح نهج‌البلاغة، ج ۱۷، ص ۳۶۵.

[۱۰۹] (۱).« خلو» بمعنى خواء الشيء وكونه عارياً.

[۱۱۰] (۱).« البأس» فى الأصل بمعنى الشدّة والقوّة والقدرة، وتأتى بمعنى المشكلات الكبيرة والحرب، وجملة« لا بأس به» أى« لا مشكلة فيه» وجملة أعلاه« احمَرّ الْبَأسُ» إشارة إلى شدّة ضراوة الحرب.

[۱۱۱] (۲).« احْجَم» أصلها من« حجم» على وزن« رجم» بمعنى الامتناع عن عمل معين، وجملة« أحْجَمَ النَّاسُ» بمعنى أنّهم امتنعوا من الدخول إلى ميدان الحرب.

[۱۱۲] (۱).« أسنة» جمع« سنان» بمعنى رأس الرُمح.

[۱۱۳] (۱). نهج‌البلاغة، الخطبة ۵.

[۱۱۴] (۲). المصدر السابق، الخطبة ۱۵۶.

[۱۱۵] (۱).« لا ـ يدلى» من« الإدلاء» وتعنى الاظهار والاعلان، ويقال:« أدلى برأيه» يعنى أظهر رأيه، وهى فى الأصل من مادة« دلو»، وعندما تأتى من باب الإفعال تكون بمعنى ارسال الدلو إلى البئر لسحب الماء، ثم اطلقت على أى اظهار للرأى.

[۱۱۶] (۱).« يسعنى» من« الوُسع» بمعنى القدرة على عمل معين، وإمكانية العمل.

[۱۱۷] (۱). ترجمة شرح نهج‌البلاغة ابن ميثم، ج ۴، ص ۶۲۸، ومثل هذه الرواية وردت بتفاوت يسير فى كتاب الفتوح لابن أعثم الكوفى، ج ۳، ص ۶۱، ونقلنا عن أبى‌مسلم الخولانى مثله.

[۱۱۸] (۲).« غىّ» و« غواية» بمعنى ضلال وإضلال بمعنى الوقوع فى المتاهة.

[۱۱۹] (۳).« شقاق» بمعنى الفرقة والنفاق وعدم الانسجام، وهى بالأصل الشق وانفصال الجانبين فى الشيء.

[۱۲۰] (۴).« زَور» تارة تأتى بمعناها المصدرى وتعنى اللقاء والملاقاة، وأحياناً تأتى بمعنى الزائر، وفى الجملة وردت بالمعنى الأول.

[۱۲۱] (۵).« لقيان» و« لقاء» مصدر بمعنى الملاقاة.

[۱۲۲] (۱). صفين، ص ۳۱۹.

[۱۲۳] (۱). انساب الأشراف البلاذرى، ج ۵، ص ۵۷؛ تاريخ الطبرى، ج ۵، ص ۱۱۳؛ العقد الفريد، ج ۲، ص ۲۵۸ و ۲۶۱ و ۲۷۲.

[۱۲۴] (۱). النهاية لابن الأثير الجزرى، ج ۵، ص ۸۰ و شرح نهج‌البلاغة لابن أبى‌الحديد، ج ۲، ص ۷۷ و ج ۶، ص ۲۱۵.

[۱۲۵] (۱). تاريخ الطبرى، ج ۵، ص ۱۱۸ وما بعدها و كامل لابن الأثير، ج ۳، ص ۷۰ وما بعدها. لتحقيق أكثر انظر إلى كتاب فروغ ولاية عن الاستاذ جعفر السبحانى، ص ۳۲۷- ۳۳۵ و شرح نهج‌البلاغة لابن أبى لحديد، ج ۲، ص ۱۲۹ تا ۱۵۸، ذيل الخطبة ۳۰.

[۱۲۶] (۱). سند الرسالة:

نقل هذه الرسالة نصر بن مزاحم فى كتاب صفين قبل السيّد الرضىّ، وبعد السيد الرضى ذكرها ابن عساكر فى كتاب تاريخ دمشق فى شرح حال معاوية، وما ذكره السيّد الرضىّ فى نهج‌البلاغة لا يمثّل جميع هذه الرسالة، فالرسالة تبتدىء بمقدّمة وردت فى كتاب مصادر نهج‌البلاغة(مصادر نهج‌البلاغة، ج ۳، ص ۲۲۰).

والرسالة المذكورة لها خاتمة وردت فى كتاب نهج‌البلاغة الكامل.

[۱۲۷] (۱).« جلابيب» جمع« جلباب» على وزن« مفتاح»(وهذه المفردة ترد بكسر الجيم وفتحها وتعنى العباءة، قطعةالقماش التى تغطّى جميع البدن، وتطلق على الثوب الواسع والطويل).

[۱۲۸] (۱).« تبهّجت» من مادة« بهج» و« بهجة» بمعنى الجمال والطراوة، و« والتبهّج» بمعنى الشعور بالفرح بسبب رؤية الجمال.

[۱۲۹] (۲).« يوشك» من مادة« وشك» على وزن« كبت» تعنى الإسراع فى المشى، وعليه فإنّ كلمة« يوشك» تدلّ على أنّالأمر الفلانى سرعان ما يتحقق(والصحيح« يوشِك» بكسر الشين، وتارة تأتى بفتحها).

[۱۳۰] (۳).« مجنّ» بمعنى الدرع.

[۱۳۱] (۴).« أقعس» صيغة أمر من مادة« قعس» على وزن« نفس» وفى الأصل بمعنى بروز الصدر إلى الأمام وانبعاج الظهر، ثم اطلقت

على كل تكاسل واهمال فى عمل معين، وجاءت فى العبارة أعلاه بهذا المعنى، يعنى: يجب عليك يامعاوية أن تتراجع عن الخلافة.

[۱۳۲] (۵).« أهبة» بمعنى تهيئة وسائل العمل.

[۱۳۳] (۶).« شمّر» من ال« تشمير» وأصلها من« شمر» على وزن« تمر» بمعنى جمع الأمور وقطف الثمار والاستعداد لقدوم قادم، وتعنى فى التهيؤ لأداء عمل معين.

[۱۳۴] (۷).« غواة» جمع« غاوى» المضل.

[۱۳۵] (۱).« مترف» هو الشخص الذى يملك نعماً ومواهب كثيرة، وبما أنّ ذلك قد يسبب غالباً الطغيان فالمترفين همالأشخاص الأثرياء الذين يعيشون حالة الطغيان والتمرّد.

[۱۳۶] (۱).« باسق» بمعنى المرتفع من« البسوق» على وزن« طلوع».

[۱۳۷] (۱).« غرّة» بمعنى الغفلة والجهل وعدم الاطلاع والغرور.

[۱۳۸] (۲).« الامنيّة» بمعنى الأمل، وأصلها« منى» على وزن« رمى» بمعنى التقدير والفرض ويطلق على الأمال تمنيوالامنية بسبب أنّ الإنسان يقدر لنفسه الكثير من الأمور فى عالم الخيال ويتعلق بها قلبه، ومفردة امنية تأتى غالباً فى موارد الطموحات والأمال البعيدة والتى لا تتحقق فى الواقع العملى.

[۱۳۹] (۱). الكافى، ج ۲، ص ۳۳۵، ح ۳.

[۱۴۰] (۱). ومن النقاط التاريخية الملفتة للنظر ما وقع نظير هذه القصة عن بسر بن ارطاة الذى يعتبر من شجعان العرب، فينقل ابن عبد البر فى كتابه الاستيعاب(ج ۱، ص ۱۶۴) أنّ بسر كان حاضراً مع معاوية فى صفّين، فشجّعه معاوية على قتال أميرالمؤمنين وقال:« كان بسر من الأبطال الطغاة وكان مع معاوية بصّفين، فأمره أن يلقى علياً عليه السلام فى القتال، وقال له: إنّى سمعتك تتمنّى لقاءه، فلو أظفرك اللَّه به وصرعته حصلت على الدنيا والآخرة، ولم يزل يشجّعه ويمنّيه حتى رأى عليّاً عليه السلام فى الحرب، فقصده والتقيا فصرعه علىّ عليه السلام، وعرض له معه مثل ما عرض له مع عمرو بن العاص فى كشف السوأة»(شرح نهجالبلاغة لابن أبىالحديد، ج ۶، ص ۳۱۶ و ۳۱۷).

[۱۴۱] (۱). شرح نهجالبلاغة لابن أبىالحديد، ج ۱۵، ص ۸۴- ۸۵.

[۱۴۲] (۱).« ثائر» بمعنى المطالب بدم المقتول، وهى من مادة« ثأر» على وزن« سأل»، وعندما تطلق هذه الكلمة علىبعض المعصومين عليهم السلام،« يا ثاراللَّه» يعنى الشخص الذى ينتقم للَّهلا لفرد معين أو قبيلة.

[۱۴۳] (۱).« عضّ» من« العضّ» بمعنى الامساك بالأسنان.

[۱۴۴] (۲).« جمال» جمع« جمل» بمعنى الإبل؛ مثل« جبال» جمع« جبل».

[۱۴۵] (۳).« حائدة» بمعنى المائلة عن الطريق المستقيم من مادة« حيد» على وزن« صيد» أى الميل إلى أحدى الجهات، وهذه المفردة تأتى بمعنى نقض البيعة.

[۱۴۶] (۱).« هرير» فى اللغة بمعنى عواء الكلب عند التألم، وهذا إشارة إلى أنين أهل الشام وصراخهم فى تلك الليلة.

[۱۴۷] (۲). انظر: شرح نهجالبلاغة لابن أبى الحديد، ج ۲، ص ۲۰۵- ۲۵۶.

[۱۴۸] (۱). سند الرسالة:

لقد أورد هذه الرسالة نصر بن مزاحم الذى كان يعيش ۲۰۰ سنة قبل السيد الرضى فى كتابه صفين، والحسن ابن شعبة الحرّانى فى تحف العقول والدينورى فى كتاب الاخبار الطوال. وابن ميثم البحرانى الذى يعدّ أحد شرّاح نهجالبلاغة أورد هذه الرسالة مع إضافات مهمّة وهذا يشير إلى وجود مصادر غير نهجالبلاغة(مصادر نهجالبلاغة، ج ۳، ص ۲۲۴).

وصرّح صاحب المصادر إلى أنّ هذه الرسالة تمثّل قسماً من رسالة مطولّة أرسلها الإمام عليه السلام إلى زياد بن النضر الحارثى

وشريح بن هانیء من قوّاد جیش الإمام علیّ علیه السلام. وقد وردت هذه الرسالهٔ أیضاً فی کتاب نهج‌البلاغهٔ الکامل برقم ١ من رسائل الإمام أمیرالمؤمنین علیّ علیه السلام فی ص ٩۴۵.

[١۴٩] (١).« أشراف» جمع« شرف» علی وزن« هدف» بمعنی المکان المرتفع والتعبیر ب« قبل الأشراف» یعنی أمام‌المرتفعات.

[١۵٠] (٢).« سفاح» فی الأصل معنی انهمار الماء وجریانه، ثم اطلق علی جانب الجبل، لأنّ الماء ینهمر منه، وتأتی هذه المفردهٔ کنایهٔ عن الزنا.

[١۵١] (٣).« اثناء» جمع« ثنی» علی وزن« صنف» بمعنی الملتوی والمطاوی، وهذه المفردهٔ« اثناء» تأتی بمعنی وسط الشیء.

[١۵٢] (١).« ردء» بمعنی المعین والنصیر.

[١۵٣] (٢).« مردّ» تأتی تارهٔ بمعنی المانع وأخری بمعنی محل العودهٔ، فی الجملهٔ أعلاه کما ذکرنا فی الشرح، تأتی بکلا المعنیین.

[١۵۴] (١).« صیاصی» جمع« صیصیهٔ» أو« صیصهٔ» وهو فی الأصل بمعنی المشط الذی یستخدمه الحائک لتعدیل وتنظیم القماش، أو الظفر الزائد فی أقدام بعض الطیور، ثم اطلق علی القلاع المحکمهٔ علی قمم الجبال وکذلک تطلق علی قمّهٔ الجبل، وفی العبارهٔ أعلاه وردت بمعنی الأخیر.

[١۵۵] (٢).« مناکب» جمع« منکب» علی وزن« مغرب» بمعنی الأکتاف، بالنظر إلی أنّ الهضاب جمع هَضَبَهٔ(علی وزن عَقَبَهْ) تأتی بمعنی الجبال المسطحهٔ التی تفتقد القمم، فإنّ« مناکب الهضاب» تعنی الأقسام العلیا من هذه التلال المرتفعهٔ والتی هی بمثابهٔ الاکتاف للجبل.

[١۵۶] (١).« کفهٔ» جمعها« کفاف» بمعنی الشیء المدوّر، وکفِّهٔ المیزان یراد بها هذا المعنی أیضاً حیث تکون بشکل‌دائری.

[١۵٧] (١). سند الرسالهٔ:

جاء فی کتاب مصادر نهج‌البلاغهٔ أنّ الحرب بین الإمام علیه السلام وأهل الشام عندما وصلت إلی المدائن أرسل الإمام علیّ علیه السلام معقل بن قیس الریاحی مع ثلاثهٔ آلاف مقاتل کمقدمهٔ للجیش باتجاه الشام وأوصاه بوصایا عدّهٔ اختار منها الشریف الرضی بعضها، والبعض الآخر ذکره نصر بن مزاحم فی کتاب صفین، ولا شک أنّ السید الرضی نقل هذه الوصیهٔ من مصدر آخر غیر کتاب صفین لنصر بن مزاحم.(مصادر نهج‌البلاغهٔ، ج ٣، ص ٢٢۶).

ثم أضاف: إنّ المرحوم ابن میثم فی شرحه لنهج البلاغهٔ نقل إضافات لما أورده السید الرضی، وهذا یشیر إلی وجود مصدر آخر غیر نهج‌البلاغهٔ للشریف الرضی(شرح نهج‌البلاغهٔ لابن میثم، ج ۴، ص ٣٨٠٩.

والعجب أنّ کتاب نهج‌البلاغهٔ الکامل أورد کلمتین اضافیتین فقط علی ما ذکره السید الرضی فی نهایهٔ هذه الوصیهٔ(نهج‌البلاغهٔ الکامل، ص ٧۴۴).

[١۵٨] (١). سورهٔ البقرهٔ، الآیهٔ ٢٢٣.

[١۵٩] (٢). سورهٔ النجم، الآیهٔ ۴٢.

[١۶٠] (١). سورهٔ الانفال، الآیهٔ ۶١.

[١۶١] (٢).« بردین» تثنیهٔ« برد» بمعنی البرودهٔ ضد الحر، وهذا إشارهٔ إلی الصبح والعصر حیث یبرد الهواء نسبیاًوتنخفض درجهٔ الحرارهٔ.

[١۶٢] (٣).« غوّر» من مادهٔ« غور» علی وزن« قول» وردت فی المصادر اللغویهٔ بمعنیین، الأول، النوم فی منتصف النهاروالذی یعبر عنه بالقیلولهٔ، والثانی، التوغل إلی باطن الشیء وعمقه، وفی الجملهٔ یراد بها الأول، وأحیاناً یقصد بهذه المفردهٔ الحملهٔ والهجوم والإغارهٔ أیضاً.

[١۶٣] (۴).« رفّه» من« الترفیه» و« رفوه» بمعنی الراحهٔ والهدوء فی الحیاهٔ، والرفاه یرد أیضاً کأحد المصادر لهذه المفردهٔ.

[۱۶۴] (۱).« ينبطح» من مادة« بطح» على وزن« فتح» بمعنى الامتداد والتوسع، وجملة« يَنْبَطِحُ السَحَرُ» يعنى امتدادالسحر وظهور علاماته، وهذه المفردة تأتى أحياناً بمعنى الاضطجاع على الأرض.

[۱۶۵] (۲). سورة الأنعام، الآية ۹۶.

[۱۶۶] (۳). سورة آل عمران، الآية ۱۷.

[۱۶۷] (۱).« ينشب» من« النشوب» على وزن« سجود» بمعنى المواجهة والتدخل فى عمل الشىء، وأحياناً تأتى بمعنى بدء اشتعال نار الحرب، و« انشاب» من باب إفعال بمعنى غرز المخالب فى بدن الطرف المقابل، وأحياناً تأتى بمعنى إشعال نار الحرب.

[۱۶۸] (۲).« شنآن» مصدر بمعنى الخصومةوالعداوة.

[۱۶۹] (۱).« اعذار» بمعنى اتمام الحجة وايصاد طريق الاعتذار على الطرف المقابل.

[۱۷۰] (۱). سند الرسالة:

وردت هذه الرسالة فى تاريخ الطبرى(ج ۳، ص ۵۶۴) وفى كتاب صفين لنصر بن مزاحم ص ۱۵۳.

وأورد صاحب كتاب مصادر نهج‌البلاغة أنّ هذين المؤرخين كانا يعيشان قبل السيد الرضى، وجاء فى تاريخ الطبرى أنّ الإمام عليه السلام كتب هذه الرسالة لزياد بن النضر وشريح بن هانىء من قادة مقدّمة جيشه عندما كانا يتوجّهان إلى صفّين، وعندما اقتربا من جيش معاوية التقيا بأحد أفراد جيشه ويدعى أبو الأعور السلمى ودعياه للالتحاق بجيش الإمام علىّ عليه السلام والطاعة له، ولكنّه لم يقبل بذلك، فوصل خبر هذا اللقاء إلى الإمام عليه السلام فأرسل الإمام مالك الأشتر وجعله قائداً للجيش ومعه هذه الرسالة إليهما.

[۱۷۱] (۱).« حيّز» تعنى المكان والناحية، وهى من مادة« الحيازة» بمعنى تملّك الشىء والاستيلاء عليه وإحراز الأولوية فى التصرّف به.

[۱۷۲] (۲).« مجنّ» بمعنى الدرع، من مادة« جنّ» على وزن« فن» بمعنى التغطية.

[۱۷۳] (۳).« سقطة» بمعنى الانحراف والسقوط.

[۱۷۴] (۴).« احزم» من مادة« حزم» على وزن« نظم» بمعنى تحكيم العمل واتقانه.

[۱۷۵] (۵).« امثل» بمعنى أفضل.

[۱۷۶] (۱). شرح نهج‌البلاغة لابن أبى الحديد، ج ۱۵، ص ۱۰۰(مع تلخيص).

[۱۷۷] (۱). الاستيعاب، ج ۲، ص ۷۲.

[۱۷۸] (۲). تاريخ الإسلام الذهبى، ج ۵، ص ۴۲۳.

[۱۷۹] (۳). مستدركات علم رجال الحديث، ج ۳، ص ۴۵۵.

[۱۸۰] (۱). سند الرسالة:

صرّح صاحب كتاب مصادر نهج‌البلاغة أنّ هذه الرسالة نقلت عن الإمام عليه السلام بالتواتر، فقد تحدّث الإمام عليه السلام عدّة مرات بهذه التوصيات لأصحابه وأنصاره، ومن المؤرخين الذين نقلوا هذه الرسالة قبل السيد الرضى، الطبرى فى تاريخه المعروف فى سنة ۳۷ عن عبد الرحمن بن جندب عن أبيه بأنّ الإمام علىّ عليه السلام كان يوصى أنصاره بهذه التوصيات فى كل مواجهة وقتال مع الأعداء، وكذلك نقلها نصر بن مزاحم فى كتاب صفين بهذا المضمون، وذكرها المرحوم الكلينى أيضاً فى كتاب فروع الكافى فى كتاب الجهاد من الراوى نفسه(عبدالرحمن بن جندب عن أبيه)، وكذلك نقلها المسعودى فى مروج الذهب وابن أعثم الكوفى فى كتاب الفتوح؛ ثم أضاف مع الأخذ بنظر الاعتبار أنّ كل هؤلاء الرواة كانوا يعيشون قبل السيد الرضى فلا نحتاج لذكر اسماء الأشخاص الذين نقلوا هذه الرسالة عن الإمام عليه السلام بعد السيد الرضى(مصادر نهج‌البلاغة، ج ۳، ص ۲۱۷).

[۱۸۱] (۱). بحار الأنوار، ج ۳۲، ص ۳۱۳.

[۱۸۲] (۱). سورة المائدة، الآية ۳۳.

[۱۸۳] (۲). سورة البقرة، الآية ۱۹۴.

[۱۸۴] (۳).« معور» فى الأصل من مادة« عار» و« عور» على وزن« غور» بمعنى العيب والنقص، ثم اطلقت على المناطق الضعيفة والنقاط القابلة للنقص، والمعور: الشخص الذى لا يستطيع الدفاع عن نفسه ويتعرّض للضرر فى مقابل هجوم مخالفه، وسميت الآلة التناسلية بالعورة لأنّ اظهارها يورث العيب والعار لصاحبها.

[۱۸۵] (۱).« لا تُجْهِزُوا» من« الإجهاز» بمعنى التسريع وقتل المجروحين وإنهاء حياتهم، وهذا يشبه ما يطلق عليه حالياً برصاصة الرحمة.

[۱۸۶] (۲). الكافى، ج ۵، ص ۳۳، ح ۲.

[۱۸۷] (۱).« فَهر» بمعنى قطعة من الحجر الصافى والأملس بمقدار قبضة اليد، و« فِهر» على وزن« شعر» تطلق على الأحجار التى تطحن بها الأدوية.

[۱۸۸] (۲).« هراوة» بمعنى قطعة من الخشب كالعصا الغليظة.

[۱۸۹] (۳).« عقب» الولد سواء كان ذكراً أم انثى.

[۱۹۰] (۱). شرح نهج‌البلاغة لابن أبى‌الحديد، ج ۱۵، ص ۱۰۵.

[۱۹۱] (۱). الكافى، ج ۵، ص ۵۰۵، ح ۴.

[۱۹۲] (۲). وسائل‌الشيعة، باب ۸۹ من أبواب مقدمات النكاح، ح ۲.

[۱۹۳] (۳). الكافى، ج ۵، ص ۳۲۳، ح ۳ باب أصناف النساء.

[۱۹۴] (۱). شرح نهج‌البلاغة العلّامة التسترى، ج ۱۳، ص ۵۱۴.

[۱۹۵] (۱). سند الدعاء: هذا الدعاء ورد فى عدّة مصادر معروفة قبل المرحوم السيّد الرضى، ومنها كتاب صفين لنصر بن مزاحم حيث نقله بأربعة أسانيد عن الإمام علىّ عليه السلام وفيه اضافات معتبرة أكثر مما أورده السيد الرضى.
وقد ذكر المرحوم الشيخ المفيد أيضاً فى كتاب النصرة وقال: إنّ الإمام عليه السلام دعا بهذا الدعاء يوم الجمل.
وفى كتاب صفين لعبد العزيز بن يحيى الجلودى أيضاً طبقاً لنقل المرحوم العلّامة المجلسى.(والسيّد ابن طاووس فى مهج الدعوات). أنّ الروايات أعلاه تشير أحياناً إلى أنّ هذا الدعاء ورد فى معركة الجمل وأحياناً أخرى فى معركة صفين ويوم الهرير، ويستفاد من بعضها أنّ الإمام عليه السلام كان عندما يريد الورود إلى ميدان القتال فى كل مرّة يقرأ هذا الدعاء(مصادر نهج‌البلاغة، ج ۳، ص ۲۲۰).

[۱۹۶] (۱).« أفضت» من« الإفضاء» و« فضاء» بمعنى الوصول إلى الشيء، وكأنّه ورد فى دائرة فضائه وأجوائه.

[۱۹۷] (۲).« شخصت» من« الشخوص» بمعنى تحديق العين بالشيء بحيث أنّ سواد العين ثابت والجفن لا يتحرك.

[۱۹۸] (۳).« أُنضيت» من« الإنضاء» بمعنى إضعاف بدن الإنسان أو الحيوان وجعله نحيفاً، وتأتى بمعنى الاستنزاف والاستهلاك والإساءة أيضاً.

[۱۹۹] (۱). سورة التوبة، الآيتان ۱۲۰ و ۱۲۱.

[۲۰۰] (۲).« جاشت» من مادة« جيش» على وزن« عيش» بمعنى الغليان، وهذا المفردة تطلق على الغليان الظاهرى للأشياء وكذلك الغليان المعنوى والباطنى، مثل غليان الغم والحزن فى داخل الصدور.

[۲۰۱] (۳).« مراجل» جمع« مرجل» على وزن« منبر» بمعنى القدور.

[۲۰۲] (۴).« أضغان» جمع« ضغن» وهو الحقد.

[۲۰۳] (۱).« افتح» من مادة« فتح» تأتى أحياناً بمعنى النصر وأخرى بمعنى فتح الباب أو القفل، وثالثة بمعنى التحكيم، وكلّها تشترك

بنوع من فتح الشيء المغلق.

[٢٠۴] (٢). سورة الأعراف، الآية ٨٩.

[٢٠۵] (١). سند الرسالة:

هـذا الكلام فى الحقيقـة يمثّل مقطعاً من كلام الإمام عليه السلام لأصحابه فى أحد أيّام معركـة صفين، ويستفاد من كلام ابن أبى‌الحديد أنّه استمرار للخطبة ۶٢(وفقاً للترقيم الوارد فى نهج‌البلاغة لصبحى الصالح الخطبة ۶۴). وعلى أية حال فمن جملة الأشخاص الذين نقلوا هذه الخطبة قبل السيد الرضى المرحوم الشيخ الكلينى فى كتاب الكافى، كتاب الجهاد فى عدّة عبارات، وذكر نصر بن مزاحم أيضاً فى كتاب صفين مقطعاً منه، والعجب أنّ الوارد فى كتاب نهج‌البلاغة الكامل مقطع من هذا الكلام لا كله،(مصادر نهج‌البلاغة، ج ٣، ص ٢٣٢).

[٢٠۶] (١).« فرّة» وتعنى المرّة من الفرار.

[٢٠٧] (٢).« كرّة» بمعنى المرّة من العودة الهجوم على العدو، ومن هنا سمى الإمام على عليه السلام بالكرّار لأنّه كان يكثر من العودة إلى العدو والهجوم عليه.

[٢٠٨] (٣).« جولة» بمعنى الدوران فى الميدان والتحرك من هذه الجهة إلى تلك.(وهذه المفردة تأتى بمعنى المصدر واسم المصدر أيضاً، وذهب بعض إلى أنّ« جولة» تعنى الفرار لمدّة قصيرة، ولكن مع الالتفات إلى سياق كلام أميرالمؤمنين عليه السلام أعلاه فإنّ هذا المعنى مستبعد.

[٢٠٩] (١).« مصارع» جمع« مصرع» بمعنى محل سقوط الشخص.

[٢١٠] (١).« اذمُرُوا» فعل أمر من مادة« ذمر» على وزن« أمر» بمعنى التثوير وتهييج النفس على فعل معين.

[٢١١] (٢).« الطَعْن» بمعنى ادخال الرمح فى بدن العدو، وهذه المفردة تأتى كناية أيضاً ويراد بها إبراز عيوب الشخص والتنقيص من شخصيته.

[٢١٢] (٣).« دعسىّ» من مادة« دعس» على وزن« درس» بمعنى إملاء، وتأتى أحياناً بمعنى التأثير، وهذا المفردة عندما تأتى بمعنى إدخال الرمح فى بدن العدو وكأنّ الرمح قد ملأ جوف العدو وأثر فى بدنه.

[٢١٣] (۴).« طلحف» بمعنى الشديد.

[٢١۴] (١). بحار الأنوار، ج ١٩، ص ٢۵٢.

[٢١۵] (١).« نسمة» بمعنى الإنسان وأحياناً تأتى بمعنى الروح، وأخرى تطلق على كل موجود ذى روح، وأصلها من‌النسيم وهو الريح الخفيفة والناعمة.

[٢١۶] (١). سورة النساء، الآية ٢٩.

[٢١٧] (٢). صحيح مسلم، ج ۶، ص ١٨.

[٢١٨] (٣). تاريخ الطبرى، ج ٨، ص ١٨۵، مطبعة مؤسسة الأعلمى، بيروت.

[٢١٩] (١). تاريخ الطبرى، ج ٨، ص ١٨۶، مطبعة مؤسسة الأعلمى، بيروت.

[٢٢٠] (٢). شرح نهج‌البلاغة لابن أبى‌الحديد، ج ١٠، ص ١٠١.

[٢٢١] (٣). مسند أحمد، ج ۵، ص ٣۴٧.

[٢٢٢] (۴). شرح نهج‌البلاغة لابن أبى‌الحديد، ج ۵، ص ١٢٩.

[٢٢٣] (١). العقد الفريد، ج ۵، ص ٨٧.

[٢٢۴] (٢). كامل التواريخ، ج ٣، ص ۴٨٧.

[۲۲۵] (۳). المحاسن والمساوىء، ص ۴۳ طبعة بيروت(مطابق نقل شرح إحقاق الحق، ج ۱۵، ص ۶۲).

[۲۲۶] (۱). الموفقيات، ص ۵۷۶، طبعة وزارة الاوقاف بغداد، سنة ۱۳۹۲؛ مروج الذهب،، ج ۲، ص ۴۲۹، طبعة بيروت، سنة ۱۹۸۲؛ شرح نهج‌البلاغة لابن أبى الحديد، ج ۵، ص ۱۲۹.

[۲۲۷] (۱). وقعة صفين، ص ۴۷۲.

[۲۲۸] (۱). سند الرسالة:

يقول صاحب كتاب مصادر نهج‌البلاغة: ذكر هذه الرسالة جماعة من المؤرخين قبل السيد الرضى فى كتبهم، منهم: نصر بن مزاحم فى كتاب صفين، البيهقى فى المحاسن والمساوىء، ابن قتيبة فى الإمامة والسياسة، المسعودى فى مروج الذهب وابن اعثم الكوفى فى كتاب الفتوح، وطبقاً لما ذكره نصر بن مزاحم أنّ الإمام عليه السلام كتب هذه الرسالة قبل ليلة الهرير بيومين أو ثلاثة أيّام(وليلة الهرير هى الليلة الأخيرة من معركة صفين حيث استمر القتال وخلافاً للمعتاد حتى الليل واستمرت الحرب بين الطرفين إلى الصباح من يوم غد وظهرت علائم الهزيمة على جيش معاوية)(مصادر نهج‌البلاغة، ج ۳، ص ۲۳۴).

[۲۲۹] (۱). مصادر نهج‌البلاغة، ج ۳، ص ۲۳۸.

[۲۳۰] (۲). انظر إلى كتاب نهج‌البلاغة الكامل، ص ۸۵۲.

[۲۳۱] (۱). طبقاً لبعض‌الروايات أنّ عددالقتلى فى حرب صفين من‌جيش‌معاوية ۴۵ ألفاً، ومن جيش‌الإمام عليه السلام ۲۵ ألفاً.

[۲۳۲] (۲).« حُشاشات» جمع« حشاشة» بمعنى النفس الأخير.

[۲۳۳] (۱).« امضى» بمعنى شدة التأثر والنفود فى الإقدام والعمل وهى من« المضىّ» بمعنى العبور والمرور.

[۲۳۴] (۱).« طليق» بمعنى الأسير المتحرر من« الطلاق» بمعنى التحرر والإنفلات.

[۲۳۵] (۲).« صريح» تطلق على الشخص الذى يملك نسباً خالصاً وواضحاً.

[۲۳۶] (۳).« لصيق» يقع على الضد من صريح، ويعنى الشخص غير واضح النسب والذى ينسب لشخص أو قبيلة ويلتصق به.

[۲۳۷] (۱). انظر: شرح نهج‌البلاغة لابن أبى‌الحديد، ج ۱۵، ص ۱۱۸.

[۲۳۸] (۲).« مُدغل» بمعنى المفسد والمثير للفتنة من مادة« دغل» بمعنى الفتنة والفساد.

[۲۳۹] (۳).« هوى» من« الهُوِىّ» بضم الهاء وتشديد الياء، وهى فى الأصل السقوط من مرتفع، وبما أنّ نتيجته الهلكةوالموت، فلذلك تطلق هذه المفردة على الهلكة أيضاً.

[۲۴۰] (۱).« نعشنا» من مادة« نعش» بمعنى رفع الشىء، ويقال للتابوت نعش الميت لأنّه مرتفع عن الأرض أو أنّه مرفوع‌على الأيدى، والمراد من الجملة أعلاه أنّ الأشخاص الذين يعيشون الذلة والمهانة أضحوا بالإسلام وفى ظل الإيمان أعزاء.

[۲۴۱] (۱). سورة النصر، الآيات ۱- ۳.

[۲۴۲] (۱). سورة التوبة، الآية ۱۰۰.

[۲۴۳] (۱). الجدير بالذكر أنّ القراءة المشهورة أن تقرأ كلمة الأنصار بالكسر لأنّها عطف على المهاجرين لا بالضمة على‌أساس أنّها عطف على السابقين.

[۲۴۴] (۱). سورة التوبة، الآية ۱۰۰.

[۲۴۵] (۲). سورة الجمعة، الآية ۳.

[۲۴۶] (۳). سورة الحشر، الآية ۱۰.

[۲۴۷] (۴). أوردنا بحثاً كافياً فى موضوع تنزيه الصحابة فى التفسير الأمثل، ذيل الآية ۱۰۰ من سورة التوبة تحت عنوان: هل أنّ جميع الصحابة صالحون؟ وكذلك فى ذيل الخطبة الشقشقية الخطبة الثالثة من نفحات الولاية، ج ۱، تحت عنوان« هل أنّ جميع الصحابة

سلكوا طريق رسول اللَّه عليه السلام؟» وكذلك فى هذا الجزء من شرح نهج‌البلاغة، وللمزيد من الاطلاع يمكنكم مراجعة كتاب« الشيعة تجيب» فى بحث تنزيه الصحابة.

[۲۴۸] (۱). سند الرسالة:

ذكر صاحب كتاب مصادر نهج‌البلاغة حول هذه الرسالة: إنّ ابن الميثم نقل هذه الرسالة فى شرح نهج‌البلاغة ولكن سياق كلامه يدلّ بوضوح على أنّه نقل هذه الرسالة من مصدر غير نهج‌البلاغة، وكذلك نقل بعض مقاطع هذه الرسالة أبوهلال العسكرى فى كتاب الصناعتين والباقلانى فى إعجاز القرآن والسيّد أمير يحيى العلوى فى كتاب الطراز، ومع الالتفات إلى التفاوت الموجود بين هذه المنقولات يتبين وجود مصادر غير نهج‌البلاغة(مصادر نهج‌البلاغة، ج ۳، ص ۲۴۱).

[۲۴۹] (۱).« مغرس» فى الأصل بمعنى محلّ غرس الأشجار. ثم اطلق على محل ظهور كلّ شىء.

[۲۵۰] (۲).« حادث» صيغة أمر من« المحادثة» بمعنى المراقبة والتحقيق وإزالة الصدأ، يعنى غسل القلوب وتطهيرها من درن الأحقاد ورسوبات النزاعات السابقة.

[۲۵۱] (۳). سورة فصلت، الآيتان ۳۴ و ۳۵.

[۲۵۲] (۱). نهج‌البلاغة، الكلمات القصار، ۱۵۸.

[۲۵۳] (۲).« تنمّر» بمعنى الغضب الشديد وسوء المعاملة، من مادة« نمر» على وزن« كبد» وهو الحيوان المعروف.

[۲۵۴] (۳).« وغم» وهذه المفردة تأتى بمعنى الحرب وكذلك بمعنى الحقد.

[۲۵۵] (۴).« ماسّة» بمعنى القريبة والحميمة من مادة« مسّ» وهو إتصال الأبدان.

[۲۵۶] (۵).« مأزورون» بمعنى المذنبون من مادة« وزر» وهو الذنب.

[۲۵۷] (۱).« أربع» من« الربوع» بمعنى المداراة وضبط النفس.

[۲۵۸] (۲).« يفيل» من مادة« فيل» على وزن« ميل» بمعنى الخطأ أو الضعف.

[۲۵۹] (۱). سند الرسالة:

نقلت هذه الرسالة فى الكتب والمصادر التاريخية قبل السيد الرضى، ومن جملة هذه المصادر ما أورده البلاذرى(المتوفى ۲۷۹) فى كتاب انساب الأشراف البلاذرى، وابن واضح(المعروف باليعقوبى المتوفى ۲۸۴) فى تاريخه مع تفاوت وإضافات يسيرة لما ورد فى نهج‌البلاغة(مصادر نهج‌البلاغة، ج ۳، ص ۲۴۲).

[۲۶۰] (۲). شرح نهج‌البلاغة لابن ميثم، ذيل الرسالة المذكورة.

[۲۶۱] (۱).« دهاقين» جمع« دهقان» وأصل هذه الكلمة فارسية« دهكان» أو« دهبان» بمعنى كبير القرية الرئيس، الزعيم، وأحياناً تطلق على كل فلاح، ولكن الأنسب فى العبارة أعلاه المعنى الأول، لأنّ الرؤساء وكبار القرية هم الذين يكتبون الشكاوى.

[۲۶۲] (۱).« جلباب» بكسر وفتح الجيم، ذكروا لهذه الكلمة معانٍ مختلفة فتارة تأتى بمعنى العباءة والملحفة، وأخرى‌المقنعة وغطاء الرأس، والثالثة الثوب الطويل والواسع، وفى الرسالة مورد البحث قصد بها الكناية، والمراد الغطاء واللباس المعنوى الذى يرتديه المدير والقائد لجماعة من الناس حيث يوصيه الإمام عليه السلام بلزوم التحلّى بحالة تقترن فيها الشدة باللين.

[۲۶۳] (۲).« داوِل» صيغة أمر من« المُداولة» بمعنى تحويل الأمر من شخص لآخر بإدارته وإدارة الأمر واستبدال شى‌ءبشى‌ء أو شخص بدل شخص آخر، والمراد من هذه المفردة من العبارة أعلاه أن تتعامل معهم أحياناً بالمودة والمحبة وأخرى بشى‌ء من القسوة والشدّة.

[۲۶۴] (۱). سورة الحجر، الآيتان ۴۹ و ۵۰.

[۲۶۵] (۱). سورة الممتحنة، الآية ۸.

[۲۶۶] (۱). سند الرسالة:

ذكر هـذه الرسالـة قبل السـيد الرضـى، البلاذرى فى كتاب انساب الأشـراف، واليعقوبى فى تاريخه(مع تفاوت يسـير) وقد أشار كتاب مصادر نهج‌البلاغة إلى الكتاب الأول ثم أضاف أنّ هذه الرسالة نقلها البيهقى فى المحاسن والمساوىء(مصادر نهج‌البلاغة، ج ۳، ص ۲۳۳).

[۲۶۷] (۱). سورة العنكبوت، الآية ۱۳.

[۲۶۸] (۱). سند الرسالة:

نقل هـذه الرسالة البلاذرى فى كتاب انساب الأشـراف، وفى الحقيقـة أنّ ما ذكره السـيد الرضـى فى نهج‌البلاغة يعتبر قسـماً من رسالة مطولّـة أرسـلها الإمام عليه السـلام لزياد بن أبيه، وقـد أورد كتاب مصادر نهج‌البلاغة هذا المصدر فقط للرسالة(مصادر نهج‌البلاغة، ج ۳، ص ۲۳۳).

ونقلها ابن أبى‌الحديد فى شرح نهج‌البلاغة ذيل الرسالة ۴۴ عن البلاذرى فى أنساب الأشراف مع اختلافات عدّة، وبما أنّ هذا التفاوت كبير نسبياً فمن البعيد حمله على اختلاف النسخ، ولعلّ ابن أبى‌الحديد كان يملك مصدراً آخر لهذه الرسالة حيث نقلها بكلّ تفاصيلها وشرحها.

[۲۶۹] (۱). نقل المرحوم الحرّ العاملى صاحب كتاب وسائل الشيعة فى الجزء الأول، الباب ۱۰۲ فى آداب الحمام روايات كثيرة حول كيفيـة الاسـتفادة من أنواع الـدهون لتسبيـط الشـعر وتنعيم الوجه والبـدن بمـا كـان متـداولًا فى ذلك الزمان ومسـتحباتها ومكروهاتها، ويستفاد من تعبير الإمام عليه السلام فى التعبير أعلاه أنّ الإكثار من استخدام هذه الدهون كان مسلك الأشراف والأثرياء والمترفين فى ذلك العصر.

[۲۷۰] (۲). ذكر هذا المضمون البلاذرى فى انساب الأشراف، وابن أبى‌الحديد فى شرح نهج‌البلاغة(ج ۱۶، ص ۱۹۶).

[۲۷۱] (۳). بحار الأنوار، ج ۷۱، ص ۳۴۶.

[۲۷۲] (۱). سورة البقرة، الآية ۱۱۰.

[۲۷۳] (۲). سورة الحشر، الآية ۱۸.

[۲۷۴] (۱). غرر الحكم، ح ۲۶۰۹.

[۲۷۵] (۲). المصدر السابق، ح ۲۸۹۸.

[۲۷۶] (۳). الكافى، ج ۲، ص ۳۱۰.

[۲۷۷] (۴).« المتمرّغ» هو الشخص الذى اضطجع على التراب وألصق بدنه به، من« التمرّغ». بمعنى التقلّب فى التراب.

[۲۷۸] (۵).« ارْمَلَة» المرأة التى توفى زوجهـا، و« ارْمَل» الرجـل الـذى توفيت زوجته، وتـأتى أحياناً بمعنى فقـدان الزاد والمتاع، وفى الأصـل بمعنى« رمل» وكأنّ مثل هؤلاء الأشـخاص ولشـدّة عجزهم وفقرهم وحاجتهم التصـقوا بالأرض وبالرمل، وتطلق مفردة« أرامل» على المساكين أيضاً.

[۲۷۹] (۱). سورة الزلزال، الآيتان ۷ و ۸.

[۲۸۰] (۱). شرح نهج‌البلاغة لابن أبى‌الحديد، ج ۱۵، ص ۱۳۹، ذيل الكتاب ۲۱.

[۲۸۱] (۱). سند الرسالة:

يقول صاحب كتاب مصادر نهج‌البلاغـة: إنّ هـذه الرسالـة وردت فى روايات متواترة، وقـد نقلها كثيرون قبل السـيد الرضـى وبعده فى كتبهم، ومن الأشـخاص الـذين نقلوا هـذه الرسالة قبل السـيد الرضـى، نصـر بن مزاحم فى كتابه صـفين، والمرحوم الكلينى فى روضـة الكافى والبلاذرى فى انساب الأشـراف واليعقوبى فى تاريخه وبعـد المرحوم السـيّد الرضـى جماعـة أخرى أيضاً، ويسـتفاد من مجموع ذلك أنّ هذه الرسالة مشهورة ومعتبرة جدّاً(مصادر نهج‌البلاغة، ج ۳، ص ۲۳۴).

[۲۸۲] (۱). سورة الحديد، الآية ۲۳.

[۲۸۳] (۱).« درک» وردت هذه الكلمة فی أكثر نسخ نهج‌البلاغة« دَرَک» علی وزن« سَنَد» ولكن وردت فی بعض النسخ« دَرْک» علی وزن« عَدْل» وكليهما يقصد بهما معنی واحد وهو تحصيل الشیء ونيل المراد.

[۲۸۴] (۲). سورة النجم، الآية ۳۹.

[۲۸۵] (۱). نهج‌البلاغة، الكلمات القصار ۱۰۵.

[۲۸۶] (۱). سند هذا الكلام: ذكر هذه الوصية المرحوم الكلينی فی كتاب الكافی مع بعض التفاوت وقال: عندما ضُرب الإمام عليه السلام بالسيف فی محرابه، تجمّع بعض المصلين حول فراشه فقال أحدهم: ياأميرالمؤمنين عليه السلام أوصنا، فقال: اتونی بوسادة لأتكیء عليها ثم تحدّث بكلام معروف ومذكور فی المصادر وقد أورد السيد الرضی قسماً منه.

وأورد قسماً من هذه الوصية المسعودی فی مروج الذهب وكذلک فی كتاب إثبات الوصية وابن عساكر فی تاريخه، الحوادث التی تتعلق باستشهاد الإمام علی عليه السلام.

[۲۸۷] (۱). سورة النور، الآية ۲۲.

[۲۸۸] (۱). سورة القصاص، الآية ۱۷۹.

[۲۸۹] (۱). سورة البقرة، الآية ۱۷۹.

[۲۹۰] (۱). نهج‌البلاغة، الكتاب ۴۷.

[۲۹۱] (۲). كمال الدين وتمام النعمة: ۶۶، كفاية الأثر: ۱۵.

[۲۹۲] (۱). سند الوصيّة: طبقاً لما ورد فی مصادر نهج‌البلاغة أنّ الشيخ الكلينی نقل هذه الوصية فی كتاب فروع الكافی، ج ۷، ص ۴۹ عن عبدالرحمن بن الحجاج(ولكن ما ورد فی الكافی يختلف كثيراً عمّا أورده السيد الرضی فی نهج‌البلاغة) ونقلها الشيخ الطوسی بعد الشريف الرضی فی كتاب التهذيب.(مصادر نهج‌البلاغة، ج ۳، ص ۲۵۴).

ويستفاد من كتاب نهج‌البلاغة أنّ هذه الوصية أكثر بكثير ممّا أورده السيد الرضی، وفی الحقيقة أنّ ما ورد فی نهج‌البلاغة يعتبر مقطعاً صغيراً من هذه الوصية، ولكن هذا المقطع عميق فی المعنی ودقيق فی العبارات والمضمون.(ولمزيد من الاطلاع انظر كتاب نهج‌البلاغة، ص ۹۸۸).

[۲۹۳] (۱). إنّ الرواية المذكورة فی كتاب الكافی بدل هذه الرواية تشير إلی أنّ التفسير الثانی أنسب، لأنّ المذكور فی الكافی:« وَإنْ حَدَثَ بِحَسَنٍ حَدَثٌ وَحُسَيْنٌ حَيٌّ ... وَإنَّ حُسَيْناً يَفْعَلُ فيهِ مِثْلَ الّذی أمَرتُ بِهِ حَسَناً» ومفهومه أنّ الإمام الحسين عليه السلام يسلک فی إجراء هذه الوصية بالنسبة للوقف، ذات البرنامج والمنهج الذی يسلكه الإمام الحسن عليه السلام.(الكافی، ج ۷، ص ۵۰).

[۲۹۴] (۱). شرح نهج‌البلاغة لابن أبی‌الحديد، ج ۱۵، ص ۱۴۹.

[۲۹۵] (۲). وللمزيد من الاطلاع راجع فروع الكافی، ج ۷، ص ۵۰.

[۲۹۶] (۱). عبارة« أطوف عليهن» تعبير كنائی جميل للمواقعة الجنسية، لأنّه يفهم من كلمة الطواف نوع من الإلتواء والدوران وعندما تأتی هذه الكلمة مع علی يقصد بها الدروان حول الشیء وخاصة أنّ هذا التعبير طبقاً لما ذكره لسان العرب يستخدم عادة فی الحركات الليلة، وإذا كان القصد منها الحركة فی النهار لابدّ من المجیء بقرينة.

[۲۹۷] (۱). بحار الأنوار، ج ۴۱، ص ۳۲، ح ۳.

[۲۹۸] (۱). وللمزيد من الاطلاع انظر: تفسير الأمثل، ذيل آيات ۱- ۳ من سورة محمّد.

[۲۹۹] (۱). الاستيعاب، ج ۳، ص ۱۱۲۶.

[۳۰۰] (۱). شرح نهج‌البلاغة لابن أبی‌الحديد، ج ۱۵، ص ۱۴۶.

[۳۰۱] (۱). بحارالأنوار، ج ۱۰۰، ص ۱۸۲، ح ۴، والآيات ۵- ۷ من سورة الليل.

[۳۰۲] (۲). وسائل الشيعة، ج ۱۳، كتاب الوقوف والصدقات، باب ۱، ح ۱۰.

[۳۰۳] (۱). سند الوصيّة:

نقل هذه الرسالة بسند معتبرة المرحوم الكلينى فى كتابه الكافى فى باب« آدب المصّدّق» من كتاب الزكاة، وكذلك شيخ الطائفة الشيخ الطوسى فى باب« الزيادات فى الزكاة» بنفس سند الكلينى، ونقلها صاحب كتاب الغارات(إبراهيم الثقفى) بسنده عن الإمام الصادق عليه السلام. يقول صاحب كتاب مصادر نهج‌البلاغة: إنّ هذه الوصية كانت معروفة بين العلماء قبل السيد الرضى ومن جملة الأشخاص الذين أشاروا إليها الشيخ المفيد فى المقنعة. ثم أضاف: من الأشخاص الذين نقلوها بعد السيد الرضى ابن إدريس فى السرائر عن المقنعة، والزمخشرى فى ربيع الأبرار مع تفاوت يسير(مصادر نهج‌البلاغة، ج ۳، ص ۲۵۷).

[۳۰۴] (۱). مصادر نهج‌البلاغة، ج ۳، ص ۲۵۸.

[۳۰۵] (۱).« لا- تروعنّ» من مادة« روع» على وزن« قول» بمعنى الخوف والرعب، وذهب بعض العلماء إلى أنّ« روع» ربّماتعنى شدّة الخوف.

[۳۰۶] (۲).« تجتازنّ» من« الإجتياز» وتعنى العبور.

[۳۰۷] (۱).« حىّ» تأتى أحياناً بمعنى ذى الروح، وأخرى بمعنى القبيلة، لأنّ مجموع القبيلة بمثابة الإنسان الحى‌الواحد، وتستعمل أيضاً فى اللغة المتداولة بمعنى المنطقة السكنية من المدينة.

[۳۰۸] (۱).« انْعَم» من« الإنعام» تأتى أحياناً بمعنى اعطاء النعمة، وأخرى بمعنى قول كلمة نعم، وفى الجملة موردالبحث جاءت بالمعنى الأخير، بقرينة الجملة ما قبلها:« فَإِنْ قالَ قائِلٌ لا».

[۳۰۹] (۲).« تَعْسِف» من مادة« عسف» على وزن« كسب» وفى الأصل بمعنى سلوك طريق المتاهة، ثم اطلق على الظلم والجور، لأنّه مصداق سلوك طريق المتاهة.

[۳۱۰] (۳).« ترهق» من« الإرهاق» وأصلها من مادة« رهق» على وزن« شفق» وهى فى الأصل بمعنى التغطية أو تغطية الشىء بالقوة والغلبة، وتأتى فى كثير من الموارد بمعنى التعسير والأخذ بشدّة، وفى الجملة مورد البحث جاءت بهذا المعنى.

[۳۱۱] (۱). سورة التوبة، الآية ۱۰۴.

[۳۱۲] (۱). بحار الأنوار، ج ۹۳، ص ۸۵.

[۳۱۳] (۲). المصدر السابق.

[۳۱۴] (۳). المصدر السابق.

[۳۱۵] (۱). الكافى، ج ۳، ص ۵۴۰، ح ۸.

[۳۱۶] (۱).« ماشية» فى الأصل الطريق الذى يُسار عليه، من مادة« مشى»، ثم اطلقت على الدواب والأنعام من الإبل والبقر والغنم، ولكن تطلق غالباً على الأغنام وجمعها مواشى، وفى العبارة مورد البحث المقصود منها البقر والغنم بقرينة ذكر الإبل بعدها.

[۳۱۷] (۲).« عنيف» بمعنى الخشن والصعب، من مادة« عنف» على وزن« قفل».

[۳۱۸] (۳).« لا تفزعنّ» من مادة« فزع» بمعنى خاف وارتعد، وعندما تأتى من باب إفعال تكون متعدّية وتعنى التخويف والترهيب.

[۳۱۹] (۴).« اصدع» من مادة« صدع» على وزن« صبر» وتعنى الشق والفصل بين شيئين، وهذه المفردة« صدع» تأتى اسم‌مصدر وتعنى القسم المنفصل عن الشىء.

[۳۲۰] (۱).« استقال» من« الإستقالة» بمعنى طلب فسخ العقد أو ما اتفق عليه، وأصلها من القيلولة وهو النوم القليل فى‌وسط النهار للاستراحة، وبما أنّ الإنسان عندما يندم على عقد معين فإذا فسخه وألغاه فربّما يؤدى ذلك إلى امتعاضه وتأثره فاستخدمت كلمة«

إقالة» والمطالبة بهذا العمل يدعى« استقالة».

[۳۲۱] (۱). انظر: جواهر الكلام، ج ۱۵، ص ۱۶۰.

[۳۲۲] (۲).« مهلوسة» من« الهُلاس» على وزن« غبار» و« هَلْس» على وزن« درس» بمعنى مرض السل، وعلى ضوء ذلك فإنّ« مهلوس» هو الحيوان المبتلى بهذا المرض، ولكن تارة يراد بهذه المفردة كل نوع من المرض، ويذهب بعض أرباب اللغة إلى أنّ« هلاس» تعنى الأمراض التى تسبب الضعف والنحافة فى البدن، وبما أنّ مرض السل الذى يصيب الإنسان يجعله نحيفاً وضعيفاً فاطلقت هذه الكلمة على هذا المرض.

[۳۲۳] (۳).« عَوار» من مادة« عار» و« عور» على وزن« غور» بمعنى العيب والنقص، وبما أنّ اظهار العضو التناسلى يعد عيباً للشخص فاطلقت كلمة« عورة» على هذا العضو، وتطلق هذه المفردة أيضاً على الدار غير المصبوغة واللباس المعيوب.

[۳۲۴] (۱). انظر: جواهر الكلام، ج ۱۵، ص ۱۳۵.

[۳۲۵] (۲). سورة آل عمران، الآية ۹۲.

[۳۲۶] (۳). سورة محمد، الآية ۳۷.

[۳۲۷] (۱).« مُعنف» من مادة« عنف» على وزن« قفل» وتعنى أخذ الشيء بشدة وعنف.

[۳۲۸] (۲).« مُجحف» من« الإجحاف» وأصله من« جحف» على وزن« حرف» بمعنى الإصرار على إضرار الطرف المقابل.

[۳۲۹] (۳).« مُلغب» من« اللغوب» وتعنى التعب والإرهاق، وعندما تأتى من باب إفعال تكون متعدية وتعنى إتعاب الآخر.

[۳۳۰] (۴).« مُتعب» من مادة« تعب» ومعناها واضح، ولكن إذا جاءت من باب إفعال فإنّها تكون متعدّية وبمعنى إتعاب الآخر، وهى قريبة المعنى من« ملغب»؛ ولكن ذهب بعض إلى أنّ« لغوب» تعنى التعب النفسى والارهاق الروحى فى حين أنّ التعب يقصد به ما يشمل التعب البدنى أيضاً.

[۳۳۱] (۱).« احدُرْ» من مادة« حدر» على وزن« حرف» بمعنى التحرك بسرعة، وكذلك تعنى جرّ الشيء من الأعلى إلىالأسفل، وهنا المراد بها المعنى الأول يعنى جمع زكاة الحيوانات والإتيان بها بسرعة إلينا لنوصلها إلى المستحقّين.

[۳۳۲] (۲).« اوعِز» من مادة« وعز» على وزن« وعظ» بمعنى الاقتراح والتوصية لآخر بعمل معين.

[۳۳۳] (۳).« فصيل» بمعنى ولد الإبل الذى فطم عن الرضاع، ومن مادة« فصل» وهو فصل الطفل عن امّه فى الارتضاع، ولكن مع الالتفات إلى أنّ الإمام عليه السلام أمر بعد هذه الجملة أن لا يحلب جميع ما فى الضرع من اللبن لينتفع به الفصيل، فيستفاد من ذلك أنّ المقصود من الفصيل هنا ولد الناقة الذى على وشك أن يفصل ويفطم ولكنّه لحدّ الآن لم يفطم(وعلى حدّ تعبير الادباء هو مجاز بعلاقة الأوّل والمشارفة).

[۳۳۴] (۱).« لا يمصر» من مادة« مصر» على وزن« نصر» بمعنى حلب جميع ما فى الضرع من اللبن.

[۳۳۵] (۲).« يَسْتأنِ» من مادة« أنْى» على وزن« امر» وتعنى الإمهال، وعندما تأتى من باب الاستفعال فتعنى الانتظار والمداراة.

[۳۳۶] (۳).« نقب» هو الجمل الذى يصعب عليه المشى لتهرؤ باطن خفّه.

[۳۳۷] (۴).« ظالع» من مادة« ظَلع» على وزن« زرع» وتعنى الناقة العرجاء.

[۳۳۸] (۵).« غُدر» جمع« غدير» تعنى بركةالماء.

[۳۳۹] (۶).« جوادّ» جمع« جاده» تعنى الطريق الواسع.

[۳۴۰] (۷).« نطاف» جمع« نطفه» بمعنى الماء الزلال.

[۳۴۱] (۸).« الاعْشاب» جمع« عُشب» على وزن« قفل» بمعنى النباتات الخضراء.

[۳۴۲] (۹).« بُدّن» جمع« بادن» بمعنى الحيوان البدين.

[۳۴۳] (۱۰).« مُنقيات» جمع« مُنقية» بمعنى الحيوان الكثير الدسم.

[۳۴۴] (۱). وسائل الشيعة، ج ۸، أبواب أحكام الدواب، باب ۹، ص ۳۵۰، ح ۱.

[۳۴۵] (۲). الكافى، ج ۶، ص ۵۳۷، ح ۱.

[۳۴۶] (۳). المصدر السابق، باب ۱۰، ص ۳۵۳، ح ۹.

[۳۴۷] (۱). كنزالعمال، ح ۴۳۶۹۵؛ وسائل‌الشيعة، باب ۵۳ من أحكام الدواب. ص ۳۹۷.

[۳۴۸] (۲). تهذيب الأحكام، ج ۴، ص ۱۶۴، ح ۴.

[۳۴۹] (۱). سند الرسالة:

طبقاً لما أورده القاضى النعمان المصرى(المتوفى ۳۶۳) فى كتاب دعائم الإسلام، أنّ الإمام عليه السلام كتب هذه الرسالة إلى« مخنف بن سلَيم الازدى» أحد قادة جيشه، وما ذكره القاضى النعمان فى كتابه المذكور يعتبر متناً مختصراً بالنسبة لما أورده السيد الرضى فى نهج‌البلاغة، والحاج النورى فى كتابه مستدرك الوسائل فى كتاب الزكاة الباب ۱۲ الحديث ۳، والظاهر أنّ مؤلف كتاب مصادر نهج‌البلاغة لم ينقل عن مصدر آخر قبل السيد الرضى غير هذين المصدين.

[۳۵۰] (۱). بحار الأنوار، ج ۶۹، ص ۲۰۷.

[۳۵۱] (۲). المصدر السابق، ص ۲۰۶، ح ۷.

[۳۵۲] (۱).« بؤسى» يعنى شدّة المحنة وسوء الحالة وتكون ناتجة أحياناً من الفقر وأحياناً بسبب عوامل أخرى، وهذه‌الكلمة من قبيل« بأساء» و« وبؤس» على وزن« قفل».

[۳۵۳] (۲).« مدفوعون» يعنى الأشخاص الذين منعوا عن حقّهم.

[۳۵۴] (۱).« رَتَعَ» من مادة« رتع» على وزن« فتح» بمعنى تناول الطعام والشراب الكثير وخاصة فى فصل الربيع وفى‌القرى والأرياف، ولكن المعنى الواسع للكلمة يطلق على كل أكل وشرب حتى ما أكلت الحيوانات فى الصحراء، ومن هنا اطلقت كلمة مرتع على المناطق التى يكثر فيها علف المواشى.

[۳۵۵] (۲).« أَحَلَّ» من« الحلول» بمعنى الدخول، وعندما تأتى من باب إفعال فتعنى إدخال.

[۳۵۶] (۱).« أَفظع» من« الفظاعة» بمعنى القبيح جدّاً.

[۳۵۷] (۲).« الغش» تأتى أحياناً بكسر العين وأخرى بفتحها، فعندما تأتى بكسر العين تكون اسم مصدر وتعنى الخداع والحيلة والخيانة، وإذا جاءت بفتح العين فتكون مصدراً وتعنى عمل الخيانة والمكر.

[۳۵۸] (۱). وسائل الشيعة، ج ۶، ص ۴، باب ۱، ح ۶، من أبواب الزكاة.

[۳۵۹] (۲). الكافى، ج ۲، ص ۱۰۴، ح ۱.

[۳۶۰] (۳). الأمالى، الشيخ الصدوق، ص ۳۰۰، ح ۶.

[۳۶۱] (۴). الكافى، ج ۲، ص ۱۰۴، ح ۲.

[۳۶۲] (۱). سند الرسالة:

ذكر صاحب كتاب مصادر نهج‌البلاغة أنّ هذا العهد نقله قبل السيد الرضى، إبراهيم بن هلال الثقفى فى كتابه الغارات وابن شعبة الحرانى صاحب كتاب تحف العقول فى كتابه هذا، ونقله بعد السيد الرضى الشيخ الطوسى فى الإمالى والطبرى فى بشارة المصطفى وآخرون.(مصادر نهج‌البلاغة، ج ۳، ص ۲۶۵).

ويستفاد من كتاب الغارات وكتاب نهج‌البلاغة الكامل أنّ هذا العهد المطول أكثر بكثير ممّا أورده السيد الرضى، حيث اقتصر السيد الرضى على نقل مقطع خاص منه.

[۳۶۳] (۱). الغارات، ص ۲۵۱؛ وهذا الكلام نقله ابن أبی‌الحدید بشكل مختصر فی شرحه لنهج البلاغة(ج ۶، ص ۷۹) وصاحب كتاب نهج‌البلاغة الكامل، در ص ۹۰۳، بعد ذكره لهذا العهد بشكل كامل.

[۳۶۴] (۱). سورة الشعراء، الآیة ۲۱۵.

[۳۶۵] (۱).« أَلِنْ» من« اللین» علی وزن« حین» بمعنی السهولة.

[۳۶۶] (۲). سورة آل عمران، الآیة ۱۵۹.

[۳۶۷] (۳). سورة آل عمران، الآیة ۱۵۹.

[۳۶۸] (۴).« آس» من« المواساة» وتعنی التساوی بین الأطراف من جمیع الجهات.

[۳۶۹] (۵).« لحظة» النظرة الخاطفة من زاویة العین، خلافاً ل« نظرة» التی تعنی النظر بجمیع العین، والعبارة أعلاه تشیر إلی أنّ الحاكم لیس فقط یساوی بین الرعیة بالنظر المباشر وبجمیع العین، بل حتی باللحظات وبطرف العین.

[۳۷۰] (۶).« حیف» الانحراف عن الحق والظلم والجور، سواء فی مقام القضاء أو الحكم أو فی الأمور الأخری.

[۳۷۱] (۷). الضمیر فی« لهم» یعود إلی« العظماء» والجملة تعنی أنّ الأقویاء لا- ینبغی أن یطمعوا فی حكمك لصالحهم‌علی حساب حقوق الآخرین وظلم الرعیّة، وأمّا عودة الضمیر إلی« الرعیّة» فبعید جدّاً لأنّ« اللام» ینبغی أن تكون بمعنی علی، مضافاً إلی أنّ كلمة« الرعیّة» و« ضعفاء» لم تردا فی العبارات السابقة لتسویغ عودة الضمیر علیهما، ولو كان المقصود ما ورد فی بدایة الرسالة فستكون الفاصلة بعیدة.

[۳۷۲] (۸). ضمیر« علیهم» یعود إلی« ضعفاء» و« علی» جاءت هنا بمعنی اللام، یعنی أنّ الضعفاء لا- ییأسون من مراعاة العدالة فی حقوقهم، وجاء فی بعض النسخ حرف الباء بدلًا من« علی» وهو أنسب ظاهراً.

[۳۷۳] (۱). الكافی، ج ۷، ص ۴۱۳، ح ۳.

[۳۷۴] (۱). الضمیر فی« لَمْ یُشارِكُوا» یعود إلی المتقّین، ومفهوم الجملة أنّ المتقّین فی الآخرة لا- یشاركون فی عذاب أهل الدنیا والمجرمین، ولكن ورد فی بعض النسخ وكذلك النسخة المصححة لنهج البلاغة« لَمْ یُشارِكْهُم» وهی أكثر تناسباً مع المضمون، وتعنی أنّ أهل الدنیا لا یشاركون فی الآخرة المتقین فی نعیمهم فی حین أنّ أهل الدنیا یشتركون مع المتقین فی دنیاهم بشكل معقول.

[۳۷۵] (۱).« مُتْرَف» تعنی، كما تقدّم فی شرح الرسالة ۱۰، الأثریاء المغرورین الذین یعیشون حالة الطغیان.

[۳۷۶] (۱).« المبلّغ» تعنی فی الجملة الزاد والمتاع الذی یوصل الإنسان إلی مقصده وهو من« البلوغ» بمعنی الوصول.

[۳۷۷] (۲).« جیران اللَّه» كنایة عن علوّ المقام، لأنّ اللَّه تعالی لیس له دار خاصّة لیكون له جیران، فالعبارة تشیر إلی القرب المعنویّ من اللَّه تعالی.

[۳۷۸] (۳). سورة یس، الآیة ۵۷.

[۳۷۹] (۴). سورة فصلت، الآیة ۳۱.

[۳۸۰] (۱).« خطب» بمعنی الحادثة المهمّة، ولكن تأتی غالباً للحوادث المؤلمة.

[۳۸۱] (۱). سورة التوبة، الآیة ۱۰۲.

[۳۸۲] (۱). سورة هود، الآیات ۱۰۵- ۱۰۸.

[۳۸۳] (۲). بحار الأنوار، ج ۶، ص ۱۵۴.

[۳۸۴] (۳). شرح نهج‌البلاغة لابن أبی‌الحدید، ج ۱۵، ص ۱۶۶.

[۳۸۵] (۱).« طرداء» جمع« طرید» وقیل إنّها جمع« طریدة» من« الطرد» بمعنی الإبعاد، وتأتی للشخص المحكوم بالنفی‌والتبعید عن المنطقة، أو الصید الذی یتبعه الصیاد ولا یزال یبعده عن مكانه الأصلی.

[۳۸۶] (۲).« نواصی» جمع« ناصیة» بمعنی الشعر فی مقدم الجبین(ولا تعنی الجبین نفسه) وذکر بعض أرباب اللغة وهم قلة أنّ« ناصیة» تعنی القسم المقدّم من الرأس أو الشعر، وبعضهم ذهب إلی أنّ الأصل فیها مقدّم الرأس والشعر فی مقدم الرأس یطلق علیه ناصیة بمناسبة نموّه علی هذا القسم المقدّم، ولکن موارد استعمال هذه الکلمة فی القرآن الکریم یشیر بوضوح إلی أنّ المعنی الأول أنسب، لأنّ الوارد فی القرآن فی الکثیر من الأدعیة استعمال کلمة الناصیة بهذا المعنی وخاصة مع کلمة أخذ، ومعلوم أنّ ما یمکن أخذه والامساک به هو الشعر فی مقدم الرأس بحیث یضطر صاحبه للتسلیم والاذعان لا الجبین نفسه الذی لا یمکن الامساک والأخذ به، وضمناً فقد وردت عبارة الأخذ بالناصیة فی کثیر من الموارد کنایة عن التسلط علی الطرف المقابل.

[۳۸۷] (۱). سورة النساء، الآیة ۷۸.

[۳۸۸] (۲). سورة الرحمن، الآیة ۴۱.

[۳۸۹] (۱). منهاج البراعة، ج ۱۹، ص ۸۹ ومثله فی المعنی ورد فی عوالی اللئالی، ج ۱، ص ۲۸۰.

[۳۹۰] (۲). بحار الأنوار، ج ۸، ص ۲۸۸، ح ۲۱.

[۳۹۱] (۳). سورة النساء، الآیة ۵۶.

[۳۹۲] (۱). سورة غافر، الآیة ۴۹ و ۵۰.

[۳۹۳] (۲). سورة الزخرف، الآیة ۷۷.

[۳۹۴] (۳). سورة فاطر، الآیة ۳۷.

[۳۹۵] (۱). الکافی، ج ۲، ص ۶۷، باب الخوف والرجاء، ح ۱.

[۳۹۶] (۱). شرح نهج‌البلاغة لابن أبی‌الحدید، ج ۱۵، ص ۱۶۷.

[۳۹۷] (۱).« محقوق» من مادة« حق» تعنی فی هذا المورد الجدیر واللائق.

[۳۹۸] (۱).« تنافح» من« المنافحة» بمعنی الدفاع عن الشیء، وأصله من« نفح» علی وزن« فتح» التی تأتی دائماً بمعنی‌النسیم الملائم والرائحة العطرة، وأحیاناً أخری بمعنی دفع الشیء، وجاءت« منافحة» بهذا المعنی.

[۳۹۹] (۱). الکافی، ج ۲، ص ۵۷، ح ۲.

[۴۰۰] (۲). بحار الأنوار، ج ۷۴، ص ۱۵۶، ح ۱۳۲.

[۴۰۱] (۱). الکافی، ج ۳، ص ۲۶۸، باب من حافظ علی صلاته، ح ۴.

[۴۰۲] (۲). المصدر السابق.

[۴۰۳] (۱).« الردی» من مادة« ردی» علی وزن« رأی» بمعنی الهلکة أو السقوط من مرتفع، المقترن مع الهلکة.

[۴۰۴] (۱). سورة القصص، الآیة ۴۱.

[۴۰۵] (۲).« یقمع» من مادة« قمع» علی وزن« منع» بمعنی التغلب علی الطرف المقابل وإذلاله وکبته.

[۴۰۶] (۳).« جَنان» بفتح الجیم تعنی القلب، و« جِنان» جمع« جِنة» بمعنی البستان والزاهر والحدیقة الغناء، وکلّها تعود فی الأصل لکلمة« جن» علی وزن« فن» بمعنی المغطی والمختفی، وبما أنّ القلب یختفی فی باطن الصدر، وأرض بستان تختفی تحت الأشجار الباسقة فاطلقت هذه الکلمة علی هذه الموارد.

[۴۰۷] (۱). سورة القصص، الآیة ۵۰.

[۴۰۸] (۲). سورة البقرة، الآیة ۱۰۵.

[۴۰۹] (۱). سورة الاسراء، الآیة ۶۰.

[۴۱۰] (۱). سورة القدر، الآیة ۳.

[۴۱۱] (۱). سورة التوبة، الآية ۳۲.

[۴۱۲] (۲). سورة الأحزاب، الآية ۵.

[۴۱۳] (۱). هذا الشعر ل« عبداللّه بن زبعراء» الذى كان من ألد أعداء رسول اللّه صلى الله عليه و آله وأنشد هذا الشعر مع أشعار أخرى يوم احد بعد استشهاد طائفة من المسلمين من قبيلة الخزرج، وقد أنشده يزيد فى حادثة كربلاء ومقصوده أنّ بنى امية ليتهم كانوا أحياء ليسمعوا بكاء وعويل أهل البيت وذرارى الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه.

وقد نقل الطبرى فى تاريخه أبياتاً أخرى ليزيد فى رسالة المعتضد العباسى رغم أنّ ابن أبى‌الحديد حذف منه بعض الأبيات منها:

فَاهَلّوا وَاسْتَهَلّوا فَرَحاًثُمَّ قالُوا يا يَزيدُ لا تَشَلْ

لَعِبَتْ هاشِمُ بِالْمُلْكِ فَلاخَبَرٌ جاءَ وَلا وَحْىٌ نَزَلْ [۴۱۴] (۲). سورة الأحزاب، الآية ۶۴.

[۴۱۵] (۱). سورة البقرة، الآية ۱۵۹.

[۴۱۶] (۲). تاريخ الطبرى، ج ۸، ص ۱۸۲- ۱۸۹ و شرح نهج‌البلاغة لابن أبى‌الحديد، ج ۱۵، ص ۱۷۳- ۱۸۰.

[۴۱۷] (۱). سند الرسالة:

يقول مؤلف كتاب مصادر نهج‌البلاغة(المرحوم السيّد عبد الزهراء الحسينى الخطيب): إنّ هذه الرسالة من الرسائل الشهيرة للإمام على عليه السلام والنص بليغ إلى درجة أنّه يغنينا عن البحث فى سندها(وبديهى أنّ مثل هذا النص لا يصدر من غير الإمام) مضافاً إلى أنّ ابن اعثم الكوفى الذى كان يعيش قبل السيد الرضى ذكر هذه الرسالة فى كتابه الفتوح مع بعض الإضافات.(مصادر نهج‌البلاغة، ج ۳، ص ۲۷۸)، وفى مكان آخر يقول بالنسبة لهذه الرسالة: وقد نقلها بعض الكتّاب قبل السيد الرضى مع بعض التفاوت من مصادر آخرى غير نهج‌البلاغة، منهم القلقشندى فى كتاب صبح الأعشى والنويرى فى نهاية الارب(المصدر السابق، ص ۲۷۵).

[۴۱۸] (۱).« طفقت» من مادة« طفق» على وزن« طبق» بمعنى الابتداء بعمل معين والشروع به.

[۴۱۹] (۲).« بلاء» يعنى الامتحان والاختبار، وبما أنّ البلاء يأتى أحياناً بواسطة النعمة، وأخرى بواسطة المصيبة، هذه المفردة تأتى بمعنى النعمة والمصيبة كليهما، وفى الجملة مورد البحث جاءت بمعنى النعمة.

[۴۲۰] (۳).« مسدِد» من مادة« سداد» على وزن« نهاد» يعنى المحكم والثابت القوى، ومن هنا اطلقت هذه الكلمة على السدّ لأنّه يمثّل جداراً ثابتاً وقوياً، ومسدد تعنى الشخص الذى يعلم الآخر الثبات والاستقامة.

[۴۲۱] (۴).« نضال» يعنى المجابهة بالرمى بين شخصين، ثم اطلقت على كلّ أشكال المبارزة والمجابهة والنزاع.

[۴۲۲] (۱).« ثَلْم» فى الأصل بمعنى الكسر والشق، ومعنى الاسم المصدرى لهذه المفردة هو الشق والعيب، ثم اطلقت على كل شكل من الاضرار والخسارة، وفى الجملة أعلاه وردت بمعنى الضرر والخسارة.

[۴۲۳] (۱).« حنّ» من« الحنين» بمعنى اطلاق الصوت بالتأوه من موقع الحزن.

[۴۲۴] (۲).« قدح» بمعنى السهم قبل أن يكتمل صنع رأسه المدبب.

[۴۲۵] (۱). اقتبس من بحار الأنوار، ج ۳۳، ص ۶۵.

[۴۲۶] (۲).« تَرْبَعُ» من مادة« ربع» على وزن« رفع» بمعنى التوقف والإنتظار، وجملة« ألا تَرْبَع» يعنى لماذا لا تتوقف‌وتترك الأمر.

[۴۲۷] (۳).« ظَلْع» بمعنى مشى الأعرج، وجملة« ارْبَعْ عَلى ظَلْعِكَ» مثل سائد بين العرب يقال للشخص الذى لا يستطيع عمل معين ويتجه عبثاً لتحقيقه، فيقال له اسكن ولا تتلف وقتك.

[۴۲۸] (۴).« ذَرْع» بمعنى فتح اليد والفاصلة بين اليدين، و« قُصُورِ ذَرْع» كناية عن الضعف والعجز.

[۴۲۹] (۱). ورد هذا الحديث(سبعين تكبيرة) بشكل إجمالى فى الكافى(ج ۳، ص ۱۸۶، باب من زاد على خمس تكبيرات، ح ۳)، ولكن ما ورد أعلاه من أنّ النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله صلّى أربعة عشر صلاة بأربعة عشر من الملائكة ورد فى شرح نهج‌البلاغة

لابن میثم.

[۴۳۰] (۲). شرح نهج‌البلاغة لابن أبی‌الحدید، ج ۱۵، ص ۱۹۳.

[۴۳۱] (۱). شرح نهج‌البلاغة للتستری، ج ۳، ص ۱۱۱؛ شرح نهج‌البلاغة لابن أبی‌الحدید، ج ۱۵، ص ۷۱.

[۴۳۲] (۲).« تَمَجُّ» من مادة« مج» علی وزن« حج» بمعنی قذف شیء من السوائل من الفم، ثم استخدمت هذه المفردة فی سماع الکلام غیر الملائم، والجملة أعلاه تعنی أنّ الآذان لا تمتنع ولا تأبی استماع هذه الفضائل بل تقبلها.

[۴۳۳] (۳).« رَمِیّة» بمعنی الصید الذی یناله الإنسان بالرمی، وجمعه« رمایا»، وجملة« مَنْ مالَتْ بِهِ الرَّمِیَّةُ» إشارة إلی الشخص الذی یطلب صیداً ویجعله ذلک الصید ینحرف عن مساره الأصلی وربّما یتیه فی الصحراء، فیقول الإمام علیه السلام بهذا الکلام لمعاویة إنّ أشخاصاً مثل عمرو بن العاص یطلبون صیداً من المقام والمال والجاه، ولذلک انحرفوا عن جادة الحق ولا- ینبغی أن تسلم زمام أمورک بید هؤلاء الظالمین.

[۴۳۴] (۱). سورة طه، الآیة ۴۱.

[۴۳۵] (۲). سورة طه، الآیة ۳۹.

[۴۳۶] (۱). عیون أخبار الرضا علیه السلام، ج ۲، ص ۱۸۴.

[۴۳۷] (۲). سفینة البحار، مادة حمزة.

[۴۳۸] (۳). المصدر السابق.

[۴۳۹] (۱). الإصابة، ج ۱، ص ۳۵۴.

[۴۴۰] (۲). اسد الغابة، ج ۲، ص ۴۸.

[۴۴۱] (۳). مکارم الأخلاق، ص ۲۸۰؛ بحار الأنوار، ج ۸۲، ص ۳۳۳، ح ۱۶.

[۴۴۲] (۴). الکافی، ج ۸، ص ۱۸۹، ح ۲۱۶(مع تلخیص یسیر).

[۴۴۳] (۱). سورة الملک، الآیة ۲۷.

[۴۴۴] (۲). الکافی، ج ۸، ص ۲۶۷، ح ۳۹۲.

[۴۴۵] (۳). شرح نهج‌البلاغة لابن أبی‌الحدید، ج ۱۵، ص ۷۲. ونقل هذا الحدیث ابن عساکر فی تاریخ دمشق، ج ۶، ص ۶۷.

[۴۴۶] (۱). مختصر تاریخ دمشق، ج ۶، ص ۶۶.

[۴۴۷] (۲). الإصابة، ج ۱، ص ۲۳۷، ترجمة حیاة جعفر بن أبی طالب.

[۴۴۸] (۳). مختصر تاریخ دمشق، ج ۶، ص ۶۸.

[۴۴۹] (۴). من لا یحضره الفقیه، ج، ۴، ص ۳۹۷، ونقل هذا الحدیث ابن عساکر فی مختصر تاریخ دمشق، ج ۶، ص ۶۷ أیضاً.

[۴۵۰] (۱). سفینة البحار، مادة جعفر.

[۴۵۱] (۱).« طَوْل» بمعنی الإمکانات والقدرة المالیة، ورد بمعنی الفضل والعطاء أیضاً، وفی الأصل« طول» فی مقابل« عرض»، لأنّ القدرة المالیة أو الجسمیة نوع من الطول وقدرة الإنسان و« ذی الطَول» بمعنی العطاء والجود، وعلی هذا الأساس أنّ عبارة« عادِیّ طَوْلِنا» فی الجملة أعلاه بمعنی العطایا الدائمة.

[۴۵۲] (۲).« الأَکْفاء» جمع« کفؤ» علی وزن« قفل» بمعنی الترادف والتساوی فی الشخصیة.

[۴۵۳] (۳).« الأحْلاف» جمع« حلف» علی وزن« جلف» بمعنی العهد والمیثاق و« حلف» علی وزن« حرف» تعنی القسم‌والیمین، وبما أنّ العهد یتمّ توکیده بالقسم فسمیت هذه العملیة بالحلف.

[۴۵۴] (۱). شرح نهج‌البلاغة لابن أبی‌الحدید، ج ۱۵، ص ۱۹۷.

[۴۵۵] (۱). صحيح مسلم، ج ۷، ص ۱۴۳ و ۱۴۴.

[۴۵۶] (۲). مسند أحمد، ج ۳ ص ۸۰؛ مستدرك الحاكم، ج ۳، ص ۱۸۶.

[۴۵۷] (۱). فى ظلال نهج‌البلاغة، ج ۳، ص ۴۷۱.

[۴۵۸] (۲). شرح نهج‌البلاغة لابن أبى‌الحديد، ج ۱۵، ص ۱۹۸- ۲۹۵.

[۴۵۹] (۳). سورة الأنفال، الآية ۷۵.

[۴۶۰] (۴). سورة آل عمران، الآية ۶۸.

[۴۶۱] (۱).« فَلَجوا» من مادة« فلْج» على وزن« فتح» بمعنى الانتصار والنجاح، و« فَلَج» على وزن« حرج» اسم مصدر بمعنى‌النصر، ومفردة« فلج» على وزن« خرج» تعنى الشق والفاصلة بين شيئين وأحياناً يتسبب فى الشلل والقعود عن الحركة والمشى بشكل غير سليم.

[۴۶۲] (۱). تاريخ الطبرى، ج ۲، ص ۴۴۳(حوادث سنة ۱۱).

[۴۶۳] (۲). سفينة البحار، مادة أسد.

[۴۶۴] (۳). انظر: كتاب الإمامة والسياسة، ص ۹ وما بعدها.

[۴۶۵] (۱).« شكاة» و« شكْو» و« شكاء» و« شكوى» فى الأصل تعنى المرض، ثم اطلقت على كل عيب ونقص، والشكاية تعنى اظهار الألم والتظلم.

[۴۶۶] (۲).« ظاهر» عندما تتعدى بحرف عن تعنى الزوال والانتهاء، وجملة« ظاهر عَنْكَ عارُها» تعنى أنّ ذلك العار والعيب لا يصيبك ولا ينتسب إليك.

[۴۶۷] (۱).« المخشوش» فى الأصل يقال للجمل الذى ثقب أنفه وادخل فيه حبل أو خشبة متصلة بحبل، فعندمايسحب ذلك الحبل يميل هذا الحيوان معه حيثما مال، لأنّه لا يستطيع مقاومة الألم الناشىء من جرّ هذا الحبل.

[۴۶۸] (۱).« غضاضة» بمعنى النقصان والعيب، وهى من مادة« غض» وتعنى التنقيص والتقصير.

[۴۶۹] (۲).« سنح» من« السنوح» على وزن« فتوح» بمعنى التذكر والفهم.

[۴۷۰] (۱).« أعدى» بمعنى أشد عداوة، وهى فى الأصل من مادة عداوة.

[۴۷۱] (۲).« مقاتل» جمع« مقتل» بمعنى محل القتل أو الموضع الخاص من بدن الإنسان الذى إذا اصيب فإنّه يؤدى إلى موت الإنسان وقتله.

[۴۷۲] (۳).« فاسْتَقْعَده» يستفاد من مجموع القرائن الموجودة فى هذه العبارة أنّ ضمير الفاعل يعود إلى عثمان وضمير الفاعل يعود إلى الإمام عليه السلام يعنى أنّ عثمان لم يقبل بدعم الإمام عليه السلام ودفاعه عنه، وكان قد طلب من الإمام عليه السلام أن يسكت ويجلس فى مكانه ويترك الدفاع عنه، ولكن البعض عكسوا هذا المعنى وقالوا: إنّ الإمام عليه السلام طلب من عثمان أن يجلس ويترك السلوكيات الخاطئة ويستجيب لمطالب الناس، ولكن هذا المعنى بعيد، فعندما ندقق فى فاء التفريع فى« فاسْتَقْعَده» نرى أنّ المعنى الأول أقرب وأوضح.

[۴۷۳] (۱).« بث» فى الأصل بمعنى نشر وفرق و« منون» بمعنى الموت، وعلى ضوء ذلك فإنّ جملة« بَثّ الْمَنونَ» يعنى وفرّ أسباب الموت.

[۴۷۴] (۱). الإمامة والسياسة، ج ۱، ص ۲۱۴.

[۴۷۵] (۲).« المعوقين» من مادة« عَوْق» على وزن« فوق» بمعنى المنع والانصراف عن عمل معين، و« عائق» تعنى« المانع» و« معوق» بمعنى ما يمنع من الشيء.

[۴۷۶] (۳). سورة الأحزاب، الآية ۱۸.

[۴۷۷] (۱).« انقم» من مادة« نقم» على وزن« قلم» فى الأصل بمعنى إنكار الشيء. ثم استحدمت بمعنى الإنتقام والانتقاد، وفى هذا المورد جاءت بالمعنى الثانى.

[۴۷۸] (۲).« احداث» جمع« حدث» على وزن« عبث» وتعنى كل شيء جديد، وتأتى بمعنى البدعة، وجاءت هنا بهذا المعنى الأخير.

[۴۷۹] (۳).« الظنّة» بمعنى التهمة من« الظنّة»، بمعنى إساءة الظن.

[۴۸۰] (۴).« المُتنصّح» تعنى الشخص الخيّر والذى ينصح الآخرين بكثرة.

[۴۸۱] (۱). سورة هود، الآية ۸۸.

[۴۸۲] (۲). الإمامة والسياسة، ج ۱، ص ۵۹؛ تاريخ مدينة دمشق، ج ۳۹، ص ۴۱۸.

[۴۸۳] (۱). تاريخ مدينة دمشق، ج ۳۹، ص ۳۳۷.

[۴۸۴] (۲). تاريخ الطبرى، ج ۳، ص ۴۱۶ إلى ۴۱۸.

[۴۸۵] (۳). المصدر السابق.

[۴۸۶] (۴). المصدر السابق.

[۴۸۷] (۱). شرح نهج‌البلاغة للعلّامة التسترى، ج ۹، ص ۶۱۱.

[۴۸۸] (۱).« استعبار» من مادة« عبر» على وزن« ابر» بمعنى البكاء وذرف الدموع.

[۴۸۹] (۲).« الفيت» من« الإلفاء» بمعنى العثور على الشيء فجأة.

[۴۹۰] (۳).« ناكلين» جمع« ناكل» وهو الإنسان الضعيف والجبان الذى يتراجع عن العمل المقرّر، من« النكول» ويعنى الخوف والتراجع.

[۴۹۱] (۱).« هيجاء» بمعنى الحرب، لأنّ الإنسان يعيش حالة الهيجان فى الحرب.

[۴۹۲] (۱). سورة التوبة، الآية ۱۰۰.

[۴۹۳] (۲).« قتام» بمعنى الغبار.

[۴۹۴] (۳).« مُتسربِلين» فى الأصل من« سربال» وهو الثوب، ومتسربل يقال للشخص الذى يرتدى ثوباً، وهنا يشبه‌الإمام عليه السلام الشهادة بالثوب الذى يرتديه المحاربون من جيشه على أبدانهم، وهو ثوب الافتخار والزينة.

[۴۹۵] (۴).« نصال» جمع« نصل» على وزن« نسل» ويعنى رأس السهم أو ذؤابة السيف.

[۴۹۶] (۱). سورة هود، الآيتان ۸۲ و ۸۳.

[۴۹۷] (۲). صفين، ص ۲۳۶.

[۴۹۸] (۱). سند الرسالة:

تتعلق هذه الرسالة بالفتنة التى أشعل فتيلها معاوية فى البصرة بواسطة شخص يدعى ابن الحضرمى، وغايته من ذلك التسلط على البصرة حيث أمر معاوية باستغلال الأحقاد المترسبة لدى أهل البصرة من المهزومين فى معركة الجمل وكذلك استغلال قضية مقتل عثمان بن عفان لتثوير الناس فى البصرة واخراجها من دائرة حكومة أميرالمؤمنين عليه السلام، ولكن لم يحالفهم التوفيق، حيث قتل ابن الحضرمى فى هذه الواقعة، وقد ذكر الواقعة« إبراهيم الثقفى» فى كتابه المعروف الغارات، وبعد أن هدأت هذه الفتنة أرسل الإمام عليه السلام هذه الرسالة إلى أهالى البصرة بواسطة بعض أصحابه، وينبغى الالتفات إلى أنّ كتاب« الغارات» تمّ تأليفه قبل السيد الرضى، ومن هنا فإنّه اقتبس هذه الرسالة من مصدر آخر غير نهج‌البلاغة.(وصاحب هذا الكتاب إبراهيم بن هلال الثقفى المتوفى فى سنة ۲۸۳)(مصادر نهج‌البلاغة، ج ۳، ص ۲۷۹).

[۴۹۹] (۱). لمزيد الاطلاع انظر: الغارات، ج ۲، ص ۳۷۳- ۴۱۲.

[۵۰۰] (۱).« حَبْل» أصله بمعنى العهد والذمة، ثم اطلق على كل شىء مفتول، وجملة« انْتِشارُ حَبْلِكَم» كناية عن التفرق وتشتت الجماعة.

[۵۰۱] (۲).« شقاق» فى الأصل تعنى العداوة والكراهية، وهنا جاءت بمعنى نقض العهد وترك البيعة.

[۵۰۲] (۳).« تغبوا» من« الغباوة» بمعنى الجهل والغفلة، وعلى ضوء ذلك فإنّ جملة« لَمْ تَغْبَوْا عَنْه» تعنى أنّكم لستم غافلين عنه.

[۵۰۳] (۴). الكافى، ج ۵، ص ۳۲.

[۵۰۴] (۵). المصدر السابق، ص ۱۲، ح ۲.

[۵۰۵] (۶).« خطت» من« الخَطو» على وزن« خَتم» بمعنى تقديم القدم فى المشى، و« خطوة» بمعنى تقديم القدم مرّة واحدة بحيث توجد فاصلة بين القدم فى حال المشى، وهذه المفردة تتعدى بالباء ويكون مفهوم الجملة مورد البحث أنّ الأفكار المهلكة والآراء السخيفة والمفسدة تقودكم إلى المخالفة والتمرد.

[۵۰۶] (۱).« مُنابَذَة» بمعنى المخالفة والمجابهة، وهى فى الاصل من« النبذ» بمعنى الإلقاء بعيداً وكأنّ الشخص فى مخالفته للآخر يدفع به إلى المجابهة بعيداً عن الصلح والمواءمة.

[۵۰۷] (۲).« ها أنا ذا» عبارة مركبة من ثلاث كلمات:« ها» للتنبيه، و« أنا» ضمير المتكلم الواحد و« ذا» اسم إشارة ومفهوم الجملة أنّكم على علم بى وتعرفونى.

[۵۰۸] (۳).« جِياد» جمع« جواد» وهى الخيل الممتازة.

[۵۰۹] (۴).« رَحَلْت» من مادة« رحل» على وزن« نخل» بمعنى وضع القتب على الإبل، و« ركاب» تعنى الإبل.

[۵۱۰] (۵).« وَقْعَة» بمعنى الهجمة فى الحرب.

[۵۱۱] (۱). شرح نهج‌البلاغة لابن أبى‌الحديد، ج ۱۶، ص ۴.

[۵۱۲] (۱). سند الرسالة:

جاء فى كتاب مصادر نهج‌البلاغة أنّ ابن أبى‌الحديد فى شرحه وابن ميثم فى شرحه لنهج البلاغة ذكرا هذه الرسالة مع إضافات قيمة لا توجد فى نهج‌البلاغة، وهذه الحقيقة تشير إلى وجود مصادر أخرى لهذه الرسالة كانت بين أيديهما، مضافاً إلى وجود بعض التفاوت بين نقل ابن أبى‌الحديد وابن ميثم مما يشير إلى أنّ لكل منهما مصدر مستقل اقتبس منه هذه الرسالة، وقد أورد العلوى فى كتابه الطراز بعض مقاطع هذه الرسالة بتعبيرات متفاوتة عن تعبيرات السيد الرضى، وهذا بدوره يدلّ على وجود مصدر آخر لهذه الرسالة.(مصادر نهج‌البلاغة، ج ۳، ص ۲۷۰).

[۵۱۳] (۱). سورة المجادلة، الآية ۲۲.

[۵۱۴] (۱). ورد هذا الحديث الشريف بهذه العبارة فى كتب الشيعة، مثل: وسائل الشيعة، ج ۱۱، ص ۴۹۲، ح ۲۳، باب ۳۳ من أبواب كتاب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وفى كتب أهل السنّة ورد بتعابير مشابهة عن النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله من قبيل:« مَنْ ماتَ وَلَيْسَ عَلَيْهِ إمامٌ فَميتَتُهُ ميتَةً جاهِلَيَّةً».(المعجم الكبير، ج ۱۰، ص ۲۸۹).

وفى حديث آخر عن معاوية بن أبى سفيان أنّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله قال:« مَنْ ماتَ بِغَيْرِ إمامٍ ماتَ ميتَةً جاهِلَيَّةً»(مسند أحمد، ج ۴، ص ۹۶).

[۵۱۵] (۲).« مَحَجَّة» بمعنى الجادة الواسعة والطريق المستقيم والواضح.

[۵۱۶] (۳).« نَهْجَة» تارة تأتى بمعنى اسم المصدر وتعنى المنهج، وأخرى بمعناها الوصفى وتعنى الواضح والبين.

[۵۱۷] (۴).« اكْياس» جمع« كيس» بمعنى الذكى والمنتبه والحكيم.

[۵۱۸] (۵).« الأَنْكاس» جمع« نكس» على وزن« حرص» ويعنى الإنسان الضعيف والذليل والجاهل، من مادة« نكس» على وزن«

عكس» وتعنى المنقلب وجعل عالى الشيء سافله.

[۵۱۹] (۱). غرر الحكم، ص ۳۲۲، ح ۷۴۶۴.

[۵۲۰] (۲). بحار الأنوار، ج ۷۱، ص ۱۶۲.

[۵۲۱] (۱).« نكب» من« النكب» على وزن« نقب» وتعنى الانحراف فى المسير، و« ناكب» هو الشخص الذى انحرف عن الطريق وأعرض عنه، ومن هذه الجهة يقال لمن أعرضت الدنيا عنه أنّه منكوب وأصابته نكبة.

[۵۲۲] (۲). سورة الأنفال، الآية ۵۳.

[۵۲۳] (۳). سورة المائدة، الآية ۱۰۵.

[۵۲۴] (۱).« أَوْلَجَتْك» من« الإيلاج» و« ولوج» بمعنى دخول شيء ووروده، وعلى ضوء فإنّ« اوْلَجَتْكَ شَراً» من باب إفعال وتأخذ مفعولين ومفهومها أنّ نفسك جرّتك إلى الشر وادخلتك فيه.

[۵۲۵] (۲).« أَقْحَمَتك» من« الإقحام» بمعنى قذف الشيء فى داخل شيء آخر، وهذا الفعل أيضاً يأخذ مفعولين ومعنى الجملة أنّ نفسك قد قذفت بك فى طريق الضلالة ومتاهة الفتنة.

[۵۲۶] (۳).« غىّ» بمعنى الضلالة والانحراف.

[۵۲۷] (۴).« أَوْعَرَتْ» من« الإيعار» و« وعر» على وزن« وقت» فى الأصل بمعنى الصعوبة والعسر والحرج، وجملة« أَوْعَرَتْ عَلَيْكَ الْمَسالِكَ» تعنى أنّها صعّبت عليك العثور على طرق النجاة، ولهذا يقال للأرض المليئة بالأحجار والمطبات أنّها أرض وعرة و« وعير».

[۵۲۸] (۱). تقرأ هذه المفردة تارة بصورة تثنية(بفتح الراء) وأخرى بصورة جمع(بكسر الراء). وفى الصورة الاولى تشير إلى مكان معيّن بين حلب و قنّسرين من أراضى الشام، وفى الصورة الثانية يمكن أن تكون إشارة إلى ذلك المكان باعتبار حضور أقوام مختلفة فيه.

[۵۲۹] (۲). سند الرسالة:

تعتبر هذه الرسالة كما يقول صاحب كتاب مصادر نهج‌البلاغة، من أشهر رسائل ووصايا الإمام

[۵۳۰] (۳) أميرالمؤمنين عليه السلام والتى ذكرها جماعة من أبرز علماء الإسلام فى كتبهم قبل ولادة السيد الرضى، منهم المرحوم الشيخ الكلينى فى كتاب الرسائل والمرحوم الحسن بن عبداللّه العسكرى(من أساتيذ الشيخ الصدوق) فى كتاب الزواجر والمواعظ، وصاحب كتاب عقد الفريد فى موضعين من كتابه فى باب مواعظ الآباء للأبناء، والحسن بن على بن شعبة فى كتاب تحف العقول، ضمن بيانه لكلمات الإمام أمير المؤمنين على عليه السلام، والشيخ الصدوق بدوره نقل أيضاً مقاطع من هذه الوصية فى موردين من كتاب من لا يحضر الفقيه، ونقلها بعد السيّد الرضى جماعة كثيرون فى كتبهم منهم: المرحوم السيّد ابن طاووس فى آخر كتاب كشف المحجة، ضمن بيان أنّ هذه الوصية وردت بأسناد متعددة، ومجموعة الأسناد التى أوردها هؤلاء العلماء فى كتبهم لهذه الرسالة تصل إلى ستة طرق وأسناد(ويتبيّن من مجموعة هذه الطرق والاسناد لهؤلاء العلماء أنّ انتساب هذه الرسالة إلى الإمام على عليه السلام لا يبقى مجالًا للشك والتردد، أضف إلى ذلك أنّ محتوى هذه الرسالة والوصية إلى درجة من القوة والمتانة بحيث لا يمكن صدورها من غير المعصوم).(مصادر نهج‌البلاغة، ج ۳، ص ۳۰۷- ۳۱۱).

[۵۳۱] (۱). الإمامة والسياسة، ج ۱، ص ۲۹.

[۵۳۲] (۱).« زمان» فى الأصل يراد به الوقت المعروف الذى يشمل الأوقات القصيرة والطويلة، ولكن بما أنّ الزمان فى هذه الدنيا يقترن بالحوادث المختلفة المرّة والحلوة، فهذه المفردة تشير أحياناً إلى هذا المعنى، و« المُقِرُّ لِلزّمان» إشارة إلى الشخص الذى يعيش الإذعان والقبول بهذه الحقيقة وهى أنّ الدنيا دار حوادث ومتغيّرات، ولكنّه عملًا لا ينسجم مع هذه الحوادث.

[۵۳۳] (۱). ورد فى الكثير من النصوص والشروح لنهج البلاغة بعد هذه الصفة صفة أخرى وهى« الذامُّ لِلدُّنْيا» وحينئذٍ تبلغ صفات

الدنيا فى هذا المقطع إلى سبع صفات.

[۵۳۴] (۲).« الظّاعِن» بمعنى المنتقل، من« الظعن» على وزن« طعن» وتعنى الانتقال من مكان إلى آخر.

[۵۳۵] (۱).« الغرض» بمعنى الهدف الذى يوضع ليرميه المتسابقون والرماة.

[۵۳۶] (۲).« رهينة» من الرهن وهو الثبات ودوام الشيء، والرهينة جمعها رهائن وهى ما يرهن ويحتسب فيه الشيء فى‌مقابل ثمن.

[۵۳۷] (۳).« رمية» عبارة أخرى عن« غرض» و« هدف»(صفة مشبهة بمعنى المفعول).

[۵۳۸] (۴).« حليف» بمعنى المتفق والذى يجتمع معه بميثاق، من مادة« حلف» على وزن« حرف» وهو القسم واليمين.

[۵۳۹] (۵). سورة آل عمران، الآية ۱۸۵.

[۵۴۰] (۱). نهج‌البلاغة، الخطبة ۲۲۶.

[۵۴۱] (۲). القائل هو لبيد بن ربيعة الجعفرى، وهو من المعمرين، انظر: كمال الدين و تمام النعمة، ص ۵۶۵، بحارالأنوار، ج ۵۱، ص ۲۴۵.

[۵۴۲] (۱).« جُمُوح» بمعنى التمرد والطغيان، و« جَمُوح» على وزن« قبول» وفى الأصل تعنى الحيوان المتمردوالمنفلت، ثم اطلقت على كل إنسان منفلت ومتمرد بل تطلق أيضاً على الحوادث والقضايا التى تخرج عن اختيار الإنسان.

[۵۴۳] (۱).« يَزَع» من مادة« وزع» على وزن« وضع» بمعنى المنع والاعاقة عن شيء.

[۵۴۴] (۲).« ما وَرائى» إشارة إلى أهل الدنيا، المقامات، الثروات وأمثال ذلك، وغرض الإمام عليه السلام من ذلك بيان هذه الحقيقة وهى أنّ الالتفات إلى قرب الانتقال من هـذه الـدنيا منعنى من الميل للأمور الدنيويـة وجعلنى ملتفتاً لمصيرى ومستقبلى، والعجيب أنّ بعض شرّاح نهج‌البلاغة ذكروا فى معنى« ما وَرائى» أنّها تعنى الآخرة، فى حين أنّ مفهوم هذه العبارة يكون بهذه الصورة: إنّ الإلتفات إلى نهاية عمرى شغلنى عن الاهتمام بأمر الآخرة، وهذا التفسير مجانب للصواب.

[۵۴۵] (۳).« صدف» من مادة« صدف» على وزن« حذف» بمعنى الإعراض عن شيء.

[۵۴۶] (۴).« أَفْضى» من« الإفضاء» و« فضاء» وتعنى الوصول إلى شيء وكأنّه دخل إلى فضائه وجوّه.

[۵۴۷] (۱).« مستظهرا» من« الإستظهار» بمعنى طلب المعونة والنصرة من شخص أو شيء.

[۵۴۸] (۲). شرح نهج‌البلاغة لابن أبى‌الحديد، ج ۱۶، ص ۶۱.

[۵۴۹] (۱). شرح نهج‌البلاغة التسترى، ج ۸، ص ۳۳۰.

[۵۵۰] (۲). بحار الأنوار، ج ۱۶، ص ۹۵.

[۵۵۱] (۳). سورة ابراهيم، الآيتان ۲۴ و ۲۵.

[۵۵۲] (۱). سورة الرعد، الآية ۲۸.

[۵۵۳] (۲). بحار الأنوار، ج ۹۰، ص ۱۵۱، ح ۶ والآية ۲۰۱ من سورة الأعراف.

[۵۵۴] (۳). سورة آل عمران، الآية ۱۰۳.

[۵۵۵] (۱).« قرّر» من« التقرير» وتـأتى بمعنيين، الأـول، التثبت ووضع الشـيء فى محلّه، والآـخر بمعنى دفع شـخص للإقرار والإعتراف بشيء معين، وفى الجملة مورد البحث جاءت بالمعنى الثانى، يعنى اجعل قلبك يقرّ ويعترف بفناء الدينا.

[۵۵۶] (۱).« فحش» يقال لكل عمل خرج عن حدّ الاعتدال واتجه نحو القبح، ولذلك تطلق هذه الكلمة على جميع‌المنكرات والقبائح الفاضحة، فيقال« فحش» و« فحشاء»، رغم أنّ هذه المفردة تستخدم فى عرفنا المعاصر فى مورد الانحرافات الجنسية(وأحياناً تأتى كلمة فحش بمعناها المصدرى وأخرى يراد منها اسم المصدر).

[۵۵۷] (۱).« حَلُّوا» من مادة« حلّ» تأتى أحياناً بمعنى فتح العقدة وحل المشكلة، وأخرى الدخول إلى مكان معين، وفى الجملة أعلاه

جاءت بالمعنى الثانى.

[۵۵۸] (۲). سورة الروم، الآية ۴۲.

[۵۵۹] (۱). سورة الحج، الآية ۴۶.

[۵۶۰] (۱). الكافى، ج ۲، ص ۲۸۰، باب الكبائر، ح ۱۱.

[۵۶۱] (۲). انظر: الكافى، ج ۲، ص ۲۸۲، باب الكبائر، ح ۱۶.

[۵۶۲] (۱). ميزان الحكمة، ح ۱۷۰۳۰.

[۵۶۳] (۲). المصدر السابق، ح ۱۷۰۳۱.

[۵۶۴] (۳). الخصال، ص ۲۲۸.

[۵۶۵] (۴). غرر الحكم، ص ۴۳۰، ح ۹۷۹۵.

[۵۶۶] (۵). المصدر السابق، ص ۴۲۹، ح ۹۷۷۴.

[۵۶۷] (۱). نهج‌البلاغة، الخطبة ۱۸۸.

[۵۶۸] (۲). نهج‌البلاغة، الكلمات القصار ۸۹.

[۵۶۹] (۳). سورة الشمس، الآيتان ۷ و ۸.

[۵۷۰] (۴). بحار الأنوار، ج ۶۸، ص ۳۲۴.

[۵۷۱] (۱). شرح نهج‌البلاغة للعلّامة التسترى، ج ۸ ص ۳۳۲.

[۵۷۲] (۲). المصدر السابق، ص ۳۳۳ ونقل هذه القصة أيضاً المرحوم المحدّث القمى فى تتمة المنتهى، ص ۲۴۸.

[۵۷۳] (۱). آداب النفس، ج ۱، ص ۱۰۴ و ۱۰۵.

[۵۷۴] (۱). سورة البقرة، الآية ۸۶.

[۵۷۵] (۲). سورة الاسراء، الآية ۳۶.

[۵۷۶] (۳). سورة البقرة، الآية ۱۶۹.

[۵۷۷] (۴). سورة المائدة، الآية ۱۰۵.

[۵۷۸] (۱). بحار الأنوار، ج ۲، ص ۲۵۹، ح ۷.

[۵۷۹] (۲). الكافى، ج ۱، ص ۶۸، ح ۱۰.

[۵۸۰] (۱). الكافى، ج ۵، ص ۵۸، ح ۱۰.

[۵۸۱] (۲).« خض» صيغة أمر من« الخوض» على وزن« حوض» فى الأصل بمعنى الدخول التدريجى فى الماء، ثم استخدم كناية عن الورود أو الشروع فى كل عمل.

[۵۸۲] (۳).« غمرات» جمع« غمرة» على وزن« ضربة» وأصلها من« غمر» وتعنى زوال أثر الشىء، ثم استخدمت فى الماء الكثير الذى يغطى جميع جهات الشىء، يقال:« غمرة» و« غامر» ثم اطلقت على كل ابتلاء شديد وجهل يغمر الإنسان ويحيط به من كل جانب و« غمرات الموت» بمعنى الشدائد التى يواجهها المحتضر فى حالات الموت.

[۵۸۳] (۱).« تصبّر» من مادة« صبر» بمعنى الاستقامة وضبط النفس، والفرق بين التصبّر والصبر أنّ الشخص الصبور هو واقعاً من أهل الصبر والاستقامة، وأمّا التصبّر فيقال فى مورد الشخص الذى لم يصبح من أهل الصبر فعلًا، بل يريد أن يملك هذه الحالة النفسية والفضيلة الأخلاقية.

[۵۸۴] (۱). معجم الأدباء، ج ۱۲، ص ۳۸ نقلًا عن شرح نهج‌البلاغة للعلّامة التسترى، ج ۸، ص ۳۸۱.

[۵۸۵] (۱). معجم حكمة العرب، ص ۲۳۸.

[۵۸۶] (۲). انظر: تاريخ مدينة دمشق، ج ۴۲، ص ۵۲۴، البداية والنهاية، ج ۸، ص ۱۱.

[۵۸۷] (۱).« ألجيء» من« الإلجاء» وأصلها من« الجوء» بمعنى الاحتماء بالشيء، و« الجاء» تعنى دفعه لطلب اللجوءوالحماية من الطرف الآخر.

[۵۸۸] (۲).« كهف» بمعنى الغار الواسع وثم اطلقت على كل شيء ملاذ وملجأ يلجأ إلى الإنسان.

[۵۸۹] (۳).« حريز» بمعنى المحافظ وهو من مادهٔ« حرز» على وزن« فكر» ويعنى حفظ الشيء.

[۵۹۰] (۱). الكافى، ج ۲، ص ۲۹۳، ح ۳.

[۵۹۱] (۱). بحار الأنوار، ج ۸۸، ص ۲۲۴، ح ۴.

[۵۹۲] (۲).« صفح» فى الأصل بمعنى الجانب والطرف المواجه للشيء، ومعناه المصدرى الإعراض وصرف النظر عن الشيء، وبما أنّ صرف الإعراض عن الشيء تارهٔ بدفاع العفو الصفح وأخرى بسبب الغضب والاستياء، فهذه المفردهٔ تستعمل بكلا المعنيين، وضمناً ينبغى الالتفات إلى أنّ فاعل تذهبنّ هو الوصيهٔ، ومعنى الجملهٔ أنّ وصيتى لا ينبغى أن تنسى بسبب الاهمال والإعراض عنها، أى لا تتعامل معها من موقع اللامبالاهٔ والتساهل، وجاء فى بعض النسخ كلمهٔ« عنها»، بدلًا من عنك، وفى هذه الصورهٔ سيكون فاعل تذهبنّ المخاطب، أى الإمام الحسن عليه السلام.

[۵۹۳] (۱). الكافى، ج ۱، ص ۳۲، ح ۱.

[۵۹۴] (۱).« أفضى» من« الإفضاء» وأصلها« فضاء» بمعنى الوصول للشيء وكأنّه دخل فى جوه وفضائه، ثم اطلقت علىمفهوم إلقاء مطلب معين وتعليمه لآخر وكأنّ المتكلّم ألقى هذا المفهوم فى فضاء فكرالمخاطب.

[۵۹۵] (۲).« نَفور» فى الأصل بمعنى الحيوان الهارب الذى نفر من شيء مخوف، ثم اطلقت على كل إنسان يهرب من شيء.

[۵۹۶] (۱). شرح نهج‌البلاغهٔ لابن أبى‌الحديد، ج ۱۶، ص ۶۶.

[۵۹۷] (۲). نهج‌البلاغهٔ، الخطبهٔ ۹۳.

[۵۹۸] (۳). شرح نهج‌البلاغهٔ لابن أبى‌الحديد، ج ۱۶، ص ۶۷.

[۵۹۹] (۱). شرح نهج البلاغهٔ، ابن أبى الحديد، ج ۱۶، ص ۶۷.

[۶۰۰] (۲).« بغيهٔ» بمعنى الطلب، من مادهٔ« بغى» على وزن« نفى»، ويقول الراغب فى مفرداته إنّ هذه الكلمهٔ تعنى أحياناً مفهوماً ايجابياً وهو طلب الخيرات، وأخرى مفهوماً سلبياً وهو تجاوز حدّ العدالهٔ والميل لجههٔ الظلم والباطل.

[۶۰۱] (۱). الكافى، ج ۸، ص ۹۳.

[۶۰۲] (۱). الكافى، ج ۲، ص ۶۰۳، ح ۴.

[۶۰۳] (۲). المصدر السابق، ج ۶، ص ۴۷، ح ۵.

[۶۰۴] (۳). القائل هو سابق البربرى، انظر: جامع البيان العلم و فضله، ص ۸۳.

[۶۰۵] (۱).« نخيل» من« النخل» فى الأصل تعنى الغربال الذى يستخدم فى تطهير الدقيق من الشوائب والنخالهٔ، ثماطلقت كلمهٔ« نخيل» على كل شيء تمت تصفيته وتنقيته، والمراد من العبارهٔ أعلاه أننى اخترت لك الشيء النقى والمصفى من تاريخ وسيرهٔ القدماء وتركت الأمور المظلمهٔ والكدرهٔ جانباً، وينبغى الالتفات إلى أنّ« نخيل» بهذا المعنى لها جههٔ وصفيهٔ، وهى غير« نخيل» جمع« نخل» وهى شجرهٔ التمر.

[۶۰۶] (۲).« توخيت» من« الوخْى» على وزن« نفى» بمعنى قصد الشيء والتوجه إليه، و« توخى» فى هذا المورد جاءت بمعنى الانتخاب والاصطفاء.

[۶۰۷] (۳).« مقتبَل» بمعنی مطلع وبدایة کل شیء، وهی من« الإقتبال» وتعنی الشروع بالأمر والابتداء عمل معین.

[۶۰۸] (۱). سورة یوسف، الآیة ۱۱۱.

[۶۰۹] (۱). سورة یوسف، الآیة ۳.

[۶۱۰] (۲). سورة الروم، الآیة ۴۲.

[۶۱۱] (۱).« شرائع» جمع« شریعة» وفی الأصل بمعنی الشاطیء والمحل الذی یرد منه الإنسان إلی النهر لیشرب، لأنّ سطح الأنهار عادة یقع أسفل من سطح الأرض، ولذلک یتمّ تعدیل الشاطیء بشکل انسیابی وتدریجی أو علی شکل مدرجات لیستطیع الناس من الوصول إلی الماء بسهولة. ثمّ اطلقت هذه المفردة علی الأحکام السماویة والشرعیة والتعالیم الإلهیّة للناس، أعمّ من العقائد والأحکام والأخلاق، وارتباطها بالمعنی الأصلی واضح، لأنّ الإیمان والتقوی والعدل والصلح حالها حال ماء الحیاة للإنسان وتحقیق السعادة الأبدیة والطریق الوصول إلیها من خلال الشرعیة الإلهیّة.

[۶۱۲] (۱).« شفقة» تأتی فی مثل هذه الموارد مرادفة للخوف، فی حین أنّ معناها الأصلی علی حدّ قول بعض الادباءالتوجّه للشیء المقترن بالخوف، أو بعبارة أخری الخوف مقترن بالحبّ والاحترام والأمل، لأنّ هذه الکلمة فی الأصل من مادة« شفق» وهو ضوء الصبح الباکر الممتزج بالظلام، غایة الأمر أنّ هذه المفردة إذا جاءت مع« من» المتعدّیة فإنّ جهة الخوف ستکون غالبة فی العبارة مورد البحث، وعندما تأتی متعدّیة بحرف« فی» و« علی»، فإنّ المودّة والشفقة ستکون الغالبة، کأن یقول الإنسان لصدیقه:« انَا مُشْفِقٌ عَلَیْکَ».

[۶۱۳] (۱). مفردة« رشد» فی الأصل بمعنی السیر نحو المقصد، وجملة« راشداً مَهْدِیاً» دعاء یقال عند تودیع المسافر، یعنی إن شاء اللَّه ستصل إلی مقصودک وتهتدی إلی مرادک.

[۶۱۴] (۲).« قصد» تأتی أحیاناً بمعنی التیه، وأخری بمعنی سلوک الطریق المستقیم والمعتدل بعیداً عن الافراط والتفریط، و« قَصْدُ السبیل» تعنی الجادة التی یسلکها الإنسان للوصول إلی مقصده.

[۶۱۵] (۱). بحار الأنوار، ج ۲۲، ص ۳۱.

[۶۱۶] (۲). وسائل‌الشیعة، ج ۱۸، ص ۱۲۹، ابواب صفات قاضی، باب ۱۲، ح ۶۱.

[۶۱۷] (۳).« اوْلَجَتکَ» من« الإیلاج» وأصلها« ولوج» بمعنی الدخول فی مکان محدود، وعندما تأتی من باب إفعال تکون متعدیة، وعلیه فإنّ« أوْلَجَ» یعنی ادخال شخص أو شیء آخر.

[۶۱۸] (۱). مجانی الأدب، ص ۴۷.

[۶۱۹] (۲).« عَشْواء» فی الأصل بمعنی الجمل الأعشی وضعیف البصر، ولهذا یضل الطریق ویتمایل نحو الیمین‌والیسار، ثم اطلقت علی کل إنسان یسیر بهذه الکیفیة.

[۶۲۰] (۳).« تَوَرَّطَ» من« التورط» علی وزن« توکّل» وتعنی السقوط فی مکان یصعب الخلاص منه أو یستحیل الخروج منه.

[۶۲۱] (۴).« أَمْثَل» من« المثول» علی وزن« طلوع» بمعنی الأفضل والأحسن و« أماثل» و« مُثُل» علی وزن« کتب».

[۶۲۲] (۱). سورة الأعلی، الآیات ۲- ۴.

[۶۲۳] (۱). سورة النحل، الآیة ۷۸.

[۶۲۴] (۱). سورة لقمان، الآیة ۲۷.

[۶۲۵] (۲). سورة الأسراء، الآیة ۸۵.

[۶۲۶] (۱).« رائد» من مادة« رود» علی وزن« عود»، وکما ورد فی المتن أنّ الأصل فیها بمعنی السعی وبذل الجهد للعثور علی الماء والکلأ، ثم اطلقت علی کل سعی للعثور علی شیء، والحدیث الشریف« الرّائدُ لا یَکْذِبُ أهْلَهُ»، ناظر إلی هذا المعنی، وبما أنّ النبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله کان فی صدد تحقیق السعادة لأنصاره وأتباعه فیقال عنه أنّه« رائد».

[۶۲۷] (۱).« آل» صیغة المتکلم الواحد، من مادة« ألْو» علی وزن« دلو» وهی فی الأصل بمعنی التقصیر، وجملة« لم آلک نصیحة» تعنی لم اقصر فی اسداء النصح إلیک، واللافت أنّ هذا الفعل لازم لا یأخذ مفعول، رغم أنّ البعض تصور أنّه یأخذ مفعولین، المفعول الأول هو ضـمیر الخطاب« آلک» والمفعول الثانی« نصیحة»، فی حین أنّ النصیحة تمییز وضمیر الخطاب متعلق بمحذوف وهو فی الأصل« لَمْ آلُ لَکَ».

[۶۲۸] (۱).« خطر» فی هذا المورد یعنی القدر والمنزلة.

[۶۲۹] (۲). سورة الحشر، الآیة ۱۹.

[۶۳۰] (۱). سورة المائدة، الآیتان ۹۰ و ۹۱.

[۶۳۱] (۱). بحار الأنوار، ج ۵۹، ص ۲۶۷، ح ۴۶.

[۶۳۲] (۲). سورة البقرة، الآیة ۱۸۳.

[۶۳۳] (۳). بحار الأنوار، ج ۵۴، ص ۲۳۸.

[۶۳۴] (۱).« خَبَرَ» فعـل ماضـی من« الخُبر» علی وزن« قفـل» بمعنی الاطّلاـع علی الحـدث، وأحیانـاً تـأتی بمعنی الاختبارللاطلاع علی الخبر.

[۶۳۵] (۲).« سَفْر» جمع مسافر.

[۶۳۶] (۳).« جَدیب» بمعنی الجاف وبدون ماء وعلف، وهو من مادة« جَدَب» علی وزن« جلب».

[۶۳۷] (۴).« أمّوا» من مادة« امّ» علی وزن« غم» بمعنی القصد.

[۶۳۸] (۵).« خصیب» بمعنی کثیر النعمة والماء والنبات، من مادة« خصب» علی وزن« جسم» وهو زیادة النعمة وکثرتها.

[۶۳۹] (۶).« جناب» بمعنی الناحیة.

[۶۴۰] (۷).« مریع» بمعنی کـثیر النعمـة والخیر، من مـادة« مرع» علی وزن« رأی» وهو الکثرة والوفرة، و« أَرْضٌ مَریعَـةٌ» الأـرض الکثیرة المحصولات الزراعیة.

[۶۴۱] (۸).« وعثاء» من مادة« وعث» علی وزن« درس» بمعنی الرمال الناعمة التی تدخل فیها الأقدام وتمنع الشـخص من إدامة المسیر، أو یعسر علیهـا المشـی، ثم اطلقت علی جمیع المشـکلات التی تعیق الإنسان فی حرکـة الحیاة، و« وَعْثاءُ الطَّرِیقِ» إشارة إلی مشـکلات السفر.

[۶۴۲] (۹).« جُشُوبَة» بمعنی الخشونة والغلظة.

[۶۴۳] (۱).« أَفْظَع» بمعنی غیر مقبول، من« الفَظاعة» وهی الشناعة والغلظة.

[۶۴۴] (۱). سورة البقرة، الآیة ۹۶.

[۶۴۵] (۲). بحار الأنوار، ج ۶، ص ۱۵۴.

[۶۴۶] (۳). معانی الأخبار، ص ۳۹۰.

[۶۴۷] (۱). فی ظلال نهج‌البلاغة، ج ۳، ص ۵۰۲.

[۶۴۸] (۲). الکافی، ج ۲، ص ۱۴۶، باب الانصاف والعدل، ح ۱۰.

[۶۴۹] (۳). مجمع الزوائـد للهیثمی، ج ۱، ص ۱۲۹. وهـذا الحـدیث ذکره المرحوم المحدّث القمی فی کتابه منتهی الآمال فی فصـل الفضائل الأخلاقیة للنبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله.

[۶۵۰] (۱). غرر الحکم، ص ۳۰۹، ح ۷۱۰۳.

[۶۵۱] (۲). المصدر السابق، ص ۶۵، ح ۸۴۸.

[۶۵۲] (۳). المصدر السابق، ح ۸۴۶.

[۶۵۳] (۴). المصدر السابق، ص ۳۰۹، ح ۷۱۰۶.

[۶۵۴] (۵). المصدر السابق، ح ۷۰۹۶.

[۶۵۵] (۶). الکافی، ج ۵، ص ۷۲، ح ۷.

[۶۵۶] (۱). سورة البقرة، الآية ۱۶۷.

[۶۵۷] (۲). الکافی، ج ۴، ص ۴۲، ح ۲.

[۶۵۸] (۱).« ارتیاد» من مادة« رَود» على وزن« قَوم» فى الأصل تعنى الذهاب والمجیء مع المداراة والملاءمة فى طلبالشیء، وبالنسبة لمشتقاتها تارة تغلب جهة الطلب وأخرى جهة الرفق والمداراة، ومفردة« إرادة» مشتقة من هذ الأصل أیضاً.

[۶۵۹] (۲).« بلاغ» بمعنى الشیء الذى یوصل الإنسان إلى مقصده.

[۶۶۰] (۳). سورة البقرة، الآية ۱۹۷.

[۶۶۱] (۴). سورة العنکبوت، الآية ۱۳.

[۶۶۲] (۱). بالنسبة للضمیر« تَطْلُبَه» وجملة« فلا تَجِدْهُ» هناک خلاف بین شرّاح نهجالبلاغة فى عودة هذا الضمیر، فالاحتمال الأول أنّه یعود إلى الشخص الفقیر والمحتاج فکأنّه یحمل على أکتافه الصدقات والمثوبات ویسلمها یوم القیامة لصاحبها، والاحتمال الآخر أنّه یعود على المال نفسه، یعنى سیحین الوقت الذى تطلب مالًا لانفاقه فى سبیل اللّه ولیس لدیک مال، ولکن التفسیر الأول أرجح کما ذکرنا فى المتن، وجملة« وَاغْتَنِم» شاهد على ذلک.

[۶۶۳] (۱). سورة البقرة، الآية ۲۴۵.

[۶۶۴] (۲). سورة البلد، الآيات ۱۱- ۱۴.

[۶۶۵] (۳). بحار الأنوار، ج ۴۶، ص ۶۵، ح ۲۷.

[۶۶۶] (۱).« کؤود» بمعنى الطریق الشاق وصعب العبور، من مادة« کئد» على وزن« عهد» بمعنى شدّة وصعوبة والعسر.

[۶۶۷] (۲).« مخفّ» یعنى الشخص الذى یحمل حملًا حفیفاً، من« خفّ» على وزن« صف» بمعنى الخفیف.

[۶۶۸] (۳).« مثقل» یعنى الشخص الذى یحمل حملًا ثقیلًا، من مادة« ثقل».

[۶۶۹] (۱). سورة البلد، الآيات ۱۱- ۱۴.

[۶۷۰] (۲).« ارْتَد» یعنى انتخب واختر لک، من« الإرتیاد» کما ذکرنا فى تفسیرها سابقاً.

[۶۷۱] (۳).« مُسْتَعْتَب» مصدر میمى، یعنى الاعتذار وطلب رضا، من مادة« عتب» على وزن« عطف» وله معانٍ متعددة وأحدها الرضا والبهجة، والشخص الذى یعتذر للشخص المقابل یطلب فى الحقیقة رضاه وعفوه، ولذلک تستعمل هذه المفردة بمعنى الاعتذار.

[۶۷۲] (۴).« مُنْصَرف» مصدر میمى بمعنى العودة.

[۶۷۳] (۵). مستدرک الوسائل، ج ۲، ص ۱۰۴، ح ۱۶.

[۶۷۴] (۶). سورة المؤمنون، الآية ۹۹ و ۱۰۰. وأشار إلیها فى الآیات ۲۸ من سورة الانعام و ۳۷ من سورة فاطر أیضاً.

[۶۷۵] (۱). سورة الفرقان، الآية ۷۷.

[۶۷۶] (۲). سورة غافر، الآية ۶۰.

[۶۷۷] (۱). سورة النساء، الآية ۳۲.

[۶۷۸] (۱). سورة یوسف، الآية ۹۷.

[۶۷۹] (۱).« لَمْ یُناقِشْک» من« المناقشة» بمعنى الدقّة والتشدد فى الحساب، ومن هنا اطلقت هذه المفردة على المناظرة الدقیقة

والمباحثات الكلاميّة الشائكة.

[۶۸۰] (۲).« نُزُوع» بمعنى الانفصال عن شيء، ومن هنا اطلقت كلمة« نزع» على حالة الإنسان في سكرات الموت لأنّهالحظات انفصال الروح عن الجسد.

[۶۸۱] (۳).« الاستعتاب» مرّ تفسيرها في القسم الثامن عشر من هذه الوصية.

[۶۸۲] (۴). سورة النور، الآية ۳۱.

[۶۸۳] (۵). سورة الشورى، الآية ۲۵.

[۶۸۴] (۱). سورة الكهف، الآية ۵۸.

[۶۸۵] (۲). سورة الزمر، الآية ۵۳.

[۶۸۶] (۳). سورة الفرقان، الآية ۷۰.

[۶۸۷] (۴). سورة الأنعام، الآية ۱۶۰.

[۶۸۸] (۱).« أفضيت» من« الإفضاء» و« فضاء» وتأتي بمعنى الوصول إلى شيء وكأنّما دخل في فضائه وجوّه.

[۶۸۹] (۲).« ابثثته» من مادة« بَثّ» بمعنى فرق ونشر، وهنا جاءت بمعنى نشرت له عن سرّك وأظهرت عن مكنوناتك.

[۶۹۰] (۱). سورة الشعراء، الآيات ۷۸- ۸۱.

[۶۹۱] (۱).« شَآبيب» جمع« شؤبوب» على وزن« بهلول» بمعنى هطول المطر بغزارة وأحياناً تأتي بمعنى كل شدّة.

[۶۹۲] (۲). الكافي، ج ۲، ص ۲۶۸، ح ۲.

[۶۹۳] (۱). سورة غافر، الآية ۶۰.

[۶۹۴] (۲). سورة البقرة، الآية ۱۸۶.

[۶۹۵] (۱). سورة البقرة، الآية ۲۱۶.

[۶۹۶] (۲). أصول الكافي، ج ۲، ص ۶۰، ح ۴.

[۶۹۷] (۱). انظر: تفسير مجمع البيان والقرطبي والطبري و تفسير الأمثل و كتب أخرى في ذيل الآية الشريفة ۷۵ إلى ۷۸ من سورة التوبة.

[۶۹۸] (۲). سورة غافر، الآية ۶۰.

[۶۹۹] (۱). مستدرك الوسائل، ج ۵، ص ۲۱۶، ح ۱۱ وكتب عديدة أخرى.

[۷۰۰] (۲). بحار الأنوار، ج ۹۰، ص ۳۷۲.

[۷۰۱] (۳). أصول الكافي، ج ۵، ص ۵۶، ح ۳.

[۷۰۲] (۱). سفينة البحار، ج ۱ بحث الدعاء.

[۷۰۳] (۲). سورة البقرة، الآية ۱۸۶.

[۷۰۴] (۱). سورة الذاريات، الآية ۵۶.

[۷۰۵] (۲).« قُلعَة» لها معانٍ كثيرة: وتطلق على الإنسان الضعيف والشخص العاجز عن حفظ نفسه على سرج الجواد، ولا يقدر على حفظ أمواله فلا تبقى بيده، كذلك تطلق كلمة« قُلعة» على المكان الذي ينبغي مغادرته، وفي العبارة أعلاه جاءت بالمعنى الأخير، وأصلها من مادة« قلع» و« يقلع».

[۷۰۶] (۳).« بُلْغة» بمعنى الزاد المتاع الذي يوصل الإنسان إلى مقصده، وهو من« البلوغ» و« بلاغ»، لأنّ الزاد يبلغ الإنسان إلى مقصده.

[۷۰۷] (۴). سورة العنكبوت، الآية ۶۴.

[۷۰۸] (۱). سورة الزمر، الآية ۳۰.

[۷۰۹] (۲). سورة العنكبوت، الآية ۵۷.

[۷۱۰] (۳). سورة الرحمن، الآية ۲۶.

[۷۱۱] (۴). سورة البقرة، الآية ۱۹۷.

[۷۱۲] (۵).« طريد» بمعنى« مطرود» أو الصيد الذى يتبعه الصياد وهو من مادة« طرد» بمعنى دفعه إلى الهرب.

[۷۱۳] (۶). سورة النساء، الآية ۷۸.

[۷۱۴] (۱). سورة الأحزاب، الآية ۱۶.

[۷۱۵] (۲). سورة الزمر، الآية ۳۰.

[۷۱۶] (۳). كان المرحوم الدكتور باقر آية اللّه زاده الشيرازى استاذاً قديراً فى مجال الترميم والعمران، وله إعتقادات دينية قوية وعميقة، وقد ابتدأ بهذه الآية الشريفة« إِنَّا لَانُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا»(الكهف، الآية ۳۰) فى محاضرته فى ذلك المهرجان.

[۷۱۷] (۱). انظر: بحار الأنوار، ج ۳، ص ۸۴(مع التلخيص والنقل بالمعنى).

[۷۱۸] (۱).« حذر» بمعنى التوقّى من الخطر والانتباه فى مقابل المستجدّات.

[۷۱۹] (۲).« أزر» فى الأصل من« إزار» وهو اللباس، وبخاصة اللباس الذى يرتديه الإنسان على وسطه، وبهذه المناسبة توحى هذه الكلمة بالتأييد والقدرة وامتلاك القوة.

[۷۲۰] (۱).« يبهر» من« البهر» على وزن« بحر» بمعنى حالة تجعل الإنسان مبهوتاً أمام الشيء.

[۷۲۱] (۲).« إخلاد» من« الخُلد» و« خلود» بمعنى السكون المستمر فى مكان واحد، و« الاخْلادِ إِلَى الْارْضِ» بمعنى إلالتصاق بها، و« الإِخْلادِ إِلَى الدُّنْيا» يعنى التمسك بأمور الدنيا والتشبث بها.

[۷۲۲] (۳).« تكالب» يمعنى الهجوم لتحصيل شيء، وهى فى الأصل من مادة« كلب».

[۷۲۳] (۱).« نعت» من مادة« نعى» على وزن« سعى» وتعنى الإخبار بموت شخص.

[۷۲۴] (۲). سورة الكهف، الآية ۴۵.

[۷۲۵] (۳). نهج‌البلاغة، الكلمات القصار، ۱۳۱.

[۷۲۶] (۴). إرشاد القلوب، ج ۱، ص ۲۱.

[۷۲۷] (۱).« عاوِيَة» بمعنى الكلاب التى تعوى.

[۷۲۸] (۲).« ضارِيَة» بمعنى المتوحشة، وهى من مادة« ضرو» على وزن« ضرب» وتعنى حالة التوحش فى النفس.

[۷۲۹] (۳).« يَهِرّ» من« الهرير» وتعنى العواء والنباح.

[۷۳۰] (۴).« نعَم» الدواب وغالباً تطلق هذه الكلمة على الإبل(وتأتى هذه المفردة أحياناً بمعنى المفرد أو أخرى بمعنى‌الجمع، وفى هذه الجملة تشمل الإبل والبقر والغنم).

[۷۳۱] (۵).« مُعَقَّلَة» وهى المشدودة بالعقال، والعقال حبل خاصّ تربط به رجل البعير حول ركبته.

[۷۳۲] (۶).« مُهْمَلَة» يعنى المتروكة، وهنا تعنى الحيوان المتروك لحاله.

[۷۳۳] (۱).« سُرُوح» جمع« سرح» على وزن« شرح» وهو الحيوان الذى ترك فى الصحراء ليأكل ويرعى.

[۷۳۴] (۲).« عاهة» بمعنى الآفة والعيب.

[۷۳۵] (۳).« وَعْث» يعنى الطريق التى يسير فيها الشخص بصعوبة.

[۷۳۶] (۴).« مُسيم» وهو الشخص الذى يسوق الحيوانات للرعى، وهى من« السوْم» على وزن« صوم» ويعنى الرعى.

[۷۳۷] (۵).« تاهوا» من« التيه» وهو الحيرة والتيه.

[۷۳۸] (۱).« رُويداً» من مادة« رود» على وزن« عَود» فى الأصل تعنى الغدو والرواح والسعى لأداء عمل معيّن بلطافة وليونة، وهذه المفردة تأتى بمعنى المصدر وتقترب من التصغير، يعنى أملهنى وفترة وجيزة، والسبب فى نصب رويداً أنّها مفعول مطلق لفعل محذوف، وكأنّها فى الأصل يقال:« أَمْهِلْ إِمْهالًا قَلِيلًا».

[۷۳۹] (۲).« يُسْفِر» من مادة« سفر» على وزن« فقر» وتعنى كشف الغطاء وإزاحة اللثام، ولذلك يقال للمرأة غير المحجّبة سافرة، وتستعمل هذه الكلمة فى طلوع الصبح وكأنّ الصبح يكشف عن لثامه ويزيح نقابه ويشرق، وهنا ظلام فاعل، وفى‌الحقيقة أنّه شبّه‌الصبح بموجود نورانيٍّ قد حجب بظلمات‌الجهل‌ولكن يوشك أن يزاح‌النقاب عنه.

[۷۴۰] (۳).« أظعان» تأتى أحياناً جمع« ظعينة» بمعنى الهودج الذى يوضع على الجمل أثناء السفر للركوب، وورود الأظعان يعنى أنّ المسافرين أوشكوا على الوصول.

[۷۴۱] (۱).« يُوشِك» من مادة« وَشْك» على وزن« فقر» وتعنى السير السريع، وعلى ضوء ذلك فإنّ مفهوم هذه العبارة أنّ‌اللحوق سرعان ما يتحقق(والصحيح فى يوشك أن تقرأ بكسر الشين وأحياناً تقرأ بفتحها).

[۷۴۲] (۲).« مَطيّة» من مادة« مطو» على وزن« عطف» تعنى الحركة الجدية لغرض النجاة فى المسير.

[۷۴۳] (۳).« وادع» هو الشخص الذى يجلس بهدوء وسكون، وهذه الكلمة من« الوداعة» أى السكون والهدوء.

[۷۴۴] (۴). نهج‌البلاغة، الكلمات القصار، ۶۴.

[۷۴۵] (۵). المصدر السابق، ۷۴.

[۷۴۶] (۶). غرر الحكم، ح ۲۷۸۹.

[۷۴۷] (۱). شرح نهج‌البلاغة لابن أبى‌الحديد، ج ۱۶، ص ۹۱.

[۷۴۸] (۲). بحار الأنوار، ج ۴، ص ۴۳.

[۷۴۹] (۱). سورة الأنعام، الآية ۲۷.

[۷۵۰] (۱).« خفّض» من مادة« خفض» يعنى جرّ الشىء إلى الأسفل فى مقابل رفعه إلى الأعلى، وهنا جاءت بمعنى‌الطلب القليل وترك الطمع فى الكثير.

[۷۵۱] (۲).« أجمل» من« الإجمال» وهو الإعتدال فى العمل وعدم الافراط.

[۷۵۲] (۱).« حَرَب» وهى الغارة، وهنا جاءت بمعنى الفعل المبنى للمجهول يعنى من ابتلى بالغارة عليه.

[۷۵۳] (۲). كتاب السنة، عمرو بن ابى عاصم، ص ۱۸۲.

[۷۵۴] (۱). شرح نهج‌البلاغة، ج ۱۸، ص ۲۱۳، والقائل هو بشر بن الحرث المعروف ب(بشر الحافى) انظر: الكنى والألقاب، ج ۲، ص ۱۶۹.

[۷۵۵] (۲). معجم كنوز الأمثال والحكم العربية، ص ۶۲.

[۷۵۶] (۳).« دَنيّة» الشىء الحقير والوضيع، من مادة« الدناءة» بمعنى الوضاعة.

[۷۵۷] (۴).« رغائب» جمع« رغيبة» وتعنى الشىء المطلوب والمرغوب.

[۷۵۸] (۵).« تعتاض» من« الإعتياض» وتعنى أخذ العوض عن شىء وفى الأصل من« عوض».

[۷۵۹] (۱). اللهوف، ص ۹۷؛ بحار الأنوار، ج ۴۵، ص ۸.

[۷۶۰] (۲). الخصال، ج ۱، ص ۲۸۴، ح ۳۳.

[۷۶۱] (۱). نهج‌البلاغة، الكلمات القصار، ۳۸۷.

[۷۶۲] (۲).« تُوجِفُ» من« الإيجاف» وتعنى السير بسرعة، وهى فى الأصل من« وَجْف» على وزن« حذف» وتعنى الحركة السريعة، وبما أنّ هذه الكلمة وردت فى العبارة أعلاه متعدية بالباء فتعنى الحث على سرعة المسير.

[۷۶۳] (۳).« مَناهل» جمع« مَنْهل» وهو منبع الماء.

[۷۶۴] (۱). بحار الأنوار، ج ۷۰، ص ۱۶۹، ح ۶.

[۷۶۵] (۲). كنزالعمّال، ج ۳، ص ۴۹۵، ح ۷۵۷۶.

[۷۶۶] (۳). بحارالأنوار، ج ۷۵، ص ۹۲، ح ۹۸.

[۷۶۷] (۱). بحار الأنوار، ج ۷۵، ص ۱۷۲، ح ۵.

[۷۶۸] (۲). المصدر السابق، ج ۹۳، ص ۱۵۹، ح ۳۸.

[۷۶۹] (۱). روضات الجنات، ج ۷، ص ۸۹ و ۹۰.

[۷۷۰] (۱).« تلافى» من مادة« لفى» على وزن« نفى» وتعنى الجبر والتعويض و« الفاه» بمعنى وجده وعثر عليه.

[۷۷۱] (۲).« فرط» من« الفرط» على وزن« شرط» يعنى التقصير فى أداء العمل، و« إفراط» التطرف وتجاوز الحد.

[۷۷۲] (۱). تهذيب الأحكام، ج ۶، ص ۳۷۸، ح ۲۷۳.

[۷۷۳] (۱).« ساع»« ساعى» الجاد فى العمل، من مادة« سعى».

[۷۷۴] (۲).« اهجر» من« الهجر» على وزن« فجر» وفى الأصل بمعنى الابتعاد والانفصال. ثم استخدمت فى معنى هـذيان المريض، لأنّ الكلام فى تلك الحال غير مطلوب ومبعد.

[۷۷۵] (۳). غرر الحكم، ۴۱۱۹.

[۷۷۶] (۱). سورة البقرة، الآيتان ۲۱۹ و ۲۲۰.

[۷۷۷] (۲). سورة الفرقان، الآيات ۲۷- ۲۹.

[۷۷۸] (۳). أصول الكافى، ج ۲، ص ۳۷۵، ح ۳.

[۷۷۹] (۱). بحار الأنوار، ج ۷۱، ص ۱۹۷، ح ۳۱.

[۷۸۰] (۲). سورة النساء، الآية ۱۰.

[۷۸۱] (۳). كافى، ج ۲، ص ۳۳۱، ح ۵.

[۷۸۲] (۴).« خُرْق» وتعنى العنف والشدّة(ضد الرفق والمداراة).

[۷۸۳] (۱).« غشّ» من مادة« غش»(بكسر الغين) بمعنى الخيانة.

[۷۸۴] (۲).« المستنصَح»(إذا جاء بصيغة اسم مفعول) تعنى الشخص الذى تُطلب النصيحة منه.

[۷۸۵] (۱). بحار الأنوار، ج ۱۱، ص ۲۸۸، ح ۱۰.

[۷۸۶] (۲). المصدر السابق، ص ۳۱۸، ح ۲۰.

[۷۸۷] (۳).« نَوْكى جمع« أنوك» على وزن« ابتر» وهو الشخص الجاهل والأحمق.

[۷۸۸] (۱). نهج‌البلاغة، الخطبة ۴۲ وفى بحار الأنوار، ج ۲، ص ۳۵، ح ۳۷ أيضاً مع اختلاف يسير عن النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله.

[۷۸۹] (۲). بحار الأنوار، ج ۱۹، ص ۳۴۵.

[۷۹۰] (۱). نهج‌البلاغة، الكلمات القصار، ۱۹۶.

[۷۹۱] (۲). بحار الأنوار، ج ۶۵، ص ۲۲۱.

[۷۹۲] (۳). كنز العمال، ح ۴۳۱۳۴.

[۷۹۳] (۴). غرر الحكم، ۱۰۸۱۸.

[۷۹۴] (۱). غرر الحكم، ۱۰۹۱۳.

[۷۹۵] (۱).« مخاطر» الذى يلقى نفسه فى الخطر.

[۷۹۶] (۲). سورة الملك، الآية ۲.

[۷۹۷] (۱). سورة الروم، الآية ۳۹.

[۷۹۸] (۲).« مهين» وهو الحقير والضعيف، وأصلها« مهانة».

[۷۹۹] (۳).« ظنين» وهو الشخص المتهم، والأصل من« ظنّ» وتأتى بصيغة اسم المفعول.

[۸۰۰] (۴).« ساهل» فعل أمر من« مساهلة» بمعنى المداراة.

[۸۰۱] (۱).« تجمح» فعل مضارع من« الجموح» بمعنى التمرد والنفور والعصيان.

[۸۰۲] (۲). بحار الأنوار، ج ۷۴، ص ۶۹، ح ۶.

[۸۰۳] (۳). غررالحكم، ح ۱۰۶۴۳.

[۸۰۴] (۱).« صَرْم» بمعنى القطع والفصل، وهنا جاء بمعنى قطع العلاقة مع الآخر وهى فى مقابل الصلة وتوثيق العلاقةمع الآخر.

[۸۰۵] (۲).« صُدود» مصدر بمعنى المنع.

[۸۰۶] (۱).« اللَّطَف» على وزن« شرف» وفى بعض النسخ على وزن« قفل» وتعنى إظهار المحبّة والإحسان إلى الطرفالمقابل.

[۸۰۷] (۲).« جمود» وتعنى فى هذه العبارة البخل، فى مقابل البذل والعطاء.

[۸۰۸] (۳). سورة فصلت، الآيتان ۳۴ و ۳۵.

[۸۰۹] (۱). بحار الأنوار، ج ۲۷، ص ۵۸، ح ۱۷.

[۸۱۰] (۲). المصدر السابق، ح ۱۸.

[۸۱۱] (۳). سورة المجادلة، الآية ۲۲.

[۸۱۲] (۴).« امحَضْ» من« المحض» على وزن« وعظ» بمعنى إخلاص الشيء وتنقيته، وتستعمل فى مورد النصيحةوتعنى طلب الخير للطرف المقابل الخالى من أى شائبة وغرض شخصى.

[۸۱۳] (۱). أصول الكافى، ج ۲، ص ۶۳۹، ح ۵.

[۸۱۴] (۲). المصدر السابق، ص ۶۳۸، ح ۲.

[۸۱۵] (۳).« مغبّة» العاقبة، وأصلها من« غَبّ» وأحياناً تأتى هذه المفردة فى مورد الأعمال والتى تعنى عدم التوالى أو الانقطاع بين فترة وأخرى، كما ورد فى الحديث الشريف عن النبىّ الأكرم عليه السلام أنّه قال لبعض أصحابه:« زُرْ غِبّاً تَزْدَدْ حُبّاً».(مستدرك الوسائل، ج ۱۰، ص ۳۷۴، ح ۱۲۲۱۰).

[۸۱۶] (۱). الكافى، ج ۲، ص ۱۱۰، ح ۱۰.

[۸۱۷] (۲). المصدر السابق، ح ۶.

[۸۱۸] (۳).« لِن» فعل أمر، من« اللين» على وزن« صين» وتعنى المرونة وعدم القساوة.

[۸۱۹] (۴).« غالظ» من« الغلظة» وهى الخشونة(وتقع على الضد من الليونة والانعطاف).

[۸۲۰] (۵). سورة فصلت، الآيتان ۳۴ و ۳۵.

[۸۲۱] (۱). مقاتل الطالبيين، ص ۳۳۲. وأورد هذه القصة المرحوم العلّامة المجلسى بشكل أوسع فى بحار الأنوار، ج ۴۸، ص ۱۰۲، ح

۷(مع اختلاف يسير).

[۸۲۲] (۲). بحار الأنوار، ج ۷۱، ص ۱۷۷، ح ۱۴.

[۸۲۳] (۳). شرح نهج‌البلاغة لابن أبی‌الحديد، ج ۱۶، ص ۱۱۰.

[۸۲۴] (۱). الكافی، ج ۴، ص ۱۱، ح ۳.

[۸۲۵] (۲). مفردة« زهد» سواء كان متعدية ب« فی» أو ب« عن» تعنی فی كلا الأمرين عدم الاهتمام والاعتناء، والزاهد إنّما يقال له زاهد لأنّه لا يعتنی بزخارف الدنيا ولا يهتم بمتطلباتها.

[۸۲۶] (۱). سورة البقرة، الآية ۲۷۹.

[۸۲۷] (۲). نهج‌البلاغة، الرسالة ۴۷.

[۸۲۸] (۳). شرح نهج‌البلاغة لابن أبی‌الحديد، ج ۱۶، ص ۱۱۱.

[۸۲۹] (۱). سورة الرحمن، الآية ۶۰.

[۸۳۰] (۱). نهج‌البلاغة، الكلمات القصار، ۳۷۹.

[۸۳۱] (۲). سورة هود، الآية ۶.

[۸۳۲] (۱). سورة الطلاق، الآيتان ۲ و ۳.

[۸۳۳] (۲). سورة الذاريات، الآية ۲۲.

[۸۳۴] (۳). سورة الجاثية، الآية ۵.

[۸۳۵] (۱). شرح نهج‌البلاغة لابن أبی‌الحديد، ج ۱۶، ص ۱۱۴.

[۸۳۶] (۲). المصدر السابق، ص ۱۱۵.

[۸۳۷] (۱). سورة يونس، الآيتان ۲۲ و ۲۳.

[۸۳۸] (۲). نهج‌البلاغة، الكلمات القصار، ۴۰۶.

[۸۳۹] (۳).« مثوی» كما أشرنا سابقاً أنّها تعنی المكان والمنزل، وهنا جاءت بمعنی منزل الآخرة.

[۸۴۰] (۱). نهج‌البلاغة، الكلمات القصار، ۳۳۵.

[۸۴۱] (۲). بحار الأنوار، ج ۷۰، ص ۱۳۸، ح ۶.

[۸۴۲] (۳).« تَفَلّت» من« الفلت» علی وزن« فقر» وفی الأصل بمعنی الخلاص، وتأتی أيضاً بمعنی الأمور التی تصدر من‌الإنسان بشكل عفویّ وبدون تأمّل.

[۸۴۳] (۱). نهج‌البلاغة، الخطبة ۱۵۷.

[۸۴۴] (۱). سورة التوبة، الآية ۵۱.

[۸۴۵] (۲). شرح نهج‌البلاغة للشيخ مغنية، ج ۳، ص ۵۲۶.

[۸۴۶] (۳). سورة لقمان، الآية ۱۷.

[۸۴۷] (۱).« مناسب» من مادة« نسب» وجاءت هنا بمعنی الأقرباء.

[۸۴۸] (۲). شرح نهج‌البلاغة لابن أبی‌الحديد، ج ۱۶، ص ۱۱۷.

[۸۴۹] (۳). سورة الجاثية، الآية ۲۳.

[۸۵۰] (۱). أصول الكافی، ج ۲، ص ۱۳۶، ح ۲۳.

[۸۵۱] (۲). سورة التغابن، الآية ۱۴.

[۸۵۲] (۱). غرر الحكم، ح ۴۶۶۶.

[۸۵۳] (۱). سورة البقرة، الآية ۲۵۶.

[۸۵۴] (۱). شرح نهج‌البلاغة لابن أبی‌الحدید و شرح نهج‌البلاغة الشیخ مغنیة.

[۸۵۵] (۱). من لا یحضره الفقیه، ج ۴، ص ۴۰۶، ح ۵۸۷۹.

[۸۵۶] (۲). الأمالی للشیخ الصدوق، ص ۵۸۹، ح ۱۰.

[۸۵۷] (۱). ذکرنا مفهوم فساد الزمان أکثر فی نفحات الولایة فی الجزء الثانی ذیل الخطبة ۳۲.

[۸۵۸] (۲). بحار الأنوار، ج ۴۹، ص ۱۱۱.

[۸۵۹] (۱). بحار الأنوار، ج ۲، ص ۴۹، ح ۱۰.

[۸۶۰] (۲). شرح نهج‌البلاغة لابن أبی‌الحدید، ج ۱۶، ص ۱۲۱.

[۸۶۱] (۳). بحار الأنوار، ج ۷۳، ص ۲۶۶، ح ۳.

[۸۶۲] (۱). کان هذا الشخص فی زمانه من شیوخ خراسان وکان عالماً وخبیراً وکریماً وذا فکاهة فی کلامه ولهذا لقّب« السکری».(اعلام الزرکلی).

[۸۶۳] (۲). شرح نهج‌البلاغة العلّامة التستری، ج ۸، ص ۴۵۵ ووردت هذه الروایة أیضاً فی کتاب تهذیب الکمال، ج ۲۶، ص ۵۴۸ عم تاریخ بغداد.

[۸۶۴] (۱). بحار الأنوار، ج ۷۳، ص ۲۶۶، ح ۳.

[۸۶۵] (۱).« أفن» بمعنی النقصان وقلّة الفکر والعقل.

[۸۶۶] (۱).« قهرمان» کلمة فارسیة فی الأصل وانتقلت إلی اللغة الغربیة وتعنی المدیر والمدبّر والشخص الذی یتولی أمور النفقة، وأحیاناً تأتی بمعنی البطل والشجاع أیضاً.

[۸۶۷] (۱).« لا تعد» أی لا تتجاوز الحد، من مادة« عدو» علی وزن« سرو» وهو تجاوز الحد.

[۸۶۸] (۲).« التغایر» من« الغیرة» بمعنی الشدة فی العمل لحفظ النوامیس أو رأس المال المهم للآخرین.

[۸۶۹] (۳).« ریب»(مع الالتفات إلی فتح الیاء) جمع« ریبة» علی وزن« غیبة» بمعنی الشک وسوء الظن.

[۸۷۰] (۱). الإنسان ذلک المجهول، ص ۱۰۰ وما بعدها.

[۸۷۱] (۲). نقلًا عن تقریر وصفی لمؤتمر بکین، من کتاب الشوری الثقافیة الاجتماعیة للنساء(شورای فرهنگی اجتماعی زنان)، ص ۱۰.

[۸۷۲] (۳). وللمزید من الاطلاع انظر: دائرة المعارف للفقه المقارن، ج ۱، ص ۸۴- ۸۹.

[۸۷۳] (۱). سورة الروم، الآیة ۲۱.

[۸۷۴] (۲). سورة البقرة، الآیة ۱۸۷.

[۸۷۵] (۱). سورة النحل، الآیة ۹۷.

[۸۷۶] (۱).« یتواکلوا» من« التواکل» و« وکالة» و« تواکل» هو أن یعتمد الشخص فی أموره وأعماله علی شخص آخر ویلقی بالمسؤولیة علیه.

[۸۷۷] (۱).« تصول» من« الصولة» علی وزن« دولة» بمعنی الهجوم والحملة فی المیدان.

[۸۷۸] (۱). شرح نهج‌البلاغة لابن أبی‌الحدید، ج ۱۶، ص ۱۲۸.

[۸۷۹] (۱). وردت هذه الکلمة فی موارد کثیرة من نهج‌البلاغة بصیغة المتکلم بدلًا من صیغة الأمر« استَوْدِع» و« اسأل» وتعنی أننی

أضع دینک ودنیاک ودیعة عند اللّه وأسأله تعالی أفضل ما قسم وقدّر لک فی الدنیا والآخرة، وطبعاً فإنّ مفهوم کلا العبارتین واحد فی الحقیقة، رغم أنّ النسخة الأخیرة أنسب حسب الظاهر وخاصة مع الالتفات إلی کلمة« لک».

[۸۸۰] (۲). سورة آل عمران، الآیة ۲۶.

[۸۸۱] (۱). مجانی الأدب، ج ۲، ص ۹.

تعریف مرکز

بسم الله الرحمن الرحیم

جاهِدُوا بِأَمْوالِکُمْ وَ أَنْفُسِکُمْ فی سَبیلِ اللَّهِ ذلِکُمْ خَیْرٌ لَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علیّ بْنُ موسَی الرِّضا – علَیهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْیَا أمْرَنَا... یَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ یُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ کَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فی تلخیص بحار الأنوار، للعلاّمة فیض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُیونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشَّیخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائمیّة" الثّقافیّ بأصبَهانَ – إیرانَ: الشهید آیة الله "الشمس آباذی" – "رَحِمَهُ اللهُ" – کان أحداً من جَهابذة هذه المدینة، الذی قدِ اشتهَرَ بشَغفِهِ بأهل بَیت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَیهِم) و لاسیَّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (علیه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّریفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درایته، فی سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجریّة الشمسیّة (=۱۳۸۰ الهجریّة القمریّة)، مؤسّسةً و طریقةً لَم یَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ کلَّ یوم.

مرکز "القائمیّة" للتحرّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إیرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریّة القمریّة) تحتَ عنایة سماحة آیة الله الحاجّ السیّد حسن الإمامیّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّیجی الحوزات العلمیّة و طلاب الجوامع، باللیل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دینیّة، ثقافیّة و علمیّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشیعة و تبسیط ثَقافة الثَّقَلَین (کتاب الله و اهل البیت علیهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزیز دوافع الشَّباب و عموم الناس إلی التَّحَرّی الأدَقّ للمسائل الدّینیّة، تخلیف المطالب النّافعة – مکانَ البَلاتیثِ المبتذلة أو الرّدیئة – فی المحامیل (=الهواتف المنقولة) و الحواسیب (=الأجهزة الکمبیوتریّة)، تمهید أرضیّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافیّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البیت –علیهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققین و الطّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلامیّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهیل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

- مِنها العَدالة الاجتماعیّة: التی یُمکِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحدیثة متصاعدةً، علی أنّه یُمکِن تسریعُ إبراز المَرافِق و التسهیلاتِ – فی آکناف البلد - و نشرِ الثّقافةِ الاسلامیّة و الإیرانیّة – فی أنحاء العالَم - مِن جهةٍ اُخرَی.

- من الأنشطة الواسعة للمرکز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ کتبٍ، کتیبة، نشرة شهریّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقیقیّة و مکتبیة، قابلة للتشغیل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثیّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّکة و... الأماکن الدینیّة، السیاحیّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی "القائمیّة" www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَی

ه) إنتاج المُنتَجات العرضیّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمریّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعیّة، الاخلاقیّة و الاعتقادیّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسیم النظام التلقائیّ و الیدویّ للبلوتوث، ویب کشک، و الرّسائل القصیرة SMS

ح) التعاون الفخرىّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع" ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فى الجلسة

ى) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المكتب الرّئيسىّ: إيران/أصبهان/ شارع"مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائى/"بناية"القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التِّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِى الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلک، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفِّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم - فى حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ ولىّ التوفيق.